



مكتبة
الدكتور الدكتور محمد الخطيب طلبة
فهد محمد طلبة شاذي محمد طلبة
المصادف

كتاب الشعب

٢ سبتمبر ١٩٧٧

نفس القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

٧٧٤-٧٠٠ هـ

تحقيق
محمد أحمد عاتق
د. محمد إبراهيم البنا
عبد العزيز بن غنيم

الجلد الثامن

دار الشعب
٢١٨٠

٢١٨٠/٥

وَأَحْبَبُ الْيَمِينِ مَا أَحْبَبُ الْيَمِينِ (١) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٣) وَظِلِّ مَسْدُودٍ (٤)
وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٥) وَفَنَكِحَةٍ كَثِيرَةٍ (٦) لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ (٧) وَقُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ (٨) إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ
إِنْسَاءً (٩) جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا (١٠) عُرْبًا أَرْبَابًا (١١) لِأَحْبَبِ الْيَمِينِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَثَلَاثَةٌ
مِنْ الْآخِرِينَ (١٤)

لما ذكر تعالى مآل السابقين - وهم المقربون - عطف عليهم بالذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون
ابن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين - فقال : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) ، أى : أى شئ
أصحاب اليمين ؟ وما حاتم ؟ وكيف مآلهم ؟ ثم فسر ذلك فقال : (في سدر مخضود) - قال ابن عباس ، وعكرمة ،
وجاهد ، وأبو الأعمش ، وقسامة بن زهير ، والسري بن نسير ، والحسن ، وققادة ، وعبد الله بن كثير ، والصدى ،
وأبو حزرقة ، وغيرهم : هو الذي لا شوك فيه (١) . وعن ابن عباس : هو الموقر بالتمر . وهو رواية عن عكرمة ،
وجاهد . وكلما قال ققادة أيضا : كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه .
والظاهر أن المراد هنا وهذا ، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة على عكس من هذا ، لا شوك
فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله ، كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سليمان النجاشي (٢) :

حدثنا محمد بن محمد هو البغوي ، حدثني حمزة بن عباس ، حدثنا عبد الله بن حيان ، حدثنا عبد الله بن المبارك
أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سلم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : إن الله ليضئنا
بالأعراب ومساكنهم ، قال : أقبل أعرابي يوما فقال : يا رسول الله ، ذكر الله في الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما هي ؟ » قال السدر ، فإن له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أليس الله يقول : (في سدر مخضود) ، خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكه نجرة ، فأنها لتنتج ثمرا تكتفئ
الجرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ، ما فيها لون يشبه الآخر » .

طريق أخرى ، قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن المصنف ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة
حدثني ثور بن يزيد ، حدثني حبيب بن عبيد ، عن عتبة بن عبد السلمي قال : كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم - فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها ؟ يعني الطلح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يجعل مكان كل شوكه نجرة مثل خضوة التيس (٣) الملبود ، فيها سبعون
لونا من الطعام ، لا يشبه لون آخر » .

(١) السدر : شجر التيق .

(٢) كان شيخ المناظرة بالبراق ، سمع أبا داود السجستاني وطبقته ، وكانت له حلقتان : حلقة للشعر ، وحلقة للإبلاء ،
وكان وأسا في اللغة والحديث . توفي في ذي الحجة من سنة : ٣٤٨ . انظر السير للذهبي : ٢٧٨/٢ - ٢٧٩ .(٣) في المخطوطة : « خضرة » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، والنهاية لابن الأثير ، مادة : لبد . قال ابن الأثير : « مثل
خضرة التيس الملبود : أى : المكتنز العم ، الذي لازم يمشه يمشا فليله » . هذا وفي اللسان عن شمر : « لم تسع في واحد الخصى
إلا خضبة بالياء ، لأن أصله من الياء » .

وقوله : (وطلع منضود) : الطلع : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العفكاء ، واحدة طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبني الحدة (١) :

بَشْرًا دَلِيلًا وَقَالَ : • غَنَا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجَبَالَا

لَالِ جَاهِدَ : (منضود) : أي متراكم الثمر ، يذكر بملك قريشاً ، لأنهم كانوا يسحبون من وجّ (٢) ، وظلاله من

طلع وسدر (٣) :

وقاله السدي : (منضود) مصدوف . قال ابن عباس : يشبه طلع الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من السمل :

قال الجوهري : والطلع لغة في الطلع :

قلت : وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان قال : سمعت علياً يقول : هذا الحرف في (طلع منضود) ، قال : طلع منضود ، فلي هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكانه وصفه بأنه منضود وهو الذي لا شوك له ، وأن طلع منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر بن إياس ، عن أبي لبرة عن أبي سعيد (وطلع منضود) ، قال : الموز . قال وروى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، والحسن وعكرمة وقسامة ابن زهير ، وقادة ، وأبي حذرة ، مثل ذلك . وبه قال مجاهد ، وابن زيد - وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلع : ولم يحك ابن جرير غير هذا القول (٤) :

وقوله : (وظل ممدود) ، قال البخاري : حدثنا حل بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأخرج ، عن أبي هريرة - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرموا إن شئتم : (وظل ممدود) (٥) ،

ورواه مسلم من حديث الأخرج ، به (٦) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج ، حدثنا قتيبة ، عن هلال بن حل ، عن عبد الرحمن بن أبي عسرة ، عن أبي هريرة : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرموا إذا شئتم : (وظل ممدود) (٧) :

(١) تفسير الطبري : ١٠٤/٢٧ . وجزاء القرآن لأبي حنيفة : ٢٥٠/٢ ، وقد نسب في التقرطبي ٢٠٨/١٧ أحمد .

(٢) وج : موضع ينسحب للأنف .

(٣) لفظ مجاهد كما في الطبري ١٠٤/٢٧ : كانوا يسحبون بوج ، وظلاله من طلحه وسدر .

(٤) انظر تفسير الطبري : ١٠٤/٢٧ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة الواقعة : ١٨٢/٦ .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها ،

١٤٤/٨ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٨٢/٢ .

وكلنا رواه البخاري ، عن محمد بن سنان (١) ، عن فليح ، به (٢) : وكلنا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن هشام ، عن أبي هريرة . وكلنا رواه حاد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، والليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (٣) . وعوف ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاک يحدث عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين ، أو مائة سنة ، هي شجرة الخلد » (٤) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله قال : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقروا إن شئتم : (وظل مملود) » .

إسناد جيد ، ولم يخرجه . وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن عتبة وعبد الرحيم (٥) ، عن محمد ابن عمرو ، به . وقد رواه الترمذي ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان ، به (٦) :

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زياد - مولى بني غزوم عن أبي هريرة قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقروا إن شئتم : (وظل مملود) ، فليح ذلك كما يقال : صدق ، والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ، لو أن رجلا ركب حقة أو جكة ، ثم دار حول تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط [حتماً] ، إن الله فرسها بيده ونفخ فيها من روحه ، وإن أفاضها لمن وراء سور الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة (٨) :

وقال الحافظ أبو يعلو الموصلي : حدثنا محمد بن منهل الضير ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : (وظل مملود) ، قال : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » :

وكلنا رواه البخاري ، عن روح بن عبد المؤمن ، عن يزيد بن زريع (٩) ، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي ، عن عمران بن ذكور التتبان ، عن قتادة ، به . وكلنا رواه معمر ، وأبو هلال ، عن قتادة ، به . وقد أخرج البخاري

(١) في المخطوطة : « محمد بن شيان » . والمثبت من صحيح البخاري ، وهو الصواب ، وانظر الخلاصة .

(٢) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة » : ١٤٤/٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٥٢/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٤٥/٢ .

(٥) في تفسير الطبري : « وعبد الرحمن » . والصواب ما هنا ، وانظر منه الترمذي الآق .

(٦) تحفة الأحراف ، تفسير سورة الواقعة ، الحديث ٣٣٤٦ : ١٧٩/٩ - ١٨٠ .

(٧) كلما في المخطوطة . وفي تفسير الطبري : « ثم دار بأصل تلك » .

(٨) تفسير الطبري : ١٠٥/٢٧ .

(٩) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة » : ١٤٤/٤ .

ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر^(١) السبع مائة عام ما يقطعها (٢) » .

فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث القاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيد ، وقوة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ، ومنا أبو صالح وقتيق - يعني الضبي - فحدث أبو صالح قال : حدثني أبو هريرة قال : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما . قال أبو صالح : أتكذب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذب أبا هريرة ، ولكني أكذبك أنت . فشق ذلك على القراء [يومئذ] (٣) .

قلت : قد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد بن الحسن بن الشراكات القزاز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » . ثم قال : « حسن غريب (٤) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا أبو عامر العقدي ، عن زمة بن صالح ، عن سلمة ابن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الظل للملوك شجرة في الجنة على ساق ظلها ، قدر ما يسير الراكب في نواحيها مائة عام . قال : فيخرج إليها أهل الجنة ، أهل الغرف وغيرهم ، فيستحبون في ظلها . قال : فيشتهي بعضهم ويدكر هو الدنيا ، فيرس الله ربنا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو في الدنيا .

هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قوى حسن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : (وظل ملود) ، قال : سبعون ألف سنة . وكلنا رواه ابن جرير عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، مثله (٥) . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وظل ملود) ، قال : خميسة ألف سنة (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا حصين بن نافع ، عن الحسن بن قول الله تعالى : (وظل ملود) قال : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها .

وقال عوف ، عن الحسن : يثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها » . رواه ابن جرير (٥) .

(١) الجواد المضمر : الذي يملأ حتى يسمن ، ثم يرد إلى القوت ليشت . . وقيل : هو الذي يند عليه السرج حتى يرقق تحت فيذهب رطبه ويستبدل لحمه .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والثنا : ١٤٢/أ - ١٤٣/أ ، مسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » : ١٤٤/أ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٧ .

(٤) تنقيح الأسرعي ، أبواب صفة الجنة ، باب : « ما جاء في صفة شجر الجنة » ، الحديث ٢٦٤٥ ، ٢٢٦٦/٧ - ٢٢٧٧ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٧/ ١٠٥ .

وقال شيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : في الجنة شجرة لا يحمل ، يُستظل به : رواه ابن أبي حاتم ، وقال الضحاك ، والسدي ، وأبو حذرة في قوله : (وظل عמוד) : لا يقطع ، ليس فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الصجر .

وقال ابن مسعود : الجنة مسجج^(١) ، كما بين طلوع الصجر إلى طلوع الشمس .

وقد نقلت الآيات كقول : (وندخلهم ظلا ظليلا)^(٢) ، وقوله : (أكلها دائم وظلها)^(٣) ، وقوله : (في ظلال وعيون)^(٤) ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : (وماء مسكوب) ، قال الهروي : يجري في غير أخلود ،

وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى : (فيها أنهار من ماء غير آسن)^(٥) ... الآية ، بما أغنى عن إعادته هاتما ،

وقوله : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) ، أي : وحتم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأته ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل ، وأثابوا به مثابا)^(٦) ، أي : يشبه الشكل الشكل ، ولكن الطعم غير الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سورة للتبهي قال : « فإذا روتها كأنك أكلت القيلة وثقها مثل قلل هجر »^(٧) .

وفيها أيضا ، من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : « خُسِفَت الشمس ، فصل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس معه ، فذكر الصلاة . ونه : « قالوا : يا رسول الله ، وإنيك تأتول شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت . قال : إني رأيت الجنة ، فتأولت منها عقودا ، ولو أعطيت لأكلت منه ما بقيت الدنيا » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خزيمة ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا ابن عسكيل ، عن جابر قال : بينما نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئا ليأكله ثم تأخره فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما كنت تصنع ؟ قال : « لعله عرضت على الجنة ، وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتأولت منها قملعا من عنب لآتيكم به ، فحبل بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يتقصونه »^(٨) .

(١) أي : عليها مستل ، لآخر ولا يرد .

(٢) سورة لقمان ، آية : ٥٧ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ٣٥ .

(٤) سورة المراتل ، آية : ٤١ .

(٥) سورة همد ، آية : ١٥ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ٢٥ .

(٧) البيهقي ، كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة : ١٣٤/٤ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإبراهيم رسول الله

الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات وغرف السلوات : ١٠١/١ .

(٨) تقدم الحديث عند تفسير الآية الخامسة والثلاثين من سورة الرعد ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٨٦/٤ .

وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر عن نحوه (١) ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عامر ابن زيد البجلي أنه سمع حنيفة بن عتبة السلمي يقول : جاء أمراني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن الخوض وذكر الجنة ، ثم قال الأمراني : فيها فاكهة ؟ قال : نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى - فذكر شيئاً لا أدري ما هو ؟ قال : أي شجر أَرْضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئاً من شجر أَرْضك ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أُنبت الشام ؟ قال : لا ، قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة ، تثبت على ساق واحد ، ويفرش أعلاماً . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لو انحطت جكرة من إبل أمك ما انحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هراً . قال : فيها حطب ؟ قال : نعم ، قال : فاحطمت المقود ؟ قال : مسيرة شهر للفراب الأبقع ، ولا يقر . قال : فاحطمت الحنطة ؟ قال : هل ذبح أبوك يوماً من غنمه قط حطباً ؟ قال : نعم ، قال : فسلخ إمامه فأعطاه أمك ، فقال : انحطى لنا منه دلو ؟ قال : نعم ، قال الأمراني : فان تلك الحبة لتطبخ وأهل بيتي ؟ قال : نعم وعامة حشرتك (٢)

وقوله : (لا مقطوعة ولا ممنوعة) ، أي : لا تنقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبداً ، مهما طلبوا وجدوا ، لا ينتج عليهم بقدره الله شيء .

قال قتادة : لا يمنهم من تناولوا حرد ولا شوك ولا بعد ، وقد تقدم في الحديث : إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها لغيره .

وقوله : (وفرش مرفوعة) ، أي : عالية وطيبة ناعمة ،

قال التستائي وأبو عيسى الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن حمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الليثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (وفرش مرفوعة) ، قال : ارتفاحها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ،

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه ، إلا من حديث رشدين بن سعد : قال : وقال بعض أهل العلم : معنى هذا الحديث : ارتفاع القرش في اللوجيات ، وبعد ما بين اللوجيتين كما بين السماء والأرض (٣) ، وهكذا قال : إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصري ، وهو ضعيف . وهكذا رواه أبو جعفر ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن رشدين ، به (٤) : ثم رواه هو وابن أبي حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره : وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نعيم بن حماد ، عن ابن وهب ، وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حملة ، عن ابن وهب ، به مظه . ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى ، عن ابن أبي عمير ، حدثنا دراج ، فذكره (٥) ،

(١) تقدم الحديث أيضاً في ٣٨٦/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨٤/٤ ، وتقدم بضمه في ٣٨٦/٤ ، وحدثنا خزيمة هناك .

(٣) نسخة الأخرى : أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة « ثياب أهل الجنة » ، الحديث ٢٦٦٣ : ٢٤٧/٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٤ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن جُؤيَر ، عن أبي سهل - يعني كثير بن زياد - عن الحسن : (وفرش مرفوعة) ، قال : ارتفاع فراش لرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة .

وقوله : (إنا أنشأناهم إنشَاءً . فجعلناهم أبكاراً . عرباً أتراباً . لأصحاب اليمين) ، جرى القصير على غير مذكور . لكن لما دل السياق ، وهو ذكر القرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها ، اكتفى بذلك عن ذكرهن ، وحاد القصير عليهن ، كما في قوله : (إذ عُرِضَ عليه بالشيء الصافياتُ الجياد . فقال : إني أحببت حبّ الخير من ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (١)) ، يعني الشمس ، على المشهور من قول المفسرين .

قال الأعشى في قوله (إنا أنشأناهم إنشَاءً) : أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك (٢) . وقال أبو عبيدة : ذكرن في قوله : (وحور عين . كلُّكُلُ الثَّوَلُ للكون (٣)) .

قوله : (إنا أنشأناهم) ، أي : أعدناهم في نشأة الآخرة بعد ما كُنْ حِجَاباً رُمَصّاً (٤) ، صرن أبكاراً عرباً ، أي : بعد الثبوت عند أبكاراً عرباً ، أي : متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة .
وقال بعضهم (عرباً) ، أي : غَنَجِيَّاتٌ .

قال موسى بن عبيدة الرِّمَكِيُّ ، عن يزيد الرِّكَّاشِي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنا أنشأناهم إنشَاءً) ، قال : نساءً حِجَاباً كُنْ في الدنيا حُصْنًا رُمَصّاً . رواه الترمذي ، وابن جرير (٥) ، وابن أبي حاتم . ثم قال الترمذي : غريب ، وموسى يزيد ضعيفاً (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - حدثنا شيخان ، عن جابر ، عن يزيد بن مرة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله : (إنا أنشأناهم إنشَاءً) يعني : أنجب والأبكار اللاتي كُنْ في الدنيا (٧) .

وقال حيد بن حميد : حدثنا مصعب بن القُدَام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلني الجنة . فقال : يا أم فلان ، إن الجنة لا تدخلها عجوز . قال : فقلت بكى . قال : أشبهوها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : (إنا أنشأناهم إنشَاءً . فجعلناهم أبكاراً) .
وهكذا رواه الترمذي في الشَّالِّ ، عن حيد بن حميد .

(١) سورة ص ، آية : ٣٩ - ٣٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٧ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٥١/٢ .

(٤) ومنهم من فسكون - جمع : رمصه ، والرمص - ينتحين - ومنه أيضا يصح في العين .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٧/٧٧ .

(٦) تحفة الأحرفي ، تفسير سورة الواقعة ، الحديث ٣٣٥٠ ، ١٨٢/٩ .

(٧) أخرجه أبو داود الطيالسي ، انظر أم العاتية ، ترجمة سلمة بن يزيد : ٤٣٦/٢ - ٤٣٧ ، بحقيقته .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا بكر بن سهل (١) الدماطي ، حدثنا عمرو بن هاشم البزوني ، حدثنا سليمان ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرني إن قول الله : (حور عين) ، قال : « حور : بيض ، عين : ضحان العيون ، شُفَر (٢) الحوراء بمنزلة جناح النسر » . قلت : أخبرني عن قوله : (كأنتال الأولؤ للمكنون) ، قال : « صفاؤهن صفاء النور الذي في الأصداف ، الذي لم تَمَسَّه الأيدي » . قلت : أخبرني عن قوله : (فيهن خيرات حسان) . قال : « خَيْرَاتُ الأخلاق ، حسان الوجوه » . قلت : أخبرني عن قوله : (كأنهن بيض مكنون) ، قال : « رققهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ، وهو : النيرقي » . قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قوله : (حرايا أنرابا) . قال : « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا حبازا رَمَصاً شُطْطاً ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجلهن علوى عُرْباً متمشقات متحبيبات ، أنرابا على ميلاد واحد » . قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين . قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظهارة على البطانة (٣) » . قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « بصلابهن وهما بهن وعبادتهن الله عز وجل ، لبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الخلى ، مجاميرهن النور ، وأمشاطهن الذهب ، يقطن : نحن الخالدات فلا تموت أبدا ، ونحن الناعبات فلا نأس أبدا ، ونحن اللقيات فلا نظمن أبدا ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، طوبى لمن كُتِبَ له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّرُ فتختار أحسنهن خلقاً ، فحقول : يارب ، إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق غير الدنيا والآخرة »

وفي حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر شعب المؤمنين كلهم في دخول الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لي في دخولها . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي بعثنى بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم على اثنين وسبعين زوجة ، [سبعين عا (٤)] ما ينشئ الله ، وتثنين من ولد آدم ، لحما فضل على من أنشأ الله ، بهادتهما الله في الدنيا ، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوته ، على سرير من ذهب مكلل بالؤلؤ ، عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق ، وإله يضيح يده بين كفتيه ، ثم ينظر إلى يده من صبرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإله ينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصة الباقوت ، كبدها امرأة ، ينفى وكبدها امرأة ، فينبأ هو عندنا لا عليها ولا غله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجلدها عذراء ، ما يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها إلا أنه لا منى ولا منية ، فينبأ هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا عمل ولا عمل ، إلا أن لك أزواجا غيرها . فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما في الجنة [شيء] أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إلى منك .

(١) في المجمع الصغير للطبراني ١١٠/١ : « سجيل » . وما في الكبير للهي ٨٧/٢ ، يوافق ما هنا .

(٢) كثر - بضم فسكون - : جنن الذين الذين يبيت عليه النسر .

(٣) بطانة القلوب : ما ولي منه الجسد وكان داخلها والظهارة : ما علا وشهد ولم يزل الجسد .

(٤) ما بين القوسين عن سياسة حديث الصور ، التي نقلت في سورة الأنعام : ٢٨٧/٣ .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له : أتلتا في الجنة ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده دَحَمًا (١) ، دَحَمًا ، فإذا قام منها رجعت مطهرة بكرة .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن جابر الثقفي البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي ، حدثنا علي ابن عبد الرحمن الواسطي ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبي الخوكل ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا جاءوا تسامح حدث أبكارا (٢) » . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعطى للمؤمن في الجنة قنوة وكلوا وكفا في النساء . قلت : يا رسول الله ، ويطين ذلك ؟ قال : يعطى قنوة مائة » .

ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال : « صحيح خريفة (٣) » .

وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حُسين بن علي الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نساءنا في الجنة ؟ قال : « إن الرجل ليرى ليله في اليوم إلى ما حلوه » .

قال الحافظ أبو عبد الله القليوبي : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : (عربا) ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني متحبات إلى أزواجهن ، ألم تو إلى الثالثة الغيبية (٤) ، هي كذلك .

وقال الفسحاك ، عن ابن عباس : الثَّوْبُ : الواشق لأزواجهن ، وأزواجهن هن عاشقون ، وكلما قال عبد الله ابن سرجس ، وعجماد ، وعكرمة ، وأبو المالية ، ويحيى بن أبي كبير ، وعطية ، والحسن ، وقتادة ، والفسحاك ، وغيرهم .

وقال ثور بن زيد ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله : (عربا) ، قال : هي الملققة لأزواجهن (٥) .

وقال شعبه ، عن سيالك ، عن عكرمة : هي الفتية (٦) .

وقال الأجلح بن عبد الله ، عن عكرمة : هي الشكلة (٧) .

(١) القسم - يفتح فسكون - : التكلج والوطء وبلغ وزعاج .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٩١/١ ، وقال : « لم يروه عن عاصم إلا شريك ، تفرد به علي بن عبد الرحمن » .

(٣) تحفة الأحوي ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة جناح أهل الجنة » ، الحديث ٢٦٩٠ / ٧ - ٢٤٤١ - ٢٤٤٢ .

(٤) في اللسان : « ضمت الناقة - بالكسر - تصحح ضباً وضبة - بالتحريك - ، وضمت وأضمت بالالف ، واستضمت وهي مضمة : اشتبهت الفضل » .

(٥) تفسير الجبلي : ١٠٧/٢٧ .

(٦) الفتوح - بفتح - : التكرار والتدليل .

(٧) المرأة الشكلة : ذات اللد .

وقال صالح بن حيّان ، عن عبد الله بن يزيد في قوله : (عربيا) ، قال : الشكلة بانه أهل مكة ، والفتية بانه أهل للفتية (١) .

وقال نجم بن حذلم : هي حسن التبعّل :

وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : العرب : حنات الكلام :

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكري : حدثنا أبو علي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (عربيا) قال : كلامهن عربى » .

وقوله : (أترابا) ، قال الفصاحك ، عن ابن عباس : يعنى فى سن واحدة ، ثلاث وثلاثين سنة :

وقال مجاهد : الأتراب المستويات . وفى رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأكران . وقال السدى : (أترابا) ،

أى : فى الأخلاق المتواضعات بينهم ، ليس بينهم تباغض ولا تحاسد ، يعنى لا كما كن ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن الكهف (٢) ، عن الحسن ومحمد : (عربيا أترابا) ، قالوا : للمستويات الأسمان ، يألفن جميعا ، ويعلمن جميعا .

وقد روى أبو عيسى الترمذى ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الثعلبى ابن سعد ، عن علي بن رضى الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن فى الجنة مجتمعاً للحوار العين ، يرفهن أصوات لم تسمع الخلاق بمثلها ، يقرن : نحن الخالدات فلا نبد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نشتط ، طوبى لمن كان لنا وكفّا له » . ثم قال : « هذا حديث غريب (٣) » .

وقال الحافظ بن يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن فلان بن عبد الله ابن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الحوار العين ليعنين فى الجنة ، يقرن : نحن خيترات حسنات ، نخبثنا لأزواج كرام » .

قلت : إسماعيل بن عسمر هذا هو أبو المنذر الواسطى أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم ابن إبراهيم الملقب بدحيم ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أبي ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع (٤) ، عن ابن أنس ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحوار العين يعنين فى الجنة : نحن الحوار الحسنات ، خلقنا لأزواج كرام » .

وقوله : (لأصحاب اليمين) ، أى : خلقنا لأصحاب اليمين [أو : ادّخرنا لأصحاب اليمين] أو : زوّجنا لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : [إنا أنشأناهم إنشاء . فجعلناهم أبكارا . عربيا أترابا . لأصحاب اليمين] ، فتقديره : أنشأناهم لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير (٥) .

(١) تفسير الطبرى : ١٠٨/٢٧ .

(٢) عبد الله بن الكهف هذا مترجم فى الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٤٥/٢/٧ ، ومحمد الذى يروى عنه هو ابن مبرين .

(٣) تحفة الأوسى ، أبواب سفة الجنة ، باب : ما جاء فى كلام الحوار العين ، الحديث : ٢٦٨٩ / ٧ / ٢٨٦ - ٢٨٧ . وانظر سنة الإمام أحمد : ١٥٦/١ .

(٤) انظر ترجمة : عون بن الخطاب : فى الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٨٦/١/٤ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٠٩/٢٧ .

رَوَى عَنْ أَبِي سَلِيانَ الدَّرَاكَنِيِّ - رحمه الله - قال : حَلَبْتُ لَيْلَةً ، ثُمَّ جَلَسْتُ أَدْعُو ، وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا ، فَجَلَسْتُ أَدْعُو بِيَدٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَخَذْتُ عَيْنِي فَنَمْتُ ، فَارْتَيْتُ حَوْرًا لَمْ يَرِ مِثْلُهَا وَهِيَ تَقُولُ : يَا أَبَا سَلِيانَ ، أَتَدْعُو بِيَدٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَا أَخَذْتُ لَكَ فِي النَّعِيمِ مِنْ حَسْبَاءِ سَنَةٍ !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : (لأصحاب اليمين) متعلقًا بما قبله ، وهو قوله : (أنزانيا : لأصحاب اليمين) ، أي : في-أسمانهم . كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، من حديث جرير ، عن حُمَارة بن أَقْعَاق ، عن أَبِي زُرْعَةَ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوئه أشدُّ كوكب دريٍّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمشطون ، أمشاطهم النعب ، وورشهم المسك ، ويجامرم الأثوة ، ولزوجهم المحور المين ، أعناقهم على خنك رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعًا في السماء (١) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة - وروى الطبراني ، وألفظ له ، من حديث حماد بن سلمة - عن علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جُردًا مُردًا أيضًا جميعًا مكحّلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خنك آدم ستون ذراعًا (٢) في عرض سبعة أذرع (٣) » .

وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن ابن غنم ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحّلين أبناء (ثلاثين ، أو (٣) ثلاث وثلاثين سنة » . ثم قال : « حسن غريب (٤) » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أن دُرَاجًا أبا السمح حدثه عن أبي الميثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُردُّون بني ثلاث وثلاثين في الجنة ، لا يزيدون عليها أبدًا ، وكذلك أهل النار » .

ورواه الترمذي عن سُويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن وشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، به (٥) ، وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثني رَوَادُ بْنُ الْجَرَّاحِ السَّعْلَانِيُّ ، حدثنا الأوزاعي ، عن هارون بن رباب ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ، ستين ذراعًا بلواح للملك ! على حُسْنِ يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جُردٌ مُردٌ مكحّلون » .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ٧٣ من سورة الزمر ، وخرجناه هناك ، وشرحنا غريبه : ١١٠/٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٩٥/٢ ، ٣٤٣ .

(٣) ما بين القوسين عن الترمذي .

(٤) لفظ الترمذي - كما في تحفة الأخرى - : « وهذا حديث غريب » . انظر أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في من أهل الجنة » : ٢٥٤/٧ .

(٥) تحفة الأخرى ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء لأهل الجنة من الكرامة » ، الحديث ٢٦٨٧ ، ٢٨٤٧ .

وقال أبو بكر بن أبي داود . حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعي ، عن هارون ابن رثاب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبيت أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين ، جرداً مرداً مكحلين . ثم يلعب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » .

وقوله : (ثلثة من الأولين . وثلثة من الآخرين) ، أي : جماعة من الأولين ، وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن عبد الله بن مسعود - قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض - قال : أكرينا (١) ذات ليلة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم غدونا عليه ، فقال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْإِنْيَاءُ وَأَبَاعَهَا بِأَهْلِهَا ، فِيمر على النبيّ . والنبي في العصابة ، والنبي في الثلاثة ، والنبي ليس معه أحد - وتلا فتادة هذه الآية : (أليس منكم رجل وشيد) - قال : حتى سَرَ عَلَيَّ مَوْسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي كَتَبِيكَبَةِ (٢) مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : قُلْتُ رَبِّي ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا أَحْوَكُ مَوْسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ : قُلْتُ : رَبِّ ، فَلَيْنَ أُمِّي ؟ قَالَ : انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ فِي الظُّرْبِ (٣) . قَالَ : فَاذَا وَجْهُ الرَّجُلِ . قَالَ : قَالَ : أَرْضَيْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : قَدْ رَضَيْتَ ، وَبِ . قَالَ : انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ مِنْ يَسَارِكَ . فَاذَا وَجْهُ الرَّجُلِ . قَالَ : أَرْضَيْتَ ؟ قُلْتُ : رَضَيْتَ ، وَبِ . قَالَ : فَإِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا ، يَخْلُطُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . قَالَ : وَأَنْشَأَ عَكَاكَةً بَيْنَ مِحْصَتَيْنِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - قَالَ سعيد - وَكَانَ بَدْرِيَا - قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ . قَالَ : فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ » . قَالَ : أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرًا ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ . فَقَالَ : « سَبَقْتُكَ بِهَا عَكَاكَةً » . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ - فَلَاكُمْ أَبِي وَلَيْ - أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّبْعِينَ فَافْعَلُوا ، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الظُّرْبِ ، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الْأَفْقِ ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ تَأَشَّبُوا حَوْلَهُ (٤) . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رِيعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَكَبَرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : « إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قَالَ : فَكَبَرْنَا ، قَالَ : « إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قَالَ : فَكَبَرْنَا . ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى . وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) . قَالَ : فَقُلْنَا بَيْنَنَا : مَنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ أَلْفًا ؟ فَقُلْنَا : هُمُ الَّذِينَ وَلَدُوا فِي الْإِسْلَامِ . وَلَمْ يَشْرِكُوا . قَالَ : لَيْفَئِكَ ذَٰلِكَ ، قَالَ : « يَلِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَكُونُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَطْفِرُونَ ، وَعَلَى رِجَمٍ يَتَرَكُونَ » .

وكلا رواه ابن جرير من طريقين آخرين ، عن قتادة ، به نحوه (٥) . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحيح وغيره .

(١) أي : أكرينا وأكرنا . ولفظ الطبري : « تحدثنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة ، حتى أكرينا في الحديث » .

(٢) الكتيبة - بضم الكافين وضمة هاء - : الجماعة المتصلة من الناس .

(٣) الظرب - بكسر الظاء - : الجبال السنار .

(٤) في المخطوطة : « قد تأسبوا أسوا » . ولعل الصواب ما أثبتناه . وتأشبوا حوله : اجتمعوا إليه وأطافوا ؟ . ولفظ الطبري : « فإن رأيت ثم أناساً يهشون كثيراً ، أو قال : يهشون » . والهوش : الاختلاط ، أي يدخل بعضهم في بعض .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٩/٢٧ - ١١٠ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، حدثنا سفيان ، عن أبيان بن أبي عياش ، عن سعيد بن جبهر ، عن ابن عباس : (لمة من الأولين • ولمة من الآخرين) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « همّا جميعاً من أمي (١) » .

وَأَخْتَبُ الثَّيَالِ مَا أَخْتَبُ الثَّيَالِ ① فِي سُحُورٍ وَحَجِيمٍ ② وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ③ لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ④
 ⑤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ⑥ وَكَانُوا يُصْرَفُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ ⑦ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّا مِتْنَا وَكُنَّا
 رَبَابًا وَعِظْلًا أَوْنَا لَمَبْعُورُونَ ⑧ أَوْ قَابًا نَا الْأُولُونَ ⑨ قُلْ إِنْ ⑩ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ ⑪ لَمَجْمُوعُونَ
 إِلَيَّ يَوْمَ يُنْفَخُ الصُّورُ ⑫ ثُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَالِبُ ⑬ الْمَكِيدُونَ ⑭ لَا يَكُونُ مِنْ حَجِيمٍ مَنْ زُقُومٍ ⑮
 قَالِقُونَ مِنْهَا الْجُبُونَ ⑯ فَيُصْرَفُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ⑰ فَيُصْرَفُونَ شَرْبَ الْحَمِيمِ ⑱ هَذَا زُقُومٌ يَوْمَ
 الدِّينِ ⑲

لا ذكر تعالى حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال ، قال : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) . أى : أى شيء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فُسِّرَ ذلك فقال : (فى سوم) ، وهو : الماء الحار ، (وحجيم) ، وهو : الماء الحار ، (وظل من يحوم) ، قال ابن عباس : ظل اللعان . وكلنا قال مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وقاعدة ، والسدى ، وغيرهم . وهذه كقوله تعالى : (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون • انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شُتَبٍ . لا ظليل ولا بنى من الذهب • إنها ترى بشر كالقصر . كأنه جملة صُفْرُه ويل يومئذ للمكلفين (١٦) . ولهذا قال هاتين : (وظل من يحوم) ، وهو : اللعان الأسود ، (لا بارِد ولا كريم) ، أى : ليس طيب الميرون ولا حَسَن المنظر ، كما قال الحسن وقاعدة : (ولا كريم) ، أى : ولا كريم المنظر . وقال الضحاك : كل شراب ليس بطيب فليس بكرم (١٧) .

وقال ابن جرير : العرب تتج هذه اللفظة فى التثنية (١٨) ، فيقولون : « هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم ، وهذه النار ليست بنظيفة ولا كريمة » .

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى : (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) ، أى : كانوا فى الدار الدنيا متعدين متقبلين حل لثلاث أنفسهم ، لا يلون على ما جاءهم به الرسل .

(وكانوا يصرون) أى : يَحْمُومُونَ ولا ينون توبة ، (على الحنت العظيم) ، وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله .

قال ابن عباس : (الحنت العظيم) : الشرك . وكلنا قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقاعدة ، والسدى ، وغيرهم .

وقال الشعبي : هو اليمين النعوس .

(١) تفسير الطبري : ١١٠ / ٢٧ .

(٢) سورة المرامات ، الآيات : ٢٩ - ٣٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١١١ / ٢٧ .

(٤) لفظ الطبري : ١١١ / ٢٧ ، « ولرب تتج كل من من صفة حنة نى الكرم » .

وكانوا يقولون : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباءنا الأولون ؟) يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبشرين لوعده ، قال الله تعالى : (قل : إن الأولين والآخرين لمجععون إلى ميقات يوم معلوم ، أي : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى حركات القيامة ، لا تنأدر منهم أحدا ، كما قال : (ذلك يوم جموع له الثامس وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود . يوم يأتي تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم متقي وسعيد) (١) . ولهذا قال هاهنا : (لمجععون إلى ميقات يوم معلوم) ، أي : هو موقت بوقت محدّد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص . ثم إنكم أيها الضالّون المكلّبون لا تكونون من شجر من زقوم . فالنّون منها البطون ، وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم ، حتى يملأوا منها بطونهم ، (فشاريون عليه من الحميم ، فشاريون شرب الحميم) ، وهي الإبل الطلّاش ، واحدا أحمى والأثنى هياء ، وقال هاتم وهاتمة .

قال ابن عباس ، وعجمد ، وسعيد بن جببر ، وعكرمة : الحميم : الإبل الطلّاش الظماء . وعن حكيم أنه قال : الحميم : الإبل المراكض ، تحمص الماء مصا ولا تتروى . وقال السدي : الحميم : حله يأخذ الإبل فلا تتروى أبدا حتى تموت ، فكل ذلك أهل جهنم لا يترؤون من الحميم أبدا . وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شرب الحميم عبّة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثا . ثم قال تعالى : (هذا نزلهم يوم الدين) ، أي : هذا الذي وصفنا هو ضيقهم عند رجم يوم حسابهم ، كما قال في حق المؤمنين : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (٢) ، أي : ضيافة وكرامة .

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٣٠﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ ﴿٣٢﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ ﴿٣٣﴾ عَلَيَّ أَنْ نَبْلِكُ أَمْ نَكُفِّرُ بِنَحْنُكُمْ وَنَكْفُرُ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى متكررا للمعاد ، وردّا على المكلفين به من أهل الزيف والإلحاد ، من الذين قالوا : (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) (٣) ، وقرئتم ذلك صدّر منهم على وجه التكليل والاستبعاد ، فقال (نحن خلقناكم) ، أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مكتورا ، أفليس قلبي قدر على البتة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى ؟ فلهذا قال : (فلولا تصدقوا !) ، أي : فهلا تصدقون بالبهت ! ثم قال مستدلا عليهم بقوله : (أفرأيتم ما تدعون ؟) أفرأيتم ما تدعون ؟ أئنم تخفون أم نحن المخفون ؟ (٤) ، أي : أئنم ترون في الأرحام وتخفونه فيها ، أم الله الخالق للأك ؟ ثم قال : (نحن قدرنا بينكم الموت) ، أي : صرّفناه بينكم .

وقال الضمك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض .

(١) سورة هود ، الآيات : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ١٠٧ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ١٦ .

وما نحن بمعرقين) أى : وما نحن بعاجزين (على أن نهلك أمثالكم) ، أى : نغير خلقكم يوم القيامة ، (وننشكم فيها لعلهم) ، أى : من الصفات والأحوال .

ثم قال : (ولقد علمت النشأة الأولى فلولا تذكرون) ، أى : قد علمت أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فلما تذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة - وهى البدأة - قادر على النشأة الأخرى ، وهى الإعادة بطريق الأولى والأخرى ، كما قال (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (١) وقال (أولاً يخلق الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) (٢) ، وقال (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم . قل : يحيىها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٣) . وقال تعالى : (إنسحب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مئىة ؟ ثم كان علقة مخلوق سوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟ (٤) .

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٢﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَتَنَافَعُونَ ﴿٣﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٤﴾ بَلْ نَحْنُ حَزَّارُونَ ﴿٥﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّيَّ تَسْرُونَ ﴿٦﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٧﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَنْجَارًا فَلَوْلَا تُسْكِرُونَ ﴿٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٩﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿١٠﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَدْرِيَةً وَتَشْتَعِلُ لِقَوْمٍ أَلْفَافِينَ ﴿١١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾

يقول : (أفرأيت ما تحرثون ؟) ، وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، (أأنتم تزرعون ؟) ، أى : تنبته فى الأرض (أم نحن الزارعون) ، أى : بل نحن اللذين نقره قرواه وننته فى الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجعفي ، حدثنا عطاء بن الحسن ، عن هشام ، عن محمد (هـ) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تقولون زرع» ، ولكن قل : «حرث» ، قال أبو هريرة : لم تسمع إلى قوله : (أفرأيت ما تحرثون . أأنتم تزرعون أم نحن الزارعون) (١) .

ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم ، عن مسلم الجعفي ، به .

وقال [ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن : لا تقولوا زرعنا ، ولكن قولوا حرثنا .

وروى عن حنبل المدني أنه كان إذا قرأ : (أأنتم تزرعون أم نحن الزارعون) وأماطلما ، يقول : بل أنت يارب ،

(١) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٦٧ .

(٣) سورة يس ، الآيات : ٧٧ - ٧٩ .

(٤) سورة الفاتحة ، الآيات : ٣٦ - ٤٠ .

(هـ) فى تفسير الطبري : «عن هشام . وهو هشام بن حسان . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٤٧/١٤ .

(٦) تفسير الطبري : ١١٤/٢٧ .

وقوله : (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حِطَاءً) ، أى : نحن أنبتناه بلفظنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطاء ، أى : لا يمساه قبل استوائه واستحصاه ، (فظلمت تفكهون) . ثم فسر ذلك بقوله : (إنا لخرمون . بل نحن محرومون) ، أى : لو جعلناه حطاء لظلمت تفكهون في المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : (إنا لخرمون) أى : لملأكمون (١) .

وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمؤلح بنا . وقال قتادة : مملوون . وقارة تقولون : بل نحن محرومون . وقال مجاهد أيضاً : إنا لخرمون : ملقون للشر ، أى : بل نحن مُحْكَرُونَ ، قاله قتادة ، أى : لا يثبت لنا مال ، ولا يتبع لنا ربح .

وقال مجاهد : (بل نحن محرومون) ، أى : مملوون (٢) ، يئس : لاحظ لنا . قال ابن عباس ، ومجاهد : (فظلمت تفكهون) . تصيرون . وقال مجاهد أيضاً : (فظلمت تفكهون) : تصيرون ومخزون على ما تأنكم من زرعكم .

وهذا يرجع إلى الأول ، وهو التصببه من السبب الذى من أجله أصبوا في مالم . وهذا اختيار ابن جرير (٣) . وقال حكيم : (فظلمت تفكهون) : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدي : (فظلمت تفكهون) ، تنعمون ومناه إما حل ما أنفقتم أو حل ما أسقتم من الغيوب .

قال (المكاشي) : تفكه من الأضداد ، تقول العرب : [تفككت] بمعنى تنعمت ، وتفككت بمعنى حزن . ثم قال تعالى : (أفأريتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن) ، يعنى : السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . (أم نحن المزلون) ، يقول : بل نحن المزلون . (لو نشاء جعلناه أجابا) ، أى : زُجَاعاً مراً لا يصلح للعرب ولا زرع ، (فلولا تشكرون) ، أى : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إزاله المطر عليكم حلها زلالاً ! (لكم منه شراب ومنه شجر فيه ثسيمون) . يثبت لكم به الزرع والزيوت والتخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يفكرون (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حيان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه إذا شرب الماء قال : « الحمد لله الذى سقانا هذا فرائداً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاباً بليوتنا » .

ثم قال : (أفأريتم النار التى تورون) ، أى : تفلحون من الزناد ، وتسخر جوتها من أصلها ، (أأنتم أنفقتم شجرتها) أم نحن المشترون) ، أى : بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها ، والعرب شجرتان ، إحداهما : للبرخ ، والأخرى : المنكأ ، إذا أشعل منها غصنان أخضران ، فحكك أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار .

(١) في تفسير الطبري ١١٥/٢٧ : « وإنا للملحون في الشر » .

(٢) في البيان ، مادة سدد : « قال الأزهري : الملوود : الخروم » .

(٣) تفسير الطبري : ١١٥/٢٧ .

(٤) سورة الفتح ، آية : ١٥ - ١١ .

وقوله : (نحن جعلناها تذكرة) ، قال مجاهد ، وتذكاة : أى تُذكر النار الكبرى .

قال قتادة : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا قوم ، [ناركم] هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . قالوا يا رسول الله ، إن كانت لكافية ! قال قد ضريت بإلاء ضربتين أو : مرتين - حتى يستفحم بها من آدم ويدنوا منها (١) » .

وهذا الذى أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد ، فى مسنده فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منقعة لأحد (٢) » .

وقال الإمام مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « نار نبي آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية . قال : « إنها فُصِّكت عليها بتسعة وستين جزءاً (٣) » .

رواه البخارى من حديث مالك ، ومسلم من حديث أبي الزناد (٤) ، ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة ، به (٥) : وفى لفظ : « والذى نفسى بيده ، لقد فُصِّكت عليها [بتسعة وستين جزءاً] كلهن مثل حرها (٥) » .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو اللخلى ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا معن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبي السهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لى أشد سواناً من ناركم هذه سبعين (٦) ضِعفاً » .

قال الضياء المقدسى : وقد رواه ابن مصعب ، عن مالك ولم يرفعه ، وهو عتلى على شرط الصحيح :

وقوله : (ومتاعا المقوين) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقاتة ، والفسحاء ، والنسر بن عريف : معنى (المقوين) : المسافرين ، واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : « أقرت الدار إذا رحل أهلها (٧) » .

وقال غيره : القى (٨) والقنواء القفر الخالى البعيد من الممرات

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : للمقوى هنا الجائع .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : (ومتاعا المقوين) : الحاضر والمساقر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار : وكلما روى سفيان ، عن جابر الجعفى ، عن مجاهد .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد قوله : (للمقوين) : المستمتعين ، الناس أجمعين (٨) . وكلما ذكر عن صكرمة :

(١) تفسير الطبرى : ١١٦/٢٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٤/٢ .

(٣) الموطأ ، كتاب جهنم ، باب : « ما جاء فى صفة جهنم » .

(٤) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب : « صفة النار وأنها مخلوقة » : ١٤٧/٤ .

(٥) مسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب : « فى شدة حر نار جهنم وبعد قسرها وما تأخذ من المسلمين » : ١٥٠/٨ .

(٦) فى المخطوطة : « ستين » . وللميت من الطبقات السابقة .

(٧) تفسير الطبرى : ١١٦/٢٧ .

(٨) فى السان : « والى [بكسر القاف] ، وتكديدها [] ، القفر » .

وهذا التفسير أهم من غيره، فإن الحاشية والباقى من غنى وقبح الكل محتاجون للطبخ والاصطلاح والإضافة وغير ذلك من المتاع. ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار، وخاص الحنيد، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى، وأودع تاره فاطين بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانفتح بها سائر الاكتشافات: فلهذا أفرد للمسافرون وإن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم. وقد يستدل به بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خديش حبان بن زيد الشَّرْهَبِي الشَّامِي، عن رجل من المهاجرين من قُتْرَن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «للمسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأل والماء» (١).

وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يُمتنعن: للماء والكأل والنار» (٢).

وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة: «وتمته حرام»، ولكن في إسناده عبد الله بن خريش بن حنوفيه (٣) وهو ضعيف، والله أعلم.

وقوله: (فصبح باسم ربك العظيم)، أى: الذى يقدره خلق هذه الأشياء الخفية المضادة: للماء الملب الرلال البارد، ولواش لجهل ملحا أجليا كالحار للفرقة، وخشكت النار للفرقة، وجعل ذلك مصلحة للمباد، وجعل هذه مفعة لم في مصالح دنياهم، وزاجرا لم في للماد.

﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِجِ النَّجْمِ ﴾ ١٠٠ ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطَّلَوْنَ عَظِيمٌ ﴾ ١٠١ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ١٠٢ ﴿ فِي كِتَابٍ مُكْتُومٍ ﴾ ١٠٣ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ١٠٤ ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ١٠٥ ﴿ أَفَبِعَدَّتِ الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُنْهِنُونَ ﴾ ١٠٦ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ مُبْكَرُونَ ﴾ ١٠٧

قال جرير، عن الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه، ولكنه استفتح يستفتح به كلامه.

وهذا القول ضعيف. والذى عليه الجمهور أنه قسم من الله - عز وجل - يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمتهم. ثم قال بعض المفسرين: «لا هاهنا زائفة» وتقديره: أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير، عن سعيد بن جبير (٤). ويكون جوابه: (إنه لقُرآن كريم).

وقال آخرون: ليست «لا» زائفة لا معنى لها، بل يوتى بها في أول القسم إذا كان مقصدا به حل منى، كقول عائشة رضي الله عنها: «لا والله ما كنت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط» وهكذا هاهنا تقدير الكلام: «لا أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم».

(١) سنة الإمام أحمد: ٣٦٤/٥، وسنن أبي داود، كتاب، البيوع، باب: «في منع الماء».

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الرهن، باب: «للمسلمون شركاء في ثلاث»، الحديث ٢٤٧٣/٢.

(٣) سنن ابن ماجه، في الكتب والباب المختلفين، الحديث ٢٤٧٢.

(٤) تفسير الطبري: ١١٧/٢٧.

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : (فلا أقسم) ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد قليل : أقسم .

واختلفوا في معنى قوله : (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبلة ، عن سعيد بن جبلة ، عن ابن عباس : يعني بنجوم القرآن ، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء البليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقا في السنين بعد ، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

ولا وقال الضحاك ، عن ابن عباس : نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السكرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته المفردة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فهو قوله : (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، : بنجوم القرآن ، وكلما قاله حكمة ، وعجاده ، والسلى ، وأبو حنزة ؛

وقال مجاهد أيضا : (مواقع النجوم) في السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها ، وكلما قال الحسن ، وقادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضا : أن المراد بذلك انتزاعها يوم القيامة ، وقال الضحاك : (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطّروا قالوا : مطرتا بئسما (١) كلما وكلما .

وقوله : (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) ، أي : وإن هذا القسم الذي أقسمت به أقسم عظيم ، لو تعلمون عظمه لعظمم للقسم به عليه ، (إنه لقسم كريم) ، أي : إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم : (في كتاب مكنون) أي : معظم في كتاب معظم محفوظ موقر ؛

قال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسى (٢) أخبرنا شريك ، عن حكيم ، عن ابن جابر ، عن سعيد بن جبلة ، عن ابن عباس (لا يسمه إلا المطهرون) قال : الكتاب الذي في السماء (٣) .

وقال الموقى ، عن ابن عباس : (إلا للمطهرون) ، يعني للملائكة : وكلما قال أنس ، وعجاده ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبلة ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نعيم ، والسلى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن قتادة : (لا يسمه إلا للمطهرون) ، قال : لا يسمه عند الله إلا للمطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يسمه بغيره النجس ، والمتناقى الرجس . وقال : وهي في فراسة ابن مسعود : (ما يسمه إلا للمطهرون) (٤) .

وقال أبو العالية : (لا يسمه إلا للمطهرون) ، ليس أنتم أصحاب اللوث ؛

وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يسمه إلا للمطهرون كما قال : (وما ينشئ لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمزولون) ،

(١) انظر تفسير التوفيق : ٢٠٠/٦ .

(٢) في الخطوبة : « موسى بن إسماعيل » . والكتب من تفسير الطبري ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٩٦/١٢١ . وهو إسماعيل بن موسى القزاري أبو محمد نسب السلي .

(٣) تفسير الطبري : ١١٨/٢٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ .

وهذا القول قول جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله .

وقال القرطبي : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

وقال آخرون : (لا يسمه إلا المطهرون) ، أي : من الجنابة والخلط . قالوا : ولفظ الآية خبر وممتاها الطلب ، قالوا : وللدلالة بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، غافلة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطنه ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم : أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم : أن لا يمس القرآن إلا طاهر^(١) . وروى أبو داود - في المراسيل - من حديث الزهري قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يمس القرآن إلا طاهر » .

وهله وجادة^(٢) جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به . وقد أسنده الدارقطني عن عمرو ابن حزم ، وعبد الله بن عمر ، وعثمان بن أبي العاصي ، وفي إسناد كل منها نظر ، والله أعلم .

وقوله (تتزل من رب العالمين) ، أي : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مزية فيه ، وليس وراءه حق نافع .

وقوله : (أنفلهما الحديث أنتم مدحون) ، قال السيوطي ، عن ابن عباس : أي : مكملين غير مصدقين . وكلما قال الصفاة ، وأبو حنيفة ، والسدي .

وقال مجاهد : (مدحون) ، أي : يرفعون أن تعالوهم فيه وترتقوا إليهم .

(ويعملون رزقكم أنكم تكتبون) ، قال بعضهم : يسي ويعملون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكتبون أي : تكتبون بدل الشكر .

وقد روى عن علي وابن عباس أنهما قرأها : (ويعملون شكركم أنكم تكتبون) كما سياتي .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن النبي بن عدي : أن من لغة أزد شتومة ما رزق فلان بمعنى : ما شكر فلان^(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل : عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ويعملون رزقكم) ، يقول : شكركم (أنكم تكتبون) ، تقولون مطرنا بشفاعة كلنا وكلنا ، بنجم كلنا وكلنا^(٤) .

(١) الموطأ ، باب : الأمر بالوضوء لمن مس القرآن . انظر تنوير الحوائك : ١٥٧/١ .

(٢) انظر تفسير هذا المصطلح في : ٩٤/١ .

(٣) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٠٨/١ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن مَحْمُود بن إبراهيم التهذي — وابن جرير ، عن محمد بن المنى ، عن عبيد الله بن موسى ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبي بكير ، ثلاثهم عن إسرائيل ، به مرفوعاً (١) . وكذا رواه الرملي عن أحمد بن منبج ، عن حسين بن محمد — وهو للمروزي — به ، وقاله : « حسن غريب » . وقد رواه سفيان عن عبد الأعلى ، ولم يرفعه (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس : (وَيَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تَكْلِبُونَ) (٣) .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وقال مالك بن النوطا ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صلاة الصبح بالمدينة في أثر مياه (٤) كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرُونَ ما ذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أصبح من عبادي مؤمن بك وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بك كافر بالكواكب . وأما قال : « مطرنا بنوء كذا وكذا » فذلك كافر بك مؤمن بالكواكب (٥) .

أخرجاه في الصحيحين ، وأبو داود والترمذي ، كلهم من حديث مالك ، به (٦) .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المدايني وعصم بن سَوَّاد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث : أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، يتزلُّون فيقولون : يَكُوكِبُ كَذَا وكَذَا » .

تقرَّر به مسلم من هذا الوجه (٧) .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله ليصنع القوم بالنعمة أو يُعسيهم بها ،

(١) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ .

(٢) نسخة الأحرشي : تفسير سورة الواقعة : الحديث ٣٣٤٩ : ١٨١/٩ - ١٨٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ - ١٢٠ .

(٤) أي : مطر .

(٥) تدوير الحديث : فَرَحَ مَطَرُ الْإِيمَانِ مَالِك ، باب : الاستعطار بالنجوم : ١٥٤/١ - ١٥٤ .

(٦) البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب : قول الله تعالى : (وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْلِبُونَ) : ٤١/٢ . ومسلم ، كتاب

الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء : ٥٩/١ . ومسنَد أبي داود ، كتاب الطب ، باب : في النجوم ، وسنن

السنائي ، كتاب الاستسقاء ، باب : كراهية الاستعطار بالنجوم : ١٦٥/٢ - ١٦٥ .

(٧) مسلم ، في الكتاب والقباب للمتقين : ٥٩/١ - ٦٠ .

فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مطبرنا بنوه كلها . قال محمد - هو ابن إبراهيم - : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبي هريرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو يستقى ، فلما استقى التفت إلى العباس فقال : يا عباس ، يا عم رسول الله ، كم بقى من نوء الثريا ؟ قال : العلماء يزعمون أنها تنمطر في الآن بعد سقوطها سبعا . قال : فما مضت سابعة حتى مطبروا (١) .

وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذى أجرى الله فيه العادة بإتزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر ، فإن هذا هو المنهى عن اعتقاده . وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله : (ما ينتج الله للناس من رحمة فلا يحملك لما (٢)) .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا شفيان ، عن إسماعيل بن أمية - أحسبه أو غيره - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا - ومطروا - يقول : مطرنا ببيض عتاكين (٣) الأسد . قال : « كلبت ! بل هو رزق الله (٤) » ، ثم قال ابن جرير : حدثني أبو صالح الصيرافى ، حدثنا أبو جابر (٥) محمد بن عبد الملك الأزدي (٦) ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما مطبر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كاليرين . ثم قال (ويعملون رزقكم أنكم تكليون) » ، يقول قائل : مطرنا بنهم كلها وكلها (٤) .

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا : « لو قُحِطَ الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوه المجدح (٧) » . وقال ساجد : (ويعملون رزقكم أنكم تكليون) قال : قولهم في الأنواء : مطرنا بنوه كلها ، وبنوه كلها ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال القسحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بش ما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكليب (٨) . فعنى قول الحسن هذا : ويعملون حظكم من كتاب الله أنكم تكليون به . ولهذا قال قتادة : (أئلهما الحديث أنتم مدهنون . ويعملون رزقكم أنكم تكليون) ،

(١) تفسير الطبري : ١٢٠/٢٧ .

(٢) سورة فاطر ، آية ٢ .

(٣) المثاقين : المطر بين السحاب والأرض مثل السيل . والسيل - بفتح السين - : المطرين السحاب والأرض ، حين يخرج من السحاب ولم يصل إلى أرض .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٠/٢٧ .

(٥) في المخطوطة : « أبو جابر بن عمه » . والمثبت من تفسير الطبري ، والطبقات السابقة من تفسير ابن كثير ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٠٤/١ .

(٦) في المخطوطة وتفسير الطبري : « الأروى » . والمثبت من الجرح والتعديل .

(٧) المجدح - بكسر الميم - : نجم من النجوم . قيل : هو النيران . هذا والحديث أخرجه الإمام أحمد ٧/٣ ، والله : « لو أسك الله المطر من الناس سبع سنين ثم أرسله ، لأصبحت ملائكة به كاليرين » ، يقولون : مطرنا بنوه المجدح .

(٨) تفسير الطبري : ١٢٠/٢٧ .

قُلُوا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۖ وَأَنْتُمْ حَبِيذٌ تَنْظُرُونَ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۖ قُلُوا لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۖ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ

يقول تعالى (قلوا إذا بلغت) ، أى : الروح (الحلقوم) ١ أى : الحلق ٢ ! وذلك حين الاحتضار ، كما قال : (كلا إذا بلغت التراقي . وتقبل : من راق ؟ وظن أنه القراق . وبلغت الساق بالساق . إلى ذلك يومئذ الساق) (١) ، ولما قال : ما هنا : (وأنت حبيذ تنظرون) ، أى : إلى الحضرة وما يكابده من سكرات الموت ، (ونحن أقرب إليه منكم) ، أى : ملائكتنا ، (ولكن لا تبصرون) ، أى : ولكن لا ترونهم : كما قال في الآية الأخرى : (وهو ظاهر فوق حاده . ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) ٣ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم ، وهو أسرع الحاسبين) (٢) .

وقوله : (قلوا لا إن كنتم غير مديين ترجعونها) ، معناه : فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ، ومقرها في الجسد إن كنتم غير مديين ٤ .

قال ابن عباس : يعنى محاسنين (٢) . وروى عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقادة ، والفسحاك ، والسدى ، وأبي حنزة ، مثله .

وقال سعيد بن جببر ، والحسن البصري : (قلوا لا إن كنتم غير مديين) : غير مصدقين أنكم تذكرون وتنبؤون وتجزون ، فردوا هذه النفس ٥ .

ومن مجاهد : (غير مديين) : غير موثقين ٦ .

وقال ميمون بن مهران : غير مدبين مقهورين ٧ .

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ۖ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أُمَّةٍ ۖ فَنُفُثَ فِيهِمُ الشَّكَّ ۖ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الْفَاسِقِينَ ۖ فَتُؤَلَّفُ لَهُمْ حِمِيرٌ ۖ وَصَلِيلٌ ۖ يَجْعَلُ ۖ إِنَّ هَذَا لَخُوضُ الْيَقِينِ ۖ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۖ

٨ : هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم ٩ إما أن يكون من المقربين أو يكون من ذويهم من أصحاب اليقين . وإما يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله . ولما قال تعالى : (فأما إن كان) ، أى :

(١) سورة القبلية ، الآيات : ٢٦ - ٣٠ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٦١ - ٦٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢١/٢٧ .

المحضر (من المقربين) ، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ، (فروح وريحان وجنة نعيم) ، أي : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم بالملكوت بذلك عند الموت ، كما تقدم من حديث البراء أن ملائكة الرحمة يقولون : أيها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وريحان ، وروى غير غير غضبان (١) :

قال حل بن طلحة ، عن ابن عباس : (فروح) ، يقول : راحة وريحان ، يقول : مستراحة . وكلما قال مجاهد : إن الروح : الاستراحة .

وقال أبو حنيفة : الراحة من الدنيا : وقال سعيد بن جبير ، والصلوة : الروح القروح . وعن مجاهد : (فروح وريحان) : جنة وروحه . وقال قتادة فروح وروحه . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير : (وريحان) ورزق .

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والقروح والسرور والرزق الحسن ، (وجنة نعيم) .

وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بثمن من ريحان [الجنة ، فيقبض] (٢) روحه فيه .

وقال محمد بن كعب : لا يعوت أحد من الناس حتى يعلم : أن أهل الجنة هو أم أهل النار ؟ .

وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ، ولركبنا هاهنا مكان حسناً ومن جعلتها حديث تميم الداري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : ويقول الله ملك الموت : انطلق ليلى فلان فأتني به ، فإنه قد جرت به بالمرأ والقبر (٣) فوجدته حيث أحب ، اتقني به فلا تخشيه . قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسة من الملائكة ، معهم أكفان وحشوط من الجنة ، ومعهم ضبائر الريحان ، أصل الريحانة [واحد] وفي رأسها عشرون لونا ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك .

وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم (٤) ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية : قال الإمام أحمد :

حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون ، عن يونس بن ميسرة ، عن عبد الله بن شريك ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : (فروح وريحان) برفع البراء .

وكلما رواه أبو حنود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث هارون - وهو ابن موسى الأعمور - به ، وقال الترمذي :

« لا نعرفه إلا من حديثه » (٥) .

(١) نقلت سبيل الحديث عن أبي هريرة ، عند تفسير الآية السابقة والعشرين من سورة إبراهيم : ٤١٧/٤ ، وخرجناه هناك . وكذلك عند تفسير الآية الأربعين من سورة الأعراف : ٤١٠/٣ . أما رواية البراء ، فانظرها في : ٤١٣/٤ - ٤١٥ .

(٢) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكانه في المخطوطة : « لكنه يتبس » . وفي تفسير الطبري ١٢٢/٢٧ : « من ريحان الجنة ، فيحبه ثم يقبض » .

(٣) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم : ٤٢٢/٤ ، ولفظ هذه الفقرة : « انطلق إلى وليي فأتني ، فإنه قد جرت به بالمرأ والقبر » .

(٤) تقدم الحديث في : ٤٢٢/٤ - ٤٢٣ . وخرجناه تحريه هناك .

(٥) تحفة الأحرف ، أبواب القراءات ، الحديث ٤٠٠٨ = ٢٥٩/٨ .

وله القرامه هي قرامه يعقوب وحده ، وخالفه الباقرن قراوا . (فروج) ، يفتح الراء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل : أنه سمع درة بنت معاذ تحدث ، عن أم هانئ : أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتزول إذا متنا ، ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تكون التسمم »^(١) طيراً يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدنا (٢) .

هذا الحديث فيه إشارة لكل مؤمن ، ومعنى « يسمم » يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد عن محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا تسمت المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه »^(٣) . وهذا إسناد عظيم ، ومعنى قريم .

وفي الصحيح [أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال] : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، تروح في الجنة حيث شئت ، ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالعرش »^(٤) . الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى : رأيت شيئاً أبيض الرأس والحية على حمار ، وهو يتبع جنازة ، فسمعت يقول : حدثني فلان بن فلان ، سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله كره لقاء الله ، قال : فأحب القوم بيكون ، فقال : ما يبكيكم ؟ فقالوا : إذا نكرو الموت . قال : ليس ذلك ، ولكنه إذا خُصِر (فلما إن كان من المقربين - فروح وريحان وجنة نعيم) ، فإذا بُشِرَ بذلك أحب لقاء الله عز وجل ، والله - عز وجل - إقباله أحب . (وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فترل من حميم) ، فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، والله لقاءه أكره .

هكذا رواه الإمام أحمد^(٥) ، وفي الصحيح من عائشة - رضى الله عنها - شاهد لحناه^(٦) .

وقوله : (وأما إن كان من أصحاب اليمين) ، أى : وأما إن كان المختصر من أصحاب اليمين ، (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى : تبشركم للملائكة بذلك ، تقول لأحدهم : سلام لك ، أى : لا بأس عليك ، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين ؛

(١) التسم - بالتصحين - وإسناداً لسمه ، وهو : الروح .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٢٤/٦ - ٤٢٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٩٩٥/٣ .

(٤) تقدم الحديث منه تفسير الآية ١٦٩ من سورة آل عمران ، ومخرجناه هناك ، انظر : ١٤٠/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٥٩/٤ - ٢٦٠ .

(٦) مسلم ، كتاب الذكر ، باب : « من أحب لقاء الله ، أحب لقاءه » : ٦٥/٨ .

وقال قتادة ، وابن زيد : سبهم من عذاب الله ، وسكنت عليه ملائكة الله . كما قال عكرمة : تعلم علم الملائكة ، وتجبره أنه من أصحاب اليمين .

وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقوله تعالى : (إن الذين قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولنم بها ما نشئ أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم (٢)) .

وقال البخاري : (فسلام لك) ، أي : مسلم لك ، إنك من أصحاب اليمين . وألغيت « إن » وهو (٣) معناها ، كما تقول : أنت مصدق مسافر عن قليل . إذا كان قد قال إلى مسافر عن قليل . وقد يكون كالدعاء له ، كقولك سقيا لك من الرجال ، إن رقت « السلام » فهو من الدعاء (٤) .

وقد حكاه ابن جرير حكاه عن بعض أهل العربية ، ومال إليه ، والله أعلم (٥) .

وقوله : (وأما إن كان من المكلفين الضالين . فتزل من حميم . وتصلية جحيم) ، أي : وأما إن كان المحض من المكلفين بالحق ، الضالين عن الهدى ، (فتزل) ، أي : فضيالة (من حميم) ، وهو لا المالبس الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ، (وتصلية جحيم) ، أي : وتقرير له في النار التي تنفخه من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : (إن هذا لمرحوق اليقين) ، أي : إن هذا الخبير لمو الحق اليقين الذي لا مزية فيه ، ولا عهد لأحد عنه . (فسبح باسم ربك العظيم) ، قال أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب التميمي ، حدثني عيسى بن إياس بن عامر ، عن عتبة بن عامر الجهني قال : لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (فسبح باسم ربك العظيم) ، قال : « اجملوها في ركوعكم » ، ولما نزلت : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اجملوها في سجودكم (٦) » .

(١) أثر قتادة في تفسير البخاري ١٢٢/٢٧ : « سلام من عند الله ، وسلمت . . . » .

(٢) سورة فصلت ، الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(٣) في المخطوطة : « وألغيت من وهي معناها » . وللمثبت عن البخاري .

(٤) البخاري ، لتفسير سورة الواقعة : ١٨٢/٦ - ١٨٣ .

(٥) نسوق هنا كلام ابن جرير ، حتى يتضح به ما قاله البخاري ، قال ١٢٢/٢٧ : « وقال بعض نحوي الكوفة : قوله (فسلام لك من أصحاب اليمين) ، أي : فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت أن لا أي حلفت أو نوى معناها ، كما تقول : أنت مصدق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إن مسافر عن قليل . وكذلك يجب معناه : أنك مسافر عن قليل ، ومصدق عن قليل . قال : قوله (فسلام لك) : فسلم لك أنت من أصحاب اليمين . قال : وقد يكون كالدعاء له ، كقوله « فسقيا لك من الرجال » ، قال : وإن رقت السلام فهو دعاء ، والله أعلم بصوابه » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٥٥/٤ .

وكلما رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن أيوب ، (١) .

وقال روح بن عبادة : حدثنا حجاجُ الصوافُ ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قال : سبحان الله العظيم ومحله ، غُرمَت له نَخْلَةٌ في الجنة » .

هكذا رواه الترمذى من حديث روح ، ورواه هو والنسائى أيضاً من حديث حماد بن سلمة ، من حديث أبي الزبير عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، به وقال الترمذى : « حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير (٢) » .

وقال البخارى في آخر كتابه : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عمارة بن القعقاع ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كلمتان (٣) خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان (٤) ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله ومحله ، سبحان الله العظيم (٥) » .

ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث محمد بن فضيل ، بإسناده ، مثله (٥) .

[آخر تفسير سورة الواقعة لله الحمد والمنة]

-
- (١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده » . وسنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « التسميع في الركوع والسجود » ، الحديث ٨٨٧ / ١ : ٢٨٧ .
- (٢) تحفة الأسوس ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٣١ : ٤٣٣ / ٩ - ٤٣٤ .
- (٣) في البخارى : « كلمتان خفيفتان إلى الرحمن ، خفيفتان ... وما في كتب الجدة لحة مثل ما هنا » .
- (٤) البخارى ، كتاب التوضيح ، باب قول الله تعالى : (ونفخ الصور) المآثر القسط ... ١٩٨ / ٩ - ١٩٩ .
- (٥) مسلم ، كتاب الأذكار ، باب « فضل التهليل والتسبيح والثناء » : ٧٠ / ٨ . وتحفة الأسوس ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٣٤ : ٤٣٤ / ٩ - ٤٣٥ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « فضل التسبيح » . الحديث ٣٨٠٦ : ١٢٥١ / ٢ .

تفسير سورة الحديد

وهي منسية

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني بَـحـر بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن أبي بلال ، عن عرياض بن سارية : أنه حدثهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ للمسبحات قبل أن يركب ، وقال : « إن فيها آية أفضل من ألف آية (١) » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن بقية ، به : وقال الترمذي : « حسن غريب » (٢) .
ورواه النسائي عن ابن أبي السرح ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح عن بَـحـر بن سعد ، عن خالد بن معدان قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... فذكره مُرسِلاً ، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ، ولا العرياض بن سارية ؛ والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله : (هو الأول والآخِر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَبَّحَهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَحْمِلُهَا سَبْعُونَ ثَقْلًا ﴿٢﴾ كُلِّ ثَقْلٍ أَثْقَلُ مِنْ ثَمَرٍ كَثِيرٍ ﴿٣﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤﴾

يُخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض ، أي : من الحيوانات والنباتات ، كما قال في الآية الأخرى : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً) (٣) .

وقوله : (وهو العزيز) ، أي : الذي قد خضع له كل شيء (الحكيم) ، في خلقه وأمره وشرعه : (له ملك) السموات والأرض يحيي ويميت) ، أي : هو المالك المتصرف في خلقه ، فيحيي ويميت ، ويعطي من يشاء ما يشاء ، (وهو على كل شيء قدير) ، أي : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : (هو الأول والآخِر والظاهر والباطن) ، وهذه الآية هي للمشار إليها في حديث عرياض بن سارية : أنها أفضل من ألف آية .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٢٨/٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : ما يقال عند النوم . وثيقة الأحرف في أبواب فضائل القرآن ، الحديث ٣٠٨٩ .

٢٣٨/٨ - ٢٣٩ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٤٤ .

وقال أبو داود : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا الثوري بن محمد ، حدثنا عكرمة - يعني ابن عمر - حدثنا أبو زميل قال : سألت ابن عباس قلت : ما شيء أجده في صبرى ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به : قال : فقال لي : أمشي من شك ؟ قال - وضحك - قال : ما نجا من ذلك أحد . قال : حتى أنزل الله : (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) ... الآية قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئاً قل : (هو الأول والأخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) (١) .

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقول على نحو من بضعة عشر قولاً ، وقال البخاري : قال يحيى : الظاهر على كل شيء علماً ، والباطن على كل شيء علماً (٢) ، قال شيخنا الحافظ للثوري : يحيى هذا هو ابن زياد القراء ، له كتاب مياه ومعاني القرآن (٣) .

وقد ورد في ذلك أحاديث ، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن حبان ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم : اللهم ، رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فألق الحب والنوى ، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . أقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر (٤) ، ورواه مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، [حدثنا جرير] عن سهيل قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام : أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : اللهم ، رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فألق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، أقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر .

وكان يروى ذلك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا ، فقال : حدثنا عقبه ، حدثنا يونس ، حدثنا السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر بفراشه فيغريش له مستقبل القبلة ، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ، ثم همس - ما يتوسد ما يقول - فلذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : اللهم ، رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ، ورب كل شيء ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فألق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم ، أنت الأول الذي

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : ود العسوة .

(٢) لم يتبين هذا القول إلى يحيى في البخاري عنه هذه السورة ، بل هو في معاني تفسير منصور [قوله] . انظر : ١٨٢/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٠٤/٢ .

(٤) مسلم ، كتاب الأذكار والثناء ، باب : وما يقول عند النوم وأخذ المصحف : ٧٨٨ - ٧٩٠ .

ليس تراك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بملك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقتضى هذا القولين ، واختتم من القدر .

المرى بن إسماعيل هذا ابن حم الشبي ، وهو ضعيف جداً ، والله أعلم .

وقال أبو حنيفة الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبد بن حميد وغير واحد - للنفى واحد - قالوا : حدثنا يونس بن عماد ، حدثنا شيخان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدث الحسن ، عن أبي هريرة قال : بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس وأصحابه ، إذ أتى عليهم مَحَاب ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل لتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا السَّكَن (١) ، هذه رَوَايا (٢) الأرض تسره إلى قوم لا يشكرونه ولا يَدْعُونَهُ (٣) . ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فاتها الرِّقِيع (٤) ، سقف محفوظ ، وموج مكثوف (٥) . ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان فوق ذلك مياه (٦) ، بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عدَّ سبع سموات - ما بين كل مياه بين كما بين المياه والأرض . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بعد (٧) ما بين السماءين ، ثم قال : هل تدرون ما اللئى تحتمكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فاتها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما اللئى تحتم ذلك . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان تحتمها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عدَّ سبع أرضين - بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ، ثم قال : واللئى نفس محمد بيده ، لو أنكم دُكِّمْتُمْ بِجِلٍّ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى لَظَلَّ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : (هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ويروى عن أيوب ويونس - يعني ابن حبيب - وحمل بن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة . وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هَبَّطَ عَلَى حَلَمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وحمل الله وقدرته وسلطانه في كل مكان ، وهو على العرش ، كما وصف في كتابه . (٨) انتهى كلامه .

(١) السَّكَن : السحاب .

(٢) الروايا : جميع رواية ، والروايا من الإبل : الحوامل الماء ، فشيء السحاب بها .

(٣) لَمْ يَدْعُونَهُ .

(٤) الرِّقِيع : اسم لحياء اللئى .

(٥) لَمْ يَدْعُونَهُ : من الاستعمال ، أى : حفظها الله أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ بِمَا هَذَا كَالْمَرْجِ الْمَكْثُوفِ .

(٦) لَفْظُ التَّرْمِذِيِّ - كَمَا فِي تَحْقِيقِ الْأَوْثَرِ - : « فَاِنْ فَوْقَ ذَلِكَ مَاهِيْنٌ ، مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ٠٠٠ » .

(٧) فِي الْخَطْبَةِ : « مِنْ بَيْدِهِ » وَالْمَكِثُوتُ عَنْ تَحْقِيقِ الْأَوْثَرِ .

(٨) تَحْقِيقُ الْأَوْثَرِ : تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحَدِيدِ ، الْحَدِيثُ ٢٣٥٢ ١٨٥٠/٩ - ١٨٧٠ .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن سُرَيْج ، عن الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره ، وعنده بعد ما بين الأرضين مسير خمسمائة عام (١) ، وقال : لو دليتُم أحكم جبل إلى الأرض السفلى السابعة لبط على الله (٢) ، ثم قرأ : (هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) (٣)

ورواه ابن أبي حاتم واليزار عن حديث أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة : : فذكر الحديث ، ولم يذكر ابن أبي حاتم [آخره] وهو قوله : « لو دليتُم جبل » ، وإنما قال : « حتى عُدَّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام » ، ثم تلا : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ،

وقال اليزار : لم يروه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أبو هريرة .

ورواه ابن جرير ، عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، ذكرنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - بينا هو جالس في أصحابه إذ ثار عليهم سحب ، فقال : هل تلبثون ما هذا (٤) . وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء ، إلا أنه مرسل من هذا الوجه ، ولعل هذا هو المحفوظ ، والله أعلم . وقد روى من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه وأرضاه - رواه اليزار في مسنده ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات ، ولكن في إسناده نظر ، وفي متنه غرابة وتكرار ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم .

وقال ابن جرير عند قوله تعالى : (ومن الأرض مثلهن (٥)) : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : اتى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلني ربى - عز وجل - من السماء السابعة وتركته ثم . قال الآخر : أرسلني ربى - عز وجل - من الأرض السابعة وتركته ثم . قال الآخر : أرسلني ربى من المشرق وتركته ثم . قال الآخر : أرسلني ربى من المغرب وتركته ثم (٦) وهذا غريب جدا ، وقد يكون الحديث الأول موقولا على قتادة كما روى هاهنا من قوله ، والله أعلم .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَّهُ مَلَكُ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضُ وَلَهُ الْفَرْجُ وَاللَّهُ تَجْعَلُ الْأُمُورَ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝

غير تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم انصب باستوائه على العرش بعد خلقهن . وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشياءها في «سورة الأعراف» (٧) ، بما أغنى عن إعادته هاهنا ،

(١) كذا ، والذي في المسند : « مسيرة خمسمائة عام » .

(٢) الذي في المسند : « لبط » ثم قرأ . وليس فيه : « على الله » .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٧٠/٢ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٤/٢٧ .

(٥) سورة الطلاق ، آية : ١٢ .

(٦) تفسير الطبري : ٩٩/٢٨ - ١٠٠ .

(٧) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

(يعلم ما يليق في الأرض) ، أي : يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ، (وما يخرج منها) ، من زرع ولبات ونسار ، كما قال : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا طوب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (١) .

وقوله : (وما يتزل من السماء) ، أي : من الأمطار ، والتلوج والبرد ، والأقذار والأحكام مع الملائكة الكرام . وقد تقدم في سورة البقرة : أنه ما يتزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يُقرؤها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى .

وقوله : (وما يخرج فيها) ، أي : من الملائكة والأعمال ، كما جاء في الصحيح : « يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل » (٢) .

وقوله : (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) ، أي : رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم ، من بر أو فجور ، في ليل أو نهار ، في البيوت أو القفار ، الجميع في علمه على السواء ، ونعت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم ، كما قال : (ألا إنهم يفتنون صدورهم ليستخفوا منه ، ألا حين يستخفون نجاهم يعلم ما يسررون وما يعلنون ، إنه عليم بلبات الصدور) (٣) . وقال : (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) (٤) ، فلا إله غيره ولا رب سواه . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ، لما سأله عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٥) .

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن عزيمة بن جندبة بن محفوظ بن علقمة ، حدثني أبي ، عن نصر ابن علقمة ، عن أنس ، عن عبد الرحمن بن عاتق قال : قال عمر : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : زوجني كلمة أمشي بها : فقال : « استمع الله كما تستمع رجلان من صالحي شعيرتك لا يفارقتك » .

هنا حديث غريب ، وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية النخعي (٦) مرفوعاً : « ثلاث من فعلهن فقد طهرم الإيمان : من عبد الله وحده ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ، ولم يعط المرأة ولا الذرة » (٧) .

(١) سورة الأنعام : آية ٥٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » : ١١١/٢ .

(٣) سورة هود : آية ٥ .

(٤) سورة الفرق : آية ١٥ .

(٥) أخرجه في كتاب الإيمان ، انظر البخاري ، باب : سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان

(٦) ٢٨/١ - ٢٩ .

(٧) في الخطبة : « عبد الله بن طوبة البصري » ، والمثبت من أسد الغابة : الترجمة ٣١٨٨ : ٣٩٦/٣ - ٣٩٦ ، بتحقيقنا . وسن أني دارود ، كتاب الزكاة ، الحديث رقم ١٥٨٨ : ١٠٤/٢ - ١٠٥ .

(٧) الدرر : الجريد .

ولا الشُّرَطُ (١) الثَّيْمَةُ ولا المَرْيَضَةُ ، ولكن من أوسط أموالكم (٢) . وَزَكَّيْ نَفْسَهُ . وقال رجل : يا رسول الله ، ما تزكية المرء لنفسه ؟ قال : « يعلم أن الله معه حيث كان » .

وقال نعيم بن حَمَاد رحمه الله : حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي ، عن محمد بن مهاجر ، عن عُرْوَةَ بنِ رُوَيْمٍ ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » ، غريب .

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين (٣) :

إِذَا مَا خَلَقْتَ النَّحَرَ يَوْمًا فَلَا تَكُنْ : خَلَقْتَ ، وَلَكِنْ كُلُّ : حِكْلٌ رَكِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يَنْفَكُ سَاعَةً : وَلَا أَنْ مَا يَخْتَلِي عَلَيْهِ يَنْفَكُ

وقوله : (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) ، أى : هو المالك للدنيا والآخرة ، كما قال : (وإن لنا للآخرة والأولى) (٤) ، وهو الممجد على ذلك ، كما قال : (وهو الله لا إله إلا هو ، له الحمد في الأولى والآخرة) (٥) ، وقال : (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، وله الحمد فى الآخرة ، وهو الحكيم الخبير) (٦) . فجميع ما فى السموات والأرض ملك له ، وأهلها عبيد أرقاء أدلاء بين يديه كما قال : (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعلمهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا) (٧) . ولما قال : (وإلى الله ترجع الأمور) . أى : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم فى خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذى لا يجر ولا يظلم . مقال ذوذة ، بل إن يكن أحطهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها ، (ويؤتى من لدنه أجرا عظيما) (٨) . وكما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) (٩) .

(١) الشرط - بالضمين - وقال المال . وقيل : صغارة وشرارة .

(٢) ينفك من ليد القذابة : « فإن الله - عز وجل - لم يسلطكم غيره » ، ولم يأمركم بشيء ، وزكاة نفسه . ولعل صواب ما فى أسد الغابة : « وزكى نفسه » .

(٣) تقدم البيتان فى آخر سورة النمل : ٢٢٩/٦ .

(٤) سورة البقر ، آية : ١٣ .

(٥) سورة القصص ، آية : ٧٥ .

(٦) سورة ص ، آية : ٦ .

(٧) سورة مريم ، الآيات : ٩٣ - ٩٥ .

(٨) سورة النساء ، آية : ٤٥ .

(٩) سورة الأنبياء ، آية : ٤٧ .

وقوله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) ، أى : هو للصرف في الخلق ، قلب الليل والنهار ويقدرها بحكمته كما يشاء ، فثارة يطول الليل ويقصر النهار ، وثارة بالعكس ، وثارة يتركها ممتدلين - وثارة يكون الفصل شام ثم ريمًا ثم قِطًا ثم غريفاً ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه ، (وهو علم بِلَت الصدور) ، أى : يعلم السرائر وإن دقت ، وإن خفيت ،

ثُمَّ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ . قَالَتِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لِمَ أَجْرُكُمْ ۖ وَمَا لَكُمْ لَأْتُمُنُونَهُ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ جَبَلِكُمْ ءَالِيَةَ بَيْتِكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُرْئِكُمْ وَأَنَّكُمْ أَلَّا تَشْفَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَوْمَئِذٍ سِمَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي سِتْرُكُمْ مِنَ أَنفَقٍ مِّن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكُمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ هَفَفُوا مِن بَعْدِهِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۖ مِّن ذَا الَّذِي

قَسَمَ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَكُونَ لَكُمْ دِينًا وَأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ

أمر تعالى بالإيمان به ورسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه ، أى : مما هو ممكّن على سبيل العارية ، فانه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فان ينفقوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله (مما جعلكم مستخلفين فيه) : فيه إشارة إلى أنه سيكون خلفاً عنك ، قلل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون اسمه بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصى الله فيه فيكون قد سميت في معاوثة على الائم والمدوان ،

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت ثكافة يحدث ، عن مطرف - بنى ابن عبد الله ابن السخّير - عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : (أَلَمَّا كُمُ الْكَافِرُ) ، يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأنتيت ، أو لمست فأبليت ، أو تصدقت فأفصيت (١) ، ورواه مسلم من حديث شعبة ، به ، وزاد : « وما سوى ذلك فلهابه وتاركة للناس » (٢) .

وقوله (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لم أجر كبير) ، ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ، ثم قال : (وما لكم لا تؤمنون بالله ، والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ؟) ، أى : وأى شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم ، يدعوكم إلى ذلك ، ويبين لكم الحليج والبراهين على صحة ما جاءكم به ؟ . وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان : من صحيح البخاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه : أى المؤمنين أحبب

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٤ / ٤ .

(٢) انظر صحيح مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١ / ٨ .

إلَيْكُمْ إِنَّا ؟ قَالُوا : لِلَّهِ . قَالَ : وَمَالِكٌ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَعَهُمْ ؟ قَالُوا : قَالِيَاءُ : قَالَ : وَمَالِكٌ لَا يُؤْمِنُونَ وَالرَّحْمَنُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ . قَالُوا : فَخُفِّنْ ؟ قَالَ : وَمَالِكٌ لَا يُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ وَلَكِنْ أَجِبَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا أَنَا قَوْمٌ بِبُيُوتِكُمْ بَاحِينَ .

وقد ذكرنا طرفاً من هذا في أول سورة البقرة ، عند قوله : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (١) .

وقوله : (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) ، كما قال : (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ، إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (٢) . ومعنى : بَلَّغَ يَمِينَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وزعم ابن جرير : أن المراد ببلّغ الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم . وهو ملحق به بما جاء (٣) ، والله أعلم .

وقوله : (هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى حَبَدِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ) ، أى : حجيها واضمحلت ، ودلائل باهرات ، ويراعين قاطعات ، (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) ، أى : من ظلمات الجهل والكفر ، والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان ، (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ) ، أى : في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس ، ولزاحة الملل وإزالة الشبهة ،

ولما أمرهم هؤلاء بالإيمان والإنفاق ، ثم حثهم على الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعهم — حثهم أيضاً على الإنفاق فقال : (وَمَالِكٌ لَا تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي مَهْرَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟) ، أى : أنفقوا ولا تحسروا قرا وإقلا ، فان الذي أنفقتم في سبيله هو مالكم السموات والأرض ، ويبدع مقاليدهما ، وعنده خزائنها ، وهو مالك العرش بما حوى ، وهو القائل : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) (٤) . وقال : (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ، وَمَعِنَا اللَّهُ بَاقٍ) (٥) فمن توكل على الله أنفق ، ولم ينش من شئ العرش إقلا ، وعلم أن الله سيخلفه عليه ،

وقوله : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٍ) ، أى : لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله ، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً ، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . ولهذا قال : (أُولَئِكَ أَصْحَابُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ وَقَاتِلُوا ، وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى) .

والجمهور على أن المراد بالفتح هاتما فتح مكة . وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاتما : صلح الحديبية . وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد :

(١) سورة البقرة ، آية : ٣ ، وانظر : ١٦٣/١ - ١٦٤ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٦/٢٧ .

(٤) سورة سبأ ، آية : ٣٩ .

(٥) سورة فصلت ، آية : ٩٩ .

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زهير ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيرون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر بني - صلى الله عليه وسلم - فقال : « دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو انفقتم مثل أحد - أو : مثل تيجال - ذبحا ، ما يلقم أحداً » (١) .

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جديعة الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح ، فجعلوا يقولون : « صباناً ، صباناً » ، فلم يحسنوا أن يقولوا « أسلمنا » ، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخاله عبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما . فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك (٢) .

والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذبحاً ، ما يبلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » (٣) .

وروى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ابن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، حتى إذا كنا يستفان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يوشك أن يأتي قوم يحرقون أعمالكم مع أعمالهم » . قلنا : من هم يا رسول الله ؟ أنشئ ؟ قال : « لا ، ولكن أهل اليمن ، هم لوق أشدة وألين قلوباً » . قلنا : هم خيرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو كان لأحجم جبل من ذهب فألقه ، ما أدرك مدّ أحدكم ولا نصيفه ، إلا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ، (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير) » (٤) .

ولهذا (٥) الحديث غريب بهذا السياق ، والذي في الصحيحين من رواية جماعة ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد - ذكر الخوارج - : يحرقون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، يحرقون من الذين كما يحرقونهم من الرمة (٦) . الحديث . ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر ، فقال :

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٩٦/٣ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب « إذا قضى الحاكم بحد أو خلاف أهل العلم ، فهو رد » : ٩٢-٩١/٩ .
(٣) البخاري ، كتاب الفضائل : ١٠/٥ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « تخرج سب الصحابة » : ١٨٨/٧ .
هذا يعني الحديث أن إنفاق مثل أحد ذبحاً لا يمدل صدقة أحدكم بنصف مد ، والمراد بذلك المذكور في الصدقة - وهو رطل وثلاث وثلث لأن لثقتهم كانت في وقت الحاجة وإقامة الدين ، ونصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحمايته ، وهذا ممدوم بعده .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٧/٢٧ .

(٥) من هنا ساقط من خطوطة الأثر .

(٦) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « ذكر الخوارج » : ١١٢/٤ .

حلتني ابن البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد الخدري (١) ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوحدك أن يأتي قوم يخفون أعمالكم مع أعمالهم » . قلنا : من هم يا رسول الله ؟ قرئش ؟ قال : « لا ، ولكن أهل اليمن ، لأنهم أرق أئمة ، وألين قلوبا » : وأشار بيده إلى اليمن ، فقال : « هم أهل اليمن ، ألا إن الإيمان بيان ، والحكمة بيان » . قلنا : يا رسول الله ، هم خير منا ؟ قال : « واللى نفسى بيده ، لو كان لأهلهم جبل من ذهب يتخذه ما أذى مئداً أحكم ولا تصيبه » : ثم جمع أصابعه ومد خبصره ، وقال : « ألا ، إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ، (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير) (٢) » .

فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية ، فإن كان ذلك محفوفاً كما تقدم ، فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخباراً بما بعده ، كما في قوله تعالى في « سورة الزمل » - وهى مكية ، من أوائل ما نزل - : (وآخرون يقاتلون في سبيل الله (٣)) ... الآية ، فهى بشارة بما يستقبل ، وهكذا هذه : والله أعلم .

وقوله : (وكلا وعد الله الحسنى) ، يعنى المتقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لم يواب حل ما حلوا ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزء ، كما قال : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله للمجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً (٤)) . وهكذا الحديث الذى فى الصحيح : « للمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير (٥) » وإتباعاً تنبيهاً لهذا لئلا يهتدر جانب الآخر بدمج الأول دون الآخر ، فيتوهم منهم ذمه ، فلهذا عطف بدمج الآخر وللتناء عليه ، مع تفضيل الأول عليه ، ولهذا قال : (والله بما تعملون خبير) ، أى : فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذلك إلا لطمه بقصد الأول وإخلاصه التام ، وإتفاهه في حال الجهد والقلة والضييق . وفى الحديث : « سبق درهم مائة ألف (٦) » . ولا شك أنه أهل الإيمان أن الصديق أبداً بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية ، فانه مستند من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

(١) فى تفسير الطبرى ١٣٧/٢٧ : « من أبي سعيد الخدري أن رسول الله ... وفى الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٧١/٢٧٢ : أن أبا سعيد الخدري يروى عن أبي سعيد الخدري ، ويروى عنه زيد بن أسلم .

(٢) إل هنا يعنى السقط الذى فى غرطه الأخر ، وما أثبت من الصلوات السابقة .

(٣) سورة الزمل ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة النساء ، آية : ٩٥ .

(٥) مسلم ، كتاب القدر ، باب « فى الأمر بالقوة وترك العجز » . ٥٦/٨ . وابن ماجه ، للفتنة ، الحديث ٢٩ : ٢٧١/١ . وكتاب الزهد ، باب « التوكل واليقين » ، الحديث ١٦٨ : ٢/٤١٣٩٥ . ومسنن الإمام أحمد من أبي حنيفة : ٢٧٠/٤٣٦٦٢ .

(٦) سنن الترمذى ، كتاب الزكاة ، باب « جدد القتل » : ٥٩٠/٥ .

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشرمسي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التتلي ، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد ، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني ، حدثنا أبو إسحاق القرظري ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن آدم ابن علي ، عن ابن عمر قال : كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عمامة قد خنكها في صدره بخلال (١) ، لا فتل جبريل فقال : مالي أرى أبا بكر عليه عمامة قد خنكها في صدره بخلال (٢) ، فقال : «أنفق ماله على قبل الفتح» ، قال : فان الله يقول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : أراض أنت عني في فرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله : «يا أبا بكر ، إن الله يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أراض أنت (٣) عني في فرك هذا أم ساخط (٤) ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أخط على ربي عز وجل (٥) ! إني من ربي واثق .

هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه ،

وقوله : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) ، قال عمر بن الخطاب : هو الإئفاق في سبيل الله . وقيل : هو الثقة على البهال . والصحيح أنه أهم من ذلك ، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة ، دخل في عموم هذه الآية ، ولهذا قال : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ، كما قال في الآية الأخرى : (أضعافا كثيرة ، وله أكبر كرم) (٦) ، أي : جزاه جليل ، ووزق بأمر - وهو الجنة - يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعمرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ، قال أبو السحاب الأنصاري : يا رسول الله ، وإن الله يريد منا القرض ؟ قال : «نعم ، يا أبا السحاب» . قال : أرني يلك يا رسول الله ، قال : فتأوله يله ، قال : فاني قد أقرضت ربي حاطلي - وله حائط فيه مائة نخلة ، وأم السحاب فيه وحيالها - قال : فجاء أبو السحاب فتأادها : يا أم السحاب . قالت : لييك . فقال : اخبرني ، فقد أقرضت ربي عز وجل - وفي رواية أنها قالت له : ربي يهلك يا أبا السحاب . ونقلت منه متاعها وحياتها ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «كم من عبد كثر رذاع (٧) في الجنة لأبي السحاب» . وفي لفظ : «وب نخلة مدلاة ، عروقتها ذر وياقوت ، لأبي السحاب في الجنة» .

(١) أي : جميعا على صدره بخلال ، وأخلال - بكسر الخاء - : مودة يجتله الثوب . أي : يتجيب .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

(٣) الملق - يفتح فسكون - : التثلة - ويكسر فسكون - : المرجون بما فيه من الثياب . والرفاح - يفتح الفاء - : العظيمة والفضيلة .

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ سَعَى تَوْرِهِمْ بَيْنَ أَيْلِهِمْ وَيَأْتِيهِمْ بَشْرُكَ الْيَوْمِ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلْدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١١﴾ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَكُمْ أَلْسَارُكُمْ يَوْمَ تَكُونُ الْأَنْفُسُ الْفَاصِرُ ﴿١٣﴾

يقول تعالى خبراً عن المؤمنين المتصلقين : أنهم يوم القيامة يسمى نورهم بين أيلهم في حرصات القيامة ، بحسب أعمالهم ، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله : (يسمى نورهم بين أيلهم) ، قال : على قدر أعمالهم يعرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره في إلهامه يتكلم مرة ويطلق مرة . ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (١) .

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : « من المؤمنين من يضيء نوره من اللجة إلى حدن أبين وصنماء فلون ذلك » حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه (١) .

وقال سفيان الثوري ، عن حصين ، عن مجاهد عن جندبة بن أبي أمية قال : إنكم مكروبون عند الله بأعمالكم ، وسياكم وحلكم ، ونجواكم وبجالتكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان ، هلم نورك . يا فلان ، لا نور لك . وقراً : (يسمى نورهم بين أيلهم) .

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، فإذا انتهوا إلى الصراط طلّ نور المناقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يعطى نورهم كما طلّ نور المناقين ، فقالوا : ربنا ، أئتم لنا نورنا .

وقال الحسن : (يسمى نورهم بين أيلهم) ، يعني على الصراط .

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبو حنيفة الله ابن أشي ابن وهب ، أخبرنا حمي ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد (٢) بن مسعود : أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث : أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر غيران عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « أنا أول من يؤخذ له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤخذ له برمي رأسه ، فأظفر من

(١) تفسير الباقري : ١٢٨/٢٧ .

(٢) في المخطوطة : « سعيد بن مسعود » . والمثبت من المصحف والتعليق لابن أبي حاتم : ٩٤/١/٢ ، ٢٢١/٢/٢ .

بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فأعرف أمتي من بين الأمم . فقال له رجل : يا بني الله ، كيف تعرف أمتك من بين الأمم ، ما بين نوح إلى أمتك ؟ قال : أعرفهم ، مَحَجَّلُونَ من أثر الوضوء ، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم ، وأعرفهم يُؤْتُونَ كتبهم بأيامهم ، وأعرفهم يسألهم في وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم ودينتهم .

وقوله : (وبأيامهم) ، قال الفساحك : أي وبأيامهم كتبهم . كما قال : (فن أوتى كتابه بيمينه) .

وقوله : (يشارك اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) ، أي : يقال لهم : يشارك اليوم جنات ، أي : لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ، (خالدين فيها) ، أي : ما كنتم فيها أبداً ، (ذلك هو الفوز العظيم) .

وقوله : (يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا : انظرونا نقبض من نوركم) ، وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في المَرَصَّات من الأحوال المُرَصَّبة ، والازال للظلمة ، والأمور المنظمة ، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله ، وحمل بما أمر الله ، وترك ما نهى عنه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حيدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر قال : خرجنا على جنازة في باب دمشق ، وممنا أبو أمامة الباهلي ، فلما صلى على الجنازة وأخلوا في دفنها ، قال أبو أمامة : أيها الناس ، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تفتسمون فيه الحسنات والمسيئات ، وتوشكون أن تظلموا منه إلى منزل آخر ، وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحلة ، وبيت الظلمة [وبيت الدود] ، وبيت الضيق ، إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى مواضع يوم القيامة ، فانكم في بعض تلك المواضع حتى (١) يشي الناس أمر من الله ، فتفيض وجوهه وقسود وجوهه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتعشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ، ويترك الكافر والمنافق فلا يظلمان شيئا ، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه ، قال : (أو كظلمات في بحر لجي) . إلى قوله : (فما له من نور) ، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير ، ويقول المنافقون الذين آمنوا : (انظرونا نقبض من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فاتمسوا نورا) ، وهي خدمة الله التي خضع بها المنافقين حيث قال : (عباد الله وهو خادعهم) . فارجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور ، فلا يبدون شيئا فيعتصرون إلههم وقد ضرب بينهم بسور له باب ، (باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب) ... الآية . يقول سليم بن عامر : فما يزال المنافق مشرأ حتى يقسم النور ، ويميز الله بين المؤمن والمنافق .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن عثمان ، حدثنا ابن حبان ، حدثنا أروطة بن اللثر ، حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي أمامة قال : تَبَسَّتْ ظلمة يوم القيامة ، فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه ، حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم ، فيجمعهم المنافقون فيقولون : (انظرونا نقبض من نوركم) .

(١) في المخطوطة : يوم يشي . وانتهت من الطبعات السابقة .

وقال العوق ، والضحاك ، وغيرهما ، عن ابن عباس : بينا الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا ، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم ، فأظلم الله على المنافقين ، فقالوا حيثئذ : (انظرونا نقبض من نوركم) ، فإنا كنا معكم في الدنيا ، قال المؤمنون : (لرجعوا) من حيث جئتم من الظلمة ، فانقضوا هنالك النور (١) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن (٢) بن حنبل ، حدثنا إسماعيل بن عيسى السطاري ، حدثنا إصحاق ابن بشر بن حنيفة ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده . وأما عند الصراط فإن الله يطلى كل مؤمن نورا ، وكل منافق نورا ، فإذا استروا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات ، فقال المنافقون : (انظرونا نقبض من نوركم) ، وقال المؤمنون : (وينا آثم لنا نورا) . فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا » .

وقوله : (فضرَبَ بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله المذاب) - قال الحسن ، وكثارة : هو حائط بين الجنة والنار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو الذي قال الله تعالى : (ويتنهما حجاب) : وهكذا روى عن جاهد - رحمه الله - وغير واحد ، وهو الصحيح .

(باطنه فيه الرحمة) ، أي : الجنة وما فيها ، (وظاهره من قبله المذاب) ، أي : النار : قاله قتادة ، وابن زيد ، وغيرهما .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم (٣) . ثم قال :

حدثنا ابن البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبي العوام - مؤذن بيت المقدس - قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن السور الذي ذكر الله في القرآن : (فضرَبَ بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب) ، هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه ، وظاهره وادي جهنم (٤) .

ثم روى عن عبادة بن الصامت ، وكتب الأحبار ، وحسن بن الحسين زين العابدين (٥) ، نحو ذلك : وهذا صواب منهم على أنهم أرادوا بهذا تخریب للمنى رمثالا لنلك ، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار للمنى وتفس

(١) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٧ .

(٢) في المخطوطة : « الحسن » . والمثبت عن المصنف الصغير : ١٢٧/١ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٣٠/٢٧ .

(٥) وكذا ، والذي في تفسير الطبري ١٢٩/٢٧ : « حل بين عبد الله بن عباس ، عن أبيه » .

المسجد وما ورائه من الرادى للعرف يودى جهنم ؛ فان الجنة في السموات في أعلى عليين ، والنار في الدركات أسفل سافلين . وقول كتب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذى هو أحد أبواب المسجد ، فهنا من إسرائيلاه وترحاته ؛ وإنما المراد بذلك سورٌ يُضْرَبُ يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون مخلوذة من بابه ، فإذا استكملوا دخولهم أطلق الباب وبنى للمناقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعلاب ، كما كانوا في النار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ، يتأدونهم : ألم تكن معكم) ، أى : يتأدون المنافقون المؤمنين : أما كنا معكم في النار الدنيا ، تشهد معكم الجمعات ، ونصلى معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الفزوات ، ونؤدى معكم سائر الواجبات ؟ (قالوا : بلى) ، أى : فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين : بلى ، قد كنتم معنا ، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وادبرتم وغرتكم الأماني) ، قال بعض السلف : أى فتنتم أنفسكم باللبات والمناصبي والشهوات (وتربصتم) ، أى : لم ترتم التوبة من وقت إلى وقت .

وقال قتادة : (تربصتم) بالحق وأهله . (وادبرتم) ، أى : بالبحث بعد الموت ، (وغرتكم الأماني) ، أى : قلتم : سيغير لنا ؛ وقيل : غرتكم الدنيا . (حتى جاء أمر الله) ، أى : ما زلت في هذا حتى جاء الموت ، (وغرتكم بالله النور) ، أى : الشيطان ،

قال قتادة : كانوا أهل خدمة من الأبطال ، والله ما زالوا عليها حتى قلغهم الله في النار .

ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين : أنكم كنتم معنا بأبدان لانية طام ولا قلب معها ، وإنما كنتم في حيرة وشك ، فكتم تركبون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا .

قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يتأدونهم ويشتونهم ويشارونهم ، وكانوا معهم أموالا ، ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، ويطلق النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويصاكن بينهم حيث .

وهذا القول من المؤمنين لا يتناقض قولهم الذى أنشأ الله به عنهم ، حيث يقول وهو أصدق القائلين : (كل نفس بما كسبت رهينة ؛ إلا أصحاب اليمين : في جنات يتساءلون . من للجرين . ما ملكتكم من مقر . قالوا : لم نك من المسلمين . ولم نك نعلم المسلمين) . وكنا نخوض مع الخافضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين) (١) ، فهنا إنما خرج منهم على وجه التفرع لم والتوبيخ ؛ ثم قال تعالى : (لها تنضمهم شفاعة الشافعين) ، كما قال تعالى هاهنا : (فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) ، أى : لو جاء أحدكم اليوم على الأرض ذهاباً ومثله معه ليفتنى به من غلاب الله ، ما قبل منه .

وقوله : (ما أكرم التار) ، أى : هى مصيركم والى ما تنقلبكم ،

وقوله : (هى مولاكم) ، أى : هى أولى بكم من كل منزل حل كصركم ولوتيا بكم ، وبش المصر .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى : أما كآلة للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أى : تلتن عند الذكر والموعظة وسماح القرآن ، فطمعهم وتقادله وتسمع له وتطيعه .

قال عبد الله بن المبارك : حدثنا صالح اللثري ، عن قتادة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فتابهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن ، فقال : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ... الآية ، رواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن حسين المروزي ، عن ابن المبارك ، به ،

ثم قال هو مسلم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، [أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال - يعنى الهيثم - عن حو بن عبد الله] ، عن أبيه ، عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) إلا أربع سنين (١) .

كلما رواه مسلم في آخر الكتاب . وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي ، عن ابن وهب ، به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي ، عن أبي حازم ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه . مثله . فجمعه من مستند ابن الزبير (٢) . لكن رواه الزبارة في مسنده من طريق موسى بن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن عامر ، عن ابن الزبير ، عن ابن مسعود ، فذكره :

وقال سفیان الثوري ، عن المسعودي ، عن القاسم قال : مكل " أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ملة ، فقالوا : حدثنا يا رسول الله ،

فأنزل الله تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص) . قال : ثم مكثوا مكثاً فقالوا : حدثنا يا رسول الله . فأنزل الله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث) . ثم ملوا مكثاً فقالوا : حدثنا يا رسول الله . فأنزل الله : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) (٣) .

(١) مسلم ، كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : (ألم يأن) . ٢٤٣/٨ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : الحزن واليكاد . الحديث ٤١٩٢ : ١٤٠٢/٢ .

(٣) تقدم الأثر بنحوه عند تفسير الآية الثالثة من سورة يونس عن المسعودي ، عن حو بن عبد الله . انظر : ٢٩٥/٤ .

وقال قاتدة : (لم بأن الذين آمنوا أن تخضع قلوبهم للذكر الله) : ذُكِرَ لنا أن شكّاد بن أوس كان يروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع ^(١) » ،

وقوله : (ولا يذكروا كالذين آوتوا الكتاب من قبل ، ففُتِلَ عليهم الأمد ، فقتل قلوبهم) : نعى الله المؤمنين أن يشبهوا بالذين سَمَحُوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى ، لا تناولوا عليهم الأمد بذكور كتاب الله الذي بأيديهم ، واشتروا به لنا قليلا ، ونبلوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال الموضحة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واقتلوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فعند ذلك قُتِلَ للربهم ، فلا يقبلون موعدة ، ولا تلين قلوبهم يومه ولا وعيد .

(وكثير منهم فاسقون) ، أى : في الأعمال ، قلوبهم فاسدة ، وأعمالهم باطلة . كما قال : (فلما نقصهم مثالبهم لغناهم وجعلنا قلوبهم قسية ، يحرفون الكلم من مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا ^(٢)) به) ، أى : فسدت قلوبهم فقتل وصار من سببهم تحريف الكلم عن مواضعه ، وتركوا الأصنام التي أمرُوا بها ، ولزكروا ما نهوا عنه ، ولهذا نعى الله للمؤمنين أن يشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية .

وقال قاتد ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا شهاب بن محمرش ، حدثنا حجاج بن دينار ، من منصور بن الحنمر ، عن الربيع بن صبيطة القزاري قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثا ما سمعت أصعب إلى منه ، إلا شيئا من كتاب الله - أو : شيئا قاله النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقتل قلوبهم ابتغوا كتبنا من عند أنفسهم ، امتصت قلوبهم واستعطت ألسنتهم واستغلته ، وكان الحق يحول بينهم وبين كبر من شهواتهم فقالوا : لعلوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا ، فن تابنا عليه تركناه ، ومن كره أن يابنا قتلناه ، فعملوا ذلك ، وكان فيهم رجل قبيح ، فلما رأى ما يصنعون حَمَدَ إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ، ثم أدرجه ، فجعله في قرن ثم حلق ذلك القرن في عقه ، فلما أكتروا القتل قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنكم قد أنشيت القتل في بني إسرائيل ، فادعوا غلاتنا فاعرضوا عليه كتابكم ، فانه إن تابكم فسيتابكم بقية الناس ، وإن أبي فانتلوه . فدخلوا غلاتنا ذلك القبيح فقالوا : توئمن بما في كتابنا ؟ قال : وما فيه ؟ اعرضوه علي . فعرضوه عليه إلى آخره ، ثم قالوا : أتؤمن بهذا ؟ قال : نعم ، أمنت بما في هذا - وأشار بيده إلى القرن - فركوه ، فلما مات نبشروا فوجدوه مَحْمَلًا ذلك القرن ، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة . فافترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، وخير ملكتهم ملة أصحاب ذى القرن .

قال ابن مسعود : أولئك بهم إن بقيتم - أو : بئى من بقي منكم - أن تروا أموراً تنكرونها ، لا تستطيعون لها غير ^(٣) لحسب لئلا منكم أن يعلم الله من قلبه أنه ما كاره .

(١) تفسير الطبري ١/٢٧٧ .

(٢) سورة المائدة آية ١٧ .

(٣) أنه : تعديا .

وقال أبو جعفر الطبري : حدثنا ابن حمّيد ، حدثنا جرير ، عن منيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم قال : جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال : يا عبد الله ، هلك من لم يأمر بالمعروف ونه عن المنكر . فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً ، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم ، اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نرض بني إسرائيل على هذا الكتاب فن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه . قال : فجعل وجعل منهم كتاباً لله في قرن ، ثم جعل القرآن بين قنْدُوتَيْهِ (١) فلما قيل له : أنؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به — ويؤيه إلى القرن بين تنلوتيه — ومالي لا أؤمن بهذا الكتاب ؟ فن خير ملئهم اليوم ملّة صاحب القرآن (٢) .

وفوله : (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تتقون) : فيه إشارة إلى أنه — تعالى — يلين القلوب بعد قسوتها ، ويهدي الحياترى بعد غيبتها ، وضرع الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة المجيدة الحاملة بالغيث الممتان ، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد ما كانت مغلقة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان المادى لمن يشاء بعد الإضلال ، والمفضل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لا يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل فى جميع فعال ، الحكيم الخبير المتعال .

إِنَّ الْمُصْطَفِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ وُجُوهَ أَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَانُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ هُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١﴾

يخير تعالى عما يشيب به المصطفين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقير والمسكّة ، (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) أى : دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله ، لا يريدون جزاءً من أعطوه ولا شكوراً . ولهذا قال : (يضاعف لهم) أى : يقابل لهم الحسنه بعشر أمثالها ، ويزاد على ذلك إلى سبعمئة ضعف وفوق ذلك ، (وهم أجورهم) أى : ثواب جزيل حسن ، ومرجع صالح ومآب (كريم) .

وقوله : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصادقون) : هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسوله بأهم صديقون .

قال النجاشي ، عن ابن عباس قوله : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصادقون) : هذه مفصلة ، (والشهادة عند ربهم لهم أجورهم ونورهم) (٣) .

(١) التفسيرتان للرجل كالتبيين لقراءة .

(٢) تفسير الطبري : ٢٧ / ١٣٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٧ / ١٣٢ .

وقال أبو الفتح : (أولئك هم الصديقون) ، ثم استأنف الكلام فقال : (والشهداء عند ربهم) - وهكذا قال مسروق ، والضحك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبي الفتح ، عن مسروق ، عن عبد الله في قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) ، قال : هم ثلاثة أصناف : بني المصدقين ، والمصدقين ، والشهداء . كما قال تعالى : (ومن يطلع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (١) ، ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل على أنهما صنفان . ولا شك أن المصدقين أهل مقام من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - في كتابه للوطا ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أهل الجنة يترامون أهل الغرف من فوقهم ، كما تترامون الكوكب الدرّي في الفجر من الأفق من المشرق أو المغرب ، فما ضل ما بينهم » . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

اتفق البخاري ومسلم على إخراجهم من حديث مالك ، به (٢) .

وقال آخرون : بل المراد من قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فتأخير عن المؤمنين بالله ورسوله بأنهم صديقون وشهداء ، حكاه ابن جرير عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير :

حدثني صالح بن حرب أبو ممر - حدثنا إسماعيل بن يحيى ، حدثنا ابن جبريل ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن البراء عن عازب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « مؤمنو أمي شهداء » . قال : ثم تلا النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (والذين آمنوا أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) (٣) . هذا حديث غريب .

وقال أبو إسحاق ، عن عثمان بن ميمون في قوله : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لم أجزمهم ونودهم) ، قال : يجيئون يوم القيامة مع كل إمامين .

وقوله : (والشهداء عند ربهم) ، أي : في جنات النعيم ، كما جاء في الصحيحين (٤) : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأتي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك ملاحة » فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن نردنا إلى النار الدنيا فقتلنا فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة . فقال : إني قضيت أمهم إليهم لا يرجعون .

(١) سورة النساء ، آية : ٦٩ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير الآية العشرين من سورة الزمر ، وخرجناه هناك ، انظر : ٨٢/٧ .

(٣) تفسير الطبري : ١٣٣/٢٧٧ .

(٤) كذا ، ولم يقع لنا إلا في صحيح مسلم . وقد تقدمت سيرة الحديث عند تفسير الآية ١٦٩ من سورة آل عمران ، وأخرجنا هناك ابن كثير عن أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، انظر : ١٤٠/٤ .

وقوله : (لم أجرم وتودهم) ، أى : لم عند رحيم أجر جزيل ونور عظيم يسمى بين أنفسهم ، وهم فى ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا فى الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد

حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عطية بن دينار ، عن أبي يزيد الخولاني قال : سمعت فضالة ابن عبيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « الشهداء أربعة ، رجل مؤمن جيد الإيمان ، لى العدو فصدق الله فقتل ، فذلك الذى ينظر الناس إليه هكذا - ورفع رأسه حتى سقطت فكشّوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قتلوه عمر - » والثانى مؤمن لى العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح (١) ، جاءه سهم غرب (٢) فقطه ، فذلك فى الدرجة الثانية : والثالث رجل مؤمن خطط عملا صالحا وآخر سيئا لى العدو فصدق الله حتى قتل ، فذلك فى الدرجة الثالثة : والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا ، لى العدو فصدق الله حتى قتل ، فذلك فى الدرجة الرابعة (٣) .

وهكذا رواه حل بن اللبني ، عن أبي داود الطيالسي ، عن ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، وقال : هذا إسناد مصرى صالح : ورواه الترمذى من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب (٤) .

وقوله : (وللمين كفروا وكلوا بأياتنا أولئك أصحاب الجحيم) : لما ذكر السعداء ومكلم ، عطف بذكر الأخسداء وبين حلم .

أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيسٌ وَمَوَازِينٌ وَتَفَاضُلٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَثَلٌ خَيْثُ أَحَبَّ الْكَافِرُ نَيْسَارًا ثُمَّ يَجْعَلُ فَرَقَهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِزْقٌ وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾

يقول تعالى مؤهنا أمر الحياة الدنيا وعقرا لها : (إنما الحياة الدنيا لب ووزنة ، وتفاضل بينهم ، وتكاثر فى الأموال والأولاد) ، أى : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : (زين الناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المنقطرة من اللعب والفضة والخليل للسومة والأنعام والحشر) ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن الخاتمة (٥) .

(١) الطلح : شجر عظيم من شجر السعداء ، وهذا كناية عن ارتداد غرائبه من الفزع والخوف .

(٢) لى لا يعرف راميته .

(٣) مصنف الإمام أحمد ١ / ٢٣٣ .

(٤) تحفة الأحرفى ، أبواب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء فى فضل الشهداء عند الله ، الحديث ١٦٦٥ / ٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٤ .

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال : (كمثل غيث) ، وهو ! المطر الذي يأتي بعد قحط الناس ، كما قال : (وهو الذي يتزلّ الثيث من بعد ما قتلوا) (١) .

وقوله : (أصعب الكفار نباته) ، أي : يصعب الزرع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يصعب الزرع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فانهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ، (ثم يبيح فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما) ، أي : يبيح ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرًا نضرا ، ثم يكون بعد ذلك كله [حطاما] ، أي : يصير يبتسًا متحطيا ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ، ثم تكهل ، ثم تكون عجوزا شوهاء ، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنوان شابه غصنًا طريا لين الأعطاف ، يبي النظر ، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويتفكّد بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى قليل الحركة ، يصبره الشيء اليسير ، كما قال تعالى : (الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة . يخلق ما يشاء ، وهو العليم القديم) (٢) . ولا كان هذا المثل حالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حكّد من أمرها ورغب فيها فيها من الخير ، قال : (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، أي : وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، أي : هي متاع فان غار لمن ركن إليه ، فانه يثر بها وتعبه حتى يعتقد أنه لا خير سواها ولا معاد ورامها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .

قال ابن جرير : حدثنا ابن جابر ، حدثنا البخاري ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » (٣) . اقرموا : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

وهذا الحديث ثابت في الصحيح (٤) بلفظ هذه القراءة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ووكيع ، كلاهما عن الأعرج ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نمله ، والتار مثل ذلك » (٥) .

انفرد بإسراجه البخاري في « الرقاق » ، من حديث الثوري ، عن الأعرج ، به (٦) .

(١) سورة القصص : آية : ٢٨ .

(٢) سورة الروم : آية : ٥٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١٣٤/٢٧ .

(٤) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « مثل الدنيا والآخرة » : ١١٠/٨ . وهذه الزيادة ، وهي من قوله : « اقرموا ... » غير ثابتة في تفسير الطبري .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٨٧/١ : ٤٤٢ .

(٦) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نمله » : ١٢٧/٨ .

ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخبر والنشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حث الله على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات ، وترك المعاصيات ، التي تكفر عنه القنوب والثرات ، وتحصل له القواب والدرجات ، فقال تعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) : وللمراد جنس السماء والأرض ، كما قال في الآية الأخرى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) (١) . وقال هاتما : (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) ، أي : هذا الذي أمهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحصائه إليهم ، كما قدّمنا في الصحيح أن قراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . قال : « وما ذلك ؟ » . قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويحشرون ولا نحشرون . قال : « أفلا أحلّكم على شيء إذا فطتموه سيقم من بعدكم ، ولا يكون أسد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم : تسبحون وتكبرون وتحملون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » . قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ، فقلوا مثله ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » (٢) .

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾ لِكَيْلَا تَأْسَبُوا عَلَى مَا قَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَلِفٍ فَغَوْرٌ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْيِ وَمَنْ يَسْعَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣﴾

غير تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ، قال : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم) ، أي : في الآفاق وفي نفوسكم ، (إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) ، أي : من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النعمة .

وقال بعضهم : (من قبل أن نبرأها) ، عائد على النفوس . وقيل : عائد على النسيئة . والأحسن عوده على الخليقة والبرية ، لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير :

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن منصور بن عبد الرحمن قال : كنت جالسا مع الحسن قال رجل : له عن قوله : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) ضأته عنها ، فقال : سبحان الله ! ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض في كتاب الله من قبل أن يبرأ النعمة (٣) .

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٣ .

(٢) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « الذكر بعد الصلاة » ٢١٣/١٠ - ٢١٤ . وكتاب الدعوات ، باب « الدعاء بعد الصلاة » .

٨٩/٨ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « أصحاب الذكر بعد الصلاة ويبدأان صفته » ٩٧/٢ .

(٣) تفسير البغوي : ١٣٥/٢٧ .

وقال قاطع : ما أصابت من مصيبة في الأرض . قال : هي السنون . يعني : الجذئ ، (ولاني أنفسكم) ، يقول : الأوجاع والأمراض : قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خلخس عود ولا تنكبة قدم ، ولا خلجان عرق إلا بلفظ ، وما يفوالقه عنه أكثر :

وهذه الآية الكريمة من أطل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - فبهم الله - وقال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة وابن أبيه قالوا : حدثنا أبو هانيء الخولاني : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول - : « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض خمسين ألف سنة (١) » .

ورواه مسلم في صحيحه ، من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن يزيد ، ثلاثهم عن أبي هانيء ، به : وزاد ابن وهب : « وكان عرشه على الماء (٢) » . ورواه الترمذي وقال : « حسن صحيح (٣) » .

وقوله : (إن ذلك على الله يسير) ، أي : إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها لما طعن ما يوجد في حينها ، سهل على الله - عز وجل - لأنه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وقوله : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) ، أي : أعلمناكم بتقديم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتعلمنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطاكم لم يكن ليسيئكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان ، (ولا تفرحوا بما آتاكم) ، أي : جاءكم (٤) ، وقرأ (آتاكم) أي أعطاكم : وكلاهما متلازم ، أي : لا تفرحوا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسيئكم ولا كدكم ، وإنما هو من قدر الله ووزنه لكم ، فلا تتخلوا نعم الله أشرا وبطرا ، تفرحون بها على الناس ، ولهذا قال : (والله لا يحب كل مختال فخور) ، أي : مختال في نفسه متكبر فخور ، أي : على غيره .

وقال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يفرح ويمزح ، ولكن اجعلوا القترح شكرا والخزن صبرا

ثم قال : (الذين يخطون ويأمرون الناس بالبخل) ، أي : يفعلون للكر وبعضون الناس عليه ، (ومن يقول) ، أي : من أمر الله وطاعه ، (فإن الله هو الغني الحميد) ، كما قال موسى عليه السلام : (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله الغني الحميد (٥)) :

(١) سنة الإمام أسعد : ١٦٩/٢ .

(٢) مسلم ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليه السلام : ٥١/٨ .

(٣) تحفة الأوسى ، أبواب القدر ، الحديث ٢٢٤٥ : ٣٧٠/٦ .

(٤) قال الطبري في تفسيره ١٣٥/٢٧٠ : « ومعنى قوله : (يا آتاكم) إذا مدحت الألف منها : باللي أعطاكم منها ربكم وملككم وحولكم . وإذا قصرت الألف فمتلما : باللي جاءكم منها » .

(٥) سورة ليراهيم ، آية : ٨ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى : (لقد أرسنا رسلنا بالبينات) ، أى : بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات ، (وأنزلنا معهم الكتاب) ، وهو : النفل المصدق (والميزان) ، وهو : العدل . قاله مجاهد ، وقادة ، وغيرهما . وهو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة الخالصة للآراء السقيمة ، كما قال : (أفن كان على بيته من ربه وطوه شامدا مة (١)) ، وقال : (فطرة الله التى فطر الناس عليها (٢)) ، وقال : (والسماه وضعا ووضع الميزان (٣)) ، ولعلنا قال فى هذه الآية : (ليقوم الناس بالقسط) ، أى : بالحق والعدل وهو : اتباع الرسل فيما أخبروا به ، وعماهم فيما أمروا به ، فإن الذى جامعوا به هو الحق الذى ليس وراءه حق ، كما قال : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا (٤)) ، أى : صدقا فى الإنخبار ، وعدلا فى الأمور والنواهي . ولعلنا يقول المؤمنون إذا تروا غرف الجنات ، وللتنازل العاليات ، والسرر المنصوفات : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فقد جاءت رسل ربنا بالحق (٥)) ، وقوله : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) ، أى : وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ، ولعلنا أيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توسى إليه السور المكية ، وكلها جلال مع للمشركين ، وبين أرياض الفتح توحيد ، وتبيان ودلائل ، ، فلما قامت الحجة على من خالف (٦) ، شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيف ، وضرب الرقاب والحام من خالف القرآن وكتب به وعانته .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن حسان بن عطية ، عن أبي المنيب الجرسى الشامي ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يهت بالسيف بين يدي الساعة حتى يهد الله وحده لا شريك له ، ويجعل رزقى تحت ظل رعى ، ويجعل اللذة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم (٧) » .

ولعلنا قال تعالى : (فيه بأس شديد) ، يعنى : السلاح كالسيف ، والحراپ (٨) ، والستان ، والتصال ، والدروع ، ونحوها . (ومنافع للناس) ، أى : فى معاشهم كالسكة والناس ، والقتل ، والانتشار ، والإزميل ، والمهرة ، والآلات التى يستعان بها فى الحراة والحياكة والطبخ والنزى وما لا قوام للناس بدونه ، وغير ذلك .

(١) سورة هود : آية : ١٧ .

(٢) سورة الروم : آية : ٣٠ .

(٣) سورة الرحمن : آية : ٧ .

(٤) سورة الأنعام : آية : ١١٥ . وفى المخطوطة : « كلمات » . وفى قراءة ثابتة : انظر البحر المحيط : ٢٠٩/٤ .

(٥) سورة الأعراف : آية : ٤٣ .

(٦) فى المخطوطة : « على من تخلف عنهم » . والمثبت من الطبقات السابعة .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢/٥٠٠ ، ٩٢ . وانظر سنن أبي داود ، كتاب اليباس : باب « ما جاء فى الآية » ، والبخارى : كتاب الجهاد : باب ما « قيل فى الرمح » : ٤٩/٤ .

(٨) فى المخطوطة : « والحراپ » . « مكان » والحراپ : « والمثبت من الطبقات السابعة » .

قال عليه بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : السندان والكتبتان والميمنة : يعني المطرقة : وواه ابن جرير (١) ، وابن أبي حاتم .

وقوله : (ولعلم الله من ينصره ورسله بالغب) ، أي : من يشه في حمل السلاح نصره الله ورسله ، (إن الله قوي عزيز) ، أي : هو قوي عزيز ، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس ، وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم ببعض .

وَلَقَدْ بَارَكْنَا لَنَا نَوْحًا وَأَبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِنَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَتُبَّ مِنْهُمْ مَهْمَدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَتْسُونُ (٢) ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى عَائِزِهِمْ وَرُسُلَنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَةَ أَتَدْعُوهُمْ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَفَاتِنَا الَّذِينَ أَسْأَلُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَتْسُونُ (٣)

غير تعالى أنه منه بحث نوحاً - عليه السلام - لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته ، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده ، إلا وهو من سلالة ، كما قال في الآية الأخرى : (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) ، حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر بعده بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - ولعلنا قال تعالى : (ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم ، وأتينا الإنجيل) ، وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ، (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) ، وهم الخواريون (رأفة ورحمة) ، أي : رأفة وهي الخشية (ورحمة) بالخلق ،

وقوله : (ورهابية ابتدعوها) ، أي ابتدعوا أمة التصاري ، (ما كتبناها عليهم) ، أي : ما شرعناها لهم ، وإنما هم التزموا من تلقاء أنفسهم .

وقوله : (إلا ابتغاه رضوان الله) ، فيه قولان ، أحدهما : أنهم فصلوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير ، وثلاثة (٢) ، والآخر : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاه رضوان الله .

وقوله : (فا رعوها حق رعايتها) ، أي : فاقاموا بما التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ، أحدهما : في الابتلاع في دين الله ما لم يأمر به الله . والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرهم إلى الله عز وجل .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرزقي (٣) ، حدثنا السدي بن جبلة (٤) ، حدثنا بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن أناس من بني عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده

(١) تفسير الطبري : ١٣٧/٢٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٣٨/٢٧ .

(٣) لم تقع لنا ترجمة إسحاق هذا في المرح والتعديل لابن أبي حاتم .

(٤) في المخطوطة : « السدي بن عبد الله » . والمثبت في المرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣١٨/١/٢ .

ابن مسعود قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا ابن مسعود : قلت : ليليك يا رسول الله . قال : « هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، فحدث إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، قتلت الجبابرة قُتِلَت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ، قامت بين الملوك والجبابرة ، فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، قُتِلَت وقُتِلَت بالناشير وحرقوا بالنيران ، فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تلق القِيَام بالقتل ، فُلِخَتْ بالجبال فصبرت وترهيت ، وهم الذين ذكر الله عز وجل : (ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم) » .

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال : حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا داود بن الحبر ، حدثنا الصمق بن حزن ، حدثنا عقيل الجعدي ، عن أبي إسحاق الحمداي ، عن سويد بن خلفه ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة ، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم : » وذكر نجر ما تقدم ، وفيه : (فآتيناهم آمنوا منهم أجرم) : هم الذين آمنوا في صدقوني ، (وكثير منهم فاسقون) ، وهم الذين كذبوني وخالفوني (١) .

ولا يقدح في هذه التابفة لحال داود بن الحبر ، فإنه أحد الرضاعين للحديث ، لكن قد أسند أبو يعلى ، وسنده عن شيبان بن فروخ ، عن الصمق بن حزن ، به مثل ذلك . أقوى الحديث من هذا الوجه .

وقال ابن جرير ، وأبو عبد الرحمن السائي - [واللفظ له] - : أخبرنا الحسين بن حريث ، حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان ملوك بعد عيسى - عليه السلام - بدلت التوراة والإنجيل ، فكان منهم مومنون يقرأون التوراة والإنجيل ، قُتِلَ الملوكهم : ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمون (٢) هؤلاء ، إنهم يقرأون : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، هذه (٣) الآيات ، مع ما يعيروننا به من أعمالنا في قراضهم ، فادعهم فليقرأوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمننا . فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك ؟ دعونا : قتلت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة (٤) ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا ترد عليكم . وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهم ونشرب كما يشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقطعنا . وقالت طائفة : ابنوا لنا دورا في البقاع ، ونحضر الآبار ونحترق البقر فلا ترد عليكم ولا نجر بكم . وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم (٥) ، ففعلوا

(١) تفسير الطبري : ١٣٨/٢٧ - ١٣٩ .

(٢) كما في المخطوطة والسائي . ويقول السني : « جملة (يشتمون) صفة (شتم) » ، بتقدير المائد ، ويكون التفسير المالك مفعولا مطلقاً . ثم الكلام من قبيل : أكلوني جهراي .

(٣) في تفسير الطبري والسائي : « هؤلاء الآيات » . ويقول السني : « هؤلاء الآيات » : مبتدأ خبره محذوف ، أي : من أحد الشتم .

(٤) أي : منارة مرفوعة .

(٥) أي : فقلل بدلوا منهم هذا الكلام وتركوا من القتل .

ذلك ، فأمر الله عز وجل : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، فادعوا حتى رعيتها) ، والآخرون (١) قالوا : تنبذ كما تنبذ فلان ، ونسبح كما سب فلان ، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بأيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يبق منهم إلا القليل ، انحط منهم رجل من صومته ، وجاء صالح من سياحته ، وصاحب البئر من ديره ، فأمسوا به وصدقوه ، فقال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) ، أخرجين بأيمانهم ببعثي ابن مريم (وتصدقهم) (٢) بالثبوت والائتمار ، وبأيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصدقهم ، قال : (ويجعل لكم نورا تمشون به) : القرآن ، وأتابعهم النبي - صلى الله عليه وسلم - قال (ثلث يعلم أهل الكتاب) الذين يشبهون بهم (أن لا يشكروا على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣) .

هذا السياق فيه غرابة وسياق تفسير هاتين الآيتين الأخريتين على غير هذا ، والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني سعيد بن عبد الرحمن ابن أبي السيماء ، أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة (٤) ، كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله ، أرايت هذه الصلاة للكتوبة ، أم شيء تفتته ؟ قال : إنها للكتوبة ، وإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انحطت إلا شيئاً سهوت عنه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تشدوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قرمأ شدوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فذلك بقاياهم في الصوامع والديارات ، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » (٥) . ثم غدا من الغد فقالوا تركب فنظروا ونصبر . قال : نعم ، فركبو جميعاً ، فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وقروا ، خاوية على عروشها ، فقالوا : تعرف هذه الديار ؟ قال : ما عرفني بها وبأهلها . هؤلاء أهل (٦) الديار ، أهلهم بالني والحسد ، إن الحسد يطفى نور الحسنات ، والني يصدق ذلك أو يكذبه ، والني تزي والكذب والقدم والجسد واللسان ، والقرج يصدق ذلك أو يكذبه . وقال الإمام أحمد حدثنا يعمر ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا سفيان ، عن زيد السمي ، عن أبي ياس ، عن أنس بن مالك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل » (٧) .

ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسباط ، عن عبد الله بن المبارك به ولفظه : « لكل أمة رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله » .

(١) أي : الذين بقروا عند الملك .

(٢) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، وهو غير ثابت في النسخ . وفي المخطوطة : « ونصب أنفسهم » .

(٣) النسخ : كتاب آداب القضاة ، باب تأويل قول الله عز وجل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفارون) .

٢٣١/٨ - ٢٣٣ . وتفسير الطبري : ١٣٨/٢٧ .

(٤) في المخطوطة والطيحات السابقة : « خفيفة وقمة » ، ولا ندرى ما المراد بهذه الكلمة « وقمة » .

(٥) هذا التقدير من قوله : « لا تشدوا » إلحنا ، أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب « في الحسد » . من حديث

أسد بن صالح ، عن عبد الله بن وهب .

(٦) في المخطوطة : « هؤلاء على الديار » . وللمكتبة من الطبعات السابقة .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٦٦ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا ابن عيش (١) - يعني إسماعيل - من الحجاج [ابن مروان الكلابي ، وحظيل بن مبركة السلمي] (٢) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلا جاءه فقال : أوصني . فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبلك ؛ أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فانه رهيبة الإسلام ، وعليك بذكر الله وثلاوة القرآن فانه روحك في السهاء وذكرك في الأرض (٣) ، فردد به أحمد .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ لَيْسَ لَكُمْ أَلْكُتَابُ إِلَّا بِقُدْرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس : أنه حمل هذه الآية على موثى أهل الكتاب ، وأنهم يوتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص (٤) ، وكذا في حديث الشعبي عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ثلاثة يوتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنيه وآمن في الله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق متآليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أحفظها وتزوجها فله أجران . أخرجه في الصحيحين (٥) .

ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحك ، وعنه بن أبي حكيم ، وغيره (٦) ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يوتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، أي : غضبن ، وزادكم : (ويجعل لكم نوراً تمشون به) ، يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ، ويغفر لكم . ففضلهم بالتور والمغفرة . ورواه ابن جرير عنه (٦) .

(١) في الخطوط : حدثنا عباس . والخط من المتن .

(٢) ما بين القوسين من المتن .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٨٢/٣ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٥٤ .

(٥) تقدم الحديث عنه تفسير آية القصص ، وخرجناه هناك ، الف : ٢٥٤/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ١٤٠/٢٧ - ١٤١ .

وهذه الآية كقولها تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُخَوِّضُ عَنْكُمْ سَبِيلَكُمْ وَيُنْفِرُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١)) .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سألت عمر بن الخطاب - حبراً من خيار يهود : (كم) أفضل ما ضحقت لكم حسنة ؟ قال : كفضل ثلاثمائة وخمسون حسنة . قال : فحمد الله عز وجل أنه أعطانا كافرين . ذكر سعيد قول الله عز وجل : (يَوْمَ تَكُونُ كُفُلِينَ مِنْ رَحْمَةٍ) - قال سعيد : والكفلاء في الجملة مثل ذلك . ورواه ابن جرير (٢) .

وما يزيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عملاً ، فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار حل قيراط قيراط ؟ ألا فعلت اليهود . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى [صلاة] العصر حل قيراط قيراط ؟ ألا فعلت النصارى . ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس حل قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين همم . فغضببت النصارى واليهود ، وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاه . قال : هل ظلمتكم من أجرةكم (٣) شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فأنما هو فضل أوتيه من أخاه (٤) .

قال أحمد : وحدثناه مؤمل ، عن سفيان عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن نافع ، عن (٥) .

اتفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب ، عن حماد ، [عن أيوب] (٦) عن نافع ، به . وعن قتيبة ، عن الليث ، عن نافع ، نحوه (٧) .

وقال البخاري : حدثني محمد بن الوليد ، حدثنا أبو أسامة ، عن برّيد ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : : مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً يوماً إلى الليل حل أجر سلوم ، فصلوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا ، وما حملنا باطل . فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم وغدوا لأجركم كاملاً ، فأبوا وتركتوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر . فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا : ما حملنا باطل ، والله الأجر الذي جعلت لنا فيه : فقال : أكملوا بقية عملكم ، فإن ما بقي من النهار شيء يسير . فأبوا ، فاستأجر ثوماً أن يعملوا له بقية يومهم ،

(١) سورة الأنفال : آية : ٢٩ .

(٢) تفسير البصري : ١٤١/٢٧ . وما بين القوسين منه .

(٣) في المسند : ومن حكمه . وفي المسند ٢/ ١١١ مثل ما هنا .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٦/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١١١/٢ .

(٦) ما بين القوسين عن البخاري : ١١٢/٣ .

(٧) البخاري ، كتاب الإجارة ، باب : الإجارة إلى نصف النهار : ١١٧/٣ . ومكتبة الأنبياء ، باب : وما ذكر من

في إسرائيل : ٢٠٧٤ .

فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، فاستكملوا أجر الفرقين كليهما ، فذلك مظهر ومثل ما قبلوا من هذا النور ، انفرد به «بحارى» (١) .

ولما قال تعالى : (لتلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) ، أى ليشقوا أنهم لا يقدرون على ردّ ما أعطاه الله ، ولا إعطاء ما منع الله ، (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) ، والله ذو الفضل العظيم) .

قال ابن جرير : (لتلا يعلم) ، أى : ليعلم (٢) . وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها (لكني يعلم) : وكلنا حطآن (٣) ابن عبد الله ، وسعيد بن جببر ، قال ابن جرير : لأن العرب تجعل « لا » صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جسد غير مصرح ، فالسابق فتولاه : (ما منعك ألا تسجد) ، (وما يشرككم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) ، (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) .

[آخر تفسير سورة الحديد]

(١) البخارى ، كتاب الإجارة ، باب « الإجارة من النصر إلى الجبل » : ١١٨/٢ - ١١٩ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٤٣/٢٧ .

(٣) في الخطوط : « حطآن ابن عبد الله » . وفي تفسير الطبرى : « حطاب بن عبد الله » . ولم نجد « حطآن » ، بالحاء والنون . وهو حطآن بن عبد الله القرطائى ، يروى عن حل ولج موسى ، ويروى عنه أبو حارون النعمانى . والآثر الذى فى الطبرى ١٤٣/٢٧ يرويه عنه أبو حارون هذا . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٠٣/٢٠١ .

تفسير سورة المجادلة وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُذْهِبِ اللَّهُ كَوْلَ الْفَالِغِ كَوَلِّهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن ثميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تكلمه وأنا في ناحية البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأقول الله عز وجل : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) ... إلى آخر الآية (١) .

وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً قال : وقال الأعمش ، عن ثميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة . ، فذكره (٢) . وأخرجه النسائي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من غير وجه ، عن الأعمش به (٣) .

وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش ، عن ثميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : تبارك الذي أوحى سمعه كل شيء ، إلى أن أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه ، وهي تشكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهي تقول : يا رسول الله أكل شياطيني ، وتفرث له بطني ، حتى إذا كبرت مني ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني اللهم ، إلى أشكر إليك . قالت : لما يرحم حتى نزل جبريل بهذه الآية : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) ، وقال : وزوجها أوس بن الصامت (٤) .

وقال ابن أبي شيبة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، : (هو كره) أوس بن الصامت - وكان أوس (امرأة) به لم ، فكان إذا أحله لمة واشتد به يظهر من امرأته ، وإذا ذهب لم يقل شيئاً . فأتت رسول الله تستغيث في ذلك وتشكي إلى الله ، ، فأقول الله : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشكي إلى الله) ... الآية . وهكذا روى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن رجلاً كان به لم ، فذكر مثله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير - يعني ابن حازم - قال سمعت أبا يزيد يحدث قال : قتلت امرأة حُمَرة - يقال لها : خولة : بنت ثعلبة - وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٦٦ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد : ١١٤٤ .

(٣) سنن ابن ماجه ، للقدس : باب : ما أنكرت الجمجمة ، الحديث ١٨٨ : ١/١٧ ، وتفسير الطبري : ١ - ٥/٢٨ .

(٤) وكذا رواه الطبري من هذه الطريق : ١ - ٥/٢٨ .

(٥) في الخولا : ٥ من أوس . ، ولعل الصواب ما اقتضاه .

ودنا منها وأصفى إليها راسه ، ووضع يديه على منكبيها حتى كفت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أبا عبد الله جئت رجالات قريش على هذه الجوز ؟ قال : وعك ؟ وتلوى من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه عولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ، ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها .

هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب . وقد روى من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا المنصور بن شاذان ، حدثنا يعلى ، حدثنا زكريا عن عامر قال : المرأة التي جادلت في زوجها عولة بنت الصامت ، ولها معاذة التي أنزل الله فيها : (ولا تكروها فياتكم على البهاء إن أردن خصما) . صوابه : عولة امرأة أوس بن الصامت .

الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مَنْ سَاءَ مَا مِنْ امْتَحِنَةٍ إِلَّا ائْتَيْتُمُوهَا ذُورُوا بِهَا لَعَنَ اللَّهُ لُعْنَهُ جُعِلَ ۝ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ سَاءِ مَا هُمْ يَعْمَلُونَ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ رَقِيعَةً ۝ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبَاسَ دَٰلِكُمْ يُوعَاظُونَ بِهِ ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَنْ تَجِدَ فَصِيحًا شَرِيحًا مُتَابِعِينَ ۝ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبَاسَ لَنْ يَسْتَطِيعَ قُلُوبُهُمْ سَمْعًا ۝ ذَٰلِكَ لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۝ وَلَكِنَّغَيْرَ بَلَّابٍ ۝

قال الإمام أحمد : حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قال : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة ، عن ابن عبد الله بن سلام ، عن عويلة بنت ثعلبة قالت : في - والله - وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة والمجادلة ، قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فتدخل على يوماً فراجسته بشيء فغضب فقال : أنت على كظهر أبي . قالت ، ثم خرج فجلس في نادى قومه ساعة ، ثم دخل على - فإذا هو يريدني عن نفسي ، قالت : قلت : كلا ، والذي نفس عويلة بيده لا تخلص إلي - وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فيما يحكمه . قالت : فواللهي وامتنعت منه ، فظننت بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فأقبلت عني ، قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتي ، فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : يا عويلة ، ابن عمك شيخ كبير ، فأنى الله فيه . قالت : فوالله ما بترحت حتى نزل في القرآن ، ففضلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان يشاهد ، ثم سرى عنه ، فقال لي : يا عويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك . ثم قرأ علي : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع عليم) إلى قوله (ولكنا غير بللاب) ، قالت : فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « مر به فليفتي رقية » . قالت : فقلت يا رسول الله ما عنده ما يحسن قال : « فليهم شهرين متتابعين » . قالت : فقلت : والله إنه شيخ كبير ، ما به من صيام . قال : « فليطع بيتين مسكيناً »

وَصَلَّى (١) مِنْ تَمَرٍ : قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا ذَلِكَ عَنْكَ . قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « فَإِذَا سَمِعْتَهُ بِهَرَقٍ (٢) مِنْ تَمَرٍ » . قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا سَاعِيَةٌ بِهَرَقٍ آخَرَ ، قَالَ : « قَدْ أَصِيبْتُ وَأَحْسَنْتُ ، فَأَخْبِي فَصَدَّقْ بِهِ عَنْهُ ، ثُمَّ اسْتَوْصَى بِأَيِّنْ عَمَلِكُمْ خَيْرًا » . قَالَتْ : فَصَلَّيْتُ (٣) .

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق (٤) من سننه من طريقين ، عن محمد بن إسحاق بن يسار ، به . وعنده : خولة بنت ثعلبة ، ويقال فيها غزله بنت مالك بن ثعلبة . وقد تصغر فيقال : خَوَلَة ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فالأمر فيها قريب ، والله أعلم .

هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة ، فأما حديث سَكَنَةَ بن صَخْرٍ فليس فيه أنه كان سبب النزول ، ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من الحق أو الميام أو الإطعام ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن أسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سَلْجَان بن يَسَار ، عن سلمة ابن صخر الأصبغى قال : كنت أمراً قد أوتيت من جميع النساء ما لم يوت غيري ، فلما دخل رمضان نظهرت من امرأتي حتى ينسبغ رمضان ، فركأ من أن أصيب في ليلى شيئاً فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار ، وأنا لا أذكر أن أترج فيها حتى تخفى من الليل إذ تكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحت خلوت على قري فأخبرتهم خبري وقلت : انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمرى . فقالوا : لا ، والله لا نفعل ، نتخوف أن يتزل فبينما سأول يقول فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حقاقتين علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك . قال : فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم - فأخبرته خبري . فقال لي : « أنت بذلك » . قلت : أنا بذلك ، فقال : « أنت بذلك » . قلت : أنا بذلك . قال : « أنت بذلك » قلت : نعم ، ها أناذا فامض في حكم الله تعالى فاني صابر له . قال : « أحسن رقية » قال : فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت : لا ، والذي بهتك بالحق ما أصبحت أملك غيرها ، قال : « نعم شهرين » قلت : يا رسول الله ، وهل أصابي ما أصابني إلا في الميام ؟ قال : « فتصدق » . قلت : والذي بهتك بالحق لقد بنتا ليلتنا هذه وحققنا (٥) أمانتنا عشاء . قال : واذهب إلى صاحب صدقة بني زُرَيْق قتل له فليدفعها إليك ، فأطعمك منك منها وسقا من تمر متين مسكناً ، ثم لستين بساتره عليك وحل عيالك . قال : فرجعت إلى قري فقلت : وجدت عنكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السكينة والبركة ، قد أمرني بصنعتكم ، فأدفعوها إليّ ، فأدفعوها إليّ (٦) .

(١) الموق : مودة صامحاً .

(٢) هرق : زنبيل ملسوج من ثمار الجوز ، وكل شيء مشغور فهو هرق وقرعة ، بفتح الراء فهو .

(٣) عند الإمام أحمد : ١٠٦/٦ - ١١٠ . وانظره في أسد الغابة : ٩١/٧ - ٩٢ ، بتحقيقنا .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الطلاق ، باب : « في الظهار » .

(٥) في المتن : « وحشاه » ، بلده . ووقع في رواية الترمذي مثل ما هنا . ويقول ابن الأثير في النهاية : « لقد بنتا وحشين وما لنا من طعام » ، يقال : وجل وحش ، والسكران من قوم أرحاش ، إذا كان جالماً لا طعام له . وقد أرحش إذا جاح وجهه في رواية الترمذي : « لقد بنتا ليلتنا هذه وحش » ، كأنه أراد جماعة وحش .

(٦) عند الإمام أحمد : ٣٧/٤ .

وهكذا رواه أبو داود ، وابن ماجه ، واخصره الترمذى وحسنه (١) .

وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجه غويلة بنت ثعلبة ، كما دلّ عليه سياق تلك وعده بعد الثامن .

قال خفيف ، عن جماعة ، عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأة أوس بن الصامت ، آخر عبادة بن الصامت ، وامرأته غولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظهر منها خشيته (٢) أن يكون ذلك طلاقاً ، فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، إن أوساً ظهر منى ، وإننا إن افترقنا هلكتا ، وقد نثرت بطنى منه وقدمت صحبه . وهى تشكو ذلك وتبكي ، ولم يكن جأه في ذلك شئ . فأقول الله : (قد سمع الله قول الذى يجادلك فى زوجها وتشكى إلى الله) إلى قوله (وللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أنت على رقية تنصها ؟ قال : لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها ؟ قال : فجمع له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحقت عنه ، ثم راجع أهله ورواه ابن جرير (٣) .

ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ما قلناه ، والله أعلم .

قوله تعالى : (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) : أصل الظهار مشتق من الظهر ، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحد من أمرته قال لها : أنت على كظهر أبى . ثم فى الشرع كان الظهار فى سائر الأعضاء قياساً على الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً ، فأرخص الله هذه الأمة وجعل فيه كفارة ، ولم يجعل طلاقاً كما كانوا يمتثلونه فى جاهليتهم ، هكذا قال غير واحد من السلف .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية : أنت على كظهر أبى ، حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر فى الإسلام أوس ، وكانت تحته ابنة حم له يقال لها « غويلة » (٤) بنت ثعلبة ، فظاهر منها ، فأسقط فى يديه ، وقال : ما أراك إلا قد حرمت على . وقالت له مثل ذلك ، قال : فانتطقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنت رسول الله فوجلت عنده ماضعة تمشط رأسه ، فقال : يا غويلة ، ما أمرنا فى أمرك بشئ . فلأقول الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا غويلة أبشرى ، قالت : خيراً . فقرأ عليها : (قد سمع الله قول الذى يجادلك فى زوجها وتشكى إلى الله ، والله يسمع تحاوركما) . . إلى قوله : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقية من قبل أن يتأسا) . قالت : وأرى رقية

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « وإن ماجه » ، كتاب الطلاق ، باب الظهار ، الحديث ٢٠٦٢ .

(٢) نسخة الأحرش : تفسير سورة المجادلة ، الحديث ٣٣٥٢ : ١٨٨ - ١٩١ .

(٣) فى تفسير الطبرى : « حبيت » .

(٤) تفسير الطبرى ٢٨٢ : ٦٧٢٨ .

(٥) فى تفسير الطبرى : « غولة » ، وفى مضطربة الأحرش : « غويلة بنت غويلة » .

ثالثاً : والله ما يجد رقية خيري : قال : (لمن لم يجد نصيام شهرين متتابعين) ، قالت : والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات للحب بصره ! قال : (لمن لم يستطع إطعام ستين مسكينا) . قالت : من أين ؟ ما هي إلا أكلة إلى مثله ! قال : فلما بطن وسق - ثلاثين صاعاً ، والوسق : ستون صاعاً - فقال : ليعلم ستين مسكينا وليراجعك (١) وجداً يستاد جيد قوي ، وسباق غريب ، وقد روى عن أبي العالية نحو هذا ، فقال ابن أبي حاتم .

حدثنا محمد بن عبد الرحمن [المروى] حدثنا علي بن حاصم عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : كانت هولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار ، وكان ضرير البصر فقيراً سيء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته ، قال : « أنت حل كظهر أبي » . وكان لما منه عيب أو عيبان ، فزاعته يوماً في شيء فقال : أنت حل كظهر أبي ، فاحملت عليها ثياباً حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في بيت عائشة ، وعائشة تفلسق رأسه ، فقدمت عليه ومعها عتيكها ، فقالت يارسول الله ، إن زوجي ضرير البصر ، فقبر لا شيء له مني . فخلق ، ولاني نازعته في شيء فضضب ، فقال : « أنت حل كظهر أبي » ، ولم يرد به الطلاق ، ولما منه عيب أو عيبان ، فقال : « ما أحملك إلا قد حرمت عليه » . فقالت : أشكو إلى الله ما نزل في وأباصيتي . قال : ودارت عائشة ففلسق فسق رأسه الآخر ، فدارت معها ، فقالت : يارسول الله ، زوجي ضرير البصر ، فقبر سيء الخلق ، وإن في منه عيباً أو عيبين ، ولاني نازعته في شيء فضضب وقال : « أنت حل كظهر أبي » ، ولم يرد به الطلاق ! قالت : فرجع إلى رأسه وقال : « ما أحملك إلا قد حرمت عليه » . فقالت : أشكو إلى الله ما نزل في وأباصيتي ؟ قال : وراثة عائشة وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : لا ، وراثة وراك ؟ ففتحت ، فكش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خشيانه ذلك ما شاء الله ، فلما انقطع الرعي قال : يا عائشة ، أين المرأة ؟ فدفعتها ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « انذهبي فانني بزوجه » . فانطلقت تسمى فجاءت به ، فاذا هو - ضرير البصر ، فقبر سيء الخلق . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « استعذ بالله السميع العليم » ، (بسم الله الرحمن الرحيم) قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى قوله : (والذين يظاهرون من نسائهم لم يعودوا لما قالوا) . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أتجد رقية تمضها من قبل أن تمسها ؟ » قال : لا . قال : « أستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : والذي يمضك بالحن ، إنني إذا لم أكل للمزمتين والثلاث يكاد أن يشو بصرى . وقال : « أفضطيع أن تطعم ستين مسكياً ؟ » قال : لا ، إلا تيني . قال : فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أطعم ستين مسكياً » . قال : وحول الله الطلاق ، فجعله طهاراً .

ورواه ابن جرير ، عن ابن الخفي ، عن عبد الأمل ، عن داود ، سمعت أبا العالية ، فذكره نحوه ، بأخصر من هذا السياق (٢) .

وقال سعيد بن جببر : كان الإيلاد والظهار من طلاق الجاهلية ، فوفقت الله الإيلاد أربعة أشهر ، وجعل في الظهار الكفارة . ورواه ابن أبي حاتم ، بنحوه .

(١) تفسير الطبري : ٣/٢٨ - ٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٢/٢٨ - ٣ .

وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله : (منكم) ، قال الخطابي للمؤمنين ، ولجواب الجمهور بأن هذا يخرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله : (من نسائهم) ، على أن الأمة لا تظهر منها ، ولا تدخل في هذا الخطاب .

وقوله : (ما من أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائع ولنهن) أى : لا تصير المرأة يقول الرجل : أنت على كائى ، أو : مثل اى ، أو : كظهور اى ، وما أشبه ذلك ، لا تصير أمه بملك ، إنما أمه التى ولدته . ولهذا قال : (ولهن ليقولون منكرا من القول وزورا) ، أى : كلاما فاحشا باطلا ، (وإن الله لنعو خفور) ، أى : مما كان منكم في حال الجاهلية . وهكذا أيضاً مما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم ، كما رواه أبو داود : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لامرأة : يا أنثى . فقال : : انطعنى ؟ ، ولهذا إنكار ، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك ، لأنه لم يقصده ، ولو قصده حرمت عليه ، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وشالة وما أشبه ذلك .

وقوله : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) ، انطعت السلف والأئمة في المراد بقوله : (ثم يعودون لما قالوا) قال بعض الناس : يعود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره ، وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم (١) . وقول داود ، وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والقراء ، وفرقة من أهل الكلام .

وقال الشافعى : هو أن يحسبها بعد الظهار زمنا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق .

وقال أحمد بن حنبل : هو أن يعود إلى الجراح ، أو يحرم عليه ، فلا يعمل له حتى يكفر بهذه الكفارة ،

وقد حكى عن مالك : أنه اليوم على الجراح والإسك ، وعنه أنه الجراح .

وقال أبو حنيفة : هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية ، لقي تظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريمًا لا يرفعه إلا الكفارة . وإليه ذهب أصحابه ، واليتم بن سعد .

وقال ابن حنيفة : حدثني عطاء ، عن سميد بن جبير : (ثم يعودون لما قالوا) ، يعنى : يريدون أن يعودوا في الجراح الذى حرّموه على أنفسهم .

وقال الحسن البصرى : يعنى النشيان في الفرج . وكان لا يرى بأسا أن ينشئ فيما دون الفرج قبل أن يكفر .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (من قبل أن يناسا) ، وليس : النكاح . وكلما قال عطاء ، والزهري ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان .

(١) في المخطوطة : « ابن جرير » . والآخر ما في الطبقات السابقة ، انظر تفسير البهري : ٧/٢٨ .

وقال الزهري : ليس له أن يقبلها ولا يمساها حتى يكفر .

وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله ، إني ظاهرت من أمرأتى فومعت عليها قبل أن أكفر . فقال : وما حملك على هذا يرحمك الله ؟ . قال : رأيت خلعتا في ضوء القمر . قال : فلا تقربا حتى تعلم ما أمرك الله عز وجل .

وقال الترمذي : حسن غريب صحيح . ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلا . قال النسائي : وهو أولى بالصواب (١) .

وقوله : (فصحير رقية) ، أي فإعتاق رقية كاملة من قبل أن يتأسا ، فهاتها الرقية مطلقة غير مقيدة بالإيمان ، وفي كفاية القتل مقيدة بالإيمان ، فعمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاهنا على ما قيد هناك لاتحاد للرجب ، وهو حق الرقية ، واحتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده ، عن معاوية بن الحكم السلمي ، في قصة الجارية السوداء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعتقها فلها مؤنة » . وقد رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه (٢) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن نمر ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عمرو ابن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل فقال : إني تظاهرت من امرأتى ثم ومعت عليها قبل أن أكفر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألم يقل الله من قبل أن يتأسا » . قال : أصحيتني ؟ قال : « أسكت حتى تكفر » .

ثم قال البزار : لا يروى عن ابن عباس [بأحسن من] (٣) هذا وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم . وفيه من الله أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة .

وقوله : (ذلكم توحظون به) أي : تزجون به ، (والله بما تعملون خبير) ، أي : خير بما يصلحكم ، علم بأحوالكم .

وقوله : (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأسا) ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا . وقد تقدمت الأحاديث الواردة بهذا على الترتيب ، كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جناح امرأته في رمضان .

(ذلكم تؤمنوا بالله ورسوله) ، أي : شرعنا هذا لعلنا .

وقوله : (وتلك حدود الله) ، أي : محله فلا تنتهكوها .

(١) تحفة الأعراف ، أبواب البلاء ، باب « ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفر » ، الحديث ١٢١٣ : ٢٨٠/٤ .

وسنن أبي داود ، كتاب البلاء ، باب « في الظهار » . وسنن الترمذي ، كتاب البلاء ، باب الظهار : ١٦٧/٦ : ١٦٨ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثانية ولتضمن من سورة النساء ، وغرجه حذافه ، انظر : ٣٢٠/٢ .

(٣) ما بين القوسين من الكلمات السابقة ، ومكانه في المخطوطة : « فليحرق » .

وقوله (ولكافرين حطاب أليم) ، أى : الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة ، لا نعتقدوا أنهم ناجون من البلاء ، كلا ، ليس الأمر كما زعموا ، بل لم حطاب أليم ، أى فى الدنيا والآخرة .

إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبَتْ لَهُمْ أَقْبَاتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْهَا بَيِّنَاتٌ وَلِكُفْرِهِمْ حَطَابٌ مُبِينٌ ① يَوْمَ يُعَذِّبُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ② أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا يَشْعُرُهُمْ إِلَّا هُوَ سَادِمُهُمْ وَلَا أَقْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③

غير تعالى عن شاقوا الله ورسوله وعادوا شره ، (كثيرا كما كتبت للذين من قبلهم) ، أى : أمينوا ولمنوا وأنشروا ، كما فعل بمن أشبههم بمن قبلهم ، (وقد أنزلنا آيات بينات) ، أى : واضحات لا يخالفها ويصدقها إلا كافر فاجر مكابر ، ولكافرين حطاب مبين) أى : فى مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله ، والالتجاء له ، والخضوع لديه .
ثم قال : (يوم يعذبهم الله جميعا) ، وذلك يوم القيامة ، يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، (فينبئهم بما عملوا) ، أى : يخبرهم بالكلية صنعا من غير وشر ، (أحصاه الله ونسوه) ، أى : ضبطه الله وحفظه عليهم ، وهم [قد] نسوا ما كانوا يعملوا ، (والله على كل شيء شهيد) ، أى : لا يثبت عنه شيء ، ولا يخفى ولا ينسى شيئا .

ثم قال تعالى خبرا عن إحاطة علمه بخلقهم وإطلاعهم عليه ، وسباحة كلامهم ، ورويته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا ، فقال : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة) ، أى : من سر ثلاثة (إلا هو رافعهم ولا يسمعه) ، أى : يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به ، مع علم الله به وسمعه لهم ، كما قال : (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (١)) . وقال : (ألم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بل أرسلنا لديهم مكينون (٢)) . ولما حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية مية علم الله تعالى ، ولا شك فى إرادة ذلك ولكن سمعه أيضا مع علمه [محيط] بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع على خلقه ، لا يثبت عنه من أمورهم شيء .

ثم قال (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) ، لأن الله بكل شيء عليم ، قال الإمام أحمد : انتفع الآية بالعالم ، واختتمها بالعالم .

(١) سورة التوبة : آية : ٧٨ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٨٠ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَوْكٌ بِمَا آلَمَوْهُمْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْوَيْهِ وَالْفِتْرِ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

قال ابن أبي نجيح ، عن حماد : (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) قال : اليهود (١) . وكذا قال مقاتل بن حيان ، وزاد : وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود مصادقة ، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله - أو : بما يكره المؤمن - فإذا رأى المؤمن ذلك - عشتهم ، فترك طريقه عليهم . ففهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النجوى ، فلم يبتها وحادوا إلى النجوى ، فأزل الله : (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن الخليل الجراي ، حدثني سفيان بن حمزة ، عن كثير بن زيد ، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبيت عنده ، يطره من الليل أمر ، ويدلو له حاجة . فلما كانت ذات ليلة كثر أهل التوب والخسبون ، حتى كنا أندية نتحدث ، فخرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ما هذا النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى ؟ » قلنا : بنا إلى الله يا رسول الله ، إنا كنا في ذكر المسيح ، فركا منه . فقال : « ألا أنصركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ؟ قال : « الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يعمل لكان رجل » . هذا إسناد غريب ، وفيه بعض الضعفاء .

وقوله : (ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) ، أي : يتحلفون فيما بينهم بالإثم ، وهو ما يخص بهم (والعدوان) ، وهو ما يتعلق بغيرهم ، ومنه معصية الرسول وخالفته ، يُصرون عليها ويتواصون بها .

وقوله : (وإذا جاموك حيوك بما آلم بكم الله) قال ابن أبي حاتم .

حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، [عن مسلم (٢)] عن مسروق ، عن عائشة قالت : دخل حل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يهود فقالوا : السلام عليك يا أبا القاسم . فقالت عائشة : وعليكم سلام . قالت : قال

(١) تفسير الطبري : ٤/٢٨ .

(٢) ما بين القوسين عن سند الإمام أحمد : ٢٢٩/٦ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب : النبي عن ابتداء أهل الكتاب والسلام ، وكيف يرد عليهم : ٤/٧ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا عائشة ، إن الله لا يحب المحش ولا الفحش » قلت : ألا لسمعهم يقولون : السلام عليك ؟ فقال رسول الله : « أو ما سمعت أقول » وعليكم ؟ . فأنزل الله : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحبك به الله) . وفي رواية في الصحيح أنها قالت لم : عليكم السلام والسلامة . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : إنه يستجاب لنا فيهم ، ولا يستجاب لهم فينا (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتى عليهم جردى فسلم عليهم ، فردوا عليه ، فقال نبي الله - صلى الله عليه وسلم - : « هل تدرون ما قال ؟ » قالوا : سلم يارسول الله . قال : « بل قال : سلام عليكم ، أي : قسامو دينكم . قال رسول الله : « ردوه » . فردوه عليه ، فقال نبي الله : « أقلت : سلام عليكم ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا : عليك أي عليك ما قلت (٢) وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح ، وهذا الحديث في الصحيح من عائشة ، بنحوه .

وقوله : (ويقولون في أنفسهم : لولا يعلينا الله بما نقول) ، أي : يفعلون هذا ، ويقولون ما يعرفون من الكلام وإيحاء السلام ، وإنما هو شتم في الباطن ، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعلينا الله بما نقول له في الباطن ، لأن الله يعلم ما نسر ، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يماجلنا الله بالعقوبة في الدنيا ، فقال الله تعالى : (حسبهم جهنم) ، أي : جهنم كفائهم في النار الآخرة (٣) ، (يصلونها فيس المصير) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن صطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو : أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سلام عليك ، ثم يقولون في أنفسهم : (لولا يعلينا الله بما نقول ؟) ، فزلت هذه الآية : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحبك به الله ، ويقولون في أنفسهم : لولا يعلينا الله بما نقول ، حسبهم جهنم يصلونها فيس المصير) . إسناده حسن ولم يخرجه (٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحبك به الله) ، قال : كان المناقون يقولون لرسول الله إذا حيّوه : « سلام عليك » ، قال الله : (حسبهم جهنم يصلونها فيس المصير) (٥) .

ثم قال الله مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمناقين : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا تناجى فلا تتجارا بالإثم والعدوان ومصيبة الرسول) ، أي : كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن سلامهم على صلابهم من

(١) البخاري ، كتاب الأدب ، باب « لم يكن الذي - صلى الله عليه وسلم - فاسقاً ولا فاحشاً » : ١٥/٨ . وصلى في الكتاب والباب المختصين : ٥/٧ .

(٢) تفسير البكري : ١١/٢٧ .

(٣) في ضلوة الأثر : « كفايتهم في الدنيا والآخرة » . وللمتت من الطبقات السابقة .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٧٠/٢ .

للتأخير ، (وتجاوزوا بالبر والحق ، واتقوا الله الذي إليه تحشرون) ، أى : فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحضارها عليكم ، وسيجزيكم بها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعفان قالا : أخبرنا حماد ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن عمرز قال : كنت أنا وأبي بن عمر ، إذ عرض له رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن الله ينفذ المؤمنين فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ، ويقرره بملوئه ، ويقول له : أنصرف ذنب كلما ؟ أنصرف ذنب كلما ؟ أنصرف ذنب كلما ؟ حتى إذا قرره بملوئه ورأى في نفسه أنه قد هلك ، قال : فاني قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يطعنى كتاب حسنة ، وأما الكفار وللمنافقين فيقول الأشهداء : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين (١) » .

لأخبرناه في الصحيحين ، من حديث قتادة (١) .

ثم قال تعالى : (إنما النجوى من الشيطان ليحزن للذين آمنوا ، وليس بشايم شيئا إلا ياذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ، أى : إنما النجوى - وهى المسكرة - حيث يتوهم مؤمن بها سوما (من الشيطان ليحزن للذين آمنوا) ، أى : إنما يصدر هذا من المنافقين (٢) من توسيل الشيطان وتزيينه ، (ليحزن للذين آمنوا) ، أى : ليسوهم ، وليس ذلك بشايم شيئا إلا ياذن الله ، ومن أحسن من ذلك شيئا فليستد بالله وليتوكل على الله ، فإنه لا يضره شيء ياذن الله .

وقد وجدت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا : حدثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجىن اثنين دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه (٣) » . أخرجه من حديث الأعمش (٤) .

وقال عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أبيه ، [عن ثعلبة] ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا ياذن ، فإن ذلك يحزنه » . انفرد بأخبرناه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل ، كلاهما عن حماد بن زيد ، عن أبيه ، به (٥) .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثالثة عشرة من سورة هود ، وأخرجناه هناك ، وخرجناه هناك ، وخرجناه فريه ، انظر : ٧٤٧/٤ .

(٢) في ضلوة الأخر : « من المنافقين » . والمثبت من الطبعات السابقة .

(٣) منه الإمام أحمد : ٤٣١/١ - ٤٣٢ .

(٤) انظر البخارى ، كتاب الاستسكان ، باب : « إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسرة والتناجى » : ٨٠٧/٧ . ومسلم .

كتاب السلام ، باب : « تعرض متاجاة الاثنين دون الثالث بغير وضوء » : ١٣٣/٧ .

(٥) مسلم ، في الكتاب والباب المتضمنين : ١٢٧/٧ .

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ وَلَئِنْ قِيلَ لَهُمْ قُتِلُوا فَاسْتَبْرَأُوا
يَرْجِعَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ حَرِّجَتْ وَأَلَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى متحدثا بعباده المؤمنين ، وآمرأ لم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا قيل لكم : تسبحوا في المجلس (١١) ، وقرئ : (في المجالس) ، (فاسبحوا يسبح الله لكم) ، وذلك أن الجزء من جنس العمل ، كما جاء في الحديث الصحيح : « من بنى لله مسجدا بنى الله به بيتا في الجنة » (٢) . وفي الحديث الآخر : « ومن يسر على مسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة » [ومن سر مسلما سره الله في الدنيا والآخرة (٣)] والله في حق العبد ما كان العبد في عون أخيه (٤) . ولما قال : (فاسبحوا يسبح الله لكم) .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدا مقبلا غشوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم الله أن يسبح بعضهم لبعض (٥) .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم حُجِّمَتْ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرمط في الصفقة ، وفي المكان ضيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاثاس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس ، فقاموا يحال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . فرد النبي - صلى الله عليه وسلم - عليهم ، ثم سلموا على القوم بعد ذلك ، فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم يظنون أن يوسع لهم ، فعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يحملهم على القيام ، فلم يفسح لهم ، فشق ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار ، من غير أهل بدر : « تم يا فلان ، وأنت يا فلان » . فلم يزل يقيهم بهذه النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر ، فشق ذلك على من أقام من مجلسه ، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم ، فقال للمناقبون : أليس ترعون أن صاحبكم هذا يمدل بين الناس ؟ والله ما رأيتاه قبل حدثا على هؤلاء ، إن فرما أخلوا بمجالسهم وأحبوا القرب لئيبهم ، فأقامهم وأجلس من أبدا ع . فبلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « رحم الله رجلا فسح لأخيه » . فبلغوا يأمرون بعد ذلك مراعا ، ففسح القوم لإخوانهم ، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم .

(١) كذا في خطوطة الأهر ، ويقول البكري ١٣/٢٨ : « واحتفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عدة قراء الأصابع (تقصروا في المجلس) ، كل التوحيد ، غير الحسن البصري وحامد فلانما قرا ذلك (في المجالس) ، كل الجمع ، وبالحسين قراة ذلك مثلا ، لإيجاع الحبة من القراء عليه » .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « من بنى مسجدا » : ١٢٢/١ . وسلم ، كتاب المساجد ، باب « فضل بناء المساجد والحث عليها » : ٦٨/٢ .

(٣) ما بين القوسين عن سلم ونسبه سقط نثر .

(٤) سلم ، كتاب الذكر ، باب « فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وحمل الذكر » : ٧١/٨ .

(٥) تفسير البكري : ١٣/٢٨ .

وقد قال الإمام أحمد ، والثاقبي : حدثنا سفيان (١) ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تصفحوا ونسوا » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع ، (٢) .

وقال الثاقبي : أخبرنا عبد المجيد ، عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يقيم أحدكم أماء يوم الجمعة ، ولكن ليقل الصلوات (٣) » . على شرط السنن ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا ليح ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن [أبي] صمصمة ، عن يعقوب بن أبي يعقوب ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن الصلوات يسبح الله لکم (٤) » .

ورواه أيضا عن سريج بن يونس ، [ويونس] بن محمد المؤدب ، عن قليح ، عن قليح : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ، ولكن الصلوات يسبح الله لکم » . فردد به أحمد (٥) .

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء حل أقوال : فذهب من رخص في ذلك عتجا حديث : « قوموا إلى سيدكم » . ومنهم من منع من ذلك عتجا حديث : « من أحب أن يتمل له الرجال قياما ، فليتبوأ مقعده من النار (٦) » . ومنهم من فصل فقال : يجوز عند القعود من سفر ، والحاكم في حل ولايته ، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه النبي - صلى الله عليه وسلم - حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين : « قوموا إلى سيدكم » . وما ذلك إلا ليكون ألفظ لملكه ، والله أعلم . فأما اتخاذه ديننا فإنه من شمار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إذا جاء لا يقومون له ، لا يعلمون من كراهته لللك .

وفي الحديث للروى في السنن : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك للمجلس ، وكان الصحابة - رضى الله عنهم - يجلسون منه على مراتبهم ، فالصديق يجلس عن يمينه ، وحر من يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وحلى ، لأتهما كانا بمن يكتب الرضى ، وكان يأمرهم بذلك ،

(١) لم يقع لنا حديث المسند هذا المسند ، ولما رواية الثاقبي فهي عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن عمر ، عن نافع . انظر الأم ، كتاب إصاب الجمل : ١٨١/١ ، وسند الثاقبي حل الأم : ١٠٣/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب « لا يقيم الرجل أماء يوم الجمعة ويصلي في مكانه » ، ١٠٣/٢ . وسلم ، كتاب السلام ، باب « تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه » : ٩/٧ .

(٣) انظر الأم وسند الثاقبي في الموضعين اللذين : ١٨١/١ ، ١٠٣/٦ .

(٤) ما بين القومين من المسند ، وانظر الخلاصة : .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٥٢٣/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٣٨/٧ ، ٤٣٨ .

(٧) تحفة الأحرف : أبواب الاستئذان ، باب « ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل » ، الحديث ٢٩٠٤ ، ٣٠/٨ .

كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن حمارة بن عير ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ليليني منكم أولو الأحلام والنهى » ، ثم اللين يلوهم ، ثم اللين يلوهم ^(١) : وما ذلك إلا ليعتقوا منه ما يقوله - صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا أمر أولئك الثفر بالقيام ليجلس اللين وردوا من أهل بدر ، إما لتقصير أولئك في حق البدرين ، أو ليأخذ البدريون من العلم بتصحيحهم ، كما أخذ أولئك قبلهم ، أو لتعلميا بتقديم الأفاضل إلى الأمام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن حمارة بن عير التيمي ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجس متاكئا في الصلاة ويقول : « استوتوا ولا تخطفوا فتخطف قلوبكم ليليني منكم أولو الأحلام والنهى » ، ثم اللين يلوهم ، ثم اللين يلوهم . قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافا ^(٢) ، وكلما رواه مسلم وأهل السنن ، إلا الترمذى ، من طرق عن الأعمش ، به ^(٣) .

وإذا كان هذا أمره لم في الصلاة أن يليه الغلاء في العلماء ، فيطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة ،

وزوي أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين الماكب ، وسلوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تنزلوا أرجل الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله ^(٤) » .

ولما كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أثناء ^(٥) الناس ، ويخلل هو في الصف المقدم ، ويحتاج بهذا الحديث : « ليليني منكم أولو الأحلام والنهى » . وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه ، مما يقتضى ما تقدم من رويته الحديث الذي أوردناه . ولنفترض على هذا القدر من النماذج المتعلقة بهذه الآية ، وإلا فيسقط يحتاج إلى غير هذا الموضع . وفي الحديث الصحيح : « بيننا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فلما أحلهم فرجة في الحلقة فدخل فيها ، وأما الآخر فجلس وراء الناس ، وأدبر الثالث ذاهبا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ألا أتيتكم غير الثلاثة ، أما الأول فأوى إلى الله فأراه الله ، وأما الثاني فاستحميا فاستحيا الله منه . وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٦) » .

(١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « تقوية الصفوف » ، إسناده ... : ٣٠/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٢٢/٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « تقوية الصفوف » ... : ٣٠/٢ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « تقوية الصفوف » .

(٥) يقال : « رجل من أثناء الناس » : لا يدرى من أي قبيلة هو ؟ وفي الخطوط : « وأثناء » .

(٦) البخارى ، كتاب العلم ، باب « من قد حث يذهب به المجلس » : ٢٦/١ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب « من ألق

هنا فرجة فجلس فيها » ... : ٩٤/٢ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عتيق بن زياد ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخل لرجل أن يفارق بين اثنين إلا باذنهما » (١) ورواه أبو حنيفة والترمذي ، من حديث أسامة بن زيد اللبني ، به . وحسنه الترمذي (٢) .

وقد روى عن ابن عباس ، والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى : (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) ، يعني : في مجالس الحرب (٣) ، قالوا : ومعنى قوله : (وإذا قيل : انتشروا فانتشروا) ، أي : انهضوا لقتال .

وقال قتادة : (وإذا قيل انتشروا فانتشروا) ، أي : إذا دعيت إلى غير فاجيبوا .

وقال مقاتل : إذا دعيت إلى الصلاة فارتضوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا إذا كانوا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته فأرادوا الانصراف ، أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده ، فربما يشق ذلك عليه - عليه السلام - وقد تكون له الحاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا ، كقوله : (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) (٤) .

وقوله : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير) ، أي : لا تغفلوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا قبل ، أو إذا أمر بالخروج فخرج ، أن يكون ذلك نقصاً في حقه ، بل هو رفعة ومزية عند الله ، والله تعالى لا يفسح ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ، وتكسر ذكره . ولهذا قال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله [بما تعملون خبير]) ، أي : خير من يستحق ذلك ومن لا يستحقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي العليل حاصر بن والله . أن قال ابن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة ، فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبيزى قال : [وما ابن أبيزى ؟ قال (٥)] : رجل من موالي . فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض . فقال عمر رضي الله عنه : أما إن نيكهم صلى الله عليه وسلم قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢١٣/٢ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : في الرجل يجلس بين الرجلين فيغير بينهما . ومجلة الأسوس : أبريل ١٩٨٤ ، باب : ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين فيغير بينهما ، الحديث ٢٩٠٠ ، ٢٨/٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٣/٢٨ .

(٤) سورة لقدر : آية ٢٨ .

(٥) ما بين القوسين من المسند .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٥/١ .

وهكلا رواه مسلم من غير وجه ، عن الزهري ، به (١) : وَرَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : وَقَدْ ذَكَرْتُ فُضْلَ الْعِلْمِ وَأَمَلَهُ وَمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ مُسْتَضَاءَةً فِي شَرْحِ « كِتَابِ الْعِلْمِ » مِنْ صَحِيحِ الْبَيْهَقِيِّ ، وَفِي الْحَمْدِ وَاللَّحْزَةِ .

يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقُلُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَلَافَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقُولُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَلَافَةً فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي : يسأله فيما بينه وبينه ، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتركيه وتزله لأن يصلح لهذا المقام ، ولعلنا قال : (ذلك خير لكم وأطهر) . ثم قال : (فإن لم تجدوا) ، أي : لا من حيز من ذلك لنقله (فإن الله غفور رحيم) ، لما أمر بها إلا من قدر عليها .

ثم قال : (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقُولُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَلَافَةً) ، أي : أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ، (فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) ، فاقموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ، والله خير مما تعملون) ، فنسخ وجوب ذلك عنهم .

وقد قيل : إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد قال : نجا من مناجاة النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى تصدقوا ، فلما نجاه إلا علي بن أبي طالب ، قدم ديناراً صدقة تصدق به ، ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن عشر خصال ، ثم أنزلت الرخصة (٢) .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال علي رضي الله عنه : آية في كتاب الله - عز وجل - لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان عندى دينار ضربه بعشرة دراهم ، فكنت إذا ناجيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصدقت به ، فسقط ولم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) ... الآية .

(١) مسلم ، كتاب صلاة المسقرين ، باب : قبل من يقوم بالقرآن ويصله ... : ٢٠١/٢ - ٢٠٢ .

(٢) تفسير البهقي : ١٤/٢٨ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن الميرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن علي بن علقمة الأنمري ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ماترى ؟ » دينار ؟ قال : لا يلقىون . قال : « نصف دينار ؟ » قال : لا يلقىون . قال : « ماترى ؟ » قال : شميرة . فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إنك زهيد » . قال : قال علي : في تخفت الله عن هذه الأمة . وقوله : (إذا ناجيت الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، فترأت : (أشفقت أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) (٢) .

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع ، عن يحيى بن آدم ، عن حبيب الله الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن عثمان ابن الميرة الضبي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن علي بن علقمة الأنمري ، عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا ناجيت الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ما ترى ، دينار ؟ » قلت : لا يلقىونه . وذكره بإيماء ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه . لم قال : ومعنى قوله « شميرة » : يعني وزن شميرة من ذهب (٣) » .

ورواه أبو يعلى ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيى بن آدم ، به .

وقال الموفى ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا ناجيت الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) (لأن الله غفور رحيم) : كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة ، فلما نزلت الآية سح هذا

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، وذلك أن المسلمين أكثروا للمسالحة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن يديه - عليه السلام - فلما قال ذلك صبر كثير (٤) من الناس وكفوا عن المسالحة ، فأزل الله بعد هذا : (أشفقت أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة ، فاذ لم تقدموا وثاب الله عليكم ، فاقبوا الصلاة وآتوا الزكاة) ، فوسع الله عليهم ولم يضيق (٥) .

وقال حكرمة والحسن البصري في قوله : (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) : نسخها الآية التي بعدها : (أشفقت أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى آخرها .

وقال سعيد ، عن قتادة ومقاتل بن حيان : سأل الناس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أخوه بالمسألة قطعهم (٦) الله بهذه الآية ، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يستطيع أن يقصها حتى يقدم بين يديه صدقة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأزل الله الرخصة بعد ذلك : (فإن لم تبدوا فإن الله غفور رحيم) .

(١) أي : ما ترى في مقدار الصدقة التي تقدم بين يدي النجوى ؟ هل يقدم قبل النجوى دينار ؟

(٢) تفسير الطبري : ١٥/٢٨ .

(٣) تحفة الأشراف : تفسير سورة المائدة ، الحديث ٣٣٥٥ ، ١٩٢/٩ - ١٩٤ .

(٤) في الخطوة : « حين كثرة » والمخيت عن الطبري .

(٥) تفسير الطبري : ١٥/٢٨ .

(٦) في تفسير الطبري : ١٥/٢٨ « فحظهم هذه الآية » .

يُلقون الناس في الدنيا ، لأن من عاش على شيء مات عليه ويستحق عليه ، ويصدقون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس ، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ، ولهذا قال : (ويصيون أنهم على شيء) ، أي : حنفهم ذلك لرأيهم عز وجل ،

ثم قال منكراً عليهم حسابهم : (ألا إنهم هم الكاذبون) ، فأكد الخبر عنهم بالكذب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن فضال ، حدثنا زهير ، عن سيالك بن حرب ، حدثني سعيد بن جبيرة : أن ابن عباس حدثه : أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان في ظل حجرة من حجراته ، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص منهم الظل ، قال : « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بيني وبينه ، فإذا أتاكم فلا تكلموه » . فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه ، فقال : « علام تشتمني أنت وفلان وفلان ؟ » - نفر دعاهم بأسمائهم - قال : فأتاني الرجل فدعاهم ، فحلفوا له واحضروا إليه ، قال : فأنزل الله عز وجل : (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويصيون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) :

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين ، عن سيالك^(١) به . ورواه ابن جرير ، عن محمد بن المني ، عن غندر ، عن شعبة ، عن سيالك . به نحوه^(٢) ، وأخرجه أيضاً من حديث سفيان الثوري ، عن سيالك ، بنحو إسناد جيد ولم يخرجه .

وحال هؤلاء كما أخبر تعالى عن المشركين حيث يقول : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم وشغل عنهم ما كانوا يفترون)^(٣) . ثم قال : (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) ، أي : استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يتذكروا الله - عز وجل - وكذلك يصنع بين استحوذ عليه . ولهذا قال أبو داود :

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زائدة ، حدثنا السائب بن جبيرة ، عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى ، عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « مامن ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فليكن بالجماعة فإذا يأكل اللب القاصية » - قال زائدة : قال السائب : يعني الصلاة في الجماعة^(٤) .

ثم قال تعالى : (أولئك حزب الشيطان) ، يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال : (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

(١) مسند الإمام أحمد : ١/٢٤٠ ، ٢٦٧ ، ٣٥٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧/٢٨ .

(٣) سورة الأكماء ، آية : ٢٣ - ٢٤ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : للتكدي في ترك الجماعة .

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿١٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأُولَئِينَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَإِن لَّيُفِي عَهْدِي
لَأُجِدَ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بَالِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى خبراً عن الكفار المعاندين لله ورسوله ، يعنى : الذين هم في حدٍّ والشرع في حدٍّ أى : مجاليدون
للحق مشافون له ، هم في ناحية والهدى في ناحية ، (أولئك في الأذلين) ، أى : في الأضياف للمعتدين للطرودين من
الصواب ، الأذلين في الدنيا والآخرة .

(كتب الله لأهلين أنا ورسلى) ، أى : قد حكم وكتب في كتابه الأول وقد رآه الذى لا يتخالف ولا يمانع ، ولا يبدل ،
بأن النصر له وكتابه ورسوله وصياده المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأن العاقبة للمتقين ، كما قال تعالى : (إنا لننصر
رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولم القيمة ولم سوء الدار (١)) .
وقال هاتماً (كتب الله لأهلين أنا ورسلى ، إن الله قوى عزيز) ، أى : كتب القوى العزيز أنه الثالب لأعدائه . وهذا قدر
حكم وأمر مبرم ، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو عشيرتهم) ، أى لا يوادون المعاندين ولو كانوا من الأقربين ، كما قال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون
للمؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن يتقوا منهم فقاتلوا ، وعلمكم الله نفسه (٢)) . . الآية . وقال تعالى :
(قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقربا تموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدي القوم المفسقين (٣)) .

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي
عبيدة حامر بن عبد الله بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . ولعلنا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جعل الأمر
شورى بعده في أولئك الستة رضى الله عنهم : « ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته (٤) » .

وقيل في قوله : (ولو كانوا آباءهم) : نزلت في أبي عبيدة ، قتل أباه يوم بدر . (أو أبناءهم) : في الصديق ، هم
يوثمد بقتل ابنه عبد الرحمن ، (أو إخوانهم) : في مصعب بن عمير ، قتل أخاه صيد (هـ) بن عمير يوثمد . (أو عشيرتهم) :
في عمر ، قتل قريباً له يوثمد أبشراً ، وفي حمزة وعطية وحبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والبريد بن عتبة يوثمد ، والله أعلم .

(١) سورة طه ، آية : ٥١ - ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٢٤ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد : ٣٠٠/١٢٢ ، وأسد الغابة : ١٧٨/٢١ .

(هـ) كذا ، ولم نجده فيها أتبع لنا من كتب السيرة والأنساب .

قلت : ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين في أسارى بدر ، فأشار الصديق بأن يقاتلوا ، فيكون ما يريد منهم قوة للمسلمين ، وهم بنو اليم والعشيرة ، ولعل الله أن يهديهم . وقال عمر : لا أرى ما رأى يارسول الله ، هل تمكني من فلان - قريب لعمر - فأقلته ، وتمكن عليا من عقيل ، وتمكن فلانا من فلان ، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين . . . القصص بأكملها .

وقوله : (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) ، أي : من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه ، فهنا من كتب الله في قلبه الإيمان ، أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصره .

قال السلي : (كتب في قلوبهم الإيمان) : سجل في قلوبهم الإيمان .

وقال ابن عباس : (وأيدهم بروح منه) ، أي : قواهم .

وقوله : (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه) : كل هذا تقدم

لتفسيره غير مرة .

وفي قوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) : سر بديع ، وهو أنه لما مسخطوا على القرباب والمثارب في الله عوضهم الله بالرضا عنهم ، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من التيمم المقيم ، والقرور العظيم ، والفضل العميم .

وقوله : (أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون) ، أي : هؤلاء حزب الله ، أي : حاد الله وأهل كرامته .

وقوله : (ألا إن حزب الله هم المفلحون) : تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة ، في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان . ثم قال : (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطي ، حدثنا الفضل بن مخينة ، عن وجيل قد سباه - يقال : هو عبد الحميد بن سليمان ، انقطع من كتابي - عن النبال^(١) بن حباد قال : كتب أبو حازم الأهرج إلى الزهري : أعلم أن الجاه جاهان ، جاء بجزيرة الله على أيدي أوليائه لأوليائه . ولهم الخامل ذكرهم ، الخفية شخصوهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب الأخفياء^(٢) الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتكسروا^(٣) » ، وإذا حضروا لم يذخروا^(٤) » ، قلوبهم مصابيح ملهى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة^(٥) » . فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله : (أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

وقال نعيم بن حنم : حدثنا محمد بن ثور ، عن يونس ، عن الحسن قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اللهم ، لا تجعل لقاحر ولا فاسق عندي بدأ ولا نعمة ، فاني وجدت فيا أوسيت لي : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) - قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخاطب السلطان . ورواه أبو أحمد العسكري .

[آخر تفسير « سورة المجادلة » والله الحمد]

(١) كلما ، ولم تقع لنا ترجمة والنبال بن حباد . هذا .

(٢) الأضياء : جمع ضئ ، وهو المبتذل من الناس ، الذي يفتي طمع مكاته .

(٣) أي : لم يفتت أسد إلى معرفة حاتم ومكاتهم ، ولا ينظر أسد إلى أنهم لحاء أو أمراء .

(٤) أي : إلى المجالس والأمور المهمة .

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب « من ترجى له السلامة من الفتن » ، الحديث ٣٩٨٩ ، ١٣٢٠/٢ ، ١٣٢١ .

(٢) صورة الإعراد آية : ٤٤ =

وكان قد أُرْزِمَ منها على أن لم ما حملت إياهم ، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المتعلقات التي يمكن أن تعمل معهم ولما قال يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا بأولى الأضرار) ، أي : تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله ، وكلب كتابه ، كيف يغل به من بأسه الفزى له في الدنيا ، مع ما ينخره له في الآخرة من الطاب الأليم .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن داود بن مفيان ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي (١) ومن أكان معه بعيد (معه) (٢) الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر : إنكم أكرم أصحابنا ، وإننا نقسم بالله لنقاتله ، أو لنخرجنه (٣) ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله (٤) ابن أبي ومن كان معه من حيلة الأوثان ، اجتمعوا (٥) لقتال النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فذهبهم فقال : « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكونوا به أنفسكم ، تريدون أن نقاتلوا أبناءكم ونساءكم ؟ » فلما سمعوا ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - هزقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش ، فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والخصون ، وإنكم مقاتلون مع أصحابنا أو لنقتلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدم (٦)كم (٦) أنسائكم شيء - وهي الخلائيل - فلما بلغ كتابهم النبي - صلى الله عليه وسلم - اجتمعوا (٧) بنو النضير بالغدير ، فأرسلوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فخرج إليهم ثلاثين رجلا من أصحابك ولخرج منا ثلاثون رجلا ، حتى تلقى بمكان للنصف (٨) فسمعوا منك ، فان صدقوك وآمنوا بك آمنّا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكتاب (٩) فحصرهم ، فقال لهم : (إنكم - والله لا تأمنوا عسى إلا يهدى تاهدوني عليه . فأبوا أن يعطوه عهدا ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتاب ، وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يهادنوه ، فهادنوه ، فانصرف عنهم . وغدا إلى بني النضير بالكتاب فقاتلهم ، حتى ثلوا على الجلاء . فجلبت بنو النضير ، واحتملوا ما أثقلت الإبل من أمتهن وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان يحل بني النضير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، أعطاه الله إياها وخصه بها ، فقال : (وما ألاء الله على رسول منه لما أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب) - يقول بنبر قتال - فأعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثرها للمهاجرين ، قسمها بينهم ، وقسم منها لرجلين من الأنصار وكأنا ذوى حاجة ، ولم يقسم من الأنصار غيرهما ، وبقي منها صلوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي في أيدي بني لاطمة (١٠) .

(١) في المخطوطة : « إلى ابن أم ربه » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٢) ما بين القوسين عن سنن أبي داود .

(٣) في المخطوطة : « لنخرجنكم » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٤) في المخطوطة : « بلغ ذلك ربه » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٥) في المخطوطة : « أحلوا قتال » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٦) الخدم - يفتح الخاء والذال - واسم : غمة ، وهي الخلائيل .

(٧) في المخطوطة : « أيقنت بنو النضير » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٨) المصنف : الموضع الوسط بين المؤمنين .

(٩) ما بين القوسين عن سنن أبي داود .

(١٠) سنن أبي داود ، كتاب المراج والإمارة ، باب « في حجر بني النضير » .

ولذلك ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار ، وبالله المستعان ،

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير : أنه لما قُتل أصحابُ بدر معونة ، من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانوا سبعين ، وأُلفت منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق رجلاً إلى المدينة - قتل رجلين من بني عامر ، وكان معهما عهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولما لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لقد قُتل رجلين ، لأديتهما » . وكان بين بني النضير وبين عامر حلف وعهد ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر للمدينة على أميال منها شرقيها .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة : ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عقد لها ، لما حدثني يزيد بن رمان ، وكان بين بني النضير وبين عامر عهد وحلف . فلما أتاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا : نعم ، بأبأ القاسم ، نبتك على ما أحببت ، عما استمتت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض قالوا : إنكم لن تجهلوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - حسن رجل يطو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيرجمنا منه ؟ فالتفت للذئب عمرو بن جحاش بن كعبه أصدبهم ، فقال : أنا لك ، فصعد ليلى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وحلى رضى الله عنهم . فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج رجلاً إلى المدينة ، فلما استلبت النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه قاموا في طلبه ، فلحقوا رجلاً قتيلاً من المدينة ، فسأله عنه ، فقال : رأيته داخل المدينة . فأتى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتهوا إليه ، فأنسبهم الخبر بما كانت يهود أرادته من الفتن به ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتهيؤ لجرهم والمسير إليهم . ثم صار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع التخل والتحصين فيها . فتأخروا : أن يأخذ ، قد كنت تنهى من الفساد وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع التخل وتحريقها ؟ .

وقد كان رطل من بني حوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي سلول ، ووديعه ، ومالك بن أبي قحط ، وسويد وحاص ، قد بعثوا إلى بني النضير : أن البعير وتسحقوا لإثبات نسلكم ، إن قولتم قاتلتنا معكم ، وإن أخرجتم خرجتكم منكم فربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقلع الله في قلوبهم الرعب ، فسألو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخلصهم ويكف عن حياتهم ، على أن لم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، فضل ، فأحصلوا من أموالهم ما استطلعت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته من نجاف (١) بابه ، فيضمه على ظهر بيته فينطلق به . فخرجوا إلى الخبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وشكروا الأموال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت لرسول الله خاصة يفسحها حيث يشاء ، قسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف وأباً دجانة سمعاك بن خزيمة ذكرا قرا ، فأعطاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

(١) في المخطوطة : « إنجاف » ، « إنجاف » - بوزن كافي - : الدية التي يأخذها أهل البادية ، انظر سير ابن هشام وتفسير الطبري ٢٨١/٢١٢ .

قال : ولم يسلم من بني النضير إلا رجلا : يامين بن عَمِير ^(١) بن كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب أسلموا على أموالهم فحرزها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ليامين : « لم تر ما نقبئ من ابن عمك ، وما هم به من شائي » . فجعل يامين بن عَمِير لرجل جليل على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله فبا يزعمون قال ابن إسحاق : وتول في بني النضير سورة الحشر بأسرها ^(٢) .

وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، بنحو ما تقدم .

ف قوله : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) ، يعني بني النضير ، (من ديارهم لأول الحشر) . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من شك في أن أرض الحشر هاهنا - يعني الشام فكذلك ههنا الآية : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) ، قال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرجوا » . قالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض الحشر » .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن حوف ، عن الحسن قال : لا أجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النضير ، قال : « هذا أول الحشر ، وأنا على الأمر » .

ودرواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن أبي حدي ، عن حوف ، عن الحسن ، به ^(٣) .

وقوله : (ما ظنتم أن يخرجوا) أي : في مدة حصاركم لم وقصرتها ، وكانت ستة أيام ، مع شدة حصونهم ومنعتها . ولهذا قال : (وظنوا أنهم ما منهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحسبوا) ، أي : جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ، كما قال في الآية الأخرى : (قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد ، فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) ^(٤) .

وقوله : (وقلوب في ظلمهم الرعية) ، أي : الخوف والمطلع والبرج ، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم الذي قصير بالريحية مسيرة شهر ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك ، وهو نقص ما استحسنته من متروكهم وأبياتهم ، وتحتملها على الإيثار . وكلما قال عروة بن الزبير ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد ،

(١) في المخطوطة : بن عمرو . والمثبت عن سيرة ابن هشام ، وأسد الغابة لابن الأثير ، ترجمة يامين بن يامين ١٥٨٩/٤ ، والاستيعاب لأبي عمر : ١٥٨٩/٤ .
(٢) سيرة ابن هشام : ١٩٠/٢ - ١٩٢ .
(٣) تفسير الطبري : ٢٨/٢٠ .
(٤) سورة النمل : آية ٢٩ .

وقال مقاتل بن حيان : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقاتلهم ، فإذا ظهر على دَرَبٍ أو دار ، هدم حيطانها ليسع المكان للقتال . وكان اليهود إذا عكروا مكاناً أو غلبوا على دَرَبٍ أو دار ، نقبوا من أديارها ثم حصنوها وحزبوها (١) ، يقول الله تعالى : (فَاصْبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) .

وقوله : (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَلَّهُمْ فِي الدُّنْيَا) ، أي : لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء ، وهو الخي من ديارهم وأموالهم ، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ، ونحو ذلك ، قاله الزمري ، عن عروة ، والسدي وابن زيد ، لأن الله قد كتب عليهم أنه سيطلبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح - كاتب الليث - حدثني الليث ، عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير قال : لم كانت وقعة بين النضير ، وهم طائفة من اليهود ، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر . وكان مترهم بناحية من المدينة ، فحاصروهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نزلوا على الجلاء ، وأن لهم ما أفتت (٢) الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقية ، وهي السلاح ، فلجأهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الجلاء ، وقال : والجلاد أنه كتب عليهم في آي من التوراة ، وكانوا من سبط لم يصيهم الجلاء قبل ما سبط عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأئزله الله فيهم : (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) ، إلى قوله : (وليخزي الفاسقين) . وقال حكيمه : الجلاء : القتل . وفي رواية عنه : القناء .

وقال قتادة : الجلاء : خروج الناس من البلد إلى البلد .

وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام ، وأعطى كل ثلاثة بيراً وسقاء ، فهذا الجلاء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي ، حدثنا محمد بن سعيد العمري ، حدثني أبي ، عن حمى ، حدثني أبي عن جدي ، عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصروهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحرقن لهم دماهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بيراً وسقاء ، والجلاء يخرجهم من أرضهم إلى أرض أخرى (٣) ، وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزمري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني النضير ، وأمره أن يخرجهم من الجلاء ثلاث ليال .

وقوله : (ولم في الآخرة عذاب النار) ، أي : حتم لازم لا بد لهم منه .

وقوله : (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) ، أي : إنما فعل الله بهم ذلك وسخط عليهم رسوله وعباده المؤمنين ، لأنهم شاقوا الله ورسوله ، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتعلمين في البشارة بحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أنهم ، ثم قال : (ومن يشاق الله فلن يشد العقاب) .

(١) في الخطوط : « وديروها » . والمثبت من القدر المتصور ، والليجات السابقة . ولعل من « وديروها » : جعلوا لها دورها ، وهي الطرق .

(٢) أي : حلت .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ، انظر القدر المتصور : ١٩١٢٦ .

وقوله تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ؛ وليخزي القاسقين) ، الذين : نوع من الجن ، وهو جيد .

قال أبو حنيفة : وهو ما خلفه العجوة والبرقي من الجن (١) .

وقال كثيرون من المفسرين : اللينة : ألوان الجن سوى العجوة .

قال ابن جرير : هو جميع النخل (٢) ، ونقله عن جاهد : وهو البؤرة (٣) أيضاً ؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا حاصرهم أمر يقطع نخيلهم إهانة لهم ، ولزهاياً ولزهاياً قلوبهم . فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، وقادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : (فبما بنو النضير) (٤) يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تنهى عن الفساد ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأئذن الله هذه الآية الكريمة ، أي : ما قطعتم وما تركتم من الأشجار فلا جميع بإذن الله ومشيتته وقدره ورضاه ، وفيه نكاية العدو ، وبغى لهم ، ولزهاياً لأتوبهم .

وقال جاهد : أي بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مقام للمسلمين . فنزل القرآن بتصديق من نهي عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإثنا قطعه وتركه بإذنه .

وقد روى عنهما مرفوعاً : فقال السائي : أخبرنا الحسن بن محمد ، عن صفان ، حدثنا حفص بن شيث ، حدثنا حبيب بن أبي حمزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي القاسقين) ، قال : يستزولونهم من حصونهم وأمرؤا يقطع النخل ، فذاك في أصولهم ، فقال سلمون قطعنا بعضها وتركنا بعضها ، فلنأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : حل لنا فيما قطعنا من أجز ؟ وهل علينا فيما تركنا من زور ؟ فأئذن الله : (ما قطعتم من لينة) .

وقال الحافظ أبو جلي في مسنده : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن جابر - وعن أبي جابر ، عن جابر - قال : ونهى لهم في قطع النخل ، ثم شدد عليهم ، فأثروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، علينا إثم فيما قطعنا ؟ أو علينا زور فيما تركنا ؟ فأئذن الله عز وجل : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن حبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قطع نخل بني النضير وحرق (٥) .

(١) لفظ أبي حنيفة كان في جهاز القرآن ٢/٢٥٦ : (ما قطعتم من لينة) ، أي : من نخلة ، ومن ألوان النخل ما لم تكن العجوة أو البرقي ، إلا أن الروا حديث لكثرة اللام .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨/٢٢ ، ولكن الطبري قال بعد ذلك ٢٨/٢٢ : والصواب من القول في ذلك قولنا من قال : اللينة : النخلة ، وهي من ألوان النخل ما لم تكن عجوة .

(٣) البؤرة : موضع كان به نخيلهم .

(٤) ما بين القوسين مكانه بيان في الأصل . وفي الطبقات السابقة : (فبما بنو قريظة) ، ولا شك أنه مصحف . انظر

لتفسير الطبري : ٢٨/٢٢ .

(٥) منه الإمام أحمد : ٧٤٢ - ٨ .

وأخرج صاحب الصحيح من رواية موسى بن عقبة ، بنحوه ، ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : حاربت التفسير وقرظته ، فجلل بين التفسير وأثر قرظته ومن عليهم حتى حاربت قرظته فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم أحسوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأمنهم وأسلموا ، وأجلل يهود المدينة كلهم بين قيتاغ ، وهم رطل عبد الله بن سلام ، ويهود بين حارة ، وكل يهود بالمدينة (١) .

ولهذا أبشأ عن قتية ، عن الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرك نخل بين التفسير ولفظ - وهي البويرة - فأقول الله عز وجل فيه : (ما تعلم من لينة أو تركوها قائمة على أصولها ، فإذن الله ، وليخزي الفاسقين) (٢) .

وللبخاري - رحمه الله - من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن [عبد الله بن عمر] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرق نخل بين التفسير (٣) ولما يقول حساد بن ثابت [رضي الله عنه :
وَمَكَانٌ عَلَى سَرَاةٍ بَيْنَ لُؤَيٍّ حَرَّقَ بِالْبُيُوتَةِ مُسْتَقَرًّا (٤)

فأجابه أبو سميان بن الحارث يقول :

أَدَّكَمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَدِيقٍ وَحَرَّقَ فِي تَوَكُّعِهَا السَّعِيرِ
مَسْتَقَلِمٌ أَيْضًا مِنْهَا بِخَوْفِهِ (٥) وَتَعَلَّمُ أَيْ لَوْضِعًا تَفْسِيرُ (٦)
كما رواه البخاري ، ولم يذكره ابن إسحاق (٧) .

وقال عماد بن إسحاق : وقال كعب بن مالك بلكر إجلاله بين التفسير وقتل ابن الأشرف :
لَكَ تَحَرَّيْتُ بِهَذَا رُكْنِهَا الْحَبِيبُ (٨) كَذَلِكَ الْكَلْبُ فَوْ صَرْفٌ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَظِيمُ لَمَرُهُ لَمَرٌ كَثِيرُ
وَقَدْ لُوتُوا مِمَّا فَهَمُوا وَعَلِمُوا وَجَعَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ التَّكْبِيرُ
تَكْبِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَآيَاتٍ مُبَيَّنَّةٍ تَشِيرُ
فَكَالَ : مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صَدِيقٍ وَأَنْتَ بَعَثَكَ مِمَّا جَعَلَهُ

- (١) البخاري ، كتاب المقاتل ، باب « حديث بين التفسير » : ١١٢/٥ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها » : ١٥٥/٥ .
- (٢) البخاري ومسلم في الكتاب والباب المتكلمين ، انظر مسلم : ١٤٥/٥ ، والبخاري : ١١٢/٥ .
- (٣) في المصطلح : « نخل بين التفسير » وضع البويرة . وقوله : « وضع البويرة » غير ثابت في البخاري ، ويبدو أنه صواب من الناسخ ، وأنه أخذه من الرواية السابقة قبل طبعه .
- (٤) البيت في ديوان حساد ، طبع بيروت : ١١٠ . وسيرة ابن هشام .
- (٥) التزم - بنفسي فكون - : الله .
- (٦) البخاري ، كتاب المقاتل ، باب « حديث بين التفسير » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١١٢/٥ .
- (٧) الأبيات في سيرة ابن هشام : ٢٧٢/٢ .
- (٨) المحمود : جمع حجر ، وهو العالم ، أرادهم عليه اليهود .

فَكَانَ : يَكْل ، لَقَدْ أُدِيتَ حَقًّا
 فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يَهْدَ لِكُلِّ رُكْبَةٍ
 فَلَمَّا أَهْرَبُوا خَذَرًا وَكُفْرًا
 لَوَّى اللَّهُ إِلَيْهِ يَرْوِي صَدَقَ
 فَلَبَّدَهُ وَسَلَطَهُ عَلَيْهِمْ
 فَنَفَعُوهُ مِنْهُمْ كَتَبَ صَرِيحًا
 عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ وَقَدْ عَقَّبَهُ
 بِأَمْرٍ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا
 فَسَاكِرَهُ فَأَنزَلَهُ بِمَكْرٍ
 فَتَلَّكَ يَتَوَّ الشَّعِيرَ بِأَمْرٍ سَوَّ
 فَكَانَ أَهْلُهُمْ فِي الرَّحْمَنِ هَيَّا (٢)
 وَفَسَّانَ الْعَمَلُ مُوَاوِزُهُ
 فَكَانَ السَّكْمَ وَبَعَثَهُ قَبْعَبَا
 فَكَانَ أَهْلُ غَيْبٍ لَمْ يَمَلَا (٥)
 وَلَجَلُوا عَامِلِينَ لَقَيْنَ كَفَّاحَ

يَصْدَقُ بِهِ الْقَوْمَ الْخَبِيرُ
 وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يَجُزْ الْكَفُورُ
 وَجَدَ بِهِمْ مِنَ الْحَقِّ التَّقْوَى
 وَكَانَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا يَجُورُ
 وَكَانَ تَصْيِرُهُ نَعْمَ التَّصْيِرُ
 فَكَانَتْ بِدَايَةِ مَعْرَعَةِ الشَّعِيرِ
 بِأَيْلَيْنَا مُشْفَرَّةً ذُكُورُ (١)
 إِلَى كَتَبَ لَنَا كَتَبَ يَسِيرُ
 وَمَعْمُودُ لَعْنُ لَقَدْ جَسُورُ
 لِيَكُونَهُمْ بِمَا أَهْرَبُوا (٢) الشَّعِيرُ
 رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ بِهِمْ (٤) يَصِيرُ
 عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرُ
 وَكَانَتْ أَمْرُهُمْ كَتَبَ وَزُورُ
 لِكُلِّ تَلَاكَا مِنْهُمْ بِعَمِيرٍ
 وَهُوَ وَمِنْهُمْ لَتَحُلْ يَذُورُ (٦)

قال : وكان لما قيل من الأضمار في بني النضير قول ابن لَكَيْم النَبَسِي - ويقال : قالنا قيس بن بحر بن طريف ،
 قال ابن هشام : الأجهبي - :

أهل هذه لأمري غير هالك أهل اليهود بالحبسي (٧) الكزيم

- (١) مشهورة ذكور : صوف مسلوطة من أهلها ، وذكور : جمع ذكر - بنصحين - : وهو أقوى الصلابة .
 (٢) أي : اكتسبوا .
 (٣) يقال : « جاءت الخيل والإبل رهوا » : أي ساقطة ، وقيل : محتاجة .
 (٤) في المضطربة : وهو لم نصير . والمثبت من سيرة ابن هشام .
 (٥) كلما في مضطربة الأضمر : « دجلا » ، وفي سيرة ابن هشام : « وبلا » ، بالواو . والبدال - بفتح الدال - كما يقول
 ابن الأعرابي - : « التلجيات » وعليه في « دبال » مناسبة إسماعيل .
 (٦) سيرة ابن هشام : ١٩٩/٢ - ٢٠٠ .
 (٧) قال السهيلي في القروض ١٧٧/٢ : « يريد أسلمهم بأرض غربة وفي غير حشائهم . والزلزم والمزئم : الرجل
 ويكون في القوم وليس منهم ، أي : أنزلهم بمنزلة الحبس ، أي : المجد الطريد . وإنما جعل الطريد للدليل حسبا ، لأنه حرشة الأكل .
 والحسي والحسو : ما يحسى من الطعام حسوا ، أي : أنه لا يمتنع حل أكل . ويجوز أن يريد بالحسي من القوم ، وهو
 الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرمي ... وقد أكثرت التثنية عن (الحسي) في معناه من القوم ، فلم أجده نساء شاكيا أكثر من قول
 ابن حل : الحسية والحسي : ما يحسى من الطعام ، ولذا قد وجدنا القوم واحد ظاهرا والقوم : فالحسي في معناه غير متعني أن يقال ،
 والله أعلم .
 والمزئم أيضا : « صناد الإبل » .

يَقِيلُونَ فِي جَهَنَّمَ الْقَصَاةَ (١) أَوْدَلُوا
 فَإِنْ يَكُ ظَنِّي حَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
 يَوْمَ مَا عَمِدُوا بِبُهْتَانٍ، إِنَّهُمْ
 عَلَيْنَ أَطْلَالٍ مُسَاعِرٍ (٢) ابْنِ الرَّغِي
 وَكُلُّ رَقِيقٍ الشَّغْرَتَيْنِ مُهْتَدٍ
 قَتَنَ مَبْلَغَ حَتَّى قُرَيْشًا رَسُولًا
 بَانَ أَنْطَاكُم فَاغْلَبَكُمُ مُحَمَّدًا
 قَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمُ أُمُورِكُمْ
 نَبِي ثَلَاثَةَ (٧) مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً
 فَقَدْ كَانَ قِيْدُ لَحْمِي مَرِيَّةً
 عَذَابُ أَتَى فِي الْخَزْرَجِيَّةِ حَابِلًا
 مُعَانَا بِرُوحِ الْهَدْمِ يَنْتَكِي (٨) عَدُوهُ
 رَسُولًا مِنْ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ كِتَابَهُ
 أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
 أَهْيَبُ (٣) عُرْدَابِ الرَّغِي لَكُمُ
 يَوْمًا عَجَلَةً بَيْنَ الصَّلَاةِ وَيَوْمَ
 عَدُوٍّ، وَاصْبِرْ صَدِيقَ كَسْبِكُمْ
 يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوُضُوحِ (٤) لِلْقَوْمِ
 تَوَوَّدُونَ مِنْ أَرْزَامٍ حَادٍ وَجَرَاهُمْ
 فَهَلْ يَبْدُوهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكْرِمٍ
 تَكِيدُ الْإِنْدَى بَيْنَ الْحُجُودِ وَزَمْرٍ
 وَتَسْمُو مِنْ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُعْظَمٍ
 وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ حَيْبٍ مُرْجَمٍ
 لَكُمْ يَأْقُرِيضُ وَالْقَلْبِ لِلتَّسَمِ
 إِلَيْكُمْ مُعْلِيًا لِعَظِيمِ الْكَرَمِ
 رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْنَى (٩)
 فَلَمَّا أَتَاهُ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَكَّمْ
 عُلُوًّا لِأَمْرِ حَمَّةَ (١٠) اللَّهُ مُخْتَمٌ (١١)

وقد أورد ابن إسحاق - رحمه الله - ما هنا أشعاراً كثيرة ، فيها آداب ومواعظ وحكم ، وتفصيل القصة ، تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه ، والله الحمد ولله .

قال ابن إسحاق : كانت وقعة بني النضير [بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة . وحكى البخاري ، عن الزهري ، عن هروة أنه قال : كانت وقعة بني النضير] بعد بئر معونة أشهر (١٢) .

(١) القصاة : واحدة أنقى ، وهو شجر .

(٢) كلما في المخطوطة : « عودا » ، وفي سيرة ابن هشام : « عودى » . وقال أبو ذؤناب في شرح السيرة : « عودى » .

اسم موضع .

(٣) الردي : صغار النخل . والمكرم : الذي خرج ظله .

(٤) الصلا ويومرم : موضعان .

(٥) المساعير : الذين يسعون الحرب ويثيرونها .

(٦) الرضيع : الرضيع .

(٧) أي : تداركه .

(٨) نكبي عدوه : أصابته .

(٩) العلم : الموضع المرتفع المشرف .

(١٠) أي : قدده .

(١١) سيرة ابن هشام : ١٩٥/٢ - ١٩٦ .

(١٢) البخاري ، كتاب المغازی ، باب : « حديث بني النضير » ، وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم في دية

وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَبَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَمَا أَشْكُرُ الرَّسُولَ فَعْدُوهُ وَمَا نُنْكِرُهُ
فَاتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ميتا مال الزهراء، وما صفته؟ وما حكمه؟ قاله: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاب خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها عالم يُوجِف للمسلمون عليه خيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالحة، بل تترك أولئك من الرعب الذي أتى الله في قلوبهم من هبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقامه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما شاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله - عز وجل - في هذه الآيات، قال: (وما آفاء الله على رسوله منهم)، أي: من بني النضير، (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب)، يعني: الإبل، (ولكن الله يسلب رسوله على من يشاء، والله على كل شيء قدير)، أي: هو قدير لا يُغالب ولا يُضامع، بل هو القاهر لكل شيء.

ثم قال: (ما آفاء الله على رسوله من أهل القرى)، أي: جميع البلدان التي تفتتح هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير. ولما قال: (فله وللرسول ولذلي القربى واليتامى والمساكين)، إلى آخرها والتي يندعها، فهذه مصادف أموال التي ووجوه.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو وميمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحديكان، عن حمير - رضي الله عنه - قال: كانت أموال بني النضير مما آفاه الله على رسوله مما لم يوجف للمسلمون عليه خيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالصة، فكان يفتق على أهله منها نفقة ستة - وقال مرة: قوت ستة - وما بقي جمعه في الكرم والسلاح في سبيل الله عز وجل (١).

هكذا أخرجه أحمد هاهنا مختصرا، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم - إلا ابن ماجه - من حديث سفيان، عن عمرو ابن دينار، عن الزهري، به (٢). وقد رويناها مطولا فقال أبو داود رحمه الله:

(١) مسند الإمام أحمد: ٢٥/١، ٤٨.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد، المين ومن يقتلهم يقرض صاحبه: ٤٦/٤. ومسلم، كتاب الجهاد، باب: حكم القرية: ١٥١/٥. والسنن، كتاب قسم القرية: ١٣٢/٧. وتلحة الأحرف، أبواب الجهاد، باب: ما جاء في القرية، الحديث ١٧٧٣: ٢٨١/٥ - ٢٨٢. وسنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة، باب: في صلحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأموال: ٥.

حدثنا الحسن بن علي وعبد بن يحيى بن فارس - اللحي واحد - قالا : حدثنا بشر بن عمار الجهماني ، حدثني مالك بن انس ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس قال : أرسل إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين تعالى النهار ، فبحثه فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى وماله (١) ، فقال حين دخلت عليه : يا مال ، إنه قد دنت (٢) أهل أبيات من قومك ، وقد أمرت فيهم بشيء ، فاقسم فيهم . قلت : لو أمرت غيري بذلك ؟ فقال : عله . فجاءه يرفا (٣) فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ؟ فقال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاءه يرفا فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في العباس وعلى ؟ قال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، فقال العباس : يا أمير المؤمنين ، انقض بني وبين هدا - يعني عليا - فقال بعضهم : أجل يا أمير المؤمنين ، انقض بينهما ولزحهما . قال مالك بن أوس : نخيل إلى أنهما قد ما أولئك النضر للبك . فقال عمر - رضي الله عنه - : اتنا . ثم أتبل على أولئك الرط قال : أنشدكم بالله الذي يذنه قوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث » ما تركنا صدقة . قالوا : نعم . ثم أقبل على علي والعباس قال : أنشدكم بالله الذي يذنه قوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا نورث » ما تركنا صدقة . قال : فإن الله يحسن رسوله خاصة لم يحسن بها أحدا من الناس ، فقال : (وما أراه الله على رسوله منهم ، فما أوجمت عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير) ، فكان الله آياه على رسوله أموال بني النضير ، فوفقه ما استأثر بها عليكم ولا لحزمها دونكم (٤) ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها ثقتة سنة - أو : ثقتة وثقتة أمله سنة - ويجعل ما بين لسوة (٥) المال : ثم أقبل على أولئك الرط قال : أنشدكم بالله الذي يذنه قوم السماء والأرض : هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل على علي والعباس قال : أنشدكم بالله الذي يذنه قوم السماء والأرض : هل تعلمون ذلك ؟ قالا : نعم . فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو بكر : « أنا ولي رسول الله » ، فبحثت أنت وهذا إلى أبي بكر ، تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . والله يعلم إنه لصديق بار ولقد تابع الحق . فولينا أبو بكر ، فلما توفى قلت : أنا وكبير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولي أبي بكر ، فقلينا ما شاء الله أن أليها ، فبحثت أنت وهذا ، وأنتا جميع وأمركما واحد ، فاستأثرتما ، قلت : إن شيئا فأتا أحدهما إليك على أن عليكما عهد الله أن تلياما بالذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يليها ، فأخذتاهما مني على ذلك ، ثم جئنا لأقضي بينكما بين ذلك . والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن حجتكم عنها فردناها إلى »

(١) أي : موصلا جسده إلى رماه . ورواه السير . ما ينج في وجهه بالاحت .

(٢) أي : جاءوا سرحين .

(٣) يرفا : غلام لرسول الله عنه .

(٤) كلما في الضاربة : وفي سنن أبي داود وسلم : « ولا أعلمها » .

(٥) أي : بحيث لا يفرده الله .

(٦) سنن أبي داود : كتاب التراج والإدارة ، باب : في صفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأحوال .

أخرجوه من حديث الزهري (١) به . وقال الإمام أحمد :

حدثنا حارم وعفان قالا : حدثنا معمر : سمعت أبي يقول : حدثنا أنس بن مالك ، عن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أن الرجل كان يتجمل له من ماله التخللات ، أو كما شاء الله ، حتى فتحت عليه قريظة والتضبير . قال : فجعل يرد بعد ذلك ، قال : وإن أهل أروى أن آتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما له الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قد أعطاه أم أيمن ، أو كما شاء الله ، قال : فسألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعطانيهن ، فجادت أم أيمن فجعلت الثوب في عنق وجعلت تقول : كلا ، والله الذي لا إله إلا هو لا يطعنيهن . وقد أعطانيهن ، أو كما قالت ، فقال نبي الله : لك كلنا وكلنا . قال : وتقول : كلا ، والله . قال : ويقول : لك كلنا وكلنا . قال : وتقول : كلا والله . قال : ولك كلنا وكلنا . قال : حتى أعطاهما ، حسب أنه قال : عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله ، أو كما قال (٢) .

رواه البخاري ومسلم من طريق عن معمر ، به (٣) .

وهذه للمصارف المذكورة في هذه الآية [هي للمصارف المذكورة في خمس الفتيمة . ولقد قمنا الكلام عليها في سورة الأنفال] بما أغنى عن إعادته هاهنا ، والله الحمد .

وقوله : (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) ، أي : جعلنا هذه المصارف لئلا يبنى مأكلة يتطلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها ، بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء .

وقوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، أي : مهما أكرمكم به فاطفوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن العوفي ، عن يحيى بن الجزار ، عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلنني أنك تنهى عن الواصلة (١) ، أي : شيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى ، شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : والله لقد تصفحت ما بين دفتي الصحف فما وجدت الذي تقول ! قال : فما وجدت فيه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت : بلى . قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -

(١) البخاري ، كتاب الحسب : ٩٦/٤ - ٩٨ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب وحكم الآية : ١٥١/٥ - ١٥٣ . والنسائي ، كتاب قسم الرزق : ١٣٦/٧ - ١٣٧ . وفتح الأوحى ، أبواب السير ، باب ما جاء في تركه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، الحديث ١٦٥٩ : ٢٣٣/٥ - ٢٣٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢١٩/٣ .

(٣) البخاري ، كتاب الحسب ، باب وكيف قسم النبي - صلى الله عليه وسلم - قريظة والتضبير : ١٠٩/٢ . وكتاب المغازي ، باب وحديث بين التضبير وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم في دية الرجلين ... : ١١٢/٥ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب ورد المهاجرين إلى الأنصار مناخهم من القحط والحر ، حين استنزلوا ضيفا بالفتح : ١١٢/٥ . (٤) هي التي توصل شعرها بغير غيرها زورا وكليا .

ينهى عن الإصلة والولاية والثامعة^(١) . قالت : فقله في بعض أملاك : قال : فادخل فانظري : فدخلت ففتقرت [ثم خرجت] ، قالت : ما رأيت بأساً . فقال لها : أما حفظت وصية العيد الصالح : (وما أريد أن أخافكم إلى ما أنهاركم منه)^(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، [عن إبراهيم]^(٣) ، عن علقمة ، عن عبد الله — هو ابن مسعود — قال : لعن الله الواحشات والمستوحشات ، وللتنصبات ، وللتكسجات^(٤) الحسن ، المغيرات خلق الله عز وجل . قال : فيبلغ امرأة في البيت يقال لها « أم يقوب » ، فجاءت إليه فقالت : بلغني أنك قلت كيت وكيت قال : مالي لا ألين من لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كتاب الله : فقالت : إني لأكرأ ما بين لوحيه فإ وجدته . فقال : إن كنت قرأتني فقد وجدتيه : أما قرأت : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت : بلى . قال : فإن النبي — صلى الله عليه وسلم — نهي عنه : قالت : لأظن أملاك يغلونه . قال : انهي فانظري . فللهبست فلم تر من حاجتها شيئاً ، فجاءت فقالت : ما رأيت شيئاً : قال : كانت كذلك لم تُجأكمنا^(٥) .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث سفيان الثوري^(٦) .

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا »^(٧) .

وقال النسائي : أخبرنا أحمد بن سعيد ، حدثنا يزيد ، حدثنا منصور بن حازم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر ، وابن عباس : أنهما شهدا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه نهي عن الدباء والحشمت والتعير والمزقت ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وقوله : (واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب) ، أي : اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره ، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وعالف أمره وأباه ، واركب ما عنه وتجره ونهاه .

(١) هي التي تلف الشعر من وجهها .

(٢) سورة هود : ٨٨ .

(٣) ما بين للتورسين عن المسند ، والبخاري ، ومسلم .

(٤) عن اللقيط يباحث ما بين لكتناها والرياحيات ، بترقيق الأسفل بالبرد .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٣٣/١ - ٤٣٤ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة الحشر : ١٨٤/٦ . ومسلم ، كتاب النبال ، باب « تحريم قتل الرواملة »... .

١١٧ - ١١٦/٦ .

(٧) البخاري ، كتاب الاحصاء ، باب « الاعتكاف » بين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ١١٦/٩ - ١١٧ .

ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب « توقيعه » - صلى الله عليه وسلم - وترك أكثر سؤله مما لا ضرورة إليه ... : ٩١/٧ .

لِقَرَاءَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَنَوَّنَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ^(١) أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^(٢) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجْعَلُونَ مِنْ هَاجِرِ الْيَوْمِ وَلَا يَجْعَلُونَ فِي صَلَاتِهِمْ حَاجَةً يَمُوتُوا وَيُفْرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٣) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ^(٤)

يقول تعالى مبيِّنًا حالَ القراء المستحقين لئالئهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يفتنون فضلا من الله ورضوانا) ، أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ، (وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون) ، أي : هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين .

ثم قال تعالى مادحا للأصبار ، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وحلم حسنهم ، وإيتارهم مع الحاجة ، فقال : (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) ، أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا غلب كثير منهم .

قال عمر : وأوصي الخليفة بعلي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالأنصار هجيرًا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يتقبل من محسنهم ، وأن يصفو عن سيئتهم . رواه البخاري (١) هاتين آيتين .

وقوله (ينجون من هاجر إليهم) ، أي : من كثرتهم وشرف أنفسهم ، ينجون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم قلعتنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بدلا في كثير ، لقد كننونا المكنة (٢) ، وأشركونا في الهبة (٣) ، حتى لقد خشيت أن يلحقوا بالاجر كله ! قال : ولا ، ما أنتيبتم (٤) عليهم ودعوتهم الله لم . . .

لم أره في الكتب من هذا الوجه (٥) .

(١) البخاري ، تفسير سورة الحشر : ١٨٥/٢٦ .

(٢) أي : حصلوا لنا مونة عظيمة في حارة القصور والتبيل وغيرها .

(٣) الهبة : ما يأتيك بلا تعب . والكنى : أشركونا في ثمار خيلهم .

(٤) أي : ما دسمتكم بغير علم بغير ، فإن دسمكم بغير يستلهم إليكم .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٠٠/٢ - ٢٠١ - ٢٠٤ .

(٦) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القليلة ، من طريق حميد ، عن أنس ، بنحوه . انظر نسخة الأحرشي ، الحديث

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال : دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - الأنصار أن يقطع لهم البحرين ، قالوا : لا ، إلا أن نقطع لإخواننا [من المهاجرين مظهره] قال : « إما لا » (١) ، فاصبروا حتى تلقون ، فانه سيصيبكم بعدى (٢) [آفة (٣)] .

تفرد به البخاري من هذا الوجه (٤) .

وقال البخاري : حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شبيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار : اقم بيننا وبين إخواننا الصلح ، قال : لا . قالوا : تكونوا الموتى وتغتركم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا (٥) . تفرد به دون مسلم .

(ولا يجهلون في صلحهم حاجة مما أوتوا) ، أي : ولا يجهلون في أنفسهم حسنا المهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، والمقدم في الذكر والرتبة .

قال الحسن البصري : (ولا يجهلون في صلحهم حاجة) ، يعني الحسد (٦) .

(مما أوتوا) قال قتادة : يعني فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد . وما يستلزم به حل هذا المصنف ما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : كنا جالسين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطفت (٧) لحية من وضوءه ، قد تحلقت عليه يده الشمال فلما كان الند قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى . فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل مثاقفه أيضاً ، فطلع ذلك الرجل حل مثل حاله الأولى . فلما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إن لا حيت (٨) أبغ فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فطعت ، قال : « نعم » قال أنس : فكان عبد الله

(١) هذه الكلمة ، وهي « إما لا » ترد في المانوات كثيراً ، وقد جاءت في غير موضع من الحديث ، وأصلها « وإن » و « ما » و « لا » ، فأخذت التثنية في الميم ، و « ما » : زائدة في اللفظ لا حكم لها . وقد أمالت العرب « لا » إمالة غريبة ، والمضى : « إن لم تفعل هذا فليكن هذا » . والمضى هنا : « إن لم تقبلوا أن نقتلكم فاصبروا ... » .

(٢) ما بين القوسين من البخاري .

(٣) الآفة : الإيثار . والمضى : أنه يستأثر عليكم ، ليفضل فيكم في نصيبه من القية .

(٤) البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار : « اصبروا حتى تلقون حل الحوض » : ٤٢/٥ .

(٥) البخاري ، كتاب المزادة ، باب « وإنا قال : » أكتفى مؤونة التمثل أو غيره وتشرك في اثره : ١٢٦/٢ .

(٦) تفسير البخاري : ٢٨/٢٨ .

(٧) أي : تقطر .

(٨) لا حيت : فازعت .

يحدث أنه يات معه تلك الثلاث ليالٍ ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا تساور^(١) وتقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الصبح . قال عبد الله : غير أني لم أسمعوه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكنت أن أحضر عمله ، قلت : يا عبدالله ، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر^(٢) ، ولكن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لك ثلاث مكره^(٣) : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلعت أنت الثلاث للمرار^(٤) ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فإلهي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما هو إلا ما وأيت . فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما وأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على غير أعطائه الله إياه . قال عبد الله : هذه التي بلغت بك وهي^(٥) التي لا تلقاك^(٥) .

ورواه الترمذي في اليوم والليالي عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، به . وهذا إسناده صحيح على شرط الصحيحين ، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري ، عن رجل ، عن أنس . فالحق أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (ولا يجدون في صلواتهم حاجة مما أوتوا) ، يعني مما أوتوا : المهاجرون ، قال : وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار ، فعاتبهم الله في ذلك ، فقال : (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجزتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير) ، قال : وقال رسول الله : (إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم) . فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو غير ذلك ؟ » . قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكونهم وتقسومهم الثمر » . فقالوا : نعم يا رسول الله^(٦) .

وقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، يعني : حاجة ، أي : يقدمون الحاجب على حاجة أنفسهم ، ويعطون بالأس قلوبهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الصدقة جهد المقل^(٧) » . وهذا المقام أهل من حال اللين وصف الله بقوله : (ويعطون الطعام على حبه^(٨)) . وقوله : (وآتوا المال على حبه^(٩)) ،

(١) في المخطوطة : « تساور قلب » ، دون وار السلف . والمثبت عن المسند ، وتماز : اسقط .

(٢) في المخطوطة : « ولا هجرة » . والمثبت عن المسند .

(٣) في المخطوطة : « مكرات » . والمثبت عن المسند ، ويروى أنها في المخطوطة كذلك ثم أحال النسخ إراء تام . والمراد : جمع مكر .

(٤) في المسند : « وهي التي لا تلقى » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٦٩/٣ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٨/٢٨ .

(٧) سنن أبي حنيفة ، كتاب الوتر ، باب : « في فضل التطوع في البيت » . وأما كتاب الزكاة ، باب : « جهه المقل » .

٥٨/٥ . ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٥٨/٢ . وعن عبد الله بن جثن : ٤١١/٣ - ٤١٢ . وعن أبي ذر :

١٧٨/٥ - ١٧٩ ، ٢٩٥ .

(٨) سورة الإنسان : آية : ٨ .

(٩) سورة البقرة : آية : ١٧٧ .

لأن هؤلاء يصعدون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصامتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه. ومن هذا المقام تصديق الصديق - رضى الله عنه - بجميع ماله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أبقيت لأهلك؟ » قال: أبقيت لكم الله ورسوله (١). وهذا الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثل أسحج ما يكون إلى الماء، فرداه الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، رضى الله عنهم ولأرضاهم.

وقال البخارى: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأصبجى، عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، أوصاني بالجهاد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ألا رجل يُصَيِّفُ هذا الليلة، رحمه الله؟ » فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لأمراته: صَيِّفُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تدخرينه شيئا. فقالت: والله ما عندي إلا ثوبت الصبغة. قال: فإذا أراد الصبغة العسك فوثبهم وتعالى فأطفي السراج وتطوى بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: « قد صبغت الله - عز وجل، أو: ضحك - من فلان وفلانة ». وأنزل الله - عز وجل -: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٢)).

وكذا رواه البخارى في موضع آخر، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق، عن فضيل بن غزوان، به نحوه، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبي طلحة، رضى الله عنه (٣).

وقوله: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)، أى: من سلم من الشح قد أفلح وأنجح،

قال: أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس القراء، عن حبيب (٤) الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستطوا بحارهم (٥) ». انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن القعني، عن داود بن قيس، به (٦).

(١) تحفة الأحرى، أبواب المناتب، باب « منقلب أبي بكر الصديق رضى الله عنه »، الحديث ٣٧٥٧: ١٠/١١١.

(٢) البخارى، تفسير سورة الحشر: ١٨٥/٦.

(٣) البخارى، كتاب منقلب الأنصار، باب: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة): ٤٢/٥ - ٤٢. ومسلم، كتاب الأثرية، باب: « إكرام الصيِّف »: ١٢٧/٦ - ١٢٨. وتحفة الأحرى، تفسير سورة الحشر، الحديث ٣٣٥٩: ٩/١٩٧.

(٤) في المسند: « عبد الله ». والنسواب ما هنا، انظر المرح والفتيل لابن حاتم: ٢/٢٣٣.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٣/٣٢٢.

(٦) مسلم، كتاب القبر، باب « تحريم الظلم »: ١٨/٨.

وقال الأعمش وشعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأكمس ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الله لا يحب الشحش ولا الفضش ، وإياكم والشح » فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالشح فشحوا ، وأمرهم بالفضش ففضشوا .

ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة ، والسنائي من طريق الأعمش ، كلاهما عن عمرو بن مرة ، به (١) .

وقال الليث ، عن يزيد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن صفوان بن أبي يزيد ، عن القشع بن الجلاح (٢) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع خبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا (٣) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حيدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا المسعودي ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن مائل قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني أخاف أن أكون قد هلك ! فقال له عبد الله : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول : (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) ، وأنا رجل شحيح ، لا أكاد أن أخرج من بدي شيئا ! فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكره القرآن الله أكل مال أخيك ظلما ، ولكن ذلك البخل ، وبش الشيء البخل (٤) .

وقال صفيان الثوري ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي لمياع الأسدي قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلا يقول : « اللهم فني شح نفسي » : لا يزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفلح ! وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، ورواه ابن جرير (٥) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن التميمي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا شبيب بن جارية الأنصاري ، عن عمه يزيد بن جارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يرى من الشح من أدى الفكاة وقرى الضيف ، وأحصى في الثانية (٥) .

وقوله : (ولئن جاؤا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) ربنا إنك رؤوف رحيم : هؤلاء هم القوم الثالث ممن يستحق قراؤهم من مال التوبة ، وهم المهاجرون ثم الأنصار ، ثم التابعون بإحسان ، كما قال في آية يرمية : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم)

(١) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « في صلة الرمس » . ومسنن الإمام أحمد : ١٥٩/٢ - ١٦٠ .

(٢) في المخطوطة : « القشع بن الجلاح » . والمثبت عن المسند . والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٣٦/٢/٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق صفوان بن سليم ، عن القشع ، انظر المسند : ٣٤٢/٢ . وانظر المسند أيضا : ٢٥٦/٢ ، ٢٤٠ ، ٤٤١ ، ٥٥٥ . ومخلة الأحرشي ، أبواب فضائل الجهاد ، باب « ما جاء في فضل الجهاد في سبيل الله » .

المخيط : ١٦٨٣ ، ٢٦٠/٥ . وقد أخرجه السنائي من طريق الليث بإسناده مظه . انظر كتاب الجهاد ، باب « فضل من عمل في سبيل الله على نفسه » : ١٢/٧ - ١٤ .

(٤) أخرجه الطبري من طريق جامع ، انظر : ٢٩/٢٨ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٩/٢٨ .

إحسان رضى الله عنهم^(١)، فالتابعون لم بإحسان هم : المتبعون لأحكام الحسنة وأوصافهم الجيدة ، التابعون لم فى السر والعلانية . ولما قال فى هذه الآية الكريمة : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) ، أى : قائلين : (ربنا ، اخضر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا) ، أى : بغضا وحسدا (الذين آمنوا ، ربنا إنك رموف رحيم) . وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية للكريمة : أن الراضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الله أن نصيب لعدم اتصاله بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم : (ربنا ، اخضر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رموف رحيم) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن حيد الرحمن للسرق ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن مهابر عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم ، فسويهم : ثم قرأت هذه الآية : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اخضر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) ٥٥ الآية .

وقال إسماعيل ابن حكيم ، عن عبد الملك بن حبيب ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فسيحهم . سمعت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا تلحق هذه الأمة حتى يلحق آخرها أولها » . ورواه البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن الزهري قال : قال عمر رضى الله عنه : (وما أفتاه الله على رسوله منهم فإا أوجفتم عليه من خيل ولا ركائب) قال الزهري : قال عمر : هذه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، قرئى (حرية) (٢) : فذلك وكذا (٣) . (وكذا فإا أفتاه) الله على رسوله من أهل القرى لله والرسول ولدى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل والفقراء (٤) الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) (والذين جاءوا من بعدهم) ، فاستجبت (٥) هذه الآية [الناس ، ظم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب : أو قال : « حفظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم - كلما رواه أبو داود ، وفيه انقطاع (٦) ،

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن حكيم بن خالد ، عن مالك ابن أوس بن الحنفية قال : قرأ عمر بن الخطاب : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) حتى بلغ (طم حكيم) ، ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : (واعلموا أنما خذتم من شئء فإن لله حقه والرسول ولدى القرى) الآية ، ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم

-
- (١) سورة التوبة ، آية ١٠٠ .
 - (٢) وردت فى المخطوطة كلية « حرية » دون نقط . وفى سنن أبي داود : « حرية » . وفى سنن الترمذى مثل ما أثبتنا .
 - (٣) ما بين القوسين من سنن أبي داود .
 - (٤) فى المخطوطة : « وما أفتاه » . وفى سنن أبي داود : « وما أفتاه » . والمثبت عن الترمذى .
 - (٥) كلما فى المخطوطة وسنن أبي داود . وفى الترمذى : « للفقراء المهاجرين الذين ... » .
 - (٦) أى : فإنه لم حرموا لا يفسد ، ولكن يكون جيلة لصالح المسلمين . ولما ملأه عامة أهل الفتنة ، غلبا لشاقي فقتله يفسد .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمامة والقرى ، باب « فى صلوات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأموال » . وقد أخرجه الترمذى فى كتاب تسم القرى : ١٢٦٧ - ١٢٧ .

قرأ : (ما أتاه الله حل رسوله من أهل القرى) حتى بلغ : الفقراء (والذين يرموا النار والإيمان) ، (والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه الآية [المسلمين عامة ، وليس لأحد إلا له فيها حق ، ثم قال : لكن عشت لأتبعن الراى] - وهو يسرو حسيرو (١) - نصيبه فيها ، لم يبرق فيها جيته (٢) :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَيَنْفَرُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَوْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِنَ الْأَذَى لَكُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبًا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ لَا يَخْلُتُونَكُم بَعْضُهُمْ إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ خَشِيتُمْ بَعْضَهُمْ وَقَوْلِهِمْ شَيْءٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا يُرَى أَمْرُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ كَذَلِكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ قَالُوا لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رِبَاةَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا اتِّمَامٌ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

يخبر تعالى من المنافقين كيد الله بن أبي وأضرابه ، حين يهتوا إلى جود بني النضير يمدونهم النصر من أنفسهم ، فقال تعالى : (ألم تَرَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معهم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتم لننصرنكم) ، قال الله تعالى : (والله يشهد إنهم لكاذبون) ، أي : لكاذبون فيما وعدوه به إما أنهم قالوا لم قولاً ومن يهتوا أن لا يفوا له به ، وإما أنهم لا يضع منهم الذي قالوه . ولهذا قال : (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) ، أي : لا يقاتلون معهم ، (ولئن نصروهم) أي : قالوا معهم (ليؤلن الأذى ثم لا ينصرون) ، وهذه عبارة مستقلة بنفسها ، ثم قال تعالى : (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبًا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ) ، أي : يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كقوله : (إنا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ، ولهذا قال : (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) .

ثم قال : (لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) ، يعني أنهم من جيبهم وحكمتهم لا يقاتلون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة ، بل إما في حصون أو من وراء جندو محاصرين ، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال : (بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) ، أي : حلاوتهم بينهم شديدة ، كما قال : (ويلين بعضهم بأس بعض) (٣) ، ولهذا قال : (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) ، أي : تراهم عتقين فتحسبهم موافقين ، وهم يخفون غاية الاختلاف .

(١) في تفسير القرطبي : وهو يسرو حسره . والصواب ما هنا ، فقد سلك أبو حنيفة الحديث في كتابه الأموال ٢٢ - ٢٤ ، وقال : السرو : الكيف والفتن ، كل موضع بين الخدار وارتقاء .

(٢) تفسير القرطبي : ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٦٥ .

قال إبراهيم النخعي : يعنى : أهل الكتاب والمناقين : (ذاك بأنهم قوم لا يفقهون) :

ثم قال : (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم . ولم عذاب أليم) ، قال جاهد ، والسدى ومقاتل بن حيان : كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر (١) .

وقال ابن عباس : (كمثل الذين من قبلهم) ، يعنى : يهود بنى قينقاع . وكلما قال قتادة ، وعبد بن إسحاق ،

وهذا القول أشبه بالصواب لأن يهود بنى قينقاع كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك) يعنى : مثل هؤلاء اليهود في اختلاؤهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين ، وقول للمناقين لهم : (لن تقولن لمن تنصرنكم) ، ثم لما حقت الحقايق ووجدتهم المحاصرين والقتال ، تغلوا عنهم وأسلموهم للهلكة ، مثلم في هذا كمثل الشيطان إذ سوك للإنسان - والبداء بالله - الكفر ، فإذا دخل فيما سوله تبرأ منه وتصل ، وقال : (إني أخاف الله رب العالمين) .

وقد ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بنى إسرائيل هذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هي مئة مع غيرها من الوقائع المشاككة لها ، فقال ابن جرير :

حدثنا غلام بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الله بن تميم قال : سمعت علياً - رضى الله عنه - يقول : إن راهباً تمهد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياده ، فمعد إلى امرأة فاجتبتها ولما إزوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيلوجها . قال : فاجاموا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبينما هو يوما عندها إذ أصعبته ، فأثامها فحملت ، فمعد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان الراهب : أنا صاحبك ، [إنك] أحييتنى ، أنا صنعت هذا بك فأطعنى أنجلك ما صنعت بك ، اسجد لى صجدة فمسجد له ، فلما سجد له قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فلذلك قوله : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين) (٢) .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن حمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين) - قال : كانت امرأة ترمى الفتم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب - قال : فنزل الراهب ففجر بها ، فحملت ، فأثام الشيطان فقال له : قتلها ثم ادفعها ، فإني رجل مصدق يسمع قولاك . فقتلها ثم دفعها - قال : فأتى الشيطان إخوتها في لثام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة ففجر بأخذك ، فلما أحبلها قتلها ثم دفعها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أنكر ؟ قالوا : لا بل قصها علينا قال : قصها ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال

(١) تفسير الطبري : ٢٨ / ٣٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨ / ٣٣ .

الآخر : وأنا والله قد رأيت ذلك : قالوا فوالله ما هذا إلا شيء - قال : فانتظروا فاستمدوا ملكهم حل ذلك الراهب ، فأثروه لأثره ، ثم انطلقوا به فلقبه الشيطان فقال : إني أنا الذي أوقفك في هذا ، ولن ينجيك منه ضري ، فاسجد لي سجدة واحدة وأبليك ما أوقفك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه ، وأخذ قتل .

وكذا روى عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصاً ، والله أعلم . وهذه القصة عارضة لقصة جريج العابد ، فإن جريجاً أتته امرأة بنتى بنسها ، وادعت أن حملها منه ، ودفعت أمه إلى رلى الأمر ، فأمر به فأول من صومعه وغرقت صومعه وهو يقول : ما لكم ؟ قالوا : فقالوا : يا عابد الله فسلت بهله للمرأة كذا وكذا . فقال جريج : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صبيح جلداً ثم قال : يا غلام ، من أبوك ؟ قال : أبي الرامي - وكانت قد لمسته من نفسها فسلت منه فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بلياً وقالوا : نريد صومعتك من ذهب . قال : لا ، بل أعيلوها من طين ، كما كانت .
وقوله : (فكان حاقبتهما أيهما في النار خالدين فيها) ، أي : فكان حاقبة الأمر بالكفر والفاصل له ، وتصبرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ، (وذلك جزاء الظالمين) ، أي : جزاء كل ظالم .

يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْرَأُونَ اللَّهَ وَلَنْ نَرْقُبَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِخَدِّكُمْ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٨﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ فَانْسَهُمْ عَنْهُمْ أَوْ بِأَنفُسِهِمْ أُولِيكُمْ هُمْ الْفَاقِقُونَ ﴿١٥٩﴾ لَا يَسْئُرُ أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَاقِقُونَ ﴿١٦٠﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن حور بن أبي جهميفة ، عن الثوري بن جبر ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صدر النهار ، قال : فبجاءه قوم حفاة حراة عتفاً ثمار - أو : العتباء - مقلتي السيوف ، حاتمهم من مشر ، بل كلهم من مشر ، فبصر وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رأى بهم من الفاقة ، قال : فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة ، ففعل ثم خطب ، فقال : « يا أيها الناس ، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، إلى آخر الآية : (إن الله كان عليكم رقيباً) . وقرأ الآية التي في المحشر : (ولتنظر نفس ما قدمت لفرس) ، تصلق رجل من جناتوه ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع يره ، من صاع غيره - حتى قال : ولو بشرت غرة » . قال : فبجاء رجل من الأنصار بمصر كادت كفه تسجرت عنها ، بل قد حبوت ، ثم تابع الناس حتى وأيت كرمين من طعام وثياب ، حتى وأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتجمل وجهه كأنه مذهب (أي : ذهب) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من سن في الإسلام سنة حسنة ، الله أجراها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن يستغنى من أجورهم شيء » ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

(١) الملقب - يضم الميم وسكون الهمزة - وضع الله - - المدح بالشعب ، يمتدح بذلك الإثراء والرفعة . وفي بعض روايات الحديث : « معة » - يضم الميم والهمزة - ، أيها ذلك ساكنة معة ، ثم نون . وهي تأنيث المدح ، وهو ما يميل إليه المدح ، ليكون له فيه الرجوع بالمدح في الصلاة .

انفرد بأمر إجماع مسلم (١) من حديث شعبة ، بإسناده مثله .

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) : أمر يتقوا ، وهي تشمل فعل ما به أمر ، وترك ما عنه زجر .

وقوله : (ولنتظر نفس ما قلتم لقد) ، أي : حسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ، وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم حل ربكم ، (واتقوا الله) : تأكيد ثان ، (إن الله غير بما تعملون) ، أي : اعملوا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، ولا ييبس عنه من أموركم جليل ولا حقير .

وقال (ولا تكونوا كالذين نسوا انفسهم) ، أي : لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم (٢) التي تنفعكم في معادكم ، فإنجزاء من جنس العمل ، ولهذا قال : (أولئك هم الفاسقون) ، أي : الخارجون عن طاعة الله المالكون يوم القيامة ، الخاسرون يوم معادهم ، كما قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٣)) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن تبة المحمدي حدثنا الليث ، حدثنا حماد بن عتيان ، عن نعيم بن تميم قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - : أما تعلمون أنكم تفنون وتروجون لأجل معلوم . فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله - عز وجل - فليفل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل . إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، فهاكم الله أن تكونوا أمثالهم : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ، أي : من همفرون من إضرائكم ؟ قدموا حل ما قدموا في أيام سلفهم ، وغلوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا للدائن وحسنوها بالخير ، قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفتي حجابيه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، (واستنصحوكم كتابه ونبياه) (٤) ، إن الله أتى كل زكريا وأمل به فقال : (إنهم كانوا يسلوون في النيران ، ويدعون رعباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ، لا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله . ولا خير ليمين يطلب جهله حلمه ، ولا خير ليمين يخاف في الله لومة لائم .

هذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ حمزة بن عتيان ، وهو نعيم بن تميم (٥) ، لا أمره بنى ولا إلهيات ، خبر أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حمزة كلهم ثقات . وقد روى هذه الخطبة شراهد من وجوه أخر ، والله أعلم .

وقوله : (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) ، أي : لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة ، كما قال : (أم حسب الذين اجترأوا السيئات أن نجعلهم كاللذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محامد وعنابهم ، ساء ما

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الأولى من سورة النساء ، والآية الثانية عشرة من سورة يس ، وعرجانه هناك ، وهرحنا غريبه ، انظر : ١٧٩/٢ - ١٨٠ - ٥٥١/٦ .

(٢) في الخطبة : « والصل الصالح اتقوا الله ... » . والخطب عن الطبقات السابقة .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٩ .

(٤) ما بين القوسين من اللز للمفسر ٢٠١/٦ ، ومكانه في الخطبة غير واضح .

(٥) لم تلح لنا ترجمته .

يُحْكِمُونَ (١) : وقال : (وما يستوى الأعمى والبصير ولذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا للمؤمنين) (٢) ، الآية . وقال : (لم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالتقليدين في الأرض ، أم نجعل للذين كفروا كالقنابر) (٣) ؟ آيات أخر دلالات على أن الله - سبحانه - يكرم الأبرار ، ويبين العقاب . ولهذا قال هاهنا : (أصحاب الجنة هم الفائزون) ، أي : الفائزون للمؤمنين من حذب الله عز وجل .

لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْغَالِيُ الْغَلِيِّ الْمُنْصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾

يقول تعالى معطيا لأمر القرآن ، ومبيناً علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخضع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوجد الحق والوحيد الأكيد : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيه خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ، أي : لإذا كان الجبل في علوه وقبائره لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه ، تخضع وتتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم آيات البشر أن لا تلتجئ لتلوكم وتخضع ، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم من الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) .

قال القرطبي ، عن ابن عباس في قوله : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) إلى آخرها ، يقول : لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حشكت لراه ، لتصدع وغشع من قبله ، ومن خشية الله . فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع . ثم قال : كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون (٤) . وكلما قال فتادة ، وابن جرير .

وقد ثبت في الحديث للتراثر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما حل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جلع من جلوس المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع ، وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لينخطب فجاوز الجلع إلى نحو المنبر ، فبعد ذلك حزن الجلع وجعل (٥) يشك كما يشك الصبي الذي يسكن ، لما كان يسبح من الذكر والوحى عنه . في بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراد : « فأنتم لئن أن تشاقوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الجلع » . وهكذا هذه الآية الكريمة ، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته ، تخشعت وتتصدعت من خشية ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى : (ولو أن قرأتاً سيرت به الجبال ، أو قطعت به الأرض ،

(١) سورة المطافاة ، آية : ٢١ .

(٢) سورة طه : آية : ٥٨ .

(٣) سورة ص : آية : ٢٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٨ / ٣٥ .

(٥) انظر البهاري ، كتاب المنابر ، ٢٣٧ / ٤ .

أو كليم الموتى (١) الآية . وقد تقدم أن معنى ذلك : رأى لكان هذا القرآن . وقال تعالى : (وإن من الحجارة لآيات)
منه الأنهار ، وإن منها لآيات فيخرج منه ماء ، وإن منها لآيات من خشية الله (٢).

ثم قال تعالى : (هو الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم) : أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو
فلا رب غيره ، ولا إله إلا هو وجوده ، وكل ما يعبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب والشهادة ، أى : يعلم جميع الكائنات
للمشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء فى الأرض ، ولا فى السماء من جليل وجليل وصغير وكبير ، حتى لا (٣)
فى الظلمات .

وقوله : (هو الرحمن الرحيم) : قد تقدم الكلام على ذلك فى أول التفسير ، بما أفضى عن إعادته هاهنا ، وللرأى أنه
هو الرحمة الراسمة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالى : (ورحمى وسعت
كل شيء) (٤) ، وقال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (٥) ، وقال : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو
خير مما يجمعون) .

وقال : (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) ، أى : لئلا لك لجميع الأشياء للتصرف فيها بلا ممانعة ولا منافاة .

وقوله : (القلوس) - قال وهب بن منبه : أى الطاهر . وقال مجاهد ، وقتادة : أى المبارك ، وقال ابن جريج :
تقوله للملائكة الكرام .

(السلام) ، أى من جميع العيوب والنقائص ، بكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله .

وقوله : (المؤمنين) ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : آمن (خلقه من) أن يظلمهم ، وقال قتادة : آمن بقوله : إله
حق . وقال ابن زيد : صدق عباده المؤمنين فى إعانهم به .

وقوله : (للمؤمنين) ، قال ابن عباس وغير واحد : أى : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى هو وقيل عليهم ،
كقوله : (والله على كل شيء شهيد) (٦) ، وقوله : (ثم الله شهيد على ما يظنون) (٧).

وقوله : (ألن هو قائم على كل نفس بما كسبت) (٨) الآية .

(١) سورة الرعد ، آية : ٢١ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٧٤ .

(٣) الله : أمثل الصبر ، واسمها : قوة .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٥٦ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ٥٤ .

(٦) سورة البروج ، آية : ٩ .

(٧) سورة يونس ، آية : ٤٦ .

(٨) سورة الرعد ، آية : ٢٣ .

وقوله : (البرز) ، أى : الذى قد عزّ كل شيء قهره ، وغلب الأشياء فلا ينال جنبه ، لمزه وعظمته وجبروته وكبريائه . ولهذا قال : (الجبار للمكبر) ، أى : الذى لا تليق الجبريّة إلا له ، ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تعلم فى الصحيح : « العظمة لأزرى ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدا منهما علبته » (١) .

وقال قتادة : الجبار : الذى جبر خلقه على ما يشاء .

وقال ابن جرير : الجبار : المصلحُ أمورَ خلقه ، المصروفُ فيهم بما فيه صلاحهم (٢) .

وقال قتادة : للمكبر ، يعنى عن كل سوء .

ثم قال : (سبحانه الله عما يشركون) .

وقوله : (هو الله الخالق البارئ المصور) الخلق : التقدير ، والبرّاء : هو القهرى ، وهو : التفضيل وإبراز ما قدره وقدره إلى الوجود ، وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإنجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر مدح آخر (٣) :

ولأنت تكبرى ما عكفتَ به • شُ القوم يَحْكُمُ لم لا يَكْزُرِ

أى : أنت تظن ما عكفت ، أى : قدرت ، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد . فالخلق : التقدير ، والقهرى : التفضيل . ومنه يقال : قدر الجلال ثم كثرى ، أى : قطع حل ما قدره بحسب ما يريد .

وقوله تعالى : (الخالق البارئ المصور) ، أى : الذى إذا أراد شيئا قال له : كن ، فيكون على الصفة التى يريد ، والصورة التى يختار . كقوله : (فى أى صورة ما شاء ركبك) ولهذا قال : (المصور) ، أى : الذى يتعد ما يريد بإنجاده حل الصفة التى يريد .

وقوله : (له الأسماء الحسنى) ، قد تقدم الكلام على ذلك فى « سورة الأعراف » ، وذكر الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة » وهو وتر عجب الوتر (٤) . . وتقدم سياق الترمذى وابن ماجه له ، عن أبى هريرة أيضا ، وزاد بعد قوله : « وهو وتر عجب الوتر » - واللفظ الترمذى - : « هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، الغني ، الكريم ، الغنى ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، اللقيط ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، »

(١) سنن أبى داود ، كتاب اليباس ، باب « ما جاء فى الكبر » . وسنن أبى ماجه ، كتاب الزهد ، باب « البراءة من الكبر » والتواضع ، الحديث ٤١٧٤ = ١٣٩٧/٢ . وسنن الإمام أحمد عن أبى هريرة : ٢٧٦٢/٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢ .
(٢) تفسير الطبري : ٣٩/٢٨ .

(٣) هو زهير بن أبى سلمى ، يطلع هرم بن سنان . والبيت فى ديوانه : ٩٤ .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية اثنتين بعد المائة من سورة الأعراف ، وغرجهنا هناك . انظر : ٩٥/٢ .

الرفيق ، المحيية ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، الخبير ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحي ، الميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الولي ، المتعل ، البر ، التواب ، المنتقم ، البقر ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المنفي ، [المتع] الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الواثق ، الرشيد ، الصبور .

وسياق ابن ماجة بزيادة نقصان ، وتقديم وتأخير ، وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه ، بما أغنى عن إعادته هنا (١) .

وقوله : (يسبح له ما في السموات والأرض) كقوله : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا) (٢) .

وقوله : (وهو العزيز) ، أي : فلا يزال جنتابه (الحكيم) في شرعه وقدره . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا خالد - يعني ابن طهمان ، أبو العلاء الخفاف - حدثنا نافع بن أبي نافع ، عن محمد بن يسار ، عن النبي - صل الله عليه وسلم - قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أهدى بأفك المسيح العالم ، من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكفل الله به سبعين ألفه ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا » ومن قالها حين يمسي كان بذلك المنزلة (٣) .

ورواه الترمذي عن مسود بن غيلان ، عن أبي أحمد الزبيري ، به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٤) .

(آخر تفسير سورة الحشر)

(١) الطبر ١٩٦/٣ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

(٣) سنن الإمام أحمد : ٢٦٦/٥ .

(٤) تحفة الأحقاف ، أبواب فضائل القرآن ، الحديث ٣٠٩٥ : ٢٢٩/٨ - ٢٤٠ .

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَلْوَى وَعَلْوَى أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ تَقُومُوا بِهِ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَبَّكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا آلَ أَبِي سَلَمَةَ
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِن يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا
لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوَى وَوَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا ۝ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْعَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

كان سبب نزول صدر هذه [السورة] (١) الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين ، وكان من أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما حزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حل فتح مكة لا تقض أهلها العهد ، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين بالجهيز لغزومهم ، وقال : « اللهم ، حمّ عليهم خبرنا » . فمد حاطب هذا فكتب كتاباً ، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة ، يعلمهم بما حزم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليتخذ بذلك عندهم بدءاً ، فأطلع الله رسوله حل ذلك ، استجابة لدعائه . فبثت في أثر المرأة فأخذت الكتاب منها ، وهذا بين في الحديث للتحقق حل صحته ، قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن حمّرو ، أخبرني حسن (٢) بن محمد بن حل ، أخبرني عبيد الله بن أبي رافع - وقال مرة : إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره : أنه سمع علياً - رضي الله عنه - يقول : بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا والزبير ولقداد ، قال : « انطلقوا حتى تأثروا روضة خاخ (٣) » فلما بها ظمينة (٤) معها كتاب ، فخلوه منها . فاطلقتا تمشدان (٥) بنا غيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظمينة ، قلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . قلنا : لتخرجين الكتاب أو لتكفيني الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من عقاصها (٦) ، فأخذنا الكتاب فأبينا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله

(١) في المطبوعة : « هذه الآية » . والثبت من المصنفات السابقة .

(٢) في نسخة الإمام أحمد : « حسين » . وهو خطأ ، والصواب حسن ، وهو حسن بن محمد بن الحنفية .

(٣) روضة خاخ : موضع حل إلى عفريل من المدينة .

(٤) أي : امرأة .

(٥) أي : تساقين .

(٦) أي : من ذواتها المضمورة .

سُحِّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « بِحَاطِبِهِ ، مَا هَذَا ؟ » قَالَ : « لَا تَجْعَلْ عَلَيَّ ، إِنْ كُنْتُ أَمْرًا مُسْلَمًا فِي قُرَيْشٍ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْسَبِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ كَانَ مِنْكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ ثُمَّ قُرَابَاتٍ يَحْمُونَ أَهْلَهُمْ بِكَ ، فَحَيْثُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فَيَعْنِي أَنَّ أَتَدَّ فَيَعْنِي يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قُرَابَتِي ، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كَثْرًا وَلَا أَرْتَعَادُ مِنْ دِينِي وَلَا رَضِيَ بِالْكَفَرِ بَدَلَ الْإِسْلَامِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنَّهُ حَكَمُكُمْ » . قَالَ عُمَرُ : دَمَنِي أَضْرِبْ عَنِّي هَذَا الْمَنَافِقَ . قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بِدْرًا ، وَمَا يَدْرِيكَ لِمَ كُنْتُ لَكَ اللَّهُ أَطْلَعَنِي إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ : اأَمْلُوا مَا شِئْتُمْ ، قَدْ خَفَرْتُ لَكُمْ (١) » .

وَمَكَّنَا أَنْ نَرْجِعَ لِلْجَمَاعَةِ إِلَّا ابْنَ مَلْجَةٍ ، مِنْ غُرُوحِهِ ، عَنْ مَلْجَانِ بْنِ حَبِيبَةَ ، بِدْرًا (٢) : وَزَادَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ وَفِي الْمَنَافِقِ : فَأَتَى اللَّهُ السُّورَةَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَخَلَّوْا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ (٣)) . وَقَالَ فِي كِتَابِ الْغُصْبَةِ : قَالَ عُمَرُ : وَتَرَلْتُ فِيهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَلَّوْا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ) ، قَالَ : « لَا أُدْرِي الْآيَةَ فِي الْحَدِيثِ أَوْ قَالَ عُمَرُ ، قَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ عَلِيٌّ - يَحْيَى ابْنُ الْمُنْثَنَّى - : قِيلَ لِسُفْيَانَ فِي هَذَا : تَرَلْتُ (لَا تَتَخَلَّوْا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ) فَقَالَ سُفْيَانُ : هَذَا فِي حَدِيثِ النَّاسِ ، حَفِظْتُهُ مِنْ عُمَرُ ، مَا تَرَكْتُ مِنْهُ حَرْفًا ، وَمَا لَرَى أَحَدًا حَفِظَهُ غَيْرِي (٤) ،

وَقَدْ أُنْجِرَ بَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ حَبِيبَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : يَحْيَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبَا سُرَيْجَةَ ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَكُنَّا قَارِسَ ، وَقَالَ : انْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْعَةَ خَاشِخَ ، فَإِنَّ بَهَا امْرَأَةً مِنَ الشَّرَكِيِّينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الشَّرَكِيِّينَ : فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرَ عَلَيَّ بِسِرِّهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ : « الْكِتَابُ ؟ » قَالَتْ : « مَا مَعِيَ كِتَابٌ . فَأَتَيْنَاهَا فَاجْتَسَا ثُمَّ لَزِمْنَاهَا ، قَالَتْ : مَا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَخَرَجْنَا الْكِتَابَ أَوْ لَتَجِدْنَاهُ ، فَلَمَّا وَثَّ الْجَدُّ أَعْوَتَ إِلَى حُجْرَتِهَا (٥) وَهِيَ مُتَحَيِّزَةٌ بِكَسَاءٍ فَأُنْجِرَ بَاهُ . فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَخَنِي فَكُلَّضْرِبَ عَقَبِهِ . قَالَ : « مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ » . قَالَ : « وَاللَّهِ مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ فِي عَهْدِ الْقَوْمِ يَدُ اللَّهِ بِهَا مِنْ أَهْلِ وَمَالِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهْ هَذَا مِنْ عَشِيرَةٍ مِنْ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ . قَالَ : « حَقَّقِي ، لَا تَقُولِي لَهُ إِلَّا خَيْرًا » . قَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَخَنِي فَكُلَّضْرِبَ عَقَبِهِ . قَالَ : « أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ؟ » قَالَ : لَيْلَ اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَنِي إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ : اأَمْلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ وَجِيتُ لَكُمْ الْجَنَّةَ ، أَوْ : قَدْ خَفَرْتُ لَكُمْ . فَصَحِّحَتْ عِيْنَا عُمَرَ وَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (٦) ،

(١) مسند الإمام أحمد : ٧٩/١ - ٨٠ .

(٢) البخاري تفسير سورة الممتحنة : ١٨٥/٦ - ١٨٦ . وسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب « ومن فضائل أهل بدر - رضي الله عنهم - وقصة حاطب بن أبي بلتعة » : ١٦٧/٧ - ١٦٨ . ومن أبي حنيفة : كتاب البهجة : باب « وفي حكم الجاهل إذا كان مسلماً » . ونسخة الأصبهاني : تفسير سورة الممتحنة : الحديث ٣٧٦٠ - ١٩٨/٩ - ٢٠٢ .

(٣) البخاري ، كتاب المناقب : باب « غزوة فتح » وما يث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بخبره يقولون : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ١٨٥/٥ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٦/٦ .

(٥) المعجم فيهم فسكون - موضع قد الإزار ، وأصحبت المرأة فهي مصيبة : إذا ضلَّتْ مَظْلُومًا عَلَى الْمُرْتَعِبِ لَا تَحِلُّ مِلَاقُهُ .

(٦) البخاري ، كتاب المناقب : باب « قتل من شهيد بدرًا » : ٩٩/٥ . وسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب « ومن فضائل أهل بدر » : ١٦٨/٧ - ١٦٩ .

هذا قط الجباري في التلويح في خروجه ، وقد روى من وجه آخر عن علي بن أبي حمزة : حدثنا علي بن الحسن السجستاني ، حدثنا عبيد بن يعقوب ، حدثنا إسحاق بن سليمان الرزقي ، عن أبي ستان - هو سعيد ابن ستان - عن عمرو بن مرة الجعفي ، عن أبي البختري الطائي (١) ، عن الحارث ، عن علي قال : لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم - أن يأتي مكة ، أسرى إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبي بلتعة وأنثى . في الناس أنه يريد خير : قال : فكذب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريدكم . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فيخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا هريرة ، وليس منا رجل إلا وعند قريش . فقال : « انموا روضة عافج ، فإنكم ستقرون بها امرأة معها كتاب ، فخلوه منها » . فانطلقنا حتى وأيناهما بالمكان الذي ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلنا ما : حاتم الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فوضعنا ماعها وفشناها فلم نجد في ماعها ، فقال أبو هريرة : لعله أن لا يكون معها . فقلت : ما كلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا كلبنا ، قلنا ما : فخرجته أو لثريتك . فقالت : أما تتقون الله ؟ أليس مسلمين ؟ قلنا : فخرجته أو لثريتك - قال عمرو بن مرة : فخرجته من حبيزتها . وقال حبيب بن أبي ثابت : أنخرجه من قبيلها - فأيناهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، شأن الله ورسوله ، فإنا نرى في لأضرب عنه . فقال رسول الله : « أليس قد شهد بدراً ؟ قالوا : بلى . قال عمر : بلى ، ولكنه قد نكث وظاهر أهداك عليك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « فاعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، إنني عما تعملون بصير » . فاضت حينئذ عمر وقال : الله ورسوله أعلم . فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حاطب فقال : « يا حاطب ، ما حملك على ما صنعت ؟ » . فقال : يا رسول الله ، إنني كنت امرأة مكشعة في قريش ، وكان لي بها مال وأهل ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله عكة من عتق لعله وماله ، فكبت إليهم بذلك ووافقه - يا رسول الله - إنني لو لمين بالله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق حاطب ، فلا تحرقوا حاطب إلا خيراً » - قال حبيب بن أبي ثابت فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخلوا حدى وعدكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) . . الآية .

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن مهراق ، عن أبي ستان سعيد بن ستان ، بإسناده مطهر (٢) . وقد ذكر ذلك أصحاب الملتزم والسيد ، فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن حمزة بن الزبير وغيره من علمائنا قال : لا أجمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للسيرة إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأمر في السيرة إليهم ، ثم أحطاه امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مينة ، وزعم غيره أنها : سارة ، مولاة لبيد بن ربيعة - وجعلها جملًا على أن تبلغه فريشاً فيجعله في راسها ، ثم قتلت عليه قريشاً ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من الساء بما صنع حاطب ، فبعت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « أفرأيت امرأة قد كتبت معها حاطب يكتب إلى قريش يخبرهم ما قد أجمعناه من أمرهم » .

(١) في المخطوطة : « من أبي إسحاق البختري » . ولعل من تفسير القاري ، وانظر الخلاصة في التلويح .

(٢) تفسير القاري : ٢٨/٢٨ - ٢٩ .

فخرجوا حتى أدركاهما بالخيل فسخره لبي أبي أحمد^(١) استغنى لهما بالخيلة، فاحسوا وحلوا ظم مجدا شيئا، قال لما حل ابن أبي طالب : إلى أحلف بالله ما كلب رسول الله قوما كلبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأته الجدة منه قالت : أعرض . فأعرض ، فسلط قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدخلته إليه . فأتى به رسول الله - صلى الله وسلم - فدعا رسول الله حاطباً فقال : يا حاطب ما حملك على هذا ؟ . فقال : يا رسول الله أما والله إني لأؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت أراهم ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم وكله وأهل نصابتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فكلأضرب عنه ، فإن الرجل قد نائق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله عز وجل في حاطب : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى قوله . (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم : إنا نراه منكم وما تعلمون من دون الله ، فكفروا بكم ، ويبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ، حتى تؤمنوا بالله وحده) : : إلى آخر القصة (٢) .

وروى معمر ، عن الزهري ، عن عروة عن ذلك . وهكذا ذكر مقاتل بن حيان : أن هذه الآيات نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة : أنه بعث سارة مولاة نبي هاشم ، وأنه أعطاه عشرة دراهم ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث في أثرها عمر بن الخطاب وحل بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأدركاهما بالجيفة . : وذكر تمام القصة كسحر ما تقدم . وعن السدي قريب منه . وهكذا قال العوفي ، عن ابن عباس - وبجاءه ، وقفاة ، وغير واحد : أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة :

فقره تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق) ، يعني : للمشركين والكفار الذين هم عاديون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله لعداوتهم ومبايعتهم ، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء ، كما قال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم فإِنَّه منهم (٣)) . وهذا تهديد شديد ووعد أكيد ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً ، من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واقفوا لله إن كنتم مؤمنين (٤)) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أنريدون أن يتخلفوا عليكم سلطاناً مبيتاً ؟ (٥)) . وقال تعالى : (لا تجد للمؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) .

(١) في المخطوطة وتفسير الطبري : « بالخيلة » ، وإليه وإلفه . ويقول أبو ذر الغفري في شرح السيرة ٣٦٨ : « هو له » (حتى أدركاهما بالخيلة خليفة نبي أبي أسد) . كلا وقع هنا بضم الهمزة للمجبة فيها . ورواه الثعلبي بالخيلة ، بفتح الهمزة للمجبة فيها . وفي كتاب ابن إسحاق : (يلقى الخليفة خليفة نبي أبي أسد) . بضم الهمزة للمجبة فيها وإلفه ، وهو اسم موضع .

(٢) سيرة ابن هشام : ٣٩٨/٢ - ٣٩٩ . وتفسير الطبري : ٣٩٨/٢٨ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٥٩ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٥٧ .

(٥) سورة النساء ، آية : ١٤٤ .

إِلَّا أَنْ تَقْرَأُوا مِنْهُمْ ثَلَاثَةً ، وَيُحْلِلِكُمُ اللَّهُ مِنْهُ (١) . وَلَمَّا قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ حَاطِبٌ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ إِذَا قَبِلَ ذَلِكَ مَصَاحِبَ قُرَيْشٍ ، لِأَجْلِ مَا كَانَ لَهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ،
وَيَلْتَكِرُ حَامَتَا الْحَبِثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ :

حَدَّثَنَا مَصْحَبُ بْنُ سَلَامٍ ، حَدَّثَنَا الْأَجْلِيحُ ، عَنْ نَيْسَ بْنِ أَبِي مَسْلَمٍ ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ ، سَمِعْتُ حَاطِبَةَ يَقُولُ :
خَسِرْتُ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَسْثَلًا : وَاحِدًا وَثَلَاثَةً وَخَمْسَةً وَسَبْعَةً ، وَثَمَنَةً ، وَاحِدًا عَشَرَ - قَالَ :
قُضِيَ لَنَا مِنْهَا مِثْلًا وَتَرَكْنَا سَائِرَهَا ، قَالَ : إِنْ تَرَمَّاءُ كَانُوا أَهْلَ ضِفِّفٍ وَمَسْكَةٍ ، فَاتَّطَهَّرَ أَهْلُ نَجْرٍ وَعَدَاهُ (٢) ، فَظَهَرَ اللَّهُ
أَهْلَ الضَّفِّفِ عَلَيْهِمْ ، فَخَسَمُوا إِلَى عَدُوِّهِمْ فَاسْتَعْلَوْهُمْ وَسَلَطَوْهُمْ ، فَاسْطَفَرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَقْرَأُ (٣) :

وَقَوْلُهُ : (يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) : هَذَا مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ التَّهْيِيجِ عَلَى عَدُوَّتِهِمْ وَعِلْمِهِ مَوَالِيَهُمْ ، لَأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الرُّسُولَ
وَأَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِمْ ، كَرَاهَةً لِمَا بِهِمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَإِبْخَالِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَمَّا قَالَ : (أَنْ تَرَمَّاءُ بِاللَّهِ رِيكَمٌ)
أَيْ : لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيَّاكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، كَقَوْلِهِ : (وَمَا تَقْضُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (٤)
وَقَوْلِهِ : (الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْصَرُّوْنَ إِلَى اللَّهِ) (٥) .

وَقَوْلُهُ : (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَانًا فِي سَبِيلِ وَاجْتِهَادٍ مَرْضَاتِي) ، أَيْ : إِنْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ فَلَا تَتَخَلَّوْهُمْ أَوْلِيَاءَ ، إِنْ كُنْتُمْ
خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ دِينِ اللَّهِ لَمْ يَرْضَئِ عَنْكُمْ فَلَا تَوَالُوا أَعْدَاءَ وَأَعْلَاءَكُمْ ، وَقَدْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ حَقْنًا
عَلَيْكُمْ وَسَخَطًا لَدَيْكُمْ .

وَقَوْلُهُ : (تَسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ) ، أَيْ : تَهْمَلُونَ ذَلِكَ وَأَنَا الْعَالِمُ بِالسَّرَائِرِ وَالْخَفَائِرِ
وَالْقَوَائِمِ (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطَوْا إِلَيْكُمْ أُنْفُسَهُمْ وَالسُّيُوفُ بِالسُّوَمِ
أَيْ : لَوْ قَاتَلُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَقْتُلُوا فِيكُمْ مِنْ أُنْفُسِهِمْ بِمَا تَوَلَّوْكُمْ بِهِ بِالْقِتَالِ وَالْقِتَالِ ، (وَوَدُّوا أَنْ يُكْفَرُوا) ، أَيْ : وَيُحَرِّصُونَ عَلَى
أَنْ لَا تَتَوَلَّوْا خَيْرًا ، فَهَمْ عَدُوَّتِهِمْ لَكُمْ كَلِمَةً وَظَاهِرَةً ، فَكَيْفَ تَوَالُونَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ؟ وَهَذَا يَنْبِجُ عَلَى عَدُوَّتِهِمْ أَيْضًا .

وَقَوْلُهُ : (أَنْ تَضَعُوا لِرُسُلِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ، وَلِلَّهِ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ، أَيْ : قُرَابَاتِكُمْ
لَا تَضَعُكُمْ عِنْدَ أَهْلِكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ سَوْءًا ، وَتَضَعُكُمْ لَا يَصِلُ إِلَيْكُمْ إِذَا أَرْضَيْتُمْوَهُمْ عَا يَسْخَطُ اللَّهُ ، وَمَنْ وَاقِيَ أَهْلَهُ عَلَى الْكَفْرِ
لِيَرْضِيَهُمْ قَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَفُضِّلَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَضَعُ عِنْدَ اللَّهِ قُرَابَتَهُ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَوْ كَانَ قَرِيبًا إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . قَالَ
الْإِمَامُ أَحْمَدُ :

-
- (١) سورة آل عمران : آية : ٧٨ .
 - (٢) في المصنف : «نَجْرٍ وَعَدَاهُ» .
 - (٣) مصنف الإمام أحمد : ٤٠٧/٥ .
 - (٤) سورة البروج : آية : ٨ .
 - (٥) سورة الحج : آية : ٤٠ .

حدثنا عفان (١) ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلا قال : يا رسول الله ، أين أبى ؟ قال : في النار .
فلما قضى دعاه (٢) قال : إن أبى وأباك في النار .

ورواه مسلم وأبو طود ، عن حديث حماد بن سلمة ، به (٣) .

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْتُمْ بُرَاءُ لَكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرْبَىٰ وَيَدًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعُدَّةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَفْرُنَ لَكَ وَمَا أَمَّا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَرَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَّبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَافْعَلْ لَنَا رَبَّنَا بِإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝

يقول تعالى ليعاهد المؤمنين الذين آمنهم بمصاهرة الكافرين وعدائهم ومجانبتهم والثرى منهم : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) ، أى : وأتباعه الذين آمنوا معه ، (إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم) ، أى : تبرأنا منكم (ومما تعبدون من دونه) ، كفرتا بكم ، (أى : بدينكم وطريقكم ، (وبنا وبيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) ، يعنى : وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نبرأ منكم ونبتضئكم ، (حتى تؤمنوا بالله وحده) ، أى : إلى أن تؤمنوا بالله فتقبلوه وحده لا شريك له ، وتعلموا ما يقبلون منه من الأئمان والأركان ،

وقوله : (إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك) ، أى : لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأمنون بها ، (إلا في استغفار إبراهيم لأبيه ، فإنه إما كان من موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدوه تبرأ منه . وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ، ويقولون : إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه ، فأنزل الله عز وجل : (ما كان للذي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى) ، من يعلم تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدوه تبرأ منه ، إن إبراهيم لأوله حليم) (٤) . وقال تعالى هذه الآية الكريمة : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) ، إلى قوله (إلا قول إبراهيم لأبيه : لا استغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) ، أى : ليس لكم في ذلك أسوة ، أى في الاستغفار للمشركين . هكذا قال ابن عباس ، وجعلوا فتادة ومقاتل والفسحك وغير واحد (٥) .

(١) وقع لنا الحديث في المتن من رواية وكيع من جاد ١١٩/٣ .

(٢) في هذه الرواية : « فلما رأى ما في وجهه قال ... » .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في فرار المشركين وسلم . كتاب الإيالة ، باب « بينك أم موحد » .

على الكفر فهو في النار ، ولا تنزهه فتادة ، ولا تنزهه قرابة القرينين : ١٢٢/١ - ١٢٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ١١٣ - ١١٤ .

(٥) انظر تفسير الطبري ٤١٧/٨ .

ثم قال تعالى يخبرنا عن قول إبراهيم والذين معه ، حين قالوا قوماهم وتبرعوا منهم ، فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه (قائلوا : ربنا ، عليك تركنا ، وإليك أنبأ ، وإليك المصير) أي : تركنا عليك في جميع الأمور ، وسلكنا أمورك وإليك ، وفوضنا إليك ، وإليك المصير أي : للمعاد في الدار الآخرة (ربنا) لا نجعلنا فتنة للذين كفروا) - قال مجاهد : معناه : لا نجعلنا بأيديهم ولا يخلص من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا . وكذا قال الضحاك . وقال قتادة لا تكلمهم علينا فيفتخروا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه . واختاره ابن جرير (١) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لا تسلمهم علينا فيفتخروا .

وقوله : (واخبر لنا ، ربنا ، إنك أنت العزيز الحكيم) ، أي : وأمر كثيرين من غيرك ، وأعط منها قبا بيتنا وبينك ، (إنك أنت العزيز) ، أي : الذي لا يفتك من لاذ يفتكك ، (الحكيم) أي : أقرئك وأصلحك وشرحك وقلرك . ثم قال تعالى : (لقد كان لكم فيها سورة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) : وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لأن هذه السورة للجنة هادئة هي الأولى بينها .

وقوله : (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) : يسبح إلى ذلك كل من بطر بالله والمعاد ،

وقوله : (ومن يقول) : أي : عما أمر الله به ، (فإن الله هو الغني الحميد) ، كقوله : (إن تكفروا أأنتم ومن في الأرض جميعا ، فإن الله لغني حميد) (٢) ،

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (الذي كمل في غناه ، وهو الله ، هذه صفته لا تشبه إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمنه شيء ، سبحانه الله الواحد القهار . الحميد) : المستمد إلى خلقه ، أي هو الصمد في جميع أماله وأفعاله ، لا إله غيره ، ولا وب سواه .

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا يَنْتَفِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الَّذِينَ وَلَدَ يَرْجِعُكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَسْلُطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْتَفِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَمْوَالِهِمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِجْرَائِكُمْ أَنْ تَقُولُوا وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَلَاؤُكُمْ ۝

يقول تعالى ليعاهد المؤمنين بعد أن أكرم بعدالة الكافرين : (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين كفروا مودة) أي : حبة بعد البغضة ، ومودة بعد الشرقة ، وألفة بعد القرقة . (والله قدير) ، أي : على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتعارفة والمباينة والمختلفة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والمساواة ، فصيرح بحكمة منصفة ، كما قال تعالى

(١) تفسير الطبري : ٤٢/٢٨ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٦ .

ممتنا على الأنصار : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثاب الله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) (١) ... الآية . وكذا قال لم النبي صلى الله عليه وسلم : « لم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فالتفكم الله بي » (٢) . وقال الله تعالى : (هو الذي أبعدكم بينكم وبين المشركين ، وأثابكم بغير حساب ، ولو أنفق ما في الأرض جميعا ما أثبت بين قلوبهم . ولكن الله آلف بينهم ، إنه عزيز حكيم) (٣) . وفي الحديث : « أحب حبيبتك حوثا مأ ، فسي أن يكون بفيضك يوما مأ . وأبيض بفيضك حوثا مأ ، فسي أن يكون حبيك يوما مأ » (٤) . وقال الشاعر (٥) :

وكند جميع الله الشيعين (٦) بعدما يتطنان ككل الفتن أن لا تلاكبا

وقوله تعالى : « والله عفو رحيم » ، أي : يفر الكافرين كفرهم إذا تابوا منه ، وأثابوا إلى ربهم وأسلموا له ، وهو العفو الرحيم بكل من تاب إليه ، من أي ذنب كان .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية قرئت في أبي سفيان صخر بن حرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تروح أبنته ، فكانت حله مودة ما بينه وبينه .

وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر ، فإن رسول الله تروح بأب حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح ، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف . وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال :

فروا على محمد بن عزيق : حدثني سلامة ، حدثني حذيل ، حدثني ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبيل طي قاتل الحكماء مرثدا ، فقال له : فكان أول من قاتل في الردة وجاءه من الذين - قال ابن شهاب : وهو من أتول الله فيه : (صلى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم مودة والله بغير ، والله عفو رحيم) .

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(٢) البخاري : كتاب الأيمان ، باب « غزوة الخائف » : ٢٠٠/٥ . مسلم : كتاب الزكاة ، باب « إصطفا المودة للرجل من الإسلام » ، وتفسير من قرأ إيمانه : ١٠٨/٢ - ١٠٩ . وسند الإمام أحمد من أبي سعيد الخدري : ٥٧/٢ ، ٧٦ - ٧٧ . ومن أبي بن مالك : ١٠٤/٣ - ١٠٥ . ٢٥٢ . وعن عبد الله بن زيد بن حاصم : ٤٢/٤ .

(٣) سورة الأتفال : آية ٦٣ .

(٤) نسخة الأحوص : « أبوب البر » ، باب « ما جده في الاقتصاد في الحب والبطش » ، الحديث ٢٠٦٥ - ١٣٣/٦ - ١٣٤ . وقال الأرملي : « هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه » ، وقد روى هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا . رواه الحسن بن أبي بشر ، وهو حديث ضعيف أيضا ، يستند له من حل ، من النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح هذا من حل ، موقوف .

(٥) هو قيس بن الملوخ - مجهول ، انظر ديوانه : ٣١٥ . والمصنف حل مرآة الأديب : ٤٢/٢ . واليهب أيضا في المصنف ، مادة : شتت .

(٦) لغة المحبين للمبايعين .

وفي صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أصليين : قال : « نعم » : قال : « وقومتموني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل للمسلمين » : قال : « نعم » . قال : ومعاوية يجمله كتابا بين يديك . قال : « نعم » : قال : « وعندي أحسن العرب وأجمله » أم حبيبة بنت أبي سفيان تزوجها ... الحديث (١) . - وقد تقدم الكلام عليه .

وقوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ، أي : لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين ، كائنا والضميمة منهم ، (أن تروهم) ، أي : تحسنوا إليهم (وتسلوا إليهم) ، أي : تدخلوا (إن الله يحب للمتقنين) .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء - هي بنت أبي بكر ، رضي الله عنهما - قالت : قلت لأبي وهي مشركة في عهد قريش إذ طاعها ، فأبى النبي - صلى الله عليه وسلم - قلت : يا رسول الله ، إن أبي قدمت وهي رافضة ، أفأصلها ؟ قال : « نعم » ، صلى الله عليه : أخرجاه (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عازم ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت ، حدثنا حارث بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه قال : قدمت فتخيلة على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهديا : صيناب وأظ (٣) وسمن ، وهي مشركة ، فأبى أسماء أن تقبل هبتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأقول الله حر وجبل : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) : إلى آخر الآية ، فأمرها أن تقبل هبتها ، وأن تدخلها بيتها (٤) .

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث مصعب بن ثابت ، به : وفي رواية لأحمد وابن جرير : « فتخيلة بنت عبد البر بن (٥) أسعد » ، من بني مالك بن حنبل : « وزاد ابن أبي حاتم : « في المدة التي كانت بين قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحاق الزبائر : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو قتادة البدوي ، عن ابن أبي الزهري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسماء وأنها قالت : قدمت علينا

- (١) مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب « من فضائل أبي سفيان بن حرب » : ١٧١/٧ .
- (٢) وقع لنا الحديث في المسند من غير هذه الطرق : أنظر : ٣٤٤/٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ . هذا وانظر البخاري ، كتاب الحمية : باب « المدينة المشركين » : ٢١٥/٣ ، وكتاب الجزية : ١٢٦/٤ ، وكتاب الأدب : باب « صلة الزواله المشرك » : ٨١/٧ . ومسلم : كتاب الزكاة : باب « تسبل كثافة والمسئلة على الآخرين ... » : ٨١/٣ .
- (٣) في المخطوطة وسند الإمام أسد : « صيناب » ، بالصاد المسبوبة ، و« أظ » ، وللتب عن تفسير الطبري : ٢٨/٢٣ . والصيناب - بالصاد المهملة ، وقرون - لتروط للمسوق بالزيت ، وهو صلب يوتكم .
- هذا وفي المخطوطة أيضا سكان وأظ : « وقرون » ، وللتب عن المسند وتفسير الطبري . والأظ - ينفتح فكسر - « لبن حنظل » ، يفتح .
- (٤) مسند الإمام أحمد : ٤/٤ .
- (٥) ما بين القوسين عن المسند ، وكتاب نسب قريش لمحمد الزبيري : ٢٧٦ . على أنه قد روي نسبا في أسد القبايل : ٢٢٢/٥ ، ما لرحمة : « فتخيلة بنت سعد » .

أما المدينة ، وهي مشركة ، في اللذة التي كانت بين قريش وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قلنا ، يا رسول الله ، إن أمتا قدمت علينا للمدينة واغية ، أفصلها ؟ قال : « نعم ، ففصلها » ،

ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة إلا من هذا الوجه ،

قلت : وهو منكر بهذا السياق ، لأن أم عائشة هي أم رومان ، وكانت مسلمة مهاجرة ، ولم آمها غيرها . كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث للتحفة ، والله أعلم .

وقوله : (إن الله يحب المسلمين) : تقدم تفسير ذلك في « سورة الحجرات » ، وأورد الحديث الصحيح : **« المسلمون على منابر من نور عن يمين العرش : الذين يطوفون في حكمهم ، وأهلهم ، وما وكروا (١) »**

وقوله : (إنا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) ، أي : إنا ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة ، قاتلوكم وأخرجوكم ، وطعنوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عن موالاهم ويأمركم بمعادتهم . ثم أكد الوعيد على موالاهم فقال : (ومن يولم قاتلكم هم الظالمون) ، كقوله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يولم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٢)) ،

يُنَاهِي الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجُرَتٌ فَامْتَحِنْنَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَمِّنَ جُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَكُمْ وَأَتُوبُكُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُسْمِكُوا بِهِمْ الْكُفَّارِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حِكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ وَإِنْ فَانَكُرْتُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَيْكُمْ فَفَعَلْتُمْ فَقَاتِلُوا الَّذِينَ نَكَهْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ ثَلَاثًا مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ أَلَدَى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾

تقدم في « سورة الفتح » ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين كفار قريش ، فكان فيه : « على أن لا يأتلكم متاجل - وإن كان على دينك - إلا ردهته إلينا (٣) » . وفي رواية : « على الله لا يأتلك من أحد - وإن كان على دينك - إلا ردهته إلينا » . وهذا قول عروة ، والفسحاك ، وعبد الرحمن بن زيد ، والزهري ، ومقاتل ، والسندي . فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية خصصة للسنة ، وهذا من أحسن أسئلة ذلك ، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة ، فإن الله - عز وجل - أمر عباده المؤمنين إذا جامعهم النساء مهاجرات أن يتحهن ، فإن عليموهن مؤمنات فلا يرجعهن إلى الكفار ، لأن حل لم ولاهم يحلن لمن ،

(١) تقدم الحديث منه لتفسير الآية الخمسة من سورة الحجرات ، وخرجناه هناك . انظر : ٢٥٥/٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٥١ .

(٣) انظر : ٢٢٤/٧ .

وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أبي (١) أحمد بن جحش ، من المسند الكبير ، من طريق أبي بكر بن أبي حاتم ، عن محمد بن يحيى اللؤلؤي ، عن يعقوب بن عبد ، عن عبد العزيز بن هران ، عن مسجع بن يعقوب ، عن حسين ابن أبي ليثة (٢) ، من حديثه بن أبي أحمد قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة ، فخرج أخوها حمارة والوليد حتى قداما هل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلما فيها أن يردا إليها ، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة ، ومنه أن يردن إلى المشركين ، وأنزل [الله] آية الامتحان (٣) ،

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر الأسدي قال : سئل ابن عباس : كيف كان امتحان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء ؟ قال : كان يصحهن : بالله ما خرجت من بطن زوج ؟ وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ؟ وبالله ما خرجت إناهي دنيا ؟ وبالله ما خرجت لإحاطة ولرسوله (٤) ؟

ثم رواه من وجه آخر ، عن الأغر بن الصباح ، به ، وكلنا رواه البزار من طريقه ، وذكر فيه أن النبي كان يخطبهن عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له عمر بن الخطاب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن) : كان امتناعهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله (٥) .

وقال مجاهد : (فامتنعوهن) : فسالوهن : ما جاء بهن ؟ فإن كان جاءهن من غشيهن على أزواجهن أو سخطهن أو غيره ، ولم يؤمنن فارجوهن إلى أزواجهن .

وقال عكرمة : يقال لها : ما جاء بك إلا حب لله ورسوله ؟ وما جاء بك عشق رجل منا ، ولا غرا من زوجك ؟ فذلك قوله : (فامتنعوهن) .

وقال قتادة : كانت عمتين أن يستحلن بالله : ما أخرجكن النشوز ؟ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحيرص عليه ؟ فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن .

وقوله : (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجوهن إلى الكفار) : فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الإطلاع عليه بيقين .

وقوله : (لا من حل لم ولا من حلون من) : هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج للمشرك للزمنة ، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) ما بين القوسين زيادة لآية من آياتها . وانظر قلت التال : و ترجمة عبد الله بن أبي أسعد في أسد الغابة : ١٧١/٣ .
(٢) في الضاربة : - حسين بن أبي أباتة . والمثبت عن أسد الغابة ، والإصابة : ٨٨/٢ . ولم تقع لنا ترجمته .
(٣) سابق ابن الأثير هذا الحديث من هذه الرواية في ترجمة عبد الله بن أبي أسعد بن جحش .
(٤) تفسير الطبري : ٤٤٢/٢٨ م .

زينب رضي الله عنها ، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه ، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعث امرأته زينب في قتله بقلادة لما كانت لأمتها حديجة ، فلما رأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقى لما رقت شديدة ، وقال للمسلمين : « إن رأيتم أن تطبقوا لما أسرها فافعلوا » ، فطعوا ، فأطلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلما أن بعث ابنته إليه ، فوفى له بذلك وصدته فيها وعده ، وبعثها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع زيد بن حارثة [رضي الله عنه ، فأقامت بالبلدية من بعد وفاة بدر ، وكانت سنة اثنين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان] فردها عليه [بالنيكاح الأول ، ولم يحدث لها صداق ، كما قال الإمام أحمد]

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن إسحاق ، حدثني خالد بن الحسین ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رد ابنته زينب على أبي العاص [بن الربيع (١)] ، وكانت هجرتها (٢) قبل إسلامه يستسئله على النكاح الأول ، ولم يحدث شهادة ولا صداق (٣) .

ورواه أبو حنيفة والترمذي وابن ماجه (٤) ، ومنهم من يقول : « بعد سنتين » ، وهو صحيح ، لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بستين ، وقال الترمذي : « ليس بإسناده بأس » ، ولا تعرف وجه هذا الحديث ، وأما جاء من حفظ خالد بن الحسین : سمعت عبد بن حميد يقول : سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث ، وحدثني ابن الحجاج - يعني ابن أروطة - عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بغير جليل ونكاح جديد ، فقال يزيد : حدثني ابن عباس بغير إسناد ، والمسلم على حديث عمرو بن شعيب (٥) .

قلت : وقد روى حديث الحجاج بن أروطة ، عن عمرو بن شعيب الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه (٦) ، ووضعه الإمام أحمد وغير واحد ، والله أعلم .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية حين جعل الله أنتم تقض حديقها من ، لأن التي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم ، انقضت نكاحها من ،

وقال آخرون : بل إذا انقضت العدة هي بالنيكاح ، إن شامت أنقضت على النكاح واستمرت ، وإن شامت نفسها ونقضت فزوجت . ورجعوا عليه حديث ابن عباس ، والله أعلم .

(١) ما بين القوسين من المتن .

(٢) في المتن : « وكان إسلامه ... » .

(٣) حسنة الإمام أحمد : ٢٦١/١ .

(٤) سنن أبي حنيفة ، كتاب الطلاق ، باب : « إله من فرده عليه امرأته إذا أسلم بعدها » ، وثيقة الأحرفي : أبواب النكاح .

باب : « ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما » ، الحديث ١١٥٢ : ٢٩٦/٤ - ٢٩٨ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق .

باب : « الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر » ، الحديث ٢٥٠٩ : ٦٤٧/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٥٧/٢ - ٢٥٨ . والترمذي في الكتاب والبيهقي للمؤمنين ، انظر ثقة الأحرفي : ٢٩٨/٥ .

وابن ماجه ، الحديث ٦٤٧/٥ : ٦٤٧/٥ .

وقوله : (وَأَقْرَبُوا مَا آتَيْنَاكُمْ) ، يعني : أزواج المهاجرات من المشركين ، أطلقوا إليهم الذي غرموه عليهم من الأصالة ، قاله ابن عباس ، وجاهد ، وقادة ، والزهرى ، وغير واحد :

وقوله : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ تَبَخَّرْتُمْ عَنْ أَزْوَاجِكُمْ إِنَّمَا تَعُدُّوا نَفْسَكُمْ) : يعني إذا أصليتموهن أمديتموهن فأنكحوهن ، أي : تزوجوهن بشرطه من انقضاء المدة والولي وغير ذلك :

وقوله : (وَلَا تَحْزَنْهُمْ بَعْضُ الْكَافِرِ) : تحريم من الله عز وجل حل عياده للمؤمنين نكاحاً للشركات ، والاستمرار معهم .

وقى الصحيح ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن السور ومثروان بن الحكم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما حاد كثر قريش يوم الحديبية جاء نساء من المؤمنات ، فأنزل الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٌ ، إِلَى قَوْلِهِ : (وَلَا تَحْزَنْكُمْ بَعْضُ الْكَافِرِ) ، فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين ، تزوج إحدىهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية (١) :

وقال ابن قنبر ، عن معمر ، عن الزهرى : أنزلت هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بأبسل الحديبية ، حين صالهم على أنه من أتاه منهم رده إليهم ، فلما جاءه النساء تركت هذه الآية ، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن ، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها ، وقال : (وَلَا تَحْزَنْكُمْ بَعْضُ الْكَافِرِ) (٢) :

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال : وإنما حكم الله بينهم بذلك ، لأجل ما كان بينهم وبينهم من العداوة .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى : طلق عمر يومئذ قريظة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها معاوية - وأم كلثوم بنت عمرو (٣) بن جبرول الخزاعية ، وهي أم عبيد (٤) الله ، فتزوجها أبو جهم بن حليقة بن ظالم ، ورجل من قومه ، ومما حل شرهما (٥) : وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص (٦) :

وقوله : (وَمَا أَوْفَتْكُمْ وَلَا جُنَاحَ مَا آتَيْنَاكُمْ) ، أي : وما لبوا بما آتاكم على أزواجكم اللاتي يلبعن إلى الكفار ، إن ذنبن ، ولما لبوا بما آتاكم على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين .

(١) البخاري ، كتاب الشروط ، باب الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط : ٢٥٧/٢ . ومسنود الإمام أحمد : ٢٣١/٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٦/٢٨ .

(٣) في سيرة ابن هشام ، وتفسير الطبري : أم كلثوم بنت جبرول .

(٤) في تفسير الطبري : أم عبد الله . وللتفت عن الخطوط ، وسيرة ابن هشام .

(٥) هذا لقنبر في سيرة ابن هشام : ٢٣٧/٢ .

(٦) تفسير الطبري : ٤٧/٢٨ .

وقوله : (لَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ) ، أى : فى الصلح واستئذان النساء ، والأمر بهذا كله هو حكم الله بحكم به بين خلقه ، (والله عليم حكيم) ، أى : عليم بما يصلح عباده ، حكيم فى ذلك ،

ثم قال : (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاتِبْكُمْ ، فَأُولَ الَّذِينَ ذَعَبْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) - قال مجاهد ، وقاعدة : هنا فى الكفار الذين ليس لهم عهد ، إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا ، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيئا ، حتى يدفع إلى زوج اللاهبة إليهم مثل ثقتة عليها .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن الزهري قال : أمر المؤمنين بحكم الله ، فأدوا ما أمروا به من نفقات للمشرى إلى أنفقوا على نسائهم ، وأبى للمشرى أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله المؤمنين به : (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاتِبْكُمْ ، فَأُولَ الَّذِينَ ذَعَبْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) ، وأمر الله الذى أنهى به مؤمنون ، فلو أنها ذعبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى للمشرى ، ودَّ المؤمنين إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من المكسب الذى بأبائهم ، الذى أمروا أن يردوه على للمشرى من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمنَّ وهاجرن ، ثم ردوا إلى للمشرى فضلا إن كان أبى لهم . والغيب : ما كان أبداً للمؤمنين (١) من صدقات نساء الكفار حين كنَّ وهاجرن (٢) .

وقال القرطبي : عن ابن عباس فى هذه الآية : ينهى إن خلت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه يطلى من النعمة مثل ما أنفق (٣) .

وهكذا قال مجاهد : (فعاتِبْكُمْ) : أصبغ خيطة من قريش أو غيرهم ، (فَأُولَ الَّذِينَ ذَعَبْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) ، أى : مهر مثله . وهكذا قال مسروق ، وإبراهيم ، وقاعدة ، ومقاتل ، والفساك ، وسفيان بن حسن ، والزهري أيضا . وهكذا لا يثنى الأول ، لأنه إن أمكن الأول فهو أولى ، ولا فتن الفتن اللاتى تؤخذ من أبى الكفار : وهذا أوسع ، وهو اختيار ابن جرير ، والله أعلم .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَسِيْرُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَ وَأَرْجُلَيْنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبِأَيِّ حُجَّةٍ وَابِّسْتَغْفِرُ
مَنْ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ظَوْرٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

قال البخارى : [حدثنا إسحاق (٤)] حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن لُحى ابن شهاب ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عائشة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - أخبرته : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصنع

(١) ما بين المؤمنين من تسيير القبرى ، ومكانة فى الخطوة : • • •

(٢) تفسير البخارى : ٤٨/٢٨ - ٤٩ .

(٣) تفسير البخارى : ٥٠/٢٨ .

(٤) ما بين المؤمنين من البخارى .

من حاجر إليه من المؤمنين بهذه الآية (يا أيها النبي ، إذا جئك المؤمنات يابنك) إلى قوله : (فخور وحيم) - قال مروة : قالت عائشة : فن أقر هذا الشرط من المؤمنين ، قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد يابنك ، ، كلاما ، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في ليابيه ، ما يابنهن إلا بقوله : قد يابنك على ذلك ، . هذا لنظر البيهقي (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن النكدر ، عن أميمة بنت رقيقة : قالت : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نساء لنيابه ، فأخذ علينا ماني القرآن : أن لا نشرك بالله شيئا ... الآية ، وقال : « يا مسلماتن وألقين » ، قلنا : الله ورسوله أرجم بنا من أنفسنا ، قلنا : يا رسول الله ، ألا تصافحنا ؟ قال : « إني لا أصافح النساء ، إنما تقول لامرأة واحدة كقولك لامرأة (٢) » .

هذا إسناد صحيح ، وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، عن حديث سفيان بن عيينة - والنسائي أيضا من حديث الثوري - ومالك بن أنس كلهم ، عن محمد بن النكدر ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن النكدر (٣) .

وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن النكدر ، عن أميمة ، به ، وزاد : « ولم يصالح امرأة (٤) » . وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عافية ، عن محمد بن النكدر (٥) ، به ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي ، عن محمد بن النكدر : حدثني أميمة بنت رقيقة - وكانت أخت جديجة خالة فاطمة - من فيها إلى في - فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني سليمان بن أيوب بن الحكم بن سلمة - عن أمه سلمة بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صحبت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بني حنظلة بن النجار قالت : جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليأبيه (٥) في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا : ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بهتان فنشره بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نصفيه في معروف - قال : « ولا تتشكَّن أزواجكن » ، قالت : فبأيضاه ، ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة

(١) البيهقي ، تفسير سورة الممتعة : ١٨٦/٦ - ١٨٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٥٧/٦ .

(٣) ثقة الأوصاف ، أبواب البير ، باب وما جاء في بيعة النساء ، الحديث ١٦٤٥ : ٢٢٠/٥ . والنسائي ، كتاب البيعة ، باب بيعة النساء : ١٤٩/٧ ، وباب البيعة فيما يصلح الإنسان : ١٥٢/٧ . وابن ماجه ، كتاب الجهاد . باب بيعة النساء ، الحديث ٢٨٧٤ : ٩٥٩/٢ .

(٤) تفسير البيهقي : ٥٢٢/٢٨ .

(٥) في نسخة : « فبأيضاه » .

منہن : ارجی فعلی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : ماضی ازواجنا ؟ قال : نسائہ قالہ : و تأخذ مالہ : تصاحب بہ
خبرہ (۱) ۵۴

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن همد بن حاطب ، حدثني أبي ، عن أمه عائشة بنت ثعلبة - بنتي ابن مظلوم - قالت : أتانا مع أبي وأختي [بنت صفيان] الخراجية ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يبيع النساء ويقول : « يا أيكم » على أنه لا تترك بالله شيئا ، ولا تفسدن ولا تخرين ولا تهتكن أولادكم ، ولا تأتين يمينان شهيرة بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصين في معروف [قالت : فأمرن ، فقال عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢)] : فكنن : نم فيا اسلمعن : فكنن يظن وأقول مهن ، وأى [فأنقضي] تولى (٣) أي بينة : نم فيا اسلمعت (١) فكنن أفلت كما يقان (٤) ،

وقال البخاري: حدثنا [أبو] ميمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حمزة بنث سيرين، عن أم حنيفة قالت: بأيعننا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ علينا: (أَنْ لَا يَشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْءٌ) ، وَبَعَثَنَا عَلَى الْقِيَامَةِ ، فَهَبْتُ أَمْرَهُ بِنِعْمَةٍ [قَالَتْ] : وَسَمِعْتِي (٦) فَلَا تَأْخُذُ أَنْ أَجْزِيَا ، فَمَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءًا ، فَانْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ قَائِمَةً (٧) ۝

ورواه مسلم (A) : وفي رواية : « فأتوا منهن امرأة غيرها ، وضرب أم سلمة ابنة ملحان » .

والبخاري عن أم حطية قالت : أخذ عليا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند اليمامة أن لا تنزع ، فأتت
 من امرأة خير خمس نسوة : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبي مسيرة امرأة معاذ ، وامرأتان - أو : ابنة أبي مسيرة ،
 وامرأة معاذ ، وامرأة أخرى (١) .

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَوَضَّعُ لِنِجَاسٍ مِنْهُ الْيَوْمَ الْيَوْمَ : إِكْمَالُ الْبَيْتِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَرْحُوفٍ - حَدَّثَنَا حَبِيبُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ - أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ : أَنَّ الْحَسَنَ ابْنَ مُسْلِمٍ أَخْبَرَهُ - عَنْ طَاوُسٍ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : شَهِدْتُ لِلصَّلَاةِ يَوْمَ الْقَطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَّى يَكُونُ دَمُ وَعُثْمَانَ ، فَكَلِمَةً يَصْلِيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ بِهَا ، قَتَلَ لِي اللَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَأَنَّهُ أَتَانِي

(١) معدل الإلمام بأحد : ٣٧٩٪/٦ - ٣٨٠ ، وانظر أيضاً المسند : ٤٢٢/٦ - ٤٢٣ ، وأسد الغابة : ترجمة سليم بشت
نيس : ١١٩٪/٧ : بتحقيقنا .

(٢) ما بين القوسين من المتد.

(٣) ما بين التوسيع من المبدأ ، ومكانه في الخطوة : وتقول ،

(٤) مستد الإمام أحمد : ٣٦٥/٦ . وانظر ترجمة عائشة بنت قدامة في أسد الغابة : الترجمة ٧٠٩٢ : ١٩٤/٧ .

(هـ) ما بين التوسيع من الصحيح ، وأبو معمر هذا هو : عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ، انظر الخلاصة .

(٦) لم : علوتها في الليلة .

(v) البخاري، في تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ .

(٨) انظر: نمل، كتاب الخنازير، باب التشديد في النجاسة، ٤٦/٢.

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب «ما ينبي من النوح والهلاك»، والزبير من ذلك، ١: ٢٦٠.

إليه حين يُجسّس الرجال إليه ، ثم أُقبل يَتَمَتَّعُ بهم حتى أتى النساء مع بلال فقال : (يا أبا النبي ، إذا جارك للمؤمنات يابستك على أن لا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ولا يزني ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأخذن بيهتان بفتريته بين أبيهين ولرجلهن) ، حتى فرغ من الآية كلها . ثم قال حين فرغ : وأئن على ذلك ؟ . فقالت امرأة واحدة ، لم يجبه غيرها : نعم يا رسول الله - لا يلزمني الحسن من هي - قال : فتصدقن ، قال : ويصدق بلال ثوبه فجعلن يلتقيان فالتفت (١) والفتوا في ثوب بلال (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا [ابن] عياش (٣) عن سليمان بن سلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاءت أسيمة بنت رقيقة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تباهيه على الإسلام ، فقال : « أبابك على أن لا تشركي بالله شيئا ، ولا تسرق ولا تزني ولا تقتلي ولذك ، ولا تأتي بيهتان بفتريته بين يديك ورجلك ، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى (٤) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عباد بن الصامت قال : كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مجلس قال : (تباهيوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم) - قرأ الآية التي أُنزلت على النساء : (إذا جارك للمؤمنات) - فن وفي منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به ، فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه ، فهو إلى الله ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عوبه (٥) . أخرجه في الصحيحين (٦) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزني ، عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنعائي ، عن عباد بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلا ، فبأيتنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء ، فذلك قبل أن يفرض الحرب ، على أن لا نفرسك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا تزني ولا نقتل أولادنا ، ولا تأتي بيهتان بفتريته بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نصعب في معروف ، [وقال] : « فإن وكّمت فلكم الجنة » . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روى ابن جرير من طريق البرقي ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب قال : « قل لمن : إن رسول الله يأمركم على أن لا تشركن بالله شيئا » - وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت

-
- (١) الفتح - بفتح - واحدا : فتنة ، وهي غوائم كبار تلبس في الأيدي ، ودجا وضعت في أصابع الأرجل .
 (٢) البخاري ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ - ١٨٨ .
 (٣) في الموطأ : « عباس » ، بالعين والباء الموحدة ، وما بين القوسين من المتن . وهو إسماعيل بن عباس ، انظر الخلاصة ترجمة سليمان بن سلم . هذا وقد أخرجه ابن جرير من طريق ابن عياش ، على أنه فيه « سليمان بن سليمان » وهو خطأ . انظر تفسير الطبري : ٥٢/٢٨ .
 (٤) مسند الإمام أحمد : ١٩٦/٢ .
 (٥) مسند الإمام أحمد : ٣١٤/٥ .
 (٦) البخاري ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ . « وسلم » ، كتاب المهود ، باب « المهود كفارات لأهلها » ، [١٢٦/٥ - ١٢٧ .

بطن حمزة مذكراً في النساء - قالت : «إني إن أنكم بطني ، وإن عرفني قطي » ، وإنما تكررت لرفعاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسكت النسوة الثلاث مع هند ، وأبين أن يتكلمن . قالت هند وهي مذكورة : كيف قيل من النساء شيئاً لم يقبله من الرجال ؟ فظن (١) إليها رسول الله وقال لمر : « قل لمن ولا تسرقن » - قالت هند : والله إني لأصيبه من أبي سفيان المكتات ، ما أدرى أعطهن لي أم لا ؟ قال أبو سفيان : ما أحببت من شيء مضى أو قد بقي ، فهو لك حلال ، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفتها ، فدعاهما فأعطت يده ، فبذات به ، قال : « أنت هند ؟ » قالت : هذا الله مما سلف : فصرّف عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ولا تزني » ، فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟ قال : « لا ، والله ما تزني الحرة » قال : « ولا يقتل أولادهم » ، قالت هند : أنت قتلهم يوم بدر ، فأنت وم أبصر ، قال : « ولا يأبئن بيهتان بشربة بين أبيين وأولجلين » قال : « ولا يصيبك في معروف » قال : « متهم أن ينحن ، وكان أهل الجاهلية يزقن الثياب ويغذخن الوجوه ، ويظلمن للشعر ، ويدعون بالثبور والتبور » (٢)

وهذا أثر غريب ، وفي بعضه نكارة (٣) ، والله أعلم ، فإن أبا سفيان وامرأته أسلمتا لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يظنهما ، بل أظهرهما الصفاء والوردة ، وكذلك كان الأمر من جانبهم - عليه السلام - لما

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، فبايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [الرجال] على الصفا ، وعرى بايع [النساء] فيها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤) - فذكر بفتح كما تقدم وزاد : فلما قال : « (ولا تقتلن أولادكن) » ، قالت هند : ربيتم صغراً فقتلتموهن كباراً ، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى ووجه ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثني غيبة (٥) بنت سليمان ، حدثني حمي ، عن جدي ، عن (٦) عائشة قالت : جاءت هند بنت حبة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبايعه ، فظفر إلى يدها فقال : « ألهي فغيري بك » : فلهيت فغيرتها [بمناه] ، ثم جاءت فقال : « أبايبك هل أن لا تتركني بالله شيئاً » ، فبايعها وفي يدها سواران من ذهب ، فقالت : « ما تقول في هاتين السورين ؟ » فقال : « جمرتان من جمر جهنم »

قوله : « يا أيها النبي ، إذا جاءك المؤمنات يبأيكن » ، أي : من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط ، فبايعها ، (هل أن لا تتركني بالله شيئاً ولا يسرقن) ، أي : أموال الناس الأجانب ، فلما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها ، فلها أن

(١) كلما في خطوطة الأكره . وفي تفسير الطبري : « فظفر إليها ... »

(٢) تفسير الطبري : ٥١٢/٨ .

(٣) انظر ترجمة هند بنت حبة في طبقات ابن سعد .

(٤) لعمري السويطي في نقد المنثور : عن ابن أبي حاتم : ٣٠٩/٦ .

(٥) كلما في الخطوطة : « غيبة بن سليمان » . وفي سنن أبي داود : كتاب الرجل ، باب : « في التفاسير للنساء » ، وغيبة بنت عمرو الخثعمية .

(٦) في الخطوطة : « حدثني حمي » من جدي . وللمثبت عن سنن أبي داود : وقته . « حدثني سلم بن إبراهيم ، حدثني غيبة بنت عمرو الخثعمية » قالت : « حدثني حمي أم الحسن » من جدتها « من عائشة » .

تأكل من ماله بالمعروف ، ما جرت به عادة أسلافه ، وإن كان يضر علمه ، عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من الصدقة ما يكفيني ويكفي بي - فهل على جناح إن أخذت من ماله يضر علمه ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « غشى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » . أخرجاه (١) في التصحيح .

وقوله : (ولا يزين) ، كقوله : (ولا تزيروا الزنا ، إنه كان طحشة وسباء سيئاً) (٢) . وفي حديث سمرّة ذكر حقرية الزناة بالمطبخ الأليم في نار الجحيم (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : جاءت طاحلة بنت حبة تابع النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخذ عليها : (أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين) . الآية ، قالت : فرضت عليها حلّ رأسها حياء ، فأعجبها ما رأى منها ، فقالت عائشة : أفرى أيتها المرأة ، فوالله ما يابسا إلا حلّ هذا . قالت : نعم إنّا . فليجها بالآية (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، عن حسين ، عن عامر - هو الشعبي - قال تابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء ، وحلّ يده نوب قد وضعه حلّ كفه ، ثم قال : ولا تقنن أولادكن . فقالت امرأة : تفتل كأيمن وتروصنا بأولادكم ؟ قال : وكان بعد ذلك إذا جاءه النساء يبائنه ، جمعهن ففرض عليهن . فإذا أفرعن وجعن .

وقوله : (ولا يقنن أولادكن) : وهذا يشمل كفه بعد وجعه ، كما كان أهل الجاهلية يقننون أولادهم خشية الإملاق ، ويمن كفه وهو جنين ، كما قد فعله بعض الجيلة من النساء ، تطرح نفسها لتلا خيل إما لغرض فسد أو ما أشبهه .

وقوله : (ولا يأتين بيوتن يفرقه بين أيمن وأرجلهن) - قال ابن عباس : يعني لا يلقنن بأرجلهن غير أولادهم . وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود :

حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو - يعني ابن الحارث - عن ابن الحارث ، عن عبد الله بن يوسف ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول حين نزلت آية للامتناع : « أيا امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فليست من الله في شيء ، ولن يخطبها الله جنته . وأيا رجل جنته ولله وهو ينظر إليه ، لحجب الله منه ، وفضضه على عوس الأولين والآخرين » (٥) .

(١) البخاري ، كتاب الأحكام ، باب « القضاء على القاذب » : ٨٩/٩ . ومسلم ، كتاب الأنبياء ، باب « وكيفية » : ١٢٩٢ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٣٢ .

(٣) الفهرست للإمام أحمد : ٣٥٧ .

(٤) من الإمام أحمد : ١٥١٧٩ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « إذا ذك في قوله » .

وقوله : (ولا يصيبك في معروف) ، يعني : فيها أمرين به من معروف ، ويتبين منه من مكره .

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال : سمعت الزبير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (ولا يصيبك في معروف) ، قال : إنما هو شرط شرطه الله للنساء (١) .

وقال ميمون بن مهران : لم يجعل الله لكبة طاعة إلا للمعروف ، وللمعروف : طاعة ،

وقال ابن زيد : أمر الله بطاعة رسوله ، وهو غير أن الله من خلقه في المعروف ،

وقد قال غيره : عن ابن عباس ، وأبى بن مالك ، وسالم بن أبي الجعد ، وأبي صالح ، وغير واحد : إنها من يومئذ من التور (٢) . وقد قدم حديث أم عطية في ذلك أيضاً .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في هذه الآية : ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أعط طيهن النياحة ، ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً ممن عرما . فقال عبد الرحمن بن حوف : يا نبي الله ، إن لنا إصباعاً ، وإنا نيب عن سائنا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ليس أولئك عتيت ، ليس أولئك عتيت » (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو إسماعيل بن موسى القراء ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، حدثني مبارك ، عن الحسن قال : كان فيما أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - : ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات عرم ، فإن الرجل لا يزال يحدثن لمرأته حتى يمتلئ بين يديه .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن ابن سيرين ، عن أم عطية الأنصارية قالت : كان فيما اشترط علينا من المعروف حين باینا : أن لا نوح نقالت امرأة من بنى فلان : إن بنى فلان أسعدنني ، فلا حتى أجزيم ! فاطلقت فأسعدنهم ، ثم جاءت فبایت ، قالت : فإ فاق منهن غيرها ، وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك (٤) .

وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية نسية الأنصارية ، رضي الله عنها ، وقد روى نحوه من وجه آخر أيضاً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمر (٥) بن قروخ التميمي ، حدثني مصعب ابن نوح الأنصاري قال : أدركت جوجراً لنا كانت فيمن بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قالت : فأبیت

(١) البخاري ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ .

(٢) انظر تفسير قتيري : ٥١/٢٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٥١/٢٨ - ٥٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٢/٢٨ .

(٥) في تفسير الطبري : ٥٢/٢٨ . وهو ما هنا ، وفيه أيضاً : « فبایت » ، وهو ما هنا ، وهو ما هنا ، وهو ما هنا .

انظر المخرج والمختل لابن أبي حاتم : ١٢٨/١/٢ .

لأبيهم ، فأنشد حينئذ فيما أُنشد أن لا تسمن : فقالت صجر : يا رسول الله : إن ناسا قد كانوا أسلموني على مصائب أمياني ، وإني قد أصابهم مصيبة ، فأنا أريد أن أسلمهم . قال : فانطلقى فكاتبهم . فانطلقت فكاتبهم ، ثم إنهم أتته بنبأته ، وقال : هو المعروف الذي قال الله عز وجل : (ولا يصيبكم في معروف (١)) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا القمني ، حدثنا الحجاج بن صفوان ، عن أسيد بن [أبي] أسيد البراد ، عن امرأة من المليات قالت : كان فيا أخذ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا نعتبه في معروف : أن لا نغشم وجوها ، ولا ننشر شعرا ، ولا نفش جيبا ، [ولا نلثمها ولا] .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الصَّبِيَاءِ ، عَنْ شُهْرِ بْنِ حَرْثِيَّةٍ ، عَنْ
 أُمِّ سَلَمَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي قَوْلِهِ : (وَلَا يَصْبِيحُكَ مَعْرُوفٌ) : قَالَ : التَّوْحُ (١) ،
 وَرواهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّحْقِيقِ ، عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِي لَيْثٍ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ
 وَكِيعٍ - كَلَامُهُ : عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيِّ مَوْلَى الصَّبِيَاءِ ، بِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : « حَسَنٌ غَرِيبٌ » (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن سنان الهذلي ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يقظب (١٣) :
 حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن حطية ، عن جده أم حطية قالت : لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جمع
 لساء الأصناف في بيت ، ثم أرسل لآلئ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقام على الباب وسلم علينا ، فردد - أو : فردنا -
 عليه السلام ، ثم قال : أنا رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليكم . قالت : فقلنا : مرحبا برسول الله ،
 وبرسول رسول الله . فقال : فأيمن علي أن تشركن بالله شيئا ، ولا تفسرن ولا تزين ؟ قالت : قلنا : نعم . قالت :
 فديتكم من خارج الباب - أو : أديت - وملحننا أديتنا من داخل البيت ، ثم قال : اللهم اشهد . قالت وأمرأتا في العبد
 أن نخرج قبه الخبيث والموثق ، ولا جمعة علينا ، وهانا من اتباع الجنائر - قال إسماعيل : فسألت جنبي عن قوله
 (ولا يصيبك من معروف) . قالت : فليأمنه (١٤) .

وَالصَّحِيحُ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِطَهْرِ الْجَالِيَةِ » (٥) .

وَالصَّحِيحُ أَيْضًا عَنْ أَبِي مُوسَى : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرَى مِنْ الصَّالَةِ وَالْحِلَاقَةِ (٦) وَكَأَنَّهُ (٧) .

(۱) تفسیر الطبری : ۲۸/۵۲ .

(٢) تحفة الأوصى ، تفسير سورة الممتحنة ، الحديث ٣٣٦٢ : ٢٠٤/٩ - ٢٠٦ . وستن ابن ماجه ، كتابها الجنائز ، باب « في النهي عن التماسه » ، الحديث ١٥٧٩ : ٥٠٣/١ .

(٣) في تفسير الطبري: «بن يعقوب». وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٣٠/١/١١ مثل ما هنا.

(٤) تفسير الطبري : ٢٨/٥٣ .

(٥) البختري ، كتاب المختار ، باب ليس منا من ضرب الخلود : ١٠٣/٢ - ١٠٤ ، ومسلم : كتاب الإيلاء : باب نكح ضرب الخلود ، وفق الجيوب ، وللعلاء بغير الخطبة : ٦٩/١ - ٧٠ .

(٦) الصلابة : التي ترفع صوتها ، والمخالطة : التي تخلق شعرها .

(٧) البخاري، كتاب الخائز، باب ما ينهى من الخلق عند العتبة ١٠٣/٢:٥، وصل في الكتاب الباب السابق ١٥٤/١٥٠.

وقال الحافظ أبو بلي : حدثنا هُذَيْفَةُ بْنُ خَالِدٍ ، حدثنا أبان بن زيد ، حدثنا يحيى بن [أبي] كثير ، أن زيدا حدثه : أن أبا سلام حدثه : أن أبا مالك الأكمري حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركهن : الفخر في الأصحاب . ، والظن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . » وقال : الثالثة إذا لم تلب قبل موتها فقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جبر » ،

ورواه مسلم في صحيحه مفردا به ، من حديث أبان بن زيد الطائري ، به (١) ،

ومن أبي سعيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن الثالثة وللمتعة : رواه أبو داود (٢) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَهْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَهْسُ الْكَافِرُ مِنْ أَمْسٍ

التبوير

يبنى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة « كما بنى عنها في أوّلها قال : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ، يبنى اليهود والنصارى وسائر الكفار ، بمن غضب الله عليه ولسته واستحق من الله الطرد والإبعاد ، فكيف تتولاهم وتدخلونهم أصدقاء وأخلاء وقد يشا من الآخرة ، أي : من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل ،

وقوله : (كما يهس الكفار من أصحاب القبور) ، فيه قولان ، أحدهما : كما يهس الكفار الأحياء من قرباتهم للذين في القبور أن يجسوا بهم بعد ذلك ، لأنهم لا يظنون بقاء ولا نشورا ، قد انقطع رجائهم منهم فها يهسونه ؛

قال اللقي ، عن ابن عباس : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) : : إلى آخر السورة ، يبنى : من مات من الذين كفروا قد يهس الأحياء من الذين كفروا أن يرجوا إليهم أو يهينهم الله عز وجل ،

وقال الحسن البصري : (كما يهس الكفار من أصحاب القبور) ، قال : الكفار الأحياء قد يشا من الأموات ،

وقال قتادة : كما يهس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا . وكلما قال الضحاك . ورواه ابن جرير (٣) :

والقول الثاني : معناه : كما يهس الكفار الذين هم في القبور من كل غير ؛

قال الأعمش ، عن أبي الهيثمي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود : (كما يهس الكفار من أصحاب القبور) ،

قال : كما يهس هذا الكافر إذا مات وعابث ثوابه وأطلع عليه . وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، وابن زيد ، والكلبي ، ومنصور . وهو اختيار ابن جرير .

(آخر تفسير سورة المتحنة ، والله الحمد)

(١) مسلم ، كتاب الجنائز ، باب « لتتخذ في النياحة » : ٤٥/٣ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب « في النوح » .

(٣) تفسير الطبري ، ٣/٢٤٨ - ٥٤٠ .

تفسير سورة الصف

وهي مدنية

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة - وعن عطاء بن يسار ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا : أيكم يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فلم يبق أحد منا ، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلينا رجلا ، فجعلنا نقرأ علينا هذه السورة : يعني سورة الصف كلها . هكذا رواه الإمام أحمد (١).

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الثبالي بن الوليد بن مزيد البرقي قراءة قال : أخبرني أبي ، سمعت الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثني عبد الله بن سلام ، أن أناسا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا : لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ؟ فلم يذهب إليه أحد منا ، وحيثما كننا نسأله عن ذلك ، قال : فلما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولئك الثفر رجلا رجلا حتى جمعهم ، وتزلت فيهم هذه السورة : (سبح) الصف - قال عبد الله بن سلام : قرأها علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلها . [قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها] : قال يحيى بن أبي كثير : وقرأها علينا أبو سلمة كلها . قال الأوزاعي : وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير [كلها] قال أبي : وقرأها علينا الأوزاعي كلها .

وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن اللبدي : حدثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : قلنا قرا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما كرتنا ، قلنا : لو تعلم : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعلناه . فأنزل الله : (سبح لله ما في السموات وما في الأرض ، وهو العزيز الحكيم . يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون مالا تفعلون) - قال عبد الله بن سلام : قرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال أبو سلمة : قرأها علينا ابن سلام . قال يحيى : قرأها علينا أبو سلمة . قال ابن كثير : قرأها علينا الأوزاعي . قال عبد الله : قرأها علينا ابن كثير .

ثم قال الترمذي : وقد خولف محمد بن كثير في إسناده هذا الحديث عن الأوزاعي ، فروى ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن سلام - أو : عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام (٢) .

قلت : وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يسار ، عن ابن المبارك ، به (٣) .

قال الترمذي : وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي ، نحو رواية محمد بن كثير (٢) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٥٧/٥ .

(٢) تحفة الأعراف : تفسير سورة الصف ، الحديث ٣٣٦٣ - ٧٠٦/١ - ٧٠٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٥٦/٥ .

قلت : وكذا رواه الوليد بن يزيد ، عن الأوزاعي ، كما رواه ابن كثير :

قلت : وقد أخبرني بهما الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب المحبوط قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو المتجنى عبد الله (١) بن عمر بن القتي ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب المجزوي (٢) قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن المنذر (٣) بن محمد بن خالد الحلبي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن حنبلويه المروزي (٤) ، أخبرنا عيسى بن عمر بن محمد بن حماد السمرقندي ، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الطبري جميع مسنده ، أخبرنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، قال : ذكره بإسناده عنه ، وتسلم لنا إرضاءه إلى شيخنا أبي العباس المحبوط ، ولم يقرأها ، لأنه كان أمياً ، وشاق الوقت عن تلقيها إياه ، ولكن أئمرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله : أخبرنا المتأخر في الذين سلبوا عن الشيخ أبي حمزة ، أخبرنا أبو المتجنى بن القتي ، قال : ذكره بإسناده ، وتسلم لنا من طريقه ، وقرأها على يكملها ، وقد أئمرني والله ،

نَسِيحَةُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

نَسِيحَةُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَقُولُ مَا لَا تَقُولُونَ ﴿٢﴾ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقُولُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ مِصْفًا كَانَتْهُمْ بَيْنَهُمْ مَرْمُوسٌ ﴿٤﴾

هذه الكلام على قوله : (نسيح ما في السموات وما في الأرض ، وهو العزيز الحكيم) غير مرة ، يا أي من

إمامه ،

وقوله : (يا أيها الذين آمنوا ، لم قولوا ما لا تعلمون) ؟ إنكار على من يصدق حدك ، أو يقول قولاً لا ينبغي به ، ولهذا استعمل هذه الآية الكريمة من [نسيح] من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالحد مطلقاً ، سواء تروى عليه حرم للمعصية أم لا . ولحقها أيضاً من السنة ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » (٥) . وفي الحديث الآخر في الصحيح : « لو جع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصله من نفاق حتى يدعها » (٦) . — فذكر منهن إختلاف الرعد . وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين في أول « شرح البخاري » ، وقد الحمد والمجد . ولهذا أكد على هذا الإنكار عليهم بقوله : (كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقُولُونَ) ،

(١) مترجم في السير للهي : ١٤٣/٥ .

(٢) انظر السير للهي : ١٥١/٤ - ١٥٢ .

(٣) في السير للهي : ٢٦٤/٢ - ٢٦٥ . عبد الرحمن بن محمد بن المنذر

(٤) مترجم في السير للهي : ١٧/٢ .

(٥) تقدم الحديث عند تفسير الآية الرابعة والخمسين من سورة مريم ٢٢٤/٥ ، وخرجناه هناك .

(٦) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « طاعة المنافق » : ١٥/١ . ومسلم ، كتاب الإيمان أيضاً ، باب « بيان صفات المنافق » : ٥٦/١ .

وهدى الإمام أحمد وأبو داود ، عن عبد الله بن عمر بن ربيعة قال : أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [في بيتنا] (١) وأنا صبي - قال : فحببت لأخري لألحب ، فقالت أمي : يا عبد الله : تعال أصطك . فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وما أردت أن تُصْطيه ؟» . قالت : غرا . فقال : «أما إنك لو لم تقبلي كُتِبت عليك كُتْبة» (٢) ، وذهب الإمام مالك رحمه الله إلى أنه إذا تعلق بالوعد عُسر على الوعد وجب الوفاء به ، كما لو قال لغيره : «تزوج ولك على كل يوم كذا» . فتزوج ، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك ، لأنه تعلق به حق أدى ، وهو مني على المضايقة . وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا ، وحملوا الآية على أنها تزلت حين تمنوا فرضية الجهاد عليهم ، فلما فرض نكل عنه بعضهم ، كقوله تعالى : (لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ : كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ، وَقَالُوا : رَبَّنَا ، لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ ؟ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، قُلْ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ، وَلَا تَغْلِبُونَ فِيلًا . أَلَبَّنَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ (٣)) . وقال تعالى : (ويقول الذين آمنوا : لولا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَهَكَذَا هِيَ الْآيَةُ مُتَنَاهَا ، كَمَا قَالَ عَلَى بَنِي إِسْرَافِيلَ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ) ، قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لَوْدَدْنَا أَنَّ اللَّهَ - عز وجل - دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ ، فَفَعَلْنَا بِهِ . فَطَعَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِهِ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَةِ الَّذِينَ خَافُوا الْإِيمَانَ وَلَمْ يَقْرَأُوا بِهِ ، لَمَّا نَزَلَ الْجِهَادُ كَرِهَ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ ، فَقَالَ اللَّهُ سَيَحَانَهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ (٤) ؟ . وَهَذَا اخْتِيار ابن جرير (٥) .

وقال مقاتل بن حبان : قال المؤمنون : لو نعلم أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَا بِهِ . فَعَلِمَ اللَّهُ عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ ، فقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا) ، فَبَيْنَ لَمْ ، فَابْتَغُوا يَوْمَ أُحُدٍ بِذَلِكَ ، فَرَاوَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدِيرِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ) ؟ وقال : أَحَبُّكُمْ إِلَى مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ .

ومنهم من يقول : أُنْزِلَتْ فِي ذَٰلِكَ الْقِتَالُ ، يَقُولُ الرَّجُلُ : «قَاتَلْتُ» . وَلَمْ يَقَاتِلْ . «وَطَعَنْتُ» . وَلَمْ يَطْعَنْ . «وَضَرَبْتُ» . وَلَمْ يَضْرِبْ . «وَصَبَرْتُ» . وَلَمْ يَصْبِرْ .

وقال قتادة ، والفاساك : نَزَلَتْ تَوْحِيحًا لِقَوْمٍ كَانُوا يَقُولُونَ : «قَاتَلْنَا» ، ضَرَبْنَا ، طَعَمْنَا ، وَلَمْ يَكُنْزُوا فَعَمَلُوا ذَلِكَ .

وقال ابن زيد : نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُتَأَقِبِينَ ، كَانُوا يَمْدَحُونَ لِلْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ ، وَلَا يَقُولُونَ لَهُمْ بِذَلِكَ :

(١) ما بين القوسين من الحديث .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧/٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : «في الكلب» .

(٣) سورة التباة ، آية : ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) سورة عبه ، آية : ٧٠ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٥/٢٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٥٦/٢٨ .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (لم يقولوا مالا تظنون) ، قال : في الجهاد .

وقال ابن أبي نجيح ، عن جراح : (لم يقولوا مالا تظنون) إلى قوله : (كأنهم بيان مرصوص) ، [فإين تلك] ؟
في قر من الأصغر ، فهم عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو تامل أي الأعمال أحب إلى الله ، لعلمنا ما نحن
نحوه . فأنزل الله هذا فيهم . قال عبد الله بن رواحة : لا أبرح حيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيدا (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي اللؤلؤ ، حدثنا علي بن مسهر ، عن دود بن أبي هند ، عن أبي
حزب بن أبي الأسود الدبلي ، عن أبيه قال : بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة ، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل ،
كلهم قد قرأ القرآن ، فقال : أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال : كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات ،
فأنسبناها ، غير أني قد حفظت منها : (يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولوا مالا تظنون) ، فكذلك شهادة في أعناقكم ،
فصاكون منها يوم القيامة .

وطا قال تعالى : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بيان مرصوص) ، فهنا إخبار عن معنى محبة
عبادة المؤمنين إذا اصطقوا مواجعين لأعداء الله في حومة الوض ، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، فكذلك كلمة الله
هي العليا ، ودينه هو الظاهر الحاصل على سائر الأديان .

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا هشيم ، قال جراح : أخبرنا عن أبي الوردك ، عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه . قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ثلاثة يفسدك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ،
واقوم إذا صفوا الصلاة ، واقوم إذا صفوا القتال (٢) .

ورواه ابن ماجه من حديث جراح ، عن أبي الوردك جبر بن نوف ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا الأسود - يعني ابن شيان - حدثني
زيد بن عبد الله بن النخعي . قال : قال مطرف : كان يلقي عن أبي ذر حديث كنت أشتبه للنبيه ، فليته قلت :
يا أبا ذر ، كان يلقي حديثك ، فكنت أشتبهه فقام . قال : قد أباك ! قد بقيت ، فهاه : كان يلقي
حديثك أنك تزعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويضئ ثلاثة ؟ قال : أجل ، فلا إغالي
أكتب على خليلي صلى الله عليه وسلم . قلت : فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ؟ قال : رجل خزا في سبيل الله ، خرج
عصا مجاهدا في العدو يقتل ، ولهم يجنونه في كتاب الله للتلذذ ، ثم قرأ : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كأنهم بيان مرصوص) ... وذكر الحديث .

هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق ، وهذا القطع ، وانقصه . وقد أخرجه الراملي والنجاشي من
حديث شعبة ، عن منصور بن الحمر ، عن ربي بن حريش ، عن زيد بن ثابت ، عن أبي ذر يسط من هذا السياق
وأي : وقد أوردناه في مواضع أخر ، والله الحمد (٣) .

(١) تفسير الجبري : ٢٨/٥٥ .

(٢) سنن الإمام أحمد : ٨٠/٢ ، وقد وقع في المتن سقط نظر .

(٣) وقع لنا الحديث في سنن الإمام أحمد : ١٧٦/٤٥ .

ومن كتب الأخبار أنه قال : يقول الله تعالى ضمد - صلى الله عليه وسلم - : « جئني للوكل اختار ليس بقدر ولا غلب ولا صواب في الأسواق ، ولا يجزي بالعبية البيعة ، ولكن يغزو ويقتل ، مولده بمكة ، وهجرته ببطاية ، وملكه بالشام ، ولحقه الحاديون بحمدون لله على كل حال ، وفي كل منزلة ، لم دوى كدوى التحل في جو السماء بالسحر ، يؤوضون أطرافهم ، ويأثرون على أنصافهم ، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة . ثم قرأ : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ، وعادة الشمس ، يصلون الصلاة حيث أدرتهم ، ولو على ظهر دابة ، وواه ابن أبي حاتم (١) »

وقال سعيد بن جبير في قوله : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) : قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقاتل العدو إلا أن يصفاهم ، وعلمنا تعلم من الله للمؤمنين . قال : وقوله (كأنهم بنيان مرصوص) : ملتصق بعضهم في بعض ، من الصف في القتال .

وقال مقاتل بن حيان : ملتصق بعضهم إلى بعض .

وقال ابن عباس : (كأنهم بنيان مرصوص) : مشببت ، لا يزول ، ملتصق بعضهم ببعض .

وقال قتادة : (كأنهم بنيان مرصوص) : ألم تر إلى صاحب البنيان ، كيف لا يحب أن يختلط بنيانه ؟ فذلك الله عز وجل لا يختلط أمره ، وإن الله صفت للمؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم ، فطعيم بأمر الله ، فإنه عصمة لمن أعطيه . أورد ذلك كله ابن أبي حاتم (٢) .

وقال ابن جرير : حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبي بكر بن أبي مرز ، عن يحيى ابن جابر الطائي ، عن أبي هريرة قال : كانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض ، يقول الله عز وجل : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) - قال : وكان أبو هريرة يقول : إذا رأيتموني فقتلوا في الصف فقتلوا في الحصى (٣) .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقْرَمُ لَرَفُودُونِي وَقَدْ تُعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ① وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَافِلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْبُورَةِ وَبَشِيرًا بِرَسُولِ بَابِي مِنْ بَعْدِي أَتَمَّهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ②

يقول تعالى خبراً عن صلبه ورسوله وكلبه موسى بن حمران - عليه السلام - أنه قال لقومه : (لم تؤذوني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) ، أي : لم تصلونوا الذي لي وأنتم تعلمون صدق فيما جئتكم به من الرسالة ؟ . وفي هذا

(١) انظر لक्षण القاصي مباحث ، الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالنبوة ، وما يصدق بها من التناد والكرامة : ١٦٠/١ . وانظر أيضاً في سب : ٨٣/٦ .

(٢) انظر أثر قتادة في تفسير الطبري : ٥٦/٢٨ .

(٣) المص - فتح فسكون - : منعت الحية من الإنسان ، وجنوا : انزها ، والأثر في تفسير الطبري : ٥٧/٢٨ .

مصلحة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم ، ولغيره بالصلح ، ولما قال : « وحيثما حل موسى : لقد أوحى بأكثر من هذا نصير » (١) . وفيه نهي للمؤمنين أن يتأثروا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو يؤصروا إليه أذى ، كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا موسى ، فبه الله ما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً) (٢) ،

وقوله : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) ، أي : فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى ، وأمسكتها الشك والحيرة والتخللان ، كما قال تعالى : (وَتَلَبَّأْتُمْ أَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَ الْأَمْرِ ، وَلَنُرْسِلَنَّ فِيهِمْ بَعْثُونَ (٣)) . وقال (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويترج غير سبيل المؤمنين) قوله ما تولى ، وتصل جهنم وسامت مصير (٤) . ولما قال تعالى في هذه الآية : (والله لا يهدي القوم الفاسقين) ،

وقوله : (وإذ قال عيسى بن مريم : يا بني إسرائيل ، إني رسول الله إليكم ، مصلحاً لا بين بيني من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ، يعني : التوراة قد بشرتني ، وأنا مصلحاً ما أنصرت عنه ، وأنا مبشراً بمن بعدي ، وهو الرسول النبي الأُمِّي القربي للمكي أحمد . فمضى عليه السلام هو غاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام في ملاء بني إسرائيل بمشراً بمحمد ، وهو أحمد غاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة . وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه :

حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا شيب ، عن الزهري قال : أنصرتني محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إِنْ لِي أَمِيَّاهُ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا لِلَّهِ الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْخَاشِعُ الَّذِي يُبَشِّرُ النَّاسَ عَلَى الْكُفْرِ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ » (٥) .

ورواه مسلم ، من حديث الزهري ، به نحوه (٦) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا للسودي ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حَبِيبَةَ ، عن أبي موسى قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أَمِيَّاهُ ، منها ما حفظنا قال : « أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْخَاشِعُ ، وَالْقَاضِي ، وَنَبِي الرِّحْمَةِ ، وَالنَّبِيَّةِ ، وَاللَّحْمَةِ » (٧) .

ورواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، به نحوه (٨) .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ٦٩ من سورة الأحزاب ، ومخرجه هناك . أنظر : ٤٧٥/٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٦٩ .

(٣) سورة الأتكام ، آية : ١١٠ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١١٥ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة آل ف : ١٨٨/٦ .

(٦) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب : في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، : ٨٩٤/٧ .

(٧) أنظر منه للمبود : ٨٥/٢ .

(٨) مسلم ، في الكتاب والباب للضعفين : ٩٥٢/٧ .

ما لا يسجد إلا لله ؟ قال : إن لا يسجد إلا لله عز وجل . قال : وما ذلك ؟ قال : إن الله بعث إليّ رسولاً ، فأمره أن لا يسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمره بالصلاة والزكاة . قال عمرو بن العاص : فظنم مخالفتك في عيسى ابن مريم ، قال : ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه ؟ قالوا : تقول كما قال الله عز وجل : هو كلمة الله ودوره ألقاها إلى الطيراء البتول (١) ، التي لم يسبها بشر ولم ينفرضها (٢) ولد ، قال : فرجع حوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقيسين والرميان ، والله ما يزيدون على الذي قول فيه ، ما يساوى هذا . مرجأ بكم وعن جثم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نبي في الإنجيل ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم . انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأني حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضعه . وأمرت بهيمة الآخرين فردت إليهما ، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته (٣) .

وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما ، وموضع ذلك كتاب السيرة . والمقصود أن الأنبياء عليهم السلام - لم قول تنه وتحكيه في كتبها على أنبياء ، وتعلمهم بالبايع ونصره وموازته إذا بعث . وكان ما اشهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل وأحمد بنده ، حين دعا لأهل مكة أن يعث الله فيهم رسولاً منهم ، وكذا على لسان عيسى ابن مريم ، ولهذا قالوا : أخبرنا من بئنه أمرك . يعني في الأرض ، قال : ودعوة إبراهيم ، وشارة عيسى ابن مريم ، ودرأ أي التي رأته ، أي : ظهر في أهل مكة أثر خلقه ، [والإرهاص (٤)] بذكره صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سر مبین) - قال ابن جرير ، وابن جزي (٥) : (فلما جاءهم) أحمد ، أي : للمبشر به في الأعصار الماضية ، لنتوه بذكره في القرون السابقة ، لما ظهر أمره وجاهه بالبينات قال الكفرة المخالفون ، (هذا سر مبین) .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي أَوْسَلَّ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى إلى الإسلام) ، أي : لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ، ويجعل له أتباعاً وشركاء ، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ، ولهذا قال : (والله لا يهدي القوم الظالمين) ،

(١) البتول : للفتنة عن الرجال ، لا بقوة لما فهم .

(٢) أي : لم يوتر لها ، ولم يزوجها .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٤٦١/١ .

(٤) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكانه يراش في الخطوط .

(٥) انظر تصحيح الطبري : ٥٧٤/٢٨ .

ثم قال : (يريدون ليعتقوا أن الله بأولهم) ، أى : يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطيء شعاع الشمس فيه ، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ، ولهذا قال : (والله من نوره ولو كره الكافرون) هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين يظهره على الذين كره أن يشركوا به ، وقد نظم الكلام على هاتين الآيتين في سورة يونس (١٠) ، يا فيه كفاية ، والله الحمد ولله :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْمَرٍ يَتَّبِعُكُمْ

عَلَيْهِمُ الْبَاسُ ۖ تَوَلَّوْنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ غُبُورًا ۖ وَكَفَّيْكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ يَتَّبِعُكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَيَحْطَكُمُ جَهَنَّمَ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَسَكُنَ عَلَيْهِ فِي جَنَّاتٍ عِلْيَٰةٍ
فَإِنَّ الْغُرُوبَ الْعَظِيمَ ۖ وَأَنْتُمْ يُحْيَوْنَ ۖ تَصْرَفُونَ فِيهِ ۖ وَفَتْحَ قُرَيْبٍ ۖ وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ

نظم في حاشيت عبد الله بن سلام أن الصحابة - رضى الله عنهم - أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل لينالوه فأبى الله حله البصرة ، ومن جعلها حله الآية : (يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فرس حله التجارة الطيبة التي لا تبور ، التي هي عصمة المقصود ومزية المصطوف فقال : (تَوَلَّوْنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) ويحسدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ، أى : من تجارة الدنيا ، ولذلك لما والتصدى لما وطمحا :

ثم قال : (ينظر لكم فتوىكم) ، أى : إن فقه ما أمرتكم به وفقكم عليه ، غفرت لكم الفوات ، وأدعيتكم الجنات ، ولما كن الطيبات ، والوجاهات العاليات . ولهذا قال : (ويدللكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم) :

ثم قال : (ولنرى نجوتها) [أى : وأزيدكم على ذلك زيادة نجوتها] ، وهى : (نصر من الله وفتح قريب) أى : إذا قلتم في سبيله ونصرتم فيه ، تكفل الله بنصركم . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (٢) ، وقال تعالى : (ولننصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (٣) :

وقوله : (وفتح قريب) ، أى : عاجل . فهذه الرواية هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة ، إن أطاع الله ورسوله ، ونصر الله وحبه ووفقا قال : (وبشر المؤمنين) :

(١) انظر تفسير آية يونس : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة صمد ، آية : ٧ .

(٣) سورة الحج ، آية : ٤٠ .

يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا كُنُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا نَزَلْنَا عَلَىٰ مَرْيَمَ الْحَوَارِيَّةِ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَجَاءَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عِدَّتِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى أمراء المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم ، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ورسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال : (من أنصاري إلى الله) ؟ أي : من معي في الدعوة إلى الله عز وجل ؟ (قال الحواريون) - وهم أتباع عيسى عليه السلام - : (نحن أنصار الله) . أي : نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازروك على ذلك ، ولما بهم جمعة دعاء إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيلين واليوثانيين ، وهكذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في أيام الحج : « من رجل يؤمني حتى أبلغ رسالة ربي ، [فان قرىبا قد معوني أن أبلغ رسالة ربي (١)] حتى يقبض الله - عز وجل - له الأوس والنخروج من أهل لليلة ، فبابوه وولزروه ، وفارطوه أن يمتنعوا من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم ، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وقوا له بما هملوا الله عليه ، ولما مباح الله ورسوله الأنصار ، وصار ذلك علما عليهم ، ورضي الله عنهم وأرضاهم »

وقوله : (فاجتث طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) ، أي : لا بلغ عيسى ابن مريم - عليه السلام - رسالة ربه إلى قومه ، وولزروه من ولزروه من الحواريين ، اجتمعت طائفة من بني إسرائيل بما جاهد به ، وضلت طائفة فخرجت عما جاهد به ، وجعلوا تبرته ، ودموه وأمه بالنظام - وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - وضلت فيه طائفة من إجمه ، حتى رفضوه فرق ما أعطاه الله من التوبة ، والفرقوا فركا وشيكا ، فن قال منهم : إنه ابن الله ، وقال : إنه ثالث ثلاثة : الأب ، والابن ، وروح القدس ، ومن قال : إنه الله ، وكل هذه الأقوال منفصلة في سورة النساء (٢) ،

وقوله : (فأيدنا الذين آمنوا على عِدَّتِهِمْ) ، أي : نصرناهم على من عاداهم من قريش النصاري ، (فأصبحوا ظاهرين) أي : عليهم ، وذلك بيعة عمدة صلى الله عليه وسلم ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله :

حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن النعمان - يعني ابن عمرو - عن معبد بن جابر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال : لا أراد الله - عز وجل - أن يرفع عيسى إلى السماء ، يخرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا ، من حين في البيت ، ورأسه يقطر ماء ، قال : إن منكم من يكفر في اثني عشر مرة بعد أن آمن به ، قال : ثم قال : أليكم يأتي عليه شئ فيقتل مكاني ، ويكون مبي في درجتي ؟ قال : هاهنا شاب من أحشائهم سنا فقال :

(١) حسنة الإمام أحمد بن حنبل بن عبد الله ، ٣٢٢٢٣ ، ٣٣٩ .

(٢) انظر : ٤٠١٢٢ .

أنا . قال : قال له : اجلس : ثم أحاد عليهم ، قام الشاب فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم أحاد عليهم ، قام الشاب فقال : أنا . فقال له : أنت ذلك . قال : فألقى عليه شبه عيسى ، وروّح عيسى - عليه السلام - من روضة (١) في البيت إلى السماء ، قال : وجاء الطالب من اليهود ، فأخطوا شبهة قتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به ، ففرقوا ثلاث فرق . قالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء البقية ، وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ، ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء . الله ثم رفعه إليه ، وهؤلاء المسلمون . ، فظاهرت الكافران على المسلمة ، فقتلها ، فلم يزل الإسلام ملأها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) . ، يعني : الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى ، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ، (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) ، باظهار محمد - صلى الله عليه وسلم - دينهم على دين الكفار ، (فأصبحوا ظاهرين)

هذا لقوله في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة (٢) . وهكذا رواه الترمذي عند تفسير هذه الآية من سننه ، من أبي كريب محمد بن الوليد ، عن أبي بصير ، عنه سواء (٣) .

فأما محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يزالون ظاهرين على الحق ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وحتى يقاتل آخرهم النجلاء مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، كما وردت الأحاديث الصحيحة ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة الصف والله العبد والذليل

(١) تقدم تفسيره في : ٣٧/٢ ، ٤٠٠ .

(٢) تفسير البغوي : ٦٠/٢٨ .

(٣) انظر أيضاً رواية ابن أبي حاتم في : ٤٠١/٢ .

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس : وأبى هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمناقض . ورواه مسلم في صحيحه (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبِغُ اللَّهُ مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَاءَ الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُوا عَلِيمٌ ۝ فَالْيَوْمَ يُؤَيِّدُكُمْ بِقُوَّتِهِ وَيُجِزِّيهِمْ وَيُعْطِيهِم مَّا يَشَاءُونَ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۝ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

غير تعالى أنه يسبغ له ماء السحاب وما في الأرض ، أي : من جميع المراتك تطلتها وجمادها ۝ كما قال : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده (٢))

ثم قال : (الملك القدوس) أي : هو مالك السموات والأرض المصروف فيها بحكمه ، وهو : (القدوس) ، أي : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال . (العزيز الحكيم) : تقدم تفسيره غير مرة ،

وقوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم) ، الأميون هم : العرب كما قال تعالى : (ولعل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أسلمتم ؟) فإن أسلموا فقد اعتلوا ، وإن تولوا فإنا عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد (٣) ، ولخصيص الأميين بالذكر لا يبنى من عدم ، ولكن للفتنة عليهم أبلغ وأكد ، كما في قوله : (وإنه لذكر لك ولقومك) (٤) وهو ذكر ليعلمهم يذكرون به . وكله قوله : (وأنذر عشيرتلك الأكرين (٥)) . وهذا وأمثاله لا يبنى قوله تعالى : (قل : يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعاً (٦)) ، وقوله : (لأنذركم به من يبلغ (٧)) ، وقوله إنذاراً عن

(١) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة : ١٥٠-١٦٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٤٤ .

(٥) سورة الشعراء ، آية : ٢١٤ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

القرآن : (ومن يذكر به من الأحزاب فالتار موعده (١) ، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة على عموم بفتح - صلوات الله وسلامه عليه - إلى جميع الخلق ، أسمرهم وأسودهم ، وقد قلنا تفسير ذلك في سورة الأنعام ، بالآيات والأحاديث الصحيحة ، والله الحمد والملة .

وله الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم ، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يملأ عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعث الله - سبحانه وتعالى - وه الحمد والملة - على حين فرة من الرسل ، وطُفُوس من السبل ، وقد اشغلت الحاجة إليه ، وقد مئت أهل الأرض عربهم وخبيثهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : ثروا يسرا - [عن نمك (٢)] ما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولهذا قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يملأ عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) . وقد أتى العرب كانوا متمسكين بدين إبراهيم - عليه السلام - فبدلوه وغيروه ، [وقلوبه] وخالفوه ، واستبدلوا بالتحديد شركا ، وبالبقين شركا ، وابتدعوا لغيره لم يأتهم بها الله ، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها [وغيروها] وأولوها ، فبعث الله محمدا - صلوات الله وسلامه عليه - بشرح عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر مصلحتهم وسعادتهم ، والهدى لهم إلى ما يقرهم إلى الجنة ، ورضا الله عنهم ، والهدى عما يقرهم إلى النار وضيق الله - حاكم ، فاصل لجميع الشهوات والبيكوك والريب في الأصول والقروص . وجسم له تعالى - وه الحمد والملة - جميع المصالح من كان قبله ، وأعطاه مالم يخطئ لمسلم من الأولين ، ولا يخطئ لمسلم من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين .

وقوله : (واكثرين منهم لا يلقوا بهم وهو العزيز الحكيم) - قال الإمام أبو زيد الله البغوي رحمه الله :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبي الثنيث ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كتبوا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأقرت عليه سورة البقرة : (واكثرين منهم لا يلقوا بهم) ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يرهمهم (٣) حتى سئل ثلاثا ، وفيها سلمان الفارسي ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال : لو كان الإعلان عند الله لكان له رجال - أو : رجل - من هؤلاء (٤) ،

ورواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي وابن حاتم ، وابن جرير ، من طرق عن ثور بن زيد الذي ، عن سالم أبي الثنيث ، عن أبي هريرة ، به (٥) .

في هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية ، وعلى عموم بفتح صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، لأنه لم يصر قوله : (واكثرين منهم) بغير ، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلى الله عز وجل ،

(١) سورة هود ، آية : ٦٧ .

(٢) ما بين القوسين من العبارات السابقة . وكذلك يراعى في القسوة .

(٣) في البخاري : « راجع حتى مائة » .

(٤) البخاري : تفسير سورة البقرة : ١٨٩-١٨٤/٦ .

(٥) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضل فارس ، ١٩١/٧ - ١٩٢ . وشقة الأعراس : تفسير سورة البقرة : الحديث ٣٣٦٤ - ٣٠٩/٩ - ٣١١ ، وتفسير البقرة : ٦٢٨ - ٦٣٠ .

ولذلك اتباع ما جاء به : ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله : (وآخرون منهم لا يلتحقوا بهم) ، قال : هم الأعجم ، وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن البلاد الزبدي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو محمد عيسى ابن موسى ، عن أبي حازم ، عن سهل بن عبد الجاهلي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال [من أصحابي] ورجالاً (٢) [ونساء من أمي يدخلون الجنة بغير حساب] ، ثم قرأ : (وآخرون منهم لا يلتحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (وهو العزيز الحكيم) ، أي : ذو القوة والحكمة في شرعه وقدره ،

وقوله : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) ، يعني ما أعطاه الله عبداً صلى الله عليه وسلم من الثبوت الطيبة ، وما خص به أمته من بركاته - صلى الله عليه وسلم - إليهم .

مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا لِلْثَّوْرِ ثُمَّ لَا يُرْجِعُهُمْ إِلَى الْحِمْلِ وَلَا يُنْفِقُوا شِئًا مِمَّا كَسَبُوا سَاءَ مَا يُحْكُمُ الْفُتُورُ ۖ ﴿١﴾ قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ خَلَوْا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِي دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا أَلَمَوتَ إِن كُنْتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿٢﴾ وَلَا تَتَّبِعُوهُمُ أَهْبَآءُ ۖ فَكُنْ مِمَّنْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَأَلَّا يَمْنُوا ۖ قُلْ إِنَّا نَدْعُو إِلَى شَيْءٍ مُّشْتَرِكٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم مَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى فاما اليهود الذين أصابوا الثورة وحملوها ففعل بها ، فلم يملأوها ، فظهر في ذلك كمثل الحمل يحمل أسفارا ، أي : كمثل الحمل إذا حمل كتيلاً لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حملاً خالياً ولا يدرى ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم للكتاب الذي أولوه ، حفظوه فقط ولم يفهموه ، ولا عملوا بتقصاه ، بل أولوه وحرفوه وبلوه ، فهم أسوأ حالا من الحمير ، لأن الحمل لا يفهم له ، وهؤلاء لم يفهم لم يستعملوها ، ولهذا قال في الآية الأخرى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الضالون (٢)) . وقال جماعة : (يش مثل أقوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا ابن كثر ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب ، فهو كمثل الحمير يحمل أسفارا ، والذي يقول له : أنتعبت ، ليس له جمعة (٤) » .

(١) انظر تفسير الطبري : ٦٢/٢٨ .

(٢) ما بين القوسين من لفظ للتثنية ، يوك لفرد السيرة عن الطبري وابن جرير . انظر : ٢١٠/٢٦ .

(٣) سورة الأعراف : آية : ١٧٩ .

(٤) سنن الإمام أحمد : ٢٧٠/٢٩ .

ثم قال تعالى : (قل : يا أيها الذين آمنوا ، إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)
 أي : إن كنتم صادقين [زعمون أنكم على حدى ، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضلال من الذين
 (إن كنتم صادقين) فيما زعموه : قال الله تعالى : (ولا يضمنونه أبداً بما ظلمت أيديهم) ، أي : بما يعملون لهم من الكفر
 والظلم والفسور ، (والله عليم بالظالمين) ، وقد تقدمت في « سورة البقرة (١) » الكلام على حله المباهلة لليهود ، حيث
 قال تعالى : (قل : إن كانت لكم الهوى الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)
 وإن يضمنوه أبداً بما ظلمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، ويضمنهم أحرص الناس على حياة ، ومن الذين أشر كروا يود أحدهم
 لو يضمن ألف سنة ، وما هو بيزجره من المطلب أن يصر ، والله بصير بما يعملون (٢) ، وقد أسلفنا للكلام هناك ،
 وبيننا أن للولد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم ، كما تقدمت مباهلة الصلوى في آل عمران : (فنحلبك
 فيه من بعد ما جعلك من العلم ، قتل ، عاتلوا ، تلح أبائنا وأبنائكم ، ونساخت ونساختكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نجهل
 فضيل لمتنا القليل للكاثرين (٣)) ومباهلة للمشركين في صورهم : (قل : من كان في الضلالة فليمدد لئلا يحسن مداً (٤))
 وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يزيد الرقي (٥) أبو يزيد ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم بن مالك
 الجوزي ، عن حكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنه الله : إن رأيت محمداً عند الكعبة لأتبعه حتى أملا على
 حنثه : قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لو فعل لأحلقه للملائكة هباءً ، ولو أن اليهود تمنوا الموت
 لكثروا ورواوا مقامهم من النار ، ولو خرج الذين يكفون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجنون مالا
 ولا أملاً (٦) .

رواه البخاري والترمذي والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر [عن عبد الكريم - قال البخاري :] وبه
 عمرو (٧) بن خالد ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم (٨) ، ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمن بن عبيد
 الله الحنظلي ، عن عبيد الله بن عمرو الرقي ، به أم .

وقوله تعالى : (قل : إن الموت الذي ترون منه فإنه ملائكم) ثم وردون إلى عالم اليبس والشهادة فينبئكم بما كنتم
 تعملون ، كقوله تعالى في سورة النساء : (أيها نذكرونا يذكركم للموت ولو كنتم في بروج مشيدة (٩)) .

(١) انظر : ١٨٢/١ - ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة : الآيات ٩٤ - ٩٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٦١ . انظر : ٤٥ - ٤٥ - ٤٥ .

(٤) سورة ص : آية ٧٥ . وانظر : ٢٥٣/٥ .

(٥) في النسخة : « لائق » ، بالفتح . وفيها أيضاً : « لائق » ، حدثنا أبو يزيد ، والتهبت عن المسند ، والمسألة التي تقدمت
 في سورة آل عمران : ٤٣/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٤٨/١ .

(٧) ما بين القوسين من الطبعة السابقة . وانظر البخاري : « عليه عمرو » .

(٨) البخاري : تفسير سورة الباق : ٢١٦/٦ . وانظر تحفة الأوصاف : تفسير سورة « اقرأ باسم ربك » ، الحديث

٣٤٠٦ : ٢٣٧/٩ - ٢٧٨ .

(٩) سورة النساء : آية ١ .

وفي معجم الطبراني من حديث معاذ بن عبد اللطيف ، عن يونس ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعاً : « مثل الذي يضر من الموت كمثل الثعلب تظله الأرض بدين ، فجاء يسمى حتى إذا أعيأ وتبهر دخل جحره » ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني . فخرج له حصصاً (١) ، فلم يزل كذلك حتى قطعت حنقه ، فأتته :

إِنَّمَا أَتَى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبيرة وفيه كسَل جميع الملائك ، فانه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض . وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها . وفيه تقوم الساعة . وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أصلاه إياه ، كما ثبت بذلك الأحاديث المصاح (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبيدة بن حميد (٣) ، عن منصور ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قزح الضبي ، حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم - : « يا سلمان ، ما يوم الجمعة ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم جمع فيه أبوك - أو : أبوكم » .

وقد روى عن أبي هريرة ، عن كلامه ، نحو هذا ، فله أعلم .

وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة . وثبت أن الأمم قبلنا أمرُوا به فَعَبَلُوا عنه ، وانظر اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق ، وانظر النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، وانظر الله هذه الأمة الجمعة التي أكمل الله فيها الخلق ، كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبّه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » (٤) ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يؤمنهم الذي قرأه الله عليهم ، فاعتقوا فيه ، فهلكوا الله له ، فالتفت لنا فيه ، اليهود خلأ ، والنصارى بعد غد . فقط البخاري .

(١) المحض : ثمة العفو وسنته .

(٢) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : الساعة التي في يوم الجمعة : ١٦/٢ . ومسلم ، كتاب الجمعة أيضاً ، باب : في الساعة التي في يوم الجمعة : ٢٠/٣ .

(٣) في المخطوطة : « عبيدة بن سباد » . والصاب ما أثبتناه ، انظر المرح والتبطل لابن أبي حاتم : ٩٧/١٣ .

(٤) وقع لنا هذا القدر في البخاري من رواية عبد الرزاق ، في كتاب الإيمان والفتور : ١٥٩/٨ - ١٦٠ . وكتبه بتفسير : ٥٣/٩ . ولما بقية الحديث فوقع لنا أيضاً في البخاري في كتاب الجمعة ، باب : فرض الجمعة ، عن حديث عبد الرحمن ابن هرمز الأصرح ، عن أبي هريرة : ٧٤/٢ . ولما حديث مسلم في كتاب الجمعة ، باب : شهادة هذه الأمة ليوم الجمعة : ٧٤/٢ .

وقى فقط لحلم : « أقبل الله من الجمعة من كان قبلها ، فكان اليهود يوم السبت ، وكان نصارى يوم الأحد . فجاهد الله بنا فهناك الله ليوم الجمعة ، فقبل الجمعة والسبت والأحد ، وكل ذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أصل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، للتقضى بينهم قبل الخلق (١) » .

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادة يوم الجمعة ، قال : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) ، أي : فصلوا واملأوا واحضروا في مسيركم إليها ، وليس للزاد بالسعي هاهنا للمشي السريع ، وإنما هو الاهتمام بها ، كقوله تعالى : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن (٢)) ، وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود - رضي الله عنهما - يقرأتا : (فاسعوا إلى ذكر الله (٢)) . فلما للمشي السريع إلى الصلاة فقد نبى عنه ، لا أخرجهما في الصبحين ، من أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركم فصلوا ، وما لائكم فاتوا (٤) » ؟ لفظ البخاري .

وعن أبي قتادة قال : بينما نحن نصلّي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ سمع بكيتة رجال ، فلما صل قال : « ما شأنكم ؟ » قالوا : استسجنا إلى الصلاة : قال : « فلا تفعلوا : إذا أقيم الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة ، فما أدركم فصلوا وما لائكم فاتوا ؟ » أخرجه (٥) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسرون ، ولكن اتوها مشوقين ، وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركم فصلوا ، وما لائكم فاتوا ؟ » .

رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك ، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، نحوه (٦) .

قال الحسن : لما والله ما هو بالسعي على الأقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والنفوس .

وقال قتادة في قوله : (فاسعوا إلى ذكر الله) ، يعني : أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو للمشي إليها ، وكان يقول : قوله تعالى : (فلما بلغ منه السعي) ، أي : للمشي منه : ودوى عن محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وغيرهما . نحو ذلك .

(١) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب : حماية الله هذه الأمة ليوم الجمعة ، ٧/٣ .

(٢) سورة الإسراء : آية ١٩ .

(٣) تفسير الطبري ، ٦٥/٢٨ .

(٤) البخاري ، كتاب الأذان ، باب : لا يسمى إلى الصلاة ، ولأت بالسكينة والوقار ، ١٦٤/١ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب : استسجاء إتيان الصلاة بوقار وسكينة ، وفيه من إتيانها سبياً : ١٠٠/٢ .

(٥) البخاري ، مسلم في الكتاب والباب المتضمنين ، انظر البخاري : ١٦٣/١ ، ومسلم : ١٥٠/٢ - ١٥١ .

(٦) تحفة الألوحي : أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في المشي إلى المسجد ، الحديث ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٢٨٧/٢ - ٢٩٠ .

ويستحب أن جاء إلى الجمعة أن يتصل قبل عبه إليها ، لا ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « إنا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » (١) :

ولما عن أبي سعيد - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » (٢) :

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من غفل عن كل صلاة أيام ، يغسل رأسه وجسده » : رواه مسلم (٣) .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من غفل عن كل صلاة أيام غسل يوم ، وهو يوم الجمعة » : رواه أحمد ، والنسائي ، وابن حبان (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن علي ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس التميمي قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من غسل واغتسل يوم الجمعة ، ويكره أن يركب ، ومشي ولم يركب ، وحفا من الإمام واستمع ولم يكلم - كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صلاتها وقيامها » (٥) .

وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة - وحسنه الترمذي (٦) .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بثقة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » [أخرجه (٧)] .

ويستحب أن لا يلبس أحسن ثيابه ، ويصليبه ويصوكه ، ويمتنع ويظهر : وفي حديث أبي سعيد الخدري : « غسل يوم الجمعة واجب على كل عظم ، والصلوات ، وأن يمس من طيب أهله » .

-
- (١) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب « غسل للفصل يوم الجمعة » : ٢/٢ . ومسلم ، كتاب الجمعة أيضاً : ٢/٢ .
 - (٢) البخاري ومسلم في الكتابين السابقين ، انظر البخاري : ٢/٢ . ومسلم : ٢/٣ .
 - (٣) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « الغسل والصلوات يوم الجمعة » : ٤/٣ .
 - (٤) مسند الإمام أحمد : ٣٠٤/٣ . والنسائي وهذا لقده - في كتاب الجمعة ، باب « واجب للفصل يوم الجمعة » : ١٢٨/٧ .
 - (٥) مسند الإمام أحمد : ١٠٤/٤ .
 - (٦) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب « في الفصل يوم الجمعة » . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب « غسل فصل يوم الجمعة » : ٩٦/٣ - ٩٦ . وابن ماجه ، كتاب الإقتضا ، باب « ما جاء في الفصل يوم الجمعة » ، الحديث ١٠٨٧ .
 - (٧) وتلفه الأحرار ، أبواب الجمعة ، باب « في الفصل يوم الجمعة » ، الحديث ٤٩٤ : ٣/٣ - ٤ .
 - (٨) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب « غسل الجمعة » : ٢/٢ . ومسلم ، كتاب الجمعة أيضاً ، باب « الغسل والصلوات يوم الجمعة » : ٤/٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بقرب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي ، عن حماد بن عمار ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبي أيوب الأنصاري : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من اغتسل يوم الجمعة وسس من طيب أمه - إن كان متده - وليس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع - إن بدا له - ولم يؤذ أحدا ، ثم أتيت إذا خرج إمامه حتى يصلي - كانت كفارة لما بينهما وبين الجمعة الأخرى » (١) .

وفي سنن أبي داود وابن ماجه ، عن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبين مهنته » (٢) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب الناس يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب اللباد (٣) ، فقال : « ما على أحدكم إن وجد سمكة أن يتخذ ثوبين لجمعة ، سوى ثوبين مهنته » . ورواه ابن ماجه (٤) .

وقوله تعالى : (إذا قرئ الصلاة) : أراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج فجلس على المنبر ، فإنه كان حيثما يؤذن بين يديه ، فهنا هو للراد ، فلما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فلما كان هذا لكثرة الناس ، كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم - هو ابن أبي إياس - حدثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن السائب بن يزيد قال : « كان لنداء يوم الجمعة لوه إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولبي بكر وعمر ، فلما كان عثمان بعد زمن (٥) ، وكثر الناس ، زاد النداء الثاني (٦) على الأول (٧) » . يعني : يؤذن به على المنبر حتى يسمى بالزوراء ، وكانت أولع دار بالمدينة ، بقرب المسجد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا محمد بن راشد الكوفي ، عن مكحول : أن النداء كان في يوم الجمعة مؤذنا واحد حين يخرج الإمام ، ثم تقام الصلاة ، وذلك النداء الذي يحرم عنده البيع والشراء إذا نودي به ، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٢٠/٥ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « أليس الجمعة » . وسنن ابن ماجه ، كتاب الإقالة ، باب « ما جاء في التوبة » يوم الجمعة ، الحديث ١٠٩٥ : ٢٤٨/١ .

(٣) اللباد : جمع ثمر - ينتج فسكر - وهي : ثياب يلبسها الأعراب .

(٤) سنن ابن ماجه ، في الكتاب والباب للمفسرين ، الحديث ١٠٩٦ : ٢٤٩/١ .

(٥) ما بين القوسين غير ثابت في الصحيح .

(٦) في الصحيح : « النداء الثالث » ، وظل في سنن ابن ماجه ، كتاب الإقالة ، باب « ما جاء في الأذان يوم الجمعة » .

الحديث ١١٣٠ : ٢٥٩/١ .

(٧) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب « الأذان يوم الجمعة » : ١٠٤/٢ .

وإذا يومر بحضور الجمعة الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويسلر المسافر والمريض ، وتقيم للرئيس ، وما تشبه ذلك من الأكل ، كما هو مقرر في كتب الفروع ،

وقوله : (وفروا البيع) ، أى : اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة : ولما اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني : وانظروا : هل يصح إذا تعاطاه متاع لم لا ؟ هل قولين ، وظاهر الآية علم الصحة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم :

وقوله : (فلكم غير لكم إن كنتم تعلمون) ، أى : ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة غير لكم ، أى : في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون ،

وقوله : (فإذا قضيت الصلاة) ، أى : فرغ منها ، فانتشروا في الأرض ، واجتروا من فضل الله : لئلا يجترع عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع ، أئذ لم يعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتعاد من فضل الله . كان حركته (١) ماله - رضى الله عنه - إذا صل الجمعة اصصرف فوقف على باب المسجد ، قال : اللهم ، أجبني دعوتك ، وصليتي فريضتك ، وانتشرت كما أمرني ، فارزقي من فضلك ، وأنت خير الرازقين : رواه ابن أبي حاتم ، وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة ، يارك الله له سبعين مرة ، لقول الله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، واجتروا من فضل الله) ،

وقوله : (ولذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، أى : في حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعطائكم ، اذكروا الله ذكرا كثيرا ، ولا تشغلوا الدنيا عن الذي ينبغيكم في السبل والآخرة . ولما جاء في الحديث : « من دخل سوقا من الأسواق قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، [له لك] وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كتبت له ألف ألف حسنة ، ومشي عنه ألف سيئة (٢) » ،

وقال مجاهد : لا يكون المبد من اللادين الله كثيرا ، حتى يذكر الله قائما وقاعا ومسطحبا .

وَلَمَّا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا مُنْصَرَفُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي تَجْعَلُكُمْ سُلُوكًا
الْزُّيِّنَ (٣)

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن لعبلة يوم الجمعة إلى التجارة التي كملت للبيع يومئذ ، فقال تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انصرفوا إليها ، وتركوك قائما) ، أى : على المنبر تغلب . هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم : أبو العالية ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وقادة ،

(١) روى مالك بن مالك عن ابن عمر وأبي هريرة . وروى عنه ابنه عثمان بن مالك ، وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . قال أبو زرعة : مرآة بن مالك ثقة . انظر المرح والتمثيل لابن أبي حاتم : ٢٨/٢ .
(٢) تحفة الأسماء ، أبواب الدعوات ، باب : ما يقول إذا دخل السوق ، الحديث ٣٤٨٨ : ٢٨٦/١ - ٢٨٧ .
وقال القرطبي : « هذا حديث غريب » . وسنن ابن ماجه ، كتاب التعليلات ، باب : الأسواق ومصرها ، الحديث ٧٢٢٥ : ٧٥٧٢٧ . وسنن الزيام أسد بن عمر - رضى الله عنه - : ٤٧٤١ .

وزعم مقال بن حيان : أن التجارة كانت لمحبة بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فأنصرفوا إليها وتركوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما على المنبر إلا القليل منهم ، وقد صحح بذلك الخبر ، قال الإمام أحمد :

حدثنا ابن إدريس ، عن حمصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر قال : فكتمت حبر للنبوة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلا ، فتركت : (وإننا رأوا تجارة أولوا انفضوا إليها) (١) .
أخرجناه في الصحيحين ، من حديث سالم ، به (٢) .

وقال الحافظ أبو يعل : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا حشم ، عن حمصين ، عن سالم بن أبي الجعد وأبي عتيق ، عن جابر بن عبد الله قال : بينا نلقى - صلى الله عليه وسلم - يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عير لى للنبوة ، فأنصرفوا أصماب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لم يبق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا اثنا عشر رجلا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « واللى تقى بيده ، لو تباهم حتى لم يبق منكم أحد ، لسال بكم الواسى قارأ » ، وتركت هذه الآية : (وإننا رأوا تجارة أولوا انفضوا إليها) ، وتركوك قائما ، وقال : [كان] فى الآتى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أبو بكر ، وعمر وعضى الله عنهما .

وفى قوله : (وتركوك قائما) ، دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما : وقد روى سلم فى صحيحه عن جابر ابن مسرقة قال : كانت لى - صلى الله عليه وسلم - خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس (٣) .

لكن حاشا [لى] يبنى أن يطم وهو : أن هذه القصة قد قيل : إنها كانت لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود فى كتاب الراسل : حدثنا محمود بن خالد ، عن الوليد ، لعنرى أبو معاذ بكير بن معروف ، أنه سمع مكائل بن حبان يقول : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصل يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العبدن ، حتى إذا كان يوم (٤) والى - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، وقد صل الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن محبة بن خليفة قد قدم بتجارة (٥) » : يعنى فأنفضوا ، ولم يبق معه إلا نفر يسير ،

وقوله : (قل ما عند الله) ، أى : للى عند الله من الثواب فى القلر الآخرة (غير من القلر ومن التجارة ، والله خير الرلاقن) ، أى : أن توكل على الله ، ومطلب الرزق فى وقته .

آخر تفسير سورة الجمعة ، والله الصمد واللة

(١) سند الإمام أحمد : ٣١٢/٢ .

(٢) البخارى ، تفسير سورة الجمعة : ١٨٩/٦ . وسلم ، كتاب الجمعة ، باب فى قوله تعالى : (وإننا رأوا تجارة أولوا انفضوا إليها وتركوك قائما) : ٩/٢ - ١٠ .

(٣) سلم ، كتاب الجمعة ، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيها من الجمعة : ٩/٢ .

(٤) فى الراسل : « كان يوم الجمعة » .

(٥) فى الراسل : « بتجارته » . انظر راسل لى داود ، باب ما جاء فى الخطبة يوم الجمعة : ١٠٠ .

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَاتَلُوا
مَنْ كَفَرُوا فَنُفِخَ عَنْ قُلُوبِهِمْ فهُمْ لَا يَقْهَرُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
تَسْمِعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْمِلُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ إِنَّ
يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى خبرا عن المنافقين : أنهم إنما يظهرون بالإسلام إذا جاءوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما في باطن الأمر
فليسوا كذلك ، بل على الضد من ذلك ، ولما قال تعالى : (إنا جملنا المنافقين قالوا : نشهد أنك لرسول الله) ، أي :
إنا حذرنا عتلك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون : ولما أعرض بحجة خبره أنه رسول الله
فقال : (والله يعلم أنك لرسوله)

ثم قال : (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) ، أي : فبا خبروا به ، وإن كان مطابقا للحرج ، لأنهم لم يكونوا
يظنون صفة ما يقولون ولا صدقه ، ولما كذبهم بالنسبة إلى احتضامه

وقوله : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ، أي : اتقوا الناس بالإيمان الكاذبة والحلفات (١) الآتية ،
ليصلوا فيما يقولون [لا خسر لهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاحتضوا أنهم مسلمون ، فرما اقتدى بهم فيما يفعلون] (٢)
وصدقهم فيما يقولون ، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يأثرون الإسلام وأعله غيبلا ، فحصل لهم القدر ضرر
كبير على كثير من الناس ، ولما قال تعالى : (فصلوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون) - ولما كان الضحك
أين مركزهم يقرؤها : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ، أي : تصديقهم الظاهر جهنة ، أي : تقية يثرون به القتل - والجهنم
يقرؤها : (أَيْمَانَهُمْ) جمع بين (٣)

(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يقهرون) ، [أي : إنما قدّر عليهم التفات لرجوعهم عن
الإيمان إلى الكفران ، واستبدلهم الضلالة بالهدى (فطبع الله على قلوبهم فهم لا يقهرون (٤))] ، أي : فلا يصل إلى قلوبهم
هدى ، ولا ينص إليها خبر ، فلا تنى ولا تهنى

-
- (١) في الضميمة : والمخلفات ، بالثبوت . ولم نجد في المصوح ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، ويكون جمع - حلة - .
(٢) ما بين القوسين من التعليقات السابقة .
(٣) قال أبو حنيفة في البحر المحيط ٢٧١/٨ : « وقرأ اليهود (أَيْمَانَهُمْ) بفتح الحزة : جمع بين . والحسن بكسرهما ،
[صغر : تن] » .

(وإذا رأيهم تعجبك لجهنم ، وإن يقولوا سمع لقولم) ، أى : كانوا أشكالا حسنة وذوى فصاحة وألغة ، إذا سمعهم السامع يعضى إلى قولهم ليلاتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخور والملح والجزع والجبن ، ولهذا قال : (يصبون كل صيحة عليهم) ، أى : كلما وقع أمر أو كاتبة أو خوف ، يعضون لجهنم أنه نازل بهم ، كما قال تعالى : (أشد علىكم ، فإذا جاء الخوف وأبهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألصق حللهم أشد على الخبير ، أولئك لم يؤمنوا ، فأحبط الله أعمالهم ، وكان ذلك على الله يسيرا (١)) ، فهم جهنمات (٢) وصور بلاطى . ولهذا قال : (هم الطوفان حللهم الله أنى يؤفكون) ، أى : كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال :

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجيمحى ، عن إسحاق بن بكر بن أبي القرات ، عن سيد بن أبي سديد القبرى . عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن المنافقين علامات يعرفون بها : فيهم لمة ، وطعامهم نهبة (٣) ، وعيبتهم غلول ، ولا يقربون للمسجد إلا هرجرا (٤) ولا يأتون الصلاة إلا دبراً (٥) ، مستكبرين لا يأتون ولا يؤتفون ، غشيب (٦) بالليل ، صخب بالنهار ، وقال يزيد مرة : صخب بالليل (٧))

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأْىَ رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتُمْ يُصَلُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَالِيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَتَفَضَّلُوا بِهِ نَسِيتُمْ أَنَّ الْمَسْكُونَةَ وَالْأَرْضَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ يَقُولُونَ لَنْ رُجِعْنَا إِلَى الْمَلَأَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلَهُ الْعِزَّةُ وَإِسْرَؤِيلُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى خبراً عن المنافقين - عليهم لعائن الله - أنهم ، (إذا قيل لهم : تعالوا يستغفر لكم رسول الله ، لوأى رؤوسهم ، ورأيتهم يصلون) ، أى : صعدوا وأمرضوا عما قيل لهم ، استكباراً عن ذلك ، واحتقاراً لما قيل لهم . ولهذا قال : (ورأيتهم يصلون وهم

(١) سورة الأحزاب ، آية : ١٩ .

(٢) الجاهل من الله : الحساب الذى لا ماله فيه . وقد استعمل فى الآية لا غير فيه ، ومنه قول كعب بن أسد بنى أسطى : جنى بهام . أى : الذى تفرقه من من الذين لا غير فيه كليلهم الذى لا ماله فيه .

(٣) القبة - بضم القاف - : ما ينطس .

(٤) أى : من مرضين منها . وقد ورد فى حديث أبي الدرداء : « ولا يسمعون لقرآن إلا هرجاً » ، قالوا : أراد الترك والىراض . يقال : هربت القبة هرجاً : إذا تركت وأفضلت .

(٥) أى : آخر الوقت .

(٦) أى : يتنزلون الليل كأنهم غشيب طرفة لا يصلون فيه ، فإذا أصبحوا تساموا على الدنيا فما وحرصاً . والسبب والصخب : السباح .

(٧) منه الإمام أحمد ٢٩٢/٢ .

بلنه أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال : (ليخرجن الآخر منها الأكل) . فارتحل قبل أن يتول آخر النهار ، وقيل لعبد الله ابن أبي : انت اثني - صلى الله عليه وسلم - حتى يستغفر لك . فأقول الله : (إذا جاءك المنافقون) إلى قوله : (وإذا قيل لهم : تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووارعهم) .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك ، فيه نظر ، بل ليس بجيد ، لأن عبد الله ابن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطلاقة من الجيش . وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسيرة أن ذلك كان في غزوة الترسيع ، وهي غزوة بني المصطلق .

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثني عبد بن يحيى بن حبان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عسار ابن قتادة ، في قصة بني المصطلق : « فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معتم هناك ، أقتل على الماء جهنجاه ابن سعيد (١) الغزوي - وكان أجيرا - لمر بن الخطاب ، وسنان بن وثر (٢) - قال ابن إسحاق : فحدثني محمد ابن يحيى بن حبان قال : أرحمنا على الماء فاقبلا ، فقال سنان : يا مشر الأتصار . وقال الجهنجاه : يا مشر المهاجرين - يزيد بن أرقم وثمر من الأتصار عند عبد الله بن أبي - فلما سمعنا قال : قد لاؤرونا (٣) . في بلادنا . والله ما ملنا . وجلايب (٤) قريش حله إلا كما قال القائل : « سمن كلوك يا كلك » . والله لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الآخر منها الأكل . ثم أقبل على من هدته من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم ، أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو كفتهم منهم لفسدوا عنكم من بلادكم إلى غيرها . فسمعوا زيد بن أرقم ، فذهبوا إلى رسول - صلى الله عليه وسلم - وهو غليظ - وعندهم من الخطاب - رضي الله عنه - فأنشروه الخبر ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله مر عبادك بن يشر فليضرب عنه . قال صلى الله عليه وسلم : « فكيف إذا تحدث الناس » . يا عمر - أن محمد يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن ناد يا عمر في الرجل » .

فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه فاعتذر إليه ، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا : يا رسول الله ، عسى أن يكون هذا الغلام أوم ولم يثبت ما قال الرجل » .

وراج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهتجرا في ساحة كان لا يروح فيها ، فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بصيغة التنية ، ثم قال : والله لقد رحت في ساحة منكورة ما كنت تروح فيها . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما بلطك ما قال صاحبك ابن أبي ؟ زم أنه إذا قدم للمدينة أنه سيخرج الآخر منها الأكل » . قال : فانت - يا رسول الله -

(١) في سيرة ابن هشام : « بن مسعود » . وفي أسد الغابة ١/٣٦٥ : « جهنجاه بن قيس » . وقيل : ابن سعيد .

(٢) في الخطوبة : « سنان بن يزيد » . والكتب من سيرة ابن هشام : « وأسد الغابة لابن الأثير ٢/٤٦٣ » .

(٣) الخطوبة : « للرائية » .

(٤) جلايب قريش ، لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبح ذلك للمشركين ، وأصل الجلايب : الأذن للقطا ، كانوا يصمون بها ، فلهذا يلقبهم بذلك .

الذين هم من اللئيل. ثم قال : يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءه بك وإننا لننتقم له الكفر لننتوجه ، فانه يرى أن قد استبطيته ملكا .

فسار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [بالناس] حتى أسوا ، وليته حتى أصبحوا ، وصعد يومه حتى اشتد الضجى . ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الخبيث ، فلم يامن الناس أن وجدوا من الأرض ضغوا ، ونزلت سورة المنافقين (١) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا الحسيني ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة فكتسح (٢) رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوا فلانها مبتدأ » . وقال عبد الله ابن أبي ابن سلول - وقد قبلوها - : والله لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الآخر منها الأكل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « دمه ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

ورواه الإمام أحمد بن حنبل بن محمد للروزي ، من سفيان بن عيينة (٣) . ورواه البخاري عن الحسيني ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، من سفيان ، به نحوه (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن زيد ابن أرقم قال : كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، فقال عبد الله بن أبي : لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الآخر منها الأكل . قال : فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك . قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال : فاطلقت فنت كتيبا حزينا ، قال : فأرسل إلي النبي الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « وإن الله قد أنزل حكوكا وحكوكا » . قال : فتركت حمل الآية : (م الذين يقولون : لا تقفوا على من عند رسول الله حتى يفضوا) حتى بلغ : (لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الآخر منها الأكل) (٥) .

ورواه البخاري عند هذه الآية ، من آدم بن أبي إياس ، عن شعبة ، ثم قال : وقال ابن أبي زائدة ، عن الأعمش ، عن بخرو ، عن ابن أبي ليلى ، عن زيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) ؟ ورواه الترمذي والنسائي متصفا أيضا من حديث شعبة ، به (٧) .

(١) انظر سورة ابن حزم : ٢٩٠/٢ - ٢٩٢ .

(٢) كسه ، شمره .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٩٢/٢ - ٣٩٣ .

(٤) البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة المنافقون : ١٩٢/٦ - ١٩٣ ، ومسلم ، كتاب البر ، باب وصبر الأعداء .

قال أبو حنيفة : ١٩/٨ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٦٨/٤ - ٣٦٩ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة المنافقون : ١٩٠/٦ .

(٧) نسخة الأعرابي ، تفسير سورة المنافقون ، الحديث ٣٤٦٩ : ٢١٧/٩ - ٢١٨ .

طريق أخرى من زيد ، قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن آدم ، ويحيى بن أبي بكير قالوا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم - وقال ابن أبي بكر (١) : عن زيد بن أرقم - قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبي [ابن سلول] يقول لأصحابه : لا تتفقوا على من حد رسول الله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الآخر منها الأكل : فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إلى النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفه فأرسل إلى عبد الله بن أبي [ابن سلول] وأصحابه [فحلفوا ما قالوا] : فكتب النبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فأمسكهم ، لم يصنع مثل قط ، وجلس في البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومثلك . قال : حتى أنزل الله : (إذا جاءك المنافقون) ، قال : فبعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ ما رسول الله على ، ثم قال : (إن الله قد صدك (٢))

ثم قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق : أنه سمع زيد بن أرقم يقول : خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، فأصاب الناس شدة - فقال عبد الله بن أبي [لأصحابه] : لا تتفقوا على من حد رسول الله حتى ينفضوا من حوله . وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الآخر منها الأكل ، فأبى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بذلك ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله ، فاجتهد بعينه ما فعل . فقالوا : كذب زيد يا رسول الله . فوقع في نفسي ما قالوا ، حتى أنزل الله تعالى (٣) : (إذا جاءك المنافقون) ، قال : ودعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستغفر لهم ، فلزموا وحوشهم ، وقوله تعالى : (كأنهم خشب مسندة) ، قال : كانوا رجلا أجمل فيه (٤)

وقد رواه البخاري ومسلم والشافعي ، من حديث زهير : ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث إسرائيل ، كلاما عن أبي إسحاق محمد بن عبد الله البجلي - للمستألفين للكوني ، عن زيد ، به (٥)

طريق أخرى عن زيد ، قال أبو جيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي إسرائيل ، عن السندي ، عن أبي سعد (٦) الأديني قال : حدثنا زيد بن أرقم قال : غزو تابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان معنا أناس من الأعراب ، فكانت تبتدر (٧) فلما وكان الأعراب يسبقونا سبق الأعرابي أصحابه بماء الخوض (٨) ، ونجبل

(١) في المطبوعة : « وقال أبو بكر » . وولجت من السند .

(٢) سنة الإمام أحمد : ٣٧٣/٤ .

(٣) في المسند : « تصليق » ، (إذا ...) .

(٤) سنة الإمام أحمد : ٣٧٣/٤ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة : المائدة ، ١٩٠/٦ - ١٩١ . وسمي كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ١١٩/٨ - ١٢٠ . وحققة الأسوحي ، تفسير سورة : المائدة ، ٣١٢/٩ - ٣١٤ .

(٦) في الترمذي ، عن أبي سعيد . ويقول الحافظ أبو إمام صاحب تحفة الأعرابي : « ويقتل له » أبو سعيد .

(٧) في : « شارب إليه » .

(٨) حقا لفظ خاطرة الأعراب . وفي حققة الأسوحي : « يسبقوننا إليه » سبق الأعرابي أصحابه ، يسبق الأعرابي قبلنا الخوض . ويقول الحافظ أبو إمام حقا مل : (سبق الأعرابي) : « كما في اللغ الخاطرة بفتح الميم » ، ولا يستحق الميم إلا أن يكون ميم « يسبق » . ثم ذكر أنه جملة « يسبق » الأعرابي قبلنا الخوض . ويان لا يسبقه الأعرابي به سبقه إلى الله .

حوله حجارة، ويجعل قطع^(١) عليه حتى يحيى أصحابه، [قال] قال رجل من الأنصار الأعرابي^(٢)، فأرغى زمام ناقته فشرّب، فأبى أن يدمه، فالتفت حجارة ففاض^(٣) الله، فرغ الأعرابي خشية، فصرّب بها رأس الأنصاري فشجّه، فأبى عبد الله بن أبي راس^(٤) للنافثين فأخبره - وكان من أصحابه - فنصب عبد الله بن أبي، ثم قال: لا تشفقوا على من عند رسول الله حتى يفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد فأتوا عمداً بالطعام، فياكل هو ومن جملة، ثم قال لأصحابه: إذا وجستم^(٥) إلى المدينة فليخرج الآخر منها الأكل. قال زيد: وأنا ردّفت^(٦) عتي^(٧)، فسمعت عبد الله فأخبرت عتي، فأتلت فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليه رسول الله، فحلف ووجّحد، قال: فصعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلّني، فجاء إلى حمى قال: ما أردت [إلا] أن مقتك^(٨) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلبك والمسلمون. فوقع على من ألقى ما لم يقع على أحد قط، فبينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سفر وقد عثقت^(٩) برأسي من لحم، إذ أتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمرك أنفي، وضطك في وجهي، فإكأن يسرى أن لي بها الخلد [في الدنيا] ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً غير أن^(١٠) مرك أنفي وضطك في وجهي. قال: أبشر، ثم لحقني عمر فقلت له مثل قول أبي بكر. فلما أن أصبحت قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة النافثين:

اتفرد بإخراجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن^(١١) صحيح، وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم من أبي العباس عمهين أحمد الخبيري، عن سعد بن مسعود^(١٢) عن عبد الله بن موسى، به. وزاد بعد قوله «سورة النافثين» (إذا جاءكم للنافثين قالوا: نشهد إنك لرسول الله) حتى يبلغ: (هم الذين يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يفضوا) حتى يبلغ: (ليخرجن الآخر منها الأكل).

وقد روى عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير عن النخعي - وكلما ذكر موسى بن هبة في مناقبه أيضاً هذه القصة بهذا السياق، ولكن جيلاً على يكتف رسول الله عليه وسلم كلام عبد بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أوثم^(١٣)، من بني الحارث بن الخزرج. فله مبلغ آخر، أو تصحيف من جهة السمع، والله أعلم،

(١) قطع: يقطع من الجلد.

(٢) في نسخة الأعرابي: «أعرابياً».

(٣) لفظ الترمذي: «فالتفت ففاض الله». وفي الأصول: «ففاض». بالكسر. والفتح من المنكسر. «تفسير سورة النافثين»: ٤٨٩/٢.

(٤) في نسخة الأعرابي: «ولن رجلاً».

(٥) في نسخة الأعرابي: «وأنا ردّفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحبه عمداً».

(٦) في نسخة الأعرابي: «وما أردت إلا أن...». والفتح من الهمزة السابقة.

(٧) أي: تكبته، عزله عن الم.

(٨) في نسخة الأعرابي: «إلا الله».

(٩) نسخة الأعرابي: «تفسير سورة النافثين»: الحديث ٢٣٦٨: ٢١٥/٩ - ٢١٧.

(١٠) ما بين قوسين من المنكسر ٤٨٨/٢. ومكث في خطرة الأعرابي.

(١١) في الأصول: «من أقرم». والفتح من له الثانية: ٣١٢/١.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا محمد بن حازم الأيلي ، حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، أخبرني محمد بن مسلم : أن عروة بن الزبير وعمر بن ثابت الأنصاري أخبراه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خزا فزوة للربيع ، وهي التي علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها مائة الطاغية التي كانت بين قفا المشكل (١) وبين البحر ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد ففكر مائة ، فاقبل وجلان في فزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم - تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من يهود ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على الهزبي ، فقال الهزبي : يا معشر الأنصار ، فصره رجال من الأنصار ، وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين . فصره رجال من المهاجرين ، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حُجِر بينهم فانكسار كل منافع ، أو : رجل في قلبه مرضى - إلى عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرَجِّعني وتكذب ، فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تصارت علينا الجلايب - وكانوا يَدْعُونَ كُلَّ حَفِيَّةٍ عَجْرَةً (٢) : الجلايب - فقال عبد الله بن أبي حاتم : لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأحرار منها الأكله . قال مالك بن النخعم (٣) وكان من المناقذين (٤) - لو لم أكل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يتفقوا . فسمع بذلك عمر بن الخطاب ، فأقبل يمشي حتى جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إني لفي هذا الرجل الذي قد أفن الناس ، أضرب عنه - يريد عمر عبد الله بن أبي - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر : أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ قال عمر : والله لئن أمرتني بقتله لأخزين عنه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اجلس . فأتى فاقبل أسيد بن الحُبَيْر - وهو أحد الأنصار ، ثم أحد بني حيد الأشهل ، حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إني لفي هذا الرجل الذي قد أفن الناس . أضرب عنه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ قال عمر ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرطانيه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اجلس . ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (آخروا بالرحيل) . فهجرت الناس ، فسار يومه وليك والند حتى مَتَّحَ النهار (٥) ثم نزل . ثم هَجَرَ بالناس مثلها ، فصَبَحَ بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشكل فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمدينة أرسل إلى عمر فلهاء ، فقال له رسول الله : أي عمر ؟ أكتت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ قال عمر : نعم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : والله لو قتنته يومئذ لأرقت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لمتلوه فيضحت الناس أنى قد وقتت على أصحابي فأقلمهم صبرا . وأتزل الله عز وجل : (هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يتفقوا) . . . إلى قوله : (لئن رجعتا إلى المدينة) الآية و هذا سياق غريب ، وفيه أشياء عظيمة لا توجد إلا فيه .

(١) للشلل موضع بين مكة والمدينة .

(٢) في الخطبة : وحديث أجرة .

(٣) في الخطبة : والشمس . وانتهت من أحد لغات : ٢٢/٥ .

(٤) مالك بن النخعم : شبه بهذا في قول الجميع . وكان يتم بالنفاق . ولكن أبا حنيفة يقول : ولا يصح منه النفاق ، وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه . وقد أصابه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسرق مسجد القبراء من ومن بن مائة . انظر الاستيعاب ١٣٥١/٢ . وأما القاية : ٢٢/٥ - ٢٣ ،

(٥) له لغة ومثله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : حطى حاصم بن حضر بن كادة : أن حيد الله بن أبي - يعني لا يملكه ما كان من أمر أبيه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يا رسول الله ، إنه يلقى أنك تريد قتل حيد الله بن أبي - يعني لا يملكه - عنه ، فإن كنت قاتلاً فرتي به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد حملت الخوارج ما كان من رجل أبر باله مني ، إلى أنمضي أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تلحق نفسي أنظر إلى قاتل حيد الله بن أبي يعني في الناس ، فأخذه - فأكل - مؤمناً يكافر ، فأدخل النار . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « بل ترفق به ونحن صبيحة ما بيني ومنا » (١)

وذكر حكمة وابن زيد وغيرهما : أن الناس لا يقولوا ولجعين إلى اللينة ، وقت حيد الله بن حيد الله هذا هل بابيه اللينة ، واسئل منبه ، فجعل الناس يبرون عليه ، فلما جاء أبوه حيد الله بن أبي قال له أبته : وراك . قال : مالك ؟ وبالك . قال : والله لا يجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه العزيز وأنت اللين ، فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إذا يسر ساقه (٢) ، فشكا إليه حيد الله بن أبي أبته ، فقال أبته حيد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى يأذن له . فأذن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : أما إذ أذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففجز الآن ،

وقال أبو بكر حيد الله بن الزبير الحمصي في مستدركه : حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا أبو هريرة عن النبي قال : قال حيد الله بن حيد الله بن أبي ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل اللينة أبناً حتى تقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم الآخر وأنا الأذل . قال وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يا رسول الله إنه يلقى أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالله يهلك بالحق ما تأملت وجهه قط هية له ، ولكن شئت أن أتيتك برأسه لأبنيك ، فاني أكره أن أرى قاتل أبي

يَأْتِيَا الَّذِينَ دَامُوا لَا تَهْلِكُ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا الَّذِي نَسِيتُ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَاَصْدَقْ وَأَنْ مِنَ الْعَصَافِينَ ﴿٢﴾ وَلَنْ يُوَفِّرَهُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى أمرا لعباده المؤمنين بكرة ذكره وتأهيا لهم من أن تنظم الأموال والأولاد عن ذلك وغيرها لم يأنه من التفتت بهما إلى الحياة الدنيا وبقائها عما خلق الله لهم طاعة ربه وذكره ، فانه من الناس من الذين يمشرون أنفسهم بأموالهم وبنفسهم ، ثم حهم على الإحاف في طاعة قال : (وأنفقوا بما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول : رب ، لولا أن نسييت ، لولا أن نسييت إلى أجل قريب ، فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرط يتم عند الإحضر ، ويسأل طول ليلة ولو شيئا يسيراً ، يصيب ويستدرك ما فاتته ، وهيئات إكأن ما كان ، وأنى ما هوات ، وكل بحسبه طريقه ، أما الكثر فكما قال تعالى : [(وأنزل الناس يوم يأتيهم العذاب ، فيقول الذين ظلموا : ربنا أخرنا إلى أجل قريب ، نجبه دعوتك

(١) . جرة ابن هشام : ٢٩٢٢ - ٢٩٣ .

(٢) كان من سنة شعبة - عليه الصلاة والسلام - أن يهرق أسماجه ، في يلقمهم ليلته ، ويحيي خلقهم ، فوافوا ، ولا يع أسماً على خلقه .

وتبع الرسل ، أو لم تكونوا أنقسم من قبل مالكم من زوال (١) . . وقال تعالى (٢) : (حتى إذا جاء أحدم الموت قال : رب ، ارجعوني ، لعل أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا ، إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم يبرزخ إلى يوم يبعثون (٣)) .

ثم قال تعالى : (وإن يوشع الله نفساً إذا جاء أجلها ، والله خير بما تعملون) ، أي : لا ينظر أسداً بعد حلول أجله ، وهو أعلم وأخبر عن يكون صادقاً في قوله وسواله عن لو ردّ لماد إلى شر مما كان عليه ، ولما قال (والله خير بما تعملون) .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو جنتاب الكلبي ، عن الفضالة عن أنس بن مالك قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو نجب فيه عليه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت ، فقال رجل : يا ابن عباس ، اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سألتك عليك بذلك قرأنا : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم من ذكر الله ، ومن فعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . [وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أنكرتني إلى أجل قريب فأصدق (٤)] إلى قوله : (والله خير بما تعملون) ، قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : أفراد والبر (٥) .

ثم قال : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن يحيى بن أبي حنيفة - وهو أبو جنتاب الكلبي عن الفضالة ، عن ابن عباس ، عن أبي - صلى الله عليه وسلم - بنحوه (٦) .

ثم قال : وقد رواه سفيان بن حنيفة وغيره ، عن أبي جنتاب ، عن ابن الفضالة ، عن ابن عباس ، من قوله . وهو أصح (٧) وضعت أبا جنتاب الكلبي .

قلت ورواية الفضالة عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نجيل ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة الجعفي ، عن حماد بن أبي مشجعة بن ربي - عن أبي الفرجة - رضى الله عنه - قال : ذكرنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزيادة في العمر [فقال : « إن الله لا يوشع نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر » - أن يوزق الله العبد ذرية صالحة يبعثون له ، فيلحقه دعوتهم في قبره » ،

آخر تفسير سورة « المنافقون » ، والله العليم الحكيم

(١) سورة البراءة ، آية ٤٤ .

(٢) ما بين القوسين من الكلمات السابقة .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٩٩ - ١٠٠ م .

(٤) ما بين القوسين من لغة الأعرابي .

(٥) تحفة الأعرابي ، تفسير سورة طه ، الحديث ٣٣٧١ : ٢٢٠/٩ - ٢٢١ .

(٦) تحفة الأعرابي ، تفسير سورة طه ، الحديث ٣٣٧٢ : ٢٢١/٩ - ٢٢٢ .

(٧) لغة الترمذي : ورواه أصح من رواية عبد الرزاق .

تفسير سورة التغابن

وهي منية وقيل مكية

قال الطبراني : حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكر الشافعي ، حدثنا المباس بن الوليد الخليل ، حدثنا الوليد ابن الوليد حدثنا ابن (١) ثوبان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود يولد إلا مكتوب في كتبه رأسه خمس آيات من سورة التغابن »

أورده ابن صاكر في ترجمة « الوليد بن صالح » ، وهو غريب جداً ، بل منكر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِبحُ فِي مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ لَنْفَكَ كَافِرًا وَبَيْنَكَ ذِينٌ مِّنْهُ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقُّ وَصِدْقُهُ فَأَنْتَنَ صَوْرَتُكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُعْلِنُونَ وَمَا تُنْهَوْنَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو الْبُرْءِ ﴿٤﴾

هذه السورة هي آخر السبجات ، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لربنا والحمد (٢٨) ، ولما قال : (له الملك وله الحمد) ، أي : هو المصروف في جميع الكائنات ، المصود على جميع ما خلقه ويقدره .

وقوله : (وهو على كل شيء قدير) ، أي : مهما أريد كان بلا مانع ولا ملغ ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ، أي : هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك ، فلا بد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق المداية بمن يستحق الإضلال ، وهو شهيد على أعمال عباده ، وسيجزيهم بها أتم الجزاء . ولما قال : (والله بما تعملون بصير) ،

ثم قال : (خلق السموات والأرض بالحق) ، أي : بالعدل والحكمة ، (وصوركم فأحسن صوركم) ، أي : أحسن أشكالكم ، كقوله تعالى : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بك ربك الرجيم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء

(١) في المطبعة : « أبو ثوبان » . والصواب : ما أثبتته ، انظر المرح والتمثيل ترجمة الوليد بن الوليد القسبي

القدس الشافعي : ١٩/٢/٤ .

(٢) انظر أول سورة الحاقة . ٢٥٢٨

وكذلك (١) ، وقوله : (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا ، والسماء بناء ، وصوركم فأحسن صوركم ، وورثكم من الطيات) (٢) : الآية : وقوله (وإليه المصير) ، أى : المرجع والمآب .

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السائلة والأرضية والفضية ، فقال : (يعلم ما فى السموات والأرض ، ويعلم ما تسرون وما يعلنون ، والله عليهم بذات الصلوة) ،

فَأَرْسَلْنَا نُوحًا الْإِنْسَانَ كَفَرًا مِنْ قَبْلُ فَقَالُوا وَايَالَهُمْ أَصْرُهُمْ وَيَسْمَعُ عَلَّابُ الْإِيمِ ① ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهُودُونَ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِي حَبِيدٌ ②

يقول تعالى خبراً من الأمم الماضية ، وما حل بهم من الطوابق والنكال ، فى غفلة الرسل والتكليب بالحق ، قال : (لم يأتكم نيا الذين كفروا من قبل) ، أى : خبرهم وما كان من أمرهم ، (فقلوا وياي لهم أصرهم) ، أى : وخيم تكليمهم ورحمهم أفعلهم ، وهو ما حل بهم فى الدنيا من العقوبة والعزى ، (ولم يعلب أليم) ، أى : فى الدار الآخرة مضاف إلى هذا النبوى : ثم حل ذلك فقال : (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) ، أى : بالهجوم والدلائل والبراهين ، (فقلوا ، أبشر يهودا ؟) ، أى : استمعوا أن تكون الرسالة فى البشر ، وأن يكون هدايتهم حل بشرى من مظهرهم ، (فكفروا وتولوا) ، أى : كلبوا بالحق ونكثوا عن العمل ، (واستغنى الله) ، أى : عنهم ، (والله غنى حبيب) .

زَمَّ الْإِنْسِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يَحْتُومُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّ لَتُبْعَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَكِّرْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ① فَتَلْمِظُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْأَوَّلَى الَّذِينَ أَرْسَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ② يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّنْفِيزِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ③ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ④

يقول تعالى خبراً من الشرىين والكفار والملاحين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ، (قل : بلى ، وربى لبعثن ، ثم لنبينن بما علمن) ، أى : لنخبرن بجميع أعمالكم ، جليلها وسقيها ، صغيرها وكبيرها ، (وذلك على الله يسير) ، أى : يهكم ويجازاكم .

ومله هى الآية الثالثة الى أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم بربه - عز وجل - على وقوع المداد ووجوده ، فالأولى فى سورة يونس : (ويستبوتك : لحنه ؟ قل : أى ، وربى إنه لحن ، وما أنتم بمعجزين (٢)) ، والثانية فى سورة سبأ : (وقال الذين كفروا : لا تأتينا الساعة ، قل : بلى ، وربى لتأتينكم (٤)) . . . الآية ، والثالثة هى هذه

(١) سورة الانفال ، الآية ٦ - ٥ .

(٢) سورة طه ، آية ٦٤ .

(٣) سورة يونس ، آية ٥٣ .

(٤) سورة سبأ ، آية ٢٠ .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ أُنْزِلَ ﴾ ، يعنى : القرآن ، ﴿ وَاللَّهُ مَا تَصْلُونَهُ عَجِبَ ﴾ ، أى : فلا تتقى عليه من أعمالكم خافية .

وقوله : (يوم يحصبكم ليوم الجمع) ، وهو يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه يُجَمَّع فيه الأولون والآخرون في حصد واحد ، يسميهم الناس ويُنْفَذُ بهم البصر ^(١) ، كما قال تعالى : (ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود) ^(٢) ، وقال تعالى : (قل : إن الأولين والآخرين : لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم) ^(٣) .

وقوله : (ذلك يوم التناجين) — قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة ^(٤) ، وذلك أن أهل الجنة يفتنون أهل النار . وكلما قال قتادة ومجاهد .

وقال مقاتل بن حيان : لا عين أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ، ويُحْتَسَبُ بأولئك إلى النار . قلت : وقد فسر ذلك بقوله تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ، يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم) ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار خالدين فيها ، وبس للصابر) : وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة .

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْهُ اللَّهُ وَكَلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ۖ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ النَّبِيُّ ۖ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝

يقول تعالى خبراً ما أنصبر به في سورة الحديد : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) ^(٥) ، وهكذا قال هاجتا : (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) — قال ابن عباس : بأمر الله ، يعنى من قدره ومشيئته .

ومن يؤمن بالله يبد قلبه والله بكل شيء عليم ، أى : ومن أصابه مصيبة فعلم أنها قضاء الله وقدره ، فسبر واحسب واستسلم لقضاء الله ، هلئ الله قلبه ، وضوَّعه عما فيه من الدنيا هلئى في قلبه ، وقيئاً صادقاً ، وقد خُلف عليه ما كان أخذ [منه] أو [خيراً] منه .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ومن يؤمن بالله يبد قلبه) ، يعنى يبد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ^(٦) .

وقال الأعشى ، عن أبي نزيان قال : كنا عند علقمة فقضى عنه هذه الآية : (ومن يؤمن بالله يبد قلبه) ، فسئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم ، ورواه ابن جرير ^(٧) ، وابن أبي حاتم .

(١) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٤٢٨/٤ . وحى من حديث قى المسيحين وسنة الإمام أسد ، تقدم ترجمته له في سورة الإسراء : ١٠٦/٥ — ١٠٧ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٠٣ .

(٣) سورة قرقانة ، آية : ٤٩ — ٥٠ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٧٩/٢٨ .

(٥) سورة الحديد ، آية : ٢٢ .

(٦) تفسير الطبري : ٧٩/٢٥ — ٨٠ .

وقال سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، ينى : يسترجع ، يقول : (إن الله إنا إليه راجعون) وفى الحديث المثنى عليه : « حبيباً للمؤمنين لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له » ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته مرء شكر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن (١) .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح : أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلاً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله ، أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله ، وتصديق به ، وجهاد فى سبيله » . قال : لو يد أهدون من هنا يا رسول الله . [قال السباح والصبر . قال : لو يد أهدون من ذلك يا رسول الله (٢)] قال : « لا تكتم الله فى شيء ، قضى لك به (٣) » . لم يخرجوه .

وترويه (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) : أمرٌ بطلاقة الله ورسوله فيما شرع ، وفعل ما [به] أمر وترك ما عنه نهى وزجر ثم قال (فإن توليتم فإنا على رسولنا البليغ المبين) أى : إن تكلمت عن العمل فإنا عليه ما حصل من البليغ ، وعليكم ما حصل من السمع والطاعة .

قال القرطبي : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البليغ ، وعلينا التسليم ،

ثم قال تعالى خبراً أنه الأحد الصمد ، الذى لا إله غيره ، فقال : (الله لا إله إلا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ، فالأول خبرٌ عن الوحيد ، وممناه معنى الطلب ، أى : وحلوا الإلهية له ، وأخلصوها لديه ، وتوكلوا عليه ، كما قال تعالى : (رب للشرق والغرب لا إله إلا هو ، فاعلمه وكلام) (٤) .

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحٍ وَأَوْلَادٍ عَلَوَا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصِفُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾

يقول تعالى خبراً عن الأرواح والأولاد : أن منهم من هو عدو الزوج والوالد ، بمعنى أنه يلغى به عن العمل الصالح ، كقوله : (يابى الذين آمنوا ، لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يعمل ذلك فاولئك هم الخاسرون) (٥) ، ولما قال هاتين (فاحذروهم) - قال ابن زيد : ينى على دينكم .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الخامسة من سورة إبراهيم ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٩٨/٤ .

(٢) ما بين القوسين من سنة الإجماع أحد ، وهو سقط نظر .

(٣) سنة الإجماع أحد : ٣١٨/٥ - ٣١٩ .

(٤) سورة المزمل ، آية : ٩ .

(٥) سورة المنافذ ، آية : ٩ .

وقال مجاهد : (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) - قال : يعمل الرجل على تلبية الروح أو مصيبة به ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه^(١) .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن خفاف العنقلاني [حدثنا] (٢) القرياني ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سيالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - وسأله رجل عن هذه الآية : (يأبى الله أن يزوجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) - قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتى أزواجهم وأولادهم أن يدعهم . فلما أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأوا الناس قد قهّوها في الدين ، فهتموا أن يعاقبهم ، فأنزل الله هذه الآية : (وإن تصفوا وتصفوا تنظروا فإن الله عفو رحيم) ،

وكنا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى ، عن القرياني - وهو محمد بن يوسف - به وقال : حسن صحيح (٣) . ورواه ابن جرير والطبراني ، من حديث إسرائيل ، به ، وروى من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، نحوه ، وهكذا قال عكرمة مولاة سواه (٤) .

وقوله : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) ، يقول تعالى : (إنما الأموال والأولاد فتنة ، فمى اختبار وابتلاء من الله خلقه . ليعلم من يطيعه ممن يعصيه .

وقوله : (واقفه عنه) ، أى : يوم القيامة (أجر عظيم) ، كما قال : (زين الناس حبه الشهوات ، من النساء والبغى والتناطح المتعطرة من اللهب والقنصة والتليل المسومة والأتمام والحلث) . . . الآية (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين بن واقد ، حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، فجاء الحسن والحسين - رضى الله عنهما - عليهما فيصنان أحمران عشيان ويعطران ، فأنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ورسوله ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، نظرت إلى هذين الصبيين عشيان ويعطران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » (٦) .

ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد ، به (٧) وقال الترمذي : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديثه (٨) .

(١) تفسير الطبري : ٨١/٢٨ .

(٢) ما بين القوسين عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٤٥/٢/٣ ، والتهذيب : ١٤٩/٩ . وفي ضلوة الأثر مكانه : « السيداني » .

(٣) نسخة الأحوص : تفسير سورة التناخين ، الحديث ٣٣٧٢ : ٢٢٢/٩ - ٢٢٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٠/٢٨ - ٨١ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٤ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٥/٥ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب «الإمام يقطع الخطبة لأثر محدث» . ونسخة الأحوص : أبواب المناب ، باب «متفق أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي» ، الحديث ٣٨٦٣ : ٢٧٨/١٠ - ٢٧٩ . وفتاوى كتب الجمعة ، باب «نزل الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة» ، وقطعه كلمته ، ورجوعه إليه يوم الجمعة : ١٠٨/٣ . وكتاب الحسين ، باب «نزل الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة» : ١٩٢/٣ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الياس ، باب «ليس الأحمر كرجال» ، الحديث ٣٦٠ : ١١٩٠/٢ .

(٨) لفظ الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُريج بن النعمان ، حدثنا هشيم ، أخبرنا جبال ، عن الشعبي ، حدثنا الأشعث بن قيس قال : قلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وفد كتنة ، فقال لي : « هل لك من ولد ؟ » قلت : غلام ولد لي في سخرجي إليك من ابنة جُمَدة (١) ، وكوددتُ أن بمكانه : شَيْخُ الْقَوْم . قال : « لا تقول ذلك » ، فإن فيهم قرّة عين ، وأجراً إذا قبضوا ، ثم قال : ولئن قلت ذلك : إنهم حُبّة مَحْزَنَة (٢) ، إنهم حُبّة مَحْزَنَة (٣) ، ترد به أحمد ، رحمه الله تعالى ، وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمود بن بكر ، حدثنا أبي ، عن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الولد ثمرة القلوب ، وإنهم مَسْجُوعَة مَحْزَنَة » ، ثم قال : « لا يعرف إلا بهذا الإسناد » .

وقال الطبراني : حدثنا هاشم بن مزيد ، حدثنا محمد بن إسحاق بن حياض ، حدثني أبي ، حدثني ضَمَيْشُ بْنُ زُرْعَةَ ، عن مريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشمري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليس عدوك الذي إن كتته كان فوزاً (٤) لك » ، وإن كتته دخلت الجنة ، ولكن الذي لعله عدوك ولذلك الذي يخرج من صلبك ، ثم أهدى عدوك مالك الذي ملكك يمينك » .

وقوله تعالى : (فاقوا الله ما استطعتم) ، أي : جهدكم وطاقكم . كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا أمرتكم بأمر فاقوا أمره ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » (٥) . وقد قال بعض المفسرين - كما رواه مالك ، عن زيد بن أسلم ، - إن هذه الآية العظيمة ناسخة لما في آل عمران ، وهي قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن ، إلا وأنتم مسلمون) (٦) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرْعَةَ ، حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني ابن حبة ، حدثني عطاء - هو ابن دينار - عن سعيد بن جبير في قوله : (اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، قال : لما نزلت الآية اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى ودمت عراقيهم وتقرحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين : (فاستقوا الله ما استطعتم) ، فنسخت الآية الأولى .

وردى عن أبي العباس ، وزيد بن أسلم ، وقاعدة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك .

(١) هو جمد - يجمع فسكون - فكنتي . مفرغ في أحد القاموس . انظر : ٣٤٩/١ .

(٢) أي : سبب البقيع والحزن . يريد أن قلت هذا القول اسبغت فيه .

(٣) مستد الإمام أحمد : ٢١١/٥ .

(٤) في المخطوطة : « فورا لك » . وللتبعية من الطبقات السابقة .

(٥) البخاري ، كتاب الاحتصام - ١١٦/٩ - ١١٧ . وسلم ، كتاب الحج ، باب « فرض الحج مرة في العمر » : ١٠٢/٤ . والشافعي ، كتاب المناسك ، باب « وجوب الحج » : ١١٠/٥ - ١١١ . وابن ماجه ، المقامسة ، باب « اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣/١٥٢ . ومستد الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٢٤٧/٢ ، ٢٥٨ ، ٣١٤ - ٣٥٥ .

(٦) سورة آل عمران ، آية ١٠٢ . وانظر : ٧٢/٢ .

(٧) انظر تفسير الآية القصبة عن سورة الحشر : ٩٧/٧ - ٩٨ .

وقوله : (ولمسمعوا وأطيعوا) ، أى : كونوا متقدين لما يأمركم الله به ورسوله ، لا تحيدوا عنه عتة ولا بسرة ، ولا تذهبوا بين يدي الله ورسوله ، ولا تتخلفوا عما به أُمِرتم ، ولا تركبوا ما عنه زُجِرتم .
وقوله تعالى : (وأنفقوا خيراً لأنفسكم) ، أى : وأبخلوا بما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات ، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم ، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة ، وإن لا تظلموا يكن شرالكم في الدنيا والآخرة .

وقوله : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، تقدم تفسيره في « سورة الحشر » وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية ، عا لفتى من إعادته هاهنا ، وله الحمد ولكه ، وقوله : (إن تعرضوا لله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) ، أى : مهما أنفقتم من شيء فهو بحكمه ، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، وتزل ذلك منزلة القرص له ، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول : « من قرض غير ظلم ولا حديم (١) » . ولهذا قال يضاعفه لكم ، كما تقدم في سورة البقرة : (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) (٢) .

(ويغفر لكم) ، أى : ويكفر عنكم السيئات . ولهذا قال : (والله شكور) ، أى : يجزى على القليل بالكثير ، (حلیم) أى : يصفح ويغفر ويسر ، ويتجاوز عن اللئوب والزلات والخطايا والسيئات .
(عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم) . تقدم تفسيره غير مرة .

[آخر تفسير « سورة التائبين » والله العمد والمنة]

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة ، وعرجناه هناك ، انظر : ١/٤٤١ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٤٥ .

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

خُوطِبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوَّلًا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا ، ثُمَّ خَاطَبَ الْأُمَّةَ تَعْيِيمًا قَالَهُ (: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوَابٍ بْنُ سَعِيدٍ الْخُبَارِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو سَاطِدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ : طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حُضْرَةَ ، فَاتَتْ أَهْلَهَا ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ (: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) ، فَقِيلَ لَهُ : رَجَعِي لِإِنِّهَا صَوَمَةٌ قَوَامَةٌ ، وَهِيَ مِنْ لَزْوَلِكُمْ وَنَسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ .

وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ بَشَّارٍ - عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ . . . فَلَذِكْرُهُ (١) مَرْسَلًا . وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَلَّقَ حُضْرَةَ ثُمَّ رَجَعَهَا .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ وَعِثِيُّ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، أَخْبَرَنِي سَلَمٌ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَافِضٌ . فَلَذِكْرُ عَمْرِو رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَخْفِيفٌ - رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ : « لِرَجْعِهَا ، ثُمَّ عَمَلُهَا حَتَّى تَطْهَرَ ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرَ » ، فَإِنْ بَدَّاهُ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرَةً قَبْلَ أَنْ يَمْسُهَا ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) .

حَكَاهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا وَقَدْ رَوَاهُ فِي مَوَاصِعَ مِنْ كِتَابِهِ ، وَمُسْلِمٌ ، وَلَقَطَهُ : « فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَظِرَ مَا انْتَسَاءَ (٣) » .

(١) تفسير الطبري : ٨٥/٢٨ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة الطلاق : ١٩٣/٩ ، وانظر البخاري ، كتاب الطلاق ، أول الكتاب ، وباب « إِذَا طَلَّقْتَ الْخَالِصَ ، وَجَنَّتْ بِذَلِكَ الْخَالِصَ » ، وَبَاب « مَنْ طَلَّقَ ، وَهَلْ يَرْجِعُهُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بِالْخَالِصِ » ، وَبَاب « وَبِوَلَدَيْنِ أَحَدٍ يَرْضَى فِي الْعِدَّةِ ، وَكَيْفَ يَرْجِعُ الْمَرْأَةَ إِذَا طَلَّقَهَا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ » ، وَبَاب « مَرَاجَعَةُ الْخَالِصِ » . كُلُّ أُولَئِكَ فِي كِتَابِ الطَّلَاقِ : ٥٢/٧ ، ٥٣ ، ٧٥ ، ٧٦ . وَكِتَابُ الْأَحْكَامِ ، بَاب « هَلْ يَقْبَلُ الْحَاكِمُ أَوْ يَتَخَرَّجُ وَهُوَ غَضَبَانِ » : ٨٢/٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « تَعْرِيفُ طَلَّاقِ الْخَالِصِ بِغَيْرِ رِجْعِهَا » ، وَأَنَّهُ لَوْ خَالَفَ رَجَعَ الطَّلَاقُ وَيُؤْتَى بِرَجْعِهَا :

ورواه أصحاب الكتب (١) وللسائيد من طرق متعدة وألفاظ كثيرة ، ومواضع مستقصاها كتب الأحكام .
وأنس^٢ لفظ يورد هاهنا ما رواه مسلم في صحيحه ، من طريق ابن جريج : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع عبد الرحمن
ابن أيمن - مولى عزة يسأل ابن عمر - وأبو الزبير [يسمع] ذلك : كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً ؟ قال :
ملكك ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم فسأل عمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فقال : إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ليراجعها فردّها »
وقال : « إذا طهرت فليطلق أو يملك » قال ابن عمر : وقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - (يا أيها النبي إذا طلقتم
النساء فطلقوهن في قبيل عتس) (٢) .

وقال الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله في قوله : (فطلقوهن لمئنين)
قال : الطهر من غير جماع (٣) . وروى عن ابن عمر ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقائدة ،
وميمون بن مهران ، ومقاتل بن حيان مثل ذلك : وهو رواية عن عكرمة ، والفضلك .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (فطلقوهن لمئنين) قال : لا يطلقها وهي حائض ولا في
طهر قد جمعها فيه ، ولكن تركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة (٤) .

وقال عكرمة (فطلقوهن لمئنين) ، العدة : الطهر ، والقرء الحبيضة ، أن يطلقها حلي مستيتاً حملها ، ولا يطلقها
وقد طاف عليها ، ولا يدري حلي هي أم لا (٥) .

ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة ، فطلاق السنة : أن يطلقها طاهرًا من غير
جماع ، أو حاملًا قد استبان حملها . والبدعي : هو أن يطلقها في حال الحيض ، أو في طهر قد جمعها فيه ، ولا يدري
أحملت أم لا ؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة ، وهو طلاق الصغيرة والأيسة ، وغير المدخول بها . وتخريج الكلام في
ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : (ولحصوا العدة) ، أي : لحفظوها واعرفوا ابتلاءها وانتهاها ، لئلا تطول العدة لما حلت المرأة فتنتع من
الأزواج . (وأقوا الله ويكفم) ، أي : في ذلك .

وقوله : (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أي : في مدة العدة لما حلت السكنى على الزوج ما دامت مخلصة منه ،
فليس للرجل أن يخرجها ، ولا يجوز لها أيضاً الخروج لآنها معتقة (٦) لحق الزوج أيضاً ،

(١) أخرجه في كتاب الطلاق ، أنظر سنن أبي داود ، باب « طلاق السنة » ، وفتحة الأعراس ، باب « ما جاء في طلاق السنة » ،
المحدث ١١٨٥ ، ١١٨٦ : ٣٣٩/٤ - ٣٤٢ . ولسان ، باب « ما يفمل إذا طلق تطليقة وهي حائض » : ١٤٠/٦ - ١٤١ .
وابن ماجه ، باب « الحمل كيف تطلق » ، الحديث ٢٠٢٣ : ٦٥٢/١ . وسند الزيام أحد من مر رضى الله عنه : ٤٤٤-٤٤٣/١ .
ومن عبد الله بن عمر : ٢٦/٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ - ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ - ٨١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٥ - ١٤٦ . ومن جابر بن عبد الله : ٣٨٦/٣ .

(٢) ما بين التوسين عن مسلم .

(٣) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « تحريم طلاق الحائض » : ١٨٣/٤ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٢/٢٨ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٥/٢٨ .

(٦) في المخرقة : « معتقة يمين » ، وللميت من الطيمات السابقة .

وقوله : (إلا أن يأتيين بفاحشة مينة) ، أى لا يخرجن من بيوتن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مينة ، فخرج من المنزل ، والفاحشة المينة تشمل (١) الزنا ، كما قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، وعاصم ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو قتادة ، وأبو صالح ، والفضلك ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وسعيد بن أبي هلال ، وغيرهم . وتشمل ما ذا نشأت المرأة أو بكدت (٢) على أهل الرجل وأختهم في الكلام والقتال ، كما قاله ابن كعب ، وابن عباس (٣) ، وعكرمة ، وغيرهم .

وقوله : (وتلك حدود الله) ، أى : شر الله وعارمه ، (ومن يتعد حدود الله) ، أى : خرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأمر بها ، (فقد ظلم نفسه) ، أى : فعل ذلك .

وقوله : (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) ، أى : إنما أثبتنا المطلق في منزل الزوج في مدة العدة ، لعل الزوج يتم على طلاقها ويطلق الله في قلبه رجعتها ، فيكون ذلك أسير وأسهل .

قال الزهري ، من عيّد الله بن عبد الله ، من فاطمة بنت قيس في قوله : (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) ، قالت : هي الرجعة . وكذا قال الشعبي ، وعطاء ، وقتادة ، والفضلك ، ومقاتل بن حيان ، والثوري . ومن هاهنا خب من ذهبين السلف ومن تابعهم ، كالإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلى أنه لا تجب السكنى للميتة (٤) وكلما التوى عنها زوجها ، واستملا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس القهيرية ، حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث طلاقات ، وكان خافيا عنها باليمن ، فأرسل إليها بذلك ، فأرسل إليها وكيله بشعر - نفقة فسخطه فقال : والله ليس لك عليا نفقة . فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ليس لك عليه نفقة » . ولمسلم : « ولا سكنى وأمرها أن تصد في بيت أم شريك » ، ثم قال : « تلك امرأة يغشاها أصحابي ، اعتدى عند ابن أم مكتوم . فانه رجل أعشى تضمن ثيابك... » الحديث (٥) .

وقد واه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر ، فقال :

حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا خالد ، حدثنا عامر قال : قلت للمدينة فأثبت فاطمة بنت قيس فحدثني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سرية قالت : فقال لي أخوه : انخرجي من البلد . فقلت : إن لي نفقة وسكنى حتى يمل الأجل قال : لا . [قالت] : فأثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : إن فلانا طلقني ، وإن أخاه أنخرجني ومنعني السكنى والنفقة [فأرسل إليه (٦)] فقال : مالك ولاينة آل قيس ، قال : يا رسول الله ، إن أخى طلقها ثلاثا جميعا . قالت : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أنتظرى يا بنت آل قيس ، إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجة ، فإذا لم يكن له عليها رجة فلا نفقة ولا سكنى .

(١) في المصنوعة : « كل الزنا » . ولما ثبت أيضا من الطبقات السابقة .

(٢) خلا من البلاد ، وهو النسخ في القتل ، يقال : بولت حل ففترم بلك .

(٣) تفسير الطبري : ٨٦/٢٨ .

(٤) أى : المعلقة ثلاثا بقاء لا رجة فيه .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢/٦ . ومن ابن جازع : كتب الطلاق ، باب : « في نفقة المجردة » .

(٦) ما بين القوسين من المسند .

أخرجني فأتولي على فلاته : ثم قال : إنه يتحدّث إليها ، أتولي على ابن أم مكتوم ، فانه أعنى لا يراك . . . وذكر تمام الحديث (١) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري حدثنا إسحاق بن إبراهيم العوفي حدثنا بكر ابن بكار ، حدثنا سعيد بن يزيد البجلي حدثنا عامر الشعبي : أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الصبحاك بن قيس القرظي ، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة الخزوي ، فقالت : إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاق ، فسألت أوليائه الثقة حل والسكنى ، قالوا : ما أرسل إلينا في ذلك شيئاً ، ولا أوصانا به : فاطلقت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت : يا رسول الله ، إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى بطلاق ، فطلبت السكني والثقة حل ، قال أوليائه : لم يرسل إلينا في ذلك بشيء . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما الثقة والسكنى للمرأة إذا كان زوجها عليها رجعة ، فإذا كانت لا تحمل له حتى تنكح زوجاً غيره فلا ثقة لها ولا سكنى .

وكذا رواه السائي (٢) ، عن أحمد بن يحيى العوفي ، عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، عن سعيد بن يزيد وهو الأحمسي البجلي الكوفي - قال أبو حاتم الرازي : هو شيخ ، يروى عنه (٣) .

فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مِثْرَ وَاتِّمُوا أَشْهُدَهُنَّ
لَهُ ذَلِكُمْ يَوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ
أَحَدٍ لَا يَحْسِبُ ۚ وَمَنْ يُتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝

يقول تعالى : فإذا بلغت أجلهن فأمسكنهم بمعروف ، أي : شارفن على انقضاء المدة وقرين ذلك ، ولكن لم تفرغ المدة بالكلية ، فيجوز إما أن يهزم الزوج حل إمسكها ، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) ، أي : بحسب إيلها في صحتها ، وإما أن يهزم حل مفارقتها (بمعروف) أي : من غير مقابلة ولا مشاقبة ولا تنقيب بل بطلاقها على وجه جميل وسيل حسن .

يقوله : (وأشهدوا ذوى عدل منكم) ، أي : على الرجعة إذا عزمتم عليها ، كما رواه أبو داود وابن ماجه ، عن عمر بن الخطاب : أنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يتبعها ولم يشهد على طلاقها ولا حل رجعتها فقال : طلقت فبغير سنة ، ورجعت فبغير سنة ، أشهد على طلاقها وحل رجعتها ، ولا تمد (٤) .

وقال ابن جريج : كان عامر يقول : (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال : لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل ، كما قال الله عز وجل ، إلا أن يكون من علم ،

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٧٣/٦ - ٣٧٤ .

(٢) التلخيص : كتاب الطلاق : ١١٤/٦ .

(٣) المبرج والتلخيص لابن أبي حاتم : ٧٤٢/١٢٢ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الطلاق ، باب : في نسخ التلقيات الثلاث ، ومن ابن ماجه : كتاب الطلاق .

باب : الرجعة : ٢٠٢٥ - ٦٥٢/١ .

وقوله : (فذلك يوم عظم به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ، أي : هذا الذي أكرمكم به من الإتيان وإقامة الشهادة ، إنما يأتيكم به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا ، ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة .

ومن هنا ذهب الشافعي - في أحد قوله - إلى وجوب الإتيان في الرجعة ، كما يجب غنمه في ابتداء النكاح ، وقد قال بهذا طائفة من العلماء ، ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإتيان عليها ،

وقوله : (ومن يتن الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، أي : ومن يتن الله فيما أمره به ، وترك ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أي : من جهة لا يحيط بها له ،

قال الإمام أحمد : حدثنا ، يزيد ، أنبأنا كهشم بن الحسن ، حدثنا أبو السليل ، عن أبي ذر قال : جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر على هذه الآية : (ومن يتن الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : « يا أيها ذر ، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفهم » . قال : فجعل ينظرها ويرددها على حتى نمتست ثم قال : « يا أيها ذر ، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة ؟ » . قلت إلى السنة والدعة أطلق ، فأكون حمامة من حمام مكة ، قال ، وكيف تصنع إن أخرجت من مكة ؟ قال : قلت إلى السنة والدعة ، إلى الشام والأرض المقدسة . قال : « وكيف تصنع إن أخرجت من الشام » . قلت : إذا - والذي يهلك بالحق - أصبح سبي على عاتق . قال : « أوغير من ذلك ؟ » قلت : أوغير من ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع ، وإن كان عبداً حشياً ، (١) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا يحيى بن عبيد ، حدثنا زكريا ، عن عامر ، عن شقيق بن يسحق قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) ، وإن أكثر آية في القرآن فوجاً ؟ (ومن يتن الله يجعل له مخرجاً) (٢) .

وفي السنة (٣) : حدثني مهدي بن جعفر ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الحكم بن مصعب ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من أكثر من الاستغفار جعل الله له [من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب] (٤) » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ومن يتن الله يجعل له مخرجاً) ، يقول : يتنبه من كل كرب في الدنيا والآخرة ، (ويرزقه من حيث لا يحتسب) (٥) .

وقال الربيع بن خثيم (يجعل له مخرجاً) ، أي : من كل شيء ضائق على الناس (٦) .
[وقال عكرمة : من طلق كما أمره الله ، يجعل له مخرجاً . وكذا روى عن ابن عباس ، والضحاك (٧)] .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٧٨/٥ - ١٧٩ .

(٢) انظر تفسير الآية للتبيين من سورة النحل : ١٥/٤ . وتفسير الطبري : ١٠٩/١٤ .

(٣) قال عبد الله بن الإمام أحمد : « وجدت في كتاب أبي بخط يده : حدثنا مهدي ... » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٤٨/١ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٩/٢٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٩٠/٢٨ .

(٧) ما بين قوسين عن الطبعات السابقة .

وقال ابن مسعود ، ومسروق : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ، يعلم أن الله إن شاء منع ، وإن شاء أعطى (من حيث لا يحسب) ، أي : من حيث لا يدور ،

وقال قتادة : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ، أي : من شبهات الأمور والكرب عند الموت ، (ويرزقه من حيث لا يحسب) ، ومن حيث لا يرجو لولا يأمل ،

وقال السدي : (ومن يتق الله) : يطلق الله ، ويرجع الله ، وزم أن رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقال له : حوف بن مالك الأشجعي ، كان له ابن ، وأن للشركين أسروه ، فكان فيهم ، وكان أبوه يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته ، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمره بالصبر ، ويقول له : « إن الله سيجعل لك فرجاً » . فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلت ابنه من أيدي العدو فر بن من أخنام العدو ، استأفها فجاه بها إلى أبيه وجاء معه [يعني (١)] قد أصابه من الفم ، فزلت هذه الآية : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحسب) (٢) ،

رواه ابن جرير ، وروى أيضاً من طريق سالم بن أبي الجعد مرسل نحوه (٣) ،

وقال الإمام أحمد ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن البذر يُحْرَمُ الرِّزْقُ بالذَّنْبِ يَصِيْهُ ، ولا يرد القدر إلا الله ما ولا يزيد في العمر إلا بال » (٤) ،

[ورواه النسائي وابن ماجه (٥) ، من حديث سفيان - وهو الثوري - به (٦)] ،

وقال محمد بن إسحاق : جاء ملك الأشجعي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : أسألتك حوف : قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وكانوا قد شلوه بالقد (٧) فسقط القيد عنه ، فخرج ، فلما هو يتألم فركبها ، وأقبل فلما بَسَرَ (٨) القوم الذين كانوا شلوه فصاح بهم ، فاتبع أولها آخرها ، فلم يفتجأ أبوه إلا وهو ينادي بالباب ، فقال أبوه : حوف وبوب الكعبة : قالت أمه : واسألاه . وحوف [كيف قدم (٩)] لا هو فيه من القيد - فاستبق الباب وللادم ، فلما حوف قد مضى افتناه إلا ، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل ، فقال أبوه : قفا حتى آتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسأله عنها . فأتى

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ومكانه يوافق في الخطوة .

(٢) تفسير الطبري : ٨٩/٢٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٨٩/٢٨ - ٩٠ .

(٤) سنة الإمام أحمد : ٢٧٧/٥ ، وانظر : ٢٨٠/٥ ، ٢٨٢ .

(٥) سنن ابن ماجه : كتاب القنن ، باب : والتقويات ، الحديث ٤٠٢٢ ، ١٣٣٤/٢ .

(٦) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٧) القيد - بكسر القاف - وثر القوس .

(٨) المرح : للثنية .

(٩) ما بين القوسين من الطبقات السابقة : ومكانه يوافق في الخطوة .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره خبر عرف وخبر الإبل ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « اصنع بها ما أحببت » وما كنت صانعاً بآمالك » وقرئ : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحسب) ،
رواه ابن أبي حاتم (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق (٢) ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث
حدثنا الفضيل بن عياض ، عن هشام بن الحسن (٣) ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« من اتطلع إلى الله كراهة كل مشقة ، وورقه من حيث لا يحسب ، ومن اتطلع إلى الدنيا وكراهة إليها » ،
وقوله : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) - قال الإمام أحمد :

حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، حدثنا قيس بن الحجاج ، عن حنظل الصنعاني ، عن عبد الله بن عباس : أنه حدث
أنه ركب خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا غلام ،
لئن مملكك كلمات : [احفظ الله يحفظك] ، احفظ الله يحفظك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ،
واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن ينصروك ، لم ينصروك
إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأكاليم ، وخفضت المصنف (٤) » .

وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد ، وابن أبي عمير ، به ، وقال : « حسن صحيح » (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا بشر بن سلمان ، عن سيار بن الحكم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد الله
- هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من تزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قسماً أن
لا تستعمل حاجته ، ومن أنزلها بالله أتاه الله بركة جليل ، أو يموت أجمل (٦) » .

ثم رواه عن عبد الرزاق ، عن سفیان ، عن بشر ، عن سيار بن حمزة ، ثم قال : وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم
لم يحدث عن طارق (٧) .

وقوله : (إن الله بالغ أمره) ، أي : مقل قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاء ، (قد جعل الله لكل شيء
قدراً) ، كقوله : (وكل شيء عنده بقدر) (٨) .

(١) انظر أسد الغابة : الترجمة ٤٦٢٧ : ٤٦٢٨ ، وصحيفتنا .

(٢) في المطبوعة : « بن سليمان » . ولكنه عن أبي الجرح والتمثيل لابن أبي حاتم : ٢٨٢/١٧٤ .

(٣) كلا ، ولم نجد شيئاً هذا ، ولعله هشام بن حسان ، أو هشام بن حديد الترمذي له في أبي الجرح والتمثيل : ٥٣٢/٢/٤ .

(٤) سنة الإمام أحمد : ٢٩٣/١ . وانظر أيضاً : ٣٠٣/١ ، ٣٢٠٧ .

(٥) تحفة الأخرى ، أبواب صفة القبلة ، الحديث ٢٦٢٥ : ٢٦٢٦/٧ - ٢٢٢٥ .

(٦) سنة الإمام أحمد : ٤٤٢/١ .

(٧) للرجع السابق ، والمقدمة نفسها .

(٨) سورة الفرقه ، آية ٥٨ .

وَالَّذِي يَشِينُ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ لَسَّ بِكَ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَا يَرْضَى بِوَلَدِ الْأَحْمَالِ
أَجْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرًا ﴿١﴾ أَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَتَى لَهُ الْيُسْرَى وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سُبُلًا مَخْرَجًا وَيَعْظِمْ لَهُ إِعْرَافًا

يقول تعالى مبتدأ لمعة الآية - وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها - : أنها ثلاثة أشهر ، عوضاً عن الثلاثة قروء
في حق من يحيض ، كما دلت على ذلك آية « البقرة (١) » ، وكلنا الصنار اللاتي لم يبلغن من الحيض أن عتبن كعدة
الآية ثلاثة أشهر ، ولذا قال : (واللاتي لم يحضن) .

وقوله : (إِنْ أَرَبْتُمْ) فيه قولان :

أحدهما - وهو قول طائفة من السلف ، كجماهد ، والزهري ، وابن زيد - أي : وإن رأين دماً وشككن في كونه
حيضاً أو استحاضة ، ولو تبين فيه .

والقول الثاني : إن أَرَبْتُمْ في حكم عتبن ، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر . وهذا مروى ، عن سعيد بن جبير : وهو
اختيار ابن جرير ، وهو أشهر في اللغة ، واحتج عليه بأدواه عن أبي كريب وثي السائب قال : حدثنا ابن إدريس ،
أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم قال : قال لي بن كعب : يا رسول الله ، إن عدداً من عدد النساء لم تذكر في الكتاب ،
الصنار والكبار وأولات الأحمال . قال : فأنزل الله عز وجل : (واللاتي يشن من المحيض من نسائكم إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، واللاتي لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) (٢) .

ورواه ابن أبي حاتم بأيسر من هذا السياق فقال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن مطرف ،
عن عمر (٣) بن سالم ، عن أبي بن كعب قال : قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن نساء من أهل المدينة
لا أنزلت هذه الآية التي في « البقرة » في عدة النساء قالوا : لقد بقي من عدة النساء عددٌ لم يذكرن في القرآن ، الصنار
والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض ، وفوات الحمل . قال : فأنزلت إلي في النساء القصوى ، (واللاتي يشن من
المحيض من نسائكم إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ .) (اللاتي لم يحضن) .

وقوله : (وأولات الأحمال أجلهن أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) ، يقول تعالى : ومن كانت حاملاً فعهن بوضعه ، ولو كان
بعد الطلاق أو الموت بفوق ناقة ، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف ، كما هو نص هذه الآية الكريمة ،
وكما وردت به السنة النبوية . وقد روى عن علي ، وابن عباس - رضي الله عنهم - أنها دخا في المتوفى عنها زوجها
أنها تعد بأبد الأجلين من الوضع أو الأشهر ، عملاً بهذه الآية الكريمة ، والتي في سورة « البقرة » : وقد قال البخاري :
حدثنا سعد بن حفص ، حدثنا شيخان ، عن يحيى قال : أخبرني أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس - وأبوهريرة
جالس - فقال : أخفى في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس : آخر الأجلين . قلت أنا : (وتولات

(١) هي الآية ٢٢٨ . انظر : ٣٩٦/١ - ٣٩٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٩١/٢٨ .

(٣) عمر بن سالم ، ويقال عمرو - ينسب المين - وهو أبو حنيفة الأصمري . يروى عنه مطرف بن طريف . انظر الخلاصة :
كتاب العنق . وللطالب العاليه : بزماته للمصنف المتوفى : ٣٨٩/٢ .

الأحمال أجلين أن يضع حملهن) : قال أبو هريرة : أنا مع ابن أنس : يعني أبا سلمة ، فأرسل ابن عباس غلاما كريما [إلى أم سلمة] يسألها ، فقالت : قُتِلَ زوج سُبَيْةَ الأسلمية وهي حلي ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت ، فأنكحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبو السائب فيمن خطبها (١) .
حكى أبو داود البخاري هذا الحديث هاهنا مختصرا . وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجه (٢) آخر ، وقال الإمام أحمد :

حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن المسور بن مخرمة أن سُبَيْةَ الأسلمية تُوُفِّيَ عنها زوجها وهي حامل ، فلم تَكُثْ إلا ليلي حتى وضعت ، فلما تَمَكَّتْ (٣) من نفاسها خطبت ، فاستأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النكاح ، فأذن لها أن تَنكِحَ ، فتَكَتْ (٤) .

ورواه البخاري في صحيحه ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه - من طرق منها (٥) ، كما قال مسلم ابن الحجاج :

حدثني أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، حدثني عبيد الله بن عبد الله ابن سُبَيْةَ : أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الثوري بأمره أن يدخل على سُبَيْةَ بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين استفتته . فكتب صُبر بن عبد الله يخبره أن سُبَيْةَ [أخبرته] أنها كانت تحت سعد بن خولة - وكان من شهد بلرا - فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تَتَسَبَّ أَنْ وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَمَكَّتْ من نفاسها تيمكت للخطاب ، فدخل عليها أبو السائب بن يَمَكْلَ فقال لها : مالي أراك منجمة ؟ لعلك ترجين النكاح ، إلك والله ما أنت بتأكل حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سُبَيْةَ : فلما قال لي ذلك جِئْتُ عَلَى ثِيَابِي حين أُسَيِّتُ فَأَتَيْتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله من ذلك ، فأفانني بآتي قد حَكَلْتُ حين وضعتُ حملي ، وأمرني بالتزوج إن بطل .

هذا لفظ مسلم (٦) : ورواه البخاري مختصرا (٧) ، ثم قال البخاري بعد رواية الحديث الأول عند هذه الآية :

- (١) البخاري ، تفسير سورة الطلاق : ١٩٣/٦ - ١٩٤ .
- (٢) البخاري ، كتاب المفاتيح : ١٠٣/٥ - ١٠٣ . ومسلم ، كتاب الطلاق ، باب « انقضاء مدة المتوفى عنها زوجها » وغيرهما يوضح الجدل : ٣٠٠/٤ - ٣٠٢ . والموطأ ، كتاب الطلاق ، باب « مدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حلا » . وسنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « في مدة الحمل » . والترمذي ، كتاب الطلاق ، باب « مدة الحمل المتوفى عنها زوجها » : ١٩٠/٦ - ١٩٧ . وابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب « الحمل المتوفى عنها زوجها » ، إذا وضعت حلت للأزواج ، والحديث ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨ - ٢٠٣/١ - ٦٥٤ .
- (٣) أي : طهرت .
- (٤) سنده الإمام أحمد : ٣٧٧/٤ .
- (٥) انظر الإحالات المتقدمة . وانظر أيضا البخاري ، كتاب الطلاق ، باب « وأولات الأحمال أجلين أن يضع حملهن » ، ٧٢/٧ .
- (٦) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « انقضاء مدة المتوفى عنها زوجها » : ٢٠٠/٤ - ٢٠١ .
- (٧) انظر الإحالات المتقدمة .

ورواه سليمان بن حرب وأبو الثعالبي : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد -- هو ابن سيرين -- قال : كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى -- رحمه الله -- وكان أممته يطعمونه ، فذكر آخر الأجلين ، فحدثت بحديث سُبَيْحَةَ بنت الحلوث عن عبد الله بن عتبة ، قال : فَصَمَرَكِلِ (١) بعن أصحابه ، قال محمد : فقلت له فقلت : إنك لجرىء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة . قال : فاستصبا وقال : لكن عمه لم يقل (٢) ذلك . فقلت : أبا عطية مالك بن عامر سألته . فذهب يحدثني بحديث سُبَيْحَةَ ، فقلت : هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال : كنا عند عبد الله فقال : أتبعون عليها التخليط ، ولا تبعون عليها الرخصة ؟ نزلت سورة النساء القصص بعد الطول : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن (٣)) .

ورواه ابن جرير ، من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية عن أيوب به مختصرا (٤) : ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى ، عن خالد بن الحلوث ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، فذكره (٥) .
وقال ابن جرير : حدثني زكريا بن يحيى بن أبيان للصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثني ابن شبرمة الكوفي ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاحته ، ما نزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن) إلا بعد آية للفرق عنها زوجها : قال : وإذا وضعت للفرق عنها زوجها فقد حلت . يريد بآية للفرق عنها زوجها : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (٦)) ، وقد رواه القسائي من حديث سعيد بن أبي مريم ، به (٦) : ثم قال ابن جرير :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن القسائي قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصص نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشرا ثم قال : أجل الحامل أن تضع مائى عليها (٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضمى ، عن مسروق قال : بلغ ابن مسعود أن عليا -- رضي الله عنه -- يقول : آخر الأجلين : قال : من شاء لاحته ، إن التي في النساء القصص نزلت بعد البقرة : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن) .

ورواه أبو داود وابن ماجه . من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش (٧) .
وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني محمد بن أبي بكر القُدسي ، أخبرنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثني الثوري ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن أبي بن كعب قال : قلت لربي صلى الله عليه وسلم : (وأولات

(١) أي : لمكتبي .

(٢) يعني عبد الله بن مسعود لا يقول بأحد الأجلين .

(٣) البخاري : تفسير سورة المائدة : ١٩٤/٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٢/٢٨ .

(٥) وهو في القسائي في كتاب الملاق ، باب : حجة الحامل للفرق عنها زوجها : ١٩٧/٦ - ١٩٧ .

(٦) سنن القسائي ، في الكتاب والباب للفقهاء : ١٩٧/٦ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الملاق ، باب : حجة الحامل . و سنن ابن ماجه ، كتاب الملاق ، باب : الحامل للفرق عنها زوجها .

عن أبي داود : ٢٠٢٠ : ١٠٤/١ .

الأحمال أجهلن أن يضمن حملهن) ، المطلقة ثلاثا أو المتوفى (١) عنها ؟ قال : هي المطلقة ثلاثا والله في معناها (٢) .

هذا حديث غريب جدا ، بل منكر ، لأن في إسناده الخفي بن الصباح ، وهو مروك الحديث بحرة ، ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر ، قال :

حدثنا محمد بن داود السعفي ، حدثنا عمرو بن خالد - يعني الحراني - حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيبه ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي بن كعب : أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا أرى أمشركة لم يهجرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آية آية ؟ » . قال : (أجهلن أن يضمن حملهن) ، المتوفى عنها والمطلقة ؟ قال : نعم .

وكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، به . ثم رواه عن أبي كريب أيضا ، عن مالك بن إسماعيل ، عن ابن حينة ، عن عبد الكريم بن أبي الخثول أنه حدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن : (وأولات الأحمال أجهلن أن يضمن حملهن) ، قال : « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » (٣) .

عبد الكريم هذا ضعيف ، ولم يترك أبا .

وقوله : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ، أي : يسهل له أمره ، ويسره عليه ، ويجعل له ترجا قريبا ويخرجا عاجلا .

ثم قال : (ذلك أمر الله أنزله إليكم) ، أي : حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم ، (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، وييسر له أمرا) ، أي : يلحبه من الخلق ، ويجزل له الثواب على العمل اليسر .

أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيحَتِهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَلًى فَأَنْفِقُوا عَلَيْهَا حَتَّى يَضُمَّنَّ حَمْلَهَا فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَافْتَوَيْنَ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَرَّضْتُمْ لَهُمْ أُنْثَىٰ ۖ فَلْيَضَحَّ ذَوْبَهُمْ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقٌ فَلْيُنْفِقْ رِزْقًا ۚ إِنَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا أَتَتْهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ حَرْفٍ ۖ

يقول تعالى أمرا إلهيا إذا طلق أحدكم امرأته فليستأجرها إذا طلقها حتى تنقضي عدتها ، قال : (أسكنوهم من حيث سكنتم) ، أي : عندكم ، (من وجدكم) ، قال ابن عباس ، وبجاهد ، وغير واحد : يعني سكنكم (٤) . حتى قال قتادة : وإن لم يجد إلا جيب بيتك فأسكنها فيه .

(١) لفظ المسد : المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها ؟ قال : هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١١٦/٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٩٣/٢٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٤/٢٨ .

وقوله : (ولا تضاروهن لتضييقا عليهن) ، قال مقاتل بن حيان : يعني يضاجرها لتضييق منه يملأها أو يخرج من مسكنه .

وقال الثوري ، عن منصور ، عن أبي الصَّحَّي : (ولا تضاروهن لتضييقا عليهن) ، قال : يطلقها فإذا بقي يومان واجبها .

وقوله : (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن) ، قال كبير من العلماء منهم ابن عباس ، وماتة من السلف ، وجماعات من الخلف : هذه في البائن ، إن كانت حاملا أنفق عليها حتى ترضع حملها ، قالوا : بدليل أن الرجعية يجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا .

وقال آخرون : بل السياق كله في الرجعيات ، وإذا نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية ، لأن الحمل تطول مدته غالبا ، فالحجج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع ، لتلا يومه أنه إنما يجب النفقة بمقدار مدة العدة .

واختلف العلماء : هل النفقة لها بواسطة الحمل ، أو للحمل وحده ؟ على قولين متصويين عن القاضي وغيره ، ويضرب عليها مسائل مذكورة في علم القروع .

وقوله : (فإن أرضعن لكم) ، أي : إذا ورضعن حملهن وهن طوائق ، فقد بين بانقضاء عتقهن ، ولما جئنا أن ترضع الولد ، ولما أن غنت منه ، ولكن بعد أن تنليه باللبا — وهو : باكورة الابن الذي لا قوام لولده غالبا إلا به — فإن أرضعت أجرة أمها ، ولما أن تصاد أباه أو وليه على ما يفتقن عليه من أجرة . ولما قال تعالى : (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) .

وقوله : (واتصروا بينكم بمعروف) ، أي : ولكن أموركم فيما بينكم بالمعروف ، من غير إضرار ولا مضارة ، كما قال في سورة البقرة : (لا تضاروا بالدين بولدها ، ولا مولود له بولده (١)) .

وقوله : (وإن تمارستم فستره له لشرى) ، أي : وإن اختطف الرجل والمرأة ، فطلبت المرأة لأجرة الرضاع كبرا ولم يحبسها الرجل إلى ذلك ، أو يلد الرجل قليلا ولم توافقه عليه ، فليس رضيع (٢) له غيرها . فلو رضيعت الأم بما استوجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها .

وقوله : (ليقن ذو سعة من سمته) ، أي : ليقن على المولود والده أو وليه ، بحسب قدرته ، (ومن فكر عليه رزقه ، فليقن بما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه) ، كقوله : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (٣)) .

روى ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن أبي سنان قال : سألت عمر بن الخطاب عن أبي صبيدة ، قيل : إنه يلبس التليظ من الثياب ، ويأكل أخصن الطعام . فيث إليه بألف دينار ، وقال الرسول : انظر ما يصنع بها .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٣٣ .

(٢) في المظنة : وظن وضعه . وللحديث عن الطيبت السابقة .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .

إِذَا هُمْ أَخْلَعُوا : قَالُوا لَنْ لَيْسَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْغِيَابِ ، وَأَكَلْ أَطْيَبَ الطَّعَامِ : فَبَجَّاهُ الرَّسُولُ فَأَنْجَبَهُ ، قَالَ : وَرَحِمَهُ اللَّهُ ، تَأَوَّلَ هَذِهِ آيَةَ : (لِيُثَبِّتَ خَوْسَةً مِنْ سَمْعِهِ ، وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُثَبِّتْ مَا آتَاهُ اللَّهُ) (١) :

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا هاشم بن مزيد (٢) الطبراني : حدثنا محمد بن إسماعيل ابن عياش ، أنخرفني أبي ، أنخرفني مضمض بن زرعقة ، عن شريح بن عبيد ، عن (٣) أبي مالك الأشعري - واسمه الحلو - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ثلاثة نفر - كان لأحدهم عشرة دنائير ، فتصدق منها يدينار ، وكان لآخر عشر أواق ، فتصدق منها بأوقية ، وكان لآخر مائة أوقية ، فتصدق منها بعشر أواق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم في الآخر (٤) سواء ، كل قد تصدق بعشر ماله ، قال الله تعالى : (لِيُثَبِّتَ خَوْسَةً مِنْ سَمْعِهِ) (٥)

هذا حديث غريب من هذا الوجه :

وقوله : (سيجعل الله بعد صبر يسرا) : وعد منه تعالى ، ووعدته حق ، وهو لا يخلفه ، وهذه كقوله تعالى : (لَنْ يَمُوتَ مَعِيَ يَسْرًا : إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (٦)

وقد روى الإمام أحمد حديثاً يحسن أن تذكره هاهنا ، فقال : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب قال : قال أبو هريرة : بينا رجل وامرأة له في السلف الخليل لا يقبلان على شيء ، فجاء الرجل من سفره ، فدخل على امرأته جالسا قد أصاب (٧) مَسْبِيحَةً شديدة ، فقال لامرأته : عتلك شيء ؟ قالت : نعم ، أيسر ، ألك (٨) رزق الله . فاستحشا ، فقال : وعيك ! ابني إن كان عتلك شيء . قالت : نعم ، هنيئة - ترجو رحمة الله - حتى إذا طال عليه الطوى (٩) قال : وعيك ! قوي فابني إن كان عتلك شيء فابني به ، فإني قد بكفت (٩) وجعيدت . قالت : نعم ، الآن ينضج القنور فلا تمجبل . فلما أن سكنت عنها ساعة ونجست أن يقول لها ، قالت من عند نفسها : لو قمست فنظرت إلى تَوْرَى ؟ فقامت فنظرت إلى تَوْرَها مَلَأَنَ جَنُوبَ الْغَنَمِ ، وَرَحِيحُهَا تَطْلِحَتَانِ ، فقامت إلى الرعي ففَضَّصَهَا ، واستخرجت مائتي تَوْرَها من جنوب الغنم .

(١) تفسير الطبراني : ٩٦/٢٨ .

(٢) في الخطوط : « مرثه » ، بالراء والهاء . وقد مر مرثه من قريب . ولم يتبأ لنا صبه ، وما أثبتناه من المسم الصغير الطبراني : ١٢٦/٧ .

(٣) في الخطوط : « بن أبي مالك » . والاصواب ما أثبتناه ، انظر أسد الغابة ، ترجمة الحارث بن الحارث الأشعري : ٣٨٢ - ٣٨١/١ ، بتحقيقنا .

(٤) في الخطوط : « في الآخرة » . والمثبت من الطبقات السابقة .

(٥) سورة القدر : آية ٥ - ٦ .

(٦) في المصنف : « أصابع » .

(٧) في الخطوط : « أنا لِرِزْقٍ » . والمثبت من المصنف : « على أن فيه » . ألك .

(٨) في الخطوط : « القنور » . والمثبت من المصنف : « الطوى » ، وهو القنور .

(٩) أي : جهت ، فالسلف صفة تفسر .

قال أبو هريرة : هو الذي نفس أبي القاسم بيده هو (١) قول محمد - صلى الله عليه وسلم - : « لو أخلت مائتي رخصتها ولم تنفصها لطحتنها إلى يوم القيامة » (٢) .

وقال في موضع آخر : حلفت أبو عامر ، حلفت أبو بكر ، عن هشام ، عن محمد - هو ابن سيرين - عن أبي هريرة قال : دخل رجل على أهله ، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البئر ، فلما رأته امرأته قامت إلى الرعى فوضعتها ، وإلى الثور فسجرتة (٣) ، ثم قالت : اللهم لوزقا . فظفرت ، فافذا الجفنة قد امتلأت ، قال : وذهبت إلى الثور فوجدته مملتا ، قال : فرجع الزوج قال : أصبتم بعلتي شيئا ؟ قالت امرأته : نعم ، من ريتا . قام (٤) إلى الرعى ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أما إنه لو لم ترعها ، لم تزل تدور إلى يوم القيامة » (٥) .

وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ خَاسِبَتْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَطَبَتْهَا عَطَابًا نَكْرًا ۖ فَلَقَتْ رِبَالَ أَمْهَا وَكَانَ حَقِيقَةً أَمْهَا خُسْرًا ۖ ۝١١ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاذْكُرُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ الْآلِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ ۝١٢ رَسُولُوا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا ۝١٣

يقول تعالى متوعدا من خالف أمره ، وكذب رسله ، وسلك غير ما شرعه - وغيرا عما حل بالأمة السالفة بسبب ذلك ، فقال : (وكان من قرية عتت عن أمر ربها ورسوله) ، أي : تمردت وطلعت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ، (فحاسبناها حسابا شديداً ، وعطبناها عطاباً نكراً) ، أي : منكرأ قظيما .

(فلقت ربالاً أمها) ، أي : غلب غلبتها ، وتدموا حيث لا يضع التتم ، (وكان عاقبة أمرها خسرا : أعد الله لهم عذابا شديداً) ، أي : في النار الآخرة ، مع ما حجل لهم في الدنيا .

ثم قال بعد ما قص من خبر هؤلاء : (فاذكروا الله يا أولي الآلباب) ، أي : الأنعام المستقيمة ، لا تكونوا مثلهم فيصيكم ما أصابهم يا أولي الآلباب ، (الذين آمنوا) ، أي : صدقوا بالله ورسله ، (قد أنزل الله إليكم ذكراً) ، يعني القرآن . كقولهم : (إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون (١)) .

(١) في المسند : « عن قول » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٢١/٢ .

(٣) أي : أحسنه .

(٤) كلما في المسند ، وفي المخطوطة دون نقط اختلاف .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢٢/٢ .

(٦) سورة الحجر ، آية : ٩ .

وقوله : (رسولنا يطور عليكم آيات الله ميثاق) ، قال بعضهم : (رسولنا) منصوب على أنه بدل اشتمال (١) وملازمة ، لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر .

وقال ابن جرير : الصواب أن الرسول ترجمة (٢) من الذكر ، يعني تفسيراً له (٣) ، ولما قال : (رسولنا يطور عليكم آيات الله ميثاق) ، أي : في حال كونها بينة واضحة جليلة (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) ، كقوله : (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (٤)) وقال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور (٥)) ، [أي : من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم] ، وقد سمي الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا ، لما يحصل به من الهدى ، كما سماه روحا ، لما يحصل به من حياة القلوب ، فقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا تهدي به من نساء من عبادة ، وإليك تهدي إلى صراط (٦) مستقيم) (٧) .

وقوله : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ، يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، قد أحسن الله له رزقا) ، قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة ، بما أفنى عن إعادته .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠﴾

يقول تعالى خبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم : (الله الذي خلق سبع سموات) ، كقوله ليعقوب عن نوح أنه قال لقومه : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا (٨)) وقال تعالى : (لسبع السموات السبع والأرض ومن فيهن (٩)) .

وقوله : (ومن الأرض مِثْلَهُنَّ) ، أي : سبعا أيضا ، كما ثبت في الصحيحين : « من ظلم قيد شبر من الأرض

(١) المعروف أن بدل الاشتمال هو : ما دل على معنى اشتمال عليه متبوه ، نحو : أصبني عبد علمه . ويكون مصلا بتفسير يرجع إلى المبدأ منه ، وما هنا لا يتحقق فيه غميط بدل الاشتمال .

(٢) الترجمة والتبيين من مصطلحات الكوفيين يمتون به ما يسمى منه البصريين بالبدل .

(٣) تفسير الطبري : ٩٨/٢٨ .

(٤) سورة إبراهيم : آية : ٦ .

(٥) سورة البقرة : آية : ٢٥٧ .

(٦) سورة الشورى : آية : ٥٢ .

(٧) ما بين القوسين المعرفين سابق من ضلوة الأرض والنجاة عن القليبات السابقة .

(٨) سورة فوج : آية : ١٥ .

(٩) سورة الإسراء : آية : ٤٤ .

مطوَّعة من سبع أرضين (١) : وفي صحيح البخارى : « خُصِفَ به إلى سبع أرضين » : وقد ذُكرت طَرَفُهُوَأَنفَاقُهُ وعزوه في أول « البداية » (٢) والنهاية « عند ذكر خلق الأرض ، وقد الحمد ولله » .

ومن حمل ذلك على سبعة أعالي ، فقد أبعد النتيجة ، وأغرق في الترح ، وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم في « سورة الحائدة » عند قوله : (هو الأول والآخِر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع ، وبعد ما بينهن ، وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام (٣) . وهكذا قال ابن مسعود وغيره ، وكلنا الحديث الآخر : « ما السموات السبع وما بينهما وما بينهن ، والأرضون السبع وما بينهما وما بينهن في الكرسي ، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلا » (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مهكجر ، عن جاهد ، عن ابن عباس في قوله : (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) ، قال : لو حدثكم بضميرها لكفرتم ، وكفرتم تكليكم بها (٥) .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُصَبي الأُصمى ، عن جعفر بن أبي المغيرة الخراسي ، عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) « الآية » ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك إن أخبرك (٦) بها فكفر .

وقال ابن جرير ، حدثنا عمرو بن علي وعمد بن لُثَي قالوا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي القُصَبي ، عن ابن عباس في هذه الآية : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) - قال عمرو : قال : في كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما على الأرض من الخلق ، وقال ابن لُثَي في حديثه : في كل مياه إبراهيم (٧) .

وقد روى البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا ، فقال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وحدثنا أحمد بن يعقوب ، حدثنا عبيد بن غنم (٨) النخعي ، أخبرنا علي بن حكيم ، حدثنا شريك ، عن عطية ابن السائب ، عن أبي القُصَبي ، عن ابن عباس أنه قال : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) ، قال : سبع أرضين ، في كل أرض نبي كتيك ، وأدم كادم ، ونوح كروح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وميسى كعيسى .

(١) البخارى ، كتاب المظالم ، باب : لم من ظم شيئا من الأرض : ١٧٠/٣ - ١٧١ . وكتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في سبع أرضين : ١٢٩/٤ - ١٣٠ . ومسلم ، كتاب البيوع ، باب : نحر المظم ونسب الأرض وغيرها : ٥٧/٥ - ٥٩ .

(٢) انظر البداية والنهاية ، « ما جاء في سبع أرضين » : ١٩/٦ - ٢١ .

(٣) انظر : ٣٢/٨ - ٣٣ .

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة : ٤٥٧/١ - ٤٥٨ .

(٥) في المخطوطة : « وكفرتم بتكليمكم » . وللتبث من تفسير الطبري : ٩٩/٢٨ .

(٦) لفظ الطبري : « وأن أخبرك » .

(٧) تفسير الطبري : ٩٩/٢٨ .

(٨) في المخطوطة : « بن صام » . وللتبث من التلميذ السابقة ، ولله « عيه بن غنم بن حصن بن هيثم الكوفي » لتبريم له في البحر للمصنف : ١٠٧/٢ .

ثم روى البيهقي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل :
(الله الذي خلق سموات ومن الأرض مثلهن) ، قال : في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام .
ثم قال البيهقي : إسناده هنا عن ابن عباس صحيح ، وهو شاذ بمرّة ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا ، والله أعلم .

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القريش في كتابه « التفكير والاعتبار » : حدثني إسحاق بن حاتم
للدائمي حدثنا يحيى بن سليمان ، عن عثمان بن أبي دهرش (١) قال : بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى
أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون ، فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » . فقالوا : ننتظر في خلق الله عز وجل . قال :
« كذلك فاقبلوا ، تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه ، فإن جهلا المغرب أرضا بيضاء ، نورها ساجها - أو قال : ساجها
نورها (٢) - مسيرة الشمس أربعين يوما ، بها خلق الله لم يمسوا الله طرفة عين قط » . قالوا : فأين الشيطان عنهم ؟ قال :
« ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » : قالوا : لمن ولد آدم ؟ قال : « ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » .

وهذا حديث مرسل ، وهو منكر جدا ، « وعثمان بن أبي دهرش » ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال : روى عن رجل
من آل الحكم بن أبي العاص ، وعنه سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وابن المبارك - سمعت أبي يقول ذلك (٣) .

[آخر تفسير سورة الطلاق]

(١) في المتن : « دهرش » ، بالسين المهملة . والمثبت من المخرج والتعديل لابن أبي حاتم .
(٢) كلما في غلظة الأثر . وفي الطبقات السابقة : « نورها بيضاء » - أو قال : بيضاء نورها .
(٣) المخرج والتعديل لابن أبي حاتم : ١٤٩/١٤٣ .

تفسير سورة التحريم

وهي منية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ تُحَرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ مَرَّضَ اللَّهُ لَكَ
جَمْعَهُ أَتَيْتَكَ وَاللَّهُ مَوْلَاكَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأْتَنِي لَكَ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ خَبِثَتْ فُلَا تَبَأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فُلَا تَبَأَاهُ يَدٌ كَأَنَّكَ هَذَا قَالَ نَبِيُّ الْعَلِيمِ
فَلْيَحْذَرِ ﴿٣﴾ إِنْ تُثَوِّبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٥﴾ صَحَّحَ وَهَّبٌ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَيِّدَهُ أَوْ زَوْجًا خَيْرًا مِمَّنْ مُسَلِّتٌ
تُفَرِّقُ مَنَّتَ قَتَلْتِ تَقْبَلْتِ عَذَابَ سَجَلٍ قَبِلْتِ وَأَبْكَرًا ﴿٦﴾

اختلف في سبب نزول هذه السورة ، قيل : نزلت في شأن مارية ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد حرّمها ، فنزل قوله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ؟ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) : : الآية .

قال أبو عبد الرحمن السائي : أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت له أمة بطونها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها ، فانزل الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ؟) إلى آخر الآية .

وقال ابن جرير : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا أبو عثمان ، حدثني زيد بن أسلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نساءه ، فقالت : أي رسول الله ، في بيتي وعلى فراشي ؟ فجعلها عليه حرما ، فقالت : أي رسول الله ، كيف يحرم عليك [الحلال] ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها . فانزل الله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ؟) قال زيد : فقول : أنت حل حرام ؟ (قوله ١) .

وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه .

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك (٢) ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال ما : أنت حل حرام ، والله لا أطوك .

(١) تفسير الطبري : ٢٨ / ١٠٠ .

(٢) في تفسير الطبري : : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : عن مالك .

وقال سفيان الثوري وابن عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : كل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحرم فضوته في التحريم ، وأمر بالكفاة في اليمين . رواه ابن جرير . وكلما روى عن قتادة ، وغيره ، عن الشعبي ، نفسه . وكلما قال غير واحد من السلف ، منهم الصحاح ، والحسن ، وقاتلة ، ومقاتل بن حيان ، وروى العوفي ، عن ابن عباس القصة مطولة .

وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن يحيى ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله ، عن ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المأثان ؟ قال : حاشية وحصة . وكان يده الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية ، أصابها النبي صلى الله عليه وسلم - في بيت حفصة في نوبتها ، فوجبت حفصة ، فقالت : يا بني الله ، لقد جئت إلى شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومى (١) ، وقد حرم ، وعلى فراشي . قال : « ألا ترين أن أحرمها فلا أقربها ؟ » . قالت : بلى . فحرمها وقال : « لا تذكرى ذلك لأحد » . فذكرته لمائشة ، فأنظره الله عليه ، فأقول الله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟) فتعنى موضة أزواجك) : « الآيات ، فبلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكفرت به ، وأصاب جاريته : (٢) » .

وقال الميمون بن كليب في مسنده : حدثنا أبو قتادة عبد الملك بن محمد الرقائى ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جرير ابن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة : « لا تجبرى أحداً ، وإن لم إبراهيم على حرام » . فقالت : أكره ما أحل الله لك ؟ قال : « فوالله لا أقربها » . قال : « فلم يقربها حتى أخبرت حاشية » : قال : فأقول الله : (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) ،

وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد انتظره الحافظ الفقيه المقلبي في كتابه المستخرج ؛

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن حبان ، حدثنا هشام الدستوائي قال : كتب إلى يحيى يحدث عن رجل بن حكيم ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس كان يقول في الحرام : يمين تكفرها ، وقال ابن عباس : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ، يعني أن رسول الله حرم جاريته فقال الله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟) إلى قوله : (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) ، فكفر يمينه ، فحرم الحرام عينا (٣) ،

ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة ، عن هشام - هو والد ستواني - عن يحيى - هو ابن أبي كثير - عن ابن حكيم - وهو يثقل - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في الحرام : يمين تكفرو (٤) . وقال ابن عباس : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٥) .

(١) في تفسير الطبري : « يؤمها » .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٢/٢٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠١/٢٨ - ١٠٢ .

(٤) فلف البخاري : « في الحرام يكفر » .

(٥) البخاري : تفسير سورة المصم : ١٩٤/٦ .

ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي (١).

وقال الصافي: أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي، حدثنا عجلد - هو ابن يزيد، حدثنا سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتاه رجل قال: إني جعلت امرأتني على حرام؟ قال: كذبت ليست عليك بحرام. ثم تلا هذه الآية: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، أَلَمْ نَحْرَمْ مَا أَحْلَى اللَّهُ لَكَ؟) عليك أغلظ الكفارات، عن رقية (٢).

تفرد به الصافي من هذا الوجه، بهما التقط.

وقال الطبراني: حدثنا عماد بن زكريا، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، أَلَمْ نَحْرَمْ مَا أَحْلَى اللَّهُ لَكَ؟) قال: حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريره.

ومن هاهنا ذهب من ذهب من اتقاه عن قال بوجوب الكفارة حل من حرم جاريته أو زوجته أو طامعاً أو شارباً أو مليئاً أو شيئاً من المباحات. وهو مذهب الإمام أحمد وطلاقة. وذهب الصافي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية، وإذا حرم بينهما أو أطلق التحريم فيما في قوله، فلما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو حتى الأمة، قل فيهما.

وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الطبراني، أخبرنا حفص بن عمر السدي، أخبرنا الحكم بن أبان، حدثنا حكرمة، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، أَلَمْ نَحْرَمْ مَا أَحْلَى اللَّهُ لَكَ؟) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه المسك، كما قال البخاري عند هذه الآية:

حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمر، عن عائشة قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشرب صلا عند زينب بنت جحش، ويكث عنها، فوطأت أنا وحفصة حل؛ أبيتنا دخل عليها، فقلل له: أكلت من أكلم (٣)؟ إني أجد منك ريح مغافير. قال: ه لا؛ ولكني كنت أشرب صلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تجزى بذلك أحداً، (تجزي امرأة أزواجك) (٤).

مكلاً أوود هذا الحديث هاهنا بهما التقط، وقال في كتاب الإيمان والنعور:

حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه مع عبيد بن عمر يقول: سمعت عائشة ترم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يكث عند زينب بنت جحش ويشرب عنها غسل فواصيت أنا وحفصة أن أبيتنا دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحدهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت ذلك له، فقال: ه لا، بل شربت صلا عند زينب بنت جحش، ولن

(١) مسلم، كتاب الطلاق، باب «وجوب الكفارة حل من حرم امرأة ولم ينز الطلاق»: ١٨٤/٤.

(٢) الصافي، كتاب الطلاق، باب تأويل قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، أَلَمْ نَحْرَمْ مَا أَحْلَى اللَّهُ لَكَ؟) ١٠١/٦.

(٣) بيان شرح هذه الكلمة.

(٤) البخاري، تفسير سورة المتصم: ١٩٤/٦.

أورد له : « فترلت : يا أيها النبي ، لم تحرمها لحل الله لك ؟ » إلى : (إن تنوبا إلى الله فقد صحت قلوبكما) لمائة وخمسة (١) ،
(وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) لقوله : « بل شئت صلا » . وقال إبراهيم بن موسى ، عن هشام : « وإن
أورد له ، وقد حلفت ، فلا تحبني بذلك أحداً » (٢) .

وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الإسناد ، ولفظه قريب منه (٣) . ثم قال : المغافر : « شبهه بالصمغ ، يكون
في الرمث فيه حلوة ، أغفر الرمث : إذا ظهر فيه . واحدها مغفور ، ويقال مغافر » (٤) . وهكذا قال الجوهري ، قال :
« وقد يكون المغفور أيضاً للعشر والتمام والسم والطلع » قال : والرمث ، بالكسر ، موعى من مراعي الإبل ، وهو من
الحمض . قال : والفرط : شجر من الغضاء ينضج للغرور [منه] (٥) .

وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب « الطلاق » من صحيحه ، عن محمد بن حاتم ، عن حجاج بن محمد ، عن
ابن جريج ، أخبرني عطاء ، عن عبيد بن عمر ، عن عائشة ، به . ولفظه كما أورده البخاري في الإيمان والنفور (٦) .

ثم قال البخاري في كتاب الطلاق : حدثنا فروة بن أبي المقرئ ، حدثنا علي بن مسهر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه
عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يحب الحكي والفسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على
فساه ، فيلبن من إحداهن . فدخل على حفصة بنت عمر فاحبس أكثر ما كان يحبس ، ففترت فسألت عن ذلك ، فقيل
لها : « أهدت لها امرأة من قومها عكلاً » (٧) عكس ، فسكت لئني ، صلى الله عليه وسلم منه شرية ، فقلت : أما والله لنحاذلن
له . فقلت لسودة بنت زينة : إنه يدينو منك ، فإذا دنا منك قولي : « أكلت مغافر ؟ » فإنه يقول ذلك : لا . فقول
له : ما هذه الريح التي أبعد ؟ فإنه يقول لك : سقني حفصة شرية صل . قولي : جرت نحل العرفط (٨) . وسأول
ذلك ، وتولى أنت له بأصفيه ذلك ، قالت - تقول سودة - : والله ما هو إلا أن قام على الباب ، فأردت أن أناديه (٩) . بما
أمرني فرأيتك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله ، « أكلت مغافر ؟ » قال : « لا » . قالت : فما هذه الريح
التي أبعد منك ؟ قال : « سقني حفصة شرية صل » قالت : جرت نحل العرفط . فلما دار إلى قلت نحو ذلك ،
فلما دار إلى صفيه قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت له : يا رسول الله ، ألا أسئلك منه ؟ قال : « لا حاجة لي
فيه » قالت - تقول سودة - : والله لقد حرمناه . قلت لها : اسكتي (١٠) .

(١) في الصحيح : (إن تنوبا إلى الله) ، لمائة وخمسة .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان والنفور ، باب « إذا حرم طبعه » : ١٧٥/٨ - ١٧٦ .

(٣) البخاري ، كتاب الطلاق ، باب « لم تحرم ما أسأل الله » : ٥٦/٧ .

(٤) لم ينح لنا هذا القول في صحيح البخاري .

(٥) ما بين القوسين من الصحيح ، مادة فرط : ١١٤٢/٣ .

(٦) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق » : ١٨٥ - ١٨٤/٤ .

(٧) المسكة : وعاء من جلده ، ينضج بالسن والصل .

(٨) ساق شرع القريب .

(٩) كلما في إحدى روايتي الصحيح . وفي الأخرى : « أباده » ، وأباده .

(١٠) البخاري ، كتاب الطلاق ، باب « لم تحرم ما أسأل الله » : ٥٧/٧ .

هذا لقول البخاري : وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد ، عن علي بن مهزيب ، به ، وعن أبي كريب وهارون ابن عبد الله والحسين بن بشر ، ثلاثتهم عن أبي أسامة حمادين أسامة ، عن هشام بن عروة . به . وعنده قالت : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشتد عليه أن يوجد منه الريح (١) ، وبني الريح الخبيثة ، فمما قال له : «أكلت مثاقير» لأن رجحها فيه شيء . فلما قال : « بل شربت صلا » . قال : جرست لحله العرفط . أي : رحت لحله شجرة العرفط التي صنه المثاقير ، فلها نهر ويح في السيل الذي شربه :

قال الجوهري : جرست التحل العرفط [تجرس] : إذا أكلته ، ومنه قيل التحل جروس ، قال الشاعر :

تَظَلَّ عَلَى الشَّعْرَاءِ مِنْهَا جُرُوسٌ *

وقال الجترس والجروس : الصوت الخشن ، ويقال : سمعت جرس [الخيل] إذا سمعت صوت مثاقيرها على شيء . نأكله . وفي الحديث : « فيسمعون جرس [طير الجنة] . قال الأصمعي : كنت في مجلس شعبة قال : « فيسمعون جرس طير الجنة » بالشين ، قلت : « جرس » ؟ فنظر إلى فقال : غطوها عنه ، فإنه أحم جهنم (٢) :

والفرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي السابقة لصل ، وهو من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، من خاتمه عائشة . وفي طريق ابن جريج عن عطاء ، عن عبيد بن عمر ، عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقت الصل ، وأن عائشة وحفصة تواضعا وتظاهرا عليه ، فأنه أحم . وقد يقال : إنهما واقعتان . ولا يحد في ذلك ، إلا أن كونهما سببا لتزول هذه الآية فيه نظر . والله أعلم . ومما يدل على أن عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - هما لتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المراتين من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - اللتين قال الله تعالى : (إن تنوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما) ، حتى حج عمر وحجبت معه ، فلما كان ببعض الطريق مدك عمر وعدلت معه بالإداوة ، فبرز ثم أتاني . فسكنت على يديه فوضأ ، قلت : يا أبا المومنين ، من المراتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - اللتان قال الله تعالى : (إن تنوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما) ؟ فقال عمر : وأعجباك يا ابن عباس - قال الزهري : كره - والله - ما سأله عنه ولم يكتمه - قال : هي حفصة وعائشة . قال : ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش - قوما تغلب النساء - فلما قلنا للمدينة وجدنا قوما تغلبهم نساءهم ، فطلق نسائنا فتلعن من نسائهم ، قال : وكان مترقي في دار [بنى] لمية بن زيد بالموكل . قال : ففضبت يوما على امرئ فذا هي ترجعي ، فأنكرت أن ترجعي . فقالت : ما تنكر أن أراجهك ؟ فوالله إننا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - لأراجه . وبعجده إحداهن اليوم إلى الليل . قال : فأنطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أترجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم . قلت : وبعجده إحداهن اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم . قلت : قد نكح ذلك منك ونكحته وأطعن إحداهن أن يفضي الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟ لا ترجعي رسول الله ولا تسأليه شيئا ، وسلي من ملأ

(١) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، ١٨٥/٤ .

(٢) المسحاح ، مادة جرس : ٩٠٨/٢ - ٩٠٩ .

(٣) ما بين القوسين عن المسند .

ما بنا لك (١) ، ولا يترك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك - يريد عائشة - قال : وكان لي جار من الأنصار ، وكنا تتناوب التزول إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتزل يوماً وأترزل يوماً ، فيأتيني خبر الرحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك . قال : وكنا تصدق أن غسان تسعمل (٢) الخيل لتزوتا ، فتزل صاحبي يوماً ثم أتني عشاء ، فضرب يدي ثم ناداني ، فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ! فقلت : وما ذلك ؟ أجابت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأملول ! طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه ! فقلت : قد خابت حفصة وغضبت ، قد كنت أظن هذا كائناً . حتى إذا صليت الصبح شددت عليّ ثيابي ثم تزلت ، فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقك رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : لا أدري ، هو هذا محزون في هذه المشرية (٣) . فأبيت غلاماً له أسود فقلت : مستأذن لعمري . فدخل النلام ثم خرج إلى فقال : ذكرت لك له فضمت . فانتقلت حتى أتيت المنبر ، فإذا عنده رجل جلوس يكي بعضهم ، فجلست قليلاً ، ثم غلبني ما أجد ، فأبيت النلام فقلت : مستأذن لعمري . فدخل ثم خرج فقال : لقد ذكرت لك له فضمت . فخرجت فجلست إلى المنبر ، ثم غلبني ما أجد فأبيت النلام فقلت : مستأذن لعمري . فدخل ثم خرج إلى فقال : لقد ذكرت لك له فصمت . فوليت مديراً فإذا النلام يدعوني فقال : ادخل ، قد أذن لك . فدخلت فسلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو متكئ على ومك (٤) حصير .

قال الإمام أحمد : وحدشته يقرب في حديث صالح : ومك حصير قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلقت بك رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى [قال : لا] . فقلت : الله أكبر ، لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش يوماً نتلب النساء فلما قلنا للمنية وجعلنا قوماً نطلبهم نسلهم ، فطلق نساوتنا يصلن من نساءهم ، فغضبت (٥) على امرأتى يوماً فإذا هي ترجيني ، فأكرت أن ترجيني ، فقالت : ما تكر أن لرجلتي ؟ فوالله إن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليراجعه ، ونهجه إحداهن اليوم إلى الليل . فقلت : قد عاب من فعل ذلك منك وغيره ، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد حلفت . فبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله ، قد دخلت على حفصة فقلت : لا يتركك أن كانت جارتك هي أوسم - أو - أحب - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك . فبسم أخرى ، فقلت : أستأذن يا رسول الله : قال : « نعم » . فجلست فرفضت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أمية (٦) ثلاثة . فقلت : ادع الله - يا رسول الله - أن يوسع على أمك ، قد وسع على لرس والروم ، وهم لا يعبون الله . فاستوى جالساً وقال : « أتى ذلك أنت يا ابن الخطاب ؟ لو لك قوم سجلت لهم

(١) في المتن : « وعلني ما بنا لك » .

(٢) أي : يحسبون نساءهم لئلا يملوا . والمعنى : يحسبون نساءنا .

(٣) المشرية - بضم الميم - وهي المرأة وضحا - : القرية .

(٤) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٣٢٠/٥ .

(٥) في المتن : « غضبت » .

(٦) انظر تفسيرها أيضاً في : ٣٢٠/٥ .

طياتهم في الحياة الدنيا : قُلْتُ : استعِزُّ لي يا رسول الله . وكان أقسم أن لا يدخل طيِّين شهراً ؛ من شدة موافقه طيِّين حتى عاتبه الله عز وجل (١) .

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، من طرق، عن الزهري، (٢) وأخرجه الشيخان من حديث يحيى ابن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن حنن، عن ابن عباس، قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما استطعت أن أسأله هية له، حتى خرج حاجباً فخرجت معه، فلما رجعتا وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأركاء لحاجة له، قال: فوفقت حتى فرغت، فرمرت معه قلت: يا أبا حمزة المؤمن، من التان تظاهرا على التي، صلى الله عليه وسلم؟ (٣)

هنا نقف البخاري ، ولما سم : من المرأتان اللتان قال الله تعالى : (وإن ظاهرا عليه) ؟ قال : عائشة وحفصة . ثم ساق الحديث بطوله ، ومنهم من اختصره^(٤) .

وقال سلم أيضاً : « حثني زهير بن حرب ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن مباح بن الوليد "أبي زميل" - حدثني عبد الله بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : « لا احتل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - نساه ، دخلت المسجد فإذا الناس يَنكُثُونَ (*) بالحصى ، ويقولون : طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساه ! » وذلك قبل أن يُؤمَّرَ بالحجاب . قلت : لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة - رضيها - ووعظه إياها ، إلى أن قال : « فدخلت فإذا أنا بريح غلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حل سَكْنَةً للشرية » فتأديت قلت : يا رباع ، استأذني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟؟ فذكر نحو ما تقدم ، إلى أن قال « قلت : يا رسول الله ، « قلت : يا رسول الله ، ما يَشْتِي عليك من أمر النساء ، فإن كنتَ طالقهن فإن الله منك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبوي بكر والمؤمنون منك ، ولما نكحت - وأحمد الله - بكلام لا أرجو أن يكون الله يصدق قولي ، وتزلت هذه الآية : آية الضحير : (حسي ربه إن طلقكن أن ينفك أزواجهن) » ، (وإن تنافرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهروا) . قلت : ألقين ؟ قال : لا ؟؟؟؟ همت على بابي للمسجد فتأديت بأهل صوتي : لم يطلق نساه ، وتزلت هذه الآية : (وإذا جمعن أمر من الأمان أو لغوف أنفسا به ، وولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) . فكت أنا استنبطت ذلك الأمر (١) .

(١) مقتضى الإمام أحمد : ١٠٠٪ - ٢٢ - ٢٤ .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب : اختلاف في العلم ؛ ١/٣٣٠ . وكتاب المظالم ، باب : القنطرة والمالية القنطرة وغيره .
للشعر في النسخ وغيرها ؛ ٢/١٧٤ - ١٧٧ . وكتاب النكاح ، باب : وموضع الرجل ابنته لما تزوجها ؛ ٧/٣٦ - ٣٨ .
ومسلم ، كتاب الحلاق ، باب : في الإبلان ، واحتزال النساء وتغيرهن وقوله تعالى : (وإن ظلمنا عليهن) ؛ ٤/١٩٦ - ١٩٥ .
وتفقه الأحرار ، تفسير سورة النحر ، للشيخ ؛ ٩/٢٢٤ - ٢٢٣ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة التجرم : ١٩٥/٦ .

(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب في الإتيان... : ١٩٠/٤

(هـ) لحي : يشربون به الأرض ، كامل النهم للفكر .

(١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب في الإتيان بها : ١٨٨٢ - ١٩٥ .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومقاتل بن حيان ، والضحاك ، وغيرهم (وصالح المؤمنين) : أبو بكر وعمر - زيد الحسن البصري وعثان ، وقال [ليث بن أبي سليم] ، عن مجاهد : (وصالح المؤمنين) ، قال : علي بن أبي طالب ، وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن [أبي] عمر ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن [علي بن] (١) الحسن بن علي ، أخبرني رجل ثقة يرغمه إلى حل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوله : (وصالح المؤمنين) ، قال : « هو علي بن أبي طالب » إسناده ضعيف ، وهو منكسر جداً .

وقال البخاري : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال عمر ! اجتمع نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - في الثيرة عليه ، قلت لمن : (صمى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منك) فزلت هذه الآية (٢) .

ولقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب ، ومنها في أسارى بدر ، ومنها قوله : لو ائتملت من مقام إبراهيم مصل ؟ فأقول الله : (واقتلوا من مقام إبراهيم مصل) (٣) .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا الأنصاري ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستقرهون أقول : لتكفن عن رسول الله أو ليدلن الله أزواجاً خيراً منك ، حتى أثبت علي أكثر أمهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر ، أما لي برسول الله ما يظن نساءه ، حتى تظهن ؟ ! فأسكت ، فأقول الله عز وجل : (صمى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منك) ، مسلمات مؤمنات فآتات ثياباً حايكات ساتحات ليجات ولجكرا) .

وهذه المرأة التي ردتها حاكمات فيه من وعظ النساء هي أم سلمة ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٤) .

وقال الطبراني ، حدثنا إبراهيم بن نايلة الأصبهاني ، حدثنا إسحاق بن الجليل ، حدثنا أبو واثقة ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : (وإذا أمر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) ، قال : دخلت حفصة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيتها وهو يتلأ مأوية ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لا تخبري عائشة حتى أبشرك بإشارة ، فإن أبأك بكى الأمر من بعد أبي بكر إذا أميت . فلبت حفصة فأخبرت عائشة ، فقالت عائشة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أتاك هذا ؟ قال : (تأتيك الطيم الخبير) ، فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتى تحرم مأوية وضمها ، فأقول الله : (يا أيها النبي لم تحرم) .

إسناده فيه نظر ، والله تعالى أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمة .

(١) ما بين القوسين من ترجمة عنه بن جعفر ، في البحر والتمثيل لابن أبي حاتم : ٢٢٠/٢ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة المتحرم ١٩٧/٦ .

(٣) انظر تفسير الآية ١٢٥ من سورة البقرة : ٢٤٤/١ - ٢٤٥ .

(٤) انظر البخاري ، تفسير سورة البقرة : ٢٤٤/٦ .

ومعنى قوله : « مسلمات مؤمنات فآيات تأييد حاديات » ظاهر .

وقوله (ساعغات) ، أى : ساعيات ، قاله أبو هريرة ، وعائشة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وبيهاج ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعبد بن كعب القرظي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو مالك ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وقادة والضحك ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (الساعغات) من سورة « برائة » ، ونظفه : « ساحة هذه الإمة للصيام » (١) .

وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : (ساعغات) ، أى : مهاجرات : وتلا عبد الرحمن : (الساعونات) ، أى : المهاجرون : والقول الأول أولى ، وافقه أهل .

وقوله : (ثيات وأبكار) ، أى : منهن ثيات ، ومنهن أبكار ، ليكون ذلك أشهى إلى النفوس ، فإن التنوع يستلذ النفس ، ولهذا قال : (ثيات وأبكار) .

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا أبو بكر بن صدقة ، حدثنا محمد بن عمرو بن عيسى بن مرزوق ، حدثنا عبد الله بن أمية ، حدثنا عبد القدوس ، عن صالح بن حيّان ، عن ابن بركة ، عن أبيه (ثيات وأبكار) قال : وعد الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية أن يزوجه ، فالتبب كسبة امرأة فرعون ، وبالأبكار مريم بنت عمران .

وذكر الحافظ ابن حساكر في ترجمة « مريم عليها السلام » ، من طريق سويد بن سعيد : حدثنا محمد بن صالح ابن عمر ، عن الضحاك وبيهاج ، عن ابن عمر قال : جاء جبريل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت (٢) خديجة فقال : إن الله يقرنها السلام ، ويشهرها ببيت في الجنة من قصب ، بريد من الذهب ، لا نصب فيه ولا صخب ، من لؤلؤة [جوفاء بين] بيت مريم بنت عمران وبيت كسبة بنت مزاحم .

ومن حديث أبي بكر الملقب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على خديجة ، وهي في الموت ، فقال : « يا خديجة ، إننا لقيت ضرائك فأقرنين مني السلام » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزوجت قبلي ؟ قال : « لا ، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران ، وكسبة امرأة فرعون ، وكلن أخت موسى » : ضعيف أيضاً .

وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن مرة . حدثنا عبد الله بن عبد الله ، حدثنا يوسف بن شبيب ، عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وكلن أخت موسى ، وكسبة امرأة فرعون » : قلت : هنيئاً لك يا رسول الله .

وهذا أيضاً ضعيف وروى مراسلاً - عن ابن أبي طلحة -

(١) انظر تفسير الآية ١١٢ من سورة برائة : ١٥٦٤ .

(٢) كلما في خطرة الأثر ، وفي التعليقات السابقة : « فرت خديجة » .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَصِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَبْخَسُونَ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَوْحًا عَمِّي رَبُّكَ إِنْ يَكْفِرْ عَنْكَ سَيِّئَاتُكَ وَيُدْخِلْكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَجْزِ لِلَّهِ الْإِنْسِي وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فُورًا بَيْنَ أَيْهُمُ وَبَيْنَ الْعَشِيمِ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْبِرْنَا ۖ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾

قال سفيان الثوري ، عن منصور ، عن رجل ، عن علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول أدبهم ، عنكم (١) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) ، يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وسروا أهلكم بالذكر ، ينجيكم الله من النار .

وقال جامد : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) ، قال : اتقوا الله ، وأوصوا أهلكم بتقوى الله .

وقال قتادة : يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصية الله ، ولأن يقوم عليهم بأمر الله ، ويأمرهم به ويساعدكم عليه ، فإذا رأيت الله معصية ، فلتصم (٢) منها وزجرتهم عنها .

وهكذا قال الفضلاء ومقاتل : حتى على المسلم أن يعلم أهله ، من قرابته وإيمانه وعييده ، ما فرض الله عليهم ، وما نهاهم الله عنه .

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، من حديث عبد الملك بن الربيع ابن مسبرة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » .

هذا لقول أبي داود (٣) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

وروى أبو داود ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك .

قال الفقهاء : وهكذا في الصوم ؛ ليكون ذلك تحريثاً له على العبادة ، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة وعجوبة المعصية وترك المنكر ، والله الوثق .

(١) تفسير الطبري ١٠٧/٢٨ .

(٢) في تفسير الطبري ١٠٧/٢٨ : « ودعهم » . والفتح : الكف والمنع .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « من يؤمر القلام بالصلاة » . ومخافة الأحرف : أبواب للروايات ، باب « ما جاء من يؤمر الصبي بالصلاة » ، الحديث ٤٥٥ = ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ . ومسته الإمام أحمد : ٤٠٤/٣ .

وقوله ١ : (وقدما الناس والحجارة) ، وقدمها : أى حبسها الذى يلقى فيها جثث بني آدم ، (والحجارة) ، قيل : لئلا يهلك الأصنام التى كانت تعبد قبله : (لأنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) .

وقال ابن مسعود ، ومجاهد ، وأبو جعفر الباقر ، والسدى : هى حجارة من كبريت - زاد مجاهد : أن من الجنة . [وروى (١)] ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ، ثم قال : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الرحمن بن سنان الملقبى [حدثنا عبد العزيز - بنى ابن أبي رواد - قال : بلغنى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا فوا أنفسكم وأهلكم نارا) . وقدما الناس والحجارة] ، وعنده بعض أصحابه ، وفيهم شيخ ، قال الشيخ : يا رسول الله ، حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : والذى نفسى بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبل الدنيا كلها قال : فوقع الشيخ منشأ عليه ، فوضع النبي - صلى الله عليه وسلم - يده على فؤاده قائما هُوَ حتى فتاده قال : يا شيخ ، قل : لا إله إلا الله : قلنا : فبشره بالجنة ، قال : قال أصحابه : يا رسول الله ، أمن بيتنا ؟ قال : نعم ، يقول الله تعالى : (ذلك لمن خلف مقابى وخاف وعيد) : هذا حديث مرسل غريب .

وقوله : (عليها ملائكة خلاص شداد) ، أى : طباعهم خليفة ، قد نُزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ، (شداد) أى تركيهم فى غاية الشدة واللكاة والنظر المزعج .

قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبى حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبى ، عن عكرمة أنه قال : إذا وصل أول أهل النار إلى النار ، وجئوا على الباب لرؤية ألف من غرزة جهنم ، سود وجوههم ، كاملة أنيابهم ، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس فى قلب واحد منهم مقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكب الآخر ، ثم يجلون على الباب القسمة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ، ثم يهرون من باب إلى باب خمسمائة سنة ، ثم يجلون على كل باب منها مثل ما وجلوا على الباب الأول ، حتى ينتهوا إلى آخرها ، وقوله : (لا يصبرون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون) ، أى : مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه ، لا يتأخرون عنه طرفة عين ، وهم قادرون على فعله ليس بهم حيز عنه : وهؤلاء هم الربانية حيانا بالله منهم : وقوله : (يا أيها الذين كفروا لا تطعوا اليوم إنما تجزونها كنتم تعملون) ، أى : يقال للكفرة يوم القيامة : لا تطعوا فإنه لا يقبل منكم ، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم .

ثم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا إلى الله توبة نصوحاً) ، أى : توبة صادقة جازمة ، تحموا ما قبلها من السيئات وتلم شمت الناس وبغيمه ، وتكلموا عما كان يصطاه من المنامات .

قال ابن جرير : حدثنا ابن مني حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، عن مسكين بن حرب : سمعت الثعلب بن بشر يخطب : سمعت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول : (يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا إلى الله توبة نصوحاً) ، قال : يلبس الثعلب ثم لا يرجع فيه (٢) .

(١) ما بين القوسين من الكلمات الناقصة .

(٢) تفسير الطبري : ١٤٧/٢٨ .

وقال الثوري ، عن سيالك ، عن النعمان ، عن عمر قال : التوبة النصوح : أن يوجب من الذنب ثم لا يعود فيه ، أو لا يعود فيه (١) .

وقال أبو الأحوص وغيره ، عن سيالك ، عن النعمان : سئل عمر عن التوبة النصوح ، قال : أن يوجب الرجل من العمل السيئ ، ثم لا يعود إليه أبداً .

وقال الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله : (توبة نصوحاً) ، قال : يوجب ثم لا يعود . وقد روى هذا مرفوعاً قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن حاصم ، عن إبراهيم المتجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التوبة من الذنب أن يوجب منه ، ثم لا يعود فيه (٢) » ، تفرد به أحمد عن طريق إبراهيم بن مسلم المتجري ، وهو ضعيف ، والوقوف أصح ، والله أعلم .
ولما قال [العلماء] (٣) : التوبة النصوح هو أن يُقْلَعَ عن الذنب في الحاضر ، وينتظم على ما سلف منه في الماضي ، ويحزم على أن لا يفعل في المستقبل . ثم إن كان الحق لآذى ردهً إليه بطريقه ،

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، أخبرني زياد بن أبي مريم ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخلت مع أبي عبد الله بن مسعود فقال : أتت سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم يقول : « التند توبة ؟ » قال : نعم - وقال مرة : ثم سمعته يقول : « التند توبة (٤) » .

ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الكريم - وهو ابن مالك الجزري - (٥) .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثني الوليد بن بكير أبو غياث ، عن عبد الله بن محمد المدائني (٦) ، عن أبي سنان البصري ، عن أبي قلابة ، عن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب قال : قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها : نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، وعقت الله عليه ووصوله . ومنها نكاح الرجل الرجل ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، وعقت الله عليه ووصوله ، وذلك مما حرم الله ورسوله . وعقت الله عليه ووصوله ، وليس هؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا ، حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً . قال زر : قلت لأبي بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ قال : سألت عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « هو التند على الذنب حين يكره منك ، فتستغفر الله بطلبك [منه] عند الحاضر ، ثم لا تعود إليه أبداً » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عباد بن عمار ، حدثنا أبو عمرو بن العلاء ، سمعت الحسن يقول التوبة النصوح : أن تَبْخُشَ الذنب كما أحببه ، وتستغفر منه إذا ذكرته .

(١) تفسير الطبري : ١٠٧/٢٨ - ١٠٨ .

(٢) مستد الإمام أحمد : ٤٤٦/١ .

(٣) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٤) مستد الإمام أحمد : ٢٧٦/١ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب التزهد ، باب « ذكر التوبة » ، الحديث : ٤٢٥٢ - ١٢٢٠/٢ .

(٦) في المخطوطة : « العبادي » . والمثبت عن الجرح والتصحيح لابن أبي حاتم : ١٠٦٢/٢٢٣ .

فَلَمَّا إِذَا حَزَمَ بِالْقُوَّةِ عَلَيْهِا فَتَجَبَّهَا قُلُوبُهَا مِنَ الْخَطِيئَاتِ ، كَمَا نَبَتْ فِي الصَّبِيحِ : « الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قِيلَ ، وَالْقُوَّةُ تَجِبُ مَا قِيلَهَا » (١) .

وهل من شرط القوَّة التصريح الاستعراض على ذلك إلى اللغات ، كما تقدم في الحديث وفي الأثر : « لا يعود فيه أبداً » أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكبير الماضي ، بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم ، لعدم قوله عليه السلام : « القوَّة تجب ما قيلها » . ولأول أن يجزى ما ثبت في الصحيح أيضاً : « من أحسن في الإسلام لم يرد عليه ما عمل في الجاهلية » ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر (٢) : « فإذا كان هماً في الإسلام الذي هو أقوى من القوَّة ، فالقوَّة بطريق الأولى » ، والله أعلم .

وقوله : (صلى) ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) « وصلى » من الله موجبة (يوم لا ينزى الله النبي والذين آمنوا معه) ، أى : لا يغفرهم منه يوم القيامة (نورهم يسمى بين أيديهم وبأيامهم كما تقدم في سورة الحديد (٣)) .

يقولون : ربنا ، آمم لنا نورنا ، واضفر لنا إلك على كل شيء . قلير : قال مجاهد ، والضمك ، والحسن البصري وغيرهم : « هلا يقولوه [للزمنون حين يزورون يوم القيامة نوراً للنافعين قد ملئهم] » .

وقال محمد بن نصر للروزي : حدثنا محمد بن مقاتل الروزي ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد ابن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ذر وأبا الفداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن » برفع رأسه ، « أنظر بين يدي فأعرف أمي من بين الأم » ، وأنظر عن يميني فأعرف أمي من بين الأم » ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمي من بين الأم » . قال رجل : يا رسول الله وكيف تعرف أمك من بين الأم : قال : « هر محجلون من آثار الطيور » ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم . وأعرفهم أنهم يؤمنون كتبهم بأعمالهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن يحيى بن حسان ، عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح فسمعه يقول : « اللهم لا تخزني يوم القيامة » (٥) .

(١) الذي في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن العاص ١٩٩/٤ : « والجرة تجب ... » . ومثله أيضاً في : ٢٠٤/٤ : ٢٠٥ .

(٢) البخاري ، كتاب « استنباط المرتدين » ... : ١٧/٧ - ١٨ . وصلى كتاب الإيمان ، باب هل يرد على أهل الجاهلية : ٧٧/١ .

(٣) انظر تفسير الآية ٢٨ من سورة الحديد : ٥٧/٨ .

(٤) تقدم الحديث في سورة الإسراء ، عند تفسير الآية ٧٩ ، من رواية الإمام أحمد ، عن حسن ، عن ابن لهيعة . ومخرجناه هناك ، انظر : ١٠٦/٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٣٤/٤ .

مِنْهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْيَضَ عَلَيْهِمْ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ ⑤ ضَرَبَ اللَّهُ
مِثْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْهَاتٌ تُوجَّحُ وَأَمْهَاتٌ لَوْ كَانَتْ تَحْتَ عَيْنَيْنِ مِنْ حَيَاتِنَا صَلَاحِينَ تَحَاتُّمَا فَلَمْ يَنْبِإْ جِهَتَهُمَا مِنْ
لِلَّهِ شَيْءٌ وَيَقِيلُ أَدْخَلَ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقِينَ ⑥

يقول تعالى أمهات كروا - صلى الله عليه وسلم - بجهد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالصلاح والقتال ، هؤلاء باقاة
للخلود عليهم ، (وأعطيهم عليهم) ، أى فى الدنيا ، (وماؤهم جهنم ويس المصير) ، أى : فى الآخرة .

ثم قال : (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ، أى : فى مخالفتهم للمسلمين ومعارضتهم لهم ، أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ،
ولا ينفعهم عند الله ، لأن لم يكن الإيمان حاصلًا فى قلوبهم ، ثم ذكر للفقهاء : (امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت
عبدن من عبادنا صالحين) ، أى : نبين رسولين عندهما فى صحبتها ليلا ونهاراً ، يوافقانها ويضاجعانها ويشاركانها
أشداً العشرة والاختلاط ، (فكانتا) ، أى : فى الإيمان ، لم يوافقاها على الإيمان ، ولا صدقها فى الرسالة ، فلم يجد ذلك
كله شيئا ، ولا دفع عنها محورها وعلما قال : (فلم ينبأ بهما من الله شيئا) ، أى : لكفرهما ، (وقيل) ، أى : للمرأتين
(ادخلا النار مع الداخلين) .

وليس المراد (فكانتا) فى الحنفية ، بل فى الذين : لأن نساء الأنبياء مصومات عن الوقوع فى القاحشة ، حرمة
الأنبياء ، كما قلنا فى سورة التور .

قال سفيان الثوري ، عن موسى بن أبى حنيفة ، عن سليمان بن قيس (١) : سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية :
(فكانتا) ، قال : ما زلت ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه جنون ، وأما امرأة لوط فكانت تدل قومها على
أضيانه .

وقال الثوري ، عن ابن عباس قال : كانت خياصهما أتيا كانتا على حورتيهما فكانت امرأة نوح تقطع على
ميراث نوح ، فإذا آمن مع نوح أخذت الجباية من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أسداً أخذت
به أهل المدينة من يحمل السوء .

وهكذا قال حكمة ، وسيد بن جبور ، والقاسم ، وغيرهم .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى يأنه كثير من الناس : « من أكل مع مفطور له
فقر له » وهذا الحديث لا أصل له ، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - فى المنام
قال : يا رسول الله ، أنت قلت : من أكل مع مفطور له [فقر له] قال : لا ، ولكن الآل أوله .

(١) فى تفسير الطبري ١٠٩/٢٨ : سليمان بن قيس . وهو خطأ ، والصواب ما فى ضلوة الأثر ، انظر ترجمة
سليمان بن قيس فى الإنجيز والتمثيل لابن أبي حاتم ١٣٦٤/٢٤ .

وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَنْفَخُنَّ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنِيَءٌ وَكَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٨﴾

وهذا مثلكم ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم ، كما قال تعالى : (لا يضر المؤمنون الكافرين أوليادهم من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك طيس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم قذرة .

قال قتادة : كان فرعون أعمى أهل الأرض وأبعمه (١) فوالله ما ضر امرأته كثر امرأته زوجها حين أطاعت ربه لتعلموا أن الله حكيم عادل ، لا يؤخذ أحداً إلا بظنه (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا إسماعيل بن حفص الأبلج ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تمكذب في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظنتها للملائكة بأجنتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة (٣) .

ثم رواه عن محمد بن عيسى (٤) الخطابي عن أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمي ، به .

ثم قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علكبة ، عن هشام الدستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأل : من غلب ؟ ؟ فيقال : غلب موسى وهارون . فتقول : أنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون قال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت حل قولها فأتوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فبى امرأته فلما أتوها رفعت يدها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة ، ففست على قولها ، وانتزع [الله] (٥) روحها ، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح (٦) .

قوله : (وب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قال الطحاوي : اختارت الجوار قبل الفلح : وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع : (ونجيني من فرعون وعمله) ، أي : خلصني منه ، فإني أبرأ من عمله ، (ونجيني من القوم الظالمين) . وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العباس قال : كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تحت ابنة فرعون ، ففرغ المشط من يدها ، قالت : تص من كثر ياقه ؟ قالت : ما

(١) أي : وأبعم . وإيراد التفسير مع اسم التفسير في مثل هذا المقام فصيح شائع في لسان العرب ، ويقول علماء العربية إن التفسير : وأبعم شيء ، فلما أورد العرب التفسير .

(٢) تفسير الطبري : ١١٠/٢٨ .

(٣) في المخطوطة : «عن عبيد بن عمير» . وللمكتب عن تفسير الطبري . وانظر أيضاً تفسير الطبري ط دار المعارف ، الأثر ١١٥٣٠ : ٧٦/١٠ - ٧٧ : وتلويح السيد الخفيع هناك .

(٤) ما بين القوسين من تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري ١١٠/٢٨ .

ابنة فرعون ، وذلك رب غير أبي ؟ قالت : ربى وربّ أبيك ورب كل شيء الله . فاطمعتها بنتُ فرعونَ وضربها ، وأعبرت أباما ، فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين رياضى ؟ قالت : نعم ، ربى وربك ورب كل شيء الله ، ولما أعبد فضنها فرعون وأودعها أوتانا ، فشد رجلها ويسها وأرسل عليها الحيات ، وكانت كذلك ، فأتى عليها يوماً فقال لها : ما أنت متعبية ؟ فقالت له : ربى وربك ورب كل شيء الله . فقال لها : إني ذابح ابنك في فليك إن لم تفعل . فقالت له : اتقى ما أنت قاض . فلبح ابنها في فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها : أبشرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كلها وكلها . فصبرت لم أتى فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك ، فقالت له ، مثل ذلك ، فلبح ابنها [الآخر] في فيها ، فبشرها وروحه أيضاً ، وقال لها : أبصرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كلها وكلها . قال : وسمعت امرأة فرعون كلامَ روح ابنها الأجير ثم الأضر . فأمنت امرأة فرعونَ ، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون ، وكشف الغطاء عن ثوبها ومزنتها وكراستها في الجنة لا امرأة فرعون حتى وأت فازدادت إيماناً وقيناً وتصديقاً ، فاطلع فرعونُ على إيمانها ، فقال للملأ ، ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثروا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد غيرى . فقالوا له : اتقها . فأودعها أوتانا ، فشد يسها وجعلها ، فلدت آسية وبها فقالت : (رب ، ابن لى عندك بيتاً في الجنة) . فوافق ذلك أن حضرها فرعون ، ففصحكت حين وأتى بها في الجنة فقال فرعون : ألا تعبدون من جنونها ، إنا نعلبها وهي تفصحك ، فقبض الله روحها رضى الله عنها (١) وقوله (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) ، أى حفظته وصاته . الإحصان : هو اللطاف والحماية ، (فلفحنها فيه من روحها) ، أى : بواسطة الملك ، وهو جبريل ، فإن الله يسه إليها فتشمل لها في صورة بشر سوى ، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب حرما ، فترلت النضفة فولجت في فرجها ، فكان منه الحمل ييسى عليه السلام . ولهذا قال : (فضلت فيه روحها ، وصلحت بكلمات ربها وكتبه) ، أى : بقلده وشرحه ، (وكانت من القانتين) .

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا دود بن أبي القرات ، عن علياء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض أربعة خطوط ، وقال : « أتترونها هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون (٢) » .

ولبت في الصحيحين من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الغمطاني ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « كتمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (٣) » .

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى ابن مريم - عليهما السلام - في كتابنا (البداية والنهاية) وألف الحمد ولغة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله (ثبات وأبكارا) .

[آخر تفسير « سورة التحريم » والله الحمد]

(١) تفسير الطبري : ١١٠/٢٨ .

(٢) مستدرك الإمام أحمد : ٢٩٣/١ .

(٣) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب قول الله تعالى : (وضرر الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ...) ١٩٣/٧ . وسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين : ١٣٢/٧ - ١٣٣ .

تفسير سورة الملك

وهي مكية

قال أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عباس الجعفي ، عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى يغفر له : تبارك الذي بيده الملك (١) » .

ورواه أهل السنن الأربعة ، من حديث شعبة ، به . وقال الرملي : « هذا حديث حسن (٢) » .

وقد روى الطبراني والمحقق الضياء المصنف ، من طريق سلام بن مسكين ، عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك » .

وقال الرملي : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الثور ، حدثنا يحيى بن مالك الثكري ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ضربة (٣) على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، ضربت خيالي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك : (تبارك) ، حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « هي المائنة ، هي المنجية ، تنجي من عذاب القبر » : ثم قال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه . وفي الباب عن أبي هريرة (٤) » ثم روى الرملي أيضاً من طريق ليث بن أبي سليم ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ (الم - تتريز) ، (وتبارك الذي بيده الملك) . وقال ليث عن طلوس : يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة . (٥) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن بن علف الأصماني (٦) ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لودعت أني في قلب كل إنسان من أني » . يعني (تبارك الذي بيده الملك) .

(١) حسنة الإمام أحمد : ٣٣١/٢ . وانظر أيضاً : ٢٩٩/٢ .

(٢) تحفة الأوصاف ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الملك » ، الحديث ٣٠٥٣ : ٢٠٠٥ : ٢٠١ .
وسنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « ثواب القرآن » ، الحديث ٣٧٨٦ : ١٢٤٤/٢ .

(٣) الحياء والحجة .

(٤) تحفة الأوصاف ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الملك » ، الحديث ٣٠/٥٢ : ١٩٩/٨ : ٢٠٠ .

(٥) تحفة الأوصاف : ٢٠١/٨ : ٢٠٢ .

(٦) في تاريخ دمشق : المجلد السبع

هذا حديث غريب ، وإبراهيم ضعيف ، وقد قدم منه في سورة يس (١) وقد روى هذا الحديث عبدُ حميد بن مسلمه بأبسط من هذا ، قال :

حدثنا إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أتفكحك حديث فخر به ؟ قال : بلى . قال : اقرأ (بارك الذي بيده الملك) وعلمها أمك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها لمنجية والمخلاة ، تجادل - أو تخاصم - يوم القيامة عند ربها لقارتها ، وتطلب له [أن ينجيها] من غلب النار ، وينجي بها صاحبها من غلب البر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لو حدثت أنما في قلب كل إنسان من أمي » .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه ، في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد ، أبي عبد الله القرشي النيسابوري ، القرشي الزاهد القتيبي ، أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم ، لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الزملي وابن ماجه وابن خزيمة ، وعليه ثقة في ملحق أبي عبيد بن حنويه (٢) ، وخلق سوامه ، سابق يستند من حديثه عن فرات بن السائب ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رجلا ممن كان قبلكم مات ، وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك ، فلما وضع في قبره أتاه الملك ففارت السورة في وجهه ، فقال لما : إنك من كتاب الله ، وأنا أكره مسامكتك ، وإن لا أملاك لك ولا له ولا لنفسي ضرا ولا نفعا ، فإن أردت هذا به فاطلني إلى الرب تبارك وتعالى فاشفي له : فطلعت إلى الرب فقول : يارب ، إن فلانا عمك إلى من بين كتابك فمشكني وتأنى أصره أنت بالشر وتعلمه وأنا في جوفه ؟ فإن كنت فاعلا ذلك به فامسح من كتابك . فيقول : ألا أراك غضبت ؟ فقول : وحق لي أن أغضب . فيقول : اذهب فقد وجهك لك ، وشكمتك فيه . قال فضيء [فيخرج] (٣) الملك ، فيخرج كاسف البال لم يتكلم (٤) منه شيء . قال : شيء فضع ظمأ على فيه ، فقول : مرحبا بهذا قم ، فرميا ثلاثي ، ومرحبا بهذا الصلوة ، فرميا وحلي ، ومرحبا بآيتين القلمين ، فرميا قمتا بي . وتوسله في قبره غزالة الوحشة عليه . قال : فلما حدث بهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد ، إلا تلمحها ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم للنجية .

قلت : وهذا حديث منكر جداً ، وفرات بن السائب (٥) هذا ضعفه الإمام أحمد ، ويحيى بن معين ، والبخاري ، وأبو حاتم ، والدارقطني وغير واحد . وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر ، عن الزهري ، من قوله مختصراً . وروى البيهقي في كتاب « إثبات حلق القبر » عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا ، وقد كتبتاه في كتاب الجنائز من الأحكام الكبرى ، وفي الحد .

(١) انظر ٤٨٦/٦ .

(٢) هو حل بن الحسن بن حريه القتيبي الشافعي ، تافى بسر . قال عنه القتيبي : « وهو من أصحاب الوجوه » . وتال أبو حنيفة بن يونس : « كان شيئاً صعباً » ما رأيتاه منه . لا تبه ولا يمد ، وكان ينفقه على ملحق أبي ثور . - توفى - رحمه الله سنة ٣١٩ . انظر القبر القتيبي ١٧٦/٢ .

(٣) ما بين القوسين من هذا للتشديد الموقوف . ولقد أورد : « شيء سورة الملك » فيخرج كاسف البال . وكان في الخفيفة : « كاسف البال » . ورجل كاسف البال « فيه الخلال » .

(٤) أي : لم يتكلم به .

(٥) انظر الإبراهيم والتمثيل لابن أبي حاتم ٨٥٤/٢٤٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ۚ فَإِذْ جَاءَ الْبَصَرُ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْتَظِرَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَشْيًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُوحٍ ۖ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

عبد تعالى نفسه الكريمة ، وغير أنه بيده الملك ، أى : هو للصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا محاب حكمه ، ولا يسأل عما يفعل قهره وحكمته وعمله . ولما قال : (وهو حل كل شيء قدير) ،

ثم قال : (الذى خلق الموت والحياة) : واستدل بهذه الآية من قال : إن الموت أمر وجوبى لأنه مخلوق . ومعنى الآية أنه أوجد المخلوق من البهيم ، ليليم ويختبرهم أنهم أحسن عملا ؟ كما قال : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فلحمياكم) (١) فسمى الخلق الأول - وهو البهيم موتا ، وسمى هذه النشأة حياة . ولما قال : (ثم يبعثكم ثم يحكم) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة [حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبيد ، عن قتادة في قوله : (الذى خلق الموت والحياة) ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أكل نبي آدم بالوت ، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت ، وجعل الأشجرة دار جزاء ثم دار بقاء » .

ودرواء معمر ، عن قتادة (٢) .

وقوله : (ليلوكم أيكم أحسن عملا) ، أى : خبر عملا ، كما قال محمد بن حجلان : ولم يقل أكثر عملا .

ثم قال : (وهو العزيز الغفور) ، أى : هو العزيز العظيم المتع الجنب ، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب ، بعد ما عصاه وخالف أمره ، وإن كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يفر ويرحم ويصفح ويتجاوز .

ثم قال : (الذى خلق سبع سموات طباقا) ، أى : طبقة بعد طبقة ، وهل من مواصفات بمعنى أمهن حلويات يصفون حل بعض ، أو مقاصلات يبينون خلاه ؟ فيه قولان ، أحدهما الثانى ، كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره .

وقوله : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ، أى : بل هو مصطحب مستو ، ليس فيه اختلاف ولا تافر ولا غائقة ، ولا قص ولا عيب ولا خلل . ولما قال : (فأرجع البصر هل ترى من فطور) ، أى : انظر إلى السماء فأنظرها ، هل ترى فيها عيا أو قصا أو خلا أو فطورا ؟ .

قال ابن عباس ، وعبد ، والفسدك والثرى ، وغيرهم في قوله : (فأرجع البصر هل ترى من فطور) ، أى : شقوق (٣) .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٢/٢٩ .

(٣) تفسير الطبري : ٢/٢٩ .

وقال السدي: (هل ترى من فطور) . أى : من خروقي . وقال ابن عباس في رواية : (من فطور) ، أى : من ومضى (١) . وقال قتادة (هل ترى من فطور) أى : هل ترى خلكاً بآبائ آدم ؟ .
وقوله : (ثم ارجع البصر كرتين) ، قال : مرتين . (ينقلب إليك البصر خاسئاً) قال ابن عباس : ذليلاً ؟ وقال مجاهد ، وقطادة : صاغراً .

(وهو حسير) ، قال ابن عباس : يعنى وهو كليل . وقال مجاهد : وقطادة . والسدى : الحسير : المتقطع من الإعياء .
ومعنى الآية إنك لو كررت البصر ، مهما كررت ، لا تنقلب إليك . أى : لارجع إليك البصر ، (خاسئاً) ، من أن يرى حياً أو خلا . (وهو حسير) : أى كليل وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ، ولا يرى نفساً .
ولما نبى عنها في خلقها النفس بن كليل وزينتها فقال : (ولقد زيننا الدنيا لمصاييح) ، وهى الكواكب التى وضعت فيها من السباوت والثواب .

وقوله : (وجعلناها رجوماً للشياطين) : عاد الصمير في قوله وجعلناها على جنس المصاييح لا على عينها ، لأنه لا لا يرى بالكواكب التى فى السماء ، بل يشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها ، والله أعلم .

وقوله : (واعتدنا لهم عذاب السعير) ، أى : جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا ، واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة ، كما قال : في أول الصافات : (إننا زيننا الدنيا بزين الكواكب . وحفظنا من كل شيطان مارد . لا يسمعون إلى للأهل ويقلعون من كل جانب . دعوراً ولم عذاب واصب . إلا من غلط الخططة فأتته شهاب ثاقب (٢) .

قال قتادة : إنما خلقت هذه النجوم ثلاث خصال : خلقها زينة للسياه . ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال براهيه وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه . وتكلف مالا علم له به . رواه ابن جرير (٣)
وابن أبي حاتم :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ① إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ② تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ مَأْهَمُهُمْ نَزْنِئُهَا رَبُّهَا آلِبَابُكُمْ نَدِيرٌ ③ فَالْوَأْيُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ④ تَكَذَّبُوا وَقَالُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ⑤ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑦

يقول تعالى : (و) اعتدنا (للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) ، أى : بئس المال والمقلب . (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور) . فيها سمعوا لها شهيقاً - قال ابن جرير : يعنى الصياح (٤) .

(١) في الخطوط : « وله » . والمثبت عن تفسير الطبري ٢/٢٩ . والوهى - بضم الواو وكسر الهاء ، وياه مشددة - جمع وهر - بفتح صكون - وهو : الشفق في الليل .

(٢) سورة الصافات ، الآيات : ٦ - ١٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٢/٢٩ - ٤ .

(٤) فلفظ ابن جرير ٢/٢٩ : « هم بالتهجين : الصوت الذى يخرج من الجوف بثلاثة كصوت الحمار » .

(وهي ثور) - قال الثوري : نزل بهم كما ينزل الحبيب في ليل الكبر .

وقوله : (تكاد تميز من الفميط) ، أي : تكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها عليهم وحسبهم ، (كلما أتى فيها فوج سلم خزنتها ألم يأتكم نذير) . قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير ، فكلبنا وقتلنا : ما نزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير) : يذكر تعالى عدله في خلقه ، وأنه لا يجلب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ، كما قال : (وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (١) وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَصَحَّتْ أَرْبَابَهَا ، وَقَالَ لِمَ خَزَنْتَهَا ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ، وَيَتْلُو نَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : بلى ، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (٢) . وهكذا جادوا على أنفسهم باللاماة ، وتعدوا حيث لا تصنعهم التلمة ، فقالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ، ما كنا في أصحاب السعير) ، أي : لو كانت لنا عقول نتفهم بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق ، لا كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتزاز به ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم ، قال الله تعالى : (فَاعْرِضْوا لَهُمْ ، فَسَحَقَا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي اليَختَرِ الطائي قال : أخبرني من سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «إن هلك الناس حتى يعذبوا من أنفسهم» (٣) . وحديث آخر : «لا يدخل أحد النار ، إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة» .

إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَقْعَرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّكُمْ عَلِيمٌ بِمَا تَصْنَعُونَ ﴿١١﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْغَلِيبُ الْغَلِيبُ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قُلُوبًا فَامْسُكُوا فِيهَا مَنَازِكَهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿١٣﴾

يقول تعالى خبراً عن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس ، فينكف من المعاصي ويقوم بالطاعات ، حيث لا يراه أحد إلا الله - بأنه له مقعرة وأجر كبير ، أي : يكفر عنه ذنوبه ، ويجلي بالثواب الجزيل ، كما ثبت في الصحيحين : «سبعة ينظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» ، فذكر منهم ، رجلا دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تلم عليه ما تنفق عليه (٤) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا طلوت بن عباد ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : قالوا : يا رسول الله ، إنا نكون منك على حال ، فإذا فارقتك كنا على غيره ؟ قال : «كيف أنتم وربيكم ؟» قالوا : الله وربيما في السر والعلانية . قال : «ليس ذلكم اتفاق» .

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٧١ .

(٣) سنن الإمام أحمد : ٢٦٠/٤ ، وأخر أيضاً : ٢٩٢/٥ .

(٤) البخاري ، كتاب الأذان ، باب : «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وقتل المجد : ١٦٨/١ . ومسلم ، كتاب

الزكاة ، باب : «فضل إخفاء الصدقة» : ٩٣/٣ .

لم يروه عن ثابت إلا الخثر بن عبيد فيا نطعمه .

ثم قال تعالى منها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر : (وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه علم بذات الصدور) ، أي : بما خطر في القلوب ، (ألا يعلم من خلق) ، أي : ألا يعلم الخلق . وقيل : معناه : ألا يعلم الله خلقه ؟ والأول أولى ، قوله ، (وهو التلخيص) .

ثم ذكر نعمته على خلقه في سميره لم الأرض وتلذذه إياها لم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنعم فيها من الميود ، وسلك فيها من السبل ، وهبها فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، فقال : (هو الذي جعل لكم الأرض خلولا فتشوا في مناكبها) ، أي : فاسفروا حيث شئتم من أنظورها ، وتروعدوا في أنعالها وترجائها في أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سميعكم لا يحصى عليكم شيئا ، إلا أن ييسره الله لكم . ولهذا قال : (وكلوا من رزقه) ، فالسبي في السبب لا ينافي للوكل ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوه ، أخبرني بكر بن عمرو : أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول : إنه سمع أبا نعيم الجيثكاني يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أنكم تتوكلون على الله حتى توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو (١) خماصا وتروح بطانا (٢) .

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث ابن هبيرة ، وقال الترمذي : حسن صحيح (٣) ، فأثبت لما رواه وسئلوا لطلب الرزق ، مع توكلها على الله - عز وجل - وهو المستخر للمسبب للمسبب : (وإليه الشور) ، أي : المرجع يوم القيامة .

قال ابن حبان وعبد بن قنادة والسدي : (مناكبها) أمرانها وفعلجها وتواصيها : وقال ابن حبان وقنادة : (مناكبها) الجبال .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن حكام الأدي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن بشر ابن كعب : أنه قرأ هذه الآية : (فاسفروا في مناكبها) فقال لأم ولد له : إن حملت (مناكبها) فأنت حقيقة ، فقالت : هي الجبال : فسأل أبا هريرة فقال : هي الجبال .

(١) خماصا : جبالا ، وطلاتا : منطقة الأجواف .

(٢) سمع الإمام أحمد : ٣٠٧١ ، وانظر أيضا : ٥٢٧١ .

(٣) تحفة الأحوس : أبواب الزهد ، باب وما جاء في الزهادة في الدنيا ، الحديث ٢٤٤٧ ، ٨٤٧ ، وابن ماجه ،

كتاب الزهد ، باب : التوكل واليقين ، الحديث ٤١٦٤ ، ١٣٩٤٧ .

عَلِمْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفُّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَهُوُّ (١) أَمْ لَمْ تَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَلْمِزُونَهُ كَيْفَ تَلْمِزُونَ (٢) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٣) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْكَبِيرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٌ وَيَقْفِضُنَّ يَأْمِسُكُمْ إِلَّا الزَّجَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (٤)

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته خلقه أنه قادر على تليهم ، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يعلم ويصنع ، ويرسل ولا يبطل ، كما قال : (ولو يؤت الله الناس ما كتبوا ما ترك حل ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بمبادئهم بصيراً) (١) .

وقال هاتما : أَلَمْ تَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفُّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَهُوُّ (أى : تلعب وتبجي وتضطرب ، أَمْ لَمْ تَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ، أى : دجا فيها حصباء تلطمكم ، كما قال : (أَلَمْ تَنْتُمْ أَنْ يَخِفُّ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ، أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) (٢) . وهكذا توعدهم هاتما بقوله : (فستلمزون كيف تلزون) أى : كيف يكون إنذارى وحاقلة من تخلف عنه وكذب به .

ثم قال : (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ، أى : من الأمم السابقة والقرون الخالية ، (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) ، أى : فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبى لهم ؟ أى : حقيقاً شديداً ألياً .

ثم قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْكَبِيرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٌ وَيَقْفِضُنَّ) ، أى : قارة يصفقن أجنحتهن فى الهواء ، وقارة تجمع جناحاً وتشر جناحاً ، (مَا يَسْكُونُ) ، أى : فى البحر (إِلَّا الرَّحْمَنُ) ، أى : بما سخر لمن من الهواء ، من رحمته ولطفه ، (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) ، أى : بما يصلح كل شئ من مخلوقاته . وحله كقوله : (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْكَبِيرِ مَسْرُوتَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يَسْكُونُ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُرْسِنُونَ) (٣) .

أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكَ يَنْصَرُّونَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (١) أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكَ إِنْ أَسَّكَ رِجْلَهُ بَلْ يَجْعَلَ فِيهِ وُقُوفٌ (٢) أَفَنْ يَمْشِيَ مُبَاكِعًا عَلَى وَجْهِهِ تَاهَةً أَمِنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٤) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٥) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧) فَلَمَّا دَاوَهُ زُلْفَةً سَيِّفَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٨)

يقول تعالى للمشرىكين الذين عبدوا غيره ، يفتنون عنكم نصراً ووزقاً ، منكراً عليهم فيما اعتلوه ، ومنكراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه ، فقال : (أَلَمْ تَنْتُمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّونَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) ، أى : ليس لكم من دونه من ولي [ولا واثق] ، ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال : (إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) ،

(١) سورة قاطر ، آية : ٤٥ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٦٨ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٧٩ .

ثم قال: (أمن هذا الذي يوزنكم إن أسلك رزقه ؟) ، أي : من هذا الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟
أي : لا أحد يطيق ومنع وعشق ويرزق ، وينصر إلا الله عز وجل وجهه ، لا شريك له : أي : وهم يطعون ذلك ، ومع
هذا يبدون غيره ، ولما قال : (بل لجوا) أي : استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ، (في حق وغور) ، أي :
معاندة واستكبار وقنوطاً على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يطيعونه .

ثم قال : (أمن يمشى مكباً على وجهه أهدى لمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ؟) ، وهذا مثل ضرب به الله للمؤمن
والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكباً على وجهه ، أي يمشى منحنيلاً لا مستوياً على وجهه ، أي : لا
يهدى أين يسلك ولا كيف يذهب ؟ بل تائه جائر ضال ، أهدى (أمن يمشى سوياً) ، أي : مستتب القامة (على
صراط مستقيم) ، أي : على طريق واضح بين ، وهو في نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة . هذا مظهر في الدنيا ، وكذلك
يكونون في الآخرة . بل يؤمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ، مكشوف به إلى الجنة القبيضة ، وأما الكافر فانه يمشى على
حل وجهه إلى نار جهنم ، (اجشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون . من دون الله فاعبدوهم إلى صراط الجحيم
وقومهم لهم مستترون : ما لكم لا تتصرون . بل هم اليوم مستسلمون) (١) .

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا ابن عمر ، حدثنا إسحاق ، عن نافع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل :
يا رسول الله ، كيف عسر الناس على وجوههم ؟ قال : « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم ؟ »
وهذا الحديث خرج في الصحيحين من طريق يونس بن محمد ، عن شيان ، عن قتادة ، عن أنس ، به نحوه (٢) .
وقوله : (قل : هو الذي أنشاكم) ، أي : ابتأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، (وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة) ، أي : لتقول والإدراك ، (قليلاً ما تشكرون) ، أي ما أقل تستملون هذه القوى التي أنعم الله بها
عليكم ، في طاعته واستلأ لولمعه وترك زوجه .

(قل : هو الذي فزاكم في الأرض) ، أي : بشكم ونشركم في أطوار الأرض وأرجائها ، مع اختلاف استكم في
لذاتكم وألوانكم ، وحلاًكم (٣) وأشكالكم وصوركم ، (وإليه تحشرون) ، أي : تجمعون بعد هذا التفرق
والشتات ، يجمعكم كما فرقكم ويميدكم كما بداكم .

ثم قال خبراً عن الكفار المتكرين للمعاد المستعدين وقومه : (ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟) ، أي :
متى هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق ؟ (قل : إنما العلم عند الله) ، أي : لا يعلم وقت ذلك على الصعين
إلا الله - عز وجل - لكنه أقر أن لا يخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ، (وإنا أنذرتهم من :) وإنا
على البلاغ ، وقد أبيت إليكم .

(١) سورة الصافات ، الآيات ٢٢ - ٢٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٦٧/٢ .

(٣) ما بين القوسين مكانه يضاف في المخطوطة ، وقد أثبتته كتبة السباق ، والحديث قد تقدم إخراجاً عن الصحيحين .
تفسير آية الفرقان ٢٤ : ١١٨/٦ . وهذه الطريق التي في الصحيحين - طريق يونس بن محمد - أخرج بها الإمام أحمد حديث
أنس أيضاً في المسند : ٢٢٩/٢ . ويبدو أن هذا هو سر توقف ابن كثير ، والله أعلم .

(٤) المل - بكسر قح - = الكلمات المتطرفة .

قال الله تعالى : (فلما رأوه ذقمة سيئت وجوه الذين كفروا) ، أى : لما قامت القيامة وشاهدوا الكفار ، ورؤوا أن الأمر كان مريباً ، لأن كل ما هو آتٍ آتٍ وإن طال زمنه ، فلما وقع ما كذبوا به سامع ذلك ، لا يعلمون ما لهم هناك من الشر ، أى : فلاحظ بهم ذلك ، وجامعهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ، (ولما لم من الله ما لم يكونوا يحسبون . ولما لم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) (١) . ولما يقال لهم على وجه القريع والتوبيخ : (هللا الذى كنتم به تدهون) ، أى : تستعجلون .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ۖ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَعْمَى ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلِمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۖ

يقول تعالى : (قل) : يا عاصد هؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمة : (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا) فمن يجير الكافرين من عذاب الله ، أى : عاصدوا أنفسكم ، فإنه لا مقلد لكم من الله إلا التوبة والإقامة ، والرجوع إلى دينه ، ولا يغمركم وقوع ما تمنون لنا من المطالب والتكال ، فسواء علينا الله أو رحمتا ، فلا تمنس لكم من تكاله وعطابه الأليم الواقع بكم .

ثم قال : (قل : هو الرحمن كتبنا به وعليه توكلنا) ، أى : كتبنا برب العالمين الرحمن الرحيم ، وعليه توكلنا في جميع أمورنا ، كما قال : (فاعبه وتوكل عليه) (٢) . ولما قال : (فستعلمون من هو في ضلال مبين) ، أى : ما ومنكم ، ولئن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ؟

ثم قال : (قل : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) ، أى : فاعلموا في الأرض إلى أسفل ، فلا يُنْكَال بالنفوس للجناد ، ولا السواعد الشداد ، والفائر عكس التابع . ولما قال : (فمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ؟) ، أى : تابع ما تبع (٣) جوارح وجه الأرض ، لا يقدر على ذلك إلا الله - عز وجل - فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه وأنيرها في سائر أقطار الأرض ، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد ولله .

[آخر تفسير « سورة المائدة » والله العليم]

(١) سورة الزمر ، آية : ٤٧-٤٨ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٢٣ .

(٣) في الخطوبة ، « تابع صالح » . والله عز وجل العليم .

تفسير سورة « ن »

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِئْسَ الْاَقْلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٌ لِّكَ لَا تَجْعَلُ لَكَ كَلِمَةً كَلِمَةً ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ لَنُصَبِّرَنَّ وَيُصَبِّرُونَ ﴿٤﴾ وَيُنَبِّئُكَ الْمُنْتَوُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦﴾

قد تقدم الكلام على حروف الجهاد في أول سورة البقرة (١) وإن قوله : (ن) كقولهم : (س) ، (ق) ، ونحو ذلك من الحروف للعلامة في أوائل السور ، ونحو القول في ذلك بما أنشأ عن إمامه .

وقيل : للراد بقوله : (ن) : حوت عظيم حل تبار للماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير : *

حدثنا ابن بشر ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان - هو الثوري - حدثنا سليمان - هو الأعمش - عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب : قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر : فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة ثم خلق النون وورع بحر الماء ، وخلق من السماء ، وسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون فادت الأرض ، فأثبتت بالجهال ، فلما انقضى على الأرض (٢) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منان ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به ٢ ومثله رواه شعبة ، وعبد بن فضال ، ووكيع ، عن الأعمش ، به - وزاد شعبة في روايته : ثم قرأ : (ن) والقلم وما يسطرون ٢ وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان - أو بجاهد - عن ابن عباس ، فذكر نحوه - ورواه معمر ، عن الأعمش : أن ابن عباس قال ... فذكره ، ثم قرأ : (ن) والقلم وما يسطرون ٢ ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن حماد ، عن أبي الضمري ، عن ابن عباس قال : إن أول شيء خلق - وح - وحل - القلم ، ثم قال له : اكتب : فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة : ثم خلق النون ، فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه (٢) .

(١) انظر ١ : ٦٠ - ٦١ .

(٢) تفسير الطبري ١ : ٩٢٩ - ٩٣٠ .

(٢) تفسير الطبري ١ : ٩٢٩ - ٩٣٠ .

وهدى الطريق إلى ذلك مرفوعاً قال: حدثنا أبو حبيب [زيد بن] الهذلي السمرقندي، حدثنا سعيد بن يعقوب الطائفي، حدثنا مومل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أول ما خلق الله القلم والحوت [قال القلم: أكتب] قال: ما أكتب قال: كل شيء - كان إلى يوم القيامة». ثم قرأ: (ن والقلم وما يسطرون)، فالنون: الحوت. والقلم: القلم.

حديث آخر في ذلك رواه [ابن عساکر] عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق الحوت، وهي: النملة». ثم قال له: أكتب قال: وما أكتب؟ [قال: أكتب] ما يكون - أو: ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل. فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فلما قرأه: (ن والقلم وما يسطرون). ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق القتل وقال: وحرق لأعدائك [فمن أحييت، ولا تفنصك عن أبنت] (١).

وقال ابن أبي نجیح: إن إبراهيم بن أبي بكر أنبأه عن مجاهد قال: كان يقال: النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة. وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين: إن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغطاء السموات والأرض، وعلى ظهرها نور له أربعون ألف قرن، وعلى منته الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، فله أعلم. ومن العجيب أن يفسهم حمل [على] هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد،

حدثنا إسماعيل، حدثنا حُصَيد، عن أنس: أن عبد الله بن سلام بكّته سعد بن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة فأنه فأساه عن أشياء، قال: إني سألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد يتبرع إلى أبيه؟ والولد يتبرع إلى أمه؟ قال: «لنصرني جبريل آتياً»: قال ابن سلام: فذلك حدو اليهود من اللاتكة. قال: «أما أول أشراط الساعة فأن تَحْشَرَمَ من المشرق إلى المغرب. ولؤلؤ طعام يأكله أهل الجنة زيادة كيدحت. وأما الولد فأن ماء الرجل ماء المرأة فَرَّحَ الولد، وإذا سبق ما علل أمعاء الرجل فرحت» (٢).

ورواه البزار من طرق من حُمَيد (٣) ورواه مسلم (٤) أيضاً، وله من حديث ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - نحو هذا. وفي صحيح مسلم من حديث أبي أمامة الرحبي، عن ثوبان: أن حَبْرًا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن مسائل، فكان منها قال: فما تحفهم؟ - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال: «زيادة كبد الحوت»، قال: فما خلأهم من إثرها؟ قال: «ينحر لهم نور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شربهم عليه؟ قال: «من حين [فيها] تسمى سليلًا» (٥).

-
- (١) ما بين القوسين من قدر المتنشر ٢٥٠/٢٦، ومكانه يهبط في المخطوطة. وقد أخرجه السيوطي عن الحكم الترمذي.
 (٢) سنة الإمام أحمد: ١٨٩/٢٤.
 (٣) البهائي: تفسير سورة البقرة: ٢٣/٦٦.
 (٤) كما، ولم يقع لنا حديث مسلم.
 (٥) مسلم، كتاب الحيش، باب: «بيان صفات من الرجل والمرأة»، وأن قوله «نور» من نقيضها: ١٧٢/٢١.

وقيل : للراء بقوله : (٥) : لوح من نور .

قال ابن جرير : حدثنا الحسن بن شبيب اللكبي : حدثنا محمد بن زياد الجوزي : عن فرات بن أبي القرات ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٥) والقلم وما يسطرون : (٥) لوح من نور ، وقلم من نور (١) ، يجري بما هو كائن إلى يوم القيمة (٢) ، وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جرير : أخبرني أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام .

وقيل : للراء بقوله : (٥) : حواة ، والقلم : القلم : قال ابن جرير .

حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا ابن نور ، عن معمر ، عن الحسن وثلاثة في قوله : (٥) : قالا : هي اللوحة (٣) .

وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جداً قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عبد الله مولى أبي أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلق الله التوراة ، وهي اللوحة .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حبيب ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي يحيى بن عبد الله ، حدثنا ثابت بن أبي أنس (٤) ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق التوراة - وهي اللوحة - وخلق القلم ، قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة من عمل مسجود ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام ، ثم أؤم كل شيء من ذلك ، فله : أجره في الدنيا ، ومقامه فيها (كم) ؟ وعروجه منها كيف ؟ ثم جعل على العباد حفظة ، وللكتاب خزائن ، فالحفظة يسفرون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا في الرزق وانقطع الأجر وانقضى الأجل ، أتت الحفظة لتفحص ما عملوا في ذلك اليوم ، فتقول : لم تخفوا : ما نجد لمصاحبكم عندنا شيئاً . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : قال ابن عباس : أليس قوماً حريصاً يسمعون الحفظة يقولون : (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل (٥) .

وقوله : (والقلم) : القلم هو جس القلم الذي يكتب به كونه : (اقرأ ويؤم الأكرم : الذي علم بالقلم : علم الإنسان ما لم يعلم) (٦) فهو قسم منه تعالى ، وتبينه خلقه على ما أنهم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تكلم العلوم ، ولهذا قال : (وما يسطرون) - قال ابن عباس ، وعجمه ، وثلاثة : يعني وما يكتبون .

(١) وقلم من نور : غير ثابت في تفسير البصري .

(٢) تفسير البصري : ١١ / ٢٩ - ١١ .

(٣) تفسير البصري : ١٠ / ٢٩ .

(٤) كلما في المخطوطة . وفي تفسير البصري : « البذل » . انظر التاليف : ترجمة : ثابت بن أبي سلمة ، ومراجعة : ثابت بن أبي سلمة .

(٥) تفسير البصري : ١٠ / ٢٩ .

(٦) سورة البقرة : ١٧٧ - ١٧٨ .

وقال أبو الضحى ، عن ابن عباس : (وما يسطرون) أى : وما يملكون .
 وقال السدى : (وما يسطرون) : يبنى الملكة (١) وما [تكب من حمل المباد .
 وقال آخرون : بل المراد ما هنا بالقلم الذى أجزاه الله بالقدور حين كتب مقادير الخلق قيل أن يحق السماوات والأرضين
 خمسين ألف سنة : وأوردوا فى ذلك الأحاديث الواردة فى ذكر القلم ، فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد بن يحيى (٢) بن سعيد القمى و يونس بن حبيب قال : حدثنا أبو دلود الطيالسى ، حدثنا عبد الواحد
 ابن سلم السلى ، عن حماد - هو ابن أبي رياح - حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال : حدثني أبي حنيفة حنيفة بن حنيفة
 قال : إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب : قال : يا رب
 ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر [ما كان] (٣) وما هو كائن إلى الأبد » (٤)

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق ، عن الوليد بن عباد ، عن أبيه (٥) ، به : وأخرجه الترمذى من حديث
 أبي دلود الطيالسى ، به : وقال : حسن صحيح غريب (٦) : ورواه أبو دلود فى كتاب السنة ، من سننه ، عن جعفر
 ابن مسافر ، عن يحيى بن حسان ، عن ابن رياح ، عن إبراهيم بن أبي حنيفة ، عن أبي حنيفة - واسمه حنيفة بن
 شريح الحنظلي الشافى - عن عباد ، فذكره (٧)

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله الطوسى ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ،
 حدثنا رياح بن زيد ، عن حماد بن حنيفة ، عن أناس من بني يزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه كان يحدث
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أول شئ خلقه الله القلم ، فأمره فكتب كل شئ » غريب من هذا
 الوجه ، ولم يخرجوه (٨)

وقال ابن أبي نجیح ، عن عباد : (والقلم) يبنى : الذى يكتب به للذكر

وقوله : (وما يسطرون) أى : يكتبون ، كما تقدم

وقوله : (وما أنت بنعمة ربك مجنون) ، أى : لست ، والله الحمد ، مجنون ، كما قد يقوله الجاهل من قومك ، والمكلمون
 بما جنتهم به من الهدى والحق الذين فسروك فيه إلى الجنون ، (وإن لك لأجراً غير ممنون) ، أى : بل لك الأجر العظيم ،
 والفراب الجليل الذى لا ينقطع ولا يبدل ، على لإلاخك رسالة ربك إلى الخلق ، وصبرك على أظام ، ومعنى (غير ممنون)

(١) ما بين القوسين من تعليقات السابعة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القمى . وقد تقدم للتصريح به فى ٢٥٥/٣ .

(٣) ما بين القوسين من نسخة المبرور .

(٤) انظر نسخة المبرور فى ترتيب من الطيالسى أبي داود كتاب القدر ٣٠/١ .

(٥) سنة الإمام أحمد : ٣١٧/٥ .

(٦) نسخة الأسرى ، تفسير سورة (ن والقلم) : الحديث ٢٣٧٥ - ٢٣٢٢/٩ - ٢٣٣ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب : فى القدر .

(٨) تفسير الطبري : ١١/٢٩ .

أى : غير مشفوع كفوله : (عطاء غير مجذوذ) (١) [قلهم أجز غير مجنون] (٢) ، أى : غير مقطوع عنهم : وقال وقال مجاهد : (غير مجنون) (٣) أى غير عسوب وهو يرجع إلى ما قلناه .

وقوله : (وإنا لعل خلق عظيم) ، قال القرطبي ، عن ابن عباس : أى وإنا لعل دين عظيم ، وهو الإسلام : وكذلك قال مجاهد ، كأيوب مالك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والضحك ، وابن زيد .

وقال عطية : لعل أحب عظيم . وقال معمر ، عن قتادة : سئلت عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت : كان خلقه القرآن ، تقول (٤) : كما هو في القرآن .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قوله : (وإنا لعل خلق عظيم) ، ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : أليس قرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة قلت : أخبريني بألم المؤمنين - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : أقرأ القرآن ؟ قلت نعم . فقالت : كان خلقه القرآن (٥) .

فلما حديث طويل : وقد رواه الإمام مسلم (٦) في صحيحه ، عن حديث قتادة بطوله ، وسيأتي في « سورة الزمل » إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : سألت (٧) عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بني مصاد قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : أما قرأ القرآن : (وإنا لعل خلق عظيم) ؟ قال : قلت : حدثني عن ذلك : قالت : صنعت له طعاماً ، وصنعت له خضعة طعاماً ، فقلت لجاري : انهي فإن جاءت هي بالطعام فريضه قبل طارحي الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام . قالت : فأفقت الجارية ،

(١) سورة هود : آية ١٠٨ .

(٢) سورة التين : آية ٦ .

(٣) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٤) في المضطربة : « يقول سيبه » . والمثبت من الطبقات السابقة : وتفسير الطبري : ١٢/٢٩ - ١٣ .

(٥) في المضطربة وتفسير الطبري : « سيبه » . والمثبت من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٩٦/١٢٢ . ورواية مسلم التي تأتي به . وسنة الإمام أحمد : ٥٣/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ١٣/٢٩ .

(٧) مسلم ، كتاب المسافرين ، باب « جميع صلاة الليل ومن لم يمت أو مرضه » : ١٦٨/٢ - ١٧٠ .

(٨) في المضطربة : « وسقط » . والمثبت من السنة .

(٩) سنة الإمام أحمد : ٢١٦/٦ .

فوقت القصبة فانكسرت - وكان نطع^(١) - قالت : فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اقتصروا - أو : اتقصوا - ذلك لسوء - ظروفاً مكان ظرفك » . قالت : فما قال شيئاً^(٢) ؟

وقال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس ، حدثنا أبي ، حدثنا للبارك بن قتادة ، عن الحسن ، عن سعد^(٣) ابن هشام : قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبريني بحديث النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن أما حقاً : (وإنك لعل خلقت عظم) ؟

وقد روى أبو حنود والشماني ، من حديث الحسن ، نحوه^(٤) ،

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أبانا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح : عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير قال : صحبت فلداخلت أم عائشة - رضى الله عنها - فسألتها عن خلقت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن .^(٥)

كلما رواه أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي^(٦) . ورواه الترمذي في التفسير . عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن ابن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، به .

ومنى هذا أنه - عليه السلام - صار ابتال^(٧) القرآن ، أمراً ونياً ، سجية^(٨) له ، وخلقاً تطبّعه ، وترك طبعه الجبلي^(٩) ، فيها أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جئ به . الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة ، والصفح والحلم ، وكل خلق جميل . كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي « أف » قط ، ولا قال لي شيئاً ، لم أفعله : لم أفعله : لا أفعله : ٢ . وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، ولا مسمت خيراً ولا خيراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكاً ولا عطرأ كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٠) .

(١) كلما في المخطوطة . وفي نسخة الإمام أحمد : « وكان تلمذا » . والتطع في اللغة : بسلط من جلد . ولعل المعنى أن القصبة وقمت جل للسلام ، فجمع الرسول - عليه السلام - اللسان من عليه ، والله أعلم .

(٢) نسخة الإمام أحمد : ١١١/٦ .

(٣) في المخطوطة وتفسير الطبري ١٣/٢٩ : « سعد » . وقد ثبتا عليه من غريب .

(٤) سنن أبي حنود ، كتاب الطلوع ، باب « في صلاة الليل » .

(٥) تفسير الطبري : ١٣/٢٩ .

(٦) نسخة الإمام أحمد : ١٨٨/٦ .

(٧) انظر مسلم ، كتاب الفضائل ، باب « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس خلقاً » : ٧٣/٧ - ٧٤

وباب « طيب رائحة النبي - صلى الله عليه وسلم - حين ممه » . والبرك بمه : ٨٠/٧ - ٨١ . والبخاري ، كتاب المذاب :

٢٣٠/٤ . ومسنن الإمام أحمد : ١٠٧/٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ .

وقال البخاري: [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله^(١)] ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف من أبيه ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ، ليس بالطويل [البائن] ولا بالقصير^(٢) :

والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي حنيفة الترمذي في هذا كتاب « الثبالات » :

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن صفوة ، عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده خادماً له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله : ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إياها ، فإذا كان إياها كان أبعد الناس ، من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنهك حرمان الله ، فيكون هو يتم لله عز وجل^(٣) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن حجلان ، عن اقتضاع ابن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »^(٤) فردد به :

وقوله : (فتبصر ويُبصرون) بأيكم المقتون) ، أي : فستعلم بأبعد ، وسيعلم غافقوك ومكبلوك ؛ من المقتون الضال منك ومنهم : وهذه كقوله تعالى : (سيعلمون غداً من الكلاب الأشر)^(٥) ، وكقوله : (وإنا أولياكم أهل هدى أو في ضلال مبين)^(٦) .

قال ابن جرير ، قال ابن عباس في هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة :

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (بأيكم المقتون) أي : الجنون^(٧) . وكلنا قال مجاهد ، وغيره :

وقال قتادة وغيره : (بأيكم المقتون) ، أي : أولى بالشیطان^(٨) .

ومعنى المقتون ظالم ، أي : الذي قد افترق عن الحق وصل عنه ، وإنا دخلت الباء في قوله : (بأيكم المقتون) لتدل على تضيق الفعل في قوله : (فتبصر ويُبصرون) ، وتهديره فستعلم ويعلمون ، أو : فستختبر ويختبرون بأيكم المقتون . والله أعلم : ثم قال تعالى : (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ، أي : هو يعلم تعالى أي القرين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الخزيب الضال عن الحق .

(١) ما بين القوسين من صحيح البخاري .

(٢) البخاري ، كتاب الخلق ، باب : صفة النبي - صلى الله عليه وسلم : ٢٢٨/٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٣٢/٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٨١/٢ .

(٥) سورة القمر : آية : ٢٦ .

(٦) سورة سبا : آية : ٢٤ .

(٧) تفسير الطبري : ١٢/٢٩ .

(٨) تفسير الطبري : ١٤/٢٩ .

فَلَا تَطْلِعِ الْمَكْرِبِينَ ④ وَذُوا أَوْتَعَيْنُ فَبِدْهِنُونَ ⑤ وَلَا تَطْلِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْنٍ ⑥ مُثْلًا مِثْلًا بِجِبْرِ ⑦
 ⑧ مَتَّاعٍ لِلْعَمْرُوتِ ⑨ حَتَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْجٍ ⑩ أَنْ كَانَتْ قَامَالٍ وَبَيْنَ ⑪ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ
 عَائِنَتَا قَالَ أَسْطِطِرُ الْآلَؤَيْنِ ⑫ سَمِعُوهُ عَلَىٰ أَنْفَرِ طُورٍ ⑬

يقول تعالى : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم وأخلقناك العظم ، (فلا تطلع المكربين) ،
 (وذوا أوتعين فبدهنون) ،

قال ابن عباس : لو فُتِحَتْ لم يفتُحْصون (١) ،

وقال مجاهد : وذوا لو تركن إلى أكلهم وترك ما أنت عليه من الحق (٢) ،

ثم قال تعالى : (ولا تطلع كل حلاف مثن) ، وذلك أن الكاذب لنفسه ومهاجته إنما يقي بأعماله الكاذبة التي يجترأ
 بها على أمهات الله تعالى ، واستصلاها في كل وقت في غير محلها .

قال ابن عباس : المئين الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . قال الحسن : كل حلاف سكاير مئين ضعيف .
 وقوله (مثن) ، قال ابن عباس وقفاة : يني الاغنياب .

(مشاء بنهم) ، يني : الذي يمشي بين الناس ، ويغترش بينهم ويقفل للحديث ففساد ذات البين ، وهي الحائلة .
 وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد ، عن طلوس ، عن ابن عباس قال : مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 بفرسين فقال : «لهما لميلان وما ميلان في كبير» أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، ولأما الآخر فكان يمشي باثنية (٣)
 الحديث . وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم ، عن طريق عن مجاهد ، به .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام : أن حذيفة قال : سمعت رسول الله -
 - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا يدخل الجنة قتات » (٤) .

رواه الجماعة - إلا ابن ماجه - عن طريق ، عن إبراهيم ، به (٥) .

وحدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة قتات » ، يعني ثمأ (٦) .

(١) أي : الذين في دينك يلهيتون .

(٢) تفسير البكري : ١٤ / ٢٩ .

(٣) البخاري ، كتاب الوضوء ، باب « من الكبار أن لا يستتر من بوله » : ٦٤ / ١ . ومسلم ، كتاب الطهارة ،
 باب « قيل هل نجاسة البول وجوب الاستبراء منه » : ١٦٦ / ١ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٨٢ / ٥ . وانظر أيضاً : ٣٨٩ / ٥ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ .

(٥) البكري ، كتاب الأدب ، باب « ما يكره من الفحشاء » : ٢٦ / ٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان خلق
 نمرح الفحشاء » : ٧١ / ١ . ومسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الفحشاء » . ونسبة الأخرى : أبواب البر ، به .

« ما جاء في الفحشاء » ، الحديث : ٢٠٩٥ ، ١٧٢ / ٦ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٨٩ / ٥ .

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان أبو سعيد الكوفي ، عن الأعمش ، عن حنظلي إبراهيم - منذ نحو مئتين سنة - عن همام بن الحارث قال : مر رجل على حليقة قليل : إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء . قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول - أو : قال - : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يدخل الجنة قتات » (١) .

وقال أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا مهدي ، عن واصل الأخطب ، عن أبي وائل قال : بلغ حليقة عن رجل أنه يَمُ الحديث ، قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يدخل الجنة غمام » (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حيد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن ابن خنيس ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ابن السكن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الذين إذا رُؤوا (٣) ذُكر الله عز وجل » ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ لنشامون بأخيم ، لفسدون بين الأخية ، الباغون للبركة الغثت » (٤) .

ورواه ابن ماجه ، عن مويده بن سعيد ، عن يحيى بن سليم ، عن ابن خنيس ، به (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حاتم ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن خنيس - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - : « خيار حباد الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله ، وشراء حباد الله للشامون بأخيم ، للمرتون بين الأخية ، الباغون للبركة الغثت » (٦) .

وقوله : « منافع خير معد أثم » أي : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ، (معد) في تناول ما أحل الله له ، يجاوز فيها الحد للمفروع (أثم) ، أي يتناول المفرومات .

وقوله : « من بعد ذلك زمني » ، لما قبل فهو : لَمَّا تَلَيْطُ الصَّحِيح ، البَسْمُوحُ لِلتَّوَحُّع .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن معمر بن خالد ، عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أنتم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل حئل متحئل متكبر » وقال وكيع : « كل جواظ - جطرى (٧) متكبر (٨) » .

أخرجاه في الصحيحين وفيه الجماعة ، إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثوري وحماد . كلاهما عن معمر بن خالد (٩) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٨٩/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٩١/٥ .

(٣) أي : إجماع من الخفية والخوف من الله ، أو من كثرة ذكر الله ، بحيث إن الناس يذكرون الله عند حضورهم .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٥٩/٦ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : من لا يؤمنه له ، الحديث ٤١١٩ : ١٢٧٩/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٧/٤ .

(٧) الجطرى : التلظي للتكبر . وتل : هو الذي يتفخ بما ليس معه وهو تسمير .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٣٠٦/٤ .

(٩) البخاري : تفسير سورة (٥ والنمل) : ١٩٨/٦ . ومسلم : كتاب الجنة وصفة لبيها وأهلها ، باب : النار يدخلها

النجس ، باب : يدخلها النمل : ١٥٤/٨ . وثقة الأسوي : أبواب جهنم ، الحديث ٢٧٢٤ : ٢٣١/٧ - ٢٣٢ .

ورواه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : من لا يؤمنه له ، الحديث ٤١١٩ : ١٢٧٩/٢ .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن حنبل قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مباح » ، تفرد به أحمد (١) :

قال أهل اللغة : الجعظري : القنطاريط ، والجواظ : الجعجوع للشرع ؛

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن عتمة ، قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن العنل الزنيم ، قال : « هو الشريد الخلق المصحح (٢) » ، الأكل الشروب الواجد الطعام والشراب ، الظلوم للناس ، وحجب الجوف (٣) » :

وهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ » جعظري (٤) ، والعنل الزنيم : وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين ،

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن فرو ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تكي الساه من عبد أصبح لله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأصلاه من الدنيا ميقضاً ، فكان للناس ظلوماً قال : فذلك العنل الزنيم (٥) » :

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العنل هو : المصحح الخلق ، الشديد القوى في الأكل والشرب والمنكح ، وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخاري :

حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (« هل يد لك زنيم ») قال : « وجل من قريش له زنيم (٦) مثل زنيم الشاة (٧) » :

ومنى حله أنه كان مشهوراً بالشر كثرة الشاة ذات الزنيم من بين أخواتها . وإنما الزنيم في لغة العرب : هو الذهبي في القوم . قاله ابن جرير . وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان بن ثابت ، يني يلم بعض كبار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل حاشم . كنما نيط خلف الرأكب الفلاح المقرؤ (٨)

(١). سنة الإمام أحمد : ١٦٩/٢ . وانظر : ٢١٤/٢ .

(٢) أي : البريء من الأثم .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٢٢٧/٤ .

(٤) في المسند : ٢٢٧/٤ . ورو البخاري .

(٥) في المطبوعة : « ذلك العبد » . وللتب من تفسير البخاري : ١٦/٢٩ .

(٦) زنيم : فيه يفتح من أذن الشاة ويترك سلقاً بها .

(٧) البخاري ، تفسير سورة (٥ والقلم) : ١٦٧/٦ - ١٦٨ .

(٨) ديوان حسان بن ثابت ، ط بيروت : ٨٩ ، وجزء القرآن لأبي حنيفة : ٢٦٥/٢ .

وقال آخر : **زَيْمٌ** ، **فَيْسُ يُعْرِفُ مَنْ أَبُوهُ** . **بَنَى الْأُمَ ، ذُو حَسَبٍ لَيْسُ**

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن خالد الواسطي ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن حكمة ، عن ابن عباس في قوله (**زَيْمٌ**) ، قال : **الذي القاحش التميمي** : ثم قال ابن عباس :

زَيْمٌ ، **فَدَأَاهُ الرَّجُلُ زَيْدَةً** . **كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدَمِ الْأَكْثَرُ (١)**

وقال العوفي عن ابن عباس : **الزَّيْمُ** : **الذي** . ويقال : **الزَّيْمُ** : رجل كانت به زُغمة ، يعرف بها ، ويقال : هو **الأخضر بن شريك التميمي** ، حليف بني زهرة . وزعم أناس من بني زهرة أن **الزَّيْمَ الْأَسَدِيَّ** بن عبيد بن الأحرى ، وليس به (٢) .
وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه زعم أن **الزَّيْمَ** **للكحيتي النسب** .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد ابن المسيب ، أنه سمعه يقول في هذه الآية : (**حَتَّى يَبْدُكَ زَيْمٌ**) ، قال سعيد : هو **للمصق في القوم** ، ليس منهم (٣) .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عتبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة (٤) قال : سئل حكمة [**عن الزَّيْمِ**] ، قال : هو **ولد الزَّيْمِ** .

وقال المحكم بن أبيان ، عن حكمة (٥) في قوله تعالى : (**حَتَّى يَبْدُكَ زَيْمٌ**) ، قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل **الشاة الزَّيْمِ** [**والزَّيْمُ من الشاة**] : التي في عنقها هَتَّان مقلتان في حلقها (٦) .

وقال الثوري ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير قال : **الزَّيْمُ** : الذي يعرف بالشرك كما يعرف **الشاة** بزئمتها : **والزَّيْمُ** : **للمصق** : **رواه ابن جرير** .

وروي أيضاً عن طريق خالد بن أبي هند عن حكمة ، عن ابن عباس أنه قال في **الزَّيْمِ** : قال : **نُعْتُتْ ظِمَّ يَعْرِفُ** حتى قيل : **زَيْمٌ** . قال : وكانت له **زُغْمَةٌ** في عنقه يعرف بها . وقال آخرون . كان **دَحِيأَ (٧)** .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه (٨) ، عن أصحاب التفسير قالوا : هو الذي تكون له **زُغْمَةٌ** مثل **زُغْمَةِ الشاة** .

(١) البت في الكامل لغير مرسوياً إل حسن بن ثابت : ٩٥٨/٣ . ولم أجد في ديوانه ، وهو في السلك ، مادة زَيْم مرسوياً إل اكليم التميمي الجليل . وانظره في معجم شهاب الدين لابن فارس : ٤٩/٣ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧/٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري من حديث يونس ، ٩ : ١٧/٢٩ .

(٤) كلا ، ولم تقع لنا ترجمة عامر بن قدامة .

(٥) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٦) في المخطوطة : وفي عنقها المقلتان في عنق الشاة . وللتبصير عن التعليقات السابقة .

(٧) تفسير الطبري : ١٧/٢٩ .

(٨) ليس في تفسير الطبري : ٥ من أبيه .

وقال الضحاك: كانت له زكّمة في أصل أذنه ، وقال : هو التي للمصن في التسبب .
 وقال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبّر ، عن ابن عباس : هو الريب الذي يعرف بالشر .
 وقال جاهد : الزيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رزين : الزيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزيم الذي يعرف بالزيم كما تعرف [الشاة] يزنها (١) .

والأحوال في حلاكمية ، وترجع إلى ما قلناه ، وهو أن الزيم هو : المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس ، وغالباً يكون ذمياً ولد زناً ، فإنه في الغالب يسلط الشيطان عليه مالا يسلط على غيره ، كما جاء في الحديث : « لا يدخل الجنة ولد زناً » (٢) . وفي الحديث الآخر : « ولد الزنا شرُّ الثلاثة إذا عمل بعمل أبيه » (٣) .

وقوله : (أن كان ذا مال وبين . إذا تلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين) ، يقول تعالى: هذا مقابلة ما أنتم الله عليه من المال والدين ، كفر بآيات الله وأعرضي عنها ، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : (خرف ومن غفلت وحيداً) وجعلت له مالا ممدوداً ، وبين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً . ثم يطلع أن يزيد . كلا ، إنه كان لآياتنا حيناً ما سألته صرحاً . إنه فكر وفكر . قتل كيف قتل . ثم قتل كيف قتل . ثم نظر . ثم ميس ويسر . ثم أهر واستكبر . قال : إن هذا إلا مسر يورثه . إن هذا إلا قول البشر) قال القائل : (ساصيله سفر) (٤) . وقال تعالى هاتين : (منسبه على الخراطوم) .

قال ابن جرير : سنين أمره بياناً واضحاً ، حتى يعرفوه ولا يمتنع عليهم ، كما لا تمتنع السمة على الخراطيم (٥) : وهكذا قال قتادة : (منسبه على الخراطوم) : شين لا يقره آخر ما عليه . وفي رواية عنه : سبأ قال أنه . وكذا قال السدي : وقال العوفي ، عن ابن عباس : (منسبه على الخراطوم) : [يقاتل (٦) يوم بدر ، فيُخَطَم بالسيف في القتال : وقال أنس بن مالك : (منسبه) (٧) : سمة أهل النار ، يعني سود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخراطوم ، وحكي ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ، ومال إلى أنه لا مانع . من اجتراح الجميع عليه في الدنيا والآخرة ، وهو مشجبه .
 وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (حم يسملون) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث [حدثني الليث] ، حدثني خالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عبد الله ، عن عيسى بن هلال الصديق ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن القيد يكتب مؤمناً أحقاً بآثم مجرم والله عليه سابط : وإن القيد يكتب كافراً أحقاً بآثم أحقاً » ، ثم عوت والله عليه واض . ومن مات هماً كان كافراً مكلفاً للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يسمة الله على الخراطوم ، من كلا الشفتين .

(١) انظر تفسير البكري : ١٧/٢٩ - ١٨ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ٢٠٢/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٢١١/٢ ، ومن عائشة - رضي الله عنها - : ١٠٩/٦ . وأخرجه أبو طرود في كتابه المثلث ، باب : في حق ولد الزنا .

(٤) سورة للدثر ، الآيات : ١١ - ٢٦ .

(٥) تفسير البكري : ١٨/٢٩ - ١٩ .

(٦) تفسير البكري : ١٨/٢٩ .

(٧) ما بين أنس بن مالك من الطبقات السابقة .

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرَمُنَّ مَصْبِيحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْبِذُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ
مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصْرِ ﴿٢٠﴾ فَفَتَنَّاوُاْ مَصْبِيحِينَ ﴿٢١﴾ أَلِإِن أَعْلَوْا عَلَى حَرْفِكَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنطَلَقُواْ وَهُمْ يَخِيفُونَ ﴿٢٣﴾ أَلِإِن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ طَبَقًا مِّنْكَ يَكْفِيكَ مَصْبِيحِينَ ﴿٢٤﴾ وَعَدُواْ عَلَى حَرْدٍ
قَلِيلٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُواْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ لَحْنٌ مِّمَّكَ وَرَيْدُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلِإِن أَرَأَيْتُمْ لَوَلَا
أُفْسِحَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَؤُوْلَتَا
إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِينَ ﴿٣١﴾ صَبْرًا لَّنَا لِيُفْلِتَا عَذَابِنَا إِنَّا إِلَهُ رَبِّكَ رَحِيمُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْغُلَبُ وَالْغُلَبُ الْآخِرَةُ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

هذا مَثَلٌ حَسَنٌ لِّلَّهِ - تعالى - تكفار قريش فيما أُهْدِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّحَةِ الطَّيِّبَةِ ، وَأَطْلَامٍ مِنَ التَّمِّ الْجَسِيمَةِ ، وَهُوَ
بَعَثَهُ عَمْدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ ، فَعَابَهُ بِالْكَتْلِ وَالرَّدِّ وَالْخَارِبَةِ ، وَلَمَّا قَالَ : (إِنَّا بُلُونَاهُمْ) أَيْ :
لِنَحْبِرَنَاهُمْ ، (كَمَا بُلُونَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) ، وَهُوَ الْبَسَاتِنُ لِلشَّمْلِ عَلَى أَنْوَاعِ الْخُبَرِ وَالْقَوَائِكِ ، (إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرَمُنَّ مَصْبِيحِينَ) ،
أَيْ : حَلَفُوا فِيهِمْ لِيَجِدَنَّ شَرَّهَا لَيْلًا ، لَّنَا يَطْلُمُ بِهِمْ قَبْرِ وَلَا سَائِلَ ، لِيُفِرَّ نَحْرُهَا عَلَيْهِمْ وَلَا يَصْدُقُوا مَتْنَهُ ،
(وَلَا يَسْتَنْبِذُونَ) أَيْ : فِيهَا حَقَرًا بِهِ . وَلَمَّا حَسَّنَهُمْ اللَّهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَقَالَ : (طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ) ،
أَيْ : أَصَابَهَا آتٌ سَمَارِيٌّ ، (فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصْرِ) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَيْ كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ ، وَالسُّدِّيُّ : مَثَلُ
فِرْعَوْنَ إِذَا حَمِيدٌ ، أَيْ : حَشِيًا يَسُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : ذَكَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الصَّبَاحِ : أَنَّهُ قَالَ بِشِيرِ بْنِ زَادَانَ ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ صَبِيحٍ ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي
سَكِينٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (إِنَّا كَمُومٌ وَلِلْعَاصِي ،
إِنَّ الْبَيْدَ لِيَلْبِسُ الذَّنْبَ فَيَحْرِمُ بِهِ رِزْقًا فَكَانَ هَيْئَةً لَهُ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ
مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ - فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصْرِ) ، فَدَحْرَمُوا خَيْرَ جَنَّتِهِمْ بَلَنَهُمْ .

(فَفَتَنَّاوُاْ مَصْبِيحِينَ) ، أَيْ : لَّا كَانَ وَقْتُ الصَّبْحِ نَادَى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِيَدْخُلُوا إِلَى الْجَنَّةِ ، (أَلِإِن أَعْلَوْا عَلَى حَرْفِكَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، أَيْ : تَرِيدُونَ الصَّرَامَ . قَالَ جَاهِدٌ : كَانَ حَرْفُهُمْ حَبْنًا (فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخِيفُونَ) ، أَيْ : يَتَجَوَّعُونَ فِيهَا
يَتَنَهَمُونَ بِحَيْثُ لَا يُسْمَعُونَ أَحَدًا كَلَامَهُمْ . ثُمَّ خَرَّ اللَّهُ عَالِمُ السَّرِّ وَالتَّجْوِي مَا كَانُوا يَخِيفُونَ بِهِ ، قَالَ : (فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ
يَخِيفُونَ) ، أَلِإِن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ طَبَقًا مِّنْكَ يَكْفِيكَ مَصْبِيحِينَ : لَا تَحْكُمُوا الْيَوْمَ قَبِيرًا يَدْخُلُهَا عَلَيْكُمْ ! قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : (وَعَدُواْ عَلَى حَرْدٍ) ، أَيْ : قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ . وَقَالَ جَاهِدٌ : (وَغَدُواْ عَلَى حَرْدٍ) ، أَيْ : جَزْأً . وَقَالَ عِكْرَمَةُ :
خَيْلٌ . وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ : (عَلَى حَرْدٍ) : عَلَى لِلْمَاكِينَ . وَقَالَ السُّدِّيُّ : (عَلَى حَرْدٍ) ، أَيْ : كَانَ اسْمُ قَرِيظِهِمْ حَرْدٌ . فَأَبْدَلَ
السُّدِّيُّ قَوْلَهُ هَذَا : !

(١) فِي الْفُطُوَّةِ : وَتَقُولُونَ بِهِمْ بَعْضًا . وَاللَّيْثُ مِنَ الْكَلِمَاتِ السَّابِقَةِ .

(٢) تَقْدِيرُ الثَّوْرِيِّ : ٢٠/٢٩ .

(قادرين) ، أي : عليهما يزعمون ويرومون . (قلما رواها قالوا : إنها لصالون) ، أي : قلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها . وهي [حل] الحالة التي قال الله - عز وجل - ، قد استخالت عن تلك النضلة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صاروا سوداء مدكهمجة ، لا يستمتع بشيء منها ، فاحتضنوا أنهم قد أخطأوا الطريق ، ولهذا قالوا : (إنها لصالون) ، أي : قد سلكنا إليها غير الطريق فنهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره : ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وابتغوا أنها هي قالوا : (يل نحن عزمون) ، أي : يل هذه هي ، ولكن نحن لا نحفظ لنا ولا نصيب .

(قال أوسطهم) : قال ابن عباس ، وعجابه ، وسمينين جبر ، وعكرمة ، وعحمد بن كعب ، والربيع بن أنس ، والفصاحك ، وقادة : أي أعلمهم وغيرهم : (لم أزل لكم : لولا تسبيحون !) ، قال عجاه ، والسدي ، وابن جريج : (لولا تسبيحون) ، أي : لولا تستنون - قال السدي : وكان استنؤهم في ذلك الزمان تسبيحاً .

وقال ابن جريج : هو قول لقال : إن شاء الله (١) . وقيل : معناه : قال أوسطهم : (لم أزل لكم لولا تسبيحون) ، أي : هلا تسبيحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنتم به عليكم ، قالوا سبحان ربنا ، إنها كنا ظالمين ، أنوا بالطاعة حيث لا تنفع ، وتندموا واضعروا حيث لا ينفع ، ولهذا قالوا : (إنها كنا ظالمين • فأقبل بعضهم على بعض يتكلمون) ، أي : يلهم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع للمساكين من حق الجكاذة ، فكان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطية والذنب ، (قالوا : يا أولينا إنها كنا ظالمين) ، أي : احتجيتنا ويطغينا وعلوونا الخلد حتى أصابتنا ما أصابتنا ، (همى ربنا أن يخلصنا غيرنا منها ، إنها إلى ربنا راجعون) ، قيل : رغبوا في بدلها لم في الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها في الليل الآخرة ، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن - قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها ضروران ، على ستة أميال من صنعاء . وقيل : كانوا من أهل الحبشة ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر لعياله قوت يستهم ، ويصدق بالفاضل . فلما مات وورثه بنوه ، قالوا : لقد كان أبونا أحسن إزاء كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أننا منتهم لتوفر ذلك علينا ، فلما عزموا على ذلك حوثنوا بقبض قصدهم ، فأذهب الله ما يأبئهم بالكلية ، ورأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء .

قال الله تعالى : (لكلك الطلب) ، أي : هكلكا طلب من ، خالف أمر الله ، وعكز بما آتاه الله وأنتم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء ونحو الحاجيات ، وبذلك نعمة الله كفروا (ولطلب الآخرة أكبر لو كانوا يطمنون) ، أي : هذه حقوة الدنيا كما سمعتم ، وطلب الآخرة أثقن . وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى عن الجكاذة بالليل ، والحصاة بالليل .

لَإِنِّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿١١﴾ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٣﴾
أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿١٤﴾ إِن لَّكَ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ ﴿١٥﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿١٦﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿١٧﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾

لا ذكر تعالى حال أهل الجنة النبوية، وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالقوا أمره، بين أن
لمن اتقاه وأطاعه في السر الآخر جنت النعيم التي لا تبديد ولا فترغ ولا ينقضي نعيمها .

ثم قال : (أفجعل المسلمين كالمجرمين ؟) ، أي : أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسما ،
ولمنا قال : (ما لكم كيف تحكمون) ، أي كيف [تظنون] ذلك ؟ .

ثم قال : (أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لا تخيرون) ، يقول : أليأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه
وتحفظونه وتتلونونه ينقل الخلف عن السلف ، متضمن حكما موكدا كما تدعون ؟ (إن لكم فيه لا تخيرون . أم لكم
أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لا تحكمون أي : أليأيديكم عهدا ومواثيق موكدة ، (إن لكم لا تحكمون) ،
أي : إله يحصل لكم ما تريدون وتشتون ، (سلمهم إليهم بذلك زعيم ؟) أي : قل لهم : من هو الضامن للتكفل بهما ؟
(أم لهم شركاء) ، أي : من الأصنام والأنداد ، (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) .

يَوْمَ يَكْشِفُهُ عَنْ سَاتِرٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٩﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا
يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَنَرِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِنَا الْحَدِيثِ سَمْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٢١﴾ وَأَسْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُمُونَ ﴿٢٤﴾

لا ذكر تعالى أن المؤمنين عند جنت النعم ، بين متى ذلك كائن وواقع ، فقال : (يوم يكشف عن ساتر ويدعون
إلى السجود فلا يستطيعون) ، يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأحوال والالزاق والباليل والامتحان والأمور العظام .
وقد قال البخاري هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ،
عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يكشِفُ رَبَّنَا عَنْ سَائِهِ ، فيسجد له كل مؤمن
ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسعما ، فيذهب ليسجد فيود ظهره طبعاً » (١) وإحدى .

(١) الطبري : تبارك الطهر ، وإحدى طيقة ، يريد أنه صار تقادم كله كالقراءة الواحدة ، فلا يقدمون على السجود .
والحديث أخرجه البخاري عنه تفسير سورة (٥) ولقلم) : ١٩٨/٦ .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيره من طرق ، وله ألقاف ، وهو حديث طويل مشهور (١) .

وقد قال عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، (يوم يكشف عن ساق) قال : هو يوم كرب وشعة . ورواه ابن جرير ثم قال :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن الخيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود - أو : ابن عباس (٢) ،
الملك من ابن جرير - : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : عن أمر عظيم ، كقول الشاعر :
• ولما تمت الحرب بنا على ساق (٣) •

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : شدة الأمر •

وقال ابن عباس ، هي أول ساعة تكون في يوم القيامة •

[وقال ابن جرير عن مجاهد : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : شدة الأمر وجهه] :

وقال علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (يوم يكشف عن ساق) ، هو : الأمر الشديد المنقطع من اللزك يوم القيامة •

وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (يوم يكشف عن ساق) ، يقول : حين يكشف الأمر ويولد الأعمال ، وكذلك دهره الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روى الضحاك عن ابن عباس : (لورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير (٤)) ثم قال :

حدثني أبو زيد عمر بن شبيب ، حدثنا هارون (٥) بن عمر الخزاز ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد دوح بن جناح ، عن مولى لعمرو بن عبد العزيز ، عن أبي يردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(يوم يكشف عن ساق) ، قال : عن نور عظيم ، يخرون له سجداً (٦) •

ورواه أبو يعلى ، عن القاسم بن يحيى ، عن الوليد بن مسلم ، به وفيه وجل مبهم ، قاله أعلم •

وقوله : (غلظة أبصارهم تحرقهم ذلة) ، أي : في النار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا بقبيض ما كانوا عليه : ولا دعوا إلى السجود في الدنيا فاستترا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بظلم قدرتهم عليه في

(١) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٥٨/٩ - ١٦٠ •

(٢) قال في تفسير الطبري ٢٤/٢٩ : « من إبراهيم ، عن ابن عباس » . وليس فيه ذكر لابن مسعود •

(٣) في المخطوطة : « مات الحرب من ساق » . والمثبت عن تفسير الطبري : ٢٤/٢٩ • والبحر المحيط : أبي حنبل : ٢١٧/٨ •

(٤) تفسير الطبري : ٢٤/٢٩ •

(٥) هارون بن عمرو هذا غير ثابت في تفسير الطبري ، وهو مشتم في المخرج والتدليل لأبي حاتم : ٩٢/٢/٤ •
وقد ترجم له : هارون بن عمرو . وذكر حقيق المخرج أنه في إحدى النسخ « عمرو » دون « وار » •

(٦) تفسير الطبري : ٢٧/٢٩ •

الآخرة ، إذا قيل الرب -- حر وجل -- فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، بل يعود ظهر أحدهم خيفاً واحداً ، كلما أراد أحدهم أن يسجد عثر لقائه ، عكس السجود ، كما كانوا في الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى : (فلترى ومن يكذب بهذا الحديث) ، يعنى القرآن . وهذا تهديد شديد ، أى : دعنى وإياه منى ومنه (١) أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمدته فى فيه وأنظر ، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر . ولما قال : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، أى : وهم لا يشعرون ، بل يصدقون أن ذلك من الله كرامة ، وهو فى نفس الأمر إغارة ، كما قال : (لصيرون أعمى ندمهم به من مال وبين . ضال عنى لم فى الخيرات بل لا يشعرون (٢)) وقال : (ظلموا ما ذكروا به فحنتا عليهم ليوبأ كل شئ . حتى إذا فرخوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٣)) . ولما قال دعائنا (وأمل لم أن كيدى متين : [أى :] وأزعمهم وأنظرم وأندمهم ، وذلك من كيدى ومكرى بهم ، ولما قال تعالى : (إن كيدى متين : [أى :] عظيم لمن خالف أمرى ، وكذب رسل ، واجترأ على مصيبي .

وفى المسيحين من رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- أنه قال : « إن الله ليمل الظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : (وذلك لأخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظلة ، إن أخذه أليم شديد (٤)) .
وقوله (أم نسلم أجزأهم من مرقم مقلون ؟) أم عتدهم لليب فهم يكتبون (١) ، تقدم تفسيرهما فى سورة الطور (٢) ، والمعنى فى ذلك : أنك يا محمد تلحوم إلى الله -- حر وجل -- بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجوا ثواب ذلك عند الله حر وجل وهم يكتبون بما جهم به ، بمجرد الجهول والكفر والعدا .

فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۚ ﴿١﴾ وَلَا تَدْرِكُهُ بَغْصَةٌ مِنْ
وَيْهٍ ؕ لَبِيدٌ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۚ ﴿٢﴾ فَاجْتَبِهْ رِيًّا فَجُمِلَتْ مِنْ الصَّالِحِينَ ۚ ﴿٣﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَيُفْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۚ ﴿٤﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ ﴿٥﴾

يقول تعالى : (فاصبر) يا محمد ، يا عبد الله ، أى : قومه لك وتكليمهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ، ويصل الباقية لك ولا يباحك فى الدنيا والآخرة ، (ولا تكن كصاحب الحوت) ، يعنى : ذا النون ، وهو يؤنس بن منى عليه السلام ، حين نهب متعاضباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركو به فى البحر والبقاء للحوت له ، وشروء الحوت به فى البطر وظلمات غمرات اليم ، وسباحه تسبح البحر بما فيه لعل القدير ، الذى لا يؤد ما أنفذه من التقدير ، فحينئذ نادى فى الظلمات :

(١) كلما فى سطوة الأحر .

(٢) سورة النور : آية : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ .

(٤) تقدم الحديث منه تفسير الآية ١٠٢ من سورة هود ، وأخرجته عنه ، انظر : ٤٧٨/٤ - ٢٧٩ .

(٥) انظر تفسير آتى الطور ٥٠ - ٤١ فى ٤١٣٢٧ .

(١) أن لا إله إلا أنت سبحانه إلى كنت من الظالمين (١) قال الله : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) (٢) وقال تعالى : (قلوا أنه كان من المسلمين) لئلا يظن أنه كان من الكافرين . (٣) وقال هاهنا : (إذ نادى وهو مكظوم) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي : مغموم (٤) . وقال عطاء الخراساني ، وأبو مالك : مكروب . وقد قلنا في الحديث أنه لا قال : (لا إله إلا أنت سبحانه) ، إلى كنت من الظالمين ، خرجت الكلمة [تَحَنَّفَ (٥)] حول العرش ، فقالت لللائكة : يارب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . فقال الله : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، هذا الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة نجاة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمل في البراءة حتى من البلاد ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالبراءة ، ولما قال تعالى : (فلجناه وبه فجعلناه من الصالحين) ،

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي واقل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى (٦) » .

ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري . وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة (٧) .

وقوله : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقوك بآبصارهم) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما : (ليزلقوك) : ليشتموك بآبصارهم (٨) . أي : ليشتموك بآبصارهم ، بمعنى يمسكونك ليقضهم إياك لولا وقاية الله لك ، وحاجته إياك منهم . وفي هذه الآية دليل على أن الذين أصابها وتأثيرها حتى ، بأمر الله - عز وجل - كما وردت بذلك الأحاديث لزوية من طرق متعددة كثيرة .

حدث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المكي : حدثنا شريك (ج) - وحدثنا العباس المعمرى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذريح ، عن الشعبي - قال العباس : عن أنس - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمْس (٩) أو دم لا (١٠) » . ثم لم يذكر العباس العبد . وهذا فقط سليمان (١١) .

حدثنا يزيد بن الحارث - رضي الله عنه - قال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن ثمر ، حدثنا

(١) سورة الأنبياء : آية : ٨٧ .

(٢) سورة الكهف : آية : ٨٨ .

(٣) سورة الصافات : آية : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٢٩/٢٨ - ٢٩ .

(٥) في الخفيفة : « من حوله » . وللتب من السبغة التي تلمت مع آية الأنبياء : ٨٧ : ٢٦٢/٥ .

(٦) منه الإمام أحمد : ٣٩٠/١ .

(٧) تقدم تخرجه الحديث عن الصحيحين في : ٣٦٢/٥ .

(٨) تفسير الطبري : ٢٩/٢٩ .

(٩) الحمة : السم .

(١٠) أي : لا ينطق .

(١١) سنن أبي داود : كتاب الطب : باب : وما جاء في الرق .

إسحاق بن ميلان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن يريدة بن الحبيب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا وقية إلا من بين أو حكمة (١) » .

مكلا رواه ابن ماجه ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، عن سعيد بن منصور ، عن هشام ، عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبي ، عن يريدة موقوفاً ، وفيه قصة (٢) : وقد رواه شعبه ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن يريدة . قاله الترمذي (٣) . وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل ، وأبو داود من حديث مالك بن مغول ، والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ، فلائهم عن حصين عن عامر الشعبي ، عن عمران بن حصين موقوفاً (٤) .

حديث أبي ذر جندب بن جنادة ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي - رحمه الله - حدثنا إبراهيم بن محمد بن هريرة بن البراءة السامي ، حدثنا ديلم بن غزوان ، حدثنا وهيب بن أبي ذئب (٥) ، عن أبي حرب (٦) عن أبي ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الجن لتلوع (٧) الرجل يأخذ الله ، فيصاعده حائلاً ، ثم يتردى منه » . إسناده غريبه ، ولم يخرجوه .

حديث حابس التميمي : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حبيب ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثني حبيب بن حابس التميمي : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا شيء في الهام (٨) واليمين حق ، وأصدق الطيرة القائل (٩) » .

وقد رواه الترمذي عن عمرو بن حلي ، عن أبي خسان يحيى بن كثير ، عن علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، به ثم قال غريب (١٠) : قال : وروى شيان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن حبة بن حابس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم (١١) .

- (١) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « ما جاء ما رخص فيه من الرق » ، الحديث ٣٠١٣ : ١١٦١/٢ .
- (٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الدليل من دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا طلب » : ١٢٧/١ - ١٢٨ .
- (٣) تحفة الأوحى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء في الرخصة في الرقية » ، الحديث ٢١٣٤ : ٢١٧/٦ .
- (٤) البخاري ، كتاب الطب ، باب « من أكرى أو كرى غيره وقيل من لم يكن » : ١٦٣/٧ . وسنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « تعليق الأيام » ، وتحفة الأوحى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء في الرخصة في الرقية » ، الحديث ٢١٣٤ : ٢١٧/٦ .

- (٥) كذا في غزوة الأحرار ، وانظر ترجمة وهب في المرح وقته لآل أبي عامر : ٢٢/٢ - ٢٣ .
- (٦) الحديث في مسند الإمام أحمد ، وفيه : « عن أبي حرب ، عن حصين ، عن أبي ذر ... » . انظر المسند : ١٤٦/٥ ، ١٤٧ .
- (٧) كذا في المغطوة ، وفي المسند : « وتلوع » ، بالعين . ويبدو أن الصواب ما هنا . في اللسان : « ولع » فإن بلان يلع به : إذا لج في أمره وحرس على ليلاته ، وكان الأصل : « وتلوع » بالراء . ثم سلب الخافض .
- (٨) الهام : واحدة حمة وهي : مائة معروف من غير الليل . وقيل : هو البومة . قالوا : كانت إذا سقطت على حمار أسحم وكذا نائمة له نفسه أو بدنه أمه . وقيل : كانت العرب تعتقد أن عظام الليل ، وقيل : دوسة - - تنقلب حمة تطير . والطيرة - بكسر اللام وضع اليد - : التثاثر باليد . والمقال يكون نيا يسوء ومايسر . والطيرة لا تكون إلا نيا يسوء . وربما استعملت نيا يسر .

- (٩) مسند الإمام أحمد : ٧٠/٥ .
- (١٠) تحفة الأوحى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء أن الذين حق والقول لما » ، الحديث ٢١٤ : ٢٢٢/٦ - ٢٢٣ .
- (١١) المرجع السابق : ٢٢٦/٦ .

١ قلت (١): كذلك رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن شيكان [عن يحيى بن أبي بكير، عن جده] (٢)، حدثه، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يأبى في الغمام والمعين حق، وأصدق الطيرة القاتل (٣) .

حدث ابن عباس، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سليمان ، عن دؤد ، عن حنظلة بن إسماعيل بن فزارة عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (الدين حق ، والعين حق ، نستول الخالق) (١)

طريق أخرى قال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن البجلي ، أنبأنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا
 وهيب ، عن ابن طلوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « الذين حنّ ، ولو كان
 شيء ما بين يديّ الله وسبّحت الملائكة لغيرهم (*) فاضلوا (١) » : اتفرد به دون البخاري .

وقال عبدالرزاق ، عن سفيان الثوري عن منصور ، عن الثماله بن عمرو ، عن معبد بن جبتر ، عن ابن عباس قال :
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمد الحسن والحسين ، يقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة » ، من كل شيطان
وهامة ، (٧) ومن كل عين لامة » ، ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعمد إسحاق وإسماعيل عليهما السلام » .

أخرج البخاري [وأهل السنن (٨)] من حديث الثعالبي (٩) . .

حلیت ابی امامہ اسعد بن سہل بن حنیف - رضی اللہ عنہ - قال ابن ماجہ : حدثنا عثمان بن عمار ، حدثنا سلیمان ، عن الزہری ، عن ابی امامہ بن سہل بن حنیف قال : (مر عہد بن ریمہ بہل بن حنیف) (۱۰) وهو یبکس قال : لم أراک لیم ولا جلد (۱۱) غیۃ : فابن لثد ان لثد بہ (۱۲) ، فلان بہ رسول اللہ - صلی اللہ علیہ وسلم - قتل ہ : أدرك

(١) من هنا من الطبقات السابقة . وقد ورد في القسطرة في نهاية الأحاديث المروية عن عائشة ، والتي معاني بعد .

(٢) ما بين القوسين من المستد ، ومكانه في الطبقات السابقة : « بن أبي حبة » .

(٣) إلهنا يتولى ما ألقاه من الطلحات السابتة . وانظر منه الإمام أحمد : ٧٠/٥ .

(٤) سند الإمام أحمد : ٢٧٤/١ و ٢٩٤ .

(٥) كانوا يرون أن يومر الملائك ليسل أمراءه وما تحت الإزار ، فصب فضائه حل للملئ ، يستغفون بذلك ، فأمرهم الله - عليه السلام - أن لا يمتنعوا عن الاعتصام بهذا أربعة منهم ذلك .

(٦) مسلم، كتاب السلام، ٤، باب: «الطه والمراسم والرقع»، ١٣/٧ - ١٤.

(٧) الحامية : كل ذات سر يقتل .

(أ) ما بين القوسين من البيانات السابقة ، ومكانه يراعى في الخطوة .

(٩) البخاري ، كتاب الأنبياء : ١٧٨/٤ - ١٧٩ . وثقفة الأحقنى : أبواب الطب : باب ما جاء في القرية من

المين ، الحديث ٣١٣٨ : ٢٢٠/٦٠ - ٢٢١ ، وابن ماجه ، كتاب الطب ،

• ١١٦٥ هـ : ١١٦٤/٢ : ١١٦٣ هـ : الحديث

(۱۰) ما بين القوسين من متى اين ماچه ،

[سهلاً صريحاً] : قال : « من يهيمون به ؟ » قالوا : عمر بن ربيعة : قال : « حلام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبُه فليدخُلْهُ بالبركة » : ثمّ دعا بعامه فطر عامراً أن يرضعاً فينسل وجهه ويديه إلى الرقبتين ، وركبته ، ودعيتة في الرمد^(١) ، ولهره أن يصبه عليه .

قال سليمان : قال معمر ، عن الزهري : ولهم أن يكتفأ^(٢) تاء من غلظه^(٣) .

وقد رواه الثعلبي ، من حديث سليمان بن حبيبة ومالك بن أنس ، كلاهما عن الزهري ، به : ومن حديث سليمان بن ابن عينة أيضاً عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة : ويكتفأ الإثاء من غلظه . ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري ، عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف ، عن أبيه ، به . ومن حديث مالك أيضاً ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه به .

حديث أبي سعيد الخدري ، قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريري عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ من أمّين الجان وأعين الإنس . فلما نزل المؤمنان أنزلها وترك ما سوى ذلك^(٤) .

ورواه الترمذي والثعلبي ، من حديث سعيد بن بإس عن مسعود الجريري به . وقال الترمذي : حسن^(٥) .

حديث آخر ، عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صهيب ، حدثني أبو نضرة ، عن أبي سعيد : أن جرير بن أبي نضرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تشكيت يا بعد ؟ قال : نعم . قال : باسم الله أرتيك ، من كل شيء يؤتيك ، من شر كل نفس وعين يشفقك ، باسم الله أرتيك^(٦) .

ورواه عن صفان ، عن عبد الوارث ، مثله^(٧) . ورواه مسلم وأهل السنن - إلا أبا داود - من حديث عبد الوارث به^(٨) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا صفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد - أو : عن جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . - اشتكى ، فأتاه جرير قال : باسم الله أرتيك ، من كل شيء يؤتيك ، من كل حديد وعين يشفقك^(٩) .

(١) قيل المراد به : طرف الأزار . وقيل : موضع من أبله . وقيل : اللودك . وقيل : اللدك .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « العين » ، الحديث ٣٥٠٩ : ٣٥٠٩/٢ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « من استرق من العين » ، الحديث ٣٥١١ : ٣٥١١/٢ .

(٤) تحفة الأحوص ، أبواب الطب ، باب « وما جاء في الرقية للمؤمنين » ، الحديث ٢١٣٥ : ٢١٨/٦ . وقال الترمذي -

كما في تحفة الأحوص - : حسن غريب .

(٥) سنن الإمام أحمد : ٢٨/٣ .

(٦) سنن الإمام أحمد : ٥٦/٣ .

(٧) مسلم ، كتاب السلام ، باب « القلب والمرص والرق » : ١٣/٧ . وتحفة الأحوص ، أبواب الجنائز ، باب « ما جاء

في التعوذ بالبرية » ، الحديث ٩٧٩ : ٤٦/٤ - ٤٧ . وابن ماجه ، كتاب الطب .

(٨) سنن الإمام أحمد : ٧٥/٢٢ .

ورواه أيضاً ، عن محمد بن عبد الرحمن البقاعي ، عن داود ، عن أبي ثعلبة ، عن أبي سعيد ، به (١) :

قال أبو زهرة الرازي : روى عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد البر [عن أبي ثعلبة] ، وعن عبد البر (٢) [عن أنس ، في سنه ، وكلاماً صحيح (٣)] .

حدثني أبي هُرَيْرَةَ قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن هَمَّامِ بْنِ مِهْزَنٍ قال : حلنا ما حدثنا أبو هُرَيْرَةَ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إِنْ لَيْتَ حَتَّى (٤) » .

أخرجاه من حديث عبد الرزاق (٥) .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن عُلَيْيَةَ ، عن الجُرَيْرِيِّ ، عن مُعَاوِيَةَ بْنِ حَزْرَةَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لَيْتَ حَتَّى (٦) » ، فردد به ،

ورواه أحمد ، عن إسماعيل بن عُلَيْيَةَ ، عن سعيد الجُرَيْرِيِّ (٧) ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور - يعني ابن يزيد - عن مكحول ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْتَ حَتَّى ، وَبَحْشُرَهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ (٨) » .

وقال أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس : سئل أبو هُرَيْرَةَ : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة في ثلاث ؟ في المسكن والقرى والراة ؟ قال قال : قلت : « إِذَا أَتَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِ يَتْلُ ! وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « [أَصْدَقُ] الطيرة القائلُ ، وَلَيْتَ حَتَّى (٩) » ،

حدثني أمية بنت صُمَيْسَ ، قال الإمام أحمد : حدثنا صفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عُرْوَةَ بْنِ طَاوُسٍ ، عن حُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيِّ قال : قالت أمية : يا رسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين ، لأفسق لم ؟ قال : « نعم ، فلو كان شيء يسبق القتل لسبقته العين (١٠) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٥٨/٣ .

(٢) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٣) انظر سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب : ما جاء في الفرق .

(٤) مسند الإمام أحمد من حديث طويل : ٣١٨/٢ - ٣١٩ .

(٥) البقاعي ، كتاب الطب ، باب : العين ، ١٧١/٧ . وسلم . كتاب السلام ، باب : القلب والمرض والرق : ١٢/٢ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب : العين ، الحديث ٣٥٠٧ : ١١٠٩/٢ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٨٧/٢ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٢٣٩/٢ .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٢٨٩/٢ .

(١٠) مسند الإمام أحمد : ٤٢٨/٦ .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة ، به . ورواه الترمذي أيضاً والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، من معمر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عروة بن حمير ، عن عبيد بن رفاعه ، عن أسماء بنت عيسى ، به : وقال الترمذي : حسن صحيح (١) .

حديث عائشة رضي الله عنها ، قال ابن ماجه : حدثنا علي بن أبي الخصيب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، ومعمر عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شداد ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترق من العين (٢) ، ورواه البخاري عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد بن خالد ، به . وأخرجه مسلم من حديث سفيان وميمون ، كلاماً من معبد به (٣) ثم قال ابن ماجه :

حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا أبو هشام المزني ، حدثنا وهيب ، عن أبي واقد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «استميلوا بالله ، فإن العين حق» . فردد به (٤) . وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يرمي العين فيوضاً ويصل من السبعين (٥) .

حديث سهل بن حنيف ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أبو أرويس ، حدثنا الزهري ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف : أن أباه حدثه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخزكر - من البجعة - اختل سهل بن حنيف - وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة ، فهو بين عيني كعب - وهو يتصل ، فقال : ما رأيت كال يوم ولا جلد مذهباً . فلطم سهل ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقبل له : يا رسول الله ، هل لك في سهل . وانه ما يرفع رأسه ولا يفتح ، قال : «هل تهمون فيه من أحد ؟» قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فهدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامراً ، فنفث عليه ، وقال : «هلا قتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يهيجك بركت ؟» ثم قال له : اغسل له - فقبل وجهه وشبهه ومرفقيه وأطراف وجليه ودخلته إزفره في قدح - ثم صب ذلك الماء عليه . يهينه (٦) رجل على رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكأ القنح وراه . فقبل ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس به بأس :

(١) تحفة الأوسى ، أبواب الطب ، باب «ما جاء في الرقية من العين» ، الحديث ٢١٣٦ - ٢١٣٧ / ١ - ٢١٩ - ٢٢٠ .

وسن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب «من استرق من العين» ، الحديث ٣٥١٠ - ١١٦٠ / ٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ، في الكتاب واليهاب للمتقين ، الحديث ٣٥١٢ - ١١٦١ / ٢ .

(٣) البخاري ، كتاب الطب ، باب «وقية العين» ، ٧ / ١٧١ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب «استمبال الرقية من العين والتملة والحمة والنفرة» ، ١٧ / ٧ - ١٨ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب «العين» ، الحديث ٣٥٠٨ - ١١٥٩ / ٢ . هذا وفي المخطوطة : «فإن النفس» .

(٥) والتمت عن سنن ابن ماجه .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب «ما جاء في العين» . هذا وقد وقع قريب هذا الحديث النقط التي نهينا عليه .

(٧) في المخطوطة : «فصبه» . والتمت عن المست .

حديث عمر بن ربيعة ، قال الإمام أحمد في مسند عمر : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عيسى ، عن أمية ^(١) بن هند بن سهل بن حنيف ، عن عبد الله بن عمر قال : أتلقى عمر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الفصل ، قال : فأتلفا يتحسان ^(٢) . قال : فوضع عمر حبيته كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بهن ، فترك للماء يتسلك ، قال : فسمعت له في الماء فرقة ، فأتيته فتأديه ثلاثاً فلم يجبي . فأتيته التي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، قال : فجاء عني ضحاض للماء كأنني أنظر إلى بياض ساقيه ، قال : فغضب صدره بيده ثم قال : « اللهم ، اصرف عنه حرها وبردها ووضئها » ^(٣) . قال : همام . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا رأى أحدكم من لحيه ، أو من نفسه أو من ماله ، ما يجهه ، فليتركه ، فإن العين حق » ^(٤) .

حديث جابر ، قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو خالد ، حدثنا غالب بن حبيب ، ابن عمرو بن سهل الأنصاري - ويقال له : ابن الضجيج ^(٥) ، ضجيج حزة - رضي الله عنه - حدثني عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » .

قال البزار : يني العين : قال : ولا تعلم يروى هذا الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا بهذا الاستاد : قلت : بل قد روى من وجه آخر عن جابر ، قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الحروي - المعروف بشكر - في كتاب المصائب ، وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة ، حدثنا الرهاوي ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا علي بن أبي حنيفة ، حدثنا محمد بن المنذر ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « العين حق فتورد الرجل هب ، والجميل القدر ، وإن أكثر هلاك أمتي في العين » .

ثم رواه عن حبيب بن أيوب ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنذر ، عن جابر [قال] : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قد تدخل العين في القبر ، وتدخل الجسم القبر » .

حديث عبد الله بن عمرو ، قال الإمام أحمد : حدثنا ثنية ، حدثنا رسلان بن سعد ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن أبي ربيعة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا صدوى ولا طيرة ، ولا حكمة ولا حسنة ، والعين حق » ^(٦) . فرده أحمد .

حديث عن علي ، روى الحافظ ابن حساكر من طريق عتيمة بن سليمان الحافظ : حدثنا هيب بن محمد الكندي ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري ، عن أبي رجاء ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي : أن

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٨٦/٣ - ٤٨٧ .

(٢) التمر - بفتحين - : كل ما ترك من حجر أو غيره لغيره .

(٣) الرطب - بفتحين - : دوام الوجع وزوجه .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧/٣ .

(٥) وذلك أن سبلا استبد بهدح حصة ففقد له جنبه . انظر للمرجح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٩١/٢٢٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٢/٢ .

جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فوافقه مئنا ، فقال : يا محمد ، ما هذا الفم الذي أراه في وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتها عين » : قال : صدق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا حوتهما هؤلاء للكلمات ؟ قال : « وماهن يا جبريل ؟ » : قال : قل : اللهم ذا السلطان العظيم ، [ذا اللين]^(١) المقدم ، ذا الوجه الكريم ، ولى الكلمات الثابتات ، وللدعوات المستجابات ، حلف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . قلنا النبي صلى الله عليه وسلم ، قداما يلعبان بين يديه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عَوَدُوا أَنْتُمْ ونساءكم وأولادكم بهذا التصيد ، فإنه لم يعود المصودون بالله » .

قال الخطيب البغدادي : فقد بروايته أبو رجاء محمد بن حبيب الله الحبلي من أهل ثُمْتَر ٧ ذكره ابن عساکر في ترجمة « طراد بن الحسين » من تاريخه^(٢) :

وقوله : « ويقولون : إنه لجنون » ، أي : يزدعونه بأصينهم ويؤذونه بألستهم ، ويقولون : « إنه لجنون » ، أي : لحيته بالقرآن : قال الله تعالى : (وما هو إلا ذكر للعالمين) ،

[آخر تفسير سورة (ن) والله اعلم]

(١) ما بين القوسين من تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر . ومكانه يوافق في المطبوعة .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ، ميكرو فيلم بمعد المطبوعات العربية بمجلة الدول العربية ، برقم ١٢٥ تاريخ ، الجزء الخامس من مكتبة أحمد الثالث .

تفسير سورة الحاقة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أُدْرِكُ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ ۝ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَى ۝ فَأَتَاهُمُ الْكَلْبُ الْبَاسُ ۝ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَفَرَهَا عَنِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَتْ أَيَعُ حُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْعَى ۝ كَانَتْ أَجْزَارًا حُلًى خَالِيَةٍ ۝ فَهَلْ رَرَى لَمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝ وَبَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ۝ فَأَخْلَاهُ رِجْسًا ۝ فَصَوَّرَ رَسُولٌ بَرٌّ ۝ فَأَخْلَاهُمْ أَخْلَةً رَاسِيَةً ۝ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتِ كُرْسِيُّ الْجَارِثَةُ ۝ لِنَجْعَلَهَا لُكْرًا عَذْرَاءً ۝ وَنَبِيعًا آذُنًا وَرِيَّةً ۝

الحاقة من أسماء يوم القيامة ، لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ، ولما عظم تعالى أمرها قال : (وما أدراك ما الحاقة ؟) .

ثم ذكر تعالى إهلاك الأمم المكذبة بها فقال تعالى : (فلما ثمود ظالموا بالطاغية) ، وهي الصيحة التي ألسنتهم ، والفرقة التي ألسنتهم . هكذا قال قتادة : الطاغية الصيحة . [وهو اختيار ابن جرير (١)] .

وقال مجاهد : الطاغية اللغوب . وكذا قال الريح بن أنس ، وابن زيد : إنها الطغيان ، وقرا ابن زيد : (كذبت ثمود بطغواها) .

وقال السدي : (فأهلكوا بالطاغية) ، قال : بنى حائر التافة ؛

(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) ، أي : باردة . قال قتادة ، والريح ، والسدى ، والورى : (عاتية) ، أي : شديدة الجرب . قال قتادة : حنت عليهم حتى نكبت (٢) من أنفسهم .

وقال الضحاك : (صرصر) : باردة ، (عاتية) : حنت عليهم بغير رحمة ولا بركة . وقال علي (٣) وغيره : عنت على الخزنة فخرجت بغير حساب .

(١) ما بين القوسين من الكلمات السابقة . وانظر تفسير البكري : ٢٩/٢١ .

(٢) أي : كفلت .

(٣) هو علي بن أبي طالب ، وانظر أثره في تفسير البكري : ٢٩/٢٢ .

(مفرها عليهم) ، أى : سلطانا عليهم (سبع ليال ونماتة أيام حسوما) ، أى : كواهل متتابعة مشام .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وعجمد ، وعكرمة ، والقرئى ، وغير واحد : (حسوما) : متتابعات .

وعن عكرمة والريح : مشام عليهم ، كتوله : (في أيام نحسات) - قال الريح : وكان أولها الجمعة - وقال غيره : الأربعاء - وقال : إنها لتي تسميها الناس الأصحار : كان الناس أضلوا ذلك من قوله تعالى : (فرى القوم فيها صرعى ، كأنهم أمحجل نخل خاوية) : وقيل : لأنها تكون في حيز الشتاء ، وقال : أيام المجوز ، لأن صجوزا من قوم عاد دخلت سربا فظلتها الريح في اليوم الثامن - حكاه البخارى : والله أعلم .

قال ابن عباس : (خاوية) : شربة - وقال غيره : بالية . أى : جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرب ميتا حل ثم رمسه ، فيشذب رأسه وتبين جهة هالمة كأنها قائمة للثقل إذا غربت بلا أفصان .

وقد ثبت في الصحيحين ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «لُصِرْتُ بِالصِّبَا ، وَأُهْلِكْتُ بِحَادٍ بِاللَّيْلِ» (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو ، حدثنا عبد بن يحيى بن القريش السبلى ، حدثنا ابن فضال ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ما فتح الله على أحد من الريح أحد من أملاكها إلا مثل موضع إصبع» ، فسرت بأهل البادية فحملتهم ومواسيم ولؤلؤهم ، فحملتهم بين السيل والأرض . فلما رأى ذلك أهل الحاضرة الريح وما إليها قالوا : هذا عارض عابرنا . فأثقت أهل البادية ومواسيمهم حل أهل الحاضرة (٢) .

وقال القرئى عن : لث ، عن مجاهد : الريح طاجستان وخبه .

(فول ترى لم من بالية ؟) ، أى : هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أنه من يتسبب إليهم ؟ بل يلهوا عن كفرهم ، ولم يحل الله لهم حنكنا .

ثم قال تعالى : (وجاء فرعون ومن قبله) : قرئ بكسر القاف ، أى : ومن قبله في زمانه من أبائهم من قبل القبط وفرعون أيضا ، أى : ومن قبله من الأمم للشبهين له .

وقوله : (وللوفسكت) ، وهم الأمم للكلبيون بالرسول (بالطامة) ، أى : بالطامة للطامة ، وهى التكليب بما أنزل الله .

قال الريح : (بالطامة) ، أى : بالسمية : وقال مجاهد : بالطلايا .

ولما قال : (انصروا رسوك وهم) : وهذا جنس ، أى : كل كذب رسول الله إليهم : كما قال : (إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد) (٣) . ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع ، كما قال : (كذب قوم نوح المرسلين) (٤) .

(١) تقدم الحديث عند تفسيره الآية الحادية والأربعين من سورة القاريات ، وغرجه ذلك ، انظر ص ٦٠٠ .

(٢) انظر تفسير الآية الرابعة والعشرين من سورة الأحقاف ص ٧٧١/٧٧٢ .

(٣) سورة هود آية ١٤ .

(٤) سورة الشعراء آية ١٢٥ .

(كلمت هاد المارلين) (١) (كُتِبَ بُرُودُ الْمُرْسَلِينَ) (٢) : وَإِنَّا جَاءَهُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ وَاحِدٌ ، وَلَمَّا قَالَ هَاهُنَا : (فصبروا وصول ورجع فأخذهم أخذة رابية) ، أَيْ : عظيمة شديدة : أَلِيمة .

قَالَ جَعْلَدٌ : (وَابِيَّةٌ) : شَدِيدَةٌ ، وَقَالَ السُّدِّيُّ : مَهْلِكَةٌ :

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّا لَأَطْنَى لِمَاءٍ) ، أَيْ : زَادَ عَلَى الْجَدِّ يَأْتُنْ اللَّهُ وَارْتَجَعَ عَلَى الْوُجُودِ - قَالَ ابْنُ حِبَّاسٍ وَخَبْرُهُ : (طْنَى لِمَاءٍ) : كَثُرَ - وَفَلَكٌ بِسَبَبِ دَعْوَةِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى قَوْمِهِ حِينَ كَلِمَتِهِ وَخَالَفَهُ ، فَعِيلُوا غَيْرَ اللَّهِ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَحَسَمَ لَعْلُ الْأَرْضِ بِالنُّطْرَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ ، فَالْأَنَاسُ كُلُّهُمْ مِنْ سَلَالَةِ نُوحٍ وَقَرْنُهُ :

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ ، عَنْ أَبِي سَنَانٍ سَعِيدِ بْنِ سَنَانَ ، عَنْ خُبْرٍ وَاحِدٍ ، عَنْ حُلِيِّ بْنِ أَبِي مَالِكٍ قَالَ : لَمْ يَتْرَكْ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ إِلَّا يَكْبَلُ عَلَى يَدَيْ مَالِكٍ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ نُوحٍ أَذْنُ الْمَاءِ دُونَ الْخِزْلَانِ ، فَطْفَى لِمَاءُ عَلَى الْخِزْلَانِ (٣) فَخَرَجَ ، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ (إِنَّا لَأَطْنَى لِمَاءٍ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) ، وَلَمْ يَتْرَكْ شَيْءٌ مِنَ الرِّيحِ إِلَّا يَكْبَلُ عَلَى يَدَيْ مَالِكٍ ، إِلَّا يَوْمَ هَادٍ ، فَاتَهُ أَذْنُ خَا دُونَ الْخِزْلَانِ فَخَرَجَتْ ، فَلَمَّا قَالَ : (بَرِّحْ صَرْصَرٌ عَاتِبَةٌ) : عَتَتْ عَلَى الْخِزْلَانِ (٤) ،

وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى مَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ : (إِنَّا لَأَطْنَى لِمَاءٍ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) ، وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْجَارِيَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، (لَنُجِيبَنَّكُمْ تَذَكُّرَةً) هَادٍ الضَّمِيرُ عَلَى الْجِنْسِ لِلدَّلَالَةِ لِمَعْنَى عَلَيْهِ ، أَيْ : وَأَيُّهَا لَكُمْ مِنْ جَنْسِهِمَا تَرْكُوبٌ عَلَى تَبَارُكٍ لِمَاءٍ فِي الْبَحَارِ ، كَمَا قَالَ : (وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ مَا تَرْكُوبُونَ) فَاصْبِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكُّرُوا تَعْمَةً رَيْكَمٍ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ (٥) . وَقَالَ تَعَالَى : (وَأَيُّهَا لَمْ أَنَا حَمَلْنَاكُمْ فَرْطُهُمْ فِي الْقَلْبِ لِلشَّحُونِ ، وَخَلَقْنَاكُمْ مِنْ مِطْهِ مَا يَرْكُوبُونَ) (٦) .

وَقَالَ تَنَادَةُ : أَبْقَى اللَّهُ السَّفِينَةَ حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَّلُ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٧) . وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ ، وَلَمَّا قَالَ : (وَنَبِيَّهَا أَذْنُ وَاعِيَةٍ) ، أَيْ : وَنَبِيَّهَا هَذِهِ الْبَعِثَةُ ، وَتَذَكُّرُهَا أَذْنُ وَاعِيَةٍ :

قَالَ ابْنُ حِبَّاسٍ : حَافِظَةٌ شَامِعَةٌ . وَقَالَ تَنَادَةُ : (أَذْنُ وَاعِيَةٍ) : عَقَلَتْ عَنْ اللَّهِ فَانْقَضَتْ عَمَّا سَمِعَتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ : (وَنَبِيَّهَا أَذْنُ وَاعِيَةٍ) : سَمِعَهَا أَذْنُ وَادَعَتْ (٨) . أَيْ : مَنْ لَهُ سَمْعٌ صَاحِبٌ وَعَقْلٌ رَجِيعٌ . وَهَذَا هَامٌ فِيمَنْ لَهُمْ ، وَوَحْيٌ :

(١) سورة الشعراء : آية : ١٢٣ .

(٢) سورة الشعراء : آية : ١٤١ .

(٣) فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ : «عَلَى الْجِبَالِ» .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ٢٩/٢٢ .

(٥) سورة الزخرف : آية : ١٣ - ١٤ .

(٦) سورة يس : آية : ٤١ - ٤٢ .

(٧) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ٢٩/٣٠ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة العسقلاني ، حدثنا ابن عباس بن الوليد بن صبح العسقلاني ، حدثنا زيد بن يحيى ، حدثنا علي بن حوشب ، سمعت مكحولاً يقول : لا تزال على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (وتبها أذن واحة) ، قال رسول الله : « سألت ربى أن يجعلها أذنً عكياً » . فكان عكياً يقول : ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً قط فنبهه .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن علي بن مهزيب ، عن الوليد بن مسلم ، عن علي بن حوشب ، عن مكحول ، به . وهو حديث موثق .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا جعفر بن محمد بن عامر ، حدثنا بشر بن آدم ، حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد - يعني والد أبي أحمد الزبيرى - حدثني صالح بن الحليم (١) ، سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلى : إني أكره أن أدنيك ولا أقصيك ، وأن أملكك وأن تمى ، وحتى لك أن عمى . قال : فترت هذه الآية : (وتبها أذن واحة) .

ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف ، عن بشر (١) بن آدم ، به . ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن [أبي] داود الأعمى ، عن بريدة ، به . ولا يصح أيضاً .

فَلَمَّا نَفَخْ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ۖ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّدَتْ لَهُمْ وَاحِدَةً ۖ فَبُورِثَتْ وَقَعَتْ الرِّقَعَةُ ۖ وَالنَّفْثُ السَّمَاءُ فَبُورِثَتْ وَاحِدَةً ۖ وَالنَّحْكَ عَلَىٰ أَرْجَائِهِا وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ كُتَيْبَةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ

يقول [طائفة غيرا] من أحوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة النفخ ، ثم بعدها نفخة الصبغ حين يصبغ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور ، وهى [هذه] النفخة ، وقد أكتها هاتما تأها واحدة ، لأن أمر الله لا يخالف ولا يانع ، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيده .

وقال الربيع : هى النفخة الأخيرة . والظاهر ما قلناه ، ولما قال هاتما : (وحملت الأرض والجبال فدككتا دكة واحدة) ، أى : فدت مكة الأديم المكناتى ، وتبددت الأرض غير الأرض ، (فيومئذ وقعت الواقعة) ، أى : قامت القيامة : (والنفثت السماء فى يومئذ واحة) - قال سيبويه ، عن شيخ من بني أسد ، عن علي قال : تنشق السماء من الجيرة : رواه ابن أبي حاتم ،

وقال ابن جرير : هى كقوله : (وضعت السماء فكانت أبرابا) (٢) ،

(١) سنة الحديث في تفسير الطبري : ٢٩ / ٣٦ - ٣٧ : « ثنا عبد الله بن الزبير قال : قال عبد الله بن عمر قال : سمعت بريدة -

(٢) سورة طه : آية ١٦ .

وقال ابن عباس : مشفرة (١) ، والعرش جلالتها .

(والملاك على أرجائها) : الملك : اسم جنس ، أى : للملائكة على أرجاء السماء :

قال ابن عباس : على ما لم يَر منه (٢) [أى : حافظاً] (٣) . وكلما قال سعيد بن جبلة ، والأوزاعي . وقال الضحاك : أطرافها . وقال الحسن البصري : أبوابها . وقال الربيع بن أنس فى قوله : (والملاك على أرجائها) ، يقول : على ما استقر من السماء ، ينظرون إلى أهل الأرض .

وقوله : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ، أى : يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة . ويحمل أن يكون للراد بها [العرش العرش] العظيم ، أو : للعرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لتصل القصد ، والله أعلم بالصواب . وفى حديث عبد الله بن عمرو ، عن الأصم بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، أن ذكر حكمة العرش أنهم ثمانية أوعال (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد يعقوب بن سعيد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو السمع البصري ، حدثنا أبو تيبيل حبيب بن هاني : أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ، ما بين مؤق (٥) ليحملن إلى مؤنسر فيه مسيرة مائة عام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : كتب إلى أحمد بن حفص بن عبد الله الليثي بوري : حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أذن لي أن أحدثكم من ملك من حملة العرش ، بعد ما بين شحمته أذنه وعقبة مخرج أطير سبعائة عام» .

وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات . وقد رواه أبو داود فى «كتاب السنة» من سننه : حدثنا أحمد بن حفص ابن عبد الله ، حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش : أن ما بين شحمته أذنه إلى حافته مسيرة سبعائة عام» . هذا فقط فى طوذه (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن الليرة ، حدثنا جرير ، عن أنس ، عن جعفر ، عن سعيد ابن جبلة فى قوله : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) . قال : ثمانية صفوف من الملائكة . قال : ورؤى عن الششي ، والضحاك ، وابن جريج ، مثل ذلك . وكلما روى السدى عن [أبي] مالك ، عن ابن عباس : ثمانية صفوف ، وكلما روى الثوري ، عنه .

(١) فى تفسير الطبري ٣٦/٢٩ : «مشفرة جميلة» .

(٢) تفسير الطبري : ٣٧/٢٩ .

(٣) ما بين قوسين من الكلمات السابقة . ومكانه فى المخطوطة : «وقال» .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية السابقة من سورة فاطر وعريته هناك ، انظر : ١٢٩/٧ .

(٥) مؤق ابن - يتم فسكون - : مؤنسر ما . وماؤها يتبع فسكون - : حلقها .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب : «فى الحجارة» .

وقال الضحاك ، من ابن عباس : الكُروبيون (١) ثمانية أجزاء ، كل جنس منهم بقدر الإنس والجن والشياطين والملائكة .

وفوله : (يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخِفْ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) ، أى : تعرضون على علم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شئ . من أموركم ، بل هو علم بالظواهر والسرائر والغياب . ولهذا قال : (لَا تَخِفْ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) .

وقد قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا إسحاق بن إسماعيل ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن برقان ، عن ثابت ابن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ووزوا أنفسكم قبل أن تؤزكروا ، فإنه أخف عليكم فى الحساب خدا أن تحسبوا أنفسكم اليوم ، وتؤزكروا الغرض الأكبر : (يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخِفْ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا علي بن علي بن رفاعه ، عن الحسن ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجذل ومغدير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيادي ، فتكتب بيمينه وتخط بشماله (٢) » .

ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع (٣) ، به . وقد رواه الترمذى عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن علي بن علي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، به (٤) .

وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن سليمان بن حبان ، عن مروان الأصغر ، عن أبي وال ، عن حيد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : [عرضتان] مغدير وخصومات ، وللعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأيادي : ورواه سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة مرسلا ، مثله (٥) .

فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابُ يَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ ۖ إِلَى طَلَنْتُ إِلَى مَلَكِي حَسْبِيَةَ ۖ هُوَ فِي جَنَّةٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ تَطُوفُهَا جَانِيَةٌ ۖ كَلَّا وَالْقُرْءَانُ هَيْجَاتٌ يَمَّا أَسْلَمْتُ فِي الْأَيَّامِ الْأَلْكَلِيَةِ ۖ

غير تعالى عن سعادة من أوفى كتاب يمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من قبله : (هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ) ، أى : خلوا أقروا كتابي ، لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات حميدة ، لأنه بمن يبدل الله سيئاته حسنات .

(١) الكروبيون : سادة الملائكة المقربين .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤١٤/٤ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الميت ، الحديث ٤٢٧٧ = ١٢٣٠/٢ .

(٤) تحفة الأوسى : أبواب القيلة ، باب ما جادى الغرض ، الحديث ٢٠٤٢ = ١١١٤٧ - ١١٢ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٨٤/٢٩ .

قال عبد الرحمن بن زيد : معنى (هاؤم اقموا كبايه) أى : ها اقموا كبايه ، و : هاؤم : زائلة ، كذا قال ، والتأخر أنها تنحى : هاكم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا بشر بن معمر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنسنا عاصم الأحول ، عن أبي عثمان قال : للؤمن بطل كبايه في صر من الله ، فيقرأ سيناه ، فكلمنا قرأ سيناه فغير لونه حتى يمر بحسناكه فيفروها ، فيرجع إليه لونه . ثم ينظر فلذا سيناه قد بددت حسنت ، قال : فشد ذلك يقول : هاؤم اقموا كبايه .

وحدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا موسى بن حبيدة ، أنسنا عبد الله ابن عبد الله بن حنظلة - غسيل لللالة - قال : إن الله يكيف عبده يوم القيامة فيبدى سيناه في ظهر صحيفته ، فيقول له : أنت حملت هذا ؟ فيقول : نعم ، أى رب . فيقول له : إني لم أفضحك به ، وإني قد فطرت لك : فيقول عند ذلك : (هاؤم اقموا كبايه ، إني فطنت إني ملاق حسايه) ، حين نجا من فتنه يوم القيامة .

وقد قدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن التجوى ، فقال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يدق الله البعد يوم القيامة ، فيفروه بلغوه كلها ، حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله : إني سرتنا عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يطوى كتاب حسناكه يمينه ، وأما الكافر والملائق (فيقول الأشهداء : هؤلاء الذين كنتموا على وجههم ، ألا لمة الله على الظالمين) » (١) .

وقوله : (إني فطنت إني ملاق حسايه) ، أى : قد كنت موقفا في الدنيا أن هذا اليوم كان لا محالة ، كما قال : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) (٢) .

قال الله : (فهو في حبة راضية) ، أى : مرضية ، (في حبة عالية) ، أى : رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعمة دورها ، دائم حورها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عبيدة الحسن بن علي بن مسلم السكوني ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة قال : سألت رجلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هل يتردد أهل الجنة ؟ قال : « نعم ، إنه يهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى ، فيجيئهم ويسلمون عليهم ، ولا يستلجج أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى ، فصرهم أعالم » .

وقد ثبت في الصحيح : « إن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » (٣) .

وقوله : (فطروها عالية) ، قال البراء بن عازب : أى قرية ، يتناولها أحلم ، وهو نائم على سريرته ، وكذا قال غير واحد .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثانية عشرة من سورة هود ، وخرجناه هناك ، انظر : ٢٤٧/٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٤٦ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير الآية السادسة والتسعين من سورة النساء ، وخرجناه هناك ، انظر : ٢٤٧/٤ .

قال الطبراني ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنس ، عن عطاء بن يسار ، عن سلمان القاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله لقلان بن فلان ، أدخلوه الجنة عالية ، قطفوها ذاتية » .

وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعد بن سعيد ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سليمان ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، هذا كتاب من الله للورث الحكيم لقلان ، أدخلوه الجنة عالية ، قطفوها ذاتية » .

وقوله « (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) ، أي : يقال لم ذلك ، لفضلا عليهم ، وامتناناً وإعانة وإحساناً : وإلا قد ثبت في الصحيح ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « اعملوا وسدوا وقاربوا (١) ، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغشاني الله برحمته منه وقضى » (٢) .

وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَسِبَ بِإِسْمِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأَوْتُ كِتَابِيَّةً ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَدْرِمَ مَا حَسَابِيَّةً ﴿١٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتْ
الْقَائِنِيَّةُ ﴿١٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي ﴿١٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿١٩﴾ خَلَّوْهُ فَقُلُوهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمُ صَلْوُهُ ﴿٢١﴾
ثُمَّ فِي سِلَاسٍ ذُرْعَاهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِإِلَهِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ وَلَا يَحْصِي عَنْهُ
عُلَمَاءُ الْيَسِينِ ﴿٢٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا عِلْمُ الْإِيمَانِ غَسِيلٌ ﴿٢٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٢٧﴾

وهذا إخبار عن حال الأتقياء إذا أعطى [أحسن] كتابه في المصاحبات بشأله ، فيجئهم بتم غاية التتم ، فيقول :
(يا ليتني لم أوت كتابي ، ولم أدر ما حسابي ، يا ليتما كانت القاضية) .

قال الضحاك : يعني مودة لا حياة بعدها : وكلما قال محمد بن كعب ، والريح ، والسملى .

وقال ثالثة : تعني الموت ، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه (٣) .

(ما أغنى عنى ماله ، هلك عنى سلطانى) ، أى : لم ينفع عنى مالى ولا جاعى جلبات الله وبأسه ، بل خسر الأمر
للى وحلى ، فلا معنى لى ولا جبر : فمتعها يقول الله عز وجل : « خلّوه فظلوه » ثم الجسم صلوه) ، أى : يأمر
الربانية أن تخلصه حقيقاً من الخسر ، فتخلصه ، أى : تضع الأغلال في عنقه ، ثم تؤوده إلى جهنم فصلبه لإيادها ، أى :
تفترق فيها .

(١) تقدم شرحه في : ٣٨٦/٥ .

(٢) البزارى ، كتاب الرقاق ، باب : التصدق والمداومة على العمل : ١٢٣/٨ ، وسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،
باب : أن يدخل أحد الجنة يسره ، بل يرسله الله تعالى : ١٤٠/٨ - ١٤١ .

(٣) تفسير الطبراني ، ٢٩/٢٩ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خنانه ، عن عمرو بن قيس ، عن النعمان بن عمرو قال : إذا قال الله - عز وجل - : خذوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول (١) هكذا ، فيبقى سبعون ألفاً في النار .

وروى ابن أبي الدنيا في «الأحوال» : إنه يطره أربعمائة ألف ، ولا يبقى شيء إلا دكته ، فيقول : مالي ولك ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان ، فكل شيء غضبان عليك .

وقال القفال - هو ابن عباس - : إذا قال الرب - عز وجل - : خذوه فخذوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، أيهم يعمل القتل في صفه :

(ثم الجحيم صلوه) ، أي : المجره فيها ،

وقوله : (ثم في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً فأسلكوه) - قال كعب الأحبار : كل حلقة منها لذر حديد الدنيا .

وقال العمري عن ابن عباس ، وابن جريج : بلزاع الملك . وقال ابن جريج ، قال ابن عباس : (فأسلكوه) : تدخل في أسفه ثم يخرج من فيه ، ثم يظنون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يثوي :

وقال العمري ، عن ابن عباس : يسلك في فيه حتى يخرج من منخره ، حتى لا يقوم على رجله (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا حيد الله ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمع ، عن عيسى ابن حلال الصديقي ، عن حيد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن رجلاً وصمته (٣) مثل هذه - وأشار إلى [مثل (٤)] جُمُجُمَة - أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة ، ليلفت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسلوت أربعين خريفاً إلى الليل ولتتهار ، قيل أن تبلغ قعرها (٥) أو أصلها (٦) » .

وأخرج الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن حيد الله بن المبارك ، به . وقال : « هذا حديث حسن (٧) » .

وقوله : (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) ولا يخشع على طعام للسكين) ، أي : لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفق خلقه ويؤذي حقهم ، فإن الله على العباد أن يرحمهم ولا يشركوا به شيئاً ، وللعباد بعضهم على بعض

(١) يطلق القول في الآية على جميع الأفعال .

(٢) تفسير الطبري : ٤٠٧/٢٩ .

(٣) أي : حلقة من الرماح .

(٤) ما بين القوسين من المسند والترمذي . والصيغة : فتح صغير .

(٥) أي : نهاية السلسلة .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٩٧/٢ .

(٧) نسخة الأحرشي ، أبواب صفه جهنم ، باب ما جاء في صفه طعام أهل النار ، الحديث ٢٧١٤ ، ٣١٢١ - ٣١٤ .

عن الإحسان والملازمة على البر والتقوى : ولما أمر الله بإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وبقيس النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : « والصلاة ، وما ملكت أيمانكم » (١) .

وقوله : (فليس له اليوم هاهنا حميم) ولا طمام إلا من ضلين . لا يأكله إلا الضالون) ، أي : ليس له اليوم من ينقله من حطاب الله ، لا حميم - وهو القريب - ولا ضفيح يطاع ، ولا طمام له هاهنا إلا من ضلين .

قال قتادة : هو شر طمام أهل النار : وقال الربيع ، والفسحاء : هو شجرة في جهنم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن غصنف ، عن جاهد ، عن ابن عباس قال : ما أدرى ما الضلين ؟ ولكني أظنه القوم .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الضلين : النمل ولله يسيل من لحمهم : وقال حل بن أبي طلحة عنه : الضلين : صديد أهل النار (٢) .

فَلَا أَتَيْسُم بِمَا تَبْصُرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥٧﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَقُولُ كَافِرٌ قَلِيلًا مَّا تَكْذِبُونَ ﴿٥٩﴾ تَقْرِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى متعجباً لحققة بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسماها وصفاته ، وما خلق منهم ما لا يشاهدونه من اللغات منهم : أن القرآن كلامه ووحيه وتتريل على عبده ورسوله ، الذي استقامه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، قال : (فلا أتسم بما تبصرون وما لا تبصرون : إنه قول رسول كريم) ، يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم - أمناه إليه على معنى التبليغ ، لأن الرسول من شأه أن يبلغ عن المرسل ، ولما أمناه في سورة التكوين إلى الرسول للملكي : (إنه قول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام .

ثم قال : (وما صاحبكم بمجنون) يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم - (وقد رآه بالآفاق المبين) ، يعني أن محمداً وأى جبريل على صوره التي خلقه الله عليها ، (وما هو على التيب بضنين) ، أي : عنهم ، (وما هو بقول شيطان وجيم (٣)) . وهكذا قال هاهنا (وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون . ولا بقول كافر قليل ما تذكرون) ، فأشابهه تارة إلى قول الرسول للملكي ، وتارة إلى الرسول البشري ، لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما أمناه عليه من وحيه وكلامه . ولما قال : (تقريل من رب العالمين) ،

(١) ابن ماجه ، كتاب الرسل ، باب : هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو القزعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا شريح بن حيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أنبرئ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فرجته قد سبقني إلى المسجد ، فمست خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فبعلت أصحبه من تأليف القرآن - قال : قلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش : قال : قرأ : (إنه يقول وسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون) ، قال : قلت : كاهن : قال : قرأ : (ولا يقول كاهن قليلا) ما تذكرون . تتزل من رب العالمين . ولو يقول علينا بعض الأكاويل . لأخذا منا باليمين . ثم قطعنا منه الوتين . فاما من أحدعه حاجزين) ... إلى آخر السورة ، قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع (١) .

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرة للقرعة ، وفيه الحمد .

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ① لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ② ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ③ فَمَا يَشْكُرُنَّ ④
أُحْدِثُ عَنْهُ فَجْزَيْنَ ⑤ وَإِنَّهُمْ لَنُذَكِّرُ لِلْمُتَّقِينَ ⑥ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ مَكِيدُونَ ⑦ وَإِنَّهُمْ لَخُصْرَةٌ عَلَى
الْكُفْرِينَ ⑧ وَإِنَّهُمْ لَكُلُّ الْيَقِينِ ⑨ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ⑩

يقول تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) ، أي : محمد - صلى الله عليه وسلم - لو كان كما يزعمون مقتربا علينا ، فراه في فرمال أو قصص منها ، أو قال شيئا من حته قصب إلينا ، وليس كذلك - لاحتجناه بالقرعة ، ولهذا قال : (لأخذنا منه باليمين) ، قيل : معناه لاضمتنا منه باليمين ، لأنها أشد في البطش ، وقيل : لأخذنا بيديه .

(ثم قطعنا منه الوتين) ، قال ابن عباس : وهو يباط القلب ، وهو المرقق الذي القلب ملحق فيه ، وكلما قال حكمة وسعيد بن جبير ، والحكم ، وكفانة ، والفضلك ، وسلم البطيخ ، وأبو صخر حميد بن زياد . وقال محمد بن كعب : هو القلب ومركبه (٢) وما يليه .

وقوله : (فاما من أحدعه حاجزين) ، أي : فاما بقدر أحد منكم على أن يهجر بيتا ويهه إذا أردنا به شيئا من ذلك ، والمعنى في هذا : بل هو صادق بار راشد ، لأن الله - عز وجل - يقرر له ما يلهه عنه ، مؤيد له بالمسرات الباهرات والقدالات القاطعات .

ثم قال : (وإنه لذكره لمتقين) ، يعني : القرآن ، كما قال : (قل : هو الذين آمنوا على وفاء ، والذين لا يؤمنون في آياتهم وفر وهو عليهم حمى (٣)) .

ثم قال : (وإنا نعلم أن منكم مكيدون) ، أي : مع هذا البيان والوضوح سوجد منكم من يكذب بالقرآن .

(١) منه الإمام أحمد ١٧/١ - ١٨ .

(٢) المراق : ما سئل من البطل فأنه من المرافع التي قرع جودها ، واستلما مرقم .

(٣) سورة فصلت ، آية ٤٤ هـ .

ثم قال : (وإته لحسرة على الكافرين) - قال ابن جرير : وإن التكلبية لحسرة على الكافرين يوم القيامة (١) ، وحكاه من قاعة عظه :

وروى ابن أبي حاتم ، عن طريق السدي ، عن أبي مالك : (وإته لحسرة على الكافرين) ، يقول : لتأمة ؛ ويجعل
 حود الغنم على القرآن ، أي : وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين ، كما قال : (كذلك
 سلكتاه في قلوب الجرمين ، لا يؤمنون به (٢)) : وقال تعالى : (وحيل بينهم وبين ما يشتهون (٣)) . ولعلنا قال هاهنا :
 (وإته لحن اليقين) ، أي : لغير المصدق الحق الذي لا مزية فيه ، ولا شك ، ولا ريب ،
 ثم قال : (فسيح باسم ربك العظيم) ، أي : الذي أنزل هذا القرآن العظيم ،

[آخر تفسير سورة الحاقة ، والله العبد]

(١) تفسير الجلالين : ٤٣/٢٩ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : ٢٠٠ - ٢٠٦ .

(٣) سورة سبأ ، آية : ٤٤ .

تفسير سورة سأل سائل وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِّنْ أَلَدِّ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَحَ سُجْرًا جَبِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَغْبِيلًا ⑥ وَزَنَّهُمْ
فَرِيًّا ⑦

(سأل سائل يطلب واقع) : فيه تضمن ذلك عليه حرف « الياء » ، كأنه مستند : استجيب سائل يطلب واقع . قوله (ويستصحبك بالمذاب ولن يخلف الله وعده (١)) ، أى : وعده واقع لا محالة .

قال النحاس : حدثنا بشر بن خالد ، [حدثنا] أبو أسامة ، حدثنا صفيان ، عن الأعمش ، عن لنتال بن عمرو . عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله (سأل سائل يطلب واقع) ، قال : النضر بن الحارث بن كندة .

وقال الثوري ، عن ابن عباس (سأل سائل يطلب واقع) ، قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع (٢)

وقال ابن أبي نجيب ، عن حماد بن قزوه (سأل سائل) : دعا حاج يطلب واقع يقع فى الآخرة ، قال : وهو قوله (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأسر عينا حجارة من السماء ، أو اتنا يطلب أليم) .

وقال ابن زيد وغيره (سأل سائل يطلب واقع) ، أى : واد فى جهنم ، يسيل يوم القيامة بالمذاب وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه ؛

وقوله (واقع للكافرين) ، أى : سرحد مستعد للكافرين .

وقال ابن عباس (واقع) : جاءه . لیس له دافع) ، أى : لا حائض له إذا أراد الله كونه . ولهذا قال (من الله ذى المعارج) . قال الثوري ، عن الأعمش ، عن وجبل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله (ذى المعارج) ، قال : ذو المرجات .

وقال حلى بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (ذى المعارج) ، أى : القل والقواضل ؛

وقال حماد (ذى المعارج) : معارج السماء وقال قتادة : ذى القواضل والنم .

(١) سورة الحج : آية ٤٧ .

(٢) تفسير الثعلبي : ٤٢٧/٤ .

وقوله : (صرح للملائكة والروح إليه) - قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قاعة : (الترج) ؟ تصدق ، وأما قوله فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله . يشهدون الناس ، وليسوا ناسا .

قلت : ويعتدل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب صلف الخاس على العلم . ويعتدل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم ، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث للتهال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة - قال فيه : « فلا يزال يصعد بها من مياه إلى مياه حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة » : والله أعلم بصحته ، فقد تكلم في بعض رواه ، ولكنه مشهور ، وله شاهد في حديث ابن جرير ، فها تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، من طريق ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عنه . وهذا إسناد وجاه على شرط الجماعة ، وقد بسطنا نقطه عند قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء (١)) .

وقوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قول الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر (إلى) قطر مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنسبا حكاه ، عن عُسَير بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : انتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقداره خمسين ألف سنة . ويوم كان مقداره ألف سنة . يعني بذلك تتَوَكَّل الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء والأرض مقداره مسيرة خمسين سنة .

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن حكيم بن سكم ، عن عُسَير بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس (٢) .

قال ابن أبي حاتم : وحدنا أبو ، حدثنا علي بن عبد الطناضي ، حدثنا إسحاق بن منصور (٣) ، حدثنا روح المروزي (٤) ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : غلط كل أرض خبيثة عام ، وبين كل

(١) تقدم حديث البراء وفيه حرية عند آية إبراهيم السابعة والعشرين ، وخرجناه هناك ، انظر : ٤١٧ - ٤١٢/٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٤/٢٩ - ٤٥ .

(٣) في المخطوطة : لإبراهيم بن منصور . ولم نجده ، وما أثبتته من ترجمة « نوح بن يزيد بن سيار أبي حمزة المروزي » في التكملة : ٤٨٩/١٠ . والبرج والتكملة لابن أبي حاتم : ٤٨٥/١/٤ .

(٤) في المخطوطة « والمعروف » ، وكان أصلها « المروزي » ثم أسقطوا التنوين إلى « والمعروف » ، انظر التكملة المتكلم .

أرض إلى أرض خبيثة عام ، وذلك سنة آلاف عام . وغلط كل سيء خبيثة عام ، وبين السيء إلى السيء خبيثة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السيء السابعة وبين الأرض مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، ذلك قوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) :

القول الثاني : أن المراد بذلك مدة قضاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو زرعة ، أخبرنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم ، صابها الله تعالى يوم ، (ترجع للملائكة والروح إليه في يوم) ، قال : اليوم الدنيا :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء - وعن الحكم بن أبيان ، عن عكرمة : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقداره خمسين ألف سنة ، لا يدري أحدكم متى ، ولا كم بين إلا الله عز وجل ،

القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جدا ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا بهلول بن اللوق ، حدثنا موسى بن عبيدة ، أخبرني محمد ابن كعب : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ،

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن ستان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن مياك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح : ورواه الثوري عن مياك بن حرب ، عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : يوم القيامة . وكنا قال الضحاك ، وابن زيد ، وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ترجع للملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : (فهذا (١) يوم القيامة ، جعله الله على الكافرين مقداره خمسين ألف سنة ،

وقد وردت أحاديث في معنى ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لبيبة ، حدثنا دراج ، عن أبي الليث ، عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : ما أطول هذا اليوم ! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أنصف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا (٢) ،

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ٢٩/٢٠٤ .

(٢) سنة الإمام أحمد ٧٥٤/٤ .

ورواه ابن جرير : عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن جراح ، به (١) . إلا أن ذكره وشيخه ضيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي عمر الشُّدَّاقِي قال : كنت عند أبي هريرة فَرَجُل من بين عامر بن صعصعة ، قيل له : هذا أكثر عامري مالا . قال أبو هريرة : ودَّوه فقال : نبت أنك ذو مال كبير ؟ قال العامري : إني والله ، إن لي مائة حُمْرًا ومائة أمدًا ، حتى عد من ألوان الإبل ، وأفتان الرقيق ورباط الخيل . قال أبو هريرة : إليك وأخفاف الإبل وأخفاف النعم - يرد ذلك عليه ، حتى جعل لون العامري ينبر - فقال : ما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من كانت له إبل لا يعطي حنظلًا في نجسها ورسولها » - قلنا يا رسول الله : ما نجسها ورسولها ؟ قال : « في عُسرها ويسرها - فلها تأتي يوم القيامة كأخذ » (٢) ما كانت وأكثره وأسمته وأقره (٣) ، حتى يطلع (٤) لما بقاع قرقَر ، فتلوه بأظفارها ، فإذا جاوزته أعرها أهدت عليه أولاه ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فري سيلة ، وإذا كانت له بقرة لا يعطي حنظلًا في نجسها ورسولها - فلها تأتي يوم القيامة كأخذ ما كانت وأكثره وأسمته وأقره ثم يطلع لما بقاع قرقَر فتلوه كل ذات ظلف بظلفها ، وتتضح كل ذات قرن بقرنها ، إذا جاوزته أعرها أهدت عليه أولاه ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فري سيلة . وإذا كانت له خم لا يعطي حنظلًا في نجسها ورسولها . فلها تأتي يوم القيامة كأخذ ما كانت وأسمته وأقره ، حتى يطلع لما بقاع قرقَر ، فتلوه كل ذات ظلف بظلفها وتتضح كل ، ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَصَباء (٥) ولا عَضَاء ، إذا جاوزته أعرها أهدت عليه أولاه . في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . حتى يقضى بين الناس ، فري سيلة . قال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطى الكربة (٦) ، وتمنع الفزيرة ، وتُعَقَّر الظاهر . وتَسْقَى اللبن (٧) ، وتطرق الفصل (٨) ، وقد رواه أبو داود من حديث شعبة . والثالث من حديث سميد بن أبي هريرة ، كلامًا عن قتادة ، به (٩) .

(١) تفسير الطبري ٤٥/٢٩ .

(٢) أي : كَأَسْرَح وأظف .

(٣) في المسند : « وأقره » . وهي رواية في هذه الكلمة ، فقد رويت بالسین المهملة وتشديد الراء ، أي : كَأَسْرَحين باكانت وأقره ، من سر كل شيء وهو إليه وسعه . وتيل : من من السرو لأنها إذا سفت سرت الناظر إليها . وروي « وأقره » به الهزة وخين محبة وتخفيف الراء - أي : أبهره وأشبهه .

(٤) أي : يلقى حل وجهه . وقاع قرقَر : مكان واسع مستو .

(٥) العَصَباء : الخشوية للقرنين . والعَضَاء : المكسورة للقرن .

(٦) أي : للفرجة على ساجيها . والفزيرة : كثيرة اللبن . وأقره الركونج . وأطرق الفصل : أماره .

(٧) في المخطوط « وتسق الإبل » . وللفصل عن المسند .

(٨) سعد الإمام أنشد : ٢ / ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٩) أخرجه في كتاب الركة ، انظر سنن أبي داود ، باب « في حقوق المال » . والشمالي ، باب « في التنجيب في حبس الركة » : ١٢ / ٤ - ١٤ .

طريق أخرى لهذا الحديث ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب كثر لا يؤتي حقه إلا جعل صفائح يعمى عليها في نار جهنم ، فثكوى بها جبهة وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقلدهم حسين ألف سنة مما عملون ، ثم يرى سيده إما إلى الجنة وإما إلى النار ... وذكر بقية الحديث في الفهم والإبل كما تقدم ، وفيه : « الخليل لثلاثة رجل أجر ، ولرجل سر ، وعلى رجل وزر » إلى آخره (١) .

ورواه مسلم في صحيحه بتمامه مفردا به دون البخاري ، من حديث سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (٢) ، وموضع استقصاء طرقه والفتاوى في كتاب الزكاة في « الأحكام » ، والفرض من إيراده هاهنا قوله : « حتى يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقلدهم حسين ألف سنة » .

وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عتبة وجد الوهاب ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة قال : سألت رجلا من عباس عن قوله : « في يوم كان مقلدهم حسين ألف سنة » ، قال : « فأنهم ، قليل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقلدهم حسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثني . قال : « ما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله بآلا أعلم (٣) » .

وقوله : « فاقصر صبرا جميلا » ، أي : اصبر يا عابد على تكليبه قولك لك ، واستجابه العابد استجابا لوقوعه ، كقوله : « يستجيب بها اللعين لا يؤمنون بها » ، والذين آمنوا مطفون منها وعلون أنها الحق (٤) . ولما قال : « إنهم يرونه بينما » ، أي : وقوع العابد وقيام الساعة يراه الكثرة بعبء الوقوع ، بمعنى استحبال الوقوع ، « ورائه قريبا » ، أي : المؤمنون يظنون كونه قريبا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ النُّجُومُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَسْعَىٰ حِمِيمٌ حِمِيمًا ۖ يَصْعَدُ فِيهَا دُونَ الْمُجْرِمِ وَلَوْ يَعْلَمُ مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِمَنْ يُؤْتِيهِمْ وَأَخِيهِ ۖ وَيَصْعَدُ فِيهَا دُونَ الْمُجْرِمِ ۖ وَنَازِعًا لِّلشُّرَكِ ۖ تَعْرِفُ أَمْ أَدْرَأْتَهُ ۚ وَجَمَعَ هَؤُلَاءِ ۖ

يقول تعالى : « النُّجُومُ وَاقِعٌ كَالْمُهْلِ » (يوم تكون السماء كالمهل) — قال ابن عباس : « ويجاهد ، وهجاه ، وسعد ابن جبر ، وعكرمة ، والسدى ، وغير واحد ، كذا رأى الرمي » (وتكون الجبال كالهن) ، « أي : كالصوف للفرش » ، قاله مجاهد ، وقاعدة ، والسدى . وهذه الآية كقوله تعالى : « وتكون الجبال كالهن للفرش » (٥) .

(١) سنة الإمام أحمد : ٢٦٢/٢ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : « ثم ما من الزكاة » : ٧١٧٢ - ٧٢ ، وانظر فيما تقدم : ٨٢/٤ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٥/٢٩ .

(٤) سورة الفرقان : آية : ١٨ .

(٥) سورة الفاتحة : آية : ٥٠ .

وقوله : (ولا يَأْتِ حَمِيمًا : يَصْرُوهِم) ، أى : لا يَأْتِ الْقَرِيبَ قَرِيبَهُ مِنْ حَالِهِ ، وَهُوَ يَرَاهُ فِي أَسْوَأِ الْأَحْوَالِ ، لِنَشْغَلِهِ نَفْسَهُ عَنْ ضَرَرِهِ .

قَالَ الْوَلِيُّ فِي ابْنِ حِبَّاسٍ : يَصْرِفُ بِضَمِّهِمْ بِمَقْصَدٍ ، وَيَتَطَرَّفُونَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَقْرَأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بَعْدَ ذَلِكَ ، يَقُولُ : (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) (١) .

وَهَذِهِ آيَةُ الْكَرَةِ كَقَوْلِهِ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَانْخَشُوا يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ بِجَازٍ مِنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (٢) ، وَكَقَوْلِهِ : (وَإِنْ تَدْعُ مِثْلَهُ إِلَى حِمْلِهِ لَا يَحْمِلُ مَعَهُ شَيْءًا ، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (٣) ، وَكَقَوْلِهِ : (فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا يَتَسَامَرُونَ) (٤) ، وَكَقَوْلِهِ : (يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) (٥) .

وقوله : (يَوْمَ الْمَجْزَمِ لَوْ يَفْتَنِي مِنْ حِلَابٍ يَوْمَئِذٍ يَبْنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَتَصْبِيئَتِهِ الَّتِي تَوَدُّهُ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَمْ يُغْنِيهِ ، كَلَّا) ، أى : لَا يَقْبَلُ مَعَهُ فِدَاءَهُ وَلَوْ جَاءَ بِأَمَلٍ الْأَرْضِ وَيَأْخُذُ مَا عِنْدَهُ مِنْ لُكُلٍ ، وَلَوْ عَمِلَ الْأَرْضُ ذُخْرًا ، أَوْ مِنْ وَلَدِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا حَشَاكَفَةً كَبَدَهُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا رَأَى الْأَحْوَالَ أَنَّ يَفْتَنِي مِنْ حِلَابٍ اللَّهُ بِهِ ، وَلَا يَقْبَلُ مَعَهُ ، قَالَ جَاهِدٌ وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ : (تَصْبِيئَتُهُ) قِيْلَتُهُ وَصَغِيرَتُهُ ، وَقَالَ حَكْرَمَةُ : فَخِيلَتُهُ الَّتِي هُوَ مِنْهُمْ . وَقَالَ أَشْعَبُ : عَنْ مَالِكٍ : (تَصْبِيئَتُهُ) أُمُّهُ .

وقوله (يَا لَيْتَى) ، يَصِفُ الْخَلْقَ وَشِدَّةَ حَرْمِهِ ، (تَزَاوَعُ النَّشْوَى) - قَالَ ابْنُ حِبَّاسٍ ، وَجَاهِدٌ : جِلْدَةُ الرَّأْسِ ، وَقَالَ السُّوْفِيُّ ، عَنْ ابْنِ حِبَّاسٍ : (تَزَاوَعُ النَّشْوَى) : الْجُلُودُ وَلِفَافُهُ ، وَقَالَ جَاهِدٌ : مَا دُونَ الْعَطَمِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَقَالَ صَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : الْمَصْبُوبُ ، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ : (تَزَاوَعُ النَّشْوَى) ، يَعْنِي أَمْزَاجَ الْبَلْبَنِ وَالرَّجُلَيْنِ ، وَقَالَ أَيُّضًا : تَزَاوَعُ لَحْمُ النَّسَائِنِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : وَتَابَتِ الْبَنَاتُ : (تَزَاوَعُ النَّشْوَى) ، أى : مَكَارِمُ وَجْهِهِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ أَيُّضًا : تَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ ، وَيَبْقَى فُرَادَاهُ يَصْبِيحُ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : (تَزَاوَعُ النَّشْوَى) ، أى : تَزَاوَعُ لَحْمُهُ وَمَكْرَمُ وَجْهِهِ وَعِظْمَتُهُ وَأَمْزَاجُهُ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ : تَبْرَى لَحْمُهُ وَلِجِلْدِهِ مِنَ الْعَطَمِ ، حَتَّى لَا تَبْقَى مَعَهُ شَيْئًا ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : النَّشْوَى : الْأَرَابُ السَّطَامُ (٦) ، قَوْلُهُ : تَزَاوَعُ ، قَالَ : لَتَلْعَلَّ عَنَانُهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَدُ عَقْلَهُمْ وَيَبْلُغُ جُلُودَهُمْ (٧) .

وقوله : (تَحْمُو مِنْ أَدْبَرٍ وَتَقُولُ وَتَجْمَعُ فُلُوحِي) ، أى : تَحْمُو الْخَلْقَ إِلَى أَيْمَانِهَا الَّذِينَ خَلَقَهُمْ اللَّهُ لَهَا ، وَتَحْمُو لَمْ أَنَّهُمْ فِي الْبَلَدِ الدُّنْيَا يَسْلُومُونَ عَمَلَهَا ، فَتَحْمُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِسَانِ طَلْقٍ ذَلِكَ (٨) ، ثُمَّ تَلْقُظُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَمَلِ الْخَشَرِ كَمَا يَلْقُظُ الْخَطِيرُ الْحَبَّ ، وَقَدْ أَتَاهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ - عز وجل - (كَاتِبِينَ) (أَدْبَرَ وَقَوْلُ) ، أى : كَلْبٌ يَقْتُلُهُ ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ يَجْرُلُوه

(١) تَجْسِيرُ الْقَلْبِيِّ : ٤١٧/٢٩ .

(٢) سُورَةُ الْقَمَانِ ، آيَةُ : ٣٣ .

(٣) سُورَةُ طه ، آيَةُ : ١٨ .

(٤) سُورَةُ الْفُرْقَانِ ، آيَةُ : ٢٤ .

(٥) سُورَةُ هُودٍ ، الْآيَاتُ : ٢٤ - ٢٥ .

(٦) الْأَرَابُ : الْأَصْفَاءُ ، وَالسَّامَةُ ، إِرْبَابٌ ، يَكْسُرُ فَسْكَوْفًا .

(٧) فِي الْخَطِئَةِ : هُمْ تَبْلُغُ جُلُودَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَيَبْلُغُ جُلُودَهُمْ ، وَتَلْقُظُ مِنْ تَجْسِيرِ الْقَلْبِيِّ : ٤٨/٢٩ .

(٨) أَيْ : فَصَحَّ بِالْبَيْغِ .

(وجمع فأوى) ، أى : جمع لئلا يفضى على بعض فأواه ، أى : أوكاه ومنع حتى الله منه من الراجب عليه في التفات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد في الحديث : « ولا تؤمى (١) فتؤمى الله عليك (٢) » ، وكان عهد الله بين عهدين (٣) لا يربط له كسبا ويقول : سمعت الله يقول : (وجمع فأوى) (٤) .

وقال الحسن البصري : يا ابن آدم ، سمعت وعيد الله ثم أوعيت لعدا .

وقال قتادة في قوله : (وجمع فأوى) ، قال : كان جموعاً قسوماً للغبث (٥) .

• إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوطًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الْفِتْنُوتُ ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوتًا ۝ إِلَّا الْمُمِلِينَ ۝
الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ قَالُوا لِمَنْ شَأْنُ الْمَعْلُومِ ۝ السَّابِقِينَ وَالْمُتَّعِينَ ۝ وَالَّذِينَ يُسِفُّونَ
يَسِرُّونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَنِيبٍ ۝ وَيَوْمَ تُنْفَخُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَجِيمٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرْجِهِمْ حَفِيفُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ فِيهِمْ حُلُمٌ ۝ لَقَدْ أَتَيْنَاكَ
ذَٰلِكَ قَدْ وَكَّلْنَاكَ هُمْ بِالْأُمُورِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ يَجْعَلُونَ
فَأَعْمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أَلَمْ يَكُنْ فِي جَنَّةٍ مَكُونًا ۝

يقول تعالى خبراً عن الإنسان وما هو عجول عليه من الأخلاق الفانية : (إن الإنسان خلق هلوطاً) ، ثم فسره بقوله : (إذا مسه الفتن جروها) ، أى : إذا أصابه القسر فرح وجزع والمثل عليه من شدة الرعب ، وليس أن يحصل له بعد ذلك خبر ، (وإذا مسه الخير منوها) ، أى : إذا حصلت له نعمة من الله مثل ما حل به من الخير ، ومنع حتى الله فيها .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن حكيم بن رباح : سمعت أبي يحدث عن عبد الوارث ابن عمرو بن الحكم قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شر ماى رجل : شح حاله ، وجبن خاله » (٦) .

ورواه أبو حنيفة عن عبد الله بن الجراح ، عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، به ، وليس فيه الخبر عنه [سواء] (٧) .

(١) الإياد : جبل قبي في الروم . والمراد هنا : منع القنفل من القنفل إليه . وسنن « يعنى عليك » : يملك نفسه ويقتدر عليك كما تمت وقوت .

(٢) البزاري : كتاب الزكاة ، باب : الصلوة فيما أبطلت : ١٤٠/٢ - ١٤١ . وسنن : كتاب الزكاة ، باب : الحديث على الإنفاق وكراهة الإحصاء : ٩٢/٣ .

(٣) مسلم : أنه قال : من صلى الله عليه وسلم ولم يره ، قاله ابن سعد وأبو عيسى . وقال أبو هريرة : أعطيت في بيته من شيء صلى الله عليه وسلم . انظر له الفتاوى : ٣٣٩/٢ ، ج ٢ .

(٤) تفسير البصري : ٤٩/٢٩ .

(٥) ثم قال : « كنه . وتم ما حل لك » : أكله ثم لم يدع منه شيئاً . يريد أن هذا الجوع لا يصرى القلب من الكسب .

على جميع المال من كل طريق . وبأى وجه .

(٦) سنن الإمام أحمد : ٣٧٠/٢ .

(٧) سنن أبي حنيفة ، كتاب الجهاد ، باب : في الجهاد والجهنم .

ثم قال : (إلا للصالحين) ، أى : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووقته ، وهذه إلى الخير ويسره أسبابه ، وهم للصالحون : (الذين هم على صلاتهم دائرون) . قيل : معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها ، قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم التيمي .

وقيل : المراد بالدوام هامة السكون والخشوع ، كقوله : (قد أطلع للمؤمنين ، الذين هم على صلاتهم خاشعون) (١) ، قاله حتى بن عامر . ومعناه الدائم ، أى : الساكن الرائد .

وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً دأبوا عليه وأتبعوه ، كما جاء في الصحيح عن عائشة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » - وفى لفظ : « ما دأب عليه صليبه » قالت : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا عمل عملاً دأب عليه . وفى لفظ : أتبعه (٢) .

وقال قتادة في قوله : (الذين هم على صلاتهم دائرون) : ذكر لنا أن دأباً - عليه السلام - تمت أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال : يصلون صلاة لو صلاتها قوم نوح ما خرقوا ، أو قوم عاد ما أوسلت عليهم لريح البقيع ، أو نود ما أنقضتهم الصيحة . فليكن بالصلاة قائماً خلق للمؤمنين حسن .

وقوله : (والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) ، أى : في أموالهم يصيب مقرر للوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك في « سورة اللّٰهيات » .

وقوله : (والذين يصنفون يومئذ) ، أى : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويبتغي العقاب . ولما قال : (والذين هم من طبائهم مشفقون) ، أى : خائفون بطوبى ، (إن طلب ربهم غير مأمن) ، أى : لا يأمنه أحد من عكسل من الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى .

وقوله : (والذين هم قرووجهم حافظون) ، أى : يكتفون عن الحرام ويعتصمون أن توضع في غير ما أئذ الله : ولما قال : (إلا على أرواجهم أو ما حكمت أيمانهم) ، أى : من الإمان ، (فأنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم الضالون) . وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة : (قد أطلع للمؤمنين) بما أفنى عن إعادته هامة :

وقوله : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) ، أى : إذا أوفوا بما عجزوا ، وإذا حملوا ما ينهوا ، وهذه صفات المؤمنين ، وضعتها صفات المنافقين ، كما ورد في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوفى خان » - وفى رواية : « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٣) ،

(١) سورة المؤمنون ، آية : ١ - ٢ .

(٢) انظر البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « أحب الدين إلى الله أدومه » ، ١٧/١ . وكتاب الفرق ، باب : « تصدقوا على السائل » : ١٢٢/٨ . وسلم ، كتاب الصلاة ، باب « فضيلة العمل الدائم من يوم الليل وغيره » : ١٨٨/٢ - ١٨٩ . وسنن أبي حنود ، كتاب الصلوة ، باب « ما يؤمر به من التصديق في الصلاة » .

(٣) تقدم تخرج الحديث عنه تفسير الآية ثمانية عن سورة المؤمنون ، ٨٨/٥ .

وقوله : (والذين هم بشهادتهم قاتلون) ، أى : عاقلون عليها لا يزدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ، (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه (١)) .

ثم قال : (والذين هم على صكوكهم عاقلون) (٢) ، أى : على موافقتها ولو كانتا وواجبها ومستحبها ، فاستبح الكلام بذكر الصلاة واختصه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتعوية بشرها ، كما تقدم فى أول سورة : (قد أفلح المؤمنون) ، سواء ، ولهذا قال هناك : (لؤلؤك هم المؤمنون : الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (٣) ، وقال جللتا : (لؤلؤك من جنات مكرمون) ، أى : مكرمون بالأنواع الثلاثة والمساير .

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْلِكِينَ ﴿٣٨﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٩﴾ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَجِيمٍ ﴿٤٠﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَنَقْدِرُونَ ﴿٤٢﴾ عَلَيَّ أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَنَمُنَّ بِمُسْرَوِينَ ﴿٤٣﴾ فَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّا يَشَاءُونَ وَيُفْعَلُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْيَوْمَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَسْبَاطِ أَمْ لَا كَأَنَّمْ لَكَ صُوبٌ وَمَضَوْنَ ﴿٤٤﴾ خَشِيعَةً يُبْصِرُهُمْ رَهَقَهُمْ فَكَّهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى متكررا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم - وهم مشاهدون له ، ولا أرسله الله به من الهدى وأبداه الله به من اللسجات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله ظنّون منه ، مفرقون عنه ، شاركون بينا وهما لا ، فرقا فرقا ، وهبنا شيئا ، كما قال تعالى : (فللم من الذكوة معرضين : كأنهم حمر مستفزة : فرقت من سورة (٤)) فى الآية وعلمه منها ، فانه قال تعالى : (فوالذين كفروا قبلك مهطعين) ، أى : فوالله الكفار الذين هناك يا عاهد (مهطعين) ، أى : مسرعين ظافرين منك ، كما قال الحسن البصري : (مهطعين) ، أى : متطلبين ، (عن اليمين وعن الشمال حزين) ، وأصلها حزة ، أى : مضيقين : وهو حال من مهطعين ، أى : فى حال غرقهم وانحلالهم ، كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء : فهم عناقون للكتاب ، غثقون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب .

وقال العرق : عن ابن عباس : (فوالذين كفروا قبلك مهطعين) ، قال : قبلك ينظرون ، (عن اليمين وعن الشمال حزين) ، قال : الحزين : المنصب من الناس ، عن عيينة وهما معرضين يستهزون به (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو حمزة ، حدثنا قيس ، عن الحسن بن قسبة : (عن اليمين وعن الشمال حزين) ، عن مفرق ، يأخذون بينا وهما لا يتولون : ما قال هذا الرجل (٦) ؟ .

(١) سورة البقرة : آية : ٧٨٣ .

(٢) كلما فى خطوبة الأخر بالجمع وهو قراءة الحسن . انظر البحر المحيط : ٢٣٥/٨ .

(٣) سورة المؤمنون : آية : ١٠ - ١١ .

(٤) سورة الناف : الآيات : ٤٩ - ٥١ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٣/٢٩ .

(٦) تفسير الطبري : ٥٤/٢٩ .

وقال قتادة : (مبطعين) : حادين ، (عن اليمن وعن الشمال حزين) ، أي : فركا حول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يربحون في كتاب الله ، ولا في نية - صلى الله عليه وسلم -

وقال الثوري ، وشعبة ، وعيسى بن يونس وعثري بن القاسم وعصدي بن قيسيل ، ووكيع ، ويعقوب القطار ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن السيب بن رافع ، عن نعيم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج عليهم وهم حلق ، فقال : « مالي أراكم حزينين ؟ » .

رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، من حديث الأعمش ، به (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان (٢) ، عن عبد الملك بن عمر ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على أصحابه وهم حلق حلق ، فقال : « مالي أراكم حزينين ؟ » .

وهذا إسناد جيد ، ولم أره في أي من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : (أبطع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم - كلا) ، أي : أبطع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول وفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنت النعيم ؟ بل مأوام تار الجحيم .

ثم قال تعالى مقروا لنوع العاد والطالب بهم أنى أنكروا كونه واستعملوا وجوده ، مستدلا عليهم بالبدعة التي الإعادة أمور منها وهم معترفون بها ، فقال : (إنا خلقناهم مما طمنون) ، أي : من التراب الضعيف ، كما قال : (لم نخلقكم من ماء مهين (٣)) . وقال : (فليست الإنسان من خلق - خلق من ماء دافق - يخرج من بين الصلب والترائب - إنه على وجهه لقادر - يوم تلى السراير - فإله من قوة ولا تاصر (٤)) .

ثم قال : (فلا أقسم برب للشرق والغرب) ، أي : الذي خلق السموات والأرض ، وجعل مشرقا ومغربا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وغربها في مغاربها : وتحرير الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بحث ولا تنور ، بل كل ذلك واقع وكان لا محالة . ولهذا أتى ، « لا » في ابتداء القسم ليدل على أن القسم عليه حق ، وهو مضمون الكلام ، وهو الرد على زعمهم القائل في نفي يوم القيامة ، وقد شاعروا من تعطيل قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والأرض ، وتفسير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الوجودات ، ولهذا قال تعالى : (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس (٥)) وقال تعالى : (أولم يروا

(١) مسند الإمام أحمد : ٩٢/٥ ، ٩٠١ ، ٩٠٧ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « الأمر بالسكون في الصلاة » .
والتنبي من الإشارة باليد . . . ٢٩/٢ وست في داود ، كتاب الأدب ، باب « في التنطق » .

(٢) في تفسير الطبري ٤٩/٢٩ : « من شقيق » .

(٣) سورة المرسلات ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة الطارق ، الآية : ١٠ .

(٥) سورة الفلق ، آية : ٥٧ .

إن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يبيخن خلق السموات والأرض بقادر على أن يبيخ المني ؟ إلهه على كل شيء قدير : وقال تعالى في الآية الأخرى : (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بل هو الخلاق العظيم . إننا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (١)) . وقال هاهنا (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون . على أن نبدل خيراً منهم) ، أي : يوم القيامة نعيدهم بأبدان غير من هذه ، فإن قدرته حاسلة لذلك ، (وما نحن بمسبوقين) ، أي : بماجزين . كما قال تعالى : (أعصب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟ بل قادرون على أن نسوي بناته (٢)) ، وقال تعالى : (نحن قلونا ينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننتهك فيما لا تعلمون (٣)) .

ولم يحذر ابن جرير (على أن نبدل خيراً منهم) ، أي : أمة طليعة ولا نصيباً وجعلها (٤) ، كقول : (وإن همولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٥)) . وللمنى الأول أظهر دلالة الآيات الأخر عليه ، والله أعلم . ثم قال تعالى : (فلهم) ، أي : يا محمد (غرضاً ويلموا) ، أي : دعهم في تكليمهم وكفرهم وعنادهم ، (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) ، أي : فيعلمون خيب ذلك ويلقون وياله ، (يوم يخرجون من الأعداء سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) ، أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ، ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون .

قال ابن عباس ، وجاهد ، والضحك : إلى حكم يسعون (٦) : وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير : إلى هابة يسعون إليها :

وقد قرأ الجمهور : (تصب) ، يفتح التثنية وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنى للتصويب ، وقرأ الحسن البصري : (نصب) بضم التثنية والصاد ، وهو الصنم ، أي : كأنهم في إسرائهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون ، ينتهون . (أيهم) يستلمه أول ؟ وهذا مروى عن جاهد ، ويحيى بن أبي كثير ، ومسلم البجلي ، وقاعدة ، والضحك ، والريح بن أنس ، وأبو صالح ، وحاصم بن حجلة ، وأبو زيد ، وغيرهم . وقوله : (غاشمة أبعارهم) ، أي : غاشمة (ترهقهم خلة) ، أي : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) .

آخر تفسير « سورة سأل سائل » والله العليم والمتل

(١) سورة طه ، آية ٥٧ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٤ - ٣ .

(٣) سورة الواقعة ، آية ٦٠ - ٦١ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٥/٢٩ .

(٥) سورة عبث ، آية ٣٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٦٤/٢٩ .

تفسير سورة نوح

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْفَرُونَ إِلَىٰ لَكَ يَنْذِرُ
مُتَّبِعِينَ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُزَيِّرْ كَرْيَ آبِلَ مُمْسِيًا إِنَّ آبِلَ
اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى خبرا عن نوح - عليه السلام - أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينلهم بأمر الله قبل حلوله بهم ، فان تابوا
والتابوا رفع عنهم ، ولهذا قال : (أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم . قال : يا قوم ، إني لكم نذير مبين)
أي : بين التنذير ، ظاهر الأمر واضحه ، (أن اعبدوا الله واتقوه) ، أي : اتركوا عبادته واجتنبوا ماكرهه ، (وأطيعوا)
ليأمركم به وأنهاكم عنه ، (يغفر لكم من ذنوبكم) ، أي : إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقت ما أرسلت به إليكم ، غفر الله
لكم ذنوبكم .

« ومن » ما هنا قيل : إنها زائدة . ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل . ومنه قول بعض العرب : « قد كان من
مطر » . وقيل : إنها بمعنى « من » ، تقديره يصنع لكم عن ذنوبكم . واختاره ابن جرير (١) . وقيل : إنها للتبهيض ،
أي يغفر لكم اللبوس السوداء إلى عهدكم على ارتكابكم إيادها الانتقام .

(ويؤثركم إلى أجل مسمى) ، أي : يحد في أعماركم ويبدأ حكم العذاب الذي إن لم تتجروا عما نهاكم عنه ؛
لوقته بكم .

وقد يستدل هذه الآية من يقول : إن الطاعة والبر وصلة الرحم ، يزداد بها في العمر حقيقة ؛ كما ورد به الحديث :
« صلة الرحم تزيد في العمر » .

وقوله : (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) ، أي : بادروا بالطاعة قبل حلول العقوبة ، فإنه إذا أمر
تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يعان ، فإنه العظيم الذي ظهر كل شيء ، العزيز الذي دانت له جميع المخلوقات .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ① فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ② وَإِنِّي كُنْتُ لَمِنَ الدَّاعِينَ ③ لَمَّا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَهَنَّمَ أَصْحَابُهُمْ ④ فَنَادَيْتُهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا مِنْهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْكَبُوا اسْتِكْبَارًا ⑤ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ⑥ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَصْرْتُ لَهُمْ إِيسَارًا ⑦ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑧ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ⑨ وَيُبَدِّلْ لَكُمْ بَأْسَكُمْ وَيَبْنِىَ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا ⑩ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑪ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑫ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ آدَمَ سَجَّ جَعَلَتْ طَبَقًا ⑬ وَجَعَلَ الْقَمَرَيْنِ نُورًا وَجَعَلَ النَّهْسَ رِجَالًا ⑭ وَأَنَّهُ أُنْزِلَ مِنَ الْأَرْضِ مَاءً ⑮ ثُمَّ يُعْبَدُ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِيْرَاجًا ⑯ وَأَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِطْلًا ⑰ لِيَتَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا ⑱

يُخْرِجُ تَعَالَى عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوْحَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ اشْتَكَى إِلَى رَبِّهِ - هُوَ وَجَل - مَا لِي مِنْ قَوْمِهِ ، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسِنَ عَاقِبَتُهُمْ ، وَمَا بَيْنَ قَوْمِهِ وَوَضِيعِهِمْ لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَى الرَّشَدِ وَالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ ، فَقَالَ : (رَبِّ ، إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) ، أَيْ : لَمْ أَتْرُكْ دُعَايَهُمْ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، لِمَتَّالًا لِأَمْرِكَ وَابْتِهَازًا بِطَاعَتِكَ ، (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا) ، أَيْ : كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَقْرَبُوا مِنْ الْحَقِّ قَرَّبُوا مِنْهُ وَحَادُوا عَنْهُ ، (وَإِنِّي كُنْتُ لَمِنَ الدَّاعِينَ) ، أَيْ : كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ ، جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي أَكْفَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا مِنْهُمْ) ، أَيْ : سَلُوا أَكْفَانَهُمْ لِيَلْمُوا مَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ . كَمَا أَخْبَرَهُ تَعَالَى عَنْ كَفَرٍ قَرِيبٍ : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَا تَسْمِعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَلَوْ أَنَّهُ لَكُمْ تَنْظِيلٌ مِنْ رَبِّكُمْ) .

(وَأَسْتَغْفِرُوا مِنْهُمْ) - قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : تَنَكَّرُوا لَهُ لِيَلْمُوا بِرَفْعِهِمْ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، وَالسُّدِّيُّ : فَطَرُوا رُءُوسَهُمْ لِيَلْمُوا بِرَفْعِهِمْ .

(وَأَصْرُوا) ، أَيْ : اسْتَصْرُوا عَلَى مَنَافِعِهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ الْعَظِيمِ النَّظِيمِ ، (وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) ، أَيْ : وَاسْتَكْبَرُوا مِنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْإِقْبَادِ لَهُ .

(ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) ، أَيْ : جَهْرَةً بَيْنَ النَّاسِ . (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) ، أَيْ : كَلَامًا ظَاهِرًا بِصَوْتِ هَالٍ ، (وَأَصْرْتُ لَهُمْ إِيْرَاجًا) ، أَيْ : فَبَايَعْتُهُمْ وَبَيْنْتُهُمْ ، فَتَوَخَّعَ عَلَيْهِمُ الدَّعْوَةُ لِتَكُونَ أُنْجِيحَ فِيمَهُمْ ، (قُلْتُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) ، أَيْ : لَرُجُوعًا إِلَيْهِ وَلَرُجُوعًا عَمَّا أَتَمُّ قِيَمَةٍ وَتَوَيُّوًا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ ، فَانَّهُ مِنْ تَابٍ إِلَى تَابٍ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِمَّا كَانَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ ، وَلِهَذَا قَالَ : (قُلْتُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) ، أَيْ : مِنْ تَرَاوَعَةِ الْأَمْطَارِ . وَلِهَذَا يَسْتَحِبُّ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلَاةِ الْاسْتِغْفَارِ ، لِأَجْلِ هَذِهِ آيَةِ . وَهَكَذَا رَوَى مِنْ أَسْبَابِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ صَدَّقَ لِلْبَرِّ لَيْسَتْ بِيْ ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ ، وَقَرَأَ الْآيَةَ فِي الْاسْتِغْفَارِ . وَمِنْهَا هَذِهِ آيَةُ :

(قلت استغفروا ربكم إنه كان غفورا يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال : قد طلبت التبت بجميع (١) السماء التي يستزل بها المطر .

وقال ابن عباس وغيره : جيع بضبه بضاه .

وقوله : (وبعثكم بأموال وينين ، وبعث لكم جنات وبعث لكم أنهارا) ، أي : إذا أتتم إلى الله واستغفروه وأطعوه ، كثرت الرزق عليكم ، وأسقامكم من بركات السماء ، وأتيت لكم من بركات الأرض ، وأتيت لكم الزرع ، وأتدرك لكم الفرح ، وأمدكم بأموال وينين ، أي : أصلاككم الأموال والأولاد ، وبعث لكم جنات فيها أنواع الثمار ، وغلبها بالأجار الجارية بينها .

هذا مقام الدعوة بالترغيب : ثم حدث بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال : (مالك لا ترجون لله وقارا) ، أي : حطة : قاله ابن عباس ، وعجابه ، والفساحك : وقال ابن عباس : لا تعلمون الله حق عظمتهم (٢) . أي : لا تحفلون من بأسه وقمته ، (وقد خلقكم أمولا) ، قيل : معناه من لطفه ، ثم من خلقه ، ثم من مفسده . قاله ابن عباس ، وعكرمة وقتادة ، ويحيى بن زلف ، والسدي وابن زيد .

وقوله : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) ، أي : واحدة فوق واحدة ، وهل هذا يعني من جهة السبع قطع ؟ أو هو من الأمور للترك بالهس ، مما علم من السير والكسوفات ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا ، فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والزهرة في الخامسة ، وللشعرى في السادسة ، وزحل في السابعة ، ولما بقية الكواكب - وهي الثوابت - فهي لتلك الثمن يسمونه فلك الثوابت : ولشعرى منهم يقولون : هو للكرسي ، وألك الفاص ، وهو الأطلس . والأثير حتم للذي حركه على خلاف حركة سائر الأفلاك ، [وفلك أن حركه مبدأ الحركات ، وهي من الغرب إلى الشرق] وسائر الأفلاك [حركه من المشرق إلى المغرب] ومعها يدور سائر الكواكب بها ، ولكن السيارة بحركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فانها تسير من المغرب إلى المشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه ، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة ، والشمس في كل سنة مرة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متساوية . هذا ملخص ما يقوله في هذا المقام ، على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة ، لئلا يصد بها ، وإنما المقصود أن الله سبحانه : (خلق سبع سموات طباقا . وبعث القمر فيهن نورا وبعث الشمس سراجا) ، أي : أقرت بينهما في الاستارة ، لئلا كلا منهما يأخذ على حدة ، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيها . وقلد القمر منازل ويروجها ، وفوت نوره ، فثارة يزداد حتى يتأخر ثم يشرع في النقص حتى يستمر ، لئلا على مضي الشهور والأعوام ، كما قال : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون) (٣) .

(١) المبدع : جمع مجدح - بكسر فكون - وهو : نجم من النجوم .

(٢) تفسير البكري : ٥٩/٢٩ - ٦٠ .

(٣) سورة يونس : آية : ٥ .

وقوله : (والله أنجىكم من الأرض نباتا) : هذا اسم مصدر ، والإتيان به هاءتا أحسن ، (ثم يعيدكم فيها) ، أى : إذا مسم (ويعرجكم إخراجا) ، أى : يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ، (والله جعل لكم الأرض بساطا) ، أى : بسطها ومهدا وقررها وثبها بالجيال الراسيات الشماخات ، (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) ، أى : خلقها لكم لتسلكوا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم ، من نواحيها وأرجائها وأقطارها ، وكل هذا مما ينبتهم له [نوح] - عليه السلام - على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والأرض ، ولعمه عليهم فى جعل لهم من المنافع السابية والأرضية ، فهو الخالق الرزاق ، جعل السماء بناء ، والأرض مهادا ، وأوسع على خلقه من رزقه ، فهو الذى يجب أن يعبد - ويوحى ولا يشرك به أحد ، لأنه لا نظير له ولا عدل له ، ولا تد ولا كنه ، ولا حاسبة ولا ولد ، ولا وزير ولا منشر ، بل هو العلى الكبير .

قَالَ نُوحٌ رَبِّ انْصُرْنِي وَانصُرْ مَن تَبِعُونِي وَأَقِمْ وَدَّعَاءَهُ وَوَلِّهِ الْإِخْسَارَ ۖ وَمَكِرُوا كِبَارًا ﴿١٧﴾ وَقَالُوا لَا تَدْرُونَ الْغَيْبَ وَلَا تَدْرُونَ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَمُوتُ وَيَعْقُ وَيَمُوتُ ﴿١٨﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدَّ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى خبرا عن نوح - عليه السلام - أنه أتى إليه ، وهو العليم الذى لا يزب عنه شيء ، أنه مع البيان المتقدم ذكره ، والدعوة المنوعة للمستلحة على الرغب تلة والرهب أنرى : أنهم عصوه وكنبوه وغالفوه ، واتبعوا أبناء الدنيا من خشك عن أمر الله ، ومنع مال وأولاد ، وهى فى نفس الأمر استعراج وإنظار لا إكرام . ولهذا قال : (واتبعوا من لم يرده ماله وولده إلا خسارا) - قرئ (وولده) بالضم وبالفتح ، وكلاهما مقارب .

وقوله : (ومكروا مكرا كبارا) ، قال عطاء : (كبارا) ، أى : عظيما . وقال ابن زيد (كبارا) ، أى : كبيرا ، والغرب تقول : أمر عجب وعجائب وعجائب . ورجل حسن . وحسان : وجمل وجمل ، بالتحفيف والتشديد ، معنى واحد (١) .

والمنى فى قوله : (ومكروا مكرا كبارا) ، أى : بآبائهم فى تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى ، كما يقولون لهم يوم القيامة : (بل مكروا الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا (٢)) . ولهذا قال هاءتا : (ومكروا مكرا كبارا . وقالوا : لا تدرن أنكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يموث ويعوق ونسرا) . وهد أساء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

قال البخارى : حدثنا إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، وقال عطاء ، عن ابن عباس : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب جد : أما ود فكانت لكلب يدومة الجمل ، وأما سواع فكانت لغيل ، وأما يموث

(١) انظر تفسير الطبرى : ٦١/٢٩ - ٦٢ .

(٢) سورة سبأ ، آية : ٢٢ .

فكانت لمراد ، ثم لئن ضلّيت بالجحرف عند سبأ ، ولما يقرئ فكانت لهتمدان ، ولما نسر فكانت حمير لأن ذى ككلمع
وهو اسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما ملكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن تصبوا إلى مجالسهم التي
كانوا يجلسون أصسابا وسومها بأسمائهم ، فعملوا . فلم تبد حتى إذا ملك أولئك وتنتسج العلم عديت (١) .

وكذا روى عن عكرمة ، والقضاح ، وقادة ، وابن إسحاق ، نحو هذا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى ، عن محمد بن قيس (ويحيى ونسرا) ،
قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح (٣) ، وكان لهم أنباغ يقتلون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا
يقتلون بهم : لو صورناهم كان لشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم . فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دناهم إليهم
إليهم فقال : إنما كانوا يبدونهم وبهم يستقون للطير . فبدوهم (٤) .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث - عليه السلام - من طريق إسحاق بن بشر قال : وأخبرني جويهر
ومقاتل ، عن الفضاح ، عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولدا ، عشرون غلاما وعشرون جارية ،
فكان من حاشي منهم : هابيل ، وقايل ، وصالح ، وعبد الرحمن - والذي (٥) كان سبأ عبد الحارث - وود ، وكان ودة
يقال له شيث ، ويقال له هبة الله ، وكان آخره قد سوتوه ، وولد له سؤاج ويوث وبقوق ونسر (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عاصم الدؤري ، حدثنا أبو إسحاق اللؤدي ، عن عبد الله بن مسلم بن حرور
: عن أبي حذوكة ، عن حروة بن الزبير قال : اشتكى آدم - عليه السلام - وعنه بنوه : ود ، ويوث ، وسؤاج
ونسر - وكان ودة أكبرهم وأبرزهم به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا يعقوب ، عن أبي الطاهر قال :
ذكروا عند أبي جعفر - وهو قائم يصل - يزيد بن المهلب ، قال : فلما انتقل من صلاته قال : ذكرتم يزيد بن المهلب ،
لما أتته كل في أول أرض عبيد فيها غير الله . قال : ثم ذكر [ودة] - قال : وكان ودة (٧)] وجه لا مسلما ، وكان
هيبا في قومه ، فلما مات حسكروا حول قبره في أرض بابل وجزوا عليه ، فلما رأى إبليس جثثهم عليه ، تشبه

(١) البخاري ، تفسير سورة : إذا أرسلنا : ١٩٩/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٢/٢٩ .

(٣) في المخطوطة : « من آدم » . وفي تفسير الطبري : « من بني آدم » . والمثبت من الطباعات السابقة .

(٤) تفسير الطبري : ٦٢/٢٩ .

(٥) في المخطوطة : « وعبد الرحمن الذين كان سبأ » . والمثبت من تاريخ مدينة دمشق .

(٦) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ميكرونيام بمسند المخطوطات العربية بمسألة الدول العربية برقم ١٢ تاريخ الجزء الخامس
من مكتبة أحمد الثالث .

(٧) في المخطوطة : « ثم ذكروا رجلا مسلما » . والمثبت من المشور للسيوطي . وقد أخرجه من عهد ابن حميد عن أبي الطاهر
أنظر : ٢٩٩/٦ .

في صورة إنسان ، ثم قال : إني أرى جزعكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله ، فيكون في أديمكم فذكروته ؟ قالوا : نعم . فصور لهم مثله ، قال : ووضعه في أديمهم وجعلوا يذكرونه . فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم مثلاً مثله ، فيكون له في يده فذكروته ؟ قالوا : نعم . قال : فقل لكل أهل بيت مثلاً مثله ، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنون به ، وتسلوا ودّوس أمر ذكرهم إياه ، حتى (١) انقلوه ، إلما يبدونه من دون الله أولاد أولادهم ، فكان أول ما حيد غير الله العثم التي صوره وذا .

وقوله : (وقد أضلوا كثيراً) ، يعني الأصنام التي ابتلوا بها أضلوا بها خلقاً كثيراً ، فإنه أفسدت حياتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم . وقد قال الحليل - عليه السلام - في دعائه : (واجتنبني وبين أن تعبد الأصنام . رب ، إني أضللت كثيراً من الناس (٢)) .

وقوله : (ولا تد الظلن إلا ضلالا) : دعاهم على قومه فترحم وكفرهم وعنادهم ، كما دعاهم على فرعون وملته في قوله : (ربنا ، اجلس على أمولم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يفهموا حتى يروا المقلب الأكبر (٣)) . وقد استجاب الله لكل من التبت في قومه ، وأفرق الله بينكم بآلجامهم به .

يٰٓمَآ خٰطِبٰتِہِمۡنِ اٰمُرُوْا فَاَدْخِلُوْا نَارًا فَلَمْ یَجِدُوْا لَہُمۡ مِنْ دُوْنِ اللّٰہِ اٰنصَارًا ﴿٣٥﴾ وَاَقَالَ نُوْحٌ رَبِّیْ لَا تَدْرُ عَلَی الْاَرْضِ مِنْ الْکٰفِرِیۡنَ دِیَارًا ﴿٣٦﴾ اِنَّکَ اِنْ تَرٰہُمۡ یُضِلُّوْا عِبَادَکَ وَلَا یَدْعُوْا اِلَّا کُفْرًا کَثُوْرًا ﴿٣٧﴾ رَبِّ اَعْرِضۡ لِّرِکُوْسِیۡ وَلِمَنۡ دَخَلَ بَیۡتِیۡ مُّؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِیۡنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ وَلَا تَرِکَ الْفٰلِیۡلِیۡنَ اِلَّا تَبٰکًا ﴿٣٨﴾

يقول تعالى : (يا خاتباتهم) وقرىء : (خطباتهم) (٤) (أفرقوا) ، أي : من كثرة ذنوبهم وذنوبهم وأصرارهم على كفرهم وعناداتهم وسولهم ، (أفرقوا فادخلوا نارا) ، أي : فقلوا من يزل البحر إلى حولة النار ، (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ، أي : لم يكن لهم معين ولا معيذ ولا منجى يخلصهم من عذاب الله فقلوه : (قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (٥) .

(وقال نوح : رب ، لا تترك على الأرض من الكافرين ديارا) ، أي : لا تترك على الأرض منهم أحدا ولا تحسبها (٦) .

وله من صيغ تأكيد التوبيخ .

قال الضحاك : (ديارا) : واحدا . وقال السدي : الديار : التي يمكن التلصص .

(١) نطق الله المتحرر ٢٧٠/٦ : حتى انقلوه إلما يبدونه من دون الله ، قال : وكان أوله . . .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٢٥ - ٣٦ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٨٨ .

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ٣٤٣/٨ . واللبري : ٦٣/٢٩ .

(٥) سورة هود ، آية : ٤٣ .

(٦) في الخطوبة : « ولا دوريا » . وللتب من إصلاح المتق لآلن السكيت : ٤٣٣ . والمثني : « ما جاء أحد » .

فاستجاب الله له ، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين ، حتى ولد نوح لصلبه الذي احتل عن أبيه ، وقال : (سأرى إلى جبل يصبى من لاء . قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما للرج فكان من للفرقين) .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ (١) على يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أن شريك بن سعيد ، عن أبي الجوزة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لو رحم الله من قوم نوح أحدا ، لرحم امرأة ، لا رأيت للاء حملت ولدها ثم صعدت الجبل ، فلما بلغها للاء صعدت به منكبا ، فلما بلغ للاء منكبا وضعت ولدها على رأسها ، فلما بلغ للاء رأسها رفعت ولدها بيدها . فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » .
هذا حديث غريب ، ورجاله ثقات . ونسب الله أصحاب السفينة اللذين آمنوا مع نوح - عليه السلام - وهم الذين أمره الله بحملهم معه .

وقوله : (إنك إن تلزمهم بظواهر عبادك) ، أى : إنك إن أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك ، [أى : الذين] تخلفهم بهم ، (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ، أى : فاجرا فى الأعمال كافر القلب ، وذلك لخبره بهم . ومكنه بين أظهرهم ألفت منه إلا حسين حتما .

ثم قال : (رب اغفر لى ولوالدى وإن دخل بئى مؤمنا) ، قال الضحاك : بئى مسجدى . ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيو ، أنبأنا سالم بن خيلان : أن الوليد بن قيس التميمي أخبره : أنه سمع أبا سعيد الخدري - أو : عن أبي اليم ، عن أبي سعيد - : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا تصحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا نبي (٢) » .

ورواه أبو داود والترمذي ، عن حنيفة عبد الله بن المبارك ، عن حيو بن شريح ، به . ثم قال الترمذي : « إنما يعرفه من هذا الوجه (٣) » .

وقوله : (والمومنين والمومنات) : دعاء لجميع المؤمنين والمومنات ، وذلك باسم الأحياء منهم والأموات ، ولما يستحب مثل هذا الدعاء ، اقتداء بنوح عليه السلام ، وما جاء فى الآثار والأدعية للشرعة .

وقوله : (ولا ترد الظالمين إلا تبارا) - قال السدى : إلا هلاك . وقال مجاهد : إلا خسارا (٤) . أى : فى الدنيا والآخرة .

آخر تفسير سورة نوح

(١) فى المخطوطة : « لا قرئ » .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٨/٣

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « من يؤمر أن يحال » . و تحفة الأحوف ، أبواب الزهد ، باب « ما جاء فى صفة المؤمنين » ، الحديث ٢٥٠٦ = ٧٥/٧ - ٧٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٦٤/٢٩ .

تفسير سورة الجن

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا عُزَيْرًا عَلَىٰ خُبْرًا ۖ يَدْعِي إِلَى الرَّشْدِ فَغَاثًا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّكَ أَحَدًا ۚ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۚ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَىٰ اللَّهِ شَطَطًا ۚ وَأَنَّا غُلَبْنَا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ۚ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعْبُدُون رِجَالًا مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۚ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۚ

يقول تعالى أمرا دسره - صلى الله عليه وسلم - أن الجن استموا القرآن فآمنوا به وصدقوه واتقوا له فقال تعالى : (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا عُزَيْرًا عجباً . يهذى إلى الرشد) ، أى : إلى السداد والتجاسع ، (فآثنا به ، ولن نشرك بربنا أحداً) . وهذا اللقائ شبيه بقوله تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) (١) . وقد قلعت الأحاديث الواردة في ذلك بما أفضى عن (إصاحبا هاتما) (٢) .

وقوله : (وأنه تعالى جد ربنا) - قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (جد ربنا) ، أى : قبله وأمره وقدره (٣) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدره ونعمته على خلقه .

وروى عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالى جلاله وعظمته وأمره . وقال السدي : تعالى أمر ربنا . وعن أبى اللرداء ومجاهد أيضا وابن جرير : تعالى ذكره . وقال سعيد بن جبیر (تعالى جد ربنا) ، أى : تعالى ربنا .

فأما ما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا عبد بن عبد الله بن يزيد القرئى ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد أب . ولو ظلمت الجن أن فى الإنس جندا ما قالوا تعالى جد ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست ألهم ما معنى هذا الكلام ، ولعله قد سقط شيء ، والله أعلم .

وقوله : (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) ، أى : تعالى عن اتخاذ للصاحبة والأولاد . [أى : قالت] الجن : نتره الرب تعالى جلاله وعظمته حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

(١) سورة الأحقاف ، آية ٢٩ .

(٢) انظر ٢٧٢/٧ - ٢٨٧ .

(٣) تفسير الطبري ٦٥/٢٩ .

ثم قالوا : (وأنه كان يقول سفيها على الله شططا) - قال حماد ، وعكرمة ، وقادة ، والسدي : (سفيها) يعنون إيليس (شططا) ، قال السدي ، عن أبي مالك : (شططا) ، أي : جورا . وقال ابن زيد : ظلما (١) كبيرا .

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم (سفيها) : اسم جنس لكل من زعم أن الله صلبة أو ولدا . ولما قالوا : (وأنه كان يقول سفيها) ، أي : قبل إسلامه (على الله شططا) ، أي : باطلا وزورا . ولما قالوا : (وأنا قلنا أن لن نقول الإنس والجن على الله كلبا) ، أي : ما حسبنا أن الإنس والجن يتأثون على المكذب على الله في نسبة الصلابة والولد إليه . فلما سمعنا هذا القرآن وآمننا به ، علمنا أنهم كانوا يكلبون على الله في ذلك .

وقوله : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) ، أي : كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس ، لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أي : إذا نزلوا واديا أو مكاء أو موحشا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جهاليتها ، يعوذون بعظم ذلك للكلان من الجن ، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وفصاه وخفارته ، فلما رأيت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم (زادهم رهقا) ، أي : خوفا وإرهابا وذعرا ، حتى يقرأ أشد منهم غفلة وأكثر تعوذا بهم ، كما قال قادة : (فزادهم رهقا) ، أي : إثمًا ، ولزادت الجن عليهم بذلك جرأة (٢) .

وقال الثوري ، عن منصور عن إبراهيم : (فزادهم رهقا) ، أي : ازدادت الجن عليهم جرأة .

وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فيترها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أئسر أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتي ، قال : فإذا عاذ بهم من دون الله ، رهنهم الجن الأذى عند ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، حدثنا الزبير ابن الخزيم ، عن حمزة قال : كان الجن يكتركون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : تعوذ بسيد أهل هذا الوادي . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنا من الإنس فأصابهم بالخبيك والجنون ، فذلك قول الله : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : (رهقا) ، أي : خوفا . وقال الثوري ، عن ابن عباس : (فزادهم رهقا) ، أي : إثمًا . وكلنا قال : قادة . وقال حماد : زاد الكفار طغيانا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المفراء الكندي ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كترم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فأولانا الميث إلى راعي غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب

(١) تفسير الطبري ٦٧/٢٩

(٢) تفسير الطبري ٦٩/٢٩

فأُخذَ حَسَكًا من النِّمِّ ، فوثبَ الرامي فقال : يا عامر الراى ، جارك . فنادى متادلاً زاه ، يقول : يا سِرْحَان (١) ، أرسله . فأتى الحمل يشتد (٢) حتى دخل في النِّمِّ لم تصبه كلمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً) (٣) .

ثم قال : وروى عن عبيد بن حمير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، نحوه .

وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل - وهو ولد الشاة - كان جتياً حتى يُرهب الإنس ويخاف منه ، ثم رذِّه عليه لا يستجار به ، ليضله ويبيته ، ويخرجه عن بيته ، والله أعلم .

وقوله : (وأنهم ظنوا كما ظنن أن لن يبعث الله أحداً) ، أى : لن يبعث الله بعد هذه المرة رسولا . قاله الكلبي ، وابن جرير (٤) .

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مِثْلَ حَرِاسٍ شَدِيدًا وُشْبًا ۖ وَأَنَّا كَانُوعَدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِسْمِيعٍ لَّنْ يَسْمِعَ الْآلَءَ
يُحَدِّثُ لَهُمْ شَهَابًا رَّسَدًا ۖ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ

غير تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأنزل عليه القرآن ، وكان من حفظه له أن السماء مُكَلِّت حراساً شديداً ، وحفظت من سائر أربابها ، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك ، لئلا يسترأوا شيئاً من القرآن . فليقوه على ألسنة الكهنة ، فيلبس الأمر ويخط ولا يدري من الصادق . وهذا من لطف الله بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن : (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مِثْلَ حَرِاسٍ شَدِيدًا وُشْبًا . وأما كنا نقعد منها مقاعد السمع فنسمع الآن يحدها له شهاباً رسداً) ، [أى : من يروم أن يسترى السمع اليوم يحده له شهاباً رسداً] له ، لا يتخطاه ولا يتداه ، بل يحصيه ويحسبه ، (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) ، أى : ما ندري هذا الأمر الذى قد حدث في السماء ، لا ندري أشَرُّ أَرِيدَ بِنَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسئلوا الشر إلى غير فاعل ، وانحرف أضافوه إلى الله عز وجل ، وقد ورد في الصحيح : « لا والله ليس إليك » . وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان ، كما في حديث (٥) ابن عباس : بينما نحن جلوس مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رى بنهم فاستنار ، فقال : « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » قلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء ... وذكر تمام الحديث ، وقد أوردناه في سورة (٦) سبأً وبنامه . وهذا هو السبب

(١) المرحان - بكسر فسكون - : اللب ، وقيل : الأسد .

(٢) أى : يسرع .

(٣) انظر أسد الغابة ، ترجمة كرم بن أبي السنايل ، وقيل : ابن أبي السائب : ٤٦٤/٤ ، يضيقنا .

(٤) تفسير الطبري : ٦٩/٢٩ .

(٥) في المعركة : « كما في حديث البشير » . وقد تقدم الحديث في سورة سبأ عن ابن عباس .

(٦) انظر تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة سبأ : ٥٠٣/٦ - ٥٠٤ .

التي حكمهم على طلب السبي في ذلك ، فأخذوا يسيرون مشارق الأرض ومغاربها ، فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بأصباحه في الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذي حُفِظت من أجله السماء ، فأمن من آمن منهم ، ومجدد في طغيانه من بقي ، كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك ، عند قوله في «سورة الأحقاف» : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) (١) . الآية . ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ، وهو كثرة الشهب في السماء والرى بها ، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له ولزعجوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخرباب العظم - كما قال السلي - لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل عهد - صلى الله عليه وسلم - قد اختلفت للقاعد في السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر : فلما بعث الله محمداً نبياً ، وجعلوا ليلة من الليالي ، فخرجوا للقاء أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ، لا وأوا من شدة الثلج في السماء واختلاف الشهب ، فاجعلوا يستقروا أركانهم ويسبقون مواشيهم ، فقال لهم جند باليل بن عمرو بن عير : ويحك يا معشر أهل الطائف ، ألسكو عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم التحريم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني عبداً صلى الله عليه وسلم - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فظنوا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وخرجت الشياطين في تلك الليلة ، فأقروا بإبليس فحلبوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : اتوني من كل أرض بقبضة من تراب أمها . فأثروا فشمتم فقال : صاحبكم بمكة . فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقلعوا مكة فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائماً يصل في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فلدنوا منه حرماً على القرآن حتى كادت كلالته (٢) نصيبه ، ثم ألسوا . فأتوا الله - تعالى - ليرحم على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من (كتاب السيرة) للعلول ، والله أعلم ، والله الحمد ولله ٥

وَأَنَّا مِنَ الْمُلْحِقِينَ وَمِنَ الدُّوْنِ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدْخًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُمْ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَائِدَ أَنَّا بِهَيْدَةٍ قَدْ بَرَّيْنَا بِرَبِّهِمْ فَلَا يُخَافُ بَحَاً وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَمِنَ الْمُتَقِصِينَ ۝ لَقَدْ أَسْلَمْنَا فَأَوْفَيْتُكَ تَحَرُّوْا وَرَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْفَيَاسُونَ فَكَانُوا لِحَبْلِهِمْ حَبْلًا ۝ وَأَلَوْ اسْتَفْضَأُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۝ لَنَنْفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَمِنْ يُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَمْلِكْهُ عُلَاكِهَا ۝

صَحَابًا ۝

يقول خبرنا من الجن : أنهم قالوا خبرين عن أنفسهم : (وَأَنَّا مِنَ الْمُلْحِقِينَ وَمِنَ الدُّوْنِ ذَلِكَ) [أي ، خبر ذلك] (كما طرائق قَدْخًا) ، أي : طرائق متصلة غطفة وآراء متفرقة .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : (كما طرائق قَدْخًا) ، أي : منا للمؤمن ومنا للكافر ٥

وقال أحمد بن سليمان التَّجَادِي في أماليه ، حدثنا أسلم بن سهل بِحَشَلٍ ، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان - وهو أبو الشعثاء الحفصري ، شيخ مسلم - حدثنا أبو معاوية قال : سمعت الأعمش يقول : تروح إلينا جن ، قلت له :

(١) سورة الأحقاف : آية : ٢٩ . وانظر : ٢٧٢/٧ - ٢٧٣ .

(٢) أي : مدحهم .

ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال الأرز . قال : فأنتبهم به ، فجعلت أرى أنهم ترفع ولا أرى أحدا : قلت : فيكم من هذه الأمور التي فينا ؟ قال : نعم . قلت : فما الرافضة فيكم ؟ قال : شرنا ؛

عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الجراح المقرئ قال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش . وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الثمشتي قال : سمعت بض الجن (١) وأنا في منزل بالبلد ينشد :

قُلُوبٌ بِرُكَاها لِحِبَةٍ حَتَّى تَمَلَّكَتْ مَكَدَهِهَا فِي كُلِّ حَرْبٍ وَشُكُوفٍ
تَهَيُّمٌ بِحَبِّ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رِيَّهَا مُحَلَّقَةٌ بِاللَّهِ دِينُ الْخَلَائِقِ (٢)

وقوله : (وأنا علمتنا أن لن نميز الله في الأرض ولن نميزه هربا) ، أي : نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا ولا نميزه في الأرض ، ولو لمنا في الحرب ، فانه علينا قاهر ، لا يصبره أحد منا .

(وأنا لما سمعنا للمدى آتيا به) : ينتخرون بذلك ، وهو مضفر لهم ، وشرف رفيع ، وصفة حسنة . وقولهم : (فن يؤمن بربه فلا يخاف غشا ولا رهقا) -- قال ابن عباس ، وقادة ، وغيرها : فلا يخاف أن يقتلهم من حسنته أو يحمل عليه غير سيئاته ، كما قال تعالى : (فلا يخاف ظلما ولا ضلما) (٣) .

(وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) ، أي : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق التائب عنه ، فلو كان للقسط فانه العادل ، (فن أسلم فأولئك تحروا راشدا) ، أي : طلبوا لأصعبهم النجاة . (ولما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أي : وقودا لشجرهم .

وقوله : (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه) -- انحطت للمفسرون في معنى هذا على قولين :

أحدهما : ولأن استقام القاسطون على طريقة الإسلام وحصلوا إليها واستمروا عليها ، (لأسقيناهم ماء غدقا) ، أي : كثيرا . والمراد بذلك سمة الرزق ، كقوله تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، لأكلوا من ثمره ومن تحت أرجلهم) (٤) . وكقوله : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتننا عليهم بركات من السماء والأرض) (٥) . وعلى هذا يكون معنى قوله : (لنفتنهم فيه) ، أي : لنختبرهم ، كما قال مالك ، عن زيد بن أسلم : (لنفتنهم) : لنبتليهم ، من يستمر على الهداية من يرتد إلى الفلأية ؟

ذكر من قال بهذا القول : قال القرطبي ، عن ابن عباس : (وأن لو استقاموا على الطريقة) أي : بالاستقامة الطاعة (٦) . وقال مجاهد : (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، قال : الإسلام . وكما قال سعيد بن جبتر ، وسعيد ابن المسيب ، وعطاء ، والسدي ، وعصم بن كعب القرظي .

(١) في تاريخ مدينة دمشق : « أبا » .

(٢) تاريخ مدينة دمشق مكتروفيهم بمحمد الخطوطات العربية بحاسة الدول العربية ، برقم ١٢٥ تاريخ حمزة القلس ، من مكتبة أحمد الثالث .

(٣) سورة طه ، آية : ١١٢ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٦٦ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٦) تفسير الطبري : ٧٢/٧٩ .

وقال قتادة : (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، يقول : لو آمنوا كلهم لأومنا عليهم من الدنيا .
 وقال مجاهد : (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، أى : طريقة الحق . وكلما قال الضحاك ، واستشهد على ذلك
 بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله : (لفتنهم فيه) ، أى : لنبتليهم به .
 وقال مقاتل : تولت في كفار قريش حين منوا للطريق ستن .
 والقول الثاني : (وأن لو استقاموا على الطريقة) : الضلالة (لأستقيم ماء غلغا) ، أى : لأومنا عليهم في الرزق
 استعراجا ، كما قال : (فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم
 بغتة ، فاذا هم مبسوطون (١)) . وكتوله : (ألتصبرون أمنا نعلم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون (٢))
 وهذا قول أبي مجلز : لاحت بين حميد ، فإنه قال في قوله : (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، أى : طريقة الضلالة .
 ورواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وحكاها البيهقي عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبي ، وابن كيسان .
 وله اتجاه ويتأيد بقوله : (لفتنهم فيه) .

وقوله : (ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه (٣)) طلبا صعدا ، أى : طلبا شاقا خديفا موجعا مؤثلا .
 قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : (طلبا صعدا) ، أى : مشقة لا راحة معها .
 وعن ابن عباس : جبل في جهنم . ومن سيد بن جبر : [يتر] فيها .

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٥٠﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٥١﴾ قُلْ
 إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٥٢﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٥٣﴾ قُلْ إِنِّي أَنُحْيِيكُمْ مِمَّنِ اللَّهُ
 أَحَدٌ وَلَئِنْ أَجِدُ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحِدًا ﴿٥٤﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَهُ نَارُ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٥٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَائِدَةً فَسَيعِلُونَ مِنْ أَضْعَافٍ نَاصِرًا وَقَلَّ عَدَدًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى أمرا عباده أن يوحّدوه في مجال عبادته ، ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به ، كما قال قتادة في قوله :
 (وأن للمساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) - قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم ، أشرعوا بأقد
 فأمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يوحّدوه وحده (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين : حدثنا إسماعيل بن بنت السدي ، أنبأه رجل ساه ، عن السدي ،
 عن أبي مالك - أو : أبي صالح - عن ابن عباس في قوله : (وأن للمساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) ، قال : لم يكن
 يوم أزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا : بيت المقدس .

(١) سورة الأنعام : آية : ٤٤ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) كلما في غلظة الأجر (سلك) ، بالنون . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٢/٨ : وقرأ الجمهور
 (سلك) بالياء ، وبالنسبة بالنون .

(٤) تفسير الطبري : ٧٢/٢٩ .

وقال الأعمش: قالت الجن: يا رسول الله، إنك لنا تشهد ملك الصلوات في مسجدك، فأقول الله: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ
فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)، يقول: صلوا، لا تختلطوا الناس.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا مفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن محمود، عن سعيد
ابن جبير: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ) قال: قالت الجن لبي الله صلى الله عليه وسلم: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن نأمن؟
[وكيف نشهد الصلاة ونحن نأمن عنك؟] فترلت: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ) فلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١).
وقال مفيان، عن خُصَيْف، عن عكرمة: نزلت في المساجد كلها.

[وقال (٢) سعيد بن جبير: نزلت في أعضاء السجود، أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره: وذكروا عند هذا
القول الحديث الصحيح، من رواية عبد الله بن طامس، عن أبيه، عن ابن عباس (٣) - رضي الله عنهما - قال: قال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة: أشار يده إلى أُنْفِهِ - ولإثنين
والركبتين وأطراف القدمين (٤)»].

وقوله: (وَأَنَّهُ لَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) - قال الصَّوْقِي، عن ابن عباس يقول: لا سمعوا
النبي - صلى الله عليه وسلم - يُلَوِّحُ الْقُرْآنَ كَادُوا يَرْكَبُونَهُ، من الحرص، لما سمعوه يُلَوِّحُ الْقُرْآنَ، ودنا منه فلم يعلم بهم
حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه: (قل أَوْسَى إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْبَنِي، يستمعون القرآن).
هذا قول، وهو مروى عن الربيع بن اللوام، رضي الله عنه.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن معمر، حدثنا [أبو مسلم (٥)]، عن أبي حنيفة، عن أبي بشر، عن سعيد
ابن جبير، عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم: (لَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)، قال: لا رأوه
يصل وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: حجبوا من طواعية أصحابه له، قال: فقالوا لقومهم:
(لَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (٦).

وهذا قول ثان، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضاً.

وقال الحسن: لا قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى دينهم،
كادت العرب تكبد عليه جميعاً (٧).

وقال قتادة في قوله: (وَأَنَّهُ لَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)، قال: تَلَبَّثَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى هَذَا
الْأَمْرِ لِيُظْهِرَهُ، فإني الله إلا أن يصبره ويُمُضِّيهِ ويظهره على من نالوه.

(١) تفسير الطبري: ٢٩: ٧٣.

(٢) من هنا غير ثابت في خطوط الأثر.

(٣) البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «السجود على الأُنف»: ٢٠٦/١. وسلم، كتاب الصلاة، باب
«أعضاء السجود»، وانتهى عن كثرة التكرار ومقتضى الرأس في الصلاة: ٥٢/٢.

(٤) إل هنا ينتهي ما أتيت من التلميذات السابقة.

(٥) في الخطوط: «حدثنا ابن شام». وللتبني عن تفسير الطبري، والتلميذات السابقة من ابن كثير.

(٦) تفسير الطبري: ٧٤/٢٩.

(٧) تفسير الطبري: ٧٥/٢٩. وفيه: «كادت العرب تكون عليه جميعاً».

وهذا قول ثالث ، وهو مروي عن ابن عباس ، وعبد بن جبر ، وقول ابن زيد ، واختار ابن جرير ، وهو أظهر لقوله بعده (قال (١) : إنما أخصركم ولا أشرك به أحد) ، أي : قال لهم الرسول - لا أخوه وخالفوه وكلجوه وتظاهروا عليه ، ليظنوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عدائه : (إنما ادعوني) ، أي : إنما أعيديني وحده لا شريك له ، ولستعجب به وأتوكل عليه) (ولا أشرك به أحد) .

وقوله : (قل : إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) ، أي : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غيائكم ، بل للرجح في ذلك كله إلى الله عز وجل .

ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يحرمه من الله أحد ، أي : لو عصيته فإنه لا يضرك أحد على إتيائي من ضلاليه . (ولن أجد من دونه ملتحدا) ، قال عباد ، وقادة ، والهدى : لا ملجأ . وقال قتادة أيضا : (قل : إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) ، أي : لا نصير ولا ملجأ . وفي رواية : لا ولي ولا متوال .

وقوله تعالى : (لا يلاظنا من الله ورسالاته) ، قال بعضهم : هو مستثنى من قوله (لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لا يلاظنا) ويعمل أن يكون مستثنى من قوله : (لن ينجيني من الله أحد) ، أي : لا ينجيني منه ويخلصني إلا بإلافي الرسالة التي أوجب آدمها عليّ ، كما قال تعالى : (يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، وإنا نضيقك بالناس) (٢) .

وقوله : (ومن يصنع الله ورسوله فإنه نازجهم خالدين فيها أبدا) أي إنما أهلككم رسالة الله فمن يصنع بعد ذلك لله جزاء على ذلك نازجهم خالدين فيها أبدا ، لا يحيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

وقوله : (حتى إذا نزلوا ما يوحدون فيسلبون من أضمت أصرا وأفلحدا) ، أي : حتى إذا رأى هؤلاء للمشركين من الجن والإنس ما يؤمنون يوم القيامة ، فيسلبون يومئذ من أضمت ناصرا وأفلحدا ؟ هم أم المؤمنون للوحدون في عز وجل ، أي : بل للمشركين لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أفلحدا من جنود الله عز وجل .

قُلْ إِنْ أَنْتُمْ أَحْرَبٌ أَقْرَبٌ مَا تَوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْنًا ۖ عَلِيمُ الْغُيُوبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدٌ ۚ
أَلَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ قَدْ جَاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ رَسُلًا ۚ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

يقول تعالى أنزل رسولهم - صلى الله عليه وسلم - أن يقول للناس : إني لا أعلم له بوقت الساعة ، ولا ينزوي أقرب أوتها لم بعد ؟ (قل : إن أخرى أقرب ما توعدون لم يجعل له ربي أمنا) ، أي : مدة طويلة .

وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير ، من الجهلة من أنه - عليه السلام - لا يؤتلف إسماعيل الأرض ، كلب لا أصل له ، ولم نره في شيء من الكتب . وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ، ولما تبدى في جبل في صورة أعرابي كان فيها سأل أن قال : يا محمد ، فلغيرني عن الساعة ؟

(١) كما في خطبة الأخر (قال) . ومن قراءة الجمهور ، انظر تفسير الخليل لابي حيان : ٢٥٣/٨ .

(٢) سورة المائدة : آية : ٦٧ .

قال : « ما المستول عنها بأعلم من السائل » . ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهورى فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : « ويحك ، إنها كائنة ، فما أحدثت لها ؟ » . قال : أما إنى لم أعد لما كثر صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله . قال : « فأنت مع من أحببت » . قال أنس : فمما فرح المسلمون بشئ فرحهم بهذا الحديث (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن (٢) مَسْقَى ، حدثنا محمد بن حمير (٣) ، حدثنى أبو بكر بن أبى مريم ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن أنس بن مالك - صلى الله عليه وسلم - قال : « يا بنى آدم ، إن كنتم تتقون (٤) فليدعوا أنفسكم من اللوق ، وللى نفس يده إنما توحلون لآت » .

وقد قال أبو داود في آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسى بن سهل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه ، عن أبى قحطبة الحنسى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن يعجز الله هذه الأمة (٥) من نصف يوم (٦) » .

انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود :

حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنى صفوان ، عن شريح بن عبيد ، عن سعد بن أبى وقاص عن أنس - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إنى لأرجو أن لا تمجر أذى عند ربنا أن يؤخرهم نصف يوم » . قيل لسعد : وكيف نصف يوم ؟ قال : خصال عام ، انفرد به أبو داود (٦) .

وقوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول) : هذه كقوله تعالى : (ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء (٧)) . وهكذا قال هاجتا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يبلغ أحد من خلقه على شئ من علمه إلا بما أطلعهم تعالى عليه ، ولهذا قال : (فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول) ، ولهذا يتم الرسول للملكى والبشرى .

ثم قال : (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ، أى : يَخْتَصِمُهُ بِمَزِيدٍ مَقْبُوحَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَحْفُوظَاتِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَيَسْأَلُونَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ . ولهذا قال : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وألقى كل شئ علهما) .

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذى في قوله : (ليعلم) إلى من يعود ؟ قيل : إنه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ١٨٧ من سورة الأعراف وخرجته هناك ، انظر : ٥٣٣/٣ .
 - (٢) في المخطوطة : « محمد بن مصاب » . ولم نجد . والمثبت ما تقدم في تفسير آية الأنعام ١٢٤ : ٢٣٥/٣ . ويقول ابن أبى حاتم في المبرج والتبديل ١٠٤/١/٤ : محمد بن الحسن الحنسى ، روى عن محمد بن سيرين ... كتب عنه أبى وروى عنه .
 - (٣) في المخطوطة : « محمد بن جبير » ، انظر التلخيص المتقدم .
 - (٤) في المخطوطة : « تاملون » . والمثبت عن السبابة أنى تقدمت في سورة الأنعام ٢٣٥/٣ .
 - (٥) في المخطوطة : « هذه الآية » . والمثبت عن سنن أبى داود .
 - (٦) سنن أبى داود ، كتاب الملاحم ، باب « قيام الساعة » .
 - (٧) سورة البقرة : آية ٢٢٥ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُصَي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : (عالم الثيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فاته يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ، قال : أربعة حفلة من الملائكة مع جبريل - (ليُعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شيء عدداً)^(١) .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القُصَي ، به : وهكذا رواه الضحاك ، والسدي ، ويزيد بن أبي حبيب .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (ليُعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) ، قال : ليُعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت من الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعتها عنها . وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير .

وتخل غير ذلك ، كما رواه القسوي عن ابن عباس في قوله : (إلا من ارتضى من رسول فاته يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ، قال : هي مقببات من الملائكة يحفظون النبي من الشيطان ، حتى يتبين^(٢) الذي أرسل [به] إليهم . وذلك حين يقول ، ليُعلم أهل الشرك^(٣) أن قد أبلغوا رسالات ربهم^(٤) .

وكذا قال ابن أبي نجيع ، عن عباد : (ليُعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) ، قال : ليُعلم من كتب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفي هذا نظر .

وقال البغوي : قرأ يعقوب : (ليُعلم) ، بالقسم ، أي : ليُعلم الناس أن الرسل قد بلغوا .

ويحصل أن يكون الضمير حالاً إلى الله - عز وجل - وهو قول حكاة ابن الجوزي في زاد المسير^(٥) . ويكون المعنى في ذلك : أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظوا ما بين إليهم من الوحي ، ليُعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يبع الرسول من ينقلب على عقبيه)^(٦) . وكقوله : (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)^(٧) ، إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأكفياء قبل كونها قطعا لا هالة ، ولهذا قال بعد هذا : (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) .

آخر تفسير سورة الجن ، والله الحمد والمنة

(١) تفسير الطبري : ٧٧/٢٩ .

(٢) في المخطوطة : حتى يتبين الذين أرسل إليهم . والمثبت عن تفسير الطبري . ولفظ القدر المتشور ٢٧٥/٦ : حتى يبين الله أوليهم به .

(٣) لفظ الطبري : « وذلك حين يقول ، ليُعلم أن قد أبلغوا ... » . ولفظ القدر المتشور : « وذلك حين يقول أهل الشرك : قد أبلغوا رسالات ربهم » . ويبدو أنه لا بد من هذه الزيادة ، وهي « أهل الشرك » بدليل أثر مجاهد الذي يدل أثر ابن عباس .

(٤) تفسير الطبري : ٧٧/٢٩ .

(٥) زاد المسير : تفسير سورة الجن : ٣٨٦/٨ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٧) سورة التكاوير ، آية : ١١ .

تفسير سورة المزمل

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن حيد الخاق الزيار : حدثنا محمد بن موسى القلان الواسطي ، حدثنا علي بن عبد الرحمن حدثنا نريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار النخوة فقالوا : « صموا هذا الرجل اسماً تصدُر الناس عنه . فقالوا : كاهن . قالوا : ليس يكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس يساحر . ففرضوا للشركون على ذلك ، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فزمل في ثيابه وتشر فيها فأتاه جبريل عليه السلام فقال : (يا أيها المزمل) ، (يا أيها اللئيم) »

ثم قال الزيار : علي بن عبد الرحمن : قد حدث عنه جماعة من أهل العلم ، واحملوا حديثه ، لكنه يهرد بأحاديث لا يتابع عليها ،

أَفْهَامُ سُورَةِ الْمَزْمَلِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ① ثُمَّ الْبَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ② نَبِّهْهُ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَزَلْ الْقُرْآنَ ④ وَتَرَيَا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ ثَلَاثَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ⑦ إِنَّكَ فِي النَّبَرِ ⑧ سَبْعًا كَوْكَبًا ⑨ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَيَسِّرْ إِلَيْهِ تَبَتُّلًا ⑩ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ⑪ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑫

يأمر تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يترك الزمل ، وهو : التخلي في الليل ، ويتنفس إلى القيام ليرسح وجلا - كما قال تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطعناً ، وما رزقناهم يفتقرون (١)) ، وكذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معتزلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل ، وقد كان واجبا عليه وحده ، كما قال تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يمتك ربك مقاماً محموداً (٢)) . وهاتان بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى : (يا أيها المزمل . ثم الليل إلا قليلاً) .

قال ابن عباس ، والفصحاء ، والسدى : (يا أيها المزمل) ، يعني : يا أيها النائم . وقال كاتبة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم التيمي : تزكيت وهو مستزمل بقطيفة .

(١) سورة السجدة ، آية : ١٦ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٧٩ .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (يا أيها المزمل) ، قال : يا محمد ، زُمتَ القرآن .
وقوله : (نصفه) : بدل من الليل ، (أو انقص منه قليلا . أو زد عليه) ، أي : أمرناك أن تقوم نصف الليل
بزيادة قليلة أو نقصان قليل ، لا حرج عليك في ذلك .

وقوله : (ورتل القرآن ترتيلا) ، أي : اقرأه على تمهل ، فإنه يكون حونا على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان
يقرا صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كان يقرأ السورة فيزلها ، حتى تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح
البخاري ، عن أنس : أنه سُئِلَ عن قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : كانت مدأ ، ثم قرأ :
بسم الله الرحمن الرحيم) ، يدبسم الله ، ويد الرحمن ، ويد الرحيم (١) .

وقال ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة : أنها سُئِلَت عن قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فقلت : كان يقطعُ قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم
الدين) . رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي
- صلى الله عليه وسلم - قال : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق (٣) ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا ، فان منزلتك
عند آخر آية تقرأها (٤) » .

ورواه أبو داود ، والترمذي والنسائي ، من حديث سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : « حسن صحيح (٥) » .
وقد قلنا في أول التفسير الأحاديث الثلاثة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ، كما جاء في الحديث :
« زينوا القرآن بأصواتكم » ، و « ليس منا من لم يفتح بالقرآن (٦) » ، و « لقد أوتي هذمزمارة من زمير آل داود (٧) » .
يعني أبا موسى ، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبته لك تحبها .

- (١) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب « منه القراءة » : ٢٤١/٦ .
- (٢) سنن الإمام أحمد : ٣٠٢/٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الحروف . وتحفة الأحرف ، أبواب فضائل القرآن ، باب
« ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٢٤٠/٨١ : ٢٤١-٢٤٠ .
- (٣) كذا في المخطوطة ، ومثله في الترمذي . وفي سنن أبي داود : « وارق » . وفي سنن الإمام أحمد : « واورقا » . والمعنى :
اصبه إلى درجات الجنة .
- (٤) سنن الإمام أحمد : ١٩٢/٢ .
- (٥) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » . وتحفة الأحرف ، أبواب فضائل القرآن ،
الحديث ٣٠٨١ : ٢٣٢/٨ .
- (٦) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » . والنسائي ، كتاب الاختصاص ، باب « ترتيل
القرآن بالصوت » : ١٧٩/٢ . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « في حسن الصوت بالقرآن » ، الحديث ١٣٤٢ :
٢٦٦/١ . وسنن الإمام أحمد ، عن قنبر بن حازم : ٢٨٣/٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٥ .
- (٧) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وأسرأ تولك أم أجهروا به) : ١٨٨/٩ . وسنن أبي داود ،
كتاب الوتر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » . وسنن الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص : ١٧٢/١ ، ١٧٥ ، ١٧٩ .
- (٨) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب « حسن الصوت بالقراءة » : ٢٤١/٦ . ومثله ، كتاب الصلاة ، باب
« استحباب تحسين الصوت بالقرآن » : ١٩٢/٢ - ١٩٣ .

ومن ابن مسعود أنه قال : لا تتروه نثر الرمل ، ولا تزدوه هذا الشعر (١) ، فتوا عند حجابيه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البيهقي .

وقال البخاري : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة : سمعت أباً وائلاً قال : جاء رجل إلى ابن مسعود قال : قرأت للمقبل البلية في ركعة . قال : هكذا كُتِبَ الشعر : لقد عرفت الظنار التي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرن بينها . لذلك عشرين سورة من المُفَصَّل ، سورتين في ركعة (٢) .

وقوله : (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) ، قال الحسن ، وكفاة : أي العمل به (٣) .

وقيل : قيل وقت نزوله ، من عظته . كما قال زيد بن ثابت : أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقضد على فخللى ، فكانت تُرْسِي فخللى (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله ابن عمرو قال : سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - قلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحى ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لم أسمع صكاً حيل ، ثم أسمع عند ذلك ، فإني مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسي تفيض (٥) ، فترد به لأحمد (٦) .

وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث ابن هشام سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كيف يأتيك الوحى ؟ قال : « أحياناً يأتي في مثل صكيلة الجرس ، وهو أشبه عكبي ، فيفصم (٧) » حتى وقد وعيت منه ما قال : « وأحياناً يمشي في الليل رجل ليكلني فأعي ما يقول » ، قالت عائشة : ويؤد رأيه يترى عليه الوحى - صلى الله عليه وسلم - في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جيبه ليضمده حرقاً ، هذا لقظه (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أنصرتنا عبد الرحمن ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : إن كان ليوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على راحته ، فضرِبُ بجرانها (٩) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقه ، وضعت جرانها ، فاستصيح أن تمرك حتى يسرى عنه (١٠) .

(١) أي : لا تسرعوا في قرأته كما تسرعوا في قراءة الشعر ، والمخ : مرفة القتلح .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « ألبع بين السورتين في ركعة » ١٩٧/١ .

(٣) تفسير الطبري : ٨٠/٢٩ .

(٤) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « ما يذكر في القضاة » ١٠٣/١ . وتفسير سورة النساء : ٥٩/٦ - ٦٠ .

(٥) أي : تخرج .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٢/٢ .

(٧) أي : يقطع . يقال : أضم الحلق ، إذا قطع والكلف .

(٨) البخاري : ٣ - ٢/١ .

(٩) مسند الإمام أحمد : ١١٨/٦ . والجيران : يفتح الهمزة ، والمخ : أنها كتبت في مكانها .

(١٠) تفسير الطبري : ٨٠/٢٩ .

وهذا مرسل الجرائن ، هو باطن الحق .

واختار ابن جرير أنه قيل من الوجهين معا ، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما قيل في الدنيا قتل يوم القيامة في المواقين (١) .

وقوله : (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم كيلا) - قال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : نشأ : قام ، بالخشية ؛

وقال عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير : الليل كله ناشئة . وكذا قال مجاهد ، وغير واحد ، يقال : نشأ : إذا قام من الليل ، وفي رواية من مجاهد : بعد العشاء . وكذا قال أبو مجلز ، وقادة ، وسالم و (أبو) حازم ، ومحمد ابن المنكر .

والغرض أن ناشئة الليل هي : ساعاته وأوقاته ، وكل ساعة منه تسمى ناشئة ، وهي الآتات . والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواظبة بين القلب واللسان ، وأجمع على التلاوة . ولهذا قال : (هي أشد وطأ وأقوم كيلا) ، أي : أجمع للخطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ، لأنه وقت انتشار الناس ولتقطع الأصوات وأوقات المباحث .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش : أن أنس ابن مالك قرأ هذه الآية : (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم كيلا) ، فقال له رجل : إنما ترونها (وأقوم كيلا) . فقال له : إن أصوب وأقوم وأجيا وأشبه هذا واحد .

ولهذا قال : (إن لك في النهار سبعا طويلا) ، قال ابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء بن أبي سلمة : الفراغ والنوم . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقادة ، والربيع بن أنس ، وسفيان الثوري : فراغا طويلا .

وقال قتادة : فراغا وبقيّة وسكناً ؛

وقال السدي : (سبعا طويلا) : طويلا كثيرا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (سبعا طويلا) ، قال : لحواليك ، فأفرغ ليلتك الليل . قال : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن الله من على العباد فحفظها ووضعها ، وقرأ : (ثم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ، ثم قال : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) حتى يبلغ : (فاقروا ما تيسر منه) [الليل نصفه أو ثلثه . ثم جاء أمر أوسع وأفسح وضع الفريضة عنه وعن أمته (٢)] فقال (٣) : وقال : (ومن الليل تهجد به نافلة لك ، عسى أن ينذك ربك مقاما محمودا) . وهذا الذي قاله كما قاله (٤) .

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا يحيى ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن زورارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام (٥) : أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله في الكراع (٦)

(١) تفسير الطبري : ٢٩٠/٨٠ .

(٢) ما بين القوسين من تفسير الطبري . ونحسب أن يكون سقط نظر .

(٣) في المخطوطة : « وقال » . والمثبت من تفسير الطبري أيضا .

(٤) تفسير الطبري : ٢٩٠/٨٢ .

(٥) في المخطوطة : « سعيد بن هشام » . والمثبت من المستدرك والبرج والتمثيل لابن أبي حاتم : ٩٦/١٧٢ .

(٦) أي : في تفتري هذه الأسلبة والتحليل ؛ وذلك لزمه التجرد للجهاد .

والسلاح ، ثم يجاهد الروم حتى يموت . فلقى ربهما من قومه فحضره أن ربهما من قومه سنة^(١) أو ادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « ليس لكم في أسوة ؟ فنهام عن ذلك ، فاشهدهم على رجعتهم ، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : انت عائشة فأعلمنا ثم ارجع إلى فأخبرني بردها عليك . قال : فأثبت على حكمي بن أطفح فاستطعنه^(٢) إليها ، فقال : ما أنا بفارها^(٣) ؟ إني نيتها أن تقول في هاتين الشيعتين^(٤) شيئا ، فأبى فيهما إلا مضيا . فاقسمت عليه ، فجاء معي ، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ وعرفته ؟ قال : نعم . قالت : من هذا ملك ؟ قال : سعد بن هشام . قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . قال : فرحمت عليه وقالت : نعم للمرء كان عامر . قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : أأنت تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان القرآن . فهيمت أن أقوم ، ثم بدا لي قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : أأنت تقرأ هذه السورة : (يا أيها الزمل) ؟ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفضت أثلامهم ، وأمسك الله خاتمتها في الساء^(٥) اثني عشر شهرا ، ثم أنزل الله التخييف في آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعا من بعد لوفية^(٦) . فهيمت أن أقوم ، ثم بدا لي وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : كنا نعد له سيواكه ومطهونه ، فيبته^(٧) الله فلا شاء أن يبعث من الليل ، فيسوك ثم يتوضأ ثم يصل ثمان ركعات لا يجلس فيها إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه ويدهو [ويستغفر ثم ينهض ولا يسلم . ثم يصل التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدهو^(٨)] ثم يسلم تسليبا يسمعا ، ثم يصل ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم . فذلك إحدى عشرة [ركعة] يا بني . فلما أسن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ^(٩) اللهم ، أوتر بسبع ، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم ، فذلك [تسع] يا بني . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض ، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ، ولا أعلم بني الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ القرآن كله في ليلة ولا قام^(١٠) ليلة حتى أصبح ، ولا صام شهرا كاملا غير رمضان .

فأثبت ابن عباس حديثه بحديثها ، فقال : صدقت ، أما لو كنت أدخل عليها لأثبتها حتى تشافهني^(١١) مشافهة^(١٢) .

(١) أي : طلبت منه مرافقته إياي في اللعاب إليها .

(٢) أي : لا أريد قرها .

(٣) يريد : فبته على وأصحاب الجبل .

(٤) في المسند : « غريضة » . وما في سلم يوافق ما هنا .

(٥) أي : يوقظه ، لأن للترم أشد الموت .

(٦) ما بين القوسين سقط من النسخة ، والكتب عن المسند .

(٧) في بعض روايات سلم : « وأخذ » . والشي : وكثر له . هذا ما قيل ، وهو خلاف مسلمة عليه السلام ، فإنه لم يكن لها سبيها ، ثم جاء في مسلمة - صلى الله عليه وسلم - أنه بادن منك ، والبادن : الفسخ ، فلما قيل « بادن » أورد

« منك » ، وهو الذي يسلك بعض أفعاله بعضا ، فهو ممثل الخلق . حل الله قد قيل في « وأخذ » : ضعف .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٥٤/٦ .

هكذا رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث قتادة ، بنحوه (١) .

طريق أخرى من حاشية في هذا المعنى ، قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد (٢) بن الحُبَاب - وحديثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا بن قالا جميعا ، واللفظ لابن وكيع : عن موسى بن عبيدة ، حدثني محمد بن طحلاء ، عن أبي سلمة ، عن حاشية قالت : كنت أسمع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حبرا يُصَلِّي عليه من الليل ، فتسمع الناس به فاجتمعوا ، فخرج كالمغضب - وكان بهم رحيا ، فطشى أن يكتب عليهم قيام الليل - قال : يا أيها الناس ، اكثروا (٣) من الأعمال ما تليقون ، فإن الله لا يَمَكِّن من الثواب حتى تعملوا من العمل ، وغير الأعمال ما ديم عليه ، وترك القرآن (٤) يا أيها الزمِّل - تم الليل إلا قليلا - نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه (٥) ، حتى كان الرجل يربط الحبل ويعلق ، فكانوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يفتنون من رضوانه ، فرحمهم فدخلهم إلى القرية ، وترك قيام الليل (٦) .

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الريلي ، وهو ضعيف : والحديث في الصحيح (٧) بدون زيادة نزول هذه السورة ، وهذا السياق قد يؤم أن نزول هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك ، وإذ هي مكة . وقوله في هذا السياق : إن يبع ثوبك أو ثوبا وآخرها ثمانية أشهر - قريب ، وقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن مياك الحنفي ، سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول الزمِّل ، كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة .

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن أبي أسامة ، به (٨) .

وقال الثوري وعمد بن بشر السدي ، كلاهما عن مسعر ، عن مياك ، عن ابن عباس : كان بينهما سنة : وروى ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن مياك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله (٩) . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا بن قالا ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت (يا أيها الزمِّل) ، قاموا حولي حتى وُزمت أقدامهم وسوقُهم ، حتى نزلت : (فافزعوا ما تيسر منه) قال : فاستراح الناس (١٠) . وكذا قال الحسن البصري .

(١) مسلم : كتاب الصلاة ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن ثم منه أو عرض : ١٦٨/٢ - ١٧٠ .

(٢) في تفسير الطبري : ٢٢٦ من سبانه . ويبدو أن التصواب ما هنا .

(٣) أي : عدوا وتحسبوا .

(٤) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

(٥) انظر البكري ، كتاب الفرقان ، باب : انقضاء المكافأة على العمل : ١٢٢/٨ . وانظر منه الإمام : ٤٠/٦١ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٤١ ، ٢٦٧ .

(٦) تفسير الطبري : ٧٨/٢٩ .

(٧) تفسير الطبري : ٨٠/٢٩ .

(٨) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد الله بن عمر القولوبرى ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي (١) عن قتادة ، عن زُورارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام قال : قلت - يني لأشأته - : أخبرنا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت : ألمت قرا : (يا أيها الزلزل) ؟ قلت : بلى . قالت : فإنها كانت قيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حتى انتضخت أقدانهم ، وحبس آخرها في المياه سنة عشر شهرا ، ثم نزل .

وقال معمر ، عن قتادة : (ثم الليل إلا قليل) ، قاموا حولا أو حولين ، حتى انتضخت سوطهم وأقدانهم ، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القتيبي ، عن جعفر ، عن سعيد - هو ابن جبير - قال : لا أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - : (يا أيها الزلزل) ، قال : مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل ، كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) إلى قوله : (وأقيموا الصلاة) ، فأنزل الله تعالى عليهم بعد عشر سنين (٢) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن رافع ، عن يعقوب القتيبي ، به .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ثم الليل إلا قليلا : نصفه أو انقضى منه قليلا أو زد عليه وروى القرآن (تبارك) ، فأمر الله نبيه وللذين بقيام الليل إلا قليلا (٣) فشق ذلك على المؤمنين ، ثم خفف الله عنهم ورحمهم ، فأنزل بعد هذا : (علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض) إلى قوله : (فاقربوا ما تيسر من) ، فوسع الله - وله الحمد - ولم يضيق (٤) .

وقوله : (واذكر اسم ربك وتبجل إليه تبجيلا) ، أي : أكثر من ذكره ، وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك ، وما تحتاج إليه من أمور دنياك ، كما قال : (فاذا فرغت فانصب (٥)) ، أي : إذا فرغت من مهامك (٦) فانصب في طاعته وعبادته ، لتكون طارح البال : قاله ابن زيد بعناه أو قريبه (٧) منه :

قال ابن عباس ومجاهد ، وأبو صالح ، وصلي ، والفصحك ، والناسي : (وتبجل إليه تبجيلا) ، أي : أخلص له العباد .

وقال الحسن : أجدد وتبجل إليه نفسك .

(١) ما بين القوسين من التعليقات السابقة .

(٢) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

(٣) ما بين القوسين من تفسير الطبري . وهو مقتل نظر .

(٤) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

(٥) سورة الفتح : آية : ٢ .

(٦) في الخطوبة : « مهامك » .

(٧) النظر في تفسير الطبري : ٨٤/٢٩ .

ولل ابن جرير : يقال للمابد : متبل ، ومنه الحديث المروي [أنه انتهى عن التبل (١) . يعني الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج .

وقوله : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) ، أي : هو المالك للتصرف في المشرق والمغرب ، الذي لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل (فاتخذه وكيلاً) ، كما قال في الآية الأخرى : (فاعبدوه وتوكل عليه (٢)) ، وكقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، وآيات كثيرة في هذا المعنى ، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله ، وتخصيصه بالتوكل عليه .

وَأَمِيرٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاجْهَرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدُنَّا أَنْكَالًا وَجَجِيمًا ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّا غَصَبٌ وَاعْلَمُوا أَنَّا غَصَبٌ وَاعْلَمُوا أَنَّا غَصَبٌ ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيَابِ مِهْبَلٍ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْدًا وَبِيسَلًا ۝ فَكَيْفَ تَقُولُونَ إِن كُفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ ۖ وَكُنَّ أَفْئِدَةٌ مَّقْطُورَةٌ ۝

يقول تعالى أمرا رسوله — صلى الله عليه وسلم — بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه ، وأن يهجرهم هجرا جميلا ، وهو الذي لا عتاب منه . ثم قال له متوعدا لكفار قومه ومتهكما — وهو العظيم الذي لا يقوم لنفسه شيء . (وذري والمكذبين أولى النعمة) ، أي : ذري والمكذبين المترفين أصحاب الأموال ، فإنهم أقدر على الطاعة من غيرهم ، وهم بطالون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ، (ومهلهم قليلا) ، أي : رويها ، كما قال : (نعتهم قليلا ثم تبطئهم إلى جلاب غليظ) . ولعلنا قال هاجنا : (إن لدينا أنكالا) ، وهي : القيود . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وطاوس ، ومحمد بن كعب ، وحيد الله بن يزيعة ، وأبو هرمان الجوني ، وأبو جابر ، والضحاك ، وحسان بن أبي سليمان ، وقادة ، والسدي ، وابن المبارك ، والثوري ، وغير واحد (وججيم) ، وهي السعير المضطربة . (وعلما ذ غصبة) — قال ابن عباس : ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج ، (وعلما ذ غصبة) ، أي : تزلزل ، (وكانت الجبال كغيب مهبلا) ، أي : تصير ككتبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ، ثم إنها تنسف تنسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب ، حتى تصير الأرض قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عرجا ، أي : واديا ، ولا أمنا ، أي : زاوية . ومعناه : لا شيء ينخسف ولا شيء يرتفع (٣) .

ثم قال مخاطبا لكفار قريش ، والمراد سائر الناس : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) ، أي : بأعمالكم ، (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) — قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقادة ،

(١) انظر تفسير الطبري : ٨٣/٢٩ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٢٣ .

(٣) انظر تفسير سورة طه ، آية : ١٠٧ ، في : ٣٠٩/٥ — ٣١٠ .

والسدى ، والثوري : (أنزلنا ويلا) ، أى : شديدا (١) . لى : فاحفروا أنتم أن تكتبوا هذا الرسول ، فيمسيكم ما أصاب فرعون ، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما قال تعالى : (فآخذه الله نكال الآخرة والأولى (٢)) ، وأنتم أولى بالملايك والعمار إن كنتم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران . ويرى عن ابن عباس ، ومجاهد .

وقوله : (فكيف تنقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيا) ، يحمل أن يكون (يوما) معمولا لتقون ، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود : « فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به ؟ » ويحمل أن يكون معمولا لكفرتم ، فعل الأول : كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ؟ وحل الثاني : كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجهلتموه ؟ وكلاهما معنى حسن ، ولكن الأول أولى ، والله أعلم .

ومعنى قوله : (يوما يجعل الزلزالان شيا) ، أى : من شدة أحواله وزلازله وبلاياه ، وذلك حين يقول الله لآدم : ابعث يمت النار . فيقول : من كم ؟ فيقول : من كل ألف تسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة (٣) .

قال الطبراني : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن حكيمه ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (يوما يجعل الولدان شيا) ، قال : « ذلك يوم القيامة ، وذلك يوم يقول الله لآدم : قم فابت من ذريتك يمت إلى النار . قال : من كم يا رب ؟ قال : من كل ألف تسعة وتسعون ، ونحو واحد . فاشتد ذلك على المسلمين ، وعرف ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم : « إن بني آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، وإنه لا يموت منهم رجل » حتى ينتشر [لصلبه ألف رجل فتيهم ونى أشياهم جنة لهم » .

هذا حديث غريب ، وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه [الأحاديث] .

وقوله : (السماء مظفر به) — قال الحسن ، وقناة : أى بسفيه من شدة [وهوله] ومنهم من يعيد الضمير على الله عز وجل . [وروى عن ابن عباس ومجاهد (٤)] ، وليس يقوى ، لأنه لم يجر له ذكر هاهنا .

وقوله تعالى : (كان وعده مفعولا) ، أى : كان وعده هذا اليوم مفعولا ، أى : والمال عالة ، وكانت لا يحيد عنه .

(١) تفسير الطبري : ٨٦/٢٩ .

(٢) سورة القصص : آية ٢٥ .

(٣) تقدم الحديث منه تفسير الآية الثانية من سورة الحج ، وخرجناه هناك ، انظر : ٢٨٥/٥ - ٢٨٨ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٨٧/٢٩ .

إِنْ عَلِمَهُ تَذَكُّرَةً قَبْلَ شَأْنِ الْخَلْدِ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ * إِنْ رَزَقَكَ يَوْمَئِذٍ نِعْمًا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ الْيَلِيقِ وَنَعْمًا
وَلَكِنَّهُ وَمَلَائِئِةٌ مِنَ الْمَلَكِ مَعَهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ الَّذِي تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا
تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَبَّحُونَ مِنْكَ مَرَضِينَ وَفَاعْرُوثَ وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ يَنْتَقِبُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَأَنْتُمْ بِقُنُوتِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قُرْآنًا
حَسَنًا وَمَا تَقْلُمُوهَا أَلَّا تُنْفِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَخْتِمْهُ اللَّهُ فَوَعِيدًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى : (إِنْ عَلِمَهُ) ، أي : السورة (تَذَكُّرَةً) ، أي : يذكر بها أولو الألباب . ولهذا قال : (قَبْلَ شَأْنِ الْخَلْدِ
إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) ، أي : مِنْ شَأْنِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، كما قيده في السورة الأخرى : (وَمَا تَقْلُمُوهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (١) :

ثم قال : (إِنْ رَزَقَكَ يَوْمَئِذٍ نِعْمًا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ الْيَلِيقِ وَنَعْمًا وَلَكِنَّهُ وَمَلَائِئِةٌ مِنَ الْمَلَكِ مَعَهُ) ، أي : تارة هكذا ،
وتارة هكذا ، وذلك كله من غير قصد منكم ، ولكن لا يقدرون على الوانبة على ما أمركم به من قيام الليل ، لأنه يشق
عليكم ، ولهذا قال : (وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ، أي : تارة يستلان ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، أو هذا من هذا ،
(عَلِمَ أَنْ سَبَّحُونَ مِنْكَ مَرَضِينَ) ، أي : القرض الذي أوجبه عليكم (فاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) ، أي : من غير تحميل يوقت ،
أي : ولكن قوموا من الليل ما تيسر : وعبر عن الصلاة بالقرامة ، كما قال في سورة نوح : (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) ،
أي : يقرامك ، (وَلَا تَخْلُفْ بِهَا) (٢) :

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - بهذه الآية ، وهي قوله : (فاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) ،
على أنه لا يمتنع قراءة الثالثة في الصلاة ، بل لو قرأ بها أو ينهها من القرآن ، ولو بآية ، أجزأه ، بواجبوا حديث
السيء صلاة التي في الصحيحين : « ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنْكَ مِنَ الْقُرْآنِ » (٣) .

وقد أجازهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو في الصحيحين أيضا : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ يَمُوتُ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ » (٤) . وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال : « كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَقْرَأُ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ، فَهِيَ خِدَاجٌ ، فَهِيَ خِدَاجٌ » غير تمام (٥) . وفي صحيح
ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعا : « لَا يَجُزِيهِ صَلَاةٌ مَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ » .

(١) سورة الإنسان : آية ٣٠ .

(٢) سورة الإسراء : آية ١١٠ .

(٣) البخاري : كتاب الاستسكان ، باب « مَنْ رَدَّ قَوْلَ : طَلَبُ السَّلَامِ » : ٦٨/٨ - ٦٩ . ومسلم : كتاب الصلاة ،
باب « وَجوب قراءة الثالثة في كل ركعة » : ١١/٢ .

(٤) البخاري : كتاب الصلاة ، باب « وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة كلها » ، في الحضر والسفر ، وما يجر
فيها وما ينتقل : ١٩٢/١ . ومسلم : في الكتاب والباب للمؤمنين - في التلخيص السابق - : ١٦/٢ .

(٥) مسلم : في الكتاب والباب للمؤمنين : ١٠/٢ .

وقوله : (علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يكاثلون في سبيل الله) ، أى : علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أطنار في ترك قيام الليل ، من مرضى لا يستطيعون ذلك ، ومساكين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكتسب وللتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله . وهذه الآية - بل السورة كلها - مكية ، ولم يكن القتال شرع بعد ، فهي من أكبر دلائل النبوة ، لأنه من باب الإخبار بالمشيئات المستقبلية . ولهذا قال : (فآفروا ما تيسر منه) ، أى : قوموا بما تيسر عليكم منه .

قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء محمد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، ولا يقوم به ، إنما يصلي المكتوبة ؟ قال : يتوسد القرآن (١) ، لمن الله ذلك ، قال الله تعالى لعبد الصالح : (وإنه لئو علم لا علمناه) ، (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) . قلت : يا أبا سعيد ، قال الله : (فآفروا ما تيسر من القرآن) ؟ قال : نعم ، ولو خمس آيات (٢) .

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري : أنه كان يرى حقا واجبا على حكمة القرآن أن يقوموا ولو بشيئ منه في الليل ، ولهذا جاء في الحديث : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن رجل نام حتى أصبح ، فقال : « ذلك رجل بال الشيطان في أذنه » (٣) . قيل : معناه : نام عن المكتوبة . وقيل : من قيام الليل . وفي السنن : « أوبروا يا أهل القرآن » (٤) . وفي الحديث الآخر : « من لم يوتر فليس متا » (٥) .

وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر عبد العزيز (٦) ، من الخاتبة ، من إيجابه قيام شهر رمضان ، فآله أعلم :
وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجدي ، حدثنا أبو محمد بن يوسف الزبيدي ، حدثنا عبد الرحمن . [عن محمد بن عبد الله بن (٧) طلوس - من ولد طلوس - عن أبيه ، عن طلوس ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (فآفروا ما تيسر منه) ، قال : « مائة آية » .
وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله .

(١) متوسد القرآن : هو الذي يتم الليل عن القرآن ولم يتجد به .

(٢) في تفسير الطبري ٨٩/٢٩ : « ولو خمس آية » .

(٣) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه » : ٦٦/٢ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « ما روى فيه من الليل أجمع حتى أصبح » : ١٨٧/٢ .

(٤) تحفة الأحوذى ، أبواب القوتر ، الحديث ٥٥٢ : ٦٧/٢ - ٥٣٨ . وسنن أبي داود ، كتاب القوتر ، باب « استحباب القوتر » . والسنن ، كتاب قيام الليل ، باب « الأثر بالقوتر » : ٢٢٨/٢ - ٢٢٩ . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « ما جاء في القوتر » ، الحديث ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ٣٧٠/١ . ومسنن الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه : ١١٠/١ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب القوتر ، باب « فيمن لم يوتر » . ومسنن الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٤٤٢/٢ . وعن بريدة : ٣٥٧/٥ .

(٦) هو عبد العزيز بن جهم بن أحمد الخليل ، أبو بكر . صاحب الللال ، وشيخ الخاتبة ، وعالمهم ، وصاحب التصانيف . روى عن موسى بن هارون ، وأبي خليفة الجسعي وجماعة . توفي في شوال سنة ٣٦٢ وله ثمان وسبعون سنة . وكان صاحب زهد وعبادة . انظر القبر للخبز : ٣٣٠/٢ .

(٧) ما بين القوسين من التلميذات السابقة .

وقوله : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ، أى : أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم ، وآتوا الزكاة المفروضة . وهذا يدل
 بأن قال : إن فرض الزكاة نزل بحكمة ، لكن مقادير التقصّب والمخترج لم تُبيّن إلا ببلدية . والله أعلم .

وقد قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وكثادة ، وغير واحد من السلف : إن هذه الآية نُسخت
 التى كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل . واختلّفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم . وقد ثبت
 فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذكاة الرجل : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » . قال : هل على
 غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تملّوا » (١) .

وقوله تعالى : (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) ، يعنى من الصدقات ، فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره ،
 كما قال : (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) (٢) .

وقوله : (وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) ، أى : جميع ما تقدموه بين أيديكم
 فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أيقنتموه لأنفسكم فى الدنيا .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحلوث
 ابن سويد قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكم ماله أحب إليه من مال ولده ؟ » قالوا :
 يا رسول الله ، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال ولده . قال : « اعلّموا ما تقولون » . قالوا : ما نعلم إلا ذلك
 يا رسول الله ؟ قال : « إنما مال أحدكم ما قدّم وما لم يقدّم ماله » .

ورواه البخارى من حديث حص بن غياث والنسائى من حديث أبى معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به (٣) .

ثم قال تعالى : (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) ، أى : أكثروا من ذكره واستغفروا فى أموركم كلها ، فإنه
 غفور رحيم لمن استغفره .

آخر تفسير « سورة النمل » والله العبد

(١) البخارى ، كتاب الإيمان ، باب : الزكاة من الإسلام : ١٨/١ . ومسلم ، كتاب الإيمان أيضاً ، باب : بيان
 الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام : ٣١/١ - ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

(٣) البخارى ، كتاب الزكاة ، باب : ما تقدم من ماله فهو له : ١١٦/٨ . والنسائى ، كتاب الوصايا ، باب : الكرامة
 فى تأخير الوصية : ٢٣٧/٦ .

تفسير سورة المدثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَرَبَّنَا بِكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرِّيزَ قَاهِرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ
فَسْتَغْنِي ۝ وَرَبِّكَ فَصَدِّ ۝ فَإِنَّا أَنتُنَا نَزَّاعِي الْغَابِرِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يُسْرٍ ۝

ثبت في صحيح البخاري ، عن جابر أنه كان يقول : أول شيء نزل من القرآن : (يا أيها المدثر) .
وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، كما سيأتي ذلك ؛
هناك ؛

قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا وكيع ، عن علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كبير قال : سألت أبا سلمة
ابن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : (يا أيها المدثر) . قلت : يقولون : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ؟
قال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقلت له مثل ما قلت لي ، قال جابر : لا أحفظ إلا ما حدثنا رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « جئوا ببحرهما ، فلما قضيت جملتي جئت فأنزلت من بيني فلم أر
شيئا ، ونظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئا : فرفعت رأسي فرأيت شيئا ،
فأتيت خديجة فقلت : « دكروني . وصيوا على ماء بارد . قال : « فندرون وصيوا على ماء باردا قال : « فزلت
(يا أيها المدثر . ثم فأنزل . وريك فكبر) (١) » .

فكلما ماله من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم من طريق عُمَيْل ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة قال : أخبرني جابر
ابن عبد الله : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدث عن فترة الوحي : « فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا
من السماء ، فرفعت بصري فبينما ألقاه ، فإذا للآلة التي جاني بحره قاعد على كرمي بين السماء والأرض ، فحيثما (٢)
منه سعى حوت إلى الأرض ، فجئت إلى أملي ، فقلت : « زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل الله (يا أيها المدثر : قم فأنزل)
إلى : (فاهجر) . - قال أبو سلمة : والرجز الأوثان - ثم حَسَبِي الرَّحْمِيُّ وَتَنَجَّجَ » .

هذا لفظ البخاري (٣) ، وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ، لقوله : « فإذا للآلة
التي جاني بحره » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك

(١) البخاري ، تفسير سورة المدثر : ٢٠٠/٦ - ٢٠١ .

(٢) أي : فرغت منه وخفت . ويروي : « فجئت بالرجز مكان الله الأول » وهو بمعنى .

(٣) البخاري ، تفسير سورة المدثر : ٢٠٢/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : « يد الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » : ٩٩/١ .

الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحى هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنا عَقِيل ، عن ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : « ثم قرأ الوحى عن فترة ، فبينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت بصري فبُكِى السماء ، فإذا الملك الذى جاءني [بجراء الآن (١)] قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجلستُ معه فرقا ، حتى حَوَّيتُ إلى الأرض ، فجئتُ أهل قُتَيْل لم : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل الله : ربا أيها المذنب . ثم فأنزل . وربك فكبر . وثياباك فظهر . والرجز قاهجر . ثم حصى الوحى [بعد (١)] وتتابع (٢) . أخرجاه من حديث الفرري ، به (٣) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن علي بن شبيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بشر البجلي ، حدثنا المعافى بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبي مليكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع قريش طعاما ، فلما أكلوا . قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ قال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم : ليس بشاعر . وقال بعضهم : مهر يؤثر . فأجمع رأيهم على أنه مهر يؤثر . فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فحزن وقنع رأسه (٤) ، وتذكر ، فأنزل الله (ربا أيها المذنب . ثم فأنزل . وربك فكبر . وثياباك فظهر . والرجز قاهجر . ولا تحزن تستكبر . ولربك فاصبر) .

قوله : (ثم فأنزل) ، أي : شعر عن ساق الزم ، وأنزل الناس . وهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . (وربك فكبر) أي عظم . وقوله : (وثياباك فظهر) - قال الأجلح الكندي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : (وثياباك فظهر) ، قال : لا تلبسها على مصيبة ولا على عُدَّة . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الضبي :

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تَوْبَةَ فَكَجَرٍ لَيْسْتُ ، وَلَا مِنْ عُدَّةٍ أَنْتَقَتَ (٥)

وقال ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (وثياباك فظهر) ، قال : في كلام العرب : تَنَسَّى الثياب . وفي رواية بهذا الإسناد : فظهر من اللثوب . وكلنا قال إبراهيم ، والشعبي ، وعطاء .

وقال الثوري ، عن رجل (٦) ، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية : (وثياباك فظهر) ، قال : من اللثم . وكلنا قال إبراهيم النخعي .

(١) ما بين القوسين عن المسند .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٣٢٥ .

(٣) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « إذا قال أحدكم : آمين ، والملائكة في السماء ... » ١/١٢١ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « يده الوحى ... » ١/٩٩ .

(٤) يقال : أُنْعَمَ رأسه وقته ، ونه وشتم بصره نحو الشيء لا يصره منه . وأُنْعَمَ فلان رأسه : وهو أن يرفع بصره ووجهه إلى ما يحال رأسه من السماء .

(٥) تفسير الطبري : ٩١/٢٩ . وانظر البحر المحيط : ٣٧٨/٨ .

(٦) في تفسير الطبري : ٩٢/٢٩ « سفیان عن ابن جریج ، عن عطاء » .

وقال مجاهد : (وثياك فطهر) ، قال : نفسك ، ليس ثيابه . وفي رواية عنه : (وثياك فطهر) : حملك فأصلح . وكذا قال أبو ذؤين . وقال في رواية أخرى : (وثياك فطهر) ، أي : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما كانوا . وقال قتادة : (وثياك فطهر) ، أي : طهرها من اللعاصي ، وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يكن بهد الله إنه لم يكدس الثياب ، وإذا وفي وأصلح : إنه لمطهر الثياب . وقال عكرمة ، والضحك : لا تلبسها على مصيبة ،

وقال الشاعر (١) :

إذا للمرء لم يدتس من اللزوم حره فكأن ودكم يرتديه جميل

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وثياك فطهر) : لائك ثياك التي تلبس من مكسب غير طائب ، ويقال : لا تلبس ثيابك على مصيبة .

وقال محمد بن سيرين : (وثياك فطهر) ، أي : اغسلها بلقاء .

وقال ابن زيد : كان للمشركون لا يطهرون ، فأمره الله أن يطهر وأن يطهر ثيابه .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه . كما قال امرؤ القيس (٢) :

أفأظلم متهاً بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت هجرى (٣)
وإن تكنت قد مسكك منى عكيفة تسلى ثيابي من ثيابك تسكر (٤)

وقال سعيد بن جبير : (وثياك فطهر) : وقليك ونيتك فطهر .

وقال محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري : وغسلتك فحسن .

وقوله : (والرجز فاهجر) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (والرجز) وهو الأستام فاهجر (٥) ،

وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقاتدة ، والفرج ، وابن زيد : إنها الأوتان .

وقال إبراهيم ، والضحك : (والرجز فاهجر) ، أي : أترك للمصيبة .

وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبس بشيء من ذلك ، كقوله : (يا أيها النبي ، اتق الله ولا تلعب بالكافرين والمنافقين) (٦) ،

(وقال موسى لأخيه هارون : اخطني في قري ، وأصلح ، ولا تتبع سبيل المنسفين) (٧) ،

(١) هو دكين بن دجاء ، انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦١٢/٢ .

(٢) من اللقطة ، انظر ديوانه ، ط بيروت : ٣٧ .

(٣) في الديوان : « صرى » .

(٤) يقول : إنه إن ملك خلق من أخلق ، وكرمت غسلة من غسال ، فرحى حل ثيابي آثارك . والمضى حل هذا القول : امتعرجي ثيابي من ثيابك بملارته . والشكول : سقوط الريش والوبر والصفوف والشعر .

(٥) تفسير الطبري : ٩٣/٢٩ .

(٦) سورة الأحزاب : آية ٦ .

(٧) سورة الأعراف : آية ١٤٢ .

وقوله : (ولا تمنن تستكثر) ، قال ابن عباس : لا تعط العطية تلتمس أكثر منها (١) . وكلنا قال بحكمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعي ، والضحك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وروى عن ابن مسعود أنه قرأ : (ولا تمنن أن تستكثر) (٢) .

[وقال الحسن البصري : لا تمنن بملكك على ربك تستكثره] (٣) . وكلنا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير .

وقال خُصَيْف ، عن مجاهد في قوله : (ولا تمنن تستكثر) ، قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، قال : تمنن في كلام العرب : تضعف (٤) .

وقال ابن زيد : لا تمنن بالثبوة على الناس ، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضا من الدنيا .

فهذه أربعة أقوال ، والأظهر القول الأول ، والله أعلم .

وقوله : (ولربك فاصبر) ، أي : اجعل صبرك على أذىهم لوجه الله عز وجل ، قاله مجاهد .

وقال إبراهيم النخعي : اصبر [على] (٥) عطيتك لله تعالى .

وقوله : (فإذا نفر في التاقور . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) - قال ابن عباس : ومجاهد ، والشعبي ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحك ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وابن زيد : (التاقور) : الصور ، قال مجاهد : وهو كهية القرن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مُطَرِّف ، عن عطية العوفي ، عن ابن عباس : (فإذا نفر في التاقور) ، فقال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كيف أنتم وصاحب القرن قد انقضى القرن وحسن جهته ، ينتظر متى يؤمر فيفتخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

وهكنا رواه الإمام أحمد عن أسباط ، به (٦) . ورواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن ابن فضال وأسباط ، كلاهما عن مطرف ، به . ورواه من طريق أخرى ، عن العوفي ، عن ابن عباس ، به (٧) .

وقوله : (فذلك يومئذ يوم عسير) ، أي : شديد ، (على الكافرين غير يسير) ، أي : غير سهل عليهم . كما قال تعالى : (يقول الكافرون : هذا يوم عسير) (٨) .

وقد روينا عن زُرَّارة بن أرقم - قاضي البصرة - : أنه صلى بهم الصبح ، قرأ هذه السورة ، فلما وصل إلى قوله : (فإذا نفر في التاقور . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) : شهق شهقة ، ثم خر ميتا رحمه الله (٩) .

(١) في المخطوطة : « تلتمس المني معها » . والمثبت من الطبقات السابقة ، وتفسير الطبري : ٩٢/٢٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٤/٢٩ .

(٣) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ٩٥/٢٩ .

(٤) تقدم حديث المسند منه تفسير آية آل عمران ١٧٣ . وخرجناه هناك ، انظر : ١٤٨/٢ .

(٥) انظر تفسير الطبري : ٩٥/٢٩ .

(٦) سورة القمر ، آية : ٨ .

(٧) ذكر ذلك الذهبي في كتاب السير ، انظر : ١٠٩/١ .

فَرَىٰ وَمَنْ خَلَقْتَ رَحِيمًا ١١ وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَّحْدُودًا ١٢ وَبَيْنَ شُهُودًا ١٣ وَمَهَّدْتَ لَهُ تَهْنِئَةً ١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ ١٥ أَنْ أَزِيدَ ١٦ كَلَّا إِنَّكَ كَأَنَّ لَإِبْنَتَا عَيْنِي ١٧ سَارِقَهُ صُعُودًا ١٨ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٩ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢١ ثُمَّ نَفَرَ ٢٢ ثُمَّ جَسَّ وَبَسَرَ ٢٣ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٤ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا جِصْرٌ يُؤْتَرُ ٢٥ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٦ سَلِّبُوا سَفَرًا ٢٧ وَمَا أَذْرَكَ مَافَرًا ٢٨ لَا تَنْبِي وَلَا تَعُدُّ ٢٩ لَوَاعَةً ٣٠ لَبِشَرٍ ٣١ عَلَيْهِ سِتْعَةَ عَشَرَ ٣٢

يقول تعالى متوعدا لهذا الحديث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا ، فذكر بأنهم الله ، وبطلما كفروا ، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها ، وجعلها من قول البشر . وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال : (فَرَىٰ وَمَنْ خَلَقْتَ رَحِيمًا) ، أى : خرج من بين أمه وحده لا مال له ولا ولد ، ثم وزقه الله (مالا محدودا) ، أى : وباعها كثيرا : قيل : ألف دينار . وقيل : مائة ألف دينار . وقيل : أرضا يستغلها . وقيل غير ذلك . وجعل له (بين شهودا) ، قال بجاهد : لا يشيرون ، أى : حضروا عتده لا يسافرون في التجارات ، بل مواليتهم وأجركلهم يتولون ذلك عنهم وهم تعود عند أبيهم ، يمتنع بهم ويتسلط بهم . وكانوا - فإذ ذكره السدى ، وأبو مالك ، وعاصم بن عمر بن قتادة - ثلاثة عشر ، وقال ابن عباس ، وعجماد : كانوا عشرة . وهذا أبلغ في النعمة [وهو إقامتهم (١) عنده] .

(ومهدت له تهنئة) ، أى : مكنته من صنوف تلك الأثاث وغير ذلك ، (ثم يطمع أن أزيد : كذا إنه كان لأيتنا عينا) ، أى : مماننا ، وهو : الكثر على نعمه بعد العلم . قال الله : (سارقه صعدا) ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (ويل : في جهنم ، جوى فيه الكافر لربيعين خريفان قيل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ، ثم جوى به كلك في أبدا (٢)) .

وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، به : ثم قال : « غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج (٣) » كذا قال . وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن عبد الله بن وهب ، عن عمرو ابن الحارث ، عن دراج ، وفيه غرابة ونكارة (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن - للمعروف بطلان المصرى (٥) - قال : حدثنا منجاب ، أخبرنا شريك ، عن حماد بن عيسى ، عن عطية البوقى ، عن أبي سعيد ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (سارقه صعدا) ، قال : « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعد ، فإذا وضع يده ذابت ، وإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت » .

ورواه الزائر وابن جرير (٦) ، من حديث شريك ، به .

وقال قتادة ، عن ابن عباس : صعد : صخرة عظيمة يسحب عليها الكافر على وجهه .

(١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٢ .

(٣) تحفة الأخرى : تفسير سورة الأنبياء ، المجلد ٣٢١٣ : ٥/٩ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٧/٢٩ .

(٥) في الخطوط : « البصري » . والمجتبى عن البرج والتعليل لابن أبي حاتم : ١٩٥/١٢٣ .

(٦) تفسير الطبري : ٩٧/٢٩ .

وقال السدي : صوحا : سفرة مله في جهنم ، يكلف أن يصلحها .

وقال مجاهد : (سارقه صوحا) ، أي : مشقة من الخذاب . وقال قتادة : هذا لا راحة فيه ، واضطره ابن جرير ، وقوله : (إنه فكر وقدر) ، أي : إنما أوحقاه صوحا ، أي : قربناه من الخذاب الشاق ، لئله من الإيمان ، لأنه فكر وقدر ، أي : تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ، فكر ماذا يطق من اللقال ، (وقدر) ، أي : تروى ، (قتل كيف قدر . ثم قل كيف قدر) ، دعاه عليه ، (ثم نظر) ، أي : أعاد النظر والتروى ، (ثم عيس) ، أي : قبض بين يديه وطلب (ويسر) ، أي : كلف وكره ، ومنه قول توبة بن الحُسَين الشاعر (١) :

وقد رأيت منها صدود رأيت
وأعراضها عن حاجتي ويسورها

وقوله : (ثم أدير واستكبر) ، أي : صرّف من الحق ورجع القهقري مستكبرا عن الانقياد للقرآن ، (فقال : إن هذا إلا صر يوتر) ، أي : هذا صر ينقله محمد عن غيره من قبله ويحكى عنهم ، ولهذا قال : (إن هذا إلا قول البش) ، أي : ليس بكلام الله .

وهذا المذكور في هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومي ، أحد رؤساء قريش - لئله الله - وكان من غيره في هذا ما رواه العري ، عن ابن عباس قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا صبي ما يقول ابن أبي كبة : فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهكدي من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله . فلما سمع بذلك الفرض من قريش اتشروا فقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصبون قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفكم شأنه . فانتطق حتى دخل عليه يته فقال الوليد : ألم تر قولك قد جمعوا لك الصلوة ؟ قال : أنست أكثرهم مالا وولدا . فقال له أبو جهل : يصحبون أنك إنما تلحق على ابن أبي قحافة لتصيب من طمعه . فقال الوليد : أئدت تحدث به عشيرتي ؟ ! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ، ولا امر ، ولا ابن أبي كبة ، وما قوله إلا صر يوتر ؟ فأقول الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - : (ذرفه ومن خلقت وحيدا) إلى قوله : (لا نبى ولا نبي) .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله قد نظرت فيما قال الرجل فلذا هو ليس بشعر ، وإن له خللا ، وإن عليه خللا ، وإنه ليطر وما يطلى ، وما أشك أنه صر . فأقول الله : (قتل كيف قدر) : الآية (ثم عيس ويسر) : قبض ما بين يديه وكلف (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبيد بن منصور ، عن حكيم : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن ، فكانه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأناه فقال : أي م ، إن قولك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : يظنونك ، فإناك أنت صيدا تتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أني أكثرها مالا . قال : قل فيه قولاً يعلم قولك أنك متكر لما قال ، وأنت كاره له ، قال : فإذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشياء مني ، ولا أعلم برجزه ولا يقصيه ولا بأشمار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من ذلك . والله إن قولك الذي يقول خللا ، وإنه ليحطيم (٣) ما يشبه ، وإنه ليلو وما يعل .

(١) عيان القرآن لأبي حنيفة : ٢/٢٧٥ . ولعله من التصديفة إلى ذكرها ابن تينية في البحر والشمراء : ٤٤٥ . وانظر تفسير الطبري : ٢٩/٩٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٩/٩٨ .

(٣) في المخطوطة وإنه أعلم . والمثبت عن تفسير الطبري والعلقات السابقة .

قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه . قال : فعدى حتى أنكر فيه . فلما فكر قال : هذا سر يأثره من غيره : فترت : (فخرى ومن خلقت وحيدا) قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدا (١) حتى بلغ : (تسعة عشر) (٢) ،

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحو من هذا . وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه ، قيل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليمدوهم عنه ، فقال قتاتون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالى : (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستلحيون شيئا) (٣) ، كل هذا والويلد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعيس وبسر ، فقال : (إن هذا إلا صريئر : إن هذا إلا قول البشر) ، قال الله - عز وجل - : (سأعطيهم مقرر) ، أى : سأعززه فيها من جميع جهاته ، ثم قال : (وما أحرك ما مقر) ؟ وهذا تحويل لأمرها وتضعيف . ثم فسّر ذلك بقوله : (لا تبقي ولا تذر) ، أى : تأكل لحومهم وحرثهم وعصبهم وجلودهم ، ثم تبدل غير ذلك ، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبوستان وغيرهما ،

وقوله : (لوحة البشر) ، قال مجاهد : للجلد ، وقال أبو وزن ، تلقح الجلد لقحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح لأصابعهم عليها . وقال قتادة : (لوحة البشر) ، أى : حراقة الجلد . وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان (٤) ،

وقوله : (عليها تسعة عشر) ، أى : من مكدى الزبانية ، عظم غلظتهم ، غلظ خلقتهم ،

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبي زائدة : أنبأني (حارث بن) (٥) حامر عن البراء بن قريه : (عليها تسعة عشر) ، قال : إن رجلا من اليهود سألا رجلا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عزته جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم . فجاء رجل فأنشأ النبي - صلى الله عليه وسلم - فتزل عليه ساحت : (عليها تسعة عشر) . فأنشأ أصحابه وقال : ادمهم ، أما إني سألتهم عن ثبوت الجنة إن أنوف ، أما إنها دَرَمَكَة (٦) بيضاء . فجاءوه فسألوه عن عزته جهنم ، فأهوى بأصابع كتفيه مرتين وأمسك الإجمام في الثانية ، ثم قال : أنشروني عن ثبوت الجنة . فقالوا : أنشروهم يا ابن سلام . فقال : كأنها خبيزة بيضاء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أما إذا أنشروا إنما يكون من الله دَرَمَكَة ،

ومكنا وقد خدع ابن أبي حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا متده ، حدثنا أحمد بن حنبل ، أنشرونا سفيان ويحيى بن حكيم ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن جابر ابن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد ، عجبك أصحابك اليوم . فقال :

(١) ما بين القوسين المقتربين من تفسير الطبري ، وهو مقتد نظر .

(٢) تفسير الطبري ، ٩٨/٢٩ .

(٣) سورة الإسراء : آية : ٤٨ .

(٤) تفسير الطبري : ١٠٠/٢٩ .

(٥) ما بين القوسين من التلميذات السابقة . ومكانه في المخطوطة : « وروى بن » . ويبدو أنه خطأ .

(٦) الدرمك : التفتيح الحاردي ، وهو الذي نقل مرة بعد أخرى .

«بأي شيء؟» قال: «سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم حلة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفئب قوم سئلوها عما لا يلزمون؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا؟» حتى بأعده الله، لكن سألوهم أن يريهم الله جهرة. فأرسل إليهم فدخلهم قالوا: يا أبا القاسم، كم حلة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا»، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه، مرتين، وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سئلم من شربة الجنة فهي الله زمك». فلما سألوهم فأخبرهم بمدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ماتربة الجنة؟». فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الله زمك». وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان، به. وقال: هو واليزار: «لا نعرفه إلا من حديث جباله» (١). وقد رواه الإمام أحمد، عن علي بن النخعي، عن سفيان، قصص (٢) للترمذي فقط.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ۖ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْجِعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُوا لِيُكَفِّرَنَّ وَلِيُعْذِّبَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَعْزَينٌ وَلِكَفِّرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِجَنَّتْ مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّهِ إِلَّا هُوَ وَمَا يَجِدُ إِلَّا ذُرِّيَّ النَّارِ ۚ وَلَا ذُرِّيَّ النَّارِ إِلَّا الْبَشَرُ ۚ وَلَا وَالْقَمَرِ ۚ وَالْقَبْلُ إِذَا دُبِّرَ ۚ وَالصَّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ۚ إِنَّمَا لِإِنْعَى الْكَبِيرِ ۚ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۚ لِمَن شَاءَ مَنكَرًا يَتَّخِذُ أَوْثَانًا ۚ

يقول تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار) أي: خزائنها (إلا ملائكة)، أي: غلاظا شدادا، وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدل الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطع كل هفرة منكم واحد منهم فخطبهم؟، فقال الله: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة)، أي: شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالون، وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمه: ككتبة بن أسيد بن خلف - قال: يا معشر قريش، اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم مئة عشر، إعجابا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القرة فيما يرحمون أنه كان يفت على جلد البقرة ويجاذبه عشرة ليتزوه من تحت قدميه، فيمزق الجلد ولا يتزحج عنه، قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله إلى مصارحته وقال: إن مرضتي آمنت بك، فصره النبي - صلى الله عليه وسلم - مرارا، فلم يؤمن. قال: وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب (٣).

قلت: ولا منافاة بين ما ذكرناه والله أعلم.

(وما جعلنا عنهم إلا فتنة للذين كفروا)، أي: إنما ذكرنا عنهم أنهم قسمة عشر اختبار أمثال الناس، (ليستفيع الذين أوتوا الكتاب)، أي: يطعنون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأهيم من الكتب السماوية المتزلة على الأنبياء قبله.

(١) تحفة الأحراف، تفسير سورة الم نشر، المحدث ٣٣٨٣: ٢٤٦/٩ - ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) في الضمير: «نقص الترمذي». ولعل الصواب ما أثبتته. وانظر سند الإمام أحمد: ٣٩١/٢.

(٣) فروسي الألف السجيل: ٢٠٠/١.

(وزداد الذين آمنوا إيماناً) ، أى : إلى إيمانهم ، أى : ما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون ، ويقول الذين في قلوبهم مرض) ، أى : من اللاتقين (والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلا) ؟ أى يقولون : ما الحكمة في ذكر هذا هاتنا ؟ قال الله تعالى : (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) ، أى : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ، ويترنزل عند آخرين ، وله الحكمة البالغة ، والحكمة الدامغة .

وقوله : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ، أى : ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى ، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الفلكلة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين . ومن تابعهم من اللتين اللتين سمعوا هذه الآية ، غارادوا تنزيها على العقول العشرة والنفس التسعة ، التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فأفهيضوا صبر الآية وقد كفروا بأنفسها ، وهو قوله : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) .

وقد ثبت في حديث الإسراء المروى في الصحيحين وغيرهما ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة : « فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم » (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهران ، عن مجاهد ، عن موري ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنى أرى ملائكة ترون ، وأسمع ملائكة تسمعون ، أمئت السماء وحقاً لما أن تشق (٢) ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولا لتكذبتن بالنساء على الفُرْشَات ، ولخرجتم إلى الصدقات (٣) تجارون إلى الله عز وجل . قال أبو ذر : والله لوددت أنى شجرة تُضْفَضُ » .
ورواه الترمذى وابن ماجه ، من حديث إسرائيل ، وقال الترمذى : « حسن غريب ، ويروى عن أبي ذر موقوفاً » (٤) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا خير (٦) بن هرقة المصري ، حدثنا عروة بن مروان الرقي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم بن مالك ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف ولا فيه ملك قائم ، أو ملك ساجد ، أو ملك راقع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : سبحانك ! ما جندك حق جندك إلا أننا نشارك بك شيئاً » .

وقال محمد بن نصر المروزي في « كتاب الصلاة » : حدثنا عمرو بن زرارة ، أخبرنا عبد الوهاب بن (٧) عطاء ، عن

(١) تقدمت أحاديث الإسراء أول سورة الإسراء ، وخرجنا هناك ، انظر : ٢/٥ - ٤٢ . وانظر أيضاً أول سورة الطور : ٤٠٣/٧ .

(٢) تقدم تعليق غريب هذا الحديث عند الآية ١٦٥ من سورة الصافات : ٣٨/٧ .

(٣) أى : الطرق ، روى المسند : « ونخرجهم حل أو إلى الصدقات » . ونلفظ الترمذى كما هنا .

(٤) أى قطع وتساؤل . انظر المسند : ١٧٢/٥ .

(٥) تحفة الأوسى ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » ، الحديث ٢٤١٤ : ٦٠١/٦ - ٦٠٣ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحزن واليبس ، الحديث ٤٩٠ : ١٤٠٢/٢ .

(٦) في المخطوطة : « حسين بن هرقة » . والكتاب من المصحح الصغير للطبراني : ١٦٠/١ .

(٧) في المخطوطة : « عبد الوهاب » ، من طه . والكتاب من رواية ابن أبي حاتم ، وقد تقدمت في سورة الأنبياء : ٣٢٦/٥ . وسورة برآة : ١٦٤/٤ . وعبد الوهاب بن حله يروى عن سيده بن أبي هريرة ، انظر المرحم والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٢/١/٢ .

سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن عرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه إذ قال لهم : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : « ما نسمع من شيء » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أسمع [أطيع السياه وما تلام أن تقطع] » وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راحك أو ساجد .

وقال أيضاً : حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ ، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد السري ، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي ، سمعت القمحاك بن مزاحم ، يحدث عن مسروق بن الأجدع ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول للملائكة : (وما منا إلا له مقام معلوم » وإنما نحن الصافون » وإنما نحن المسيحون (١) » .

وهذا مرفوع غريب جداً رواه عن محمود بن آدم ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي القُحَيْش ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات مياه ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائما ، ثم قرأ : (وإنما نحن الصافون » وإنما نحن للمسيحون) .

ثم قال : حدثنا أحمد بن سيار ، حدثنا أبو جعفر بن محمد بن خالد اللمشتي المعروف بابن أمه ، حدثنا للغيرة بن عمر بن حنبلية من بني عمرو بن عوف ، حدثني سليمان بن أيوب ، عن سالم بن عوف ، حدثني عطاء بن زيد (٢) بن مسعود من بني الحنبلية (٣) ، حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع ، عن أبي سالم ، حدثني عبد الرحمن بن العلاء ، عن أبي ساعدة ، عن أبيه العلاء بن سعد - وقد شهد الفتح وما بعده - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال يوماً لجلسائه : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : « وما نسمع يا رسول الله ؟ » قال : « أظن السياه وحشاً لما أن تقطع ، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راحك أو ساجد ، وقال للملائكة : (وإنما نحن الصافون » وإنما نحن المسيحون) » . وهذا إسناد غريب جداً .

ثم قال : حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل القزوي ، حدثنا عبد الملك بن قدامة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر : أن عمر جاء والصلاة قائمة ، ونظر ثلاثة جلوس ، أحدهم أبو جحش الليثي ، فقال : قوموا فصلوا مع رسول الله . فقام الثمان وأبى أبو جحش أن يقوم ، وقال : لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين (٤) ، وأشد مني بطلاً فيصرخي ، ثم يقدس وجهي في التراب : قال عمر : فصرخه ودمست وجهه في التراب فأني حدثت بن حنبل فحيزني عنه ، فخرج عمر مغضباً حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما رأيك يا أبا حفص ؟ » ففكر له ما كان منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن رضى عمر رحمة (٥)] والله لو ددنت أنك جئني برأس الخبيث ، فقام عمر يوتجه (٦) نحوه ، فلما أبعد ناداه فقال : « اجلس حتى أشرك بيني وبينك وجل - عن صلاة أبي جحش ، إن قد في السياه الدنيا ملائكة خشوعاً لا يرقصون وموسمهم حتى تقوم الساعة . فلما قامت رفعوا

(١) انظر تفسير الآية ١٦٥ من سورة الصافات ، فقد أخرجه ابن كثير عن الضحاك في تفسيره : ٣٨/٧ .

(٢) كذا في خطوة الأثر ، وفي أسد الغابة : « يزيد » .

(٣) في الخطوة : « من بني الحكم » . وانجبت من أسد الغابة : ٧٦/٤ ، والبيهقي السابعة من هذا التفسير .

(٤) في المستدرک : « ذراعاً » .

(٥) ما بين التوسين من المستدرک ، والبيهقي السابعة ، وفي خطوة الأثر مكانه : « إن ... » ثم يمان .

(٦) أي : يوجه نحوه .

وموسمهم، ثم قالوا: ربنا، ما عبدناك حق عبادتك، وإن الله في السماء الثانية ملائكة سجدوا لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم، وقالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك، فقال له عمر: وما يقولون يارسول الله؟ قال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والمكرات. وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت. وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحى الذى لا يموت. ثقلها باعمر فى صلاتك». فقال عمر: يارسول الله، فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتني أن أقوله فى صلاتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة: وكان الذى أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من مسخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك». هذا حديث غريب جدلاً، بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق القسروى روى عنه البخارى، وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والسنائى والمصلى والدارقطنى. وقال أبو حاتم الرزنى: «كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فربما [فى القرن] وكتبه صحيحه (٢)». وقال مرة: هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي: تكلم فيه أيضاً. والصحيح من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عرّف بحاله، ولا تعرض للضعف، بعض رجاله؟ غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلًا، قريباً منه، ثم قال محمد بن نصر:

حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ أخبرنا الثضر، أخبرنا عباد بن منصور قال: سمعت عدى بن أرملة وهو خطيبنا على منبر للمائتين قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله تعالى ملائكة تترصد فراسخهم من غيبتهم، ما منهم ملك تخطر منه دعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى، وإن منهم ملائكة سجدوا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة. وإن منهم ملائكة ركعوا لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك».

وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله: (وما هى إلا ذكرى للبشر)، قال مجاهد وغير واحد: (وما هى)، أى: التار التى وصفت، (إلا ذكرى للبشر).

ثم قال: (كلا والقمر. والليل إذا أدير)، أى: ولى، (والصبح إذا أنشرف)، أى: أشرق، (إنها لإحدى الكبر)، أى: العظام، بنى التار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقادة، والضحاك، وغير واحد من السلف: (نكيراً للبشر)، لأن شاء منك أن يقدم أو يتأخر، أى: لمن شاء أن يقبل التلاوة ويهتدى للحق، أو يتأخر عنها ويضل ويردها.

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک فى کتاب معرفة الصحابة : ٨٧/٣ ، ٨٨ ، يستأنده إلى إسحاق القسروى نحوه .

(٢) الإبرج والتخيل لابن أبي حاتم : ٢٣٢/١٧١ .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَسْحَبَ الْيَمِينُ ۚ فِي جَنَّتِ بِمَسَاءِلُونُ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَسَلَكُكُمْ فِي سَفَرٍ ۚ قَالُوا لَكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَوْ نَكَّ نَعْلُكَ ۚ وَالْمُسْكِينُ ۚ وَكَانَ خَوْضٌ مَعَ أَنْفَاءٍ يُضَيِّعُ ۚ وَكَانَ كَذِبٌ بِعِوَمِ الدِّينِ ۚ حَقٌّ أَتَيْنَا الْقِيْنَ ۚ لَمَّا تَنَفَّعَهُمْ شَفَعَةُ الشَّحِيحِينَ ۚ لَمَّا لَمْ يَنْفَكْ كَرَّةً مَرْضِيْنَ ۚ كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَفْرَغٌ ۚ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَدِهِ ۚ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخِلَ صَاحِبًا مَشْرَقًا ۚ كَلَّا بَلْ لَا يَخْلُفُونَ الْآخِرَةَ ۚ كَلَّا إِنَّهُمْ تَدْرِكُهُ ۚ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُمْ ۚ وَمَا يَدْرُؤُونَ ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَعْيَرَةِ ۚ

يقول تعالى غيراً أن (كل نفس عاكبت رهينة)، أى: مسطرة بعملها يوم القيامة، قاله ابن عباس وشبهه إلا أصحاب اليمين (فإنهم في جنات يساطون من المرحمين إلى يسألون للمرحمين وهم في الفرات وأولئك في الثركات قائلين لم : ماسلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين . ولم نك نعلم للسكين) ، أى : ما جئنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقه من جنسنا ، (وكانا خروص مع الشاقصين) ، أى : نتكلم فيما لا تعلم . وقال قتادة : كلما خوى غاو غويتا منه ، (وكانا نكليب يوم الدين حتى أتانا اليقين) ، حتى الموت . كقوله : (واحد ربك حتى يأتيك اليقين (١)) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هو - حتى عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه (٢) » .

قال الله تعالى : (لما تنفعهم شفاعة الشافعين) ، أى : من كان مصعباً بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه ، لأن الشفاعة إنما تتبع إذا كان أهل قابلاً ، فأما من واثى الله كافراً يوم القيامة فإنه لا ينفعه لا شفاعة ، غالباً فيها .

ثم قال تعالى : (فالم من التذكرة مريضين ؟) أى : فما هؤلاء الذكرة الذين قبلهم كما تدعوم إليهم ولذكركم به مريضين) (كانهم حمير مستغرة . فرت من قسوة) ، أى : كانتهم في تغلهم من الحق وإعراضهم عنه حمر من حمير الوحش إذا فرت من يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة ، وابن عباس - في رواية عنه - وزيد بن أسلم ، وابن عبد الرحمن . أو : راح ، وهو رواية عن ابن عباس ، وهو قول الجمهور (٣) .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن (٤) مهران ، عن ابن عباس : الأسد بالبرية ، ويقال له بالبرية قسوة ، وبالقطبية شير ، وبالقطبية أوياء .

وقوله : (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منتهرة) ، أى : بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن

(١) سورة الحجر ، آية : ٩٩ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير آية الحجر المظمنة . وهرجه هناك ، انظر : ٤٧٢/٤ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٠٦/٢٩ - ١٠٧ .

(٤) في الظنونة : يوسف بن مهران . وانتهت عن تفسير الطبري : ١٠٧/٢٩ . والجرح والتعديل لابن أبي حاتم :

يتول عليه كتاباً كما أنزل على النبي : قاله مجاهد وغيره ، كقوله : (وإذا جاسمهم آية قالوا : لن نؤمن حتى تأتي مثل ما أتى رسول الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) - وفي رواية من قتادة : يريدون أن يروا برأيه بغير عمل (٢) ، كقوله (كلا ، بل لا يخافون الآخرة) ، أي : إنما أفلسهم علم إيمانهم بها ، وتكليمهم يوقعها .
ثم قال تعالى : (كلا إنه تذكروه) أي : حقاً إن القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره) وما يذكرون إلا أن يشاء الله (الله) كقوله : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (٣) .
وقوله : (هو أهل التقوى وأهل اللياقة) ، أي : هو أهل أن يخاف منه ، وهو أهل أن يخبر ذنب من تاب إليه وأتاب . قال قتادة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني سهيل - أنحو حزم - حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (هو أهل التقوى وأهل اللياقة) ، وقال : قال ربكم : أنا أهل أن أتق ، فلا يجعل مني إله ، فمن أتى أن يجعل مني إلهاً كان أهلاً أن أغفر له (٤) .
ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب ، والنسائي من حديث الثماني بن عمران ، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القسبي ، به . وقال الترمذي : حسن غريب ، وسهيل ليس بالقوي (*) . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن هبة بن خالد ، عن سهيل ، به . وهكذا رواه أبو يعلى والبيهقي والبخاري وغيرهم ، من حديث سهيل القسبي ، به .

آخر تفسير سورة الم نشر والله العبد والذليل

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ . و (رسالته) مكاناً في خطورة الأمر ، وقد لبنا عليها في موضعنا من هذا التفسير ،

انظر : ٣٢٤/٣ .

(٢) تفسير البكري : ١٠٧/٢٩ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ٣٠ ، والتكوير ، آية : ٢٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٤٢/٣ وانظر : ٢٤٢/٣ .

(٥) تحفة الأوسى ، تفسير سورة الم نشر ، الحديث : ٢٣٨٤ : ٢٤٩/٧ - ٢٤٨ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب

وما يرضى من رخصة الله يوم القيامة ، الحديث : ٤٢٩٩ : ١٤٢٧/٢ .

تفسير سورة القيامة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُنْصِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أُنْصِفُ بِنَفْسِ الْوَاوَةِ ② أُحِبُّ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ تُجَمِّعَ عِظَامَهُ ③ بَلْ قُلُوبَيْنِ ④
عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِنَافِهِ ⑤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أُمَامَهُ ⑥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ⑦ فَمَا يَتَّبِقُ ⑧
الْبَصِيرُ ⑨ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑩ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑪ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْعَرُ ⑫
كَلَّا لَا وَزَرَ ⑬ إِنَّ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ⑭ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑮ بَلِ
الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑯ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ⑰

قد تقدم غير مرة أن القسم عليه متى كان متنياً ، جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه هاهنا هو إثبات المعاد ، والرّد على ما يزعمه الجاهل من العباد من عدم بقاء الأجساد ، ولهذا قال تعالى : (لا أنصم يوم القيامة . ولا أنصم بالنفس الواوّة) - قال الحسن : أنصم يوم القيامة ولم يقسم بالنفس الواوّة (١) . وقال قتادة : بل أنصم بهما جميعاً . هكذا حكاه ابن أبي حاتم . وقد حكى ابن جرير ، عن الحسن والأعرج أنهما قرآ : (الأنصم) (٢) . ولهذا يوجه قول الحسن ، لأنه أثبت القسم يوم القيامة ونفى القسم بالنفس الواوّة . والصحيح أنه أنصم بهما جميعاً كما قاله قتادة رحمه الله ، وهو للروى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبيرة ، واختاره ابن جرير .

فأما يوم القيامة المعروف ، وأما النفس الواوّة فقال قرّة بن خالد ، عن الحسن البصري في هذه الآية : إن المؤمن - واقف - ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وإن الفاجر يحضّر يُدّما ما يعاتب نفسه .

وقال جوير : بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله : (ولا أنصم بالنفس الواوّة) ، قال : ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم ، عن إسرائيل ، عن سفيان : أنه سأل عكرمة عن قوله : (ولا أنصم بالنفس الواوّة) ، قال : يلوم على الخير والشر : لو فعلت كل ما وكلما .

(١) أخرج الطبري هذا الأثر من الحسن ، انظر : ١٠٩/٢٩ .

(٢) في المخطوطة : « لا أنصم » . وهو خطأ . وقد ثبت حل عائشة في هذا الموضع : (لعله ولا أنصم بالنفس) حل أحد الوجهين عن ابن كثير . وهذا وانظر اقتراءات في المشتب لابن جني : ٣٤١/٢ . وتفسير الطبري : ١٠٨/٣٩ - ١١٠ . وتفسير القرطبي : ٩٢/١٩ . والبحر المحيط : ٢٢٢/٨ .

وزواه ابن جرير : عن أبي كريبه ، عن وكيع عن إسرائيل به (١) ؛
وقال ابن جرير : حدثنا عبد بن بشر ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن
سعيد بن جبير ق : (ولا أقسم بالفض القامة) ، قال : تلوم على الخير والشر (٢) .
ثم روله من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك : قال : هي الفض القوم (٣) ،
وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد ، عن عمار بن مازن : تلوم على ما فات وتلوم عليه .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : القامة : للجمعة .
وقال قتادة : (القامة) : القاجرة .

قال ابن جرير : وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى ، والأشبه بظاهر الترتيل أنها هي تلوم صاحبها على الخير والشر ،
وتلوم على ما فات .

وقوله : (أنسب الإنسان أن لنبم عظامه ؟) ، أي : يوم القيامة ، أين أن لا نعلم على إعادة عظامه وجمعها
من أماتها للفرقة ؟ (بل ، قادرين على أن نسوي بناته) — قال سعيد بن جبير والقرطبي ، عن ابن عباس : أن نجعله
خفا أو سافرا (٤) . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقاتة ، والفضلك ، وابن جرير ، ووجهه ابن جرير
بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا .

والظاهر من الآية أن قوله (قادرين) حال من قوله : (نجس) ، أي : أين الإنسان أنا لا نجس عظامه ؟ بل نجسمها
قادرين على أن نسوي بناته ، أي : فلو أننا صلبنا لجمعها ، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان ، فنجعل بناته — وهي أطراف
أصابعه — مستوية . وهذا معنى قول ابن قتبية ، والقرطبي :

وقوله : (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) — قال سعيد ، عن ابن عباس : يعني يغضب قلما ؛
وقال القرطبي ، عن ابن عباس : (ليفجر أمامه) يعني الأمل ، يقول الإنسان : أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ،
ويقال : هو الكافر بالحق بين يدي القيامة (٥) .

وقال مجاهد : (ليفجر أمامه) يعني أمامه وأكبر رأسه . وقال الحسن : لا يليق ابن آدم إلا تتزعزع نفسه إلى معصية الله
فقدما قدما ، إلا من عصمه (٦) الله .

وروي عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والفضلك ، واللسدي ، وغير واحد من السلف ، هو الذي يجعل النوبة
ويُسَوِّفُ النوبة ؛

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو الكافر يكتب يوم الحساب ؛ وكذا قال ابن زيد ، وهذا هو الظاهر
من اللزاد ، ولهذا قال بعده : (يسأل أباي يوم القيامة ؟) ، أي : يقول متى يكون يوم القيامة ؟ وإنما سألته سؤالا
استيذان لوقوعه وتكليف لوجوده ، كما قال تعالى : (ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) قل : لكم ميعاد
يوم لا تستعجلون عنه ساعة ولا نصفنمون (٧) .

(١) تفسير الطبري : ١٠٩/٢٩٩ .

(٢) في الخطوط : « أو حائلا » . والخبر من تفسير الطبري : ١١٠/٢٩٩ .

(٣) تفسير الطبري : ١١١/١٩ .

(٤) سورة ميثا : آية ٢٩ - ٣٠ .

وقال تعالى هاهنا : (فانذا برق البصر) - قال أبو عمرو بن العلاء : (برق) - بكسر الراء - أى : حار (١) . وهما اللذان قاله شبيه بقوله تعالى : (لا يرتد إليهم طرفهم) (٢) ، بل ينظرون من الفزع هكلنا وهكلنا ، لا يستقر لهم بصر على شيء ، من شدة الرعب .

وقرأ آخرون : (برق) بالفتح ، وهو قريب فى المعنى من الأول . والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتغار وتبلى من شدة الأحوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور .

وقوله : (وخسفت القمر) ، أى : ذهب ضوءه ، (وجمع الشمس والقمر) - قال جاهد : كُتُورًا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية : (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكثرت) . ورؤى عن ابن مسعود أنه قرأ : (وجمع بين الشمس والقمر) (٣) .

وقوله : (يقول الإنسان يومئذ : أين الملقى) ، أى : إذا حان ابن آدم هذه الأحوال يوم القيامة حيث [يريد أن] (٤) يفر ويقول : أين المقر ؟ أى : هل من ملجأ أو موئل ؟ قال الله تعالى : (كلا ، لا وزر . إلى ربك يومئذ المسقر) - قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد ، من السلف : أى لا نجاة .

وهذه كقولهم : (بالكم من ملجأ يومئذ ومالك من تكبر) (٥) ، أى : ليس لكم مكان تنكثون فيه ، وكلا قال هاهنا : (لا وزر) ، أى : ليس لكم مكان (٦) [تنصمون فيه . ولهذا قال : (إلى ربك يومئذ المسقر) ، أى : المرجع والمصير .

ثم قال تعالى : (بنى الإنسان يومئذ ما قدم وأخر) ، أى : غير بجميع أعماله قديماً وحديثاً ، أولاً وآخرها ، صغبرها وكبرها ، كما قال تعالى : (ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً) (٧) . وهكنا قال هاهنا : (بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره) ، أى : هو شهيد على نفسه ، عالم بما فعله ولو اعتذر وأتكر ، كما قال تعالى : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيب) (٨) .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (بل الإنسان على نفسه بصيرة) ، يقول : سمعته وبصره وبذاه ورجلاه (٩) وجوارحه .

وقال قتادة : شاهد على نفسه . وفى رواية قال : إذا شئت - والله - وأبته بصيراً بعبود الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنوبه ، وكأن يقال : إن فى الإنجيل مكتوباً : يا ابن آدم ، تبصر القصد فى عين أنتيك ، وترك الجيدال (١٠) فى عينك لا تبصره (١١) .

(١) تفسير الطبرى : ١١٢/٢٩ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٤٤ .

(٣) تفسير الطبرى : ١١٢/٢٩ .

(٤) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة .

(٥) سورة الفورى ، آية : ٤٧ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ١٤ .

(٧) فى المنطوية : « وبيده ورجليه » . والنجب عن تفسير الطبرى : ١١٥/٢٩ .

(٨) فى المنطوية : « وتركك الجذع » . والنجب عن تفسير الطبرى : وفى النهاية لابن الأثير - « وقد ذكر الأثر - : « والبلل -

بالكسر والفتح - : « أصل الشجرة يطلع ، وقد يحمل المود جدلاً » .

(٩) تفسير الطبرى : ١١٥/٢٩ .

وقال جماهد : (ولو ألقى معاذيره) : ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال تاجدة : (ولو ألقى معاذيره) : ولو احتلر يومئذ يبطل لا يقبل منه . وقال السدي : (ولو ألقى معاذيره) : حجه . وكذا قال ابن زيد ، والحسن البصري ، وغيرهم . واختاره ابن جرير .

وقال تاجدة ، عن زوزارة ، عن ابن عباس : (ولو ألقى معاذيره) ، يقول : لو ألقى ثيابه (١) .

وقال الضحاك : ولو أرخى ستوره ، وأهل اليمن يسمون السر : اللعذر (٢) .

والصحيح قول جماهد وأصحابه ، كقوله : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين (٣)) ، وكقوله : (يوم ينظم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون (٤)) . وقال الموق ، عن ابن عباس : (ولو ألقى معاذيره) ، هي : الاحتلر ، ألم تسمع أنه قال : لا يفتح الظالمين عليهم ، وقال : (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) ، (فألقوا السلم (٥) ما كنا نعمل من سوء) وتوهم : (والله ربنا ما كنا مشركين) .

لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْصِلَ بِهِ (١) إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُكُمْ وَقُرْآنُهُمْ (٢) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ (٣) صَكَّا بَلْ يَحْسِبُونَ الْحَاجِلَةَ (٤) يُغْدُونَ الْأَجِرَةَ (٥) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٦) إِنَّ رَيْبَهَا نَاطِرَةٌ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٨) تَلَّيْنَأَبْ يُفْصَلُ بَيِّنَاتٍ (٩)

هذا تعليم من الله - عز وجل - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في كيفية تلقيه الوحي من الملك ، فإنه كان يبادر إلى أُنْعَمَ وَيَسْأَلُ الْمَلَكَ فِي قُرْآنِهِ ، فأمره الله - عز وجل - إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ، وتكفل له أن يجمعه في صدره ، وأن يسره لأذنيه على الوجه الذي ألقاه إليه ، وأن يبينه له ويشره ويوضحه . فالحالة الأولى جُمُعَهُ فِي صَدْرِهِ ، والثانية تَلَاوَهُ ، والثالثة تَسْبِيْرُهُ وَبَيْضَاحُ مَعْنَاهُ . ولذا قال : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، أي : بالقرآن ، كما قال : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ، وقل : رب زدني علما (٦)) .

ثم قال : (إن علينا جمعه) ، أي : في صدرك ، (وقرآنه) ، أي : أن تقرأه ، (فإذا قرآنه) ، أي : إذا تلاه عليك الملك من الله عز وجل فاتبع قرآنه) ، أي : فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ، (ثم إن علينا بيانه) ، أي : بعد حفظه وتلاوته نبيته لك وتوضيحه ، ونلجلك معناه على ما أردنا وشرعنا . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي حنيفة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن

(١) في المخطوطة : لو ألقى جهانه . والمكتب عن التلخيص السابقة ، والأثر - كما في تفسير الطبري ١١٦/٢٩ - لا يوجد .

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ٣٨٧/٨ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٢٣ .

(٤) سورة الحاقة ، آية : ١٨ .

(٥) في المخطوطة وتفسير الطبري ١١٦/٢٩ : «وألقوا إلى الله يومئذ السلم ما كنا نعمل» . وهذا آيتان لا آية واحدة . لما الأول من سورة النمل : ٨٧ . والثانية من السورة نفسها : ٢٨ . ولعله سقط نظر .

(٦) سورة هـ ، آية : ١١٤ .

ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبالغ من التزليل شدة ، فكان يحرك شفتيه ، - قال : فقال لي ابن عباس : أنا لأحرك شفتي كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرك شفتيه . وقال لي سعيد : وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه - فأقول الله عز وجل : (لا تحرك به لسانك لتسجل به إن علينا جمعه وقرآنه) ، قال : جمعه في صدره ، ثم تقرأه ، (فإذا قرأناه فاتح قرآنه) : فاستمع له وأنصت ، (ثم إن علينا بيانه) . فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما قرأه (١) .

وقد رواه البخاري ومسلم ، من غير وجه ، عن موسى بن أبي عائشة ، به . ولفظ البخاري : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا شجب قرأه كما وحده الله عز وجل (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى التيمي ، حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه الوحي يأتي منه شدة ، وكان إذا نزل عليه حرف في تحريكه شفتيه ، يثنى أوله ويحرك شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره ، فأقول الله : (لا تحرك به لسانك لتسجل به) .

ومكلا قال الشعبي ، والحسن البصري ، وكثادة ، وعجماد ، والفضيل ، وغير واحد : إن هذه الآية نزلت في ذلك .

وقد روى ابن جرير من طريق الترمذي ، عن ابن عباس : (لا تحرك به لسانك لتسجل به) ، قال : كان لا يفرغ من القراءات (٣) خشية أن ينساه ، فقال الله : (لا تحرك به لسانك لتسجل به ، إن علينا أن نجمله لك ، وقرآنه) ، أن تترك فلا تنسى (٤) .

وقال ابن عباس وعطية الترمذي : (ثم إن علينا بيانه) : تبين حلاله وحرامه : وكلما قال كثادة .

وقوله : (كلا ، بل نحون المبجلة . وتنفرون الآخرة) ، أي : إنما جعلهم على التكليف يوم القيامة وعائلة ما أقره الله - عز وجل - على رسوله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الحق والقرآن العظيم : أنهم إنما همتهم إلى اللبس الدنيا المبجلة ، وهم لا ينفون متشاكلون من الآخرة .

ثم قال تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) ، من التفاضلة ، أي : حصة بهيبة مشرفة مسروعة ، (إلى ربها ناظرة) ، أي : تراه عيانا ، كما رآه البخاري رحمه الله في صحيحه : (إنكم سترون ربكم عيانا) (٥) . وقد ثبت رؤية المؤمنين لله - عز وجل - في الدار الآخرة [في] الأحاديث الصحيحة ، من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منوها ، الحديث أن سعيد وأبي هريرة - وهما في الصحيحين - : أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٤٢/١ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة القلمة : ٢٠٣/٦ . وانظر فيما تقدم تفسير آية طه ١١٤ : ٣١٣/٥ ، فقد خرجنا

الحديث هناك عن الصحيحين .

(٣) في تفسير البخاري : « من قرأه » .

(٤) تفسير البخاري : ١١٧/٢٩ .

(٥) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٠٦٤/٩ .

قال : « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ » قالوا : لا . قال : « فانكم تترَوْنَ ربكم كذلك (١) » وفي الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى القمر ليلة البدر قال : « انكم تترَوْنَ ربكم كما تَرَوْنَ هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها قائلوا (٢) » وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « جنتان من ذهب أنبهما وما فيهما ، وجنتان من فضة أنبهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٣) » وفي أفراد مسلم ، عن صهيب ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : لَمْ تُبَيِّضْ وجوهنا ؟ لَمْ تَدْخُلْنَا الجنة وتجتنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أضلوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية : (الذين أحسنوا الحسن) وزيادة (٤) .

وفي أفراد مسلم ، عن جابر في حديثه : « إن الله يَتَجَلَّى للمؤمنين يشكك (٥) » - يعني في عرصات القيامة - في هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم - عز وجل - في العرصات ، وفي روضات الجنات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الملك بن أنجر ، حدثنا ثوير بن أبي فاختة ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه التي سته ، يرى أنصاه كما يرى أدناه » ينظر إلى أزواجه ونحوه . وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين (٦) .

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن شهاب ، عن إسرائيل ، عن ثوير قال : « سمعت ابن عمر ... » . فذكره ، قال : « ورواه عبد الملك بن أنجر ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قوله . » وكذلك رواه الثوري ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، ولم يرفعه (٦) . ولو لا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطريقها وأناطها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير ، وبإافة الترتيب . وهذا بحمد الله جمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهذه الأمان .

ومن تأول ذلك بأن المراد : (إلى) مفرد الآلاء ، وهي النعم ، - كما قال الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : (إلى ربه ناظرة) ، فقال : تنتظر الثواب من ربه . رواه ابن جرير - من غير وجه - عن مجاهد . (٧) وكذا قال أبو صالح أيضا - فقد أبعد هذا المقاتل النجسة ، وأبطل غيا ذهب إليه . وأين هو من قوله تعالى : (كلا إني عن ربهم

(١) البخاري ، للكتاب المقتضب . ١٥٦/٩ - ١٥٨ . وسلم ، كتاب الإيمان ، باب « حرقه طريق الرؤية » : ١١٢/١ - ١١٥ .

(٢) البخاري ، للكتاب المقتضب . ١٦٢/٩ . وسلم ، كتاب الإيمان ، باب « إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى » : ١١٢/١ .

(٣) مسلم ، في الكتاب والباب المتضمنين : ١١٢/١ . وانظر تفسير الآية الباسمة والعشرين من سورة يونس : ١٩٩/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « أدنى أهل الجنة منزلة » : ١٢٢/١ .

(٥) سنن الإمام أحمد : ١٣/٢ .

(٦) تحفة الأحرار ، تفسير سورة القيامة ، الحديث ٣٣٨٦ : ٢٤٩/٩ - ٢٥٠ .

(٧) تفسير الطبري : ١٢٠/٧٩ .

يومئذ لصحرون ؟ (١) قال الشافعي: رحمه الله: ما حجب التجار إلا وقد حكم أن الأبرار يرونه من جبل . ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وهي قوله : (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل المخاري ، حدثنا آدم ، حدثنا اللبارك ، عن الحسن : (وجوه يومئذ ناظرة) ، قال : حسنة ، (إلى ربها ناظرة) ، قال : تنتظر إلى الخالق ، وحق لها أن تنصروهي تنتظر إلى الخالق (٢) .

وقوله : (وجوه يومئذ باسرة . تنظن أن يفعل بها فاقرة) : هذه وجوه التجار تكون يوم القيامة باسرة . قال قتادة : كالحة . وقال السدي : تغير ألوانها . وقال ابن زيد (باسرة) ، أي : حاسبة .

(تنظن) ، أي : تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) ، قال عباد : داهية . وقال قتادة : شر . وقال السدي : تستيقن أنها هالكة . وقال ابن زيد : تنظن لأن ستدخل النار .

وهذا المقام كقوله : (يوم يبيض وجوه وتسود وجوه (٣)) ، وكقوله : (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها فترة . أولئك هم الكفرة الصجرة (٤)) . وكقوله : (وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلي نارا حامية) إلى قوله : (وجوه يومئذ ناعمة . لسميها راضية . في جنة عالية (٥)) ، في أشباه ذلك من الآيات والسيقات .

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْمُرَاتِي ۚ وَبَلَغَتِ الْمُرَاتِي ۚ وَقِيلَ لَهَا رَاقِي ۚ وَعَلَّمَ اللَّهُ الْفِرَاقَ ۚ وَلَنَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۚ إِنَّكَ رَاقِي ۚ بِوَيْهَيْدٍ سَاقٍ ۚ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۚ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَ ۚ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَحَّنُ ۚ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ ۚ ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ ۚ يُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ أَلَيْكَ نُطْقَةٌ مِّنْ مَّوَدِّعٍ ۚ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ قَسْوَىٰ ۚ لِّجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ الْأَنبَىٰ ذَٰلِكَ يُقَدِّرُ عَلَىٰ أَنْ يُخَيَّرَ الْمَوْتَىٰ ۚ

غير تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال - ثبتا الله هناك بالقول الثابت - فقال تعالى : (كلا إذا بلغت المراتي) ، إن جعلنا (كلا) رادعة فمعناها : لست يا ابن آدم تكلم هناك بما أخبرت به ، بل صار ذلك عندك عيانا . وإن جعلناها بمعنى (حقا) فظاهر ، أي : حقا إذا بلغت المراتي ، أي : انتزعت روحك من جسديك وبلغت تراقيك . والمراد : جمع ترقوة ، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ، كقوله : (قلوا إذا بلغت الملقوم . وأنتم حيثل تنظرون . ونحن أقرب إليكم منكم ولكن لا تبصرون . قلوا إن كنتم غير مبينين . ترجعوا إن كنتم صادقين (٦)) .

(١) سورة المطففين ، آية : ١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١١٩/٢٩ - ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٠٦ .

(٤) سورة هود ، الآيات : ٢٨ - ٤٢ .

(٥) سورة النافثة ، الآيات : ٢ - ١٠ .

(٦) سورة الواقعة ، الآيات : ٨٣ - ٨٧ .

وهكذا قال هانئا : (كلا إذا بلغت الرائق) ، ويذكر هانئا حديث يسر بن جبهكاش (١) الذي تقدم في سورة : يس ٤٠ ، والرائق : جميع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم .

(وقيل : من راق ؟) قال : عكرمة ، عن ابن عباس : أي من راق يرقى ؟ وكلا قال أبو قتادة : (وقيل من راق) ، أي : من طيب شاف . وكلا قال قتادة ، والضحاك ، وابن زيد (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن حل ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو ابن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : (وقيل : من راق) ، قال : قيل : من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة الملأب (٣) ؟ قيل هذا يكون من كلام للملائكة .

وبهذا الإسناد ، عن ابن عباس في قوله : (والنفث الساق بالساق) ، قال : النفث عليه الدنيا والآخرة : وكذا قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (والنفث الساق بالساق) ، يقول : آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، فتنفث الشدة بالشدة إلا من رحم الله (٤) .

وقال عكرمة : (والنفث الساق بالساق) : الأمر العظيم بالأمر العظيم . وقال مجاهد : بلاه بلاءه : وقال الحسن البصري في قوله : (والنفث الساق بالساق) : هما ساقاك إذا افتتا . وفي رواية عنه : ماتت رجلاه فلم تحملاه ، وقد كان عليهما جوالا (٥) . وكلا قال السدي ، عن أبي مالك .

وفي رواية عن الحسن : هو قههما في الكفن .

وقال الضحاك : (والنفث الساق بالساق) ، اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه ،

وقوله : (إلى ربك يومئذ المساق) ، أي : للرجع والمآب ، وذلك أن الروح ترفع إلى السموات ، فيقول الله عز وجل - : ردوا عبي إلى الأرض ، فأتى منها خلقهم ، وفيها أميلهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى . كما ورد في حديث البراء الطويل (٦) . وقد قال الله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٧)) .

وقوله : (فلا صدق ولا صل . ولكن كذب ، وتولى) : هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه ، متوليا من العمل بقلبه ، فلا يخبر فيه باطلا ولا نفعرا ، ولما قال : (فلا صدق ولا صل) . ولكن كذب وتولى . ثم ذهب إلى أمهله ينمطي) ، أي : جنكلا أشرا بطرا كسلاتا ، لا حمة له ولا عمل ، كما قال : (وإذا انقلبوا

(١) في المصنوعة : يسر بن جبهكاش . انظر تفسير سورة : يس ٤٠/٦٠ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ١٢١/٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري ، عن طريق عمرو بن مالك التكري ، به : انظر : ١٢١/٢٩ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٢/٢٩ .

(٥) تفسير الطبري : ١٢٣/٢٩ .

(٦) تقدم حديث البراء بن عازب ، عنه تفسير الآية الأربعين من سورة الأعراف ، انظر : ٤٠٧/٢ - ٤١٠ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ٦١ - ٦٢ .

إلى أهلهم انتقلوا فكيف؟ (١) ، وقال : (إنه كان في أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يموت) ، أى : يرجع ، (بلى إن ربه كان به بصيرا) (٢) .

وقال الفصاح ، عن ابن عباس : (ثم ذهب إلى أهله يطمئ) : يختال . وقال قتادة ، وزيد بن أسلم : يبختر . قال الله تعالى : (أولى لك فأولى : ثم أولى لك فأولى) : وهذا تهديد ووعد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيئه ، أى : يحق لك أن تخشى هكذا وقد كثرت مخالفتك وبارئك ، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد ، كقوله : (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (٣) : وكقوله : (كلوا وامتصوا قليلا إنكم جرمون) (٤) : وكقوله : (فاصبروا ما شئتم من دونه) (٥) ، وكقوله : (اصبروا ما شئتم) (٦) . إلى غير ذلك .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن ستان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن - يعنى ابن مهدي - عن إسرائيل بن موسى بن أبي عائشة قال : سألت سعيد بن جبيرة قلت : (أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قال النبي ، - صلى الله عليه وسلم - لأبي جهل ، ثم نزل به القرآن .

وقال أبو عبد الرحمن النخعي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو حوالة - (ح) وحدثنا أبو داود : حدثنا محمد بن سليمان ، حدثنا أبو حوالة - عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبيرة قال : قلت لابن عباس : (أولى لك فأولى : ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أنزل الله عز وجل .

قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي حدثنا ، هشام بن خالد ، حدثنا شعيب بن إسحاق ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى) ، وعيد على أثر وعيد ، كما تسمعون ، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ مجامع ثيابه ، ثم قال : « أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى » . فقال عدو الله أبو جهل : أتوعظني يا محمد ؟ والله لا نستطيع أنت ولا ربك شيئا ، ولإني لأحز من مشي بين جليليها .

وقوله : (أصعب الإنسان أن يترك سدى) ، قال السدي : يعنى لا يبعث . وقال مجاهد ، والشافعي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعنى لا يؤمر ولا ينهى ،

والظاهر أن الآية تم الحالين ، أى : ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منه في الدنيا ، عشور إلى الله في الدار الآخرة . وللقصود هنا إثبات للمعاد ، والرد على من أنكروه من أهل الرين والجهل والعداد ، ولهذا قال مستملا على الإعادة بالهامة فقال : (ألم يك نقطة من مني يعنى) ؟ أى : أما كان الإنسان نقطة ضعيفة من ماء مهين ، يعنى يراق من الأصلاب في الأرحام - (ثم كان حلقة فخلق فسوى) ،

(١) سورة الماعين ، آية : ٣٤ .

(٢) سورة الانشقاق ، آية : ١٣ - ١٥ .

(٣) سورة النعمان ، آية : ٤٩ .

(٤) سورة المرسلات ، آية : ٤٦ .

(٥) سورة الزمر ، آية : ١٥ .

(٦) سورة فصلت ، آية : ٤٠ .

أى : فصا علة ، ثم مضى ، ثم شكك ونفخ فيه الروح ، فصار خلقا آخر سويا سلم الأعضاء ، ذكرا أو أنثى باذن الله وتقديره . ولهذا قال : (فيصل منه الزوجين الذكر والأنثى) .

ثم قال : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) ، أى : أما هذا الذى أنشأ هذا الخلق السوى من هذه العلة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟ وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البدانة ، وإما مساوية على القوانين فى قوله : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه (١)) . والأول أشهر كما تقدم فى سورة الروم ، بيانه وتقريره ، والله أعلم (٢) .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا شعبة ، عن شعبة ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن آخر : أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ، فإذا قرأ : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) قال : سبحانه اللهم فيل . فسل عن ذلك قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ذلك .

وقال أبو داود رحمه الله : حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن موسى بن أبى عائشة قال : كان رجل يصلى فوق بيته ، فكان إذا قرأ : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) قال : سبحانه ، فيل (٣) فسأله عن ذلك قال : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) .

تفرد به أبو داود ، ولم يسم هذا الصحابي ، ولا يضر ذلك .

وقال أبو داود أيضا : حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أمية : سمعت أهرابيا يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قرأ منكم بالثين والربون فانتفى إلى آخرها : (أليس الله بأحكم الحاكمين ؟) فيل ، بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ : (لا أقسم بيوم القيامة) فانتفى إلى : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) فيل ، بلى . ومن قرأ : (والمرسلات) فيل : (فى حديث بعده يؤمنون ؟) فيل : آمنا بالله (٥) » .

ورواه أحمد ، عن سفيان بن عيينة . ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عيينة (٦) . وقد رواه شعبة ، عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له : من حفظك ؟ قال رجل صدق ، عن أبى هريرة .

وقال ابن جرير حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قرأها قال : « سبحانه وبلى (٧) » .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزهرى ، حدثنا سفيان ، عن أنس بن مالك ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) قال : سبحانه ، فيل .

[آخر تفسير سورة القيامة وله الحمد والمنة]

(١) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٢) انظر : ٣١٨/٦ .

(٣) فى سنن أبى داود : « فىكى » . والسراب ما هنا ، انظر الأحاديث التالية .

(٤) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب « الصلاة فى الصلاة » .

(٥) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب « مقدار الركوع والسجدة » .

(٦) تحفة الأوصى ، تفسير سورة البقرة ، الحديث ٣٤٠٠ : ٢٧٦/٩ .

(٧) تفسير البقرى : ١٢٥/٢٩ .

تفسير سورة الانسان

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم - تنزيل) السجدة ، و (هل أتى على الإنسان ؟) (١) .

وقال عبد الله بن وهب ، أخبرنا ابن زيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه السورة : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفه الجنان ، زفر زفرة فخرجت نفسه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أخرج نفس صاحبكم - أو قال : إنيكم - الشوق إلى الجنة » . مرسل غريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْعًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
بِعَمَلِهِ سَمِيمًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا ﴿٣﴾ وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٤﴾

يقول تعالى عبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا مذكورا . لحقارته وصفه ، فقال : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) .

ثم بين ذلك فقال : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) ، أى : أخلط . والمشيح والمشيح : الشيء الخليط ، بعضه في بعض .

قال ابن عباس في قوله : (من نطفة أمشاج) ، بنى : ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون . وهكذا قال حكيمه ، وعجابه ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة (٢) .

وقوله : (نبتيه) ، أى : نخبره ، كقوله : (ليلوكم أيكم أحسن عملا (٣)) . (فجعلناه سمعا بصيرا) ، أى : جعلناه سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : (إنا هديناه السبيل) ، أى : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا

(١) تقدم الحديث أول تفسير سورة السجدة ، عن أبي هريرة وعرجانه كذلك ، انظر : ٢٩١/٦ . وانظر الحديث من ابن عباس في صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « ما يقرأ في يوم الجمعة » : ١٦/٣ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ١٢٦/٢٩ .

(٣) سورة الملك ، آية : ٢ .

السمى على الحديث (١) ، وكقوله . (وهديناه التجدين (٢)) ، أى : يتنا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد... فى المشهور عنه - والجمهور .

وروى عن مجاهد ، وأبي صالح ، والضحك ، والسدى أنهم قالوا فى قوله : (إنا هديناك السبيل) : يعنى خرجبه من الرحم . وهذا قول غريب ، والصحيح المشهور الأول .

وقوله : (إنا شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من « الماء » فى قوله : (إنا هديناك السبيل) : تقديره فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد (٣) ، كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم ، عن أبي مالك الأشعرى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل الناس يندو ، فبائع نفسه فوقيها أو محتها (٤) » . وتقدم فى « سورة الروم » ، عند قوله : (نظرة الله التى نظر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه فإذا أعرب عنه لسانه ، فاما شاكرا وإما كفورا (٥) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عثمان بن محمد ، عن المقبرى ، عن أبي هريرة من النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « مامن خارج يخرج إلا يباه (٦) رايةً بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فان خرج لما يحب الله أتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته . وإن خرج لما يسيخط الله أتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان ، حتى يرجع إلى بيته (٧) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ابن خنيس ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ابن عبد الله : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لكعب بن عُجْرة : « أحاذك الله من إمارة السفهاء » . قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : « أمره يكونون من يمدى ، لا يبتلون بهدى ، ولا يستنون بسنى ، فمن صدقهم بكلبهم وأعانهم على ظلمهم ، فأولئك ليسوا منى ولست منهم ، ولا يردون على حوصى . ومن لم يصدقهم بكلبهم ولم يُعْنِهم على ظلمهم ، فأولئك منى وأنا منهم ، وسردون على حوصى . يا كعب بن عُجْرة : الصوم جنة ، والصناعة نقي » .

(١) سورة فصلت ، آية : ١٧ .

(٢) سورة البلد ، آية : ١٠ .

(٣) انظر تفسير الطبرى : ١٢٧/٢٩ - ١٢٨ .

(٤) مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ١٤٠/١ وسنن الحديث ، فبائع نفسه لى حثها بامثالها وأخذ عرضها ، وهو محله وكسبه ، فهو مهلكها إن كسب الشر ، وهو محتها إن كسب الخير .

(٥) انظر الحديث عند تفسير آية الروم الثلاثين : ٣٢١/٦ ، وقد أخرجه مالك .

(٦) فى المسند : « إلا يباه » .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢٢٣/٢ .

الطليعة ، والصلاة قربان - أو قال : برهان . يا كعب بن عجرة : إنه لا يخلج الجنة لم نيت من سعت ،
التار أولى به : يا كعب : الناس غدايان ، فبتاع نفسه فحقها ، وابتاع نفسه فوبقها (١) .
ورواه عن صفوان ، عن وهيب (٢) ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، به .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَامًا وَأَعْلَاقًا وَسَعِيرًا ① إِنَّا الْأَبْرَارَ يُشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ②
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ③ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ④
وَيُطْعَمُونَ فِيهَا مِنْ مَسْكِينَةٍ وَمِنْ بَنَاتٍ وَأَسِيرًا ⑤ إِنَّمَا نُطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا
شُكْرًا ⑥ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ⑦ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شِرْذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْنَهُمْ نَقْرَةً
وَوَرَدُوا ⑧ وَجَنَّتْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑨

غير تعالى عما أوردناه للكافرين من عذقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهب والحريق في نار جهنم ،
كما قال : (إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمُ وَالسَّلاسلُ بِسَحِينٍ . في الحميم ثم في النار يُسْجَرُونَ) (٣) .
ولا ذكر ما أعدّه لولاء الأتقياء من السعير قال بعده : (إِن الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) ،
وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذات في الجنة .
قال الحسن : يرد الكافور في طيب التبريد . ولما قال : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ، يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا) ، أي :
هنا الذي مزج لولاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها لقربون من عباد الله صيرفاً بلا مزج وَيَرَوْنَ (٤) بها ،
ولما ضمن يشرب « يروى » حتى عداه بالياء ، ونصب (عينا) على التمييز .

قال بعضهم : هذا الشراب في طيبة كالكافور . وقال بعضهم : هو من عين كافور . وقال بعضهم : يجوز أن يكون
منصوباً (يشرب) . حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير (٥) .
وقوله : (يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا) ، أي : ينصرفون فيها حيث شاموا وأين شاموا ، من قصورهم ودورهم ومجالسهم
وعالمهم .

والشجر هو الإتياع ، كما قال تعالى : (وَقَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْئُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) (٦)
وقال : (وَجَعَلْنَا خِلَافَهُ نَهْرًا) (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/٢٢١ .

(٢) في المسند : « حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثيم . ويبدو أنه خطأ .

(٣) سورة غافر : آية : ٧١ - ٧٢ .

(٤) في المخطوطة : « ويسرون بها » . ولعلبت من اللطائف السابقة ، والسياق يقتضيه .

(٥) انظر تفسير الطبري : ١٢٨/٢٩ .

(٦) سورة الإسراء : آية : ٩٠ .

(٧) سورة الكهف : آية : ٢٢ .

قال عاصد : (يفجرونها فنجبراً) يقولونها حيث شاموا (١) . وكذا قال عكرمة ، وقناة : وقال الثوري : يصرفونها حيث شاموا (٢) .

وقوله : (يوقنون بالتانو ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) ، أى : يصعدون لله فيما أوجبه عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبه على أنفسهم بطريق التنو .

قال الإمام مالك : عن طلحة بن عبد الملك الأيلي : عن القاسم بن مالك ، عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من نذر أن يطيع الله فليعنه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصيه » . رواه البخاري ، من حديث مالك (٣) .

ويتركون المحرمات التي نهى الله عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم الذي شره مستطير ، أى : منتشر عام على الناس إلا من رحم الله .

قال ابن عباس : فاشياً . وقال قناة : استطار - والله - شر ذلك اليوم حتى مكل السموات والأرض (٤) .

قال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدق في الرجاسة واستطال (٥) . ومنه قول الأعشى :

فَبَاتَتْ وَكَدَّ اسْتَارَتْ (٦) في القوم د صدحاً ، على تالياً ، مُستطيراً

يعنى : عظماً فاشياً .

وقوله : (ويطمعون الطعام على حبه) ، قيل : على حب الله تعالى . وجعلوا الضمير عائداً إلى الله - عز وجل - لدلالة السياق عليه . والأظهر أن الضمير عائد على الطعام ، أى : ويطمعون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله مجاهد ، ومقاتل ، واختاره ابن جرير ، كقوله تعالى : (وآتى المال على حبه) (٦) . وكقوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (٧) .

وروي البيهقي ، من طريق الأعمش ، عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتبه عينا - أول ما جاء العنب - فأرسلت صبية - بنتي امرأته - فاشتريت عقوداً بدينهم ، فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل به قال السائل : السائل . فقال ابن عمر أعطوه إياه . فأعطوه إياه . ثم أرسلت بدينهم آخر فاشتريت عقوداً فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . فأعطوه إياه . فأرسلت صبية إلى السائل فقالت : والله إن عدت لا نصيب منه خيراً أبداً . ثم أرسلت بدينهم آخر فاشتريت به .

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي : ٢٩٨/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ١٢٨/٢٩ - ١٢٩ .

(٣) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « التمر في الطاعة » ، باب « التمر فيما لا يحك وفي مصيبة » : ١٧٦/٨ - ١٧٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٩ .

(٥) ينشد في تفسير الطبري : « ولا يقال ذلك في الحائط » ومنه

(٦) كذا في المخطوطة مدفوعاً . ورواية الديوان : « ويات ، وقد أوردت في القراءات ... ويستدل في الطعام والشراب وغيرهما » .

(٧) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

(٨) سورة آل عمران ، آية : ٩٢ .

وفي الصحيح : « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح ، شحيح ، تأمل الفنى ونحشى القمطر (١) » ، أى : فى حال محيطك المالك وحرملك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتما أسيرا أما للمسكين والتيمم فقد هلك ما بينهما وصفتهما (٢) » . وأما الأسير فقال سعيد بن جبير ، والحسن ، والضحاك : الأسير : من أهل القبة (٣) ، وقال ابن عباس : كان أسراؤهم يومئذ مشركين . ويشهد لهذا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يلقونهم على أنفسهم عند النداء . وهكذا قال سعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن ، وقادة .

وقد مرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث ، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن يجعل يقول : « الصلاة وما ملكت أيمانكم (٤) » .

وقال حكيم : هم العبيد - واختاره ابن جرير - لعموم الآية للمسلم والمشرك .

وقال مجاهد : هو الخبيث : أى : يطمعون لولاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه ، قائلين بلسان الحال : (إنما نطعمكم نوجه الله) ، أى : رجاء ثواب الله ورضاه ، (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ، أى : لا نطلب منكم مجازاة تكافئنا بها ولا أن نشكرونا عند الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ما قالوه بالاستئتم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأنى عليهم به ليربى فى ذلك راحب (٥) .

(إنما نحاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) ، أى : إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتقانا بلطفه ، فى اليوم العبوس القمطير .

قال حل بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (عبوسا) : ضيقا ، (قمطيرا) : طويلا .

وقال حكيم وغيره ، عنه ، فى قوله : (يوما عبوسا قمطيرا) ، أى : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه حرق مثل القمطران .

وقال مجاهد : (عبوسا) : العابس الشفيع (قمطيرا) ، قال : تقيض الوجه بالبُسور .

وقال سعيد بن جبير ، وقادة : تيمس فيه الوجوه من الغول ، (قمطيرا) : تقليص الجبين وما بين العينين ، من الغول .

وقال ابن زيد : العبوس : الشر . والقمطير : الشديد .

وأوضح المبررات ولجلالها وأعلاها ولولاها - قول ابن عباس رضى الله عنه ،

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : بيان أن أفضل الصدقة صفة الصحيح الشحيح : ٩٣/٣ .

(٢) انظر تفسير الآية الطائفة والثمانين من سورة البقرة : ١٧٢/١ . وآية النساء السادسة والثلاثين : ٢١١/٢ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٣٠/٢٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، باب : هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٢٦٩٧ : ٢/٢٠١-٩٠١ .

وكتاب المنهاج ، باب : ما جاء فى ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ١٦٢٥ : ١/١٩٠ . ومسند الإمام

أحمد من حل رضى الله عنه : ٧٨/١ . وعن أنس بن مالك : ١١٧/٣ . وعن أم سلمة : ٢٩٠/٦ : ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٥) تفسير الطبري : ١٣٠/٢٦ .

قال ابن جرير : والقمطر هو : الشديد ، يقال : هو يوم قمطر ويوم قماطر ، ويوم عقيب وعقبب ، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطارا ، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ، ومنه قول بعضهم .

بى عمتنا ، هل تذكرُونَ بكلامنا ؟ هل كنتم إذا ما كُنّا يَوْمَ قَمَاطِرٍ (١)

قال الله تعالى : (فوَقَّاهُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) ، وهذا من باب التجانس البليغ ، (فوَقَّاهُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ) ، أى : آمنهم بما خوفوا منه ، (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً) ، أى : فى وجوههم ، (وَسُرُورًا) ، أى : فى قلوبهم ، قاله الحسن البصرى ، وقفاة ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس . وهذه كقوله تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة (٢)) وذلك أن القلب إذا سر استار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا سرَّ - استار وجهه حتى كأنه [قطعة] (٣) قَمَرٍ (٤) » . وقالت عائشة : « دخل حَتَّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسرورا تَبَرَّئُ أَسْكَرِيَّ وَجْهَهُ (٥) ... » الحديث .

وقوله : (وجزاهم بما صبروا) ، أى : بسبب صبرهم أعطاهم وتوَّهم ويوَّاهم (جنة) وحريرا) ، أى : منزلا رحبا ، وحيثا رَحَدًا ، وليسا حَسَنًا .

وروى الحافظ ابن حساكر فى ترجمة هشام بن سُلَيْمَانَ الدَّارَ فِى قَالَ : قرئ على أبى سليمان الداراني سورة : (هل أنى حل الإنسان) ؟ ، فلما بلغ القاريء إلى قوله : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) ، قال : بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ، ثم أُنشد :

كَمْ قَتِيلٍ بِشَهْوَةٍ وَأَسِيرٍ
أَفْنٍ مِنْ مُشْتَهَى خِلَافِ الْجَمِيلِ
شَهَوَاتُ الْإِنْسَانِ تَوَدُّهُ الذَّكَرُ
وَتُكْفِيهِ فِي الْبَلَاءِ الطَّوِيلِ

مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا تَعَاوُلًا وَزَمِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذَاتُ قُلُوبِهَا تَفْلِيلًا ۝ وَطَافَ عَلَيْهِمْ بِقَاتِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكُوبٍ كَأَنَّ قَوَارِيرًا ۝ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَسُقُّونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِرَاجِحُهَا زَهْرِبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ نِعَمًا وَمَلَأًا كَثِيرًا ۝ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ رُنَّاسٌ خَضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أُصْبُورٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّوهُمْ رِيحًا مُرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْسِيًّا ۝ وَكَانَ سَعِيدًا مَشْكُورًا ۝

يخبر تعالى عن لعل الجنة وما هم فيه من النعم المقيم ، وما أُنسج عليهم من الفضل العسيم فقال : (متكبر فيها على الأرباب) . وقد تقدم الكلام على ذلك فى « سورة (١) المصافات » وذكر الخلاب فى الامتلاء : هل هو الاصطباح ، أو الغزير ، أو الربيع ، أو التمكن فى الجولوس ؟ وأن الأرباب هى السرور تحت الحجاب .

(١) تفسير الطبرى ١٣١/٢٩ ، واليت فى الانسان ، مادة قاطر ، غير منسوب .

(٢) سورة جيس ، آية : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) فى المصنوعة : « كأنه قطعة » . انظر ترجمتنا لهذا الحديث .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية ١١٨ من سورة براءة ، وخرجناه هناك ، انظر : ١٦٥/٤ - ١٦٦ .

(٥) البخارى ، كتاب المناقب ، باب « صفة النبي صلى الله عليه وسلم » : ٢٢٩/٤ . وسلم ، كتاب الرضاع ، باب « العمل بالحق القائل الولد » : ١٧٢/٤ .

(٦) كلما ، وقد تقدم ذلك فى سورة الكهف ، عند تفسير الآية الحادية والثلاثين : ١٥٢/٥ .

وقوله : (لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً) ، أى : ليس عندهم حَرَمٌ مزعج ، ولا برد مؤلم ، بل هى مزاج واحد دائم سَرْمَدَى ، (لا يغيثون عنها حولا) .

(ودانية عليهم ظلالاً) ، أى : قريبة إليهم أغصانها ، (وظللت قطوفها تليلاً) ، أى : متى تباطأ دنا التلطفُ إليه وتدل من أعلى فصته ، كأنه سامع طائع ، كما قال فى الآية الأخرى : (وجنى الجنتين دان (١)) . وقال تعالى : (قطوفها دانية (٢)) .

قال مجاهد : (وظللت قطوفها تليلاً) : إن قام ارتفعت بقدره (٣) ، وإن قعد تدكت (٤) له حتى ينلها ، وإن اضطلع تدكت (٥) له حتى ينلها ، فذلك قوله : (تليلاً (٦)) .
وقال قتادة : لا يرد أبديتهم عنها شوكٌ ولا يُحدُّ .

وقال مجاهد : أرض الجنة من ورق ، وترابها للمسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأغصانها من الزكوة الرطب والبرجد والياقوت ، والورقُ والبرجدُ والياقوتُ من ذلك . فمن أكل منها قانماً لم يرئذه ، ومن أكل منها قاعداً لم يرئذه ، ومن أكل منها مضطجماً لم يرئذه .

وقوله : (ويظاف عليهم بآفة من فضة وأكواب) ، أى : يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام ، وهى من فضة ، وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خرطوم .

وقوله : (قوارير قوارير من فضة) ، فالأول منصوب بغيره ^٧ ، أى : كانت قوارير . والثانى منصوب إما على البدلية ، أو تمثيل ، لأنه يثبت بقوله : (قوارير من فضة) .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن البصرى ، وغير واحد : يبيض الفضة فى صفاء الزجاج ، والقوارير لا تكون إلا من زجاج . فهذه الأكواب هى من فضة ، وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها ، وهذا كما لا نظير له فى الدنيا .

قال ابن المبارك ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن ابن عباس : ليس فى الجنة شئ إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبى حاتم .

وقوله : (قدروها نظيراً) ، أى : على قدر رتبهم ، لا تزيد عنه ولا تنقص ، بل هى مُسَدَّةٌ لذلك ، مقسرة بحسب رتب صاحبها . هذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبى صالح ، وقتادة ، وابن أبى عمير ، وحده الله بن عبيد بن عمير ، وقتادة ، والشعمي ، وابن زيد . وقاله ابن جرير وعمر واحد . وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة .

(١) سورة الرحمن ، آية : ٥٤ .

(٢) سورة الحاقة آية : ٢٣ .

(٣) فى الخطوط : « يقدر » ، حدثه . والمثبت عن البصري ، والله المتيقن .

(٤) فى الخطوط : « تلتلت » . والمثبت عن المرجين المتقين .

(٥) تفسير البصري : ١٢٢/٢٩ - ١٢٣ . والله المتيقن : ٣٠٠/٦ .

وقال السَّوْفِيُّ ، عن ابن عباس : (قدروها تقديرا) ، فلو كانت للكف . وهكذا قال الربيع بن أنس . وقال الضحاك على قدر اكتفَ الخَدَامُ . وهذا لا ينافي القول الأول ، فإنَّها مقدرة في القَدَرِ والرَّيِّ .
وقوله : (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) ، أى : ويسقون - يبنى الأبرار أيضا - في هذه الأكواب (كأسا) ، أى : خمرًا ، (كأن مزاجها زنجبيل) ، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليحتل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة . وأما للقيرون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفًا ، كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله : (عينا يشرب بها عباد الله) ، وقال هاهنا : (عينا فيها تسمى سلسيلا) [أى : الزنجبيل عينا في الجنة تسمى سلسيلا] .

قال عكرمة : اسم عَيْن في الجنة . وقال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريانها ، وقال قتادة : (عينا فيها تسمى سلسيلا) : عينا سكسة مستقيده ماؤها .
وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق . وانتظر هو أنها تعم ذلك كله ، وهو كما قال .

وقوله تعالى : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبهم لؤلؤًا منثورًا) ، أى : يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) ، أى : على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن . ومن فسرهم بأنهم مَحْرُصُونَ في آفاتهم الأخرى ، فإنما عبر عن اللحن بذلك ، لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير .

وقوله : (إذا رأيتهم حسبهم لؤلؤًا منثورًا) ، أى : إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة ، وكثرتهم ، وصباحة وجوههم ، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبهم لؤلؤ منثور . ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن .

قال قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسمى عليه ألف خادم ، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه (١) .

وقوله : (وإذا رأيت) ، أى : وإذا رأيت يا محمد (ثم) ، أى : هناك ، يعنى في الجنة ونعيمها وأسماؤها ونقاها وما فيها من الحسنة والسرور ، (رأيت نبيا وملكًا كبيرًا) ، أى : مملكة الله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا .
ونبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لأخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولًا إليها : إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثلها .

وقد قدَّمنا (٢) في الحديث المروى من طريق ثوير بن أبي لاختة ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكة مسرة أتى منه ينظر إلى أنصاه كما ينظر إلى أدناه » - فإذا كان هذا صراطه تعالى لأدنى من يكون في الجنة ، فما ظنك بما هو أعلى منزلة ؟ وأحقى عنده تعالى .

(١) تفسير الطبري : ١٢٦/٢٩ .

(٢) انظر تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة التوبة ، وقد تقدمت من قريب .

وقد روى الطبري في ما هنا حديثاً شريفاً جداً قال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدثنا حقة بن سالم ، عن أيوب بن عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله : « سل واستفهم » . قال : يا رسول الله ، فُضِّلْتُمْ علينا بالصور والأكوان والنبوة ، أفرأيت إن كنتُ بما آمنتُ به وعملتُ بمثل ما علمتُ به ، إني لكائن مملوك في الجنة ؟ قال : « نعم واللى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا إله إلا الله ، كان له بها عهد عند الله ، ومن قال : سبحان الله وعمده ، كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة » . فقال رجل : كيف نملك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للرجل ليلأتى يوم القيامة بالعمل لو ضُحِبَ على جبل لأقله ، فتقوم للنعمة - أو : نعم الله - فتكاد تستنفذ ذلك كله ، إلا أن يتَّخذه الله برحمته » . ونزلت هذه السورة : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) إلى قوله : (ملكا كبيرا) - فقال الحبشي : وإن عيني ترى ما ترى عينك في الجنة ؟ قال : « نعم » . فاستبكي حتى غاضت نفسه . قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُدلي به في حفرته بيده (١) .

وقوله : (عليهم ثياب ستلح خضر وإسبرق) ، أى : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومته ستلح ، وهو رفيع الحرير كالتمصان ونحوها ما على أبدانهم ، والإسبرق منه ما فيه بريق ولحان ، وهو ما على الظاهر ، كما هو للمعهود في اللباس ، (وحوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال : (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير (٢)) .

ولا ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحل قال بعده : (وسماهم ربهم شرابا طهورا) ، أى : طهر بواطنهم من الحسد [والحقد] والفن والاذى وسائر الأخلاق الرديئة ، كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة رجسوا هنالك حينئذ فكأنما ألموا ذلك فغسروا من إحداها [فأذهب الله (٣)] ما على بواطنهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فنجرت عليهم فضره التعم (٤) .

وقوله : (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) ، أى : يقال لهم ذلك تذكرا عالم وإحسانا إليهم كقولهم : (كلوا واشربوا متبايناً أسلفتم في الأيام الخالية (٥)) ، وكقولهم : (ونودوا أن تلهم الجنة أورشواها بما كنتم بمنون (٦)) وقوله : (وكان سعيكم مشكورا) ، أى : جزاكم الله على القليل بالكثير .

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن الطبري ، وابن مردويه ، وابن حبان : ٢٩٧/٦ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٢٣ .

(٣) ابن القيم عن الطيحات السابقة ، ومكانه في المصنوعة كلمة غير واضحة .

(٤) انظر تفسير الآية الثالثة والأربعين من سورة الأعراف : ١١/٣ ، والثالثة والستين من سورة الزمر : ١١٤/٥ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٢٤ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٣٦﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنَّهُمْ هَانِمَا أَوْ كُفُّوا ﴿٣٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٤٠﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِنَّا شَفِئْنَا بَلَدَنَا لَمَّا شَاءَ نَحْنُ بَدِيلًا ﴿٤١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ قَنَ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ وَمَا تَسَاءَوْنَ إِلَّا أَن بَسَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٣﴾ يَدْخُلُ مِنَ بَيْتِهِ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ممثلا على رسوله - صلى الله عليه وسلم - عما نَزَّلَ عليه من القرآن العظيم ترتيلا : (فاصبر لحكم ربك) ، أى : كما أكرمك بما أنزلت عليك ، فاصبر على فضائه وقدره ، واعلم أنه سيبد برك حسن تدبيره ، (ولا تطع منهم أبما أو كفورا) ، أى : لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك ، بل بكن ما أنزل إليك من ربك ، وتوكل على الله ، فإن الله بمصلحك من الناس . فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر بقلبه . (واذكر اسم ربك بكرة وأصيل) ، أى : أول النهار وآخره . (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) ، كقوله : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، حتى أن يمشك ربك مقاما محمودا (١)) ، وكقوله : (يا أيها المرءل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . لو زد عليه وزل القرآن ترتيلا (٢)) .

ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم في حُبِّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها ، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم : (إن هؤلاء يحبون العاجلة . ويلوون وراءهم يوما تقيلا) ، ينى يوم القيامة . (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : بنى حركاتهم (٣) . ثم قال : (وإن شئت بدلنا أمثلكم تبديلا) ، أى : وإن شئت بشتام يوم القيامة ، وبكلمات فاعلناهم خلقا جاسدا . وهذا استدلال بالبداهة على الرجعة .

وقال ابن زيد ، وابن جرير : (وإن شئت بدلنا أمثلكم تبديلا) : وإن شئت أبتنا بقوم آخرين غيرهم (٤) . كقوله : (إن يشأ يذهبكم أبنا الناس ويأت بآخرين ، وكان الله على ذلك قديرا (٥)) ، وكقوله : (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز (٦)) .

ثم قال تعالى (إن هله) - بنى هذه السورة (تذكرة ، فن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) ، أى : طريقا ومسلكا ، أى : من شاء اعتدى بالقرآن كقوله : (وماذا عليهم لو آمنوا بالله اليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليا) . ثم قال : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) ، أى : لا يقدر أحد أن يهتدى نفسه ، ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعا ، (إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليا حكيما) ، [أى : عليم بمن يستحق البداية فببشرها له ، ويقيسه له أسبابها ، ومن يستحق التوابة فيصرفه عن الملقى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الباسطة ، ولهذا قال تعالى : (إن الله كان عليا حكيما) .

ثم قال : (يدخل من يشاء في رحمة ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما) ، أى : يهتدى من يشاء ويضل من يشاء ، ومن يهتد فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادئ له .

[آخر سورة الانسان]

- (١) سورة الإسراء ، آية : ٧٩ .
- (٢) سورة المزمل ، الآيات : ١ - ٤ .
- (٣) تفسير الطبري : ١٣٩/٢٩ .
- (٤) سورة انفصه ، آية : ١٣٣ .
- (٥) سورة الزمر ، آية : ١٩ - ٢٠ . سورة قاطر ، آية : ١٦ - ١٧ .

تفسير سورة والمرسلات

وهي مكية

لال البخارى (١) ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، [حدثنا أبى] (٢) ، حدثنا الأعشى ، حدثنى إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : بينا نحن مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فى غار بئى ، إذ نزلت عليه : (والمرسلات) ، فأنه ليتلوها ولأنى لأتلقاها من فيه ، وإن شاء لرطب بها ، إذ وكبت علينا حبيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اظلوها » : فاجترواها فلمجت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وقبئت شركم كما وقبئتم شرها » (٣) . وأخرجه مسلم أيضا ، من طريق الأعشى (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمه : أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فى المغرب بالمرسلات عرفاً (٥) :

وفى رواية مالك ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس : أن أم الفضل سمعه يقرأ : (والمرسلات هرفا) : فقالت : يا بنى ، ذكرتني بقرآنك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها فى المغرب ،

أخرجه فى الصحيحين ، من طريق مالك ، به (٦) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① قَالَتْ لِمَ صِفَتْ عَصَا ② وَالنَّيِّرَاتِ نَشْرًا ③ قَالَتْ لِمَ قَرَأَ ④ قَالَتْ لِمَ قَبِئَتْ ⑤ ذُرًّا ⑥ طَرًّا أَوْ نَدْرًا ⑦ إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لَوَيْعَ ⑧ فَإِذَا النُّجُومُ طَلَبَتْ ⑨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑩ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ⑪ وَإِذَا الْأَرْضُ أُقْنَتْ ⑫ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِلَّتْ ⑬ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑭ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْقَفْلِ ⑮ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَبِّينَ ⑯

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى - حدثنا زكريا بن مهمل المروزي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا الحسين ابن واقد ، حدثنا الأعشى ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة : (والمرسلات عرفا) ، قال : للثلاثة .

(١) فى المخطوطة : « قال البخارى : حدثنا أحمد ، حدثنا عمر ... » . وهو خطأ .

(٢) ما بين القوسين عن البخارى ، وهو سقط من المخطوطة .

(٣) البخارى ، تفسير سورة (المرسلات) : ٢٠٥/٦ . وقوله « فى غار بئى » . كلمة « بئى » غير ثابتة فى هذه الرواية . وانظر فتح البارى : ٤٨٧/٨ .

(٤) مسلم ، كتاب قتل الجاهليين وغيرها : ٤٠/٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٣٨/٦ .

(٦) البخارى ، كتاب الأذان ، باب « القراءة فى المغرب » : ١٩٢/١ - ١٩٤ ، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « القراءة فى الصبح » : ٤٠/٢ - ٤١ .

قال : ورؤى من مسروق ، وأبي الفصي ، وعجماد - في إحدى الروايات - والسدي ، والريح بن أنس ، مثل ذلك .

ورؤى عن أبي صالح أنه قال : هي الرسل . وفي رواية عنه : هي للملائكة . وهكذا قال أبو صالح في (العاصفات) و (الناشرات) و (اللقيات) : أنها للملائكة .

قال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيد بن قال : سألت ابن مسعود عن (المرسلات حرفاً) ، قال : الريح (١) . وكلنا قال في : (العاصفات عصفاً . والناشرات نشراً) : إنها الريح . وكلنا قال ابن عباس ، وعجماد ، وقادة ، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في (المرسلات حرفاً) : هل هي للملائكة أرسلت بالمعرف (٢) ، أو كمعرف القوس يتبع بعضهم بعضاً (٣) ؟ أو : هي الريح إذا هبت شيئاً شيئاً ؟ وتعلّق بأن العاصفات عصفاً هي الرياح ، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه . ومن قال ذلك في العاصفات أيضاً : عليّ بن أبي طالب ، والسدي . وتوقف في (الناشرات نشراً) ، هل هي للملائكة أو الريح ؟ كما تقدم . وعن أبي صالح : أن الناشرات نشراً للطر .

والأظهر أن المرسلات هي الرياح ، كما قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح (٤)) . وقال تعالى : (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته (٥)) . وهكذا العاصفات هي : الرياح ، يقال : عصفت الريح إذا هبت بتصويت ، وكلنا الناشرات هي : الرياح التي تشر السحاب في آفاق السماء ، كما يشاء الرب عز وجل .

وقوله : (فالفرقات فرقا . فاللقيات ذكرا . علوا أو نلرا) ، يعني : للملائكة . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وعجماد ، وقادة ، والريح بن أنس ، والسدي ، والثوري . ولا خلاف حاشا ، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، والحدي والقي ، والحلال والحرام ، وتلبي إلى الرسل وحيا فيه إعلال إلى الخلق . وإنزل عليهم خطاب الله إن خالفوا أمره .

وقوله : (إنما تعدلون لواقع) : هلنا هو المقسم عليه هذه الأقسام ، أي : ما وعدتم به من قيام الساعة ، والنسخ في الصور ، وبعث الأجساد ، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، وبجائزة كل عامل بعمله ، إن خيرا ما حبر وإن شرا فشر ، إن هلنا كله - (لواقع) ، أي : لكائن لا محالة .

ثم قال : (إنما النجوم طلعت) ، أي : ذهب ضوؤها ، كقوله : (وإذا النجوم اتكبرت (٦)) . وكقوله : (وإذا الكواكب انتثرت (٧)) .

(١) تفسير الطبري : ١٤٠/٢٩ .

(٢) أي : بالمعروف .

(٣) قال الطبري ١٤١/٢٩ : وقال بعضهم : هي بقوله (حرفاً) متباعدة كمرف القوس ، كما قالت العرب : انشأ إلى ثلاث حرف واحد ، إذا توجهوا إليه فأكبروا . وقال ذلك أبو صبيدة في مجاز القرآن : حرفاً : يتبع بعده بشراً ، يقال : جابوني حرفاً .

(٤) سورة الحجر ، آية : ٢٢ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٥٧ .

(٦) سورة التكوير ، آية : ٢ .

(٧) سورة الانشقاق ، آية : ٢ .

(وإذا المياه فرجت) ، أى : انقطعت وانشقت ، وتبدلت لرجائها ، وَهَتْ أطرانها .

(وإذا الجبال نسفت) ، أى : ذهب بها ، فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله : (يسألونك عن الجبال قُل : ينسفها ربى نسفاً . فيلها قاعاً صافئاً . لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً (١)) وقال تعالى : (ويوم نُسِفَ الجبال) ، وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نخادر منهم أحداً (٢) .

وقوله : (وإذا الرسل أقت) - قال الباقى ، عن ابن عباس : جمعت . وقال ابن زيد (٣) : وهله كقوله تعالى : (يوم يجمع الله الرسل) . وقال عاهد : (أقت) : أبلت .

وقال الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم : (أقت) : أوعلت . وكأنه يجعلها كقوله : (وأشرق الأرض بنور ربها) ، ووضع الكتاب ، وجىء بالنبين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٤) .

ثم قال : (لأى يوم أبلت ؟ ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ويل يومئذ للمكذبين) ، يقول تعالى : لأى يوم أبلت الرسل وأرجىء أمرها ؟ حتى تقوم الساعة ، كنا قال تعالى : (فلا تحسب الله خلفاً وعده رسله ، إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار (٥)) . وهو يوم الفصل ، كما قال : (ليوم الفصل) .

ثم قال معللاً لشأنه : (وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ويل يومئذ للمكذبين) ، أى : ويل لمن من عباد الله غداً . وقد قمنا في الحديث أن «ويل» : واد في جهنم (٦) . ولا يصح .

أَلَمْ نَكُنِ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ ثُمَّ نَبِّهْنَاهُمُ الْآخِرِينَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ نَقْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٥﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٦﴾ إِنَّ قَدْرَ مَعْلُومٍ ﴿٧﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٩﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿١٠﴾ أَحْيَاءً وَمَوْتًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّا قُرَآئِنًا ﴿١٢﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى : (لم نكن الأولين) ؟ أى : من المكذبين الرسل السابقين لا جاموهم به ، (ثم نبههم الآخرين) ، أى : من ألبهم . ولهذا قال : (كذلك نقعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) . قاله ابن جرير (٧) .

ثم قال مبتدئاً على خطفه وبعثنا على الإعادة باليدامة : (لم نخلقكم من ماء مهين) ؟ أى : ضعيف حقير بالنسبة إلى

(١) سورة طه ، الآية : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٧ .

(٣) أنه ابن زيد كما في تفسير الطبري ١٤٣/٢٩ : «وإذا الرسل أقت» قال : أقت ليوم القيامة وقرأ : (يوم) يجمع الله الرسل ، قال : والأجل ، الميقات ، وقرأ : (يسألونك عن الأملة) قل : هي مواليات الناس ...» .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٦٩ .

(٥) سورة إبراهيم ، آية : ٤٧ - ٤٨ .

(٦) انظر تفسير الآية ٧٩ من سورة البقرة : ١٦٨/١ .

(٧) تفسير الطبري : ١٤٤/٢٩ .

فَكُرَّةُ الْبَارِي عز وجل ، كما تخدم في سورة (يس) في حديث بَسْر بن جهمكش : « ابن آدم ، أنى تُعْجِزُنِي وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (١) .

(ضللتنا في قرار مكين) ، يعنى : جمعتنا في الرّحم . وهو قرار للماء من الرجل والمرأة ، والرّحم معد للذك ، حافظ لما أودع فيه من الماء .

وفوله : (إلى قدر معلوم) ، يعنى إلى مدة معينة من سنة أشهر أو تسعة أشهر . ولما قال : (قتلونا فتم القاهرون ؛ ويل يومئذ للمكذبين) .

ثم قال : (لم نجعل الأرض كفاتا . أحياء وأمواتا) - قال ابن عباس : (كفاتا) : كُتّا . وقال مجاهد : يَكْفُتُ المَيِّتُ فلا يرى منه شيء . وقال الشعبي : بطنها لأموالكم . وظهرها لأحيائكم . وكنا قاتل مجاهد وقتادة (٢) .

(وجعلنا فيها رواسي شامخات) ، يعنى : الجبال لروسي بها الأرض لتلاخيد وتنضرب .

(ولسقيناكم ماء فراثا) : عذبا زلالا من السحاب . أو عما أتاه الله من حيون الأرض .

(ويل يومئذ للمكذبين) ، أى : ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خلقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

أَنْظِلُّوْا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَ ﴿١٦﴾ أَنْظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِى الثَّلَاثِ شُعْبٍ ﴿١٧﴾ لَا ظِلِّينَ وَلَا يَخُفُّ مِنْ نَّارِهِ ﴿١٨﴾ إِنْهَا تَرَى بِشَرِّهَا كَالْقَصْرِ ﴿١٩﴾ كَأَنَّهُ جُمُلٌ صَفَرٌ ﴿٢٠﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَ ﴿٢١﴾ هُنَا يَوْمٌ لَا يَنْطَقُوْنَ ﴿٢٢﴾ وَلَا يُؤْنَسُ لَهُمْ كَيْفَ يُعْتَدِلُوْنَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَ ﴿٢٤﴾ هُنَا يَوْمٌ الْفَصْلُ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوْا ﴿٢٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى غامضا للكمثار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار ، أنهم يقال لهم يوم القيامة : (انظلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انظلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) ، يعنى لذهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان ، فمن شدته وموته أن له ثلاث شعب ، (لا ظليل ولا يخفى من اليب) ، أى : ظل الدخان للمقابل لذهب لا ظليل هو في نفسه ، ولا يخفى من اليب ، يعنى ولا يخفىهم حر اليب .

وفوله : (إنها ترى بشر كالقصر) ، أى : يتطير الشر من ههنا كالقصر . قال ابن مسعود : كالحصون . وقال ابن عباس وقتادة ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وغيرهم : يعنى أصول الشجر .

(كأنه جمالات (٢) صفر) ، أى : كالإبل السود . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والفضال . واختاره

ابن جرير .

(١) انظر تفسير الآية السابعة والسبعين من سورة (يس) « فقد خرجنا لنحدث هناك : ٥٨٠/٦ » .

(٢) انظر تفسير البكري : ١٤٥/٢٩ .

(٣) كذا في خاتمة الأثر (جمالات) ، وهي قراءة الجهمود . ويقول أبو حيان في البسر الخيط ٤٠٧/٨ : « جمالات - يكرس الجهم ، وبالألف والهاء - جمع جمال ، جمع الجمع ، وهي الإبل ، كتقولهم : رجالات قريش » ، ويذكر أبو حيان أن ابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن وأبو رجاء قرأوا (جمالات) بضم الجهم ، وهي جمال السفن [كنا] ، ولعله جمال السفن الواحدة منها جملة ، لكونه جملة من الطاقات والقوى ، ثم جمع على جملة وجمالات ، ثم جمع جمالات ثانياً جمع صفة فقالوا : جمالات » .

وعن ابن عباس ، وعجاءه ، وسعيد بن جبير : (جماليات صفر) ، يعنى : حبال السفن : وعنه - أعنى ابن عباس - : (جماليات صفر) : قطع نحاس .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا يحيى أخبرنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن عباس قال : سمعت ابن عباس : (إنها ترى بشر كالفصر) ، قال : كنا نعد إلى الحشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك ، فرفعه لشتاء ، فنسميه القَصْرَ (١) ، (كأنه جمالات صفر) : حبال السفن ، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (٢) .

(ويل يومئذ للمكذبين) : ثم قال تعالى : (هذا يوم لا ينطقون) ، أى : لا يتكلمون . (ولا يؤذن لهم فيعترون) ، أى : لا يقدرّون على الكلام ، ولا يؤذن لهم فيه ليعتروا ، بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون . وعصاة القيامة حالات ، والرب تعالى يغير عن هذه الحالة تارة ، وعن هذه الحالة تارة ، ليل على شدة الأحوال والآثر لازل يومئذ . ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام : (ويل يومئذ للمكذبين) .

وقوله : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيون) : وهذه غاطية من المائق لعبادته يقول لهم : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) ، يعنى أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد ، يُسمِعهم الداعى ويستفدّهم البصر (٣) .

وقوله : (فإن كان لكم كيد فكيون) : تهديد شديد ووعد أكيد ، أى : إن قدتم على أن تتخلصوا من قبضى ، وتنجّوا من حكمى فافعلوا ، فإنكم لا تقدرّون على ذلك ، كما قال تعالى : (يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تغلبوا من أطوار السموات والأرض فافعلوا ، لا تغلبوا إلا بسلطان (٤)) . وقد قال تعالى : (ولا تضروه شيئا (٥)) . وفى الحديث : (يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا تقى فتضوئى ، ولن تبلغوا ضرى فتضرونى) .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن للنذر الطريقى الأودى ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا حصّين بن عبد الرحمن ، عن حسان بن أبى (٦) الخارق ، عن أبى عبد الله الجدى قال : أتيت بيت المقدس ، [فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله ابن عمرو ، وكعب الأحبار يتحدثون فى بيت المقدس] ، فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد ، يعظم البصر ويُسمِعهم الداعى ، ويقول الله : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيون) ، اليوم لا ينجو منى نجار عبده ، ولا شيطان مريد . قال عبد الله بن عمرو : فإننا (٧) ، نحدث يومئذ [أنه يخرج عتق (٨) من النار تنطلق حتى إذا كانت بين ظهراى الناس نادى : أيتها الناس ، إني بعثت لى ثلاثة أنا أعرف

(١) فى النهاية : يريد قصر التخل ، وهو ما خلط من أسفله ، أو أعتاق الإبل ، واحتبا قصة .

(٢) البخارى ، تفسير سورة (والمرسلات) : ٣٠٥/٦ .

(٣) هذا اقتباس من حديث تقدم تخريجنا له عند تفسير الآية للطفة والسجين من سورة الإسراء : ١٠٦/٥ .

(٤) سورة الرحمن : آية : ٣٣ .

(٥) سورة هود : آية : ٥٧ .

(٦) كلا ، وفى الجرح والتعديل لأبى حاتم : ٢٣٥/٢/١ : «حسان بن الخارق» . ويبدو أنه يقال فيه أيضاً :

«ابن أبى الخارق» . انظر التاريخ الكبير للبخارى : ٢٢/١/٢ .

(٧) فى الموطأ : «كأنها نحدث» والمثبت من الحديث السابقة . وفى الدرر المشور : ٣٠٥/٦ : «إننا نجد فى الكتاب»

أنه يخرج وما بين التوسين عن الدرر المشور .

(٨) طائفة .

هم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه ، لا يُغَيِّبُهُمْ عَنْ وَرَرٍ ، ولا تُخْفِيهِمْ عَنْ خَافِيَةٍ : اللّٰى جعل مع الله إلها آخر ، وكلّ جبار عنيد ، وكلّ شيطان مريد . فتتولى عليهم فتكلف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ لَبْلَبٍ وَعُيُونٍ ﴿١١﴾ وَفَوْقَهُمْ مِّمَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٢﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿١٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ﴿١٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى خبراً عن عباده المؤمنين الذين عبده بأداء الواجبات ، وترك المحرمات : أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون ، أى : خلاف ما أولئك الأشقياء فيه ، من ظل اليعقوم ، وهو : البخنان الأسود للثمن . (وفواكه مما يشتهون) ، أى : ومن سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدا . (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) ، أى : يقال لم ذلك حل سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى خبراً آخر مستأنفاً : (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ، أى : هنا جزاؤنا لمن أحسن العمل ، (ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) .

وقوله : (كلوا وتمتعوا قليلاً ، [إنكم] جرمون) خطاب للمكذبين يوم الدين ، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى : (كلوا وتمتعوا قليلاً [، أى : مدة قليلة قريبة قصيرة ، [إنكم] جرمون) ، أى : ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ، (ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) ، كما قال تعالى : (نعتهم قليلاً ثم تضرطهم إلى عذاب خليط (٢)) ، وقال تعالى : (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ، ثم إلینا مرجعهم ، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (٣)) .

وقوله : (ولذا قيل لهم : اركبوا ، لا يركبون) ، أى : إذا أمر هؤلاء الجبهة من الكفار أن يركبوا من المصلين مع الجماعة ، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه . ولما قال : (ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) . ثم قال : (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) ، أى : إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به ؟ ! كتبه تعالى : (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) (٤) !

قال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية : سمعت رجلاً أعرابياً يذوّب يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ : (والمرسلات عرفاً) ، فقرا : (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) فليل : أنت بالله وما أنزل .

وقد تقدم هذا الحديث في «سورة القيامة» .

آخر تفسير سورة والمرسلات

(١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٢) سورة لقمان ، آية : ٢٤ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٦٩ - ٧٠ .

(٤) سورة الباقية ، آية : ٦ .

تفسير سورة النبأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَمْ يَسْأَلُونَ ① عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا ⑤
سَيَعْلَمُونَ ⑥ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْنًا ⑦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ⑧ وَخَلَقَنَكَ أَزْوَاجًا ⑨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ
سُبَاتًا ⑩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ⑪ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ⑫ وَبَنَيْنَا فَوْقَكَ سَبْعًا شِدَادًا ⑬ وَجَعَلْنَا
مِرَاجًا وَهَاجًا ⑭ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ⑮ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑯ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ⑰

يقول تعالى منكرا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها : (هم يسألون ؟ عن النبأ العظيم) ،
أي : عن أي شيء يسألون ؟ عن أمر القيامة ، وهو النبأ العظيم ، يعني : الخبر المائل المقطع الباهر .

قال قتادة ، وابن زيد : النبأ العظيم : البعث بعد الموت . وقال مجاهد : هو القرآن (١) . والأظهر الأول لقوله :
(الذي هم فيه مختلفون) ، يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر .

ثم قال تعالى متوعداً لشركى القيامة : (كلا سيعلمون . ثم كلا سيعلمون) ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد .

ثم شرع تعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة ، للفتنة على قدرته على ما يشاء من أمر
اللعاد وغيره ، فقال : (ألم يجعل الأرض مهجداً) ؟ أي : مهجدة للخلائق ذكلاً لهم ، قارة ساكنة ثابتة ، (والجبال
أوتادا) ، أي : جعلها لما أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .

ثم قال : (وخلقناكم أزواجاً) ، يعني : ذكرًا وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر ، ويحصل التناسل بملك ، كقوله :
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة (٢)) .

وقوله : (وجعلنا نومكم سباتاً) ، أي : قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي ، [في المعاش (٣)]
في عرض النهار . وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان (٤) .

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٠ / ٣ - ٣ .

(٢) سورة الروم : آية ٢١ .

(٣) في المخطوطة : ... والسعي في أرض قهله . وللتبث عن الحيليات السابقة .

(٤) سورة الفرقان آية ٤٧ ، وانظر : ١٢٣ / ٦ .

(وجعلنا الليل لباسا) ، أى : يثقل الناس ظلامه وسواده ، كما قال : (والليل إذا بشأها (١)) ، وقال الشاعر (٢) :

علما لجنس الليل (٣) ، فوحين تصبّت له من عذّا آتائها وهو جاتّح

وقال قتادة في قوله : (وجعلنا الليل لباسا) ، أى : سكتا .

وقوله : (وجعلنا النهار معاشا) ، أى : جعلناه مشرقا مثيراً مضيقاً ، ليتمكن الناس من التصرف فيه وللحاجب

والمجيب للمعاش والتكسب والنجوات ، وغير ذلك .

وقوله : (وبينا فوقكم سبّحاً خلدًا) ، يعنى : السموات السبع ، فى اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإيقاظها ، وتزيينها

بالكواكب [الثوابت] والسيارات . ولما قال : (وجعلنا سراجاً وهاجاً) ، يعنى : الشمس المنيرة على جميع العالم التى توهج ضوءها لأهل الأرض كلهم .

وقوله : (وأترلنا من المصبرات ماء ليلها) — قال القوي ، عن ابن عباس : (للمصبرات) : الريح (٤) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو داود الحفصى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : (وأترلنا من المصبرات) ، قال : الرياح . وكلها قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبي ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : إنها الرياح . ومعنى هذا القول أنها تستدر للمطر من السحاب .

وقال علي بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (من المصبرات) ، أى : من السحاب . وكلها قال عكرمة أيضاً ، وأبو العالية ، والفساحك والحسن ، والربيع بن أنس ، والثوري ، وإسحاق ابن جرير .

وقال القراء : هى السحاب التى تنحطب بالمطر ولم تنطر بعد ، كما يقال : امرأة معصر : إذا دنا حبشها ولم تحض .

وعن الحسن ، وقتادة : (من المصبرات) : يعنى السموات . ولما قول غريب .

والأظهر أن المراد بالمصبرات السحاب ، كما قال تعالى : (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا ، ليبسه فى السياه كيف يشاء ، ويجعله كسفا فرى الرعد يخرج من خلاله) ، أى : من بينه .

وقوله (ماء تنجا) — قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس : (تنجا) : منسبا . وقال الثوري : منسبا .

وقال ابن زيد : كثيرا .

قال ابن جرير : ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة للكثرة الحج ، وإنما الحج : الصب المتتابع . ومنه قول أئمة صلب الله عليه وسلم — : «أفضل الحج الحج واتج» . يعنى : صب دماء البهائم . وهكذا قال . قلت : وى حديث

(١) سورة الشمس ، آية : ٤ .

(٢) هو ذو الرمة ، والبيت فى جيواله ط كبريدج : ١٠٨ . وكتاب علق الإنسان نابت : ٩٣ . وتفسير الطبرى : ٣/٢٠ .

(٣) قال الطبرى : «يعنى بقوله (لجنس الليل) : أدخلنا فى سواده فاستمر به» . فأما «عذّا الآثان» : فهو : استمر عذالهما . والأعلى : المستترى الأذن . وهو جاتّح ، يعنى الليل .

(٤) تفسير الطبرى : ٤/٢٠ .

(٥) تفسير الطبرى : ٥/٢٠ .

المستحاضة حين قال لما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أُنْتُ لَكَ الْكَرْسُفُ » - يعني : أن تحشى بالنظر - : قالت : يا رسول الله، هو أكثر من ذلك، إنما أُنْتُ نَجْأً (١) . ولهذا فيه دلالة على استعمال النَّجْ في الصَّبِّ للتتابع الكثير، والله أعلم .

وقوله : (نخرج به حيا ونباتا ، وجنات ألفافا) ، أى : لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حيا) يدخر للأنامى والأنعام ، (ونباتا) ، أى : خضرا يוכל رطبها ، (وجنات) ، أى : بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة ، والأوان مخلفة ، وطعوم وروائح مضافه ، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ، ولهذا قال : (وجنات ألفافا) - قال ابن عباس ، وغيره : (ألفافا) : مجتمعة . وعلمه كقوله تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب وزرع وبخيل ، صنوان وغير صنوان ، تُسْقَى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل (٢)) ... الآية .

إِنَّ يَوْمَ الْقَصْرِ كَانَ مِيقَتًا (٣) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (٤) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (٥) وَسُورَتِ الْجِبَالُ كَانَتْ سُرَابًا (٦) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٧) لِقَاطَتَيْنِ مَعَابَا (٨) لَيْسَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا (٩) لَا يُلْقَوْنَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (١٠) إِلَّا حَيْمًا وَغُلَاقًا (١١) بَرَّازًا (١٢) وَقَلَقًا (١٣) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (١٤) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (١٥) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (١٦) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (١٧)

يقول تعالى خبرا عن يوم القتل ، وهو يوم القيامة ، أنه موثقت بأجل معلود ، لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، ولا يعلم وقته على التبيين إلا الله عز وجل ، كما قال : (وما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لأجل معلود (١)) .

(يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) - قال مجاهد : ذُمرًا . قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمة مع رسولها ، كقوله : (يوم ندعو كل أناس بإمامهم (٢)) .

وقال البخارى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) ، حدثنا أحمد ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما بين الضحيتين أربعون » . قالوا : أربعون يوما ؟ قال : « أبيت » . قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : « أبيت » . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : « أبيت » . قال :

(١) سنن أبي حنيفة ، كتاب الطهارة ، باب : إذا أتيت المصطفى صلوات الله عليه وسلم ، وبجفة الأسرى ، أبواب الطهارة ، باب : ما جاء في المستحاضة : أنها تجمع بين الصلوات بنسل واحد ، الحديث ١٢٨ : ٣٩٥/١ - ٤٠٤ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في المستحاضة التي قد حلت أيام إقرانها قبل أن يستريح بها المني . الحديث ٦٢٢ : ٢٠٣/١ - ٢٠٤ . ومسند الإمام أحمد عن حنيفة بنت جهم : ٤٣٩/٦ .

(٢) كلما في خاطرة الأثر (تسق) بالياء . وهي قراءة ثالثة في السبعة . انظر البحر المحيط : ٣٦٣/٥ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ٤ .

(٤) سورة هود ، آية : ١٠٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٦/٢٠ .

وَمَنْ يُؤْمَرْ مِنَ الْمَاءِ مَا فِي قَبْعَيْنِ كَمَا يَنْبَغُ الْيَقْلُ ، ليس من الإنسان شيء إلا يَبْقَى ، إلا عظما واحدا ، وهو حَسْبُ الذَّنْبِ ومنه يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) .

(وفتحت السماء فكانت أبوابا) ، أى : طرقا ومساك لتزول الملائكة ، (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله : (وترى الجبال تحسبها جامعة وهي غر من السحاب (٢)) . وكقوله : (وتكون الجبال كالهنك المنفوش (٣)) .

وقال هاهنا : (فكانت سرابا) ، أى : يخيل إلى الناظر أنها شيء ، وليست بشيء ، وبعد هذا تكهبه بالكيفية ، فلا عين ولا أثر ، كما قال : (وسألونك عن الجبال ، قل : ينسفها ربي نسفا . فيلها قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (٤)) . وقال : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة (٥)) .

وقوله : (إن جهنم كانت مرصادا) ، أى : مرصدة مُمَدَّة (للظالمين) ، وهم : لئمة العصاة المذنبون لرسول ، (مآبا) ، أى : مرجعا ومقبلا ومصيرا وقُرْلا . وقال الحسن ، وقادة في قوله : (إن جهنم كانت مرصادا) ، يعنى : أنه لا يدخل [أحد] الجنة حتى يجتاز بالنار ، فإن كان معه جواز نجا والا احتبس . وقال سفيان الثوري : عليها ثلاث قناطر (٦) .

وقوله : (لا يبين فيها ألقابا) ، أى : ما كتبت فيها ألقابا ، وهي جمع « حَقَب » ، وهو : المدة من الزمان ، وقد اختلفوا في مقدارها ، فقال ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن سفيان الثوري ، عن عمار الدقني ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال علي بن أبي طالب لطلال المسجري : ما تجدون الحَقَبَ في كتاب الله للتلز ؟ قال : تجد ثمانين سنة ، كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة (٧) .

وهكذا روى عن أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس ، وسعيد بن جبلة ، وعمر بن ميمون ، والحسن ، وقادة ، والربيع بن أنس ، والضحاك . وعن الحسن والسدي أيضا : مبعوث سنة كذلك . وعن عبد الله ابن عمرو : الحَقَبُ أربعون سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . ورواه ابن أبي حاتم .

وقال بشر بن كعب : ذكر لي أن الحَقَبَ الواحد ثلاثمائة سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم ألف سنة ، ورواه ابن جرير (٨) ، وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم : ذكر عن حمزة بن علي بن أبي بكر الأسدي : حدثنا مروان بن معاوية التنوخي ، عن جابر بن الزبير ، عن أنس ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (لا يبين فيها ألقابا) ، قال : فالحقب شهر ، الشهر ثلاثون يوما ، والسنه اثنا عشر شهرا ، والسنه ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم منها ألف سنة

(١) البخاري ، تفسير سورة (حم يسلمون) ٢ : ٢٥٥/٦ .

(٢) سورة النمل ، آية ٨٨ .

(٣) سورة القنقرة ، آية ٥ .

(٤) سورة طه ، الآيات : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٥) سورة الكهف ، آية ٤٧ .

(٦) تفسير الطبري ، ٧/٣٠ .

(٧) تفسير الطبري ، ٨/٢٤٠ .

ما تملون ، الخُفّ ثلاثون ألف ألف سنة . وهذا حديث منكر جده . والقاسم والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاماً مبروك .

وقال الزُّبَيْر : حدثنا محمد بن مرزُكس ، حدثنا سليمان بن مسلم أبو المُنَكْبِي قال : سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد ؟ فقال : حدثني نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أسقياً » . قال : والخُفّ : يصعب وتمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً ما تملون .

ثم قال : سليمان بن مسلم يعبري مشهور وقال السدي : (لا يثن فيها أحقاب) : سبعمائة حَقْب ، كل حَقْب سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم كالف سنة ما تملون .

وقد قال مقاتل بن حَبَّان : إن هذه الآية منسوخة بقوله : (فلو عرفوا ظن يزيدكم إلا علها) . وقال خالد بن معدان : هذه الآية وقوله : (إلا ما شاء ربك) في أهل التوحيد . رواها ابن جرير (١) . ثم قال : ويحتمل أن يكون قوله : (لا يثن فيها أحقاب) متعلقاً بقوله : (لا يلحقون فيها برداً ولا شراباً) ، ثم يحدث الله لهم بعد ذلك حللاً ما من شكل آخر ونوع آخر . ثم قال : والصحيح أنها لا اقتضاء لها كما قال قتادة والربيع ابن أنس . وقد قال قيل ذلك :

حدثني محمد بن عبد الرحمن البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سامة ، عن زهر ، عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله : (لا يثن فيها أحقاب) ، قال : أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ، ولكن ذكروا أن الخُفّ سبعون سنة ، كل يوم منها كالف سنة ما تملون .

وقال سعيد ، عن قتادة : قال الله تعالى : (لا يثن فيها أحقاب) ، وهو : مالا انقطاع له ، وكلمة مقي حَقْب جاء حَقْب بعده ، وذكر لنا أن الخُفّ ثمانون سنة .

[وقال الربيع بن أنس : (لا يثن فيها أحقاب) : لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الخُفّ الواحد ثمانون سنة (٢)] والسنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم كالف سنة ما تملون . رواها أيضاً ابن جرير .

وقوله : (لا يلحقون فيها برداً ولا شراباً) ، أي : لا يجلدون في جهنم برداً لقلوبهم ، ولا شراباً يطيب بظفونهم . ولهذا قال : (إلا حمياً وضاعاً) . - قال أبو العالية : استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الفساق . وكذا قال الربيع ابن أنس .

فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحِمَمُه . والفساق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وحر قهقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطيع من يرده ولا يواجه من نته . وقد قلنا الكلام على الفساق في سورة (ص) بما أغنى عن إعادته (٣) أجابنا الله من ذلك ، عنه وكرمه .

(١) تفسير الطبري : ٩/٣٠ .

(٢) ما بين القوسين من الطبعات السابقة وإن كان في غير مكانه فيها ، وتفسير الطبري .

(٣) انظر تفسير الآية السابقة والخمسين من سورة (ص) : ٦٩/٧ .

قال ابن جرير : وقيل : المراد بقوله : (لا يلقون فيها رجا) ، يعني : التوم ، كما قال الكليني :

بَرَدَتْ مَرَافِئُهَا عَلَى فُصْدَيْ حَنَافِهَا وَعَنْ قَبِيلَاتِهَا ، الْبَرْدُ

يعني بالبرد : التماس والتوم (١) . هكذا ذكره ولم يعبّره إلى أحد . وقد رواه ابن أبي حاتم ، من طريق السلي ، عن مرة الطيب . ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاه الفيثري عن أبي عبيدة (٢) ، والكسائي أيضا .

وقوله : (جزاء وفاقا) ، أي : هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعلمهم القاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا . قاله مجاهد ، وقادة ، وغير واحد .

ثم قال : (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) ، أي : لم يكونوا يتقنون أن لهم دارا يجازون فيها وعاصيون ، (وتكلموا بأياتنا تكلميا) ، أي : وكانوا يكلمون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله ، فيقابلونهم بالتكلم والممانعة .

وقوله : (تكلموا) ، أي : تكلموا ، وهو مصدر من غير الفعل . قالوا : وقد سمع أمرأين يستغنى القترلة حل المروة : الحلق ' أحب إليك أو القصر ؟ وأنشد بعضهم (٣) :

لَمَعْدَ طَالٍ مَا تَبَطَّئِي عَنْ صَحَابَتِي وَهَنْ حَوِجٍ قَضَاؤَهَا مِنْ شَفَايَا

وقوله تعالى : (وكل شيء أحصيناه كتابا) ، أي : وقد حكمت أعمال العباد كلهم ، وكتبناها عليهم ، وسنجزهم على ذلك ، إن خير أو غير ، وإن شأ فشر .

وقوله : (فلو قوا فلن يزيدكم إلا حنابا) ، أي : يقال لأهل النار : فلو قوا ما أنتم فيه ، فلن تزيدكم إلا حنابا من جنسه (وأنتم من شكله أزواج (٤)) .

قال قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو قال : لم يزل على أهل النار آية أشد من هذه : (فلو قوا فلن تزيدكم إلا حنابا) . قال : لهم في مزيد من العذاب أبدا (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن محمد بن مصعب السُّوْرِي ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا جسر ابن قرقد ، عن الحسن قال : سألت أبا هريرة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - قرأ : (فلو قوا فلن تزيدكم إلا حنابا) ، فقال : « هلك القوم بما صيهم الله عز وجل » . جسر بن قرقد : ضعيف الحديث بالكلية .

(١) تفسير الطبري : ٩/٣٠ .

(٢) جاز القرآن لأبي حبيدة : ٢٨٢/٢ .

(٣) البيت للأصمدي يراء الكلابي ، انظر تصريف الأسماء للشيخ السخاوي : ٩٤ ، وقد أحال على تهذيب الأنساب ابن السكيت ، باب الخواص . وقد ذكر الفراء البيت في « معاني القرآن » ونسبها إلى يمشي بن كلاب ، انظر : ٢٢٩/٢ .

وانظر أيضا الطبري : ١١/٣٠ .

(٤) سورة ص ، آية : ٥٨ .

(٥) تفسير الطبري : ١٢/٣٠ .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَقَارًا ﴿٣٥﴾ حَدَابِقٍ وَأَعْنَابٍ ﴿٣٦﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابٍ ﴿٣٧﴾ وَكَأَسَافِدَةً ﴿٣٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كَذِبًا ﴿٣٩﴾ بَرَآءَ مِنْ رِبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ضرباً من السعداء وما أعد لهم من الكرامة والنعيم المقيم ، فقال : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَقَارًا) . قال ابن عباس ،
والضحاك : متراً . وقال مجاهد ، وقتادة : فازوا فنجوا من النار . والأظهر هاهنا قول ابن عباس ، لأنه قال بعده :
(حدائق) ، وهي البساتين من التخييل وغيرها (وأعناباً . وكواعب أتراباً) ، أي : وحوراً كواعب . قال ابن عباس
ومجاهد ، وغير واحد : (كواعب) ، أي : نواعد ، يعنون أن نُدِيَّهِنَّ [نواعد (١)] لم يتدلين لأنهن أبكار عرب
أتراب ، أي : في سن واحدة ، كما تقدم بيانه في «سورة الواقعة» (٢) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد (٣) الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثني أبي ، عن أبي سفيان عبد الرحمن
ابن عبد الله بن تميم (٤) ، حدثنا عطية بن سليمان أبو الفيث ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي ،
عن أبي أمامة : أنه سمعه يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنْ قُمْتُصَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِيُبْدُو مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ،
وَلِنْ السَّحَابَةِ لَنُرِيَهُمْ قَنَاقِمَهُمْ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، مَاذَا تَرِيدُونَ أَنْ أُعْطِيَكُمْ ؟ حَتَّى يُبَاهِيَ تَطْطَرُّمُ الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ » .

وقوله : (وكأسافدَةً) - قال ابن عباس : معلومة متتابعة . وقال عكرمة : صافية . وقال مجاهد ، والحسن ،
وقتادة ، وابن زيد : (حدائق) : للآلئ للزينة . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبهر : هي المتتابعة .

وقوله : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَلْبًا) كقولهم : (لَا تَلْعَبُوا وَلَا تَأْتِمُّوا) (٥) ، أي : ليس فيها كلام لاغ حار
عن الثالثة ، ولا لُغْم كلب ، بل هي دار السلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص .

وقوله : (جزاء من ربك عطاء حساباً) ، أي : هذا للذي ذكرناه جزاءهم الله به وأعطاهم به ، بفضلهم ومنه
وإحسانه ورحمته (عطاء) : حساباً ، أي : كافياً وانفراً شاملاً كثيراً ؛ تقول العرب : « أعطاني فلان حسبي » ، أي :
كفاني . ومنه « حسبي الله » ، أي : الله كافٍ .

(١) في المخطوطة : « ثمين كواعب » . وانتهت عن الطبقات السابقة .

(٢) انظر تفسير الآية السابقة والثلاثين من سورة الواقعة : ١١/٨ - ١٢ .

(٣) كلما في المخطوطة ، ويبدو أنه خطأ ، وأن صوابه : « أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي » وهو مترجم له في
البرج والتمثيل : ٩/١/١٠٩ . حل أن ابن أبي حاتم لم يذكر أنه روى عنه ، وإنما قال : « وسمعت أبي يقول : كتبت عنه »
وكان صدوقاً . فأما أبو أحمد هذا فهو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدمشقي » . وهو مترجم له في البرج : ٢٥٤/٢/٢ .

٢٥٥ .

(٤) في المخطوطة تحولت « تميم » إلى « تميم » وبقى فقط التاء والياء كما هو . ولم يجهده ، وفي التليخيص في ترجمة « عبد الرحمن بن
عبد الله بن سعد » أنه يروي عن أبيه سليمان قاضي نيسابور ، وهو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد ربه » .

(٥) سورة الطور ، آية : ٢٣ .

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَنَّا بِأَقْرَبٍ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَلَّبَتْ يَدَا وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

يُخبر تعالى عن عظمته وجلاله ، وأنه رب السموات والأرض وما فيها وما بينهما ، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء .

وقوله : (لا يملكون منه خطابا) ، أى : لا يقدر أحد على ابتلاء مخاطبه إلا بإذنه ، كقوله : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (١)) ، وكقوله : (يوم يلقى لا تكلم نفس إلا بإذنه (٢)) .
وقوله : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) : اختلف للمفسرين في المراد بالروح هاهنا ، ما هو ؟
على أقوال :

أحدها : رواء القوى ، من ابن عباس : أنهم أرواح بنى آدم .

الثاني : هم بنو آدم . قاله الحسن ، وقادة ، وقال قتادة : هلما لما كان ابن عباس يكتمه .

الثالث : أنهم عتق من عتق الله ، على صورة بنى آدم ، وليسوا بملائكة ولا بشر ، وهم يأكلون ويشربون .
قاله ابن عباس ، وعجاجة ، وأبو صالح والأعمش .

الرابع : هو جبريل . قاله الشعبي ، وسعيد بن جبير ، والضحاك . ويستشهد لهذا القول بقوله : (نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين (٣)) . وقال مقاتل بن حيان : الروح : أشرف للملائكة ، وأقرب إلى الرب — هو وجل — وصاحبه الوحي .

والخامس : أنه القرآن . قاله ابن زيد ، كقوله : (وكللك لأوحينا إليك روحا من أمرنا (٤)) ... الآية .

والسادس : أنه ملك من الملائكة يقدر جميع المخلوقات ، قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله (يوم يقوم الروح) ، قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقا .

وقال ابن جرير : حنفي بن محمد بن خلف الصقلاني ، حدثنا زكاد بن الجراح ، عن أبي حمزة ، عن الشعبي ، عن علقمة عن ابن مسعود قال : « الروح : في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم إلى عشر ألف تسبيحة ، عتق الله من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يحيى يوم القيامة صفا وحده (٥) » .
وهذا قول غريب جدا .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٠٥ .

(٣) سورة الشعراء ، آية : ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(٥) تفسير الطبري : ١٥/٣٠ .

وقد قال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله [بن] عرس المصري ، حدثنا وهب . [الله بن روق بن هبة ، حدثنا بشر بن بكر (١)] ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عطاء ، عن عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن لله ملكا لو قيل له : اتق السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة ، لفعل ، تسيحه : سبحانه حيث كنت » .

وهذا حديث قريب جداً ، وفي رقبته نظر ، وقد يكون موقفاً على ابن عباس ، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات ، والله أعلم .

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها ، والأشبه - والله أعلم - أنهم بنو آدم . وقوله : [لا من أذن له الرحمن] ، كقوله : [لا تكلم نفس إلا بإذنه (٢)] . وكما ثبت في الصحيح : « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل (٣) » .

وقوله : [وقال صواباً] ، أي : حقاً ، ومن الحق : « لا إله إلا الله » ، كما قاله أبو صالح ، وعكرمة . وقوله : [ذلك اليوم الحق] ، أي : الكائن لا محالة ، (فمن شاء انشد إلى ربه ماياً) ، أي : مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه ومنهجاً يمر به عليه .

وقوله : [إنا أنزلناكم هداهاً قريباً] ، يعني : يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً ، لأن كل ما هو آت آت . (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) ، أي : يعرض عليه جميع أعماله ، خيرها وشرها ، قديمها وحديثها ، كقوله : (ووجدوا ما عملوا حاضراً (٤)) ، وكقوله ، [ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخبر (٥)] .

(ويقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً) ، أي : يود الكافر يومئذ أنه كان في التراب الدنيا تراباً ، ولم يكن خلق ، ولا يخرج إلى الوجود . وذلك حين عاين عذاب الله ، ونظر إلى أعماله القاسية قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفيرة الكرام البررة . وقيل : إنا يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا ، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجوز ، حتى إنه يقتص لشاة الجساء من القرناء (٦) . فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني تراباً . فتصير تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر : (يا ليتني كنت تراباً) ، أي : كنت حيواناً فأرجع إلى التراب . وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور (٧) ، وورد فيه آثار من أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما .

[آخر تفسير سورة (هم)]

(١) ما بين القوسين من التعليقات السابقة ، ولم تقع لنا ترجمة « وهب هذا » ، فأما « بشر بن بكر » فهو التميمي ، مترجم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٥٢/١ .

(٢) سورة هود : آية : ١٠٥ .

(٣) تقدم الحديث عند آية هود المتقدمة ، وخرجناه هناك ، انظر : ٢٧٩/٤ .

(٤) سورة الكهف : آية : ٤٩ .

(٥) سورة القيامة : آية : ١٢ .

(٦) انظر : ٢٩٨/٢ ، ١٦٤/٥ ، ٣١١ .

(٧) تقدم حديث الصور عند تفسير الآية الثالثة والسبعين من سورة الأتعام . انظر : ٢٧٦/٣ - ٢٨٢ . وانظره أيضاً أول سورة الحج : ٣٨٤/٥ - ٣٨٥ .

تفسير سورة النازعات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ① وَالنَّشِيطَاتِ تَسْلُطًا ② وَالسُّجُوتِ سَبًّا ③ فَالْمُنْتَشِقَاتِ ④ فَالْمُدْبِرَاتِ ⑤ أَمْرًا ⑥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ⑧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ ⑨ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑩ يَقُولُونَ أَوْنَأَمَّرُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑪ أَوْذَا كُنَّا عِظَمًا خُمْرَةٌ ⑫ قَالُوا يَٰلَيْكَ إِذَا كُرَّةُ خَلِيدَةٍ ⑬ فَأَيُّهَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑭ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑮

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن جبیر ، وأبو صالح ، وأبو الصفي ، والسدي : (النازعات غرقا) : اللاتكة ، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فنهيم من تأخذ روحه بصفت فتغرق في نزعها ، ومن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حكته من نشاط (١) ، وهو قوله : (والنشاطات تسلطا) قاله ابن عباس .
وعن ابن عباس : (والنازعات) : هي أنفس الكفار ، تنزع ثم تشتط ، ثم تفرق في النار . رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد : (والنازعات غرقا) : للوث . وقال الحسن ، وقادة : (والنازعات غرقا . والنشاطات تسلطا) هي النجوم .

وقال عطية بن أبي رباح في قوله : (والنازعات) و (النشاطات) : هي القسي في القتال . والصحيح الأول ، وعليه الآخرون .

وأما قوله : (والساجعات سببا) فقال ابن مسعود : هي اللاتكة . وروى عن علي ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وأبي صالح مثل ذلك .

وعن مجاهد : (والساجعات سببا) : للوث . وقال قتادة : هي النجوم . وقال عطية بن أبي رباح : هي السفن ، وقوله : (فالساقطات سببا) - روى عن علي ، ومسروق ، ومجاهد ، وأبي صالح ، والحسن البصري ، يعني اللاتكة ، قال الحسن : سبقت إلى الإيمان والتصديق به . وعن مجاهد : للوث . وقال قتادة : هي النجوم . وقال عطية : هي الخيل في سبيل الله .

وقوله : (فالمدبرات أمرا) ، قال علي ، ومجاهد ، وعطاء ، وأبو صالح ، والحسن ، وقادة ، والربيع بن أنس ، والسدي : هي اللاتكة - زاد الحسن : تدبر الأمر من السماء إلى الأرض . يعني بأمر ربها عز وجل . ولم يخطئوا في هذا ، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك ، إلا أنه حكى في (المدبرات أمرا) أنها اللاتكة ، ولا أثبت ولا نفي .

وقوله : (يوم ترجف الراجفة : تنبها الرادقة) - قال ابن عباس : هما التضخنان الأولى والثانية . وهكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقادة ، والضحك ، وغير واحد .

ومن مجاهد : أما الأولى - وهي قوله - : (يوم ترجف الراجفة) ، فكتوله جلّت عظمته : (يوم ترجف الأرض والجبال) ، والثانية - وهي الرادقة - فهي كتوله : (وحُمِلَت الأرض والجبالُ فُكَّتَا دَكَّةً واحدةً (١)) .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن حقل ، عن الطليل بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « جاءت الراجفة ، تنبها الرادقة ، جاء الموت بما فيه » ، فقال رجل : يا رسول الله ، أرايت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال : « إذا بكفك الله ما أمرك من دنياك وآخرتك (٢) » .

وقد رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث سفيان الثوري ، بإسناده مثله ، ونقط الترمذي وابن أبي حاتم : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « يا أيها الناس ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تنبها الرادقة ، جاء الموت بما فيه (٣) » .

وقوله : (قلوب يومئذ واجفة) - قال ابن عباس : يعني خالفة . وكلنا قال مجاهد ، وقادة ، (أبصارها خالصة) ، أي : أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها ، للملازمة . أي : ذليلة حقيرة ، مما عاينت من الأحوال .

وقوله : (يقولون : أئنا لمرحودون في الحافرة) ؟ يعني مشركي قريش ومن قال يقول في إنكار الماد ، يستعملون وقروح البعث بعد المصير إلى الحافرة وهي القبور ، قاله مجاهد . وبعد تمزق أجسادهم ونفثت عظامهم ونحوها ، ولهذا قالوا : (أئنا كنا عظاما نخرة ؟) وقرئ : ناخرة (٤) .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقادة : أي بالية - قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلى ودَحَسَت الريح فيه . قالوا : تلك إذا كرة خاسرة) .

وعن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك ، والسدي ، وقادة : الحافرة الحياة بعد الموت . وقال ابن زيد : الحافرة : النار . وما أكثر أمياعها ! هي النار ، والجحيم ، وسقر ، وجنهم ، والمأوىة ، والحافرة ، ولقي ، والمخسمة .

ولما قولهم : (تلك إذا كرة خاسرة) ، فقال محمد بن كعب : قالت قريش : لئن أحيانا ألقه بعد أن نموت لننصرن .

(١) تفسير الطبري : ٢١/٣٠ . وقد اضطرب الأثر في مخطوطة الأزهر ، فعدل أثر ابن عباس المتضمن في هذا الأثر ، وهذا أثبت من البيانات السابقة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٣٦/٥ .

(٣) تحفة الأحراف ، أبواب صفة القبيلة ، الحديث ٢٥٧٤ : ١٥٢/٧ - ١٥٤ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

وتفسير الطبري : ٢١/٣٠ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٢٣/٣٠ .

قال الله تعالى : (فَإِذَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) ، أى : فَإِذَا هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا مَشْوَرَةَ فِيهِ وَلَا تَأْكِيدَ ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وهو أن يأمر تعالى إسرائيلَ فَيَنْفُخَ فِي الصُّورِ فَتُخَفَّضُ الْبَيْتُ ، فَاذَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيْ الرَّبِّ - عز وجل - يَنْظُرُونَ ، كما قال : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَعْمَلِكُمْ ، وَتَشْهَدُونَ إِنَّ لَكُمْ إِلَهًا قَلِيلًا (١)) : وقال تعالى : (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٢)) . وقال تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ (٣)) قال مجاهد : (فَإِذَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) : صيحة واحدة .

وقال إبراهيم التيمي : أشد ما يكون الرب غَضَبًا على خلقه يوم يبعثهم .

وقال الحسن البصري : زَجْرَةٌ من الغضب . وقال أبو مالك ، والريح بن أنس : زَجْرَةٌ واحدة : هي الضمة الأخيرة .

وقوله : (فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) - قال ابن عباس : (الساهرة) الأرض كلها . وكلما قال سيد بن جبَر ، وقادة ، وأبو صالح .

وقال صكرمة ، والحسن ، والضحك ، وابن زيد : (الساهرة) وجه الأرض .

وقال عباد : كانوا يأسفلها فأخرجوا إلى أهلها - قال : و (الساهرة) : للكان للسوى (٤) .

وقال الثوري : (الساهرة) أرض الشام ، وقال عثمان بن أبي العاتكة : (الساهرة) : أرض بيت المقدس . وقال وهب ابن منبته : (الساهرة) : جبل إلى جانب بيت المقدس . وقال قتادة أيضا : (الساهرة) : جهنم . وحده أن قال كلها غريبة ، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا حَزْرَ (٥) بن المبارك الشيخ الصالح ، حدثنا بشر بن السري ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : (لَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) ، قال : أرض يضاء غراء كالتُيْرَةِ النَّكْبِي .

وقال الريح بن أنس : (فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) ، يقول الله عز وجل : (يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) . ويقول : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ : يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) . وقال : (وَيَوْمَ نَسِفُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) : وبرزت الأرض إلى عليها الجبال ، وهي لا تعد من هذه الأرض ، وهي أرض لم يعمل عليها خلقية ، ولم يهترأ عليها دم .

(١) سورة الإسراء ، آية : ٥٢ .

(٢) سورة القمر ، آية : ٥٠ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٧٧ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٤/٣٠ .

(٥) في المخطوطة : سرره دون تقم . وفي الجرح والتعديل لا يبي أن ساهم : ٤٠١/٢ : عزوه بزاعم . والتبليغ من المشي الطبري : ٢٢٥/١ .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَمْعَدِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ أَتَرَوْهُ مُطْعِنًا ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرَكَّنِي ﴿١٨﴾ وَأَهْلِيكَ إِيَّايَ رَبَّكَ فَتَنَحَّيْ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾

نَجبر تعالى رسوله عمداً - صلى الله عليه وسلم - عن عباده ورسوله موسى - عليه السلام - أنه انتبه إلى فرعون ، وأبده بالعجزات ، ومع هذا استمر على كفره وطمانيه ، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر . وكذلك عاقبة من خالفك وكتب ما جئت به ، ولهذا قال في آخر القصة : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) .

ف قوله : (هل أتاك حديث موسى) ؟ أي : هل سمعت خبره ؟ (إذ ناداه ربه) ، أي : كلمة نداء ، (بالواد المقدس) ، أي : الطهر (طوى) ، وهو اسم الوادي على الصحيح ، كما تقدم في سورة (طه (١) . قال له : (اذهب إلى فرعون إنه طغى) ، أي : نجبر ونغرد وعتا ، (قل : هل لك إلى أن تزكى) ؟ أي : قل له : هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به ، أي : تسلم وتطيع . (وأهلك إلى ربك) ، أي : أدلك إلى عبادة ربك ، (فتخشى) ، أي : فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير . (فأراه الآية الكبرى) ، يعني : فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاءه به من عند الله ، (فكذب وعصى) ، أي : فكذب بالحق وخالف ما أمر به من الطاعة . وحاصله أنه كثر قلبه فلم يفتل لموسى بباطله ولا بظواهره ، وعلمه بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ، لأن للمعرفة علم القلب ، والإيمان عمله ، وهو الانقياد للحق والخضوع له ، وفعله : (ثم أذبر سعيه) ، أي : في مقابلة الحق بالباطل ، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى - عليه السلام - من المعجزة الباهرة ، (فحشر فنادى) ، أي : في قومه (فقال : أنا ربكم الأعلى) .

قال ابن عباس ، وعجابه : وهذه الكلمة فلما فرعون بعد قوله (ما علمت لكم من إله غيري) ، بأربعين سنة (٢) ، قال الله تعالى : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ، أي : انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة ، ينس الرغد للرفود (٣)) ، كما قال تعالى : (وجعلناهم أئمة يذكرون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون (٤)) . هنا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله : (نكال الآخرة والأولى) ، أي : الدنيا والآخرة . وتل : للراد بذلك كلماته الأولى والثانية . وتل : كفره وعصيانه . والصحيح الذي لا شك فيه الأول . وقوله : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) ، أي : لمن يستدل ويتحجر .

(١) انظر ٢٧١/٥ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة هود ، آية : ٦٩ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٤٦ .

«أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ^١ بَنَاهَا^٢ رَفَعَ سَمَكَهَا قَسَوْنَهَا^٣ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ نُجُومَهَا^٤ وَالْأَرْضُ^٥ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا^٦ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَنَمَرَهَا^٧ وَأَبْجَالَ أَرْسَهَا^٨ مُمْتِنًا لَكَرٍ وَلَا تَعْمِكُ^٩»

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بده : (أَأَنْتُمْ أَلْبَا النَّاسِ (أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ) ؟ يَنْبَى بِلَا السَّمَاءِ أَشَدُّ خَلْقًا مِنْكُمْ ، كما قال تعالى : (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ (١) . وقال : (أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقَادِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، بَلَى ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٢) . قوله : (بَنَاهَا) فسرهُ بقوله : (رَفَعَ سَمَكَهَا فَوْصَاهَا) ، أى : جعلها عالية البناء ، بعيدة الفتاء ، مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب في الليلة الظلمة .

وقوله : (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صَحَاها) ، أى : جبل ليلها مظلمًا أسود حالكا ، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيرا واضحا .

قال ابن عباس : أغطش ليلها : أظلمه . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبیر ، وجداة كثيرون ، (وأخرج ضحاهما) ، أى : أثار نهارها .

وقوله : (والأرض بعد ذلك دحاهما) ، فسرهُ بقوله : (أخرج منها مائها ومرعاهما) : وقد ظلم في سورة «حم السجدة (٢)» أن الأرض خلقت قبل السماء ، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل . وهذا معنى قول ابن عباس ، وغير واحد ، واختره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، حدثنا حيد الله - يعنى ابن عمرو - عن زيد ابن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : (دحاهما) : ودَحَّيْهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا لِلْمَاءِ وَالرَّعَى ، وَخَفَقَ الْأَنْهَارَ ، وَجَبَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالرَّمَالَ وَالْقَبِيلَ وَالْأَكَامَ ، فَلَمَّا قَوْلُهُ : (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) . وقد تقدم تقرير ذلك هناك .

وقوله : (والجبال أرساها) ، أى : قررهما وأثبتهما وأكسها في أماكنها ، وهو الحكيم العليم . الرموف يخلقه الرحيم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن سليمان بن أبي سليمان ، عن أنس بن مالك ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «لَا خَلْقَ لِلْأَرْضِ حَتَّى تَجِدَ ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا ، فَاسْتَقَرَّتْ ، فَصَبَّغَتْ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ : يَا رَبِّ ، فَمَهْلُ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الْحَدِيدُ ، قَالَتْ : يَا رَبِّ ، فَمَهْلُ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، النَّارُ . قَالَتْ : يَا رَبِّ ، فَمَهْلُ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ

(١) سورة طه ، آية ٥٧ .

(٢) سورة يس ، آية ٨١ .

(٣) انظر تفسير الآية التاسعة من سورة فصلت : ١٥٥/٧ .

لشد من النار ؟ قال : نعم ، الله : قالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء لشد من الله ؟ قال : نعم ، الريح . قالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء لشد من الريح ؟ قال : نعم ، ابن آدم ، يتصلق يمينه بخفيها من شماله (١) .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا يونس بن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن رجل قال : لا خلق الله الأرض [قمصت (٢)] وقالت : تخلق علكي آدم وذريته ، يلقون على نبتهم ويعملون علكي بالخطايا . فأرساه الله بالجبال ، فنها ما ترون ، ومنها ما لا ترون ، وكان أول قترار الأرض كلم الجوزور إذا تحبر ، يخرج لحمه ، غريب (٣) .

وقوله : (منها لكم ولعالمكم) ، أي : هذا الأرض فأنعم حيوتها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبث زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها ، كل ذلك متاعاً خلقه ولما يحتاجون إليه من الآكام التي ياكلونها ويركبوها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد ، ويتبقى الأجل .

فَإِذَا جَاءَتْ سَاعَةُ الْكِبَرِ ﴿١٥٠﴾ يَوْمَ تَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿١٥١﴾ وَرَزَتْ الْجَحِيمَ لَمَّا يَرَى ﴿١٥٢﴾ فَاتَّخِذْ مَنَاسِكَ ۖ وَاتَّقِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٥٣﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَىٰ النَّفْسَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٥٤﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٥٥﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۚ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۚ إِنَّكَ بِرَبِّكَ مُنْهَكٌ ۖ فَأَمَّا أَنْتَ فَتَنُذِرُ مَنْ يُحْشِنُهَا ﴿١٥٦﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَ بِهَا لَبِيقًا ۖ وَإِلَّا عِيشَةً أَوْفَحْنَاهَا ﴿١٥٧﴾

يقول تعالى : (فإذا جاءت الساعة الكبرى) ، وهو يوم القيامة . قاله ابن عباس ، سميت بذلك لأنها تعلم على كل أمر هائل مطلق ، كما قال تعالى : (والساعة أدهى وأمر (٤)) .

(يوم يذکر الإنسان ماسی) ، أي : حيث يذکر ابن آدم جميع [عمله] غيره وشره ، كما قال : (يومئذ يذکر الإنسان وأنى له الذکرى (٥)) .

(وبرزت الجحيم لمن يرى) ، أي : أظهرت المتأخرين فرأها الناس حياتا . (فأما من طغى) ، أي : تسمد وعتا ، (وأتر الحياة الدنيا) ، أي : قلنها على أمر دينه وأمره ، (فإن الجحيم هي المأوى) ، أي : فإن مصيره إلى الجحيم ، وإن ملعه من الزقوم ومشره من الجحيم . (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الموى) ، أي : خاف القيام

(١) منه الإمام أحمد : ١٢٤/٣ . وقد أخرجه الترمذي عن محمد بن بشار ، عن يزيد ، بإسناده مطه . وقال : « هذا حديث غريب ، لا يخرجه مرفوعاً إلا من هذا الوجه » . انظر تحفة الأحرار ، تفسير الموفيقين : ٣٠٧/٩ - ٣٠٨ .

(٢) أي : اضطربت .

(٣) تفسير الطبري : ٣٠/٢٠ . وقد تقدم عن الإمام ط من طريق أخرى نحوه ، عنه تفسير الآية الخامسة عشرة من سورة

التحل : ٤٨١/٤ - ٤٨٢ .

(٤) سورة القدر : آية : ٤٦ .

(٥) سورة النجم : آية : ٢٢ .

بن يلى الله - عز وجل - حكم الله فيه ، ونهى نفسه عن هولاء ، وردّها إلى طاعة مولاه ، (فإن الجنة هي المأوى)
أى : مقبله ومصيره ومرجه إلى الجنة القيّمة .

ثم قال تعالى : (يستولنك عن الساعة أبان مرساها . ثم أتت من ذكرها . إلى ربك متهاها) ، أى : ليس علمها
إليك ولا إلى أحد من الخلق ، بل مرّدها ومرّجها إلى الله عز وجل ، فهو الذى يعلم وقتها على التبيين ، (شككت
فى السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بشفة ، يستولنك كأنك حكى عنها ، قل : إنما علمها عند الله (١)) . وقال هاهنا
(إلى ربك متهاها) . ولما سأل جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن وقت الساعة قال : « ما للسؤل
عنها بأعلم من السائل (٢) » .

وقوله : (إنما أنت من عشاها) ، أى : إنما يهلك لتلذذ الناس وتملأهم من بأس الله وعلمه ، فمن عشى الله
وخاف مقامه ووعيده ، أهلك فأظلم وألجم ، والنية والتسلل على من كليلك وعقلك

وقوله : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) ، أى : إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستصرون مدة
الحياة الدنيا ، حتى كأنها عنهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم .

قال جوير ، عن الضمك ، عن ابن عباس : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) ، أما حسيب لما بين
الظهر إلى غروب الشمس ، (أو ضحاها) ، ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار .
وقال قتادة : وقت الدنيا فى أمين القوم حين طابت الآخرة (٣) .

[آخر تفسير سورة النازعات]

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٨٧ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير آية الأعراف ، للثقة ، وعرجته هناك ، أنظر : ٥٢٢/٣ - ٥٢٣ .

(٣) تفسير الطبرى : ٣٢/٤٠ .

تفسير سورة عبس وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَيِّجُ ③ أَوَيْدُكَ فَتَفْتَحَهُ الذَّرَى ④ أَمَّا مَنْ
إِسْتَفْتَى ⑤ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّيَّجُ ⑦ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ وَهُوَ يَخْفَى ⑨
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ⑩ كَلَّا إِنَّهَا بَدْرَةٌ ⑪ لَقَدْ سَاءَ ذِكْرًا ⑫ فِي حُجُوفِ مَكْرَمَةٍ ⑬ مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ ⑭
يَأْتِي سَفَرَةٌ ⑮ كِرَامٌ بَحْرَةٌ ⑯

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوماً مخاطباً بعض حطّاء قريش ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما هو مخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم - وكان عن أسلم قديماً - فبطل بسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن شيء وبلغ عليه ، وودّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لو كف ساعته تلك لينمكّن من مخاطبة ذلك الرجل ، طمعاً وروحية في حديثه . وعبّس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه ، وأقبل على الآخر ، فأقول الله عز وجل : (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى) ؟ أي : يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ، (أو يذكر فضله الذكري) ، أي : يحصل له إعطاء وإزجار عن الخيام ، (أما من استفتى فأنت له تصدى) ، أي : أما الغني فأنت تعرض له لعله يهتدى ، (وما عليك ألا يزكى) ؟ أي : ما أنت عطال به إذا لم يحصل له زكاة . (وأما من جاءك يسعى وهو يخفى) ، أي : بقصدك ويومئ لك ليهتدى بما تقول له ، (فأنت عنه تلهي) ، أي : تشاغل . ومن هاهنا أمر الله - عز وجل - رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف ، والفقير والغني ، والسادة والسيّد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار . ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وله الحكمة [البالغة] والحجة [الساكنة] .

قال الحافظ أبو بلي في مسنده : حدثنا محمد - هو ابن مهدي - حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة عن أنس في قوله : (عبس وتولى) ، جاء ابن أم مكتوم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم أبي بن خلف ، فأعرض عنه ، فأقول الله : (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى) ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك يكرمه .

قال قتادة : وأخبرني أنس بن مالك قال : رأيته يوم القنادسية وعليه درع ومعه راية سوداء - يعني ابن أم مكتوم (١) .

وقال أبو يعلى وابن جرير : حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، حدثني أبي ، عن هشام بن حروة [عما عرضه (١)] عليه عن عروة ، عن عائشة قالت : أنزلت : (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجعل يقول : أرشدني - قالت : وعند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عطاءه للمشركين - قالت : فاجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول : « أتري بما أقول بأسا ؟ » . فيقول : لا . في هذا أنزلت : (عبس وتولى) (٢) .

وقد روى الترمذى هذا الحديث ، عن سعيد بن يحيى الأموى ، بإسناده ، مثله ، ثم قال : « وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم ، ولم يذكر فيه عن عائشة (٣) » . قلت : كلاك هو في الواقع (٤) .

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفى ، عن ابن عباس قوله : (عبس وتولى أن جهاه الأعمى) ، قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتأذى عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب - وكان يتصدى لهم كثيرا ، ويعرض عليهم أن يؤمنوا - فأقبل إليه رجل أعمى - فقال له عبد الله بن أم مكتوم - عشى وهو يتأذى بهم ، فاجعل عبد الله يستقرئ النبي - صلى الله عليه وسلم - آية من القرآن ، وقال : يا رسول الله ، علمني مما علمك الله - فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعبس في وجهه ، وتولى وكثره كلماته ، وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجاهه وأخذ ينقلب إلى أهله ، أسلك الله بعض بصره ، ثم تخفى (٥) برأيه ، ثم أنزل الله : (عبس وتولى . أن جهاه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى : أو يذكر فتنته للذكرى) . فلما نزل فيه ما نزل - أكرمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلمه وقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ وإذا ذهب من عندك قال : هل لك حاجة في شيء ؟ » . وذلك لما أنزل الله تعالى : (أما من استغنى . فإنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى (٥) ١٩) .

فيه غرابة ونكارة ، وقد تكلم في إسناده .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن بلالا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أنان ابن أم مكتوم : وهو الأعمى الذى أنزل الله فيه : (عبس وتولى . أن جهاه الأعمى) ، وكان يؤذن مع بلال قال سالم : وكان رجلا ضريرا البصر ، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس - حين ينظرون إلى بزوغ النجم - أذن .

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، ومكانه يبان في المخطوطة .

(٢) تفسير الطبري : ٣٢/٢٠ .

(٣) تحفة الأحقضى ، تفسير سورة عبس ، الحديث ٣٣٨٧ : ١٩/٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) انظر تفسير الحواشي : ١٦٠/١ - ١٦١ .

(٥) أي : سقطت عنه كل صفة .

(٦) تفسير الطبري : ٣٢/٢٠ - ٢٣/١ .

وهكلا ذكر حروة بن الزبير ، وجاهد ، وأبو مالك ، وقادة ، والقضاحك ، وابن زيد ، وغير واحد من السلف والخلق : أنها نزلت في ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله ، ويقال : عمرو (١) . والله أعلم وقوله : (كلا إنها تذكرة) ، أى : هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إيلاح العلم من شريعتهم ووضيعتهم .

وقال قتادة والسدي : (كلا إنها تذكرة) ، بنى القرآن . (فن شاء ذكره) ، أى : فن شاء ذكر الله في جميع أموره . ويحتمل حود الضمير على الوحي ، لدلالة الكلام عليه .

وقوله : (في صحت مكربة . مرفوعة مطهرة) ، أى : هذه السورة أو الحلة ، وكلاهما متلازم ، بل جميع القرآن (في صحت مكربة) ، أى : معظمة موقرة . (مرفوعة) ، أى : عالية القدر ، (مطهرة) ، أى : من الدس والزيادة والقص .

وقوله : (يأبى سفره) . قال ابن عباس ، وجاهد ، والقضاحك ، وابن زيد : هي الملائكة .

وقال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وقال قتادة : هم القراء . وقال ابن جريج ، عن ابن عباس : السفرة بالتيبة : القراء .

وقال ابن جرير : الصحيح أن السفرة للملائكة ، والسفرة بنى بن الله وبين خلقه ، ومنه يقال : السفير : الذى يسمى بين الناس في الصلح والخير ، كما قال الشاعر :

وَمَا أَدْعُ السَّفَرَةَ بَيْنَ قَوِي وَمَا أَمْشَى بَغْشَ إِنْ مَشَيْتُ (٢)

وقال البخارى : « مسفرة : للملائكة (٣) . سكرت : أصلحت بينهم . وجعلت للملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأييده كالسفير الذى يصلح بين القوم (٤) .

وقوله : (كرام بررة) ، أى : خلقتهم كريم حسن شريف ، وأخلقتهم بأمر طاهرة كاملة . ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في لسانه وأخذه على السداد والرشاد .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن زكرية بن أوفى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الذى يقرأ القرآن - وهو ما هو به - مع السفرة الكرام البررة ، وللى يقرؤه - وهو عليه شاق - له أجران (٥) » .
أنسجه الجماعة من طريق قتادة ، به (٦) .

(١) انظر أسد الغابة ، ترجمة عبد الله بن زائدة بن الأصم : ٢٣٨/٣ . وترجمة عمرو بن زائدة بن الأصم : ٢٢٢/٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٣٥/٣٠ . ومعاني القرآن للقراء : ٢٣٦/٣ . والبحر المحيط : ٤٢٥/٨ .

(٣) بفتح نى الصحيح : « ولهم سفر » .

(٤) في الخطوط : « بين الناس » . والقيت عن الصحيح ، انظر البخارى ، تفسير سورة (هجر) : ٢٠٦/٦ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٨/٦ . وانظر أيضاً : ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٩٢ ، ٢٣٩ ، ٢٦٦ .

(٦) البخارى ، تفسير سورة (هجر) : ٢٠٦/٦ . وسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الماهر بالقرآن ، الذى يجمع ١٥ ٪ ، وسنن أبى داود ، كتاب الوتر ، باب « فى ثواب قراءة القرآن » . ونخبة الأسنى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جازى فضل قارئه القرآن » ، الحديث ٣٠٦٨ : ٢١٥/٨ - ٢١٦ . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . وابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « ثواب القرآن » ، الحديث ٣٧٧٩ : ١٢٤٢/٢ .

قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُوا ﴿١﴾ مِنْ أَيْ شَىْءٍ خَلَقَهُ ﴿٢﴾ مِنْ نَفْثَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرُوا ﴿٣﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُوا ﴿٤﴾ ثُمَّ أَنَا هُمْ فَأَقِيرُوا ﴿٥﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنسَرُوا ﴿٦﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوا ﴿٧﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَهَهُ طَعَامِهِ ﴿٨﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٩﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٠﴾ فَأَنْبَتْنَا فَايَاجًا ﴿١١﴾ وَرَعَيْنَا غَفًّا ﴿١٢﴾ وَبَسَبْنَا سَعًا ﴿١٣﴾ وَنَحْنُ أَكْبَرُ ﴿١٤﴾ وَعَدَدًا فِي غَلَبَةٍ ﴿١٥﴾ وَفَكَفَّهُ وَأَبَا ﴿١٦﴾ مَتَاعًا لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهِ نَعِيمًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم : (قل الإنسان ما أكفره) . قال الضحاك ، عن ابن عباس : (قل الإنسان) : لعن الإنسان . وكلما قال أبو مالك . وهذا لجنس الإنسان للكلب ؛ لكثرة تكليبه بلا مستند ، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم .

قال ابن جرير (١) : (ما أكفره) : ما أشد كفره ! وقال ابن جرير : ويحصل أن يكون المراد أئمة بني أمية كافرأ ؟ أى : ما حصل على التكلب بالمعاد .

وقال قتادة - وقد حكاه الخواري من مقاتل والكلبي - : (ما أكفره) ما ألهه ؛

ثم بين تعالى له كيف عكفك الله من الشيء المحقر ، وأنه قادر على إحادته كما بدأه ، فقال : (من أئمة بني أمية خلقه ؟ من نطفة خلقه قدره) ، أى : قلر أجله ووزنه وعمله وحق أو سعيه . (ثم السبيل يسره) - قال العوفي ، عن ابن عباس : ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه . وكلما قال عكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وقاتدة ، والسدي ، وإخبره ابن جرير (٢) .

وقال مجاهد : هذه كقولهم : (إنا هديناك السبيل : إما شاكرًا وإما كفورًا) . أى : بينا له ووضحناه وسهلناه عليه علمه ، وهكذا قال الحسن ، وابن زيد . وهذا هو الأرجح ، والله أعلم .

وقوله : (ثم أماته فأقبره) ، أى : إنه بعد خلقه له (أماته فأقبره) ، أى : جعله (٣) ذاقبر . والغرب تقول :

(١) كما في مخطوطة الأثر . وفي الطبقات السابقة : وابن جرير . ولعل الصواب ما في المخطوطة ، فقد قال ابن جرير الطبري ٣٥٠/٣٠ : وفي قوله (أكفره) وجهان ، أحدهما : التصب من كفره مع إحسان الله إليه وأبديته منه . والآخر : ما قاله أكفره ، أى : أى شيء أكفره ؟ . والوجه الأول يعني ما ذكره ابن كثير أولا ، وما أشد كفره . فذكر مراد الطبري من التصب . والوجه الثاني استفهام .

(٢) تفسير الطبري : ٣٦٠/٣٠ .

(٣) كل ذلك ذكره القراء في معاني القرآن ٣٣٧/٣ ، وأخذه عنه الطبري : ٣٦٠/٣٠ . وهذا المعنى الذي تقيده الحمزة يسميه علماء الصرف : التصريف ، يقول الأستاذ محمد عبد المالح ضحية في كتابه « المعنى في تصريف الأفعال » ٨٢ : « تقيده الحمزة أنك جعلت ما كان مقبولا مرفعا لأن يقع عليه الحدث ، سواء صار مقبولا أم لا ، نحو أقتله : أى مرسته لأن يكون مقبولا ، قتل أولا . وأبست القديس أى : مرسته ليحب ، وأسقيته ، أى : جعلت له ملة ومقيا ، شربه أولم يشرب ، وأقبرته جعلت له قبرًا ، قبر أولا ، وقبره دفنته . وأخفيته : مرسته لشفاه . وانظر كتاب سيبويه ٢٣٠/٢ . والشاذية القرني : »

«قُبِرَتِ الرَّجُلُ» : إِذَا وَلَّى ذَلِكَ مَنَّهُ ، وَأَقْبَرَهُ اللَّهُ . «وَعَصَبَتِ قَرْنَ الثَّوْرِ» : وَأَعْصَبَهُ اللَّهُ ، وَبَثَرَتْ ذَنْبَ الْبَهِيمِ وَأَبْرَهُ اللَّهُ ، وَطَرَدَتْ حَتَّى فَلَاحًا ، وَأَطْرَدَهُ اللَّهُ . أَيْ : نَجَلَهُ طَرِيدًا ، قَالَ الْأَعْمَشِيُّ (١) :

لَوْ اسْتَدْنَتَ مَيْتًا إِلَى تَحْرَمِهَا (٢) عَاشَ ، وَلَمْ يُشْكَلْ إِلَى قَبْرِ

وَقَوْلُهُ : (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) ، أَيْ : بَعَثَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَمَنْ يَقَالُ : الْبَعَثُ وَالنَّشُورُ ، (وَمِنْ آيَاتِهِ : أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِبَشَرٍ تَنْتَشِرُونَ (٣)) ، (وَانْظُرْ إِلَى الْعَظَامِ كَيْفَ نُنْشَرُهَا (٤) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا (٥)) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو بَرٍّ الْقُرَظِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ : أَنَّ حُرَاجًا أَبَا السَّمْحِ أَخْبَرَهُ ، عَنْ أَبِي الْخَيْثَمِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ لُثَيْبٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ » . قِيلَ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ بَشَائِشِ » .

وَهَذَا الْخَبَرُ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، بِدُونِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ ، وَلَفْظُهُ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَلِي إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ » ، مِمَّنْ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ (٦) .

وَقَوْلُهُ : (كَلَّا ، لَسَأَ يَقْضِي مَا أَمَرَهُ) - قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : يَقُولُ : كَلَّا ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ آدَى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، (لَا يَقْضِي مَا أَمَرَهُ) ، يَقُولُ : لَمْ يَوْفُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ لِرَبِّهِ حَزَّ وَجَلَّ (٧) .

ثُمَّ رَوَى هُوَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي تَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ : (كَلَّا ، لَا يَقْضِي مَا أَمَرَهُ) ، قَالَ : لَا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا كُلَّ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ . وَحُكَاةُ الْبُغْيِ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، بِنَحْوِ مِنْ هَذَا . وَلَمْ أَجِدْ لِمُتَضَمِّنِي فِيهِ كَلِمَةً سِوَى هَذَا . وَالَّذِي يَمُتُّ لِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّ لِلْمَعْنَى : (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) ، أَيْ : بَعَثَ ، (كَلَّا لَا يَقْضِي مَا أَمَرَهُ) : لَا يَفْعَلُهُ الْآنَ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ ، وَيُفْرَغَ الْقَدَرُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ كُتُبِ تَعَالَى لَهُ [أَنْ] سَيُوجَدُ مِنْهُمْ ، وَيُخْرَجَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ تَعَالَى كَوْنًا وَقَدَرًا ، فَلِذَا نَتَاهَى ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَأَعَادَهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُسَبِّحٍ قَالَ : قَالَ هُرَيْرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ الْمَلَكُ الَّذِي جِئْتَنِي : فَإِنَّ الْقُبُورَ هِيَ بَعْنُ الْأَرْضِ ، وَإِنَّ الْأَرْضَ هِيَ أُمُّ الْخَلْقِ ، فَلِذَا خَلَقَ اللَّهُ مَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ ، وَنَعَتْ هَذِهِ الْقُبُورَ إِلَى مَدَدِ اللَّهِ هَا ،

(١) دِيوَالَةُ ، ط. بِيْرُوت : ٩٣ ، مِنْ قِصَّةِ بَعِيْرٍ جَاءَ عَاقِمَةً بَيْنَ حَلَاةٍ ، وَبَدَعَ عَاسِرَ بَيْنَ الطَّلِيلِ .

(٢) فِي الْمَثَلِ : «إِلَ عَدْرَهَا» . وَفِي التَّحْمِيلَاتِ السَّابِقَةِ : «إِلَ صَدْرَهَا» . وَالْمَثَلُ عَنْ دِيْوَانَ الْأَعْمَشِيِّ ، وَتَقْسِيمِ الْعَبْدِيِّ : ٣٦/٣٠ .

(٣) سُورَةُ الْرُومِ ، آيَةٌ : ٤٠ .

(٤) هِيَ قِرَاءَةٌ لَهُ عَلَيْهِ ابْنُ كَبِيرٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ٤٦٥/١ . وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي الْحَبَّةِ : ٧٦ : «يَقْرَأُ بِالرَّاءِ وَالزَّايِ» .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ : ٢٥٩ .

(٦) الْبُخَارِيُّ ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الزَّمَرِ : ١٥٨/٦ . وَمُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْقَدَرِ ، بِحَبِّ «مَا بَيْنَ التَّنْخِيخِ» : ٢١٠/٨ . وَانْظُرْ تَفْصِيلَ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ حَتْرَةً مِنْ «سُورَةِ الزَّمَرِ» : ٤٦١/٥ .

(٧) تَفْسِيرُ الْعَبْدِيِّ : ٣٦/٣٠ .

انقطعت الدنيا ومات من عليها ، وتفتت الأرض ماؤ. جوفها ، وأخرجت التبرؤ ما فيها ، وهذا شيء بما قلناه من معنى الآية ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم بالصواب .

وقال : (فلينظر الإنسان إلى طعامه) : فيه [امتنان وفيه] استدلال بإحياء النبات من الأرض الماملة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا : (أنا صينا لئله صبا) ، أى : أنزلناه من السماء على الأرض ، (ثم شققنا الأرض شقا) ، أى : أكنناه فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزائه الحب المودع فيها ، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ، (فأنبتنا فيها حبا . وعنباً وقضياً) ، فالحب : كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو : القصفعة التى تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها : القتب أيضا . قال ذلك ابن عباس ، وقادة ، والضحك ، والسدى .

وقال الحسن البصرى : القضب : العلف .

(وزيتونا) ، وهو معروف ، وهو آدم وعصيره آدم ، ويستصبح به ، ويلبسه به . (ونخلًا) ، يؤكل بلحا [بسرا] ورطباً ، ونخراً ، ونيتاً ، ومطبوخاً ، ويحصر منه رُبّ ونخل . (وحدائق غلبا) : أى سابين . قال الحسن ، وقادة : (غلبا) : نخل خلاط كرام . وقال ابن عباس ، ومجاهد : (الحدائق) : كل ما التفت واجتمع . وقال ابن عباس أيضا : (غلبا) : الشجر الذى يستظل به . وقال على بن أبى طهسة ، عن ابن عباس : (وحدائق غلبا) ، أى : طوال (١) . وقال عكرمة : (غلبا) ، أى : خلاط الأوساط . وفى رواية : خلاط الرقاب ، ثم لم يزل الرجل إذا كان غليظ الرقة قيل : والله إنه لأغلب . روله ابن أبى حاتم ، وأشد ابن جرير القرزدي (٢) :

صَوَّى قَاتَارَ أَهْلَبَ فَيَتَحَمَّيَا قَوْلَ ابْنِ الْمُرَائَةِ مَا اسْتَشَارَا (٣)

وقوله : (وفاكهة وأبا) ، أما الفاكهة فهو ما ينشكه من الثمر . قال ابن عباس : الفاكهة : كل ما أكل رطباً ، والأب ما أنبت الأرض ، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس - وفى رواية عنه : هو الحشيش لبيهاهم . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبر ، وأبو مالك : الأب : الكلأ . وعن مجاهد ، والحسن ، وقادة ، وابن زيد : الأب قبيهاهم كالفاكهة لئى آدم . وعن عطاة : كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب . وقال الضحاك : كل شيء أنبتة الأرض سوى الفاكهة فهو أب .

وقال ابن إدريس ، عن حاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأب : نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق ، عن ابن إدريس ، ثم قال :

(١) تفسير الطبرى : ٤٧/٢٠ .

(٢) ديوانه ، ط بيروت : ٣٥٥ . من نسخة يرد فيها على جرير وينتقشه .

(٣) التفسير فى هوى ، يورد إلى جرير . والأغلب : الأسد الضعيف : التشديد الضعيف ، وهو الضعيف . واستأثره : ما به .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا : حدثنا ابن إدریس ، حدثنا عبد الملك ، عن سعيد بن جبير قال : عد (١) ابن عباس وقاله : الأب : ما أنبت الأرض للأعنام . هذا فقط أبي كريب وقال أبو السائب : ما أنبت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأعنام .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : الأب : الكلاء والمرعى . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقادة ، وابن زيد ، وغير واحد (٢) .

وقال أبو حنيفة القاسم بن سلام : حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن قوله تعالى : (وفاكهة وأبا) قال : أين مياه تظلي وأى أرض تظلي إن قلت في كتاب الله مالا أعلم .

وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصدّيق . فلما مرّوا ابن جرير حيث قال :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عمير ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب (عيسى وتولى) فلما أتى على هذه الآية : (وفاكهة وأبا) قال : عرفنا ما الفاكهة ، فما الأب ؟ قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف (٣) .

فهو إسناده صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس ، به . هو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وحيته ، ولا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله : (فأنتجها فيها حبا . وعنباً وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق ظلها وفاكهة وأبا) .

وقوله : (متاعا لكم وللعوام) ، أى : عيشة لكم وللعوام في هذه الدار إلى يوم القيامة .

فَلَمَّا جَاءَتِ الصَّاعَةَ (٣٨) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٩) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٤٠) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٤١) لِكُلِّ أُنثَى (٤٢) مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ (٤٣) وَوَجْهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرٌ (٤٤) صَاحِكَةٌ مُبْتَسِرَةٌ (٤٥) وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا (٤٦) بُحُورٌ (٤٧) تَرْفَعُهَا قَفَرَةٌ (٤٨) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٩)

قال ابن عباس : (الصاعقة) : اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحسنه عبادته (٣) .

قال ابن جرير : لهذه اسم لتفتحه في الصور . وقال البقرى : (الصاعقة) : يوم صيحة القيامة ، سميت بذلك لأنها تفتح الأمعاء ، أى : تبلغ في إيساعها حتى تكاد تفسحها .

(يوم يفر المرء من أخيه . وأممه وأبيه . وصاحبه وبنيه) ، أى : يراهم ، ويفر منهم ، ويتعد عنهم ، لأن الملوك عظماء ، والخطب جليل .

(١) تقدم قبل هذا في رواية أسرى ٣٨/٣٠ : وعن ابن عباس - قال : حدسنا ، وجعل رزقه في سبعة ، وجعله من صبة ، وقال في آخر ذلك : الأب ما أنبت الأرض مما يأكل الناس .

(٢) تفسير الطبري : ٣٨/٣٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٩/٣٠ .

قال حكيمه : يا بني الرجل يقول لما : يا هله ، أى بعل كنتُ لك ؟ فنقول : تم البعل كنتُ ! وتبنى غير ما استلصحت ، فيقول لما : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعل أنجو مما ترين . فنقول له : ما أبسر ما طلبت ، ولكني لا أطيع أن أصليك شيئاً أتخوف مثل (١) الذي تخاف . قال : وإن الرجل ليأتي ابنه فيعتلق به فيقول : يا بني ، أى والد كنتُ لك ؟ فيبنى غير . فيقول له : يا بني ، إني أحجبت إلى مثقال ذرة من حسنتك لعل أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ، ما أبسر ما طلبت ، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف ، فلا أستطيع أن أصليك شيئاً يقول الله تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه) .

وفي الحديث الصحيح - في أمر الشفاعة - : أنه إذا طلب إلى كل من أرى العزم أن يشفع عند الله في المخلوق ، يقول : نفسي نفسي ، لا أسأله اليوم إلا نفسي ، حتى إن عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدني . ولهذا قال تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه) .

قال قتادة : الأحب للأحب ، والأكره للأكره ، من هول ذلك اليوم .

وقوله : (لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) ، أى : هو في شغل شاغل عن غيره .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا الوليد بن صالح ، حدثنا ثابت أبو زيد النخعي ، عن هلال بن خبيب ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تمشرون حفاة حفاة مشاة غرلاً » (٢) . قال : فقالت زوجته : يا رسول الله ، أأرى بهشتاً حورة بعض ؟ قال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . أو قال : « ما أشظه من النظر » .

وقد رواه النسائي مضروباً به ، عن أبي داود ، عن عمار ، عن ثابت بن يزيد - وهو أبو زيد الأحول البصري ، أحد الثقات - عن هلال بن خبيب ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، به . وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن محمد بن الفضل ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خبيب ، عن حكيمه ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « تمشرون حفاة حفاة غرلاً » . فقالت امرأة : أيبصر - أو : يرى - بهشتاً حورة بعض ؟ قال : « يا فلانة ، (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) ، ثم قال الترمذي : « وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن ابن عباس (٣) حفاة حفاة مشاة غرلاً » .

وقال النسائي : أخبرني عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، حدثنا الزبيدي ، أخبرني الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الناس يوم القيامة حفاة حفاة غرلاً » . فقالت عائشة : يا رسول الله ، فكيف بالعموات ؟ فقال : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٤)) .

انقره به النسائي من هذا الوجه .

(١) في المخطوطة : « أتخوف من تبل الذي .. » والمثبت من النسخات السابقة .

(٢) هرل - بهم فسكون - : جمع أهرل ، وهو الأكلف غير المختون .

(٣) تحفة الأحرار ، تفسير سورة عبس ، الحديث ٣٣٨٨ : ٢٠١٧/٩ - ٢٠٢ - ٢٠٢ .

(٤) قتادة ، كتاب الجنائز ، باب « البعث » : ١١٤/٤ .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أزهر بن حاتم ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن عائد بن شريح ، عن أنس ابن مالك قال : سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، إلى سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به . قال : « إن كان عندى منه علم » . قالت : يا نبي الله ، كيف يحشر الرجال ؟ قال : « حفاة حراة » . ثم انتظرت ساعة فقالت : يا نبي الله ، كيف يحشر النساء ؟ قال : « كذلك حفاة حراة » . قالت : واسوأهن من يوم القيامة ! قال : « وعن أى ذلك تسألين ، إنه قد نزل على آية لا يشرك كان عليك ثياب أولا يكون » . قالت : آية آية هي يا نبي الله ؟ قال : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) .

وقال البخارى في تفسيره : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم النخعي ، أخبرني الحسين بن عبد الله ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد بن عبد العزيز ، حدثنا ابن أبي أويس ، حدثنا أبي ، عن محمد بن أبي عياش ، عن عطاء بن يسار ، عن سودة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يبعث الناس حفاة حراة شُرُلا قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحوم الأذان » . فقلت : يا رسول الله ، واسوأهن ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال : « قد شُيِّل الناس ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي ، عن الفضل بن موسى ، به (١) . ولكن قال أبو حاتم الرازي : « عائد بن شريح ضعيف ، في حديثه ضعف (٢) » .

وقوله : (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) ، أى : يكون الناس هنالك فريقين (وجوه مسفرة) ، أى : مستبشرة (ضاحكة مستبشرة) ، أى : مسرورة فرحة من سرور قلوبهم ، قد ظهر البشر على وجوههم ، وهؤلاء أهل الجنة . (وجوه يومئذ عليها غيرة . ترهقها قفرة) ، أى : يباوها ويفشاها قفرة ، أى : سواد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن عثمان السكري ، حدثنا أبو علي محمد بن محمد بن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يلجم الكافر العرق » ثم تقع الغبرة على وجوههم . قال فهو قوله : (وجوه يومئذ عليها غيرة) .

وقال ابن عباس : (ترهقها قفرة) ، أى : يمشاها سواد الوجوه .

وقوله : (أولئك هم الكفرة الفجرة) ، أى : الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أفعالهم ، كما قال تعالى : (ولا يلبوا إلا طعنا كذرا (٣)) .

آخر تفسير سورة عبس ، والله الحمد والمنة

(١) تفسير الباقى : ٢٩/٣٠ .

(٢) الصحيح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٦/٢/٣ .

(٣) سورة نوح ، آية : ٧٧ .

تفسير سورة التكويد

وهي مكية

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنصرتنا عبد الله بن بحر القاسم : أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أنصره : أنه سمع بن عمر يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ : (إذا الشمس كورت) » و (إذا السماء انقطرت) » و (إذا السماء انشقت) (١) .

وهكذا رواه الترمذي ، عن الثعلبي ، عن الثعلبي ، عن عبد العظيم الشنقي ، عن عبد الرزاق ، به (٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَرَتْ ② وَإِذَا السَّيَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْفُجَارُ عُفِّلَتْ ④
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءَدَةُ سُيِّجَتْ ⑧
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ⑫
وَإِذَا الْجِبَالُ أَزْلَفَتْ ⑬ طَلَبَتْ نَفْسٌ مَا حَضَرَتْ ⑭

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إذا الشمس كورت) ، يعني : أظلمت . وقال الترمذي ، عنه : ذهب . وقال مجاهد : اضمحلت وذهبت . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير : (كورت) : غُورَتْ ،

وقال الربيع بن خثيم : (كورت) : بطنى روى بها .

وقال أبو صالح : (كورت) : ألقيت . وعنه أيضا : نكست . وقال زيد بن أسلم : ضم في الأرض ،

قال ابن جرير : والصواب من القول هنا أن التكويد جمع الشيء بمضه إلى بعض ، ومنه تكويد العمامة

[وهو لها على الرأس ، وتكوير الكاهن (٢)] و (أى (٤)] جمع الثياب بمضها إلى بعض ، فعلى قوله : (كورت) :

جمع بعضها إلى بعض ، ثم قلت فرى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها (٥) .

(١) مستدرج الإمام أحمد : ٢٧/٢ ، ٣٦ ، ١٠٠ .

(٢) تحفة الأحرف ، تفسير سورة إذا الشمس كورت : ٢٠٢/٩ - ٢٠٣ .

(٣) الكارة : الفرادة التي تكون فيها الأئمة وغيرها .

(٤) بين الأتوس من تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري : ٤١/٣٠ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجاهد ، عن شيخ من بَجِيلَة ، عن ابن عباس : (إذا الشمس كورت) ، قال : يَكُورُ الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويصُبُّ الله دحماً دبوراً فصرها نارا . وكلما قال عامر الشعبي . ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبي مرجم ، عن أبيه أنه قال : حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في قول الله : (إذا الشمس كورت) ، قال : « كورت في جهنم » .

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا موسى بن محمد بن حبان ، حدثنا دُرُوسُ بْنُ زِيَادٍ ، حدثنا يزيد الرقاشي ، حدثنا أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الشمس والقمر نوران حَبِيرَان (١) في النار » .

هذا حديث ضعيف ، لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخاري :

حدثنا مسدد ، حدثنا عبد العزيز بن الحُفَار ، حدثنا عبد الله الداناج ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « الشمس والقمر يَكُورَان (٢) يوم القيامة (٣) » .

انفرد به البخاري وهذا لفظه ، وإنما أخرجه في كتاب « بده الخلق » ، وكان جديراً أن يذكره ما هنا أو يكرره ، كما هي عادة في أمثاله ! وقد رواه البزار مُتَّحِدِ إِيْرَادِهِ ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي ، حدثنا يونس بن عمار ، حدثنا عبد العزيز بن الحُفَار ، عن عبد الله الداناج قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة ، وجاء الحسن بن علي بن فضال قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونقول : أحبه قال : وما ذنبهما .

ثم قال : لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث .
وقوله : (وإذا النجوم انكثرت) ، أي : انتثرت ، كما قال تعالى : (وإذا الكواكب انتثرت (٤)) ، وأصل الانكسار : الانصباب .

قال الربيع بن أنس ، عن أبي العلاء ، عن أبي بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تآثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فصرحت واضطربت واضططت ، فخرت الجن إلى الإنس وإلى الإنس إلى الجن ، واختلطت للنواب والطير والوحوش ، فلجوا

(١) في الآية : « وفي حديث كعب : (إن الشمس والقمر نوران حَبِيرَان في النار) » قيل : لما وصفهما الله تعالى بالصباحة في قوله : (كل في ذلك يسبحون) . ثم أخبر أنه يجعلهما في النار ، يذهب بها أهلها بحيث لا يبرحها ، صاراً كأنها فتان طعيران . حكى ذلك أبو موسى ، وهو كما تراه .

(٢) في البخاري : مكوران .

(٣) البخاري ، كتاب بده الخلق ، باب : وصفة الشمس والقمر حَبِيرَان : ١٣١/٤ .

(٤) سورة الانشقاق : آية : ٢ .

بعضهم في بعض . (وإذا الروحش حشرت) ، قال : انشططت ، (وإذا المشار مطلت) ، قال : أهلها أهلها ، (وإذا البحار سجرت) ، قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالبحر . قال : فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج ، قال : فيها هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فيها هم كذلك إذ جاءهم الريح فأماتهم .

رواه ابن جرير (١) — وهذا لفظه — وابن أبي حاتم ، يعقبه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم ، والحسن البصري وأبو صالح ، وحمام بن أبي سليمان ، والفسحاك في قوله : (وإذا النجوم انكدرت) ، أي : تناثرت .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وإذا النجوم انكدرت) ، أي : تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم ، عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : (وإذا النجوم انكدرت) ، قال : « انكدرت في جهنم » ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، ولو رغبنا أن نعيّنا لدخلناها . رواه ابن أبي حاتم بالإسناد للضم .

وقوله : (وإذا الجبال سيرت) ، أي : زالت عن أماكنها ونُسفت ، فتركت الأرض قاعا مفضفا .

وقوله : (وإذا المشار مطلت) ، قال عكرمة ، ومجاهد : مشار الإبل . قال مجاهد : (مطلت) : تركت وسُيِّت .

وقال أبي بن كعب ، والفسحاك : أهلها أهلها . وقال الربيع بن خثيم : لم تحلب ولم تُصَرَّ (٢) ، تحل منها أربابها .

وقال الفسحاك : تركت لأراضي لها ،

والمنى في هذا كله مغلوب . والمقصود أن المشار من الإبل — وهي : خيارها والحوامل منها التي قد وصكت في حملها إلى الشهر العاشر ، ولحدها : عشره ، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع — قد اشتغل الناس عنها وعن كثافتها والارتفاع بها ، بعد ما كانوا أروغب شيء فيها ، بما دهمهم من الأمر العظيم للمقطع الخائل ، وهو أمر القيامة وانتقاد أساليبها ، ووقع مقدماتها .

وقيل : بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها . وقد قيل في المشار : إنها السحابيات يُطَلَّل عن المسير بين السماء والأرض ، لغراب الدنيا . وقيل : إنها الأرض التي تُعْثَر (٣) . وقيل : إنها الديار التي كانت تسكن تُحْطَل للهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه « التذكرة » ، ورجح أنها الإبل ، وحواه إلى أكثر الناس (٤) .

قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواء ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ٤١/٢٠ .

(٢) كان من عادة قُرب أن نصر شروع الحلويات إذا أرسلوها إلى المرحى ، ويسمون ذلك الرقاب صرارا ، فإذا ولحت حشياً جلت تلك الأضرة وحللت .

(٣) في التذكرة لقرطبي : « وقيل : الأرض التي يمشي زوجها تحمل فلا تتدبر » .

(٤) انظر التذكرة : ٢١٢-٢١٣ .

وقوله : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) ، أى : جمعت . كما قال تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمُّ أمثالكم ، مفرطاً في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون (١)) - قال ابن عباس : يحشر كل شيء حتى اللباب : رواه ابن أبي حاتم . وكلنا قال الريح بن خُشَمٍ والسدى ، وغير واحد . وكلنا قال قتادة في تفسير هذه الآية : إن هذه الخلائق [موافقة] فيبقى الله فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها موتها .

وقال ابن جرير : حدثني علي [بن مسلم] الطوسي ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حُصَيْنٌ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) ، قال : حُشِرَ البهائم موتها ، وحشر كل شيء الموت غير البهائم والإنس ، فلنهما يوقدان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن الربيع بن خُثَيْم : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) ، قال : أتى عليها أمر الله . قال سفيان : قال أبي : فذكرته لمكرمة ، فقال : قال ابن عباس : حشرها موتها .

وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) : انعطلت .

قال ابن جرير : والأولى قول من قال : (حُشِرَتْ) : جمعت ، قال الله تعالى : (والطير محشورة) ، أى : مجموعة (٢) .

وقوله : (وإذا البحار سُجِّرَتْ) ، قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُثَيْمَةَ ، عن داود ، عن سعيد ابن المسيب قال : قال علي - رضي الله عنه - لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال : البحر . فقال : ما أراه إلا صافداً . (والبحر المسجور) ، (وإذا البحار سُجِّرَتْ) [مُحَقَّقَةٌ (٣)] .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل الله عليها الدُّبُورَ فتسمرها ، وتصب نارا تألج . وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله : (والبحر المسجور (٤)) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد ، حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان الضمط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال : إن هذا البحر بركة - بيني بحر الروم - وسط الأرض ، والأخبار كلها تصب فيه ، والبحر [الكبير] يصب فيه ، وأسفله آبار مطيقة بالأنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أَسْجَر . وهذا أثر غريب عجيب . وفي سنن أبي داود : لا يركب البحر إلا حاج أو متمم أو غاز ، فإن نمت البحر نارا ، ونمت النار بحرا [الحديث] ، وقد تقدم الكلام عليه في سورة طاهر (٥) .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٣/٢٠ .

(٣) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ٤٣/٢٠ .

(٤) انظر تفسير الآية السادسة من سورة الطور : ٤٠٥/٧ .

(٥) لم يقتض الحديث ذكر في سورة طاهر ، وقد أمرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : في ركوب البحر في الفتوة . ونصه كما هنا .

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : (سَجَرَت) أوقفت . وقال الحسن : يست : وقال الضحاك ، وقادة : غاضى
ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضا : (سَجَرَت) فجرت . وقال السدي : فحمت وسيرت . وقال الربيع
ابن خنيس : (سَجَرَت) : فاحمت .

وقوله : (وإذا النفوس زوجت) ، أى : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : (احشروا الذين ظلموا
وأزواجهم) (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الصباح البزار ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن ماله ، عن الثعلبي
ابن بشير أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « (وإذا النفوس زوجت) ، قال : الضرياء ، كل
رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : (وكنتم أزواجا ثلاثة ، فأصحاب اليمين
ما أصحاب اليمين . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون) ، قال : هم الضرياء .

ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر ، عن ماله بن حرب ، عن الثعلبي بن بشير أن عَصْرَ خطيبه الناس قرا : (وإذا
النفوس زوجت) ، فقال : تزوجها أن تولف كل شية إلى شيعتهم - وفي رواية : ما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به
الجنة أو النار .

وفي رواية عن الثعلبي قال : سئل عمر عن قوله تعالى : (وإذا النفوس زوجت) ، فقال : يقرن بين الرجل الصالح
مع الرجل الصالح ، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ، فذلك تزويج الأفسس .

وفي رواية عن الثعلبي أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية : (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا .
قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ، ثم قرأ : (احشروا الذين
ظلموا وأزواجهم) .

وقال الموق ، عن ابن عباس في قوله : (وإذا النفوس زوجت) ، قال : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة .
وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد : (وإذا النفوس زوجت) ، قال : الأمثال من الناس جمع بينهم . وكذا
قال الربيع بن خنيس والحسن ، وقادة . واخطره ابن جرير ، وهو الصحيح (٢) .

قول آخر في قوله : (وإذا النفوس زوجت) ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ،
عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس قال : يسبل وادم من أصل العرش من ماء فبا بين الصبيحين ، ومثلوا ما بينهما أربعون
عاما ، فنبئت منه كل خلق إلى ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم ما قدر فهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض
قد نبئوا ، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد ، فذلك قول الله تعالى : (وإذا النفوس زوجت) .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جببر ، والشعبي ، والحسن البصري أيضا في قوله : (وإذا النفوس

(١) سورة الصافات ، آية : ٢٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٠٤٢٠ .

زوجت) ، أي : زوجت بالأيدان ، وقيل : زوج للؤمنون بالخور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين : حكاية القرطبي في التذكرة (١) .

وقوله : (وإذا المومدة سملت : بأى ذنب قتلت) : هكذا قراءة الجمهور (سملت (٢) . والمومدة هي التي كان أهل الجاهلية يسمونها في الرباب كراهية النبات ، فيوم القيامة تسأل المومدة على أى ذنب قتلت ، ليكون ذلك تهديداً لقتلها ، فإذا سئل المظلوم فما عمن الظلم إذا ؟ !

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وإذا المومدة سملت (٣)) ، أى : سألت . وكذا قال أبو اسحق (سألت) ، أى : طلبت منهما . وعن السدي ، عن قتادة ، مذهب .

وقد وردت أحاديث تتعلق بالمومدة ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن يزيد ، [حدثنا سعيد] بن أبي أيوب ، حدثني أبو الأسود - وهو : محمد بن عبد الرحمن بن نوفل - عن هرو ، عن عائشة ، عن جدامة بنت وهب - أخت عكاشة - قالت : حضرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ناس وهو يقول : « لقد سمعت أن أنبي عن الغيلكة (٤) » ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يخيلون أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا . ثم سأله عن العزل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ذلك أولاد الحق ، وهو المومدة سملت (٥) » .

ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ - وهو عبد الله بن يزيد - عن سعيد بن أبي أيوب : ورواه أيضا ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيى بن إسحاق السيلحي ، عن يحيى بن أيوب . ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث مالك بن أنس ، ثلاثهم عن أبي الأسود ، به (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي حدي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجمعي قال : انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا : يا رسول الله ، إن أمنا مليكة كانت تعمل الرحم وتقرى الضيف ، وتعمل [وتعمل (٧)] هلكت في الجاهلية ، فهل ذلك نافعا شيئا ؟ قال : « لا » . قلنا : فلإنها

(١) التذكرة : ٢١٣ .

(٢) قال الطبري ٤٥/٣٠ : « اخلفت القرأتى قراءة ذلك ، فقرأ أبو القاسم مسلم بن صبيح (وإذا المومدة سملت . بأى ذنب قتلت) يعني : سألت المومدة الواقعة : بأى ذنب قتلتها ؟ » . حلا (قتلت) على هذه القراءة يسكون الهم . ومن التام . انظر البحر المحيط : ٤٣٣/٨ .

(٣) كذا في المخطوطة ، وانظر البحر المحيط : ٤٣٣/٨ . وتفسير الطبري : ٤٥/٣٠ .

(٤) الغيلة - بكسر اللين - : أن يجعل الرجل زوجته وهي ترضع .

(٥) سنن الإمام أحمد : ٤٢٤/٦ .

(٦) مسلم : كتاب النكاح ، باب « جواز التيلة » وهي : وطء المروض وكراهة العزل : ١٦١/٤ . وابن ماجه : كتاب النكاح ، باب « التيل » الحديث ٢٠١١ : ٦٤٨/١ . وسنن أبي داود ، كتاب الطيب ، باب « في التيلة » . وفتح الأسوحي : أبواب الطيب ، باب « ما جاء في التيلة » الحديث ٢١٥٩ : ٢٤٩/٦ - ٢٥٠ . والنسائي : كتاب النكاح ، باب « التيلة » : ١٠٧/٦ - ١٠٧ .

(٧) ما بين القوسين من المتن .

كانت وأدت أختنا لنا في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال : « الواقعة والموعدة في النار ، إلا أن يدرك الواقعة الإسلام ، فيحرق الله عنها (١) » .

ورواه النسائي ، من حديث خلود بن أبي هند ، به ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة وأبي الأحوص ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الواقعة والموعدة في النار » .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثني حسنة ابنة معاوية الصنعية ، عن حماد (٢) قال : قلت : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، وللولود في الجنة ، وللموعدة في الجنة » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة قال : سمعت الحسن يقول : قيل : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « الموعدة في الجنة » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ، ومهم من قبله ،

وقال ابن أبي حاتم : [حدثني] أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر المدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن حكيم قال : قال ابن عباس : أظننا للمشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب ، يقول الله عز وجل : (وإذا للموعدة سلت . بأي ذنب قتلت) ، قال ابن عباس : هي للملحونة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن ميالك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب في قوله : (وإذا للموعدة سلت) ، قال : جاء قيس بن حاصم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إلى وأدت بنات لي في الجاهلية ، فقال : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » . قال : يا رسول الله ، إلى صاحب لؤلؤ ؟ قال : « فأنحر عن كل واحدة منهن بدنة » ؛

قال الحافظ أبو بكر البزار : خولف فيه عبد الرزاق ، ولم يكتبه إلا عن الحسن بن مهدي ، عنه (٣) .

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد الله الطهراني - غيا كتب إلى - قال : حدثنا عبد الرزاق : :: فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : « وأدت لثمان بنات لي في الجاهلية » . وقال في آخره : « فأعد إن شئت عن كل واحدة بدنة » . ثم قال :

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/٧٨٨ .

(٢) في المخطوطة : « من مصابا قالت » . والخبر من المسند ، وأمد القافية : ٣٦٦/٦ بصحيفتنا . هذا وقد تقدمت ميثاقه هذا الحديث في سورة الإسراء : ٥/٥٤ .

(٣) كذا في المخطوطة والبيانات السابقة ، ونحسب أنه قد وقع في نص البزار تحريف ، فالحسن بن مهدي ، يروي عن عبد الرزاق ، انظر الجليلي : ٢/٣٧٢ .

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجا ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خزيمة بن حصين قال :
قدم قيس بن حاصم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يا رسول الله ، إني وأدت التي عشرة ابنة لي
في الجاهلية - أو : ثلاث عشرة - قال : « أحتج عدنن نسما » قال : فأعنت عدنن نسما ، فلما كان في العام
التلج جاء عاتة ثالثة ، قال : يا رسول الله ، هذه صدقة قوتى على أثر ما صنعت بالمسلمين . قال على ابن أبي طالب :
فكنا ترصها ، ونسبها القيمة .

وقوله : (وإذا المسحوب نشرت) ، قال الضحاك : أعطى كل إنسان صحيفته يومئذ أو يشأله :
وقال قتادة : [صحيفتك (١)] يا ابن آدم ، تملئ فيها ، ثم تطوى ، ثم تشر عليك يوم القامة ، فليظن رجل ماذا
يجل في صحيفته ،

وقوله : (وإذا السماء كطشت) - قال مجاهد : اجتلبت : وقال السدي : كشفت . وقال الضحاك : تنكشف
فتذهب ،

وقوله : (وإذا الجحيم سعرت) - قال السدي : لحمت . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعها غضب الله
وعطايها بنى آدم .

وقوله : (وإذا الجنة أزيلت) - قال الضحاك ، وأبو مالك ، وقاتدة ، والربيع بن خثيم : أى قربت إلى أهلها ،
وقوله : (علمت نفس ما أضرت) : هذا هو الجواب ، أى : إذا وقعت هذه الأمور حيث تعلم كل نفس
ما علمت وأضرت ذلك لما ، كما قال تعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما علمت من سوء تود لو أن
بيننا وبينه أمداً بعيداً (٢)) . وقال تعالى : (ينأى الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (٣)) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا حماد بن مسروق ، عن زيد بن أسلم ،
عن أبيه قال : لما نزلت : (إذا الشمس كورت) ، قال عمر : لما بلغ (علمت نفس ما أضرت) ، قال : لهذا جرى
الحديث ،

فَلَا أُقْسِمُ بِالْغَيْثِ ۝ الْخَوَارِجُ أَكْثَرُ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝
لَهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صُلِحَ بِكُمْ
يَجْعَلُونَ ۝ وَلَقَدْ رَعَاهُ الْإِنشَاءُ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِغَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيسٍ ۝
فَإِنْ تَعَدَّوْا ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ لِمَنْ شَاءَ يَنْكَرُ أَنْ يُسْتَفِيمَ ۝ وَمَا نَسَاءُ وَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝

روى مسلم في صحيحه ، والنسائي في تفسيره عند هذه الآية ، عن حديث مسعر بن كدام ، عن الوليد بن سريج ، عن
أبي هريرة بن حريش قال : صليت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - الصبح ، فسمعته يقرأ : (فلا أقسم بالبحر . الجور
الكنس . والليل إذا عسس . والصبح إذا تنفس (٤)) .

(١) ما بين القوسين من تفسير البكري = ٤٦/٣٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٣٠ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٣ .

(٤) سلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح : ٢٩/٢ . وانظر النجاشي ، كتاب الإمامة ، باب القراءة :

في الصبح . وإذا الشمس كورت : ١٥٧/٢ .

ورواه النسائي عن بشار ، عن غندر ، عن شعبة ، عن الحجاج بن عاصم ، عن أبي الأسود ، عن هرو بن حُرَيْث ،
به نحوه .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير ، من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن علي : (فلا أقسم
بالحنسن ، الجوار الكنس) ، قال : هي النجوم تخنسن بالنهار ، وتظهر بالليل .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن [جعفر (١)] قال : حدثنا [شعبة] عن مياك بن حرب ، سمعت
خالد بن عرفة ، سمعت عليا وسئل عن (لا أقسم بالحنسن . الجوار الكنس) ، فقال : هي النجوم ، تَخْنِسُ بالنهار
وتَكْنِسُ بالليل (٢) .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل (٣) ، عن مياك ، عن خالد ، عن علي قال : هي النجوم .
وهذا إسناده جيد صحيح إلى خالد بن عرفة ، وهو السهمي الكوفي ، قال أبو حاتم الرازي : « روى عن علي ،
وروى عنه مياك والقاسم بن حوف (٤) للشياني » . ولم يذكر فيه جرحا ولا تعليلا ، والله أعلم ،

وروى يونس ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي : أنها النجوم : رواه ابن أبي حاتم ، وكلنا روى عن
ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة والسدي ، وغيرهم : أنها النجوم ،

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا هُوْدَةُ بن خليفة ، حدثنا حوف ، عن بكر بن عبد الله في قوله :
(فلا أقسم بالحنسن . الجوار الكنس) ، قال : هي النجوم للدراري ، التي تجري مستقبل للشرق (٥) .

وقال بعض الأئمة : إنما قيل للنجوم الحنسن ، أي : في حال طلوعها ، ثم هي جوارف فلكتها ، وفي حال غروبها
يقال لها « كُنْسُن » ، من قول العرب : لوى الظبي إلى كُنْسة (٦) : إنما تيب فيه .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله (فلا أقسم بالحنسن) ، قال : بقر الوحش .

وكلنا قال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي مبصرة (٧) ، عن عبد الله : (فلا أقسم بالحنسن : الجوار الكنس) ،
ما هي يا عمرو ؟ قلت : البقر . قال : وأنا أرى ذلك .

وكلنا روى يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن عمرو ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : [الجوار الكنس] ،
قال : البقر تكنس إلى الظل . وكلنا قال سعيد بن جبير .

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ٤٧/٢٠ .

(٢) أي : تكتب .

(٣) في تفسير الطبري ٤٧/٢٠ : حدثنا وكيع ، عن مياك ، وأما ما هنا ، وانظر التلخيص : ٢١١/١ .

(٤) البحر والتبديل لابن أبي حاتم : ٢٤٤/٢١١ .

(٥) تفسير الطبري : ٤٨/٢٠ .

(٦) الكنس : الموضع الذي يأوي إليه الليل .

(٧) أبو مبصرة هو : عمرو بن شرحبيل .

وقال العوفي ، من ابن عباس : هي الظباء . وكلنا قال سعيد أيضا ، ومجاهد ، والضحاك .

وقال أبو الثمالة جابر بن زيد : هي الظباء والبقرة .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد : أنهما تذاكرا هذه الآية : (فلا أقسم بالخنس : الجوار الكنس) ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع فيها شيئا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكس في حُجُرَتِهَا . قال : فقال إبراهيم : إنهم يَكْنُبُون على عليّ ، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلى ، والأعلى الأسفل (١) .

وتوقف ابن جرير في قوله : (الخنس : الجوار الكنس) : هل هو النجوم ، أو الظباء ويقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مراداً .

وقوله : (والليل إذا حسس) ، فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نفا . وقال الحسن البصري : إذا غشى الناس . وكلنا قال عطية العوفي .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس : (إذا حسس) : إذا أدبر . وكلنا قال مجاهد ، وقطادة ، والضحاك ، وكلنا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : (إذا حسس) ، أي : إذا ذهب قوتى .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال : خرج علينا علي بن - رضي الله عنه - حين تَوَبَّ للتَّوْبِ بصلاة الصبح فقال : أين السائرون عن الوتر : (والليل إذا حسس . والصبح إذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : (إذا حسس) : إذا أدبر . قال لقوله : (والصبح إذا تنفس) ، أي : أضاء ، واستشهد بقول الشاعر (٢) أيضا :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسَ وَإِنْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَحَسَسَ

أي : أدبر . وعندي أن المراد بقوله . (حسس) : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار ، لكن الإقبال ما هنا أنسب ، كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضياؤه إذا أشرق ، كما قال : (والليل إذا ينشئ . والنهار إذا تجل) (٣) . وقال : (والضحى . والليل إذا سجى) (٤) . وقال : (فاتقوا الصبح وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) ، وغير ذلك من الآيات .

وقال كثير من علما الأصول : إن لفظة « حسس » تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك ، فلي هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ٤٩/٣٠ ، وقد وقع في نص الطبري سقط .

(٢) تفسير الطبري : ٥٠/٣٠ ، وقد نسب إلى مفسر بن قرق ، وانظر عيار القرآن لأبي عبيدة : ٢٨٧/٢ - ٢٨٨ .

(٣) سورة الليل ، آية : ١ - ٢ .

(٤) سورة الضحى ، آية : ١ - ٢ .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن : صمص : ذنا من أوله وأظلم : وقاه اقواء : كان أبو البلاد النحوي يشتد بها :

صَمَصَ حَتَّى لَوْ شَاءَ ادَّكَا كَكَ لَه مِنْ ضَرْبِهِ مَقِيصِ

يريد : لو شاء إذنا ، أدغم اللال في اللال . وقال القراء : وكانوا يرون أن هذا البيت مصروح (١) ،

وقوله : (والمسيح إذا تنفس) ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال مجيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروى عن علي رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : يعني : وضوء النهار إذا أقبل وتبين :

وقوله : (إنه لقول رسول كريم) ، يعني : إن هذا القرآن لبليغ رسول كريم ، أي : ملك شريف حسن الخلق ، يعني المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام . قاله ابن عباس ، والشعبي ، وميمون بن مهران ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، والريح بن أنس ، وغيرهم .

(ذي قوة) : كقوله : (علمه شديد القوى . ذو مرة (٢)) ، أي : شديد الحكمة ، شديد البطلان والقيل ، (عند ذي العرش مكين) ، أي : له مكانة عند الله — عز وجل — ومترلة وفيعة .

قال أبو صالح في قوله : (عند ذي العرش مكين) ، قال : جبريل يدخل في سبعين حججاً من نور بين يدي إذن (٣) ، (مطاع ثم) ، أي : له جلالة ، وهو مسموح القول مطاع في للأهل .

قال قتادة : (مطاع ثم) ، أي : في السموات ، يعني : ليس هو من أنفاه (٤) للملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، مضمي به ، انتخب هذه الرسالة العظيمة .

وقوله : (أمين) : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جداً أن الرب — عز وجل — يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل ، كما زكي عبده ورسوله البشري محمداً — صلى الله عليه وسلم — بقوله : (وما صاحبكم بمجنون) .

قال الشعبي ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله : (وما صاحبكم بمجنون) ، يعني : محمداً صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) ، يعني : ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله — عز وجل — على الصورة التي خلقه الله عليها له سبعة جناح ، (بالأفق المبين) ، أي : البين ، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء ، وهي المذكورة في قوله : (علمه شديد القوى . ذمرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى (٥)) ، كما تقدم (٦) تفسير ذلك وتقريره . والدليل أن المراد بذلك جبريل

(١) تفسير الطبري : ٥٠/٣٠ ، ومفاتيح القرآن لقراء : ٢٤٢/٣ .

(٢) سورة النجم ، آية : ٦-٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٥١/٣٠ .

(٤) يقال : دجل من أنفاه الناس ، أي : لم يعلم من هو ؟

(٥) سورة النجم ، الآيات : ١٠-٥ .

(٦) انظر : ٤١٩/٧ وما بعدها .

عليه السلام - والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشئ السدرة ما ينشئ (١)) ، فذلك إنما ذكرت في «سورة النجم» ، وقد نزلت بعد الإسراء .

وقوله : (وما هو على الغيب بظنين) ، [أى : وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين] ، أى : بعثهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد ، أى : يسيخل ، يل يذله لكل أحد .

قال سفيان بن عيينة : ظنين وضنين سواء ، أى : ماهو بكاذب ، وماهو بفاجر . والظنين : المتهم ، والفضين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيباً ، فأنزل الله على محمد ، فما ضنَّ به على الناس ، بل يكتمه ونشره وبذله لكل من أراذه . وكذا قال عكرمة ، وابن زيد ، وغير واحد . واختار ابن جرير قراءة الضاد (٢) .

قلت : وكلاهما متواتر ، ومناه صحيح كما تقدم .

وقوله : (وما هو بقول شيطان رجيم) ، أى : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أى : لا يقدر على حمله ، ولا يريده ، ولا ينبغي له ، كما قال : (وما تنزل به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون (٣)) .

وقوله : (فأين تلهيون ؟) ، أى : فأين تلعب عقولكم في تكليكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه جاء من عند الله عز وجل ، كما قال الصديق - رضى الله عنه - لولد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلة النوى في غاية اللطائف والركاكة ، فقال : ويحك . أين يكلمكم به قولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلّ ، أى : من إله .

وقال قتادة : (فأين تلهيون) ، أى : عن كتاب الله وعن طاعته .

وقوله : (إن هو إلا ذكر للعالمين) ، أى : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتصورون ، (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، أى : من أراد الهداية فعلية بهذا القرآن ، فإنه متجاة له وهداية ، ولا هداية فيها سواء ، (وما تشامون إلا أن يشاء الله رب العالمين) ، أى : ليست المشية موكولة إليكم ، فمن شاء اعتلى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشية الله - عز وجل - رب العالمين :

قال سفيان الثوري ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية : (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، قال أبو جهل : الأمر لنا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل الله : (وما تشامون إلا أن يشاء الله رب العالمين (٤)) .

آخر تفسير سورة التكوين ، والله الحمد

(١) سورة النجم ، الآيات : ١٣ - ١٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٣/٢٠ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢١٠ - ٢١٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٣/٢٠ .

تفسير سورة الانفطار

وهي مكية

قال النسائي : أخبرنا محمد بن قدامة ، حدثنا جرير عن الأعمش ، عن محارب بن دثار ، عن جابر قال : قام معاذ فصل المشاء الآخرة فطوى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أثنان يا معاذ ؟ » ، « أثنان يا معاذ ؟ » ، « أثنان يا معاذ ؟ » [١] ، أين كنت عن سبع اسم ذلك الأهل ، ولفظي ، وإذا السياه انقطرت (٢) ؟ ! .
وأصل الحديث خرج في الصحيحين (٣) ولكن ذكر (إذا السياه انقطرت) في أفراد النسائي : وتقدم (٤) من رواية عبد الله بن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من سره أن ينتظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ ! » (إذا الشمس كورت) و (إذا السياه انقطرت) و (إذا السياه انشقت) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا أَسْمَاءُ انْقَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِرَتْ ۖ وَنُفُوسٌ غَلَبَتْ ۖ نَفْسٌ مَقْتَلَمَتْ ۖ وَأُتْرَتْ ۖ بَلَاءُ الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ ۖ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۖ كُلًّا بَلْبٌ يُكَذِّبُ بِالْإِنِّ ۖ وَإِذَا عَلَيْهِمْ لَحِيفَتَيْنِ ۖ مَكْرَاهًا كَتِيبَتَيْنِ ۖ يَمْشُونَ مَاتَفْعَلُونَ ۖ

يقول تعالى : (إذا السياه انقطرت) ، أي : انشقت : كما قال : (السياه مضطر به) .
(وإذا الكواكب انتشرت) ، أي : تساقطت .
(وإذا البحار فجرت) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : فجر الله بعضها في بعض : وقال الحسن : فجر الله بعضها في بعض ، فذهب ماؤها . وقال قتادة : انحطط ماؤها بعلها (١) . وقال الكلبي : ملكت .
(وإذا القيور بعثرت) ، قال ابن عباس : بعثت . وقال السدي : يُبَثَّر : تُحْرَك فيخرج من فيها .

(١) ما بين القوسين عن النسائي .
(٢) سنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب « القراءة في المشاء الآخرة » (سبع اسم ذلك الأهل) : ١٧٢/٢ .
(٣) البخاري ، كتاب الأدب ، باب « من لم يقرأ أكثر من قال ذلك متارلاً أو جاعلاً » : ٢٢/٨ - ٢٢ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « القراءة في المشاء » : ٤١/٢ - ٤٢ .
(٤) تقدم ذلك أول سورة التكاوير ، وخرجته هناك .
(٥) سورة المزمل ، آية : ١٨ .
(٦) تفسير الطبري : ٤٤/٢٠ .

(علمت نفسي ما قلمت وأخبرت) ، أي : إذا كان هذا حصل هنا .
وقوله : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم ؟) : هذا تهديد ، لا كما يوجهه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب ، حيث قال (للكريم) ، حتى يقول قائلهم : غره كرمه . بل المعنى في هذه الآية : ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم - أي : العظيم - حتى أقمت على مصيبيته ، وقابلته بما لا يليق ؟ كما جاء في الحديث : « يقول الله يوم القيامة : ابن آدم ، ما غرك في ؟ ابن آدم ، ماذا أجبت المرسلين ؟ » .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان : [أن عمر] سمع رجلاً يقرأ : (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) ، فقال عمر : الجهول .

وقال أيضاً : حدثنا عمر بن شبَّه ، حدثنا أبو خلف ، حدثنا يحيى البكاء ، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم) ، قال ابن عمر : غره - والله - جهله .

قال : ودوى عن ابن عباس ، والريبع بن عيسى ، والحسن ، مثل ذلك .
وقال قتادة : (ما غرك بربك الكريم) : شيء مآثر ابن آدم غير ، وهذا البدو الشيطان (١) .

وقال الفضيل بن عياض : لو قال لي « ما غرك في » ، قللت : ستورك المرحاة .
وقال أبو بكر [الوراق] : لو قال لي (ما غرك بربك الكريم) ، قللت : غرني كرم الكريم .

قال البغوي : وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال (بربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته ، كأنه لفته الإجابة .
وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بباطل ، لأنه إنما أتى باسمه (الكريم) ، لينبه على أنه لا ينبغي أن يتكامل الكريم بالأعمال القبيحة ، وأعمال سوء .

وحكى البغوي : عن الكلبي ومقاتل أنهما قالاً : نزلت هذه الآية في الأخنس (٢) بن شريق ، ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يعاقب في الحالة [الراحة] ، فأنزل الله : (ما غرك بربك الكريم ؟) .

وقوله : (الذي خلقك فسواك فعدلك) ، أي : ما غرك بالرب الكريم (الذي خلقك فسواك فعدلك) ، أي : جعلك سواً مما جعل القامة مستصحبها ، في أحسن الخيالات والأشكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر (٣) ، حدثنا حريز ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة ، عن جبير بن نفير ، عن يسر بن جهماش القرشي : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصق يوماً في كفه ، فوضع عليها إصبعه ، ثم قال : « قال الله عز وجل : ابن آدم ، أنى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سوتك وعدلتك ، مشيت بين بردين والأرض منك وكبد » ، فجعلت ومتمت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق ، وأنى أوان الصدقة (٤) ؟ وكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن حريز بن عثمان ، به (٥) .

(١) لفظ البغوي : « لفظ ما غر ابن آدم هذا البدو الشيطان » .

(٢) تفسير الطبري : ٥٥/٣٠ .

(٣) في المخطوطة : « الأسود بن شريك » . ولم نجده . انظر سيرة ابن هشام : ٢٧٦/١ ، ٢٨٧ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٦٠ .

(٤) هو أبو القاسم حاتم بن قنصم البجلي .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢١٠/٤ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، باب « انتهى عن الإسكاف في الحياة والتبذير عند الموت » ، الحديث ٢٧٠٧ .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وثابه يحيى بن حمزة ، عن ثور بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن ميسرة .
وقوله : (في أي صورة ما شاء ركبك) — قال بجاهد : في أي شبهة أب أو أم أو خال أو حم ؟ .
وقال ابن جرير : حدثني محمد بن ستان القزاز ، حدثنا مطهر بن الميثم ، حدثنا موسى بن عيسى بن رباح ،
حدثني أبي ، عن جدي : أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال له : « ما ولد لك ؟ » قال : يا رسول الله ، ما عسى
أن يولد لي ؟ إما غلام وإما جارية . قال : « فمن يشبه » . قال : يا رسول الله ، من عسى أن يشبه ؟ إما أباه وإما أمه ،
فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — عندما : « مه . لا تقولن هكذا ، إن الصلوة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل
نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله : (في أي صورة ما شاء ركبك) ، قال : سكتك .
وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني ، من حديث مطهر بن الميثم ، به . وهذا الحديث لو صح لكان فصلا في هذه
الآية ، ولكن إسناده ليس بالثابت ، لأن مطهر بن الميثم قال فيه أبو سعيد بن يونس : كان متروك الحديث ،
وقال ابن حبان : يروى عن موسى بن عيسى وغيره ما لا يُشبه حديث الأئمة . ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة
أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن امرأتى ولدت غلاما أسود ؟ قال : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم . قال :
« فإلوانها ؟ » قال : حمر . قال : « فهل فيها من أوزق ؟ » قال : نعم . قال : « فأتى أمها ذلك ؟ » قال : عسى
أن يكون نزعته حرق . قال : « وهذا عسى أن يكون نزعته حرق (١) » .
وقد قال عكرمة بن قولة : (في أي صورة ما شاء ركبك) : إن شاء في صورة قرد ، وإن شاء في صورة خنزير (٢) ،
وكذا قال أبو صالح : إن شاء في صورة كلب ، وإن شاء في صورة حمار ، وإن شاء في صورة خنزير .
وقال قتادة : (في أي صورة ما شاء ركبك) ، قال : قادر — والله — يتناول ذلك . ومعنى هذا القول عند هؤلاء
أن الله — عز وجل — قادر على خلق الخلقة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة لخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه
يخلق على شكل حسن مستقيم معطل تام ، حسن للنظر والمشي .
وقوله : (كلا بل تكلمون بالدين) ، أي : بل إنما يحلمكم على مواجهة الكرم ومقابلته بالمعاصي ، تكلميبه
في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب .
وقوله تعالى : (وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون) ، يعني : وإن عليكم الملائكة حفظة كراما
فلا تقابلهم بالقياس ، لأنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .
قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطائفي ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان وسمر ، عن علقمة
ابن مرثد ، عن بجاهد قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يغافرونكم
إلا عند إحدى حالتين : التجابة والغناط . فإذا اغفل أحدكم فليستر بجرم حافظ أو ببيعه ، أو ليستره أموه » .
وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار ، فوصله بلفظ آخر ، فقال : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا حبيد الله
ابن موسى ، عن حفص بن سليمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن بجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله

(١) البهاري ، كتاب الطلاق ، باب « إذا عرض بنى الولد » : ٦٨/٧ - ٦٩ . وسلم ، كتاب العنان : ٢١١/٤ -

عليه وسلم : « إن الله يهاكم من الصرى ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم ، الكرام الكائنين ، الذين لا يُكفرونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الخائف ، والنجابة ، والفصل . فاذا اغتسل أحدكم بالمرءة فليستر بئويه ، أو بجرم حائط ، أو بغيره » .

ثم قال : حفص بن سليمان بن الحليث ، وقد روى عنه ، واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر الزوار : حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي ، حدثنا تمام بن نجيع ، عن الحسن - يعني البصري - عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما من حافظين يرفعان إلى الله - عز وجل - ما حفظا في يوم قيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعمدي ما بين طرفي الصحيفة » .

ثم قال : تفرد به تمام بن نجيع ، وهو صالح الحديث . قلت : وقته ابن ميمون وضعفه البخاري ، وأبو زرعة ، وابن أبي حاتم والسائي ، وابن عدي . ورواه ابن حبان بالوضع . وقال الإمام أحمد : لا أحرف حقيقة أمره (١) .

وقال الحافظ أبو بكر الزوار : حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالكوسبي ، حدثنا بيان بن حمدان ، حدثنا سلام ، عن منصور بن زاذان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال : ويعرفون أعمالهم - فاذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسبوه ، وقالوا : أطلع الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسبوه ، وقالوا : حلك الليلة فلان » .

ثم قال الزوار : سلام هذا ، أحسبه سلام اللخاني ، وهو من الحديث .

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَكُنِّي نَعِيمٌ ﴿١﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَكُنِّي جَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٦﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَنفُسُ بِمُؤْمِنَةِ اللَّهِ ﴿٧﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ، ولم يقابلوه بالمعاصي . وقد روى ابن حساكر في ترجمة « موسى بن محمد » ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن محارب ، عن ابن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنا سباهم الله الأبرار لأنهم برؤا الآباء والأبناء » .

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والطلب المقيم ، ولهذا قال : (يصلونها يوم الدين) ، أي : يوم الحساب والجزاء والقيامة ، (وما هم عنها بغائبين) ، أي : لا يفتنون عن الصلب ساعة واحدة ، ولا يخطف عنهم من طلبها ، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الرقة ، ولو يوما واحدا .

(١) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٤٥/١/١ .

وقوله : (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكثره بقوله : (ثم ما أدراك ما يوم الدين) .
ثم فسره بقوله : (يوم لا غلظت نفس لنفس شيئا) ، أى : لا يقدر واحد على شئ أحد ولا خلاصه مما هو فيه ، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

ونذكر هاهنا حديث : « يا بنى هاشم ، اتقوا أنفسكم [من النار] ، لا أملك لكم من الله شيئا » : وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء (١) . ولهذا قال : (والأمر يومئذ لله) ، كقوله : (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) (٢) ، وكقوله : (الملك يومئذ الحق الرحمن) (٣) ، وكقوله : (مالك يوم الدين) (٤) .
قال [قتادة] : (يوم لا غلظت نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله) ، والأمر - والله - اليوم لله ، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد (٥) .

آخر تفسير سورة الانفطار ، والله الصمد

(١) انظر تفسير الآية ٢١٤ من سورة الشعراء : ١٧٦/٦ وما بعدها .

(٢) سورة غافر ، آية : ١٦ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ١٦ .

(٤) سورة النازعة ، آية : ٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٧٤/٣ .

تفسير سورة المطففين وهي منية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

قال النسائي وابن ماجه : أخبرنا محمد بن عقيل - زاد ابن ماجه : وعبد الرحمن بن بشر - قالأ : حدثنا علي بن الحسين ابن واقد ، حدثني أبي ، عن يزيد - هو ابن أبي سعيد النخعي ، مولى قريش - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدم نبي الله - صلى الله عليه وسلم - للمدينة كانوا من أحبب الناس كيلا ، فأنزل الله : (ويل للمطففين) ، فحسبوا الكيل بعد ذلك (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن النصر بن (٢) بن حماد ، حدثنا محمد بن حبيب ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن هلال بن طلق (٣) قال : بينا أنا أسير مع ابن عمر قلت : من أحسن الناس هيئة وأولاهم كيلا ؟ أهل مكة أو للمدينة ؟ قال : حق لم ، أما سمعت الله يقول : (ويل للمطففين) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله المكبي ، عن (٤) وجيل ، عن عبد الله قال : قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إن أهل للمدينة ليوفون الكيل . قال : وما يمنهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله عز وجل : (ويل للمطففين) ، حتى بلغ : (يوم يقوم الناس لرب العالمين (٥)) .

فلماذا بالتطيف ما هنا : البخس في الكيال والميزان ، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قصاكم ، ولهذا فسر تعالى للمطففين الذين وعدهم بالتحسار والملاك وهو الويل ، بقوله : (الذين إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ) ، أي : من الناس (يستوفون) ، أي : يأخذون حقهم بالوأي والزائد ، (وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) ، أي : ينقصون .

(١) متن ابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب « التدوني في الكيل والوزن » ، الحديث ٢٢٢٣ : ٧٤٨/٢ .

(٢) كلا ، ولم تقع لنا ترجمة جعفر هذا في الجرح لاين أبي حاتم .

(٣) لم تقع لنا أيضاً ترجمة هلال هذا .

(٤) في تفسير الطبري : « عن ضرار ، عن عبد الله قال : قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن » . ويبدو أن الصواب ما هنا بقرار هذا هو ابن مرة ، يروي عن عبد الله بن الحارث الزبيدي المكبي . وهذه الكنية وهو « أبو عبد الرحمن » كنية عبد الله بن مسعود . انظر الجرح والتعديل : ٤٦٥/١/٢ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٨/٣٠ .

والأحسن أن يجعل « كالوا » و « وزنوا » متعليا ، ويكون هم في عمل نصبه : ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله « كالوا » و « وزنوا » ، ويخفف للقول لدلالة الكلام عليه ، وكلاهما متقارب .
وقد أمر الله تعالى - بالوفاء في الكيل والميزان ، قال : (وأوفوا الكيل إذا كتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا (١)) ، وقال : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها (٢)) ، وقال : (وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان (٣)) . وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم (٤) على ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان .

ثم قال تعالى متوعدا لهم : (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟) ، أي : أما يخاف أولئك من يوم القيام بين يدي من يعلم السررات والخصائر ، في يوم عظيم المولك ، كثير الفزع ، جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟

وقوله : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ، أي : يقومون حفاة عراة غرلا ، في موقف صعب حرج فربق فبتلك حل المجرم ، ويشاهم من أمر الله - ما تميز القوي والحواص عنه :

قال الإمام مالك : من نافع ، من ابن عمر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) حتى يشيب أحدهم في رشفة إلى أنصاف أذنيه .

رواه البخاري ، من حديث مالك وعبد الله بن عون ، كلاهما عن نافع ، به . (هـ) : ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه صالح وأيوب بن يحيى ، وعبد الله وعبد الله ابنا عمر ، وعبد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، (٦) به ونظف الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) : لعظمة الرحمن - عز وجل - يوم القيامة ، حتى إن العرق ليكسب الرجال إلى أنصاف أكبادهم (٧) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثني سالم بن عامر ، حدثني المقداد - يعني ابن الأسود الكنكسي - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد ، حتى تكون قيد ميل أو ميلين ، قال : قصصهم الشمس ،

(١) سورة الإسراء آية : ٣٥ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٥٢ .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٩ .

(٤) في المخطوطة : ودمرهم حل ما . . . والمكتبة عن الطبعات السابقة .

(هـ) البخاري ، تفسير سورة (ويل للمطففين) : ٢٠٧/٦ . وكتاب الرقائق ، باب قول الله تعالى : (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) : ١٣٨/٨ .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة ، باب : في صفة القيامة ، وأما الله حل أحوالها : ١٥٧/٨ - ١٥٨ . ومسند الإمام أحمد : ١٩ ، ١٣/٧ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٣١/٧ .

وغن ابن عمر : يقومون مائة سنة : رواهما ابن جرير (١) :

وفي سنن أبي داود والسنن وابن ماجه ، من حديث زيد بن الحباب ، عن معاوية بن صالح ، عن أنس بن سعيد الحواري ، عن حاتم بن حديد ، عن عائشة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يفتح قيام الليل بكبر عشرا ، ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ، ويستغفر عشرا ، ويقول : اللهم اغفر لي ولعنتي ، وارزقني وعافني : ويتوضأ من ضيق المقام يوم القيامة :

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لِي سَعِينٌ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا بَيْنَ كِتَابِ مَرْقُومٍ ﴿٢﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣﴾ الْآثِرَاتُ يُكْذِبُونَ يَوْمَ الْبَرِّينَ ﴿٤﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٥﴾ إِنَّهُ تُنْفَخُ عَلَيْهِ عَارِشُكَ فَتَلْهُ أَصْلَابُهُ ﴿٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَسُولٌ نَبِيٌّ ﴿٧﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَسُولِ رَبِّهِمْ لَسَّاهُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١١﴾

يقول : حقا (إن كتاب الفجار لي سعين) ، أي : إن مصيرهم وأوامر لي سعين - فعمل من السجين ، وهو الضيق - كما يقال : فسق وشرب وخمير ومسكر ، ونحو ذلك . ولعلنا علم أمره فقال : (وما أذكرك ما سجين ؟) ، أي : هو أمر عظيم ، وسجن عظيم وعذاب أليم ؟
ثم قال قد قالون : هي تحت الأرض السابعة : وقد تقدم في حديث البراء بن عازب ، في حديث الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافر : اكشوا كتابه في سجين (٢) :

وسجين : هي تحت الأرض السابعة . وقيل : صخرة تحت السابعة مخضرة : وقيل : بئر في جهنم .

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسماعيل بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود ابن مومى بن مسكان الواسطي ، حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « اللان : جب في جهنم منطى ، وأما سجين ففتوح (٣) » :

والصحيح أن سجيننا مأخوذ من السجين ، وهو الضيق ، فإن المخلوقات كل ما تسائل منها [ضائق] وكل ما تعالى منها التسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها [أوسع وأعلى من الذي دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها ، حتى ينتهي السفل للطاق والمثل الأعلى إلى المركز في وسط الأرض السابعة ، ولا كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين ، كما قال تعالى : (ثم رددناه أسفل سافلين : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (٤)) .

(١) تفسير الطبري : ٩٠/٢٥ .

(٢) انظر الحديث في مسند الإمام أحمد : ٧٨٧/٤ - ٧٨٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٩١/٢٥ .

(٤) سورة التين ، آية ٥ .

وقال هانئا : (كلا إن كتاب التجار لى سجين . وما أدراك ما سجين) ، وهو يجمع الضيق والسفر ، كما قال :
(وإذا أقروا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثورا) (١) .

وقوله : (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله ، (وما أدراك ما سجين) ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أى : مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد ، قاله محمد بن كعب القرظي .

ثم قال : (ويل يومئذ للمكذبين) ، أى : إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجين والعذاب المهين ، وقد تقدم الكلام على قوله (ويل) (٢) ، بما أغنى عن إعادته ، وأن المراد من ذلك الملك والعمار ، كما يقال : ويل لفلان . وكما جاء في المسند والسنن من رواية جيز بن حكيم بن معاوية بن حشمة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك الناس ، ويل له ، ويل له » (٣) .

ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين التجار الكفرة : (الذين يكنون بيوم الدين) ، أى : لا يصدقون بوفوعه ، ولا يصدقون كونه ويستعملون أمره . قال الله تعالى : (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) ، أى : معتد في أفعاله ، من تعاطى الحرام والمجازفة في تناول المباح والأثيم في أقواله : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله : (إذا نزل عليه أنزلنا قال أساطير الأولين) ، أى : إذا سمع كلام الله من الرسول ، يكذب به ، وينظر به ظن السوء ، فيعتقد أنه متضل مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالى : (وإذا قيل لم : ماذا أتول ربكم ؟ قالوا : أساطير الأولين) (٤) . وقال : (وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) (٥) . قال الله تعالى : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ، أى : ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله وحيه وتزييله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الريب الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، ولهذا قال تعالى : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . والذين يصرى قلوب الكافرين ، والذين للأبرار ، والذين للمقرئين .

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه . من طرق ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا أذن ذنبا كانت نكته سوداء في قلبه ، فان تاب منها مسيل (٦) قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » .

وقال الترمذي : « حسن صحيح (٧) » . ولفظ النسائي : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكبت في قلبه نكته ، فان

(١) سورة الفرقان ، آية : ١٣ .

(٢) انظر تفسير سورة البقرة ، الآية التاسعة والسبعين ١٦٨/١ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٥/٦٠ - ٧٠ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الكلاب » .

(٤) سورة النمل ، آية : ٢٤ .

(٥) سورة الفرقان ، آية : ٥ .

(٦) أى : جل ، يقال : صقله : جلده .

(٧) تحفة الأخرى ، تفسير سورة (ويل للمعتدين) : ٢٥٤/٩ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ذكر اللزوم » .

أطحيث : ٤٢٤٤ : ١٤١٨/٢ .

هو تَزَعَ واستغفر وتاب صُغِّل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى يملو قلبه ، فهو الران الذي قال الله : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

وقال أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى ، أخبرنا ابن حبان ، عن التميمي بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صُغِّل قلبه ، فإن زاد زادت حتى يملو قلبه ، وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (١) .

وقال الحسن البصري : هو اللثب على اللثب ، حتى يمسى القلب ، فيموت : وكذا قال جهم بن جبر وقاتدة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : (كلا ، لهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، أي : ثم يوم القيامة مَسَّرَ ونزل سجين ، ثم هم [يوم] القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم ومخالقتهم .

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي : هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه - عز وجل - يومئذ ؛ وهذا الذي قاله الإمام الشافعي - رحمه الله - في غاية الحسن ، وهو استدلال بفهم هذه الآية ، كما دل عليه منطوق قوله : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة (٢)) . وكما دللت على ذلك الأحاديث الصحاح للتراث في رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - في النار الآخرة . ورؤية بالأبصار في حُرُصَاتِ الْقِيَامَةِ ، وفي روضات الجنات الآخرة ؛ وقد قال ابن جرير [محمد بن (٣) علو الرازي] : حدثنا أبو معمر المُنَقَّرِي ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد ، عن الحسن بن قولة : (كلا ، لهم عن ربهم يومئذ محجوبون) ، قال : يكشف الحجاب ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون . كُلُّ يوم غدوة وعشية - أو كلاما هذا معناه (٤) .

قوله : (ثم لهم لصالوا الجحيم) ، أي : ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ، (ثم يقال : هذا الذي كنتم به تكذبون) ، أي : يقال ثم [فذلك] على وجه التقرير والتوبيخ ، والتصغير والتحقير ؛

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ۝ يُسَبِّحُ بِهِ الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرْدَاكِ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقِهِمْ خَمْرٌ ۝ خَمْرٌ مِثْلُ الْقَيْنَاتِ ۝ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَبِّسُونَ ۝ وَمَرَجِعُكَ إِلَيْنَا عَيْنًا ۝ يَرْجِعُهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝

يقول تعالى : حقا (إن كتاب الأبرار) ، وهم بخلاف الصغار ، (في عِلِّيِّينَ) . أي : مصيرهم إلى عليين ، وهو بخلاف سجينين .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٩٧/٢ .

(٢) سورة القيامة ، آية : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) ما بين القوسين من تفسير الطبري .

(٤) تفسير الطبري : ٦٤/٣٠ ، وقد وقع في تفسير الطبري مقطع نظره .

قال الأعمش ، عن هجر بن عطية ، عن هلال بن يساف قال : سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن سجين ، قال : هي الأرض السابعة ، وفيها أرواح الكفار . وسأله عن عليين فقال : هي السياء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين . ومكنا قال غير واحد : إنها السياء السابعة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (كلا ، إن كتاب الأبرار لفي عليين) ، يعني : الجنة .

وفي رواية العوفي : عنه : أعلم في السياء عند الله . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : عليون : ساق العرش اليماني . وقال غيره : عليون عند سلوة المنتهى .

والظاهر : أن عليين مأخوذ ، من العلو ، وكذا علا الشيء وارتفع عظم واتسع ، ولهذا قال معطياً أمره ومفتحاً شأنه : (وما أمركم ما عليون) ، ثم قال مؤكداً لما كتب لهم : (كتاب مرقوم . يشهده القربون) ، وهم الملائكة ، قاله قتادة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : يشهده من كل مياه مقربوها (١) .

ثم قال تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم) ، أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم ، وجنات فيها فضل حميم . (على الأراك) ، وهي : السرر تحت الحبيبات ، (ينظرون) ، قيل : معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد . وقيل : معناه (على الأراك ينظرون) إلى الله عز وجل . وهذا مقابلة لما وصفت به أولئك الصغار : (كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سمرهم وفرشهم ، كما تقدم في حديث ابن عمر : (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين) (٢) .

وقوله : (تعرف في وجوههم نورة النعيم) ، أي : تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نورة النعيم ، أي : صفة الترافة والحشمة والسرور واللذة والرياسة ، مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله : (يسقون من رحيق غنوم) ، أي : يسقون من خر من الجنة . والرحيق : من أمياه الخمر . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقاتدة ، وابن زيد .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن سعد أبي المجاهد الطائي ، عن عطية بن سعد العوفي ، عن أبي أبي سعيد الخدري - أراه قد رفته إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال : «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربةً حلّ طعمها ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق اشتقوه . وأيما مؤمن أطعم مؤمناً حلّ جوعه ، أطعمه الله من ثمار الجنة . وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً حلّ حرّى كساه الله من خضر الجنة (٣)» .

وقال ابن مسعود في قوله : (ختامه مسك) ، أي : خطمه مسك .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ، فحُثِمَ بمسك . وكذا قال قتادة والضحاك .

(١) تفسير الطبري : ٦٦/٣٠ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير آية القيامة : ٧٢ - ٧٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٢/٣ - ١٤ .

وقال إبراهيم والحسن : (ختامه مسك) ، أى : عاقبه مسك .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي الررداء : (خضاه مسك) ، قال : شرب أبيض مثل القصة ، يضمنون به شرابهم : ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبح فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها (١) .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (ختامه مسلک) ، قال : طیبہ مسلک ،

وقوله : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ، أي : وفي مثل هذا الحال فليتنازع المتنازعون ، وليتبايى ويكافئ ويستبق إلى مثله المستبقون . كقوله : (لئلا هذا فليعمل العاملون) :

وقوله : (ومزاجه من تسنم) ، أى : ومزاج هذا الرقيق الموصوف من تسنم ، أى : من شراب يقال له تسنم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعله . قاله أبو صالح والضحك . ولهذا قال : (حينا يشرب بها المقربون) ، أى : يشربها المقربون صيرفاً ، وتَمَزَّجُ لأصحاب الجن [مزجاً] . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وقادة ، وغيرهم .

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا مَرَأُوا بِهُمْ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ
أَعْيُنِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ
﴿٦٢﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٦٣﴾ عَلَى الْأَرَابِكِ يُظَلُّونَ ﴿٦٤﴾ هِيَ أَرْبَابُكُمُ الَّذِينَ
كَانُوا يَغْلِبُونَ ﴿٦٥﴾

يُضِر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أي: يستهزون بهم ويغترونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتفاخرون عليهم، أي: يحضرون لهم، (وإذا اتقلبا إلى أهلهم اتقلبا فاكهين؟) ، أي: إذا اتقلبا، أي: رجع هؤلاء للمجرمين إلى منازلهم، اتقلبا إليهما فاكهين، أي: مهما طليوا وجسوا، ومع هلا ماشكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحضرونهم ويحسدونهم، (وإذا رأوهم قالوا: إن هؤلاء لضالون) ، أي: لكونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: (وما أرسلوا عليهم حافظين) ، أي: وما بث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يمسكهم من أعمالهم وأقوالهم، ولا كفوا بهم؟ فلم يشتغلوا بهم وجعلهم نصب أعينهم، كما قال تعالى: (قال: استصوا فيها ولا تكلّموا. إنه كان فريق من عبادي يقولون: ربنا: آتنا فاكرا ثم وارحمنا وأنت خير الراحمين، فاتخذوهم غفيرا حتى أنسوك ذكرى، وكنتم منهم تفسحون. إلى جزئهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) (٢) ،

(١) تنمير الطيرى : ٦٨٪٣٠ .

(٢) كلما في غطوة الأزهر (فاكهن) بالآلف . وهي قرارة الجهور : انظر/ البحر المحيط : ٤٤٣/٨ .

(٣) سورة المؤمنون، آيات : ١٠٨ - ١١١ .

ولمّا قال هاتما : (فاليوم) يعنى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ، أى : فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك ،
(حلّ الأرائك ينظرون) ، أى : إلى الله - عز وجل - فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا بصالين ، بل هم
من أولياء الله القربين ، ينظرون إلى ربهم فى حلّ كرامته :

وقوله : (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) ، أى : هل جوزى الكفار حلّ ما كانوا يقابلون به للمؤمنين من
الاستهزاء والتقصّص أم لا ؟ يعنى : قد جوزوا لوفاء الجزاء وآتاه وأكمّله .

آخر المعلقين

تفسير سورة الانشقاق وهي مكية

قال مالك ، عن عبد الله بن يزيد ، عن أبي سلمة : أن أبا هريرة قرأهم : (إذا السماء انشقت) ، لسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سجد فيها . رواه مسلم والنسائي ، عن طريق مالك ، به (١) . وقال البخاري : حدثنا أبو الثمان ، حدثنا معمر ، عن أبيه ، عن بكر ، عن أبي رافع قال : صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : (إذا السماء انشقت) ، فسجد ، قلت له ، قال سجدت خلف أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - فلا أزال لسجد بها حتى أتاه (٢) .

ورواه أيضا عن مسدد ، عن معمر ، به : ثم رواه عن مسدد ، عن يزيد بن زريع ، عن القيس ، عن بكر عن أبي رافع ، فذكره (٣) . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن طريق ، عن سليمان بن طرخان القيسي ، به . وقد روى مسلم وأهل السنن من حديث سليمان بن حبيب - زاد النسائي - وسفيان الثوري - كلاما عن أيوب بن موسى ، عن عطاء بن ميثم ، عن أبي هريرة قال : سجدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في (إذا السماء انشقت) ، و (اقرأ باسم ربك الذي خلق (٤) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَّتْ ⑤ بَنَّاهَا الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَلْهًا قَلْبُهُ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَتَبَهُ
يَمِينُهُ ⑦ فَسَوْفَ يَحْصِبُ حَصَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَتَبَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَى سَعِيرًا ⑫ إِنْ تَرَىٰ لَهُمْ لَهْفًا فَهُمْ لَعَنًا ⑬
لَنْ يُجِيرَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮

يقول تعالى : (إذا السماء انشقت) ، وذلك يوم القيامة ، (وألقت لربها وأطاعت أمره) أي : استجبت لربها وأطاعت أمره . فلما أمرها به من الانشقاق (وحقت) ، أي : وحق لها أن تلجج أمره ، لأنه العظيم الذي لا يمتنع ولا يتألم ، بل قد ظهر كل شيء وذلك له كل شيء .

-
- (١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « سجود الثلاثة » : ٨٨/٢ - ٨٩ . والنسائي ، كتاب الاعتكاف ، باب « سجدة » في (إذا السماء انشقت) : ١٦١/٢ .
(٢) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « الجهر في الشهادتين » : ١٩٤/١ .
(٣) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « القراءة في الشهادتين » : ١٩٤/١ .
(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « سجود الثلاثة » : ٨٩/٢ .

ثم قال : (وَإِذَا الْأَرْضُ مُلِتْ) ، أى : بسطت وفرشت ووسّت .

قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن حل بن الحسين : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إِنْ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ، فَأَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَدْعِي ، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَاللَّهُ مَا رَأَاهُ قَبْلَهَا ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ إِنِّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَى ؟ » فيقول الله عز وجل : صدق . ثم أشفع فأقول : يَا رَبِّ ، عبادك يهدوك في أطراف الْأَرْضِ : قال : وهو المقام المصمود (١) .

وقوله : (وَأَلْقَيْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) ، أى : ألقت ما في بطنها من الأموات ، وتخلَّتْ منهم . قاله مجاهد ، وسعيد ، وقاعدة : (وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ) كما تقدم .

وقوله : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا) ، أى : ساع إلى ربك سعيًا ، وعامل عملًا ، (فَلَتَاتِهِ) ، ثم إِنَّكَ سَتَلِي مَا مَلَئَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « : قَالَ جِبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، عَشَى مَا شِئْتَ فَاتَكَ مِيتٌ ، وَأَحْبَبُ مَا شِئْتَ فَاتَكَ مَفَارِقَةٌ ، وَأَحْسَلُ مَا شِئْتَ فَاتَكَ مَلَأَقِيَةٌ » .

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله (رَبِّكَ) ، أى : فلاق ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكاظمك على معيكت ، وحل هذا فكلا القولين متلزام .

قال العوفي ، عن ابن عباس : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا) ، يقول : تعمل عملاً تُلِي . [الله] به ، هبيرا كان أو شرا (٢) .

وقال قاعدة : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا) : إن كدحك - يا ابن آدم - لضعيف ، فمن استطاع أن يكون كدسه في طاعة الله فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : (فَأَمَّا مَنْ أَوَفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ بِحَسَابِ بَسِيرٍ) ، أى : سهلاً بلا تعسير ، أى : لا يحقق عليه جميع ذنائب أعماله ، فإن من حوسبه كذلك بهلك لا محالة .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « : مَنْ تَوَقَّشَ الْحَسَابَ حَلَبٍ » : قالت : قلت : أليس قال الله : (فَسَوْفَ يُحَاسِبُ بِحَسَابِ بَسِيرٍ) ؟ قال : « : لَيْسَ ذَاكَ بِالْحَسَابِ ، وَلَكِنْ ذَاكَ الْعَرْضُ » ، من توقش الحساب يوم القيامة جذب (٣) .

وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير ، عن حديث أيوب السخيتاني ، به (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو حاتم الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « : إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَعْلَبًا » . قلت : أليس الله

(١) تفسير الطبري : ٧٢/٣٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٢/٣٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٧/٦ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة (إِذَا الْقِيَامَةُ انْشَقَّتْ) : ٢٠٧/٦ - ٢٠٨ . ومسلم : كتاب الجنة ، باب (وَلَقَدْ أَتَيْنَا) .

١٦٤/٨ . ونسخة الأخواني تفسير سورة (إِذَا الْقِيَامَةُ انْشَقَّتْ) ، الحديث : ٣٣٩٤ - ٢٨٦/٩ . وتفسير الطبري : ٧٤/٣٠ .

يقول : (لسوف بحاسب حسابا يسيرا) ؟ . قال : « ذلك العرض ، إنه من ثوقش الحساب عُدَب » ، وقال بيده على إصبعه كأنه يتكثّر .

وقد رواه أيضا عن عمرو بن علي ، عن ابن أبي عمري ، عن أبي يونس التَّمَشُّري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة - فذكر الحديث (١) . أخرجاه من طريق أبي يونس التَّمَشُّري ، واسمه حاتم بن أبي صغيرة ، به (٢) .

قال ابن جرير : وحديثنا نصر بن علي الجهضمي ، حديثنا مسلم ، عن الحرث بن الخزيم عن أبي مليكة ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : من ثوقش الحساب - أو : من حوسب - عُدَب . قال : ثم قالت : إنما الحساب اليسرُ عرض على الله - عز وجل - وهو يرام (٣) .

وقال أحمد : حديثنا إسماعيل ، حديثنا محمد بن إسماعيل ، حديثي عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، عن [عباد بن عبد الله بن الزبير] ، عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في بعض صلواته : « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسر ؟ قال : « أن ينظر في كتابه فينجاوزه له عنه ، إنه من ثوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلكك (٤) » . صحيح على شرط مسلم .

وقوله تعالى : (وينقلب إلى أهله مسرورا) ، أي : ويرجع إلى أهله في الجنة . قاله قتادة ، والضمحك .

(مسرورا) ، أي : فرحان متبطلا بما أخطاه الله عز وجل .

وكذا روى الطبراني عن ثوبان - مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إنكم تعملون أعمالا لا تعرف ، ويوشك العارف (٥) أن يثوب إلى أهله ، فسروا ومكتوم .

وقوله : (وأما من أوتي كتابه وراه ظهره) ، أي : بشيئه من وراه ظهره ، تثنى يده إلى وراه ويصلي كتابه بها كذلك ، (فسوف يدعوا ثبورا) ، أي : خسارا وهلاكاً ، (ويصلي سعيها) . إنه كان في أهله مسرورا) ، أي : فرحاً لا يفكر في العواقب ، ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسر الجزل الطويل ، (إنه ظن أن لن يمحر) ، أي : كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يبعده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقاتدة ، وغيرهما . والحرور : هو الرجوع . قال الله : (يلي ، إن ربه كان به بصيرا) ، يعني : يلي سعيه الله كما بدأه ، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها ، فإنه كان به بصيرا ، أي : حلياً خبيراً .

(١) تفسير الطبري : ٧٤/٣٠ - ٧٥ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة (إذا الباء انشقت) : ٢٠٨/٦ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب : إثبات الحساب ، ١٦٤/٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٤/٣٠ .

(٤) مستدرك الإسلام أحمد : ٤٨/٦ .

(٥) كلما في غلظة الأثر ، وفي التلميذ السابقة : « ويوشك الثالب » .

فَلَا أَقِيمُ بِالْشَّفَقِ (١٦) وَالْأَيْلُ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَصَرْ إِذَا انْتَسَقَ (١٨) لَتَرَكِبُنَّ طَبَقًا
عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) بَلْ أَلْسِنَ
كَثُرُوا يَكْفُلُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَيَضْرِبُهُمُ يَمَازِيرٌ أَلَيْسَ (٢٤) إِلَّا أَلْسِنَ
عَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

رَوَى عَنْ عَلِيٍّ ، وَابْنِ حِمَاسٍ ، وَعِيَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَشَدَّادَ بْنِ أَوْسٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَعُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ
ابْنَ الْحُسَيْنِ ، [وَمَكْجُولٌ] ، وَبَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لِلزُّنَى ، وَبَكْرِ بْنِ الْأَشَجِّ ، وَمَالِكٍ ، وَابْنِ أَبِي ذَثِبٍ ، وَعَبْدَ الْعَزِيزِ
ابْنَ أَبِي سُلَيْمَةَ لِلجَّشُونَ أَنَّهُمْ قَالُوا : الشَّفَقُ : الْحُمْرَةُ ،

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ ، عَنْ ابْنِ لَبِيَّةٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : الشَّفَقُ الْبَيَاضُ ،
قَالَتُ الشَّفَقُ هُوَ حُمْرَةُ الْأَقْصَى إِذَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ — كَمَا قَالَه جَاهِدٌ — وَإِذَا بَعْدَ غُرُوبِهَا — كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ هُنَا
أَهْلُ الْقَلْبَةِ ،
قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : الشَّفَقُ : الْحُمْرَةُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الْمَشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِذَا ذَهَبَ قِيلَ : غَابَ (١) !
الشَّفَقُ .

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الشَّفَقُ : بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحُمُرُهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَمَةِ .
وَكُنَّا قَالُوكُمْ : الشَّفَقُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْمَشَاءِ .
وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ : « وَاقْتُبِ الْمَغْرِبَ مَا لَمْ يَغِبِ
الشَّفَقُ (٢) » .

فَفِي هَذَا كَلِمَةٌ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّفَقَ هُوَ كَمَا قَالَه الْجَوْهَرِيُّ وَالْخَلِيلُ . وَلَكِنْ صَحَّحَ عَنْ جَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ :
(فَلَا أَقِيمُ بِالْشَّفَقِ) : هُوَ التَّهَارُ كُلُّهُ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : الشَّفَقُ الشَّمْسُ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .
وَأَمَّا حَمَلُهُ عَلَى هَذَا قَرْنَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ) ، أَيْ : جَمْعٌ . كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِالْفُضْيَاءِ وَالظَّلَامِ .
وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : أَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّهَارِ مَدِيرًا ، وَبِاللَّيْلِ مُقْبِلًا . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَقَالَ آخَرُونَ : الشَّفَقُ اسْمُ الْحُمْرَةِ
وَالْبَيَاضِ . وَقَالُوا : هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ (٣) .
. قَالَ ابْنُ حِمَاسٍ ، وَجَاهِدٌ ، وَالْحُسَيْنُ ، وَتَقَاتَةُ : (وَمَا وَسَقَ) : وَمَا جَمَعَ — قَالَ تَقَاتَةُ : وَمَا جَمَعَ مِنْ نَيْمٍ وَدَابَّةٍ .
وَاسْتَشْهَدَ ابْنُ حِمَاسٍ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ (٤) :

مُسْتَوْصَفَاتٌ لَوْ تَجِدْنَ سَأَلْنَا .

-
- (١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « ذَهَبَ الشَّفَقُ » . وَالْمُنْتَخَبُ مِنَ الطَّبَاعَاتِ السَّابِقَةِ ، وَالسَّانِ الرَّبِيعِ ، مَادَّةٌ : شَفَقٌ .
(٢) وَقَدْ لَنَا الْخَبَرُ فِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ : ٢١٠/٢ ، ٢٢٣ .
(٣) تَقْسِيمُ اللَّيْلِ : ٧٦/٣٠ .
(٤) قَسَمَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَجَالِ ، أَنْظَرَ السَّانَ ، مَادَّةٌ : وَسَقَ . وَأَنْظَرَ الرَّجُلُ أَيْضًا فِي جَهَازِ التَّرْكَانِ لِأَبِي حَبِيَّةَ : ٢٩١/٢ .
وَتَقْسِيمُ اللَّيْلِ : ٧٦/٣٠ — ٧٧ .
(٥) الْخَبَرُ ، تَقْسِيمُ سُورَةِ (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) : ٢٠٨/٦ .

قد قال عكرمة : (والليل وما وسق) ، يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه ؛
وقوله : (والصبر إذا اتسق) - قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوى . وكلنا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير
ومسروق ، وأبو صالح ، والضحاك ، وابن زيد .

(والصبر إذا اتسق) : إذا استوى . وقال الحسن : إذا اجتمع ، إذا امتلأ . وقال قتادة : إذا استلزم .

ومعنى كلامهم : أنه إذا تكامل نوره وأبهر ، جعله مقابلاً لليل وما وسق .

وقوله : (لتركن طبقاً عن طبق) - قال البخاري : أخبرنا سعيد بن أنس ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ،
عن مجاهد قال : قال ابن عباس : (لتركن طبقاً عن طبق) : حالاً بعد حال - قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) ؛
هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فيكون قوله « نبيكم » مرفوعاً على القائلين « قال » وهو
الأظهر ، والله أعلم ، كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد : أن ابن عباس كان
يقول : (لتركن طبقاً عن طبق) ، قال : يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم ، يقول : حالاً بعد حال . هذا لفظه (٢) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (طبقاً عن طبق) : حالاً بعد حال . وكلنا قال عكرمة ومروءة الطيب ،
ومجاهد ، والحسن ، والضحاك .

ومحتمل أن يكون المراد : (لتركن طبقاً عن طبق) : حالاً بعد حال . قال : هذا (٣) ؛ يعني المراد بهذا نبيكم
- صلى الله عليه وسلم - فيكون مرفوعاً على أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبراً . والله أعلم ، ولعل هذا قد يكون
هو المتبادر إلى كثير من الرواة ، كما قال أبو داود الطيالسي وغيره : حدثنا شعبه ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : (لتركن طبقاً عن طبق) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعامة أهل مكة والكوكة : (لتركنَين) بفتح
الراء والياء (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي : (لتركنَ طبقاً عن
طبق) ، قال : لتركنَ يا محمد مياه بعد مياه . وهكذا روى عن ابن مسعود ، ومسروق ، وأبي العالية (طبقاً
عن طبق) : مياه بعد مياه (٥) .

قلت : يمتحن ليلة الإصرار ؟

(١) البخاري ، كتاب الفتن ، باب « لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه » ٦١/٩ - ٦٢ ، وتحفة الأحاديث ، أبو الربيع
الفتن ، باب « ما جاء في أشراط الساعة » ، الحديث ٢٣٣٢ : ٤٤٩/٦ - ٤٥٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٨/٣٠ .

(٣) جازا تفسير ثاب السديت الذي رواه البخاري عن ابن عباس .

(٤) انظر كتاب السبعة لابن مجاهد : ٦٧٧ .

(٥) تفسير الطبري : ٧٨/٣٠ .

وقال أبو إسحاق ، والسدى ، عن رجل ، عن ابن عباس : (طبقا عن طبق) : متزلا على منزل ، وكلنا رواه العوفي ، عن ابن عباس مثله — وزاد : ويقال : أمرا بعد أمر ، وحالا بعد حال (١) .
وقال السدى نفسه : (لركن طبقا عن طبق) : أعمال من قبلكم متزلا بعد منزل .

قلت : كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : « لركن سنن من كان قبلكم ، حذو القعدة بالقعدة ، حتى لو دخلوا بجرح ضرب لخطموه » قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فن ؟ (٢) » . وهذا محتمل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صلة ، حدثنا ابن جابر : أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله : (لركن طبقا عن طبق) ، قال : في كل عشرين سنة ، عهدون أمراً لم تكونوا عليه .

وقال الأعمش : حدثني إبراهيم قال : قال عبد الله : (لركن طبقا عن طبق) ، قال : السماء تشق في نحر ، ثم تكون لونا بعد لون .

وقال الثوري ، عن قيس بن وهب ، عن مرة ، عن ابن مسعود : (طبقا عن طبق) ، قال : السماء مرة كالبعان ، ومرة تشق (٣) .

وروى البزار من طريق جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود : (لركن طبقا عن طبق) ، يا محمد ، يعني حالا بعد حال ، ثم قال : ورواه جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وقال سعيد بن جبير : (لركن طبقا عن طبق) ، قال : قوم كانوا في الدنيا يخسب أمرهم ، فارتفعوا في الآخرة .
وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا ، فانقصوا في الآخرة .

وقال حكرمة : (طبقا عن طبق) : حالا بعد حال ، فطبا بعد ما كانوا قريبا ، وشيخا بعد ما كانوا شابا .

وقال الحسن البصري : (طبقا عن طبق) ، يقول : حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وفقى بعد فقر ، وفقرا بعد وفقى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عبد الله بن زاهر : حدثني أبي ، عن عمرو بن مخر ، عن جابر — هو الجعفي — عن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « إن ابن آدم لثلاثة مما يحكى له ، إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيدا .
ثم يرفع ذلك الملك ويضع الله إليه ملكا فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرفع ذلك الملك . ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسنه وسيناه ، فإذا حضره الموت لوضع ذلك المكان ، وجاءه ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره ردت الروح في جسده . ثم يرفع ملك الموت وجاءه ، ملكا التبر فامتحنه . ثم يرفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات

(١) تفسير الطبري : ٧٨/٢٠ .

(٢) تقدم الحديث منه تفسير الآية الرابعة والثلاثين من سورة يراة ، وخرجه مالك ، وشرحا شريه ، انظر : ٨٠/٤ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٩/٢٠ .

وَمَا كَانَ الْبَيْتُ ، قَائِمًا كَمَا مَعُونَا فِي عَقْدِهِ ، ثُمَّ حَضَرَ مَعَهُ : وَاحِدٌ سَافِقًا وَأَكْثَرُ شَيْدًا ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ هُوَ وَجِلٌ ۖ
(قَدْ كُنْتُ فِي غِلْظَةٍ مِنْ هَذَا) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَوْ كُنَّ بَيْتَانِ مِنْ طَبَقٍ) . قَالَ ۖ هَلَا يَمُدُّ
حَالَهُ . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ تَعْدِيَكُمْ لَأَمْرًا عَظِيمًا لَا تَعْدُوهُ ، فَاسْتَعِينُوا بِأَهْلِ الْعِلْمِ) ۖ
هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ ، وَإِسْنَادُهُ فِيهِ ضَعْفٌ ، وَلَكِنْ مَتَاهُ صَحِيحٌ ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْلَمُ .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من الترهل والمفسرين : والصواب من الأقوال قول من قال (تَوَكَّبَنَ) أنت - يا محمد - حالا بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشكك . والمراد بذلك - وإن كان (تخلطاب) [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَوْجِبًا - جميع (٢) الناس ، وأهم يلتقون من شدائد يوم القيامة وأهولة أحوالها (٣) ، وقوله : (فألم لا يَرْمُونُ) ، وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) ، أي : فلماذا ينتمون من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ وما لم يَرْمُوا فَرَسَتْ عليهم آيات الرحمن وكلامه - وهو هذا القرآن - لا يسجدون إعظاما وإكراما واحتراما . ٩ .

وقوله : (بل الذين كفروا يكتبون) ، أى : من سجنهم التكذيب والمتاد والمخافة الحق ،

(والله أعلم بما يوعون) - قال مجاهد وقناة : يكتمون في صدورهم (٢) :

(فبشرهم بعذاب أليم) ، أى : فأخبرهم — يا محمد — بأن الله — عز وجل — قد أعد لهم عذاباً أليماً ،

وقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) : هذا استثناء منقطع ، يعني لكن الذين آمنوا - أي : بقولهم - وعملوا الصالحات يحولونهم ، (لم أجبر) ، أي : في النار الأخرى .

(غير ممنون) - قال ابن عباس : غير متوص . وقال مجاهد ، والضحاك : غير محسوب .

وحاصل قولها أنه غير مقطوع ، كما قال تعالى : (عطاء غير محمود) ، وقال السدي : قال بعضهم : (غير محمود) : غير مقصوص . وقال بعضهم : (غير محمود) عليهم .

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ، فإن الله عز وجل له اللثة على أهل الجنة في كل حال وإن دخلوا ، وإنما دخلوا بفضل روحه لا بأعلم ، لله عليهم اللثة دائماً سرمداً ، والحمد لله وحده أبداً ، ولعلنا يلهمون تسبيحه ونحميده كما يلهمون النفس : (وأكثر دعوىهم : أن الحمد لله رب العالمين (هـ))

آخر تفسير سورة الانشاق ، وله الحمد

- (١) ما بين التوسين عن تفسير الطبري .
- (٢) كلمة « جميع » خير لقوله : « والمراد بذلك » .
- (٣) تفسير الطبري : ٢٠ / ٨٠ .
- (٤) سورة هود : آية : ١٠٨ .
- (٥) سورة يونس : آية : ١٠ .

تفسير سورة البروج وهي مكية

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا زَيْدُ بْنُ أَبِي سَلَمَى حدثنا أَبُو الْمُهَزَّم ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْمَشَاءِ الْآخِرَةِ بِالسَّيِّئَاتِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْمَشَاءِ وَالطَّارِقِ (١) .
وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد (٢) - مولى بَنِي هَاشِمٍ - حدثنا حماد بن عباد السدوسي ، سمعت أبا المُهَزَّم يحدث عن أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ أَنْ يَقْرَأَ بِالسَّمَوَاتِ فِي الْمَشَاءِ (٣) . فَرَدَّ بِهِ أَحْمَدُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ② وَشَاهِدٍ وَشَهِيدٍ ③ قَبِيلٍ أَعْتَبُ الْأَخْدُودِ ④
النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ⑨ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑩
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعْمَةٍ ⑪ وَالْمُؤْمِنِينَ ⑫ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمٌ لَمْ يَنْبُؤُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمِ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيبِ ⑬

يقسم تعالى بالسَّيِّئَاتِ وِبروجها ، وهي : النجوم العظام . كما تقدم بيان ذلك في قوله : (تبارك الذي جعل في السَّيِّئَاتِ بروجاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً (٤)) .

قال ابن عباس ، وجماد ، والضحك ، والحسن ، وقاعدة ، والسدى : البروج : النجوم : وعن جماعة أيضاً : البروج التي فيها الحرم .

وقال يحيى بن رافع (٥) : البروج : قصور في السَّيِّئَاتِ . وقال للنهال بن عمرو : (والسَّيِّئَاتِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) : الخلق الحسن .

وانظر ابن جرير أنها : منازل الشمس والقمر ، وهي اثنا عشر برجاً ، تسير الشمس في كل واحد منها شهراً ، ويسير القمر في كل واحد يومين وثلاثة ، فذلك ثمانمائة وعشرون منزلة ، ويستمر ليكن (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٢٧/٢ - ٣٢٧ .

(٢) في المسند : « حدثنا سعيد » . والروايات أبو سعيد ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد النصرى ، انظر التلخيص : ٢٠٩/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٢٧/٢ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٦١ .

(٥) هو أبو حمزة الثعالبى . روى عن عثمان بن عفان ، وأبي هريرة . زوى عنه إسماعيل بن أبي عاصم . انظر الجرح والتعديل لابن أبي خاتم : ١٤٣/٢٤٤ .

(٦) انظر تفسير الطبري : ٨١/٣٢٠ .

وقوله (واليوم للوعد وشاهد مشهود) : اختلف المفسرون في ذلك ، وقد قال ابن جرير حاتم :

حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي ، حدثنا عبيد الله - يعني ابن موسى - حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أبيه ابن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليوم للوعد) يوم القيامة ، (وشاهد) يوم الجمعة . وما طلعت خمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ، ولا يستعذ فيها من شر إلا أعانته ، (ومشهود) يوم حرفة .

وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة (١) من طرق عن موسى بن عبيدة الرلي - وهو ضعيف الحديث - وقد روى موقفا (٢) على أبي هريرة ، وهو أشبه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد ويونس بن حبيب عن عمار بن مولى بني هاشم - عن أبي هريرة - أما علي فرفضه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما يونس فلم يحدّ أباهرية - أنه قال في هذه الآية : (وشاهد ومشهود) ، قال : يعني الشاهد يوم الجمعة ، ويوم مشهود يوم القيامة (٣) .

وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمار مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة وأنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) ، قال : للشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم حرفة ، والوعد يوم القيامة (٤) .

وقد روى عن أبي هريرة أنه قال : اليوم للوعد يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقاعة ، وابن زيد . ولم أرى يختلفون في ذلك وقد الحمد .

ثم (٥) قال ابن جرير : حدثنا محمد بن حوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثنا قيسم ابن زُرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اليوم للوعد يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم حرفة ، ويوم الجمعة ذخره (٦) الله لنا (٧) » .

ثم قال ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازي ، حدثنا ابن أبي قتيبة ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو الشاهد ، والمشهود يوم حرفة (٨) » .

(١) في المخطوطة : « ابن حزم » . والكتب عن البيانات السابقة .

(٢) في المخطوطة : « روى مرفوعا » . والكتب أيضا عن البيانات السابقة .

(٣) كلها ، واللفظ المست ٢٩٨/٢ : « قال : يعني الشاهد يوم حرفة ، والوعد يوم القيامة » .

(٤) سنة الإمام أحمد : ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

(٥) هذا الحديث ساقط من مخطوطة الأزهر .

(٦) كلاني في البيانات السابقة . وفي تفسير الطبري : « خيرة الله لنا » .

(٧) تفسير الطبري : ٨٢/٢٠ - ٨٣ .

(٨) تفسير الطبري : ٨٢/٢٠ .

وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير :
حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف المكي ، عن ابن عباس قال : الشاهد
هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١)) .
وحدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك قال : سألت رجل الحسن بن علي عن : (وشاهد ومشهود) ،
قال : سألت أحدا قبيلا ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم النسخ ويوم الجمعة . فقال : لا ، ولكن
الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم . ثم قرأ : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ،
والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١)) .
وهكذا قال الحسن البصري . وقال سفيان الثوري ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب : (ومشهود يوم
القيامة .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والضحك : الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة ،
ومن عكرمة أيضا : الشاهد محمد - صلى الله عليه وسلم - والمشهود يوم الجمعة .
[وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الشاهد الله ، والمشهود يوم القيامة (٢)] .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن أبي يحيى القنات ، عن
مجاهد ، عن ابن عباس : (وشاهد ومشهود) قال : الشاهد الإنسان . والمشهود يوم الجمعة . هكذا رواه ابن أبي حاتم .
وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن سفيان عن [ابن أبي] نجيح ، عن مجاهد ، عن
ابن عباس : (وشاهد ومشهود) ، الشاهد : يوم حرقه ، والمشهود يوم القيامة (٤) .

وبه عن سفيان - هو الثوري - عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم النسخ ، ويوم حرقه بنى الشاهد والمشهود .
قال ابن جرير : وقال آخرون : المشهود يوم الجمعة . ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني
حمى عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي حلال ، عن زيد بن أسلم ، عن حادة بن نسي ، عن
أبي بردة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذكروا على من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهد
للملائكة (٤) » .

وعن سعيد بن جبر : الشاهد الله ، وتلا (وكفى بالله شهيدا) ، والمشهود نحن . حكاه البغوي ، وقال : الأكثرون
على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم حرقه .

(١) تفسير الطبري : ٨٣/٣٠ .

(٢) هذا الآخر ساقط من نسخة الأثر .

(٣) في النسخة : « عن أبي يحيى القنات » . والمثبت من البيانات السابقة وتفسير الطبري .

(٤) تفسير الطبري : ٨٤/٣٠ .

وقوله : (قتل أصحاب الأخنود) ، أى : لمن أصحاب الأخنود ، وجمعه أثنديد ، وهى الحفرة فى الأرض . وهذا خبر عن قوم من الكفار عَسَدُوا إلى من عنتهم من المؤمنين بآفة - عز وجل - قهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحُفروا لهم فى الأرض أَسَدُوا وأَجْبُوا فيه نارا ، وأُعلوا لها وقودا يسمرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقتلهم فيها ، ولهذا قال تعالى : (قتل أصحاب الأخنود : النار ذات الوقود : إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) ، أى : مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين .

قال الله تعالى : (وما تقدموا منهم إلا أن يؤمنوا بآفة العزيز الحميد) ، أى : وما كان لهم عنتهم ذنب إلا إيمانهم بآفة العزيز الذى لا يضام من لأذنباته ، المتبع الحميد فى جميع أمثاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قَدَّرَ على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفى سبب ذلك على كثير من الناس .

ثم قال : (للذى له ملك السموات والأرض) ، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيها وما بينهما ، (والله على كل شيء شهيد) ، أى : لا ينيب عنه شيء فى جميع السموات والأرض ، ولا يخفى عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة ، من هم ؟ فمن على - رضى الله عنه - أنهم أهل فارس حيث أراد حلكتهم تحليل تروج الحارم ، فانتقم عليه حللهم ، فعد إلى حفر أَسَدُوا فحلف فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل الحارم إلى اليوم .

وعنه أنهم كانوا قوماً يالمن القتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار للمؤمنين ، فشدوا لهم الأثنديد ، وأُسرقتهم فيها .
وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة والحجم حيث شئى .

وقال العرقى ، عن ابن عباس : (قتل أصحاب الأخنود : النار ذات الوقود) ، قال : لئس من بنى إسرائيل ، شَدَدُوا أَسَدُوا فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ، ثم أُلْغُوا على ذلك الأخنود رجالا ولساء ، فُحِرُوا عليها ، وزعموا أنه داليك وأصحابه .

ومكنا قال الضحك بن مزاحم ، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى لیلی ، عن صُهَيْب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « كان [ملك] فيمن كان قبلكم ، وكان له سحر ، فلما كبر السحر قال الملك : إني قد كبرت سننى وحضر أجلى ، فادفع إلى غلاما لأعلمه السحر . فدفنغ إليه غلاما فكان يعلمه السحر ، وكان بين السحر [وبين] الملك راهب ، فألقى التلام على الراهب فسمع من كلامه ، فأصعبه نحوه وكلامه ، وكان إذا [أتى] (١) الساحر ضربه وقال : ما حبستك ؟ وإذا أتى أهله ضربه وقالوا : ما حبستك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك قل : حبسنى أهلى . وإذا أراد أهلك أن يضربك قل : حبسنى الساحر .

(١) فى الصلوة : « رأى الساحر » ، والمثبت من المستند .

قال : فبينما هو ذات يوم (١) إذ أتى على دابة فظيمة عظيمة ، قد حست الناس فلا يستطيعون أن يجزؤا ، فقال :
اليوم أحلم أمر الراهب أحب إلى [الله] أم أمر الساحر ؟ قال : فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك
ولرؤسى من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس . وروماها قتلها ، ومضى الناس . فأخبر الراهب بذلك ،
فقال : أي بُنَى ، أنت أفضل مني ، وإنك مستجلى ، فإن ابتليت فلا تدل على . فكان الغلام يُبرئ الأكمة والأبرص
وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان يجلس للملك فعسى ، فسمع به ، فأناه بهدايا كثيرة فقال : اشفى ولك ما هاتنا أجمع .
فقال : ما أنا أشقى أحدا ، إنما يشفى الله عز وجل ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك . فآمن فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملك
فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان ، من ردّ عليك بصرك ؟ فقال : ربى ؟ فقال : أنا ؟ قال : لا ،
ربى وربك الله . قال : ولك رب غيرى ؟ قال : نعم ، ربى وربك الله . فلم يزل يعليه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه
فقال : أي بُنَى ، بلغ من معرك أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الأدواء ؟ قال : ما أشقى أنا أحدا ، إنما يشفى الله
عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله . فأعطاه أيضا بالمذاب ، فلم يزل به
حتى دل على الراهب ، فأتى بالراهب فقال : أرجع عن دينك . فأبى ، فوضع للشارف في مفرق رأسه حتى وقع شقاء ،
وقال للأعمى : أرجع عن دينك . فأبى ، فوضع للشارف في مفرق رأسه حتى وقع شقاء إلى الأرض . وقال للغلام :
أرجع عن دينك . فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا ، وقال : إذا بلغت ذروته فإن رجع من دينه وإلا فخذلهوه (٢)
[من قوله (٣)] فذهبوا به ، فلما علوا به إلى الجبل قال : اللهم ، اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فذهبوا أجمعون ،
وجاء الغلام يطمس حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فبعث به مع نفر في قُرُوق (٤)
فقال : إذا لجستم به البحر فإن رجع من دينه وإلا فترقوه في البحر . فذهبوا به إلى البحر فقال الغلام : اللهم ، اكفنيهم
بما شئت . فترقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . ثم قال
للملك : إنك لست بمقاتل حتى تقبل ما أمرك به ، فإن أنت فعلت ما أمرك به فقتلى ، وإلا فأنك لا تستطيع قتل .
قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلي على جلع ، وتأخذ سهمًا من كتابي ثم قل : يا الله رب
الغلام ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلنى . ففعل ، ووضع السهم في كيد قوسه (٥) ثم رماه ، وقال : يا الله رب الغلام ،
فوقع السهم في صدره ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك :
أرايت ما كنت تعلم ؟ فقد - والله - نزل بك ، قد آمن الناس كلهم . فأمر بأفواه السكك فشدّت فيها الأخاديد ،
وأمرت فيها الثيران ، وقال : من رجع من دينه فدعوه وإلا فخذلهوه فيها . قال : فكانوا يتجادون فيها ويتنافسون
فجاءت امرأة يابن لها ترصه ، فكأنها تخافت أن تقع في النار ، فقال الصبي : اصبرى يا أماء ، فإنك على الحق (٦) ،

(١) لفظ المستد : « فبينما هو ذلك » إذ أتى ذات يوم حل . . .

(٢) أى : مسجوه .

(٣) ما بين القوسين من المستد .

(٤) القُرُوق - بضم القافين - : السفينة الصغيرة .

(٥) كيد القوس : متبشها عند الرمي .

(٦) مستد الإمام أحمد : ١٦٤٦ - ١٨ .

وهكذا رواه مسلم (١) في آخر الصحيح عن هُذَيْلِ بْنِ خَالِدٍ ، عن حماد بن سلمة [به نحوه] ورواه السائي عن أحمد بن سنان ، عن عфан ، عن حماد بن سلمة (٢) [ومن طريق حماد بن زيد ، كلاهما عن ثابت ، به واختصروا أوله . وقد جَوَّدَهُ الإمام أبو عيسى الترمذی ، فرواه في تفسيره سورة عن عمود بن غِيْلَانَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - [للمعنى واحد] - قالوا : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت البُنْثَرِيِّ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهَيْبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا صَلَّيَ الْعَصْرَ هَمَسَ - وَالْهَمْسُ فِي قَوْلِهِمْ (٣) : تَحْرِيكُ شَفْوَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ - قَبِيلُ لَهُ : [إِنَّكَ] - يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ ؟ قَالَ : وَ إِنْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَعْجَبَ (٤) بِأَمْتِهِ فَقَالَ : مَنْ يَقُومُ لِمَوْلَاهُ ؟ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ مَنْ بَيْنَ أَنْ تُنْتَمَ [مِنْهُمْ] ، وَبَيْنَ أَنْ أَسْلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ . فَأَعْتَرَوْهُ الشُّعْبَةُ ، فَسَلَطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ سَبْعِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْآخَرَ قَالَ : كَانَ مَكْلَكٌ مِنَ اللَّوْكَ ، وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَكْلَكِ كَاهِنٌ يَتَكَلَّمُ لَهُ ، قَالَ الْكَاهِنُ : أَنْظِرُوا لِي غُلَامًا قَبِيحًا - أَوْ قَالَ : فَطَنَّا لَنَفْسٍ (٥) - فَأَعْلَمْتُهُ عَلَى هَذَا .. فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بَيْنَهُمَا ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَعْنُدِ . الثَّارِ ذَاتَ الْوَقُودِ) حَتَّى يُلَاقَ (التَّوْبَةُ الْحَمِيدُ) : قَالَ : فَأَمَّا الْغُلَامُ فَلَمْ يَدْفَنْ [قَالَ] : فَلِذَلِكَ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَاصْبِهِ عَلَى صَدْرِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ . ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَحَسَنُ غَرِيبٍ (٦) .

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - قال شيخنا الحافظ أبو الهجاء الجزري : فيحتمل أن يكون من كلام صُهَيْبِ الرُّوَيْ ، فإنه كان عنده علم من أخبار التنصاري ، والله أعلم .

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر ، فيها مخالفة لما تقدم ، فقال :

حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي - وحدثني أيضاً بعض أهل نجران ، عن أهلها - : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأولاد ، وكان في قرية من قرى نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلات أهل نجران السحر ، فلما نزلوا قِيمُونَ (٧) - ولم يسموه بالاسم الذي سماه ابن منبه ، قالوا : رجل نزلنا - ابني (٨) خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون [غلاتهم] إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبث النامر ابنه عبد الله بن النامر مع غلات أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب

(١) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب « قصة أصحاب الأعنود والساحر والراحم والغلام » : ٢٢٩/٨ - ٢٣١ .

(٢) ما بين القوسين من الطبقات السابقة - وكان نيا : أحمد بن سنان ، عن عфан . والكتب من التهذيب ، ترجمة طائفة

ابن مسلم : ٢٤٠/٧ - ٢٣١ .

(٣) في المطبوعة : « بعض قولهم » . والكتب من الترمذی .

(٤) أصعب - بصيغة المثنى المسجول - [وإصغاه بأتم من جهة التثنية] .

(٥) انهم - يفتح فسكون - : سريع الفهم والقليل : الخلق . والحق : حسن الخلق لما يسمه .

(٦) تحفة الأسوذي ، تفسير سورة البروج ، الحديث ٣٣٩٨ - ٢٥٩/٩ - ٢٦٥ .

(٧) في سيرة ابن هشام : « فيمبون » .

(٨) في المطبوعة : « فابني » . والكتب من السيرة ، وهو المصواب .

التيمة أصحبه ما يرى من عباده وصلاته ، فجعل مجلس إليه ويسمع منه ، حتى أسلم فوجد الله وحده ، وجعل يسأله من شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكنهه إياه وقال له : يا ابن أنثى ، إنك لن تحمله ، أعشى ضيفك من : والثامر أبو عبد الله لا يقن إلا [أن] ابنه يخطف إلى الساحر كما يخطف الثعلب ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضطه فيه ، عمد إلى ألفاح فجسمها ، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كبه في قدح (١) ، وكل اسم في قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقلبها فيها قدحاً قدحاً ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم تلف فيها بعدد حبه ، فوثب القدح حتى يخرج منها لم يضره شيء ، فأخذته ثم أتى به صاحبه ، فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي كنهه فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أي ابن أنثى ، قد أسبته فأسك على نفسك ، وما أظن أن فعل .

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يأت أحداً به ضر إلا قال : يا عبد الله ، ألوحد الله وتلعل في ديني وأدعو الله لك فيما يملك ما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم . فيوجد الله ويسلم ، فيدعو الله له فيقتل ، حتى لم يبق ينجران أحد به ضر إلا أتاه ، فاتبعه على أمره ودعا له فمرو ، حتى رجع شانه إلى ملك نجران ، فدعا فقال له : أفلدت على أهل قريش ، وعالقت ديني وعين آبائي ، لا يمكن بك ذلك : قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض مابه بأس ، وجعل يبحث به إلى مياه نجران ، يسبحو لا يأتى فيها شيء إلا ملك ، فيأتى به فيها ، فيخرج ليس به بأس : فلما خليه قال له عبد الله بن الثامر : إنك - والله - لا تقدر على قتل حتى تؤحد الله فتؤمن بما آمنت به ، فذلك إن فعلت مكلت على قتلتي . قال : فوحد الله ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بصفا في يده فشق شجرة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر - وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم - عليه السلام - من الإنجيل وحكمه - ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أي ذلك كان .

قال : فسار إليهم ذو نواس بجنته ، فدعاهم إلى اليهودية ، وعيبرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتل ، فخذ الأعنود ، فمرو بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، فبى ذى نواس وجنداءزل الله - عز وجل - على رسوله - صلى الله عليه وسلم - (قتل أصحاب الأعنود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يظنون بالزمنين شهود) وما قتلوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد (٢) .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأعنود [هو] ذو نواس ، واسمه : زرعة ، ويسمى في زمان ملكه يوسف ، وهو ابن (٣) نيكان أسعد أبي كرب ، وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة ، واستصحب

(١) قتلح : لسم

(٢) سيرة ابن هشام : ٣٤١ - ٣٦٠

(٣) وقع في المخطوطة خطأ في نسب ذى نواس . واكتفى من جبهة أنساب العرب لابن حزم : ٤٢٨ .

معه حرين من يهود المدينة ، فكان تَهَوُّدُ من تَهَوَّدَ من أهل اليمن على يسبهما ، كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً ،
 قتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً ، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ،
 ذهب فارساً ، وطردوا وراعه فلم يُقدَّر عليه ، فذهب إلى قصر ملك الشام ، فكتب إلى التجاني ملك الحبشة ، فأرسل
 معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة ، فاستقلوا اليمن من أيدي اليهود ، وذهب ذو نواس هارباً فلتجج
 في البحر ، فغرق . واستمر ملكُ الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ، ثم استقله سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي
 النصارى ، لما استجاش بكسرى ملك الفرس ، فأرسل معه من في السجون ، وكانوا قريباً من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ،
 ورجع الملك إلى حمير . وسنذكر طرفاً من ذلك - إن شاء الله - في تفسير سورة : (لم تر كيف فعل ربك بأصحاب
 الفيل) .

وقال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أنه حدث : أن رجلاً من أهل نجران
 كان في زمان عمر بن الخطاب ، حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد الله بن التمار تحت دقن فيها
 لاعداً ، واضماً يده على ضرية في رأسه ، ممسكاً عليها يده ، فإذا انحلت (١) يده عنها تبعث (٢) دماً ، وإذا أرسلت
 يده ردت عليها ، فأسكت دمه ، وفي يده خاتم مكتوب فيه : ربّي الله . فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره ،
 فكتب عمر إليهم : أن أقرّوه على حاله ، وردّوا عليه (لقدقن) (٣) فالتى كان عليه . فعملوا (٤) .

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشمري ، حدثنا إبراهيم بن محمد
 ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، حدثني بعض أهل العلم : أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائلاً من حيطان
 للمدينة قد سقط ، فبناه فسقط ، ثم بناء فسقط ، فقليل له : إن تحت رجلاً صالحاً . فحضر الأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه
 سيف ، فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض ، تقمت على أصحاب الأخدود . فاستخرجه أبو موسى ، وبني الحائط ،
 فلبث .

قلت : هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاف بن عمرو الجرمي ، أحد ملوك جرم الذين ولوا أمر الكعبة
 بعد ولد نبث (٥) بن إسماعيل بن إبراهيم ، وكذلك الحارث هذا هو : عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرم
 بمكة ، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن ، وهو القاتل في شعره الذي قال ابن هشام (٦) إنه أول ملوك قالة العرب :

كأنه لم يكن بين الحجاجين إلى الصفا
 أنيس ، ولم يستمر بمكة ساهم
 بكي ، تحن كئناً أهلها قباذكا
 ضروف الأيل والجدود المواتر

(١) في سيرة ابن هشام : أغرت .

(٢) أي : تقبعت .

(٣) ما بين القوسين من سيرة ابن هشام .

(٤) سيرة ابن هشام : ٣٦١ - ٣٧ .

(٥) في المخطوطة : ثابت بن إسماعيل . والمثبت عن المعارف لابن خزيمة : ٣٤ .

(٦) سيرة ابن هشام : ١١٥/١ - ١١٦ .

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قدما بعد زمان إسماعيل - عليه السلام - بقرب من ٦٠٠ سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت في زمان الفترة التي بين عيسى وعهد - عليهما من الله السلام - وهو أشبه ، والله أعلم .

وقد حصل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرا ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخنود في اليمن زمان تبع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبيلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاختلوا أثوثا ، وأتى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد . وفي العراق في أرض بابل يختصر ، الذي وضع الصم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فانتفع حثايل وصباحه : حزرا وميثايل ، فأورد لم أثوثا وأتى فيه الخطب والنار ، ثم أظلم فيه ، فجعلها الله عليهما يرذا وسلاما ، وأظلمها منها ، وأتى فيها اللعين بنوا عليه وهم قسمة رهط ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط ، عن السدي في قوله : (قتل أصحاب الأخنود) ، قال : كانت الأخنود ثلاثة : حنك بالمرقي ، وشك بالشام ، وعبد باليمن . رواه ابن أبي حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الأخنود ثلاثة : ولحمة بنجران باليمن ، والأخرى بالشام ، والأخرى بفارس ، أما التي بالشام فهو أنطانيوس الروي ، وأما التي بفارس فهو يختصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس ، فأما التي بفارس والشام فلم يزل الله فيهم قرآنا ، وأُنزل في التي كانت بنجران .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن اللشكبي ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع - هو ابن أنس - في قوله : (قتل أصحاب الأخنود) ، قال : سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة ، فلأرأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحرابا ، (كل حزب بما لديهم فرحون) ، اعتزلوا إلى قرية سكنوها ، وأقاموا على عبادة الله (عَصَمِينَ لَهُ الَّذِينَ حَفَاء وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) ، وكان هلا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين ، وحَدَّثَ حَكِيمُهُمْ ، فأرسل إليهم فأمرهم أن يبدوا الأوْثَانِ التي ائْتَلُوا ، وأنهم أبرأ عليه كلهم وقالوا : لا نبد إلا الله وحده ، لا شريك له . قال لهم : إن لم تبدوا هذه الآلة التي عبدتُم فإني قاتلكم . فأبوا عليه ، فخذلوا أعدودا من نار ، وقال لهم الجبار : ورفقهم عليها - اختاروا هذه أو الذي نغن فيه . قالوا : هذه أحب إلينا . وفيهم نساء ذرية ، ففزعتهن للنرية ، فقالوا لهم : لا نار من بعد اليوم . ففزعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يحسب حشرها ، وعرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين ، فأخرجهم الله بها ، ففي ذلك أنزل الله عز وجل : (قتل أصحاب الأخنود . النار ذات الردود . إذ هم عليها قوم . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد .)

ورواه ابن جرير : حدثت عن حماد ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، به نحوه (١) ،

وقوله : (إِنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْمُؤْمِنَاتِ) ، أى : حرّكوا . قاله ابن عباس ، وعجابه ، وقنادة ، والنضجك ، وابن أبيزى .

(ثم لم يحويوا) ، أى : لم يلقوا عما فعلوا ، ويتعلوا على ما سلفوا .

(فلهم عذاب جهنم ، ولم عذاب الحريق) ، وذلك أن الجزء من جنس العمل — قال الحسن البصرى — انظروا إلى هذا الكرم والجود ، فطوا أوليائه وهو يحرم إلى التوبة والظفرة .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْنُا نَجْرًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُمْ هَوِيلٌ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ۝١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَنتَكَ حَيْثُ الْخُنُودُ ۝١٧ فَرَعَوْتَ وَتَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَأَنَّ مِنْ وَرَثَتِهِمْ مُجْسِمٌ ۝٢٠ بَلِ هُوَ قَرِيبٌ أَنْ يُجِيبَ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝٢٢

غير تعالى من عباده المؤمنين أن (لم جئات تجري من تحتها الأنهار) ، بخلاف ما أهد لأعدائه من الحريق والجحيم ، ولهذا قال : (ذلك الفوز الكبير) .

ثم قال : (إن بطش ربك لشديد) ، أى : إن بطشه وانقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره ، لشديد عظيم قوى ، فانه تعالى ذو القوة المتين ، الذى ما شاء كان كما يشاء فى مثل ملح البصر ، أو هو أقرب . ولهذا قال : (إنه هو يلىء ويعيد) ، أى : من قوته وقدرته التامة يلىء الخلق ثم يعيده كما يشاء ، بلا مناع ولا منافع ، (وهو الغفور الودود) ، أى : يفر ذنب من تاب إليه ويخفف لديه ، ولو كان الذنب من أى شيء كان .

والودود — قال ابن عباس وغيره — : هو الحبيب (ذو العرش) ، [أى : صاحب العرش] العظيم المالى على جميع الخلائق .

والمجيد : فيه قرءانان ، الرفع على أنه صفة الرب — عز وجل — والجبر على أنه صفة للعرش ، وكلاهما معنى صحيح .

(فعالم لما يريد) ، أى : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ، لظلمته وقهره وحكمته وعده ، كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له — وهو فى مرض الموت — : هل نظر إليك الطيب ؟ قال : نعم ؛ قالوا : ؟ فما قال لك ؟ قال : قال لي : إني فعالم لما أريد .

وقوله : (هل أأتاك حديث الجنود : فرعون وتمود) ، أى : هل بلغك ما لحق الله بهم من البأس ، وأُتزل عليهم من النعمة التى لم يردحها عنهم أحد ؟ .

وهذا تقرير لقوله : (إن بطش ربك لشديد) ، أي : إذا أخذ الظالم أخذه أعظا أبدا شديدا ، أخذ حوز مقتور .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطائفي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ : (هل أتاك حديث الجنود) ، فقام يسمع ، فقال : نعم ، قد جاعني .

وقوله : (بل الذين كفروا في تكذيب) ، أي : هم في شك وريب وكفر وعناد ، (والله من وراءهم بعيد) ، أي : هو قادر عليهم ، كاهر لا يقوته ولا يسجزونه ، (بل هو قرآن مجيد) ، أي : عظيم كريم ، (في لوح محفوظ) ، أي : هو في اللؤلؤ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتشريف والتبديل .

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا قرة بن سلبان ، حدثنا حرب بن سريج ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله : (بل هو قرآن مجيد) في لوح محفوظ) قال : إن اللوح المفوظ الذي ذكر الله : (بل هو قرآن مجيد) في لوح محفوظ) في جبهة إسرائيل (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن صالح : أن أبا الأحيس - هو عبد الرحمن ابن ستمكان قال : ما من شيء قضى الله - القرآن فاقبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المفوظ . واللوح المفوظ بين صفي إسرائيل ، لا يردن له بالنظر فيه .

وقال الحسن البصري : إن هذا القرآن للجيد عند الله في لوح محفوظ ، يتزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه . وقد روى البخاري عن طريق إسحاق بن بشر : أخبرني مقاتل وابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، قرن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله ، أدخله الجنة - قال : واللوح لوح من درة يضاء ، طولها ما بين السماء والأرض ، وعرضها ما بين المشرق والمغرب ، وحافتها النور والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه مكتوب بالعرش ، وأصله في حجر ملك .

قال مقاتل : اللوح المفوظ عن عرش العرش .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان [بن أبي شيبة] ، حدثنا متجانب بن الحارث ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الله خلق لوحا محفوظا من درة يضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يحق ويرزق ، ويعت ويحيى ، ويحز ويذل ، ويفعل ما يشاء) .

آخر تفسير «سورة البروج» والله الحمد .

تفسير سورة الطارق

وهي مكية

قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عمدة - قال : عبد الله وسمعت أنا منه - حدثنا مروان ابن معاوية الثوري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن العائني ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبيل العدواني ، عن أبيه : أنه أبصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مُشْرِقٍ ثَمِينٍ (١) وهو قائم على قوس - أو : عصى - حين أنام يبتغي عندهم النصر ، فسمته يقول : (والسياء والطارق) ، حتى ختمها - قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام - قال : فحدثني حنيفة فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ قرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبها ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لا تبعناه (٢) ۝

وقال النسائي : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعم ، عن مسعر ، عن محبوب بن دثار ، عن جابر قال : صلى معاذ المغرب ، قرأ البقرة والساء ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أفتان يا معاذ ؟ » ما كان يكتبك أن تقرأ بالساء والطارق ، وللشمس وضحاها ، ونحو هذا (٣) ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْأَسْمَاءُ وَالطَّارِقُ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّا وَدَّعَ ⑥ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ أُصْبُعَيْهِ الْأَتْرَافَ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ قُلْ لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا تُلْعَبُوا ⑩

يقسم تعالى بالساء وما جعل فيها من الكواكب النيرة . ولهذا قال : (والسياء والطارق) ، ثم قال : (وما أدراك ما الطارق) ، ثم فسره بقوله : (النجم الثاقب) .

(١) المشرق : موق ثقيف .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٣٥/٤ . وانظر ترجمة «خالد بن أبي جبيل» في أحد اللطائف : ٩١٧٢ - ٩١٢ ، وصحيفتنا .

(٣) أنظر التفسير : كتاب الاختصاص ، باب «القرآن في المغرب» (سبح اسم ربك الأعلى) : ١٦٨/٢ .

قال قتادة وغيره : إنما سمي النجم طاروقاً ، لأنه إذا يرى بالليل ويخفى بالنهار . ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح :
 متى أن يطرق الرجل أمه طروقاً (١) . أي : يأتيهم فجأة بالليل . وفي الحديث الآخر المشتغل على الدعاء : « إلا طاروقاً
 يطرق بجبر يا رحمن (٢) » .

وقوله : (التائب) - قال ابن عباس : المقصود . وقال السدي : يذهب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة :
 هو مضيء وعرق للشيطان .

وقوله : (إن كل نفس لا عليها حافظ) ، أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى
 (له معصيات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله (٣)) ... الآية .

وقوله : (فلينظر الإنسان مِمَ خلق) ؟ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف
 بالمعاد ، لأن من قدر على البقاء فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ،
 وهو أعمد عليه (٤)) .

وقوله : (خلق من ماء دافق) ، يعني للماء ، يخرج دقاً من الرجل ومن المرأة ، فيولد منهما الولد بإذن الله عز وجل
 ولهذا قال : (يخرج من بين الصلب والترائب) ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صبرها .

قال شيبه بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (يخرج من بين الصلب والترائب) : صلب الرجل وترائب
 المرأة ، أصغر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكلما قال سعيد بن جبّير ، وعكرمة ، وقاتدة والسدي ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس :
 (يخرج من بين الصلب والترائب) ، قال : هذه الترائب . ووضع يده على صدره .

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تربية المرأة موضع القلادة . وكلما قال عكرمة ، وسعيد بن جبّير .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الترائب : بين ثدييها .

وعن مجاهد : الترائب ما بين للثنتين إلى الصدر . وعنه أيضاً : الترائب أسفل من الرائي .

وقال سفيان الثوري : فرق الثنتين . وعن سعيد بن جبّير : الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل .

وعن الضحاك : الترائب بين الثنتين والرجلين واليمين .

(١) البخاري ، كتاب التكميل ، باب « لا يطرق أمه ليلاً إذا أمّال النية » ، خاتمة أن يترجمهم أريقتس حزام : ٥٠/٧ . ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب « كراهة الفروق - وهو المنعول ليلاً - من سفر » ، ٥٠/٦ - ٥١ .
 (٢) مسند الإمام أحمد من عهد الحسن بن حنبل : ٤١٩/٢ .
 (٣) سورة الرعد ، آية : ١١ .
 (٤) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

وقال النبي بن سعد ، عن معمر بن أبي حبيبة المني : أنه بلغه في قول الله عز وجل : (يخرج من بين الصلب والرايب) ، قال (١) : هو صخرة القلب ، من هناك يكون الولد (٢) .

وعن قتادة : (يخرج من بين الصلب والرايب) من بين صلبه ونحوه .

وقوله : (إنه على روجه لقادر) ، فيه قولان :

أحدهما : على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك : قاله مجاهد ، وعكرمة ، وغيرهما .

والقول الثاني : إنه على رجع هذا الإنسان الخلق من ماء دافق ، أي : إعادته ويهتد إلى النار الآخرة لقادر ، لأن من قدر على البلمة قدر على الإعادة .

وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الفسحك ، واختاره ابن جرير ، ولما قال : (يوم تلبى السرائر) ، أي : يوم القيامة تبلى فيه السرائر ، أي : تظهر وتبدو : وبين السر حلالية ولكون مشهورا . وقد ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « يرفع لكل خادر لواء عند سمته » يقال : هذه خدرة فلان بن فلان (٣) .

وقوله : (فإله) - أي : الإنسان يوم القيامة (من قوة) ، أي : في نفسه ، (ولا ناصر) ، أي : لا يخرج منه ، أي : لا يقدر على أن يتخذ نفسه من غلب الله ، ولا يستطيع له أحد ذلك .

وَالسَّمَاءُ ذَاتَ الرَّجْعِ ۚ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ ۚ إِنَّهُمْ لَفِي سَكَنٍ عَصِيدٍ ۚ
وَالْمَاءُ يَازُجْجٌ ۚ وَالنَّارُ يَاسْجَجٌ ۚ وَالْجِبَالُ كَالْعِهْدِ الْعَقِيدِ ۚ وَالْأَرْضُ كَالْعِهْدِ الْعَقِيدِ ۚ وَالْمَاءُ يَازُجْجٌ ۚ وَالنَّارُ يَاسْجَجٌ ۚ وَالْجِبَالُ كَالْعِهْدِ الْعَقِيدِ ۚ

قال ابن عباس : الرجع : للطر . وعنه : هو السحاب فيه للطر . وعنه : (والسماء ذات الرجع) ، تنطر ثم تنطر .

وقال قتادة : ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك فلكوا وهلكوا مو اللههم (٤) .

وقال ابن زيد : ترجع يجريها وجهها وقمرها ، يأتين من هاتنا .

(والأرض ذات الصدع) - قال ابن عباس : هو انصداعها عن الثبات . وكلما قال سعيد بن جببر ، وعكرمة ، وأبو مالك ، والفسحك ، واللسن ، وقاتة ، والسدي ، وغير واحد .

(١) ما بين القوسين المرفوعين ساقط من خطبة الأزهري وما أتبعته من الحجمات السابقة .

(٢) تفسير الطبري : ٩٢/٣٠ - ٩٣ .

(٣) البخاري ، كتاب البزاة ، باب « إثم النادر قبر وقفاجر » : ١٢٧/٤ . وكتاب الأدب ، باب « ما يلي الناس بأبصارهم » : ٥١/٨ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « تحريم القتل » : ١٤١/٥ - ١٤٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٥/٣٠ .

وقوله : (إنه لقول فصل) - قال ابن عباس : حتى . وكلنا قال فتادة .

وقال آخر : حكيم عدل .

(وما هو بالعدل) ، أى : بل هو حتى جد ،

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكدون به ويصدون من سيئه ، فقال : (إنهم يكدون كيلا) ، أى : يكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن .

ثم قال : (فهل الكافرين) ، أى : أنظروا ولا تستعجلوهم ، (أمهلهم وريلا) ، أى : قليلا . أى : وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والقوية والملاك ، كما قال : (نعتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ (١)) .

آخر تفسير «سورة الطارق» والله العبد

تفسير سورة سبح وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري : حدثنا عبيد بن أخضر بن أبي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلنا يقرآننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين . ثم جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولاء والصبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : (سبح اسم ربك الأعلى) في سورة مطها (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير بن أبي فاختة ، عن أبيه ، عن علي قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب هذه السورة : (سبح اسم ربك الأعلى) . فترد به أحمد (٢) .

وثبت في الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلاء : « هلا صليت سبح اسم ربك الأعلى » ، والشعبي وضحاها . والليل إذا يشئ (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن محمد بن المنذر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن الثعالب بن بشير : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ في العيدين : (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (هل أتاك حديث الفاشية) ، وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعا (٤) .

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناده لهذا الحديث . وقد رواه من لم - في صحيحه - وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث أبي حنيفة وجريرو وشعبة ، ثلاثهم عن [إبراهيم بن] محمد بن المنذر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن الثعالب بن بشير ، به . قال الترمذي : « وكلنا رواه الثوري ومسلم ، عن إبراهيم - قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم - عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن الثعالب . ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه (٥) » .

(١) البخاري ، تفسير سورة (سبح اسم ربك الأعلى) : ٢٠٨/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٩٦/١ .

(٣) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « من شكا إليه إذا طرد » : ١٨٠/١ - ١٨١ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « القراءة في الصلاة » : ٤٢ - ٤٢/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٧١/٤ .

(٥) ما بين القوسين من مسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي .

(٦) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « ما يقرأ في صلاة الجمعة » : ١٥٣/٣ - ١٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقرأ في الجمعة » . ونخبة الأخرى ، أبواب العيدين ، الحديث ٥٣١ : ٧٦/٣ . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب « ذكر الاختلاف هل الثعالب بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة » : ١١٢/٢ .

وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أبيه عن حبيب بن سالم ، عن النضر (١) به . كما رواه البجاعي ، والله أعلم .

ونقله مسلم وأهل السنن : كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة : (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (هل أتاك حديث الفاضية) ، وربما اجتمعا في يوم ولحد قرواها .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبيزى ، وعائشة أم المؤمنين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الوتر : (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (قل : أيا لها الكافرون) ، و (قل هو الله أحد) - زادت عائشة : وللمؤذنين .

وهكذا روى هذا الحديث - من طريق - جابر وأبي أمامة صدقائي بن جعلان ، وعبد الله بن مسعود ، ومهران ابن حصين ، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم . ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومثونه ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَبِّحْهُ ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَلِّبْهُ ③ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ④ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑤ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑥ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑦ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑧ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑨ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑩ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑪ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑫ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑬ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑭ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑮ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑯ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑰ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑱ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑲ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ⑳ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉑ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉒ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉓ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉔ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉕ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉖ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉗ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉘ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉙ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉚ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉛ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉜ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉝ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉞ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㉟ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊱ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊲ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊳ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊴ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊵ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊶ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊷ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊸ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊹ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊺ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊻ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊼ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊽ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊾ وَالَّذِي أُنْزِلَ الْأَنْجَارُ ㊿

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى - يعني ابن أيوب الطائي - حدثنا حماد بن عمار ، سمعت عتبة بن عمار الجهني لما نزلت : (سبح باسم ربك العظيم) ، قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اجعلوها في ركوعكم » . فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال : « اجعلوها في سجودكم » (٢) .

ورواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب ، به (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان إذا قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال : « سبحان ربّي الأعلى » . وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب ، عن وكيع ، به . وقال : « غولف فيه وكيع » ، رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفا (٤) .

(١) ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب « ما جاء في القراءة في صلاة العيدين » ، الحديث ١٢٨٩ : ١/٤٠٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٥٥/٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده » - وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب التصحیح في الركوع والسجود ، الحديث ٨٨٧ : ٢٨٧/١ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « الدعاء في الصلاة » .

وقال الثوري ، عن السلي ، عن عبد خير قال : سمعت علياً قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال: سبحان ربّي الأعلیٰ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حُمَيد ، حدثنا حَكَّام عن عتبة ، عن أبي إسحاق الحنَظلي : أن ابن عباس كان إذا قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ، يقول : سبحان ربّي الأعلیٰ ، وإذا قرأ : (لا إله إلا الله يوم القيامة) فأتى على آخرها : (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ، يقول : سبحانك ويلى (١) .

وقال قتادة : (سبح اسم ربك الأعلیٰ) : ذَكَرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا قَرَأَهَا ، قَالَ : سبحان ربّي الأعلیٰ (٢) .

وقوله : (الذي خلق فسوى) ، أى : خلق الخليقة وسَوَّى كل مخلوق في أحسن المراتب .

وقوله : (والذي قدر فهدى) -- قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأتباع لمراتبها ،

وهذه الآية كقولها تعالى إنيبارا عن موسى أنه قال لفرعون : (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٣)) ، أى : قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْرٌ مَقْدِيرٌ لِلْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى لَافٍ (٤) .

وقوله : (والذي أخرج المرعى) ، أى : من جميع صنوف الثباتات والزرور ، (فجعل غداة أخرى) -- قال ابن عباس : هشا متغيرا . وعن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي مناه التقدم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى ، السوى ، أى : أعرض إلى السواد ، فجعله غداة بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب ، لما قلناه أن قول أهل التأويل (٥) .

وقوله : (مستقرئك) -- أى : يا محمد -- (فلاتسى) . وهذا إخبار من الله - عز وجل - ووعده له : بأنه سيقربه فرما لا ينساها ، (إلا ما شاء الله) . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة : كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا ينسي شيئا إلا ما شاء الله .

وقيل : المراد بقوله : (فلاتسى) طلب ، وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسيخ ، أى : لا تنسى ماقرئك إلا ما يشاء الله رفقه ، فلا عليك أن تركه .

(١) تفسير الطبري : ٩٦/٢٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٦/٢٠ - ٩٧ .

(٣) سورة طه ، آية ٥٠ .

(٤) تقدم الحديث عنه تفسير الآية السابقة من سورة هود ، وخرجناه هناك ، انظر : ٧٤٠/٢ .

(٥) تفسير الطبري : ٩٨/٢٠ .

وقوله : (إنه يعلم الجهر وما يخفى) أى : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شئ .

وقوله تعالى : (وليسرك اليسرى) ، أى : نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ، ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيا هذا ، لا اصرعاج فيه ولا حرج ولا عسر ،

وقوله : (فلذكر إن نعت الذكرى) ، أى : ذكر حيث تضع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال : حدث الناس بما يعرفون ، أئمنون أن يكذب الله ورسوله .

وقوله : (سيذكر من يخفى) ، أى : سيحفظ بما تبلغه - يا محمد - من قلبه يخفى الله ويعلم أنه ملائكة ، (ويحجبها الأئمة) ، الذى يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى) ، أى : لا يموت فيسريح ولا يحيى حياة تلممه ، بل هي مضرة عليه ، لأن بسببها يشر ما يعاقب به من أليم الطلاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي حدى ، عن سليمان - يبنى التيمى - عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشقاء ، فأخذ الرجل أنصاره فيميتهم - أو قال : يبتون - في نهر الحياة - أو قال : الحياة - أو قال : الحيوان - أو قال : نهر الجنة فيبتون - نبات الحياة (١) في حصيل السيل » - قال : وقال : النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء ، [أو (٢) قال : تكون صفراء] ثم تكون خضراء ؟ » - قال : فقال بعضهم : كأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بالبادية (٣) .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس - أو كمال قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فيميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة ، فبهم ضباط شبائر (٤) ، فتبجروا على أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم . فيبتون نبات الحياة تكون فوحصيل السيل » . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية (٥) .

(١) الحياة - بكسر الحاء - بلور القبول وحس الراحيق . وقيل : نبت أسفر يبت في الحشيش . والحليل : ما يجي به السيل من طين أو غثاء . فلذا اتفقت فيه حجة واستقرت على شرط جرى السيل فاتها تلبث في يوم وليلة . فبهم به سرعة هود أجسامهم إليهم بعد استراحتهم .

(٢) ما بين القوسين من المستد .

(٣) مستد الإمام أحمد : ٥/٣ .

(٤) أى : جماعات .

(٥) مستد الإمام أحمد : ١١/٣ .

ورواه مسلم من حديث بشر بن الفضل وشعبة ، كلاهما عن أبي مسleme سعيد بن يزيد ، به مثله (١) : ورواه [أحمد] أيضا عن يزيد ، عن سعيد بن أبياس الجعفي ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يموتون فيها إماتة ، حتى يصبروا فحما ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أهل الجنة ، [أو : يرش] (٢) عليهم من أهل الجنة فينتجون كما تبت الحبة في حتميل السيل (٣) » .

وقد قال الله إخبارا عن أهل النار : (وتنادوا يا مالك ليقض علينا ربك ، قال : إنكم ماكثون (٤)) ، وقال تعالى : (لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها (٥)) ... إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى ،

قَدْ أَطْلَعَ مَنْ تَرَكِي ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَئِنْ ۖ ۝ إِنَّ هَذَا لَنَاقِي الصَّحِيفِ الْأَوَّلِ ۖ مُحْصًى لِرَبِّهِمْ وَمُؤَمَّنٌ ۖ

يقول تعالى : (قد أطلع من تركي) ، أى : طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتاج ما أنزل الله على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - (وذكر اسم ربه فصل) ، أى : أقام الصلاة في أوقاتها ، ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وإمتثالاً لنشر الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار ،

حدثنا جابر بن أحمد المزرى ، حدثنا عيسى بن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن ابن سابط ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (قد أطلع من تركي) ، قال : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الأنداد ، وشهد أنى رسول الله » ، (وذكر اسم ربه فصل) ، قال : « هى الصلوات الخمس والحفاظة عليها والاهتمام بها » .

ثم قال : لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه :

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . وانظره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملى (٦) ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبي خلفة قال : دخلت على أبي العالية فقال لى : إذا غلبت غلبا إلى العيد قرئ لى . قال : فررت به فقال : هل طعنت شيئا ؟ قلت : لم .

(١) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « إثبات للشفاة وإخراج الموحدين من النار » . ١١٨/١ .

(٢) ما بين القوسين من المستند .

(٣) مستند الإمام أحمد : ٢٠٧/٢ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٧٧ .

(٥) سورة فلجر ، آية : ٣٦ .

(٦) في المطبوعة : « الأيل » . والمثبت من تفسير البلى ط يولا ق ، وط الماروف ، الأثر ١٠٣٧٨ و ١٠٩٢٩ : «

وانظر تطبيق السبه حقيق تفسير البلى هناك .

قال : أنفست على نفسك من الماء ؟ قلت : نعم . قال : فأخبرني ما فعلت بزكائك (١) ، قلت : وكألك فُتكت (٢) ، قد وجهتها ؟ قال : إنا أردتك ههنا . ثم قرأ : (قد أفلح من تركي . وذكر اسم ربه ففعل) . وقال : إن أهل الجنة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية للماء :

قلت : وكذلك روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة القطر ، ويطلب هذه الآية (قد أفلح من تركي) وذكر اسم ربه ففعل .

وقال أبو الأحوص : إنا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدي صلاته زكاته ، فإن الله يقول : (قد أفلح من تركي) وذكر اسم ربه ففعل .

وقال قتادة في هذه الآية : (قد أفلح من تركي . وذكر اسم ربه ففعل) : زكى ماله ، وأرضى خاله .

ثم قال تعالى : (بل توثرون الحياة الدنيا) ، أى : تقدمونها على أمر الآخرة ، وتبدونها على ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم ، (والآخرة خير وأبقى) ، أى : ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى ، (فإن الدنيا] دنبةً فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يوتر حائل ما يقضى على ما يقبى . وبهم بما يزول عنه قريباً ، ويترك الأمان بدار البقاء والخلد .

قال الإمام أحمد : حدثنا حمّص بن محمد ، حدثنا ذؤيد ، عن أبي إسحاق ، عن حروة (٣) ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الدنيا ذكرٌ من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يبيع من لا عقل له (٤) » .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، [حدثنا] أبو حمزة ، عن عطاء ، عن حرفة الضبي قال : استقرأت ابن مسعود : (مسبح اسم ربك الأعلى) فلما بلغ : (بل توثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه وقال : أكثرنا الدنيا على الآخرة . فسكت القوم ، فقال : أكثرنا الدنيا لأننا رأينا زيتها ونساءها وطعامها وشربها ، وزويت عنا الآخرة فلنعتزنا هذا الملبى وتركتنا الآجل (٥) .

وهذا منه على وجه التواضع والمضغ ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم :

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الماشي . حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن الملقب بن عبد الله ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنيته ، فآثروا ما يقبى على ما يقبى » تفرد به أحمد (٦) .

وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزاعي ، عن الدارودى ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به مثله سواء (٦) .

(١) في المخطوطة : « فعلت زكائك » ، دون « به » . وللمعنى من الطبرى .

(٢) كذا في المخطوطة . وفي تفسير الطبرى : « قلت : قد وجهتها » .

(٣) في مسند الإمام أحمد : « عن زروة » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٧١/٦ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٠٠/٣٠ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤١٢/٤ .

وقوله : (إن هذا لى الصصف الأول . صصف إبراهيم وموسى) - قال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا نصر بن عل ، حدثنا مخمر بن سلیمان ، عن أبيه عن عطاه بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إن هذا لى الصصف الأول صصف إبراهيم وموسى) - قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كان كل هذا - أو : كان هذا - فى صصف إبراهيم وموسى »

ثم قال : لا نعلم استدللت عن عطاه بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير هذا ، وحدثنا آخر أورده قبل هذا .

وقال السالى : أخبرنا زكريا بن يحيى ، أخبرنا نصر بن عل ، حدثنا للحمر بن سلیمان ، عن أبيه ، عن عطاه ابن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (ميسج اسم ربك الأهل) ، قال : كلها فى صصف إبراهيم وموسى . فلما نزلت (وإبراهيم الذى وفى) قال : وفى (ألا تروا وزر أنخرى) .

يعنى أن هذه الآية كقوله فى « سورة النجم » (أم لم ينبا عا فى صصف موسى : وإبراهيم الذى وفى « ألا تروا وزر أنخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسى . وأن سميه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » وأن لى ربك للمنبى (١) : الآيات إلى آخرهن . وهكذا قال عكرمة - فبارواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهرا ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة - فى قوله : (إن هذا لى الصصف الأول . صصف إبراهيم وموسى) ، يقول : الآيات إلى فى ميسج اسم ربك الأهل (٢) .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة فى الصصف الأول .

واختار ابن جرير أن المراد بقوله : (إن هذا) إشارة إلى قوله : (قد أطلع من تركى : وذكر اسم ربه لصل) بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى) ، ثم قال : (إن هذا) ، أى : مضمون هذا الكلام (لى الصصف الأول ، صصف إبراهيم وموسى (٣)) .

وهذا اختيار حسن قوى . وقد روى عن قتادة وابن زيد ، نحوه : والله أعلم .

آخر تفسير « سورة ميسج » ، والله الحمد والمئة .

(١) سورة النجم ، الآية : ٣٦ - ٤٢ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٠٠/٣٠ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٠١/٢٠ .

تفسير سورة الغاشية

وهي مكية

قد فهم من التنازل بن بشر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ،
والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة ؛

وقال الإمام مالك ، عن حمزة بن سعيد ، عن عبيد الله بن عبد الله : أن الصحابة بن قيس سأل التنازل بن بشر :
م كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : (هل أتاك حديث الغاشية) (١) .
رواه أبو داود عن القعني ، والنسائي عن قتيبة ، كلاهما عن مالك ، به . ورواه مسلم وابن ماجه ، من حديث
صفوان بن يحيى ، عن حمزة بن سعيد ، به (٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خُشْيَةٌ ② عَمَلَةٌ نَاصِيَةٌ ③ تَعَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④ تُسْقِطُ مِنْ حَشَى ⑤
كَاتِبَةٍ ⑥ لَيْسَ لَهَا طَلْعٌ لَّا مِنْ صُرُوعٍ ⑦ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑧

الغاشية : من أمهات يوم القيامة . قاله ابن عباس ، وكثادة ، وابن زيد ، لأنها تغشى الناس وتضمهم . وقد قال ابن أبي
حازم :

حدثنا أبو عبد الله ، حدثنا علي بن محمد الطائفي ، حدثنا أبو بكر بن عباس ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال :
مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على امرأة تقرأ : (هل أتاك حديث الغاشية) ، فقام يستمع ويقول : نعم قد
جاءني .

وقوله : (وجوه يومئذ خشيّة) ، أي : ذليلة . قاله كثادة .

وقال ابن عباس : تخرج ولا ينقش عليها .

وقوله : (عملة ناصية) ، أي : قد عملت عملاً كثيراً ، ونصبت فيه ، وصحكت يوم القيامة نارا حامية .

وقال الخليل : أبو بكر البرقاني : حدثنا إبراهيم بن محمد المراكشي ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا هارون
ابن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : بر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

(١) انظر تكملة المحاكم ، شرح مؤلف الإمام مالك ، السيوطي ، كتاب الصلاة ، باب : القراءة في صلاة الجمعة : ٢
١٠٢٢/١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقرأ في الجمعة . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب : ذكر الاختلاف هل
التنازل بن بشر في القراءة في صلاة الجمعة : ١١٢/٣ . ومسلم ، كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة : ١٦/٣ .
وسنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما يقرأ في الصلاة يوم الجمعة ، الحديث ١١١٩ : ١/٢٥٠ .

بأمر راعي ، قال : قتله : يا راعي . فأشرف ، قال : فجعل امر ينظر إليه ويكي : قتل له : يا أمير المؤمنين ، ما ييكلك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله - عز وجل - في كتابه (حامله ناصية : تصل ثرا حامية) ، فذاك الذي أبكاني ،

وقال البخاري : قال ابن عباس : (حامله ناصية) التصاري (١) .

وعن عكرمة ، والسدي : (حامله) في الدنيا بالمعاصي ، (ناصية) في النار بالمعاصي والأخلاق .

قاله ابن عباس ، والحسن ، وقادة : (تصل ثرا حامية) ، أي : حلة شديدة الحر (نسي من حيث آية) ، أي : قد انتهى حرها وغلها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسدي ،

وقوله : (ليس لم طعام إلا من ضريع) - قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : شجر من نار .

وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم . وعنه : أنها الحبيرة ،

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو الجوزة ، وقادة : هو الشريق - قال قادة : قريش تسميه في الربيع الشريق ، وفي الصيف الضريع - قال عكرمة : وهو شجرة ذات شوك لا طعم بالأرض .

وقال البخاري : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له : الشريق ، يسميه أهل الحجاز : الضريع إذا ليس ، وهو سم (٢) .

وقال معمر ، عن قادة : (إلا من ضريع) ، هو الشريق ، إذا ليس سمي الضريع .

وقال سعيد ، عن قادة : (ليس لم طعام إلا من ضريع) : من شر الطعام وأبشعه وأحبه .

وقوله : (لا يسمن ولا يفتن من جرح) ، يعني : لا يحصل به مقصود ، ولا يتلذذ به مخلوق .

ووجه يومئذ ناعمة (٣) لسميها راضية (٤) في جنة علي (٥) لا تسمع فيها لينة (٦) فيها من جنة وجوه يومئذ ناعمة (٧) وأكواب موضوعة (٨) ومبارق مصفوفة (٩) وزواني مصفوفة (١٠)

لا ذكر حال الأنقياء ، نثني بذكر السلاء قال : (وجوه يومئذ) ، أي : يوم القيامة (ناعمة) ، أي : حور

التي سم فيها : وإنما حصل لما ذك بسببها .

وقال صفوان : (لسميها راضية) : قد رضية عملها .

وقوله : (في جنة علي) ، أي : رقيقة بية في القرافات آمنون ، (لا تسمع فيها لينة) ، أي : لا يسمع في الجنة

التي هم فيها كلمة لغز . كما قال : (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما (١٢)) . وقال : (لا لغو فيها ولا تأني (١٣)) .

وقال : (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأنيا . إلا قياتا سلاما سلاما (١٤)) .

(١) البخاري ، تفسير سورة : حل أنك حديث النازية : ٢٠٩/٦ .

(٢) سورة حريم : آية : ٦٧ .

(٣) سورة الطور : آية : ٢٣ .

(٤) سورة الواقعة : آية : ٢٥ - ٢٦ .

(فيها عين جارية) ، أى : سارحة . وهذه نكرة في سياق الإثبات ، وليس المراد بها عيناً واحدة ، وإنما هذا جنس ، يعنى : فيها عيون جاريات .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على الربيع بن سليمان : حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قره ، عن عبد الله بن صبرة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أنهار الجنة تنجر من تحت ثلال - أو : من تحت جبال - المسك » .

(فيها سزر مرفوعة) ، أى : حالية ناعمة كثيرة القرش مرتفعة السمك ، عليها الخور العين . قالوا : فإذا أراد وكى الله أن يجلس على تلك السرور العالية تواضعت له ، (وأكواب موضوعة) ، يعنى : أواني الشراب معلقة مرسعة لمن أرادها من أربابها ، (وغارق مصفوفة) - قال ابن عباس : الغارق الواسع . وكلما قال حكمة ، وتكادة ، والفضلك ، والسلى ، والثورى ، وغيرهم .

وقوله : (وزراني ميثوة) - قال ابن عباس : الزراني البسط . وكلما قال الفضلك ، وغير واحد .

ومعنى ميثوة ، أى : هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها .

ونذكر هاهنا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبي ، عن محمد بن مهاجر ، عن الفضلك الماعلى ، عن سليمان بن موسى : حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ألا هل من مشتمر الجنة فإن الجنة لا تحترق (١) لها ، هي ورب الكعبة نور تلاقحاً ، وريحانة تهر ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة فضيحة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحللك كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحجرة ونعمة ، في حلة عالية بية ؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن للمشركين لها . قال : « قولوا إن شاء الله » . [قال القوم : إن شاء الله] .

ورواه ابن ماجه عن النحاس بن عثمان الحمقى ، عن الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، به (٢) .

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٣﴾
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٦﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّى
وَكَفَرَ ﴿٧﴾ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٨﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنَّا عَرِّضْنَاهُمْ حَسَابَهُمْ ﴿١٠﴾

يقول تعالى أمرا عباده بالنظر في خلقاته اللطلة على قدره وعظمته : (أفلا ينظرون إلى الإبل : كيف خلقت ؟) ، فإنها خلقت عجيب ، وتركيبها غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتقاد القتل الضعيف ، وتوكل ، ويتنعم ببرها ، ويشرب لبنها . ونهبوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريع

(١) لى : لا مثل لها .

(٢) تقدم تفريع الحديث عند تفسير الآية السابعة والخمسين من سورة « يس » : ٦٦/٦ .

التأني يقول : انزعجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ؟ أي : كيف وضعها الله - عز وجل - من الأرض هذا الربع العظيم ، كما قال تعالى : (أفلم ينظروا إلى السماء فرأوا فيها مبعثها ورجوتها وما لها من فروج (١)) .

(وإلى الجبال كيف نصبت) : أي : جعلت منصوبة قائمة راسية لتلا نيد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن .

(وإلى الأرض : كيف صلحت ؟) : أي : كيف بسطت وملأت ومهدت ، فنبه البدي على الاستدلال بما يشاهده من بصره الذي هو راكب عليه ، والسماء التي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه ، والأرض التي تحته - على قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المنصرف للملك ، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه ، وهكذا أنعم وحببهم في سواها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كنا نبيتنا أن نساك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن شيء ، فكان يمجيتنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا سعد ، إنه أتانا رسولك فرغم لنا أنك ترغم أن الله أرسلك ؟ قال : صدق ، قال : فن خلق السماء ؟ قال : الله ، قال : فن خلق الأرض ؟ قال : الله ، قال : فن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله ، قال : فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال ، ألق أرسلك ؟ قال : نعم ، قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال : صدق ، قال : فبالذي أرسلك ، ألق أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : صدق ، قال : فبالذي أرسلك ، ألق أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا حجج البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال : صدق ، قال : ثم ولي فقال : والذي بطنك بالحق لا أزيد عليهم شيئاً ولا أنقص منهم شيئاً . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : إن صدق ليخسكن ، البجة (٢) .

وقد رواه مسلم ، عن حمرو التائيد : عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، به : وعكفه البخاري ، ورواه الترمذي والنسائي [من حديث سليمان بن المغيرة ، به : ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه (٣)] من حديث الليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نجر ، عن أنس ، به بطوله ، وقال في آخره : وأنا ضام بين ثعلبة أبي سعد بن بكر (٤) .

(١) سورة قح ٦ : آية ٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٤٣/٢ . وانظر أيضاً : ١٩٣/٢ .

(٣) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين ، ٢٣/١ . والبخاري ، كتاب العلم ، باب :

مجاهة في العلم ، ٢٤/١ - ٢٥ . ومجلة الأخوة ، أبواب الزكاة ، باب : مجاهد إذا أدبت الزكاة فقد نصبت ما عليك .

لمحدث ١١٥ = ٢٤٦/٢ - ٢٤٨ . والنسائي ، كتاب الصلاة ، باب : وجوب الصيام ، ١٢١/٤ - ١٢٤ .

وقال الخافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل ، معها ابن لما ترحى غنما ، فقال لما ابنها : يا أمه ، من خلقتك ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقت أبي ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقتي ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقت السماء ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقت الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقت الجبل ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقت هذه الغنم ؟ قالت : الله . قال : إني لأسمع لله شأنا . وأتني نفسه من الجبل فتقطع .

قال ابن عمر : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما يحدثنا هذا .

قال ابن دينار : كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا .

في إسناده ضعف ، وعبد الله بن جعفر هذا هو اللبني ضَعُفَهُ ولده الإمام حل بن اللبني وغيره .

وقوله : (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) ، أي : فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب . ولهذا قال : (لست عليهم بمسيطر) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما : (لست عليهم بجبار (١)) .

وقال ابن زيد : لست بالذي تكرههم على الإيمان .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » . ثم قرأ : (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) .

وهكذا رواه مسلم في كتاب « الإيمان » ، والترمذي والنسائي في كتابي « التفسير » من سنتيهما ، من حديث سفيان ابن سعيد الثوري ، به بلفظه الزيادة . وهذا الحديث يخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة ، بدون ذكر هذه الآية (٢) .

وقوله : (إلا من تولى وكفر) ، أي : تولى عن العمل بآركانه ، وكفر بالحق بجمانه ولسانه . وهذه كقول : (فلا صدق ولا حيل . ولكن كذب وتولى (٣)) . ولهذا قال : (فيطلبه الله المذاب الأخر) - قال الإمام أحمد :

(١) تفسير الطبري : ١٠٦/٣٠ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؛ ٣٩/١ .
ومجمعة الأحاديث ، تفسير سورة النافذة ، الحديث ٣٣٩٩ : ٢٦٥/٩ - ٢٦٦ . والبخاري ، كتاب الزكاة ، باب « وجوب الزكاة » : ١٣١/٢ .

(٣) سورة التوبة : آية ٣١ - ٣٢ .

حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي حلال ، عن علي بن خالد : أن أبا أمامة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد ابن معاوية ، فسأله عن ألبن كلمة سمعها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ألا كلكم يدخل الجنة ، إلا من شرَّد على الله شركاء البير على أهله (١) » .

تفرد بالخراجه الإمام أحمد ، وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ، ولم يزد على ما هامنا : « روى عن أبي أمامة ، وعنه سعيد بن أبي حلال (٢) » .

وقوله : (إن إلينا إرجهم) ، أى : مرجعهم ومقلبهم ، (ثم إن علينا حسابهم) ، أى : نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

آخر تفسير سورة الفاشية ، والله الصمد والتمتع

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٥٨/٥ .

(٢) المرح والتمتع لابن أبي حاتم : ١٨٤/٢٣ .

تفسير سورة الفجر وهي مكية

قال النسائي : أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم ، أخبرني يحيى بن سعيد ، عن سليمان ، عن محارب بن دثار وأبي صالح ، عن جابر قال : صلى معاذ صلاةً ، فجاء رجل فصلى معه فطوّل ، فصلّى في ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذاً فقال : مناق . فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل النبي ، فقال : يا رسول الله ، جئت أصلي معه فطوّل حكّي ، فاتصرفت وصليت في ناحية المسجد ، فطلعت ناضحى . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أفتان يا معاذ ؟ أين أنت من (ستبح اسم ربك الأعلى) - و (الشمس وضحاها) و (الفجر) - و (الليل إذا يغشى) (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَكَيْلَ عَشِيرٍ ② وَالشَّعْجِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرُ ④ حَلًى فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِئِيَّاهُ جِيءَ ⑤
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَا يَمُوتُ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَنُوحَ الَّذِي جَاءُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي آلِ بَدْرِ ⑪ فَاسْكُرُوا فِيهَا الْقَبَادِ ⑫
فَصَبَّ طَلْعُ رَبِّكَ سَوْدًا حَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَهٌ رَصَادٍ ⑭

أما الفجر المعروف ، وهو : الصبح . قاله علي ، وابن عباس ، ومجاهد وحكمة ، والسدي :

وعن مسروق ، ومجاهد ، وعبد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو غائقة الليل العشر :

وقيل : المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده ، كما قاله حكمة .

وقيل : المراد به جميع النهار . وهو رواية عن ابن عباس . (٢)

واللّيل العشر : المراد بها عشر ذى الحجة . كما قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف والخلف . وقد ثبت في صحيح البخاري ، عن ابن عباس مرفوعاً : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيه من هذه الأيام » - يعني عشر ذى الحجة - قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء » (٣) .

(١) لم يقع لنا هذا الحديث في مجزئ النسائي . وانظر كتاب الإمامة ، باب « خروج الرجل من صلاة الإمام وفرغته من صلاته في ناحية المسجد » : ٩٧/٢ - ٩٨ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٧/٣٠ .

(٣) البخاري ، كتاب الميدين ، باب « فضل العمل في أيام التشرين » : ٢٤/٢ - ٢٥ .

وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم ، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يوجه إلى أحد ،
: قد روى أبو كندبة ، عن قابوس بن أبي عليان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وليال عشر) ، قال : هو العشر
الأول من رمضان .

والصحيح القول الأول ، قال الإمام أحمد :

حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبيد بن عتبة ، حدثني خنيس بن حذاف ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي
— صلى الله عليه وسلم — قال : « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر (١) » .

ورواه الترمذي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله ، كل منهما عن زيد بن الحباب ، به ، ورواه ابن جرير وابن أبي
حاتم ، من حديث زيد بن الحباب ، به (٢) . وهذا إسناد وجاله لا بأس به ، وعندي أن المتن في نفسه تكرار ،
والله أعلم .

وقوله : (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ، وأن الشفع يوم النحر
لكونه العاشر . وقاله ابن عباس ، وعكرمة ، والفسحاك أيضا .

قول ثان ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثني حنيفة بن خالد ، عن واصل بن السائب قال : سألت
عطاء بن قسرة : (والشفع والوتر) ، قلت : صلاتنا وترنا هذا ؟ قال : لا ، ولكن الشفع يوم عرفة ، والوتر ليلة
الأضحى .

قول ثالث ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني ، حدثني أبي ، عن الثعلبي — يعني
ابن عبد السلام — عن أبي سعيد بن خفاف ، حدثني عتبة قال : سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس ، فقام إليه
وجلس فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الشفع والوتر . فقال : الشفع قول الله عز وجل : (فن تجعل في يومك
فلا إله غيره) ، والوتر قوله : (ومن تأخر فلا إله غيره) .

وقال ابن جرير : أخبرني محمد بن للرضع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشرين ، والوتر آخر أيام
التشرين .

وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إن لله تسعة وتسعين اسما ،
مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة » وهو وتر يحب الوتر (٣) .

قول رابع ، قال الحسن البصري ، وزيد بن أسلم : لخلق كلهم شفع ، ووتر ، أنتم تنالون بخلته . وهو رواية
عن مجاهد (٤) ، والمشهور عنه الأول .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٢٧/٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٨/٣٠ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثمانين من سورة الأعراف ، وخرجناه هناك ، انظر : ٥١٥/٢ .

(٤) تفسير الطبري : ١٠٩/٣٠ .

وقال الموقر ، عن ابن عباس : (والشفع والوتر) ، قال : الله وتر واحد ، وأنتم شفع . ويقال : الشفع صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب .

قوله خامس ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : (والشفع والوتر) ، قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل .

وقال أبو حيد (١) : الله عن مجاهد : لله الوتر ، وخلق الله الشفع ، الذكر والأنثى .

وقال ابن أبي مجيع ، عن مجاهد قوله : (والشفع والوتر) : « كل شيء خلقه الله شفع ، السماء والأرض ، والبحر ، والجن والآل ، والشمس والقمر ، ونحو هذا » . ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (٢) ، أي : فتعلموا أن خالق الأزواج واحد .

قوله سادس ، قال قتادة ، عن الحسن : (والشفع والوتر) : هو العدد ، منه شفع ومته وتر .

قوله سابع ، في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جبريل (٣) ، ثم قال ابن جرير : ورؤي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزبير : حدثني عبيد الله بن أبي زياد القطواني ، حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني حياش بن حقية ، حدثني خبير بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الشفع اليوم الثالث » (٤) .

مكنا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم ، وما رواه هو أيضا ، والله أعلم .

قال أبو العال ، والربيع بن أنس ، وغيرهما : هي الصلاة ، منها شفع كالرباعية والثانية ، ومنها وتر كالغروب ، لأنها ثلاث ، وهي وتر النهار ، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل .

وقد قال عبيد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمران بن حصين : (والشفع والوتر) ، قال : هي الصلاة المكتوبة ، منها شفع ومنها وتر : وهذا مقطوع وموقوف ، ولفظه خاص بالمكتوبة . وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ولفظه عام ، قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود هو الطيالسي ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن حصين : أن شيئا حدثه من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الشفع والوتر ، فقال : « هي الصلاة ، بعضها شفع ، وبعضها وتر » (٥) .

(١) كذا ، وفي تفسير الطبري ١٠٩/٣٠ : « أبو يحيى عن مجاهد » ، وهو الثقات ، وانظر التلخيص : ٢٧٧/١٣ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٤٩ .

(٣) كذا ، ولا نفد ما حله الرواية ؟

(٤) تفسير الطبري ، ١٠٩/٣٠ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٣٧/٤ .

هكلما وقع في المستد ، وكلما رواه ابن جرير عن بندار ، عن عثمان وعن أبي كريب ، عن عبيد الله بن موسى ، كلاهما عن همام - وهو ابن يحيى - عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن شيخ ، عن عمران بن حصين (١) ، وكلما رواه أبو عيسى الترمذى ، عن عمرو بن علي ، عن ابن مهدي وأبي داود ، كلاهما عن همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن رجل من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين . به . ثم قال : « غريب ، لا نعرفه إلا من حديث قتادة » ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة (٢) .

وقد روى عن عمران بن عصام ، عن عمران نفسه ، والله أعلم .

قلت : ورواه ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن حارون ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام الضبي ، - شيخ من أهل البصرة - عن عمران بن حصين ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فلذكره ، هكلما رأيت في تفسيره ، فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام .

وهكلما رواه ابن جرير : حدثنا نصر بن علي ، حدثني أبي ، حدثني خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران ابن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الشفع والنوتر قال : « هي الصلاة ، منها شفع ، ومنها وتر » .

فأسقط ذكر الشيخ للمهم ، وتفرد به عمران بن عصام الضبي أبو حمزة البصري ، إمام مسجد بني ضبيّة وهو والد أبي جهمّة نصر بن عمران الضبيّ . روى عنه قتادة ، وابنه أبو جهمّة ، وللتنبي بن سعيد ، وأبو التياح يزيد ابن حميد (٣) . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، وذكره خليفة بن خياط في القاتين من أهل البصرة ، وكان شريفا [نبيلاً] حنظلياً عند الحجاج بن يوسف ، ثم كفه يوم الزاوية (٤) سنة ثلاث (٥) وثمانين لخروجه مع ابن الأكثم ، وليس له عند الترمذى سوى هذا الحديث الواحد . وعنى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه ، والله أعلم .

ولم يجرم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والنوتر .

وقوله : (والليل إذا يسر) - قال القرني ، عن ابن عباس : أي إذا ذهب .

وقال عبد الله بن الزبير : (والليل إذا يسر) : حتى يذهب بهضه بهضاً .

وقال مجاهد ، وأبو العالمة ، وقاتدة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم وابن زيد : (والليل إذا يسر) : إذا سار .

(١) تفسير البصري : ١٠٩٢/٥ .

(٢) نسخة الأوصى ، تفسير سورة الفجر ، الحديث ٣٤٠٠ : ٢٦٦/٩ - ٢٦٧ .

(٣) الجرح والمعادل لابن أبي حاتم : ٣٠٠/١٢٣ .

(٤) انظر خبر هذا اليوم في مروج الذهب للمسعودي : ١٠٢/٢ .

(٥) كلما ، وفي طبقات خليفة بن خياط ، ط بغداد : ٢٠٤ : سنة أربع أوجس وخمسين .

وهذا يمكن حمله على ما قاله ابن عباس ، أنى : ذهب . ويحتمل أن يكون المراد إذا سار ، أنى : أقبل : وقد يقال : إن هذا أنسب ، لأنه في مقابلة قوله (والنجس) ، فإن النجس هو إقبال النهار وإدبار الليل ، فإذا حمل قوله : (والليل إذا يسر) ، على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار ، وبالعكس ، كقوله (والليل إذا عصص ، والصبح إذا تنفس (١)) : وكلنا قال الفصلك : (إذا يسر) ، أنى : يجرى .

وقال حكيمه : (والليل إذا يسر) ، ينى : ليلة جئته (٢) . رواه ابن جرير (٣) ، وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا أبو حاتم ، حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو قال : سمعت همد بن كعب القرظي ، يقول في قوله : (والليل إذا يسر) ، قال : امر يا سار ولا تبين إلا بجئته .

وقوله : (حل في ذلك قسم لذي حجر) ، أنى : لذى عقل ولب وحجاً ، وإنما سمي العقل حجباً لأنه يمنع الإنسان من تعامله مالا يليق به من الأعمال والأقوال ، ومنه حجب البيت لأنه يمنع الطائف من الصلوة يجذله الشئ ، ومنه حجر البامة ، وحجراً الحاكم على فلان : إذا منه التصرف ، (ويقولون حجراً محجوراً (٤)) ، كل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة ، وبغض العبادة من حج وصلاته وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها للفقن للطيون له ، الخائفون منه . المتواضعون لديه ، الخاشعون لوجهه الكريم .

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟) ، وهؤلاء كانوا متبردين مدة جبارين ، خروجين من طاعة مكد بن لوسله ، جاحدين لكعبه ، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم ، وجعلهم أحاديث وهبوا ، فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات اليماء ؟) : وهؤلاء عاد الأولى ، وهم أولاد عاد ابن إرم بن عوص (٥) بن سام بن نوح ، قاله ابن إسحاق وهم الذين بعث [الله] فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه ، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم ، وأهلكهم بريح صرصر عاتية ، (صرناهم سيج ليال وثمانية أيام حسوما . فإرى القوم فيها صرعى . كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية (٦) ؟) . وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ، ليحذر بحرصهم للمؤمنين .

قوله تعالى : (إرم ذات اليماء) : عطفت يمان ، زيادة تعريف بهم .

وقوله : (ذات اليماء) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشجر التي ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلفة وأقوام بطلاناً ، ولما ذكرهم [هود] بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم ، قال : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح . وزادكم في الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله ولا تنسوا

(١) سورة التكويم ، آية : ١٧ - ١٨ .

(٢) ينى ليلة المزدلفة .

(٣) تفسير الطبري : ١١٠/٣٠ .

(٤) سورة قمران ، آية : ٢٢ .

(٥) في سيرة ابن هشام ٧/١ : عوص بن إرم بن سام . وما في تفسير الطبري ١١١/٣٠ يوافق ما هنا .

(٦) سورة الحاقة ، الآيات : ٧ - ١٠ .

في الأرض مفلسين (١) : وقال تعالى : (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ لو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة (٢)) . وقال هاهنا : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) ، أى : القليلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم ، قوتهم وشأنهم وعظم تركيبتهم .

قال مجاهد : إرم : أمة تدعى (٣) . بنى عاد الأولى ، كما قال قتادة بن دعامة ، والمَدَنِيُّ : إن إرم بينك وبين مكة عاد . وهذا قول حسن جيد قوى .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والكوفي في قوله : (ذات الماد) كانوا أهل حمود لا يقيمون ، (٤)

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إنما قيل لهم (ذات الماد) لطولهم .

واختار الأول ابن جرير ، ورد الثاني فأصاب (٥) .

وقوله : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) : أعاد ابن زيد الضمير على الماد ، لا رفاعها ، وقال : بنوا عسكاً بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد : وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القليلة ، أى : لم يخلق مثل تلك القليلة في البلاد ، بنى في زمانهم : وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب لمحبته ضعيف ، لأنه لو كان أراد ذلك فقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد ، وإنما قال : (لم يخلق مثلها في البلاد) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني مطوية بن صالح ، عن حماد ، عن المقدام ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ذكر إرم ذات الماد فقال : « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم » .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن ثور بن زيد الليلي . قال : قرأت كتاباً - قد سمى حيث قرأه - : أنا شداد بن عاد ، وأنا الذي رفعت الماد ، وأنا الذي شددت إبراهيم نظر (٦) . واحد وأنا الذي كثرت كثراً على سببه أذرع ، لا يخرج إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قلت : فعل كل قول سواء كانت العاد أبنية بنوها ، أو أحمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحيًا يقاتلون به ، أو طول الواحد منهم - فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم للذكورون في القرآن في غير ما موضع ، للقرونون بشود كما هاهنا . والله أعلم . ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات الماد) مدينة إما دمشق ، كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة - أو أسكندرية

(١) سورة الأحراف ، آية : ٦٩ .

(٢) سورة فصلت ، آية : ١٥ .

(٣) تفسير الطبري : ١١١/٣٠ .

(٤) تفسير الطبري : ١١٢/٣٠ .

(٥) قال الطبري ١١٢/٣٠ - ١١٣ : ورواه الأتقال في ذلك بما دل عليه ظاهر التتبع قول من قال : حتى يهلك أنهم كانوا أهل حمود سيارة ، لأن المعروف في كلام العرب من السداد : ما حده الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البدن . . .

(٦) كلمة « اظهره في المظفرة دون نقش » .

كما روي عن القُرطبي - أو غيره - أنه نظر ، فإنه كيف يلزم الكلام على هذا : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد)
 (لم ذات الهاد) ، إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حيثل . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك
 القليلة للسبب بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يبرء ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم .

وإنما نبهت على ذلك لتلا يعقتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر ملجئة يقال لها :
 (لرم ذات الهاد) ، مبنية بين الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباها لآلء وجواهر ، وترابها
 ينادق للمسك ، وأنهارها سارحة ، ونمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها دافع
 ولا قبيح . وأنها تتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد - فإن
 هذا كله من غرالمات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقهم ، ليخبروا بذلك عقول الجبهة من الناس أن تصدقهم (١)
 في جميع ذلك .

وذكر الطبري وغيره أن رجلا من الأعراب - وهو عبد الله بن قلابه - في زمان معاوية ذهب في طلب أباهر له
 شردت ، فبينما هو بينه في ابتغائها ، إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب ، فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من
 صفات المدينة النخعية التي تقدم ذكرها ، وأنه رجع فأخبر الناس ، فلجروا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا .

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة (لرم ذات الهاد) هاهنا مطولة جدا ، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح
 إلى ذلك الأعرابي فقد يكون انحط ذلك ، أو أنه أسابه نوع من اللبس والخيال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ،
 وليس كذلك . وهذا بما يقطع بعلم صحته . وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجبهة والسامعين والتجولين ، من وجود
 مطالب تحت الأرض ، فيها قناطر الذهب والفضة ، وألوان الجواهر والياقوت واللؤلؤ والإكبر الكبير ، لكن عليها
 مواعع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها ، فيحتالون على أموال الأغنياء والصفحة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل في صرفها
 في منسخر وعقابر ونحو ذلك من اللطائف ، ويعلنون (٢) بهم . والذي يجزم به أن في الأرض دلائل جاهلية وإسلامية
 وكثيرة كثيرة ، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله (٣) ، فأما على الصفة التي زعموها فكذب والفراد وبهت ، ولم يصح
 في ذلك شيء مما يقولونه إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم ، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقول ابن جرير : يحمل أن يكون المراد بقوله (لرم) قبيلة أو بلدة كانت حاد تسكنها فلذلك لم تُصرف (٤) - فيه
 نظر ، لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القليلة ، ولهذا قال بعده : (وتود الذين جابوا الصخر بالواد) ، يعني
 يعطون الصخر بالوادي . قال ابن عباس : ينحوتها ويخرقونها . وكذا قال جاهد ، وقطاعة ، والفسحاك ، وابن زيد ،
 ومنه يقال : منجبان التمار . إذا خرقتها . واجتباب الثوب : إذا قصه . ومنه الجيب أيضا . وقال الله تعالى :
 (وتحتون من التبال بيوتا فارحين (٥)) .

(١) كلما في التلميحات السابقة . وفي المخطوطة : « إن صحتهم » .

(٢) أي : يصحرون بهم .

(٣) لغة المخطوطة : « لكه تحويلها على الصفة » ولكتبت عن التلميحات السابقة .

(٤) تفسير الطبري : ١١٢/٢٠ .

(٥) سورة الشعراء : آية ١٤٩ .

وأشد ابن جرير وابن أبي حاتم هما قول الشاعر :

ألا كلُّ شيء - ما خلا الله - بالآفة
كَمَا يَدَّ حَيٌّ مِنْ شَيْءٍ (١) وماله
هُمْ صَرَبُوا فِي كُلِّ صَمَاءٍ صَمَلَةٌ
يَأْبُدُ شَدَادَ آبِلَاتِ السَّوَادِ

وقال ابن إسحاق : كانوا عربا ، وكان مترنم يواذى القرى . وقد ذكرنا قصة (عاد) مستقصاة في سورة الأحراة ، بما أفضى عن إعادته .

وقوله : (وفرعون ذى الأوتاد) - قال العوفي ، عن ابن عباس : الأوتاد : الجنود الذين يشعلون له أسره . ويقال : كان فرعون يوتد أبيسهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يطفئهم بها (٢) . وكلنا قال بجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد . وهكذا قال سعيد بن جبير ، والحسن ، والسدى ، قال السدى : كان يربط الرجل ، كل قائمة من قوائمه في وتد ، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشده .

وقال قتادة : بلغنا أنه كانت له مَسْطَلٌ وملاعب ، يلعب له تحتها ، من أوتاد وجبال .

وقال ثابت البناني ، عن أبي رافع : قيل لفرعون ذى الأوتاد ، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ، ثم جعل على ظهرها وحى عظيمة حتى ماتت .

وقوله : (الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد) أى : تمردوا وحملوا وحملوا في الأرض بالإفساد والأثمة للناس ، (نصب عليهم ربك سوط عذاب) ، أى : أنزل عليهم رجزا من السماء ، وأحل لهم عقوبة لا يردوها عن القوم للمجرمين .

وقوله : (إن ربك لبالمرصاد) - قال ابن عباس : يسمع ويرى ،

يعنى : يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازي كلا بسميه في الدنيا والآخرة ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه . فيحكم فيهم بطله ، ويقابل كلا بما يستحقه . وهو المنة من الظلم والجور .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثا غريبا جدا - وفى إسناده نظر وفى صحته - فقال : حدثنا أبو حنيفة ابن أبي الخواصر ، حدثنا يونس الجلاء ، عن أبي حمزة اليماني ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يا معاذ ، إن المؤمن لدى الحق أسير . يا معاذ ، إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يختلف جسر جهنم خلف ظهره . يا معاذ ، إن المؤمن قبه القرآن عن كبر من شهوده ، وعن أن يملك فيها هو يأنه الله - عز وجل - فالتقآن دليله ، والخوف محبته ، والثوق معيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصلة فكاهه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه - عز وجل - من وراء ذلك كله بالمرصاد »

(١) كلا وفى تفسير الطبرى : « حقيق » . ولم يقع لنا .

(٢) تفسير الطبرى : ١١٤/٢٠ .

قال ابن أبي حاتم : [يونس الخليل وأبو حمزة مجهولان ، وأبو حمزة من معاذ مرسل : ولو كان من أبي حمزة لكان حسنا ، أي : لو كان من كلامه لكان حسنا . ثم قال ابن أبي حاتم (١)] .

حدثنا أبي ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبيهم بن عبد الكلاعي : أنه سمعه وهو يخط الناس يقول : إن لجهنم سبع قناطر - قال : والصراف حلين ، قال : فيحبس الخلاق عند القنطرة الأول ، فيقول : (قوم إنهم مسؤولون) ، قال : فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها ، قال : فيهلك فيها من هلك ، وينجو من نجا : فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها ، وكيف خاتوها ؟ قال : فيهلك من هلك ، وينجو من نجا : قال : والرحم يومئذ مطوية إلى الحوى في جهنم تقول : اللهم من وصلى فصلى ، ومن طعن فاطعن . قال : ومضى إلى يقول الله - عز وجل - : (إن ربك لبالمرصاد) .

هكذا أورد هذا الأثر ، ولم يذكر تمامه ،

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِذَا مَا بَنَى دُيُورَهُ فَأَكْرَمَهُ وَتَعَمَّرَ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١﴾ وَأَمَّا إِنَّا مَّا بَنَيْنَا لَهُ مَشَاقِدَ عَلَيْهِ رَزَقْنَاهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٣﴾ وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طُلُوعِ الْعِيسِينَ ﴿٤﴾ زَاكُونَ الْكِرَامِ كَلَّامًا ﴿٥﴾ وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جِأَسَةٍ ﴿٦﴾

يقول تعالى متكررا على الإنسان في اعتقاده إذا توسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك ، فيعتقد أن ذلك من الله [كرامه وليس كذلك ، بل هو ابتلاء وامتحان . كما قال تعالى : (يحسبون أننا نمدحهم به من مال وبين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٢)) . وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتنحه وضيّق عليه في الرزق ، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له ، قال الله : (كلا) ، أي : ليس الأمر كما زعم ، لا في هذا ولا في هذا ، فإن الله يعطي (٣) للمال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق على من يحب ومن لا يحب ، وإنا للملوك في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين ، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك ، وإذا كان فقيرا بأن يصبر .

وقوله : (بل لا تكرمون اليتيم) ، فيه أمر بالإكرام له ، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك ، عن سعيد بن [أبي] أيوب ، عن يحيى بن [أبي] حنبل ، عن زيد بن أبي حنبل ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتييم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتييم يساء إليه - ثم قال (٤) : باصمه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » .

(١) ما بين القوسين من الطبعة السابقة .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) حاكم متيسر من حديث رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه عنه أبي المومنون ، المتفقين ، انظر : ٤٧٦/٥ .

(٤) أي : أخبر .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان ، أخبرنا عبد العزيز - يعني ابن أبي حازم - حدثني أبي ، عن سهل - يعني ابن سعيد - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بينهما أصبعيه : الوسطى والى يلى الإصبع (١) .

(ولا تحاضرون على طعام المسكين) ، يعني : لا يأمرهم بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم على بعض في ذلك ، (وتأكلون الثروات) يعني للميراث (أكلالاً) ، أي : من أي جهة حصل لهم ، من حلال أو حرام ، (وتحبون المال حبا جما) ، أي : كثيرا - زاد بعضهم - قاله الله .

عَلَّا إِذَا دُكِّيَ الْأَرْضَ دَكْدَكًا ۝ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمَعُوا ۝ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ وَمِنْكُمْ
يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ لَكَرِي ۝ يَقُولُ يَلْبَسُنِي ثَمَلَاتٍ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعْلَبُ عَمَلُهُمْ شَيْئًا
وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَحَدٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ وَأَنِيعِي مَرْنُوعًا ۝
فَادْخُلِي فِي جَنَّاتٍ ۝ وَأَدْخُلِي مَعِيَ ۝

يُخبر تعالى على ما يقع يوم القيامة من الأحوال العظيمة : فقال ، (كلا) ، أى : حقاً (إن دكت الأرض دكا دكا) ، أى : ومشت ومهدت وسويت الأرض والجبال ، وقام الخلق من قبورهم لربهم ، (وجاء ربك) ، أى : فصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستفتنون إليه سيد آدم على الإطلاق - عمد - صلى الله عليه وسلم - بعد ما يسألون أولى النعم من الرسل واحداً بعد واحد - فكلهم يقول : لست بصاحبها ، حتى تنسب النوبة إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : أنا أنا ، أنا أنا ، فينبط فيشفع عند الله في أن يأتى لقصل القضاء فيشفعه الله في ذلك ، وهى أول الصفحات ، وهى المقام المحمود ، كما تقدم بيانه في سورة « سبحان » (١٢) ، فيجىء الرب تعالى لقصل القضاء كما يشاء ، وللأدلة جيون بين يديه صفوا صفوا .

وقوله : (وحيى يومئذ بجهنم) - قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا ثابي ، عن العلاء بن خاله الكاهلي ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يؤتى بجهنم يومئذ ما سبون ألف زمام ، كل زمام سبعون ألف ملك ، يؤتى بها (١٢) » .

ومكلا رواه الأرمزي عن عبد الله بن عبد الرحمن اللخري - عن عَصْرِ بن خُصْص - به ، ورواه أيضا عن حديد بن حَمِيد - عن أبي عامر ، عن سفيان الثوري ، عن البلاد بن خالک - عن شقيق بن سلمة - وهو أبو إياك - عن عبد الله بن مسعود ، قوله ولم يرفعه (٤) . وكذا رواه ابن جُرير - عن الحسن بن عرفة ، عن مَرْثَدَان بن معاوية الثوري ، عن البلاد بن خالک ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قوله (٥) .

(۱) سنتی لہجہ داود ، کتاب الادب ، باب وی ضم آیتہ .

(٢) انظر تفسير الآية التاسعة والسبعين من سورة الإسراء : ١٠٨ - ١٠٠/٥ .

(r) مسلم ، كتاب الحج ، باب في شدة حر النار جهنم وبعد قعرها ، وما تأخذ من النسيم : ١٤٩/٨ .

(٥) تحفة الأحوص ، أبواب صفة جهنم ، باب « ما جاء في صفة النار » ، الحديث ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩ ، ٧ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٥) تفسير الطبري : ١٢٠/٣٠ .

وقوله : (يُمِيتُ بِذِكْرِ الْإِنْسَانِ) ، أى : عمله وما كان أسفله في قديم دهره وحديثه ، (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) ، أى : وكيف تقضى الذكرى ؟ (يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي قُتِلْتُ خِلَافِي) ، يعنى يتندم على ما كان سلف منه من المعاصي - إن كان حاصيا - ويود لو كان ازداد من الطاعات - (إِنْ كَانَ طَائِفًا) - كما قال الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا علي بن إمام ، حدثنا حيد الله - يعنى ابن المبارك - حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبر ابن نفير ، عن محمد بن [أبي صَمِيرَةَ] (١) - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت [هَرَمًا] (٢) في طاعة الله ، لَحَقَّقْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَوْ أَنَّهُ يَرْكُضُ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا يَزِدُّهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالْغَرَابِ (٣) .

ورواه (يَحْيَى بْنُ سَعْدٍ) (٤) ، عن خالد بن سَعْدَانَ ، عن عتبة بن عبد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (هـ) .

قال الله تعالى : (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْصَلِفُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ) ، أى : ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه ، (وَلَا يَوْنِقُ وَلَاقَهُ أَحَدٌ) ، أى : وليس أحد أشد قبضاً ووثاقاً من الربانية لمن كفر بربه عز وجل ، هذا في حق المجرمين من الخلاق والظالمين ، فأما النفس الفرية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) ، أى : إلى جوارحه وثوابه وما أعد لعباده في جنته ، (رَاضِيَةً) ، أى : في نفسها (مَرْضِيَةً) ، أى : قد رضى عن الله ورضى عنها وأرضاعها ، (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) ، أى : في جملتهم ، (وَادْخُلِي جَنَّتِي) . وهذا يقال لما عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضاً ، كما أن الملائكة يمشرون المؤمنين عند احتضارهم وعند قيامه من قبره ، وكذلك هامتا . ثم اختلف المفسرون فيما نزلت هذه الآية ، أروى الضحاك ، عن ابن عباس : نزلت في عثمان بن عفان . وعن يَرْبُوعَةَ بْنِ الْحَصْبِيِّ : نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

وقال السَّوْفِيُّ ، عن ابن عباس : يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) ، يعنى صاحبك ، وهو بدنها الذي كانت تسمره في الدنيا ، (رَاضِيَةً مَرْضِيَةً) .

وروى عنه أنه كان يقرؤها : (فَادْخُلِي فِي حَبْشَتِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) . وكذا قال حكرمة والكشي ، وخطره ابن جرير (٥) ، وهو غريب ، والظاهر الأول ، لقوله : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (٦) (وَأَن مَّرَدَّتْ إِلَى اللَّهِ) (٨) أى : إلى حكمه والقوف (٩) بين يديه .

(١) في المخطوطة : « محمد بن حمزة » . والمثبت من النسخت : « وأسد ثنابة : ١٠٨/٥ » ، بتحقيقنا .

(٢) ما بين القوسين من النسخت وأسد ثنابة .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٨٥/٤ .

(٤) في المخطوطة : « وقال وهب بن يحيى » . والمثبت من النسخت : « وانظر أسد ثنابة أيضاً : ١٠٩/٥ » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٨٥/٤ .

(٦) انظر تفسير الطبري : ١٢٢/٣٠ - ١٢٣ .

(٧) سورة الأنعام : آية : ٦٢ .

(٨) سورة هافر : آية : ٤٣ .

(٩) في المخطوطة مكان كلمة « والقوف » : « وهو عود » دون لفظ . والمثبت من الطبقات السابقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن حيد الرحمن بن حيد الله الشنكي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها النفس المطمئنة : ارجعي إلى ربك راضية مرضية) ، قال : تزلت وأبى يكر جالس ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذا : فقال : « أما إنه سيقال لك هذا » .

ثم قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن عمار ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - : (يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية) ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : إن هذا لحسن . فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أما إن للآلئ يقول لك هذا عند الموت » .

وكلموا به ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن ابن عمار ، به : وهذا مرسل حسن (١) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مروان بن شجاع البجزي ، عن سالم الأظفري ، عن سعيد ابن جبير قال : مات ابن عباس بالمطائف ، فجاء طبر لم ير على خنكفه ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجا منه ظمأ دفن . فكيف هذه الآية على شجر القبر ، ما يدرى من تلاها : (يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية) فادخل في حياض وادخل جني) .

رواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، عن مروان بن شجاع ، عن سالم بن جيلان الأظفري ، به فذكره .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر المروى - المعروف بشنكر - في كتاب المجانب يستمد عن قُبات بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد الروم ، فجمعتنا الملك وعترت حليتنا دينه ، على أن من امتنع ضربت عنقه . فارتد ثلاثة ، وجاء الرابع فامتنع ، فضربت عنقه ، وأتى رأسه في نهر هناك ، فربس في الماء ثم طفا على وجه الماء ، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان - يتأدبهم بأسمائهم - قال الله تعالى في كتابه : (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخل في حياض وادخل جني) . ثم غاص في الماء ، فكادت التماري أن يسلموا ، ووقع (٢) سرير الملك ، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام - قال : وجاء القلاء من عند الخليفة أبي جعفر للتصوير فخلصنا .

وروى الحافظ ابن حساكر في ترجمة روضة بنت أبي عمرو الأوزاعي ، عن أبيها : حدثني سليمان بن حبيب الطبري ، حدثني أبو أمامة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل : « قل : اللهم ، إني أسألك نسا بك مطمئة ، تؤمن بقضائك ، وترضى بقضائك ، وتقتض بسلامتك » .

ثم روى عن أبي سليمان بن زبير أنه قال : حديث روضة هذا واحد .

آخر تفسير سورة الفجر ، والله الحمد

(١) تفسير الطبري : ١٢٢/٣٠ .

(٢) في الخطوة : « وقع سرير ... » ولكتبت عن الطبقات السابقة .

تفسير سورة البلد

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُنْقِصُ مِنْكَ الْبَلَدَ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِبَلَدِ الْبَلَدِ ② وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ ④
أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدًا ⑥ أَيْحَسِبُ أَنْ لَوْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُ
عِجِينَ ⑧ وَلَسْنَا وَشَقَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْتُهُ النُّجْدَيْنِ ⑩

هذا قسم من الله - عز وجل - بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً ، لينبه على عظمة قدرها في حال
إحرام أهلها .

قال خصيف ، من مجاهد (لا أُنْقِصُ مِنْكَ الْبَلَدَ) : لا : ود عليهم ، أُنْقِصُ مِنْكَ الْبَلَدَ .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (لا أُنْقِصُ مِنْكَ الْبَلَدَ) ، يعني مكة ، (وَأَنْتَ حِلٌّ بِبَلَدِ الْبَلَدِ) ،
قال أنت - يا محمد - حِلٌّ لَكَ أَنْ تَقَابِلَ بِهِ وَكُنَّا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَأَبِي صَالِحٍ ، وَطَلْحَةَ ، وَالضَّمَاكُ ،
وَقَتَادَةَ ، وَالسَّدي ، وَابْنِ زَيْدٍ (١) .

وقال مجاهد : ما أصبت فيه فهو حلال لك .

وقال قتادة : (وَأَنْتَ حِلٌّ بِبَلَدِ الْبَلَدِ) ، قال : أَنْتَ بِهِ مِنْ شَرِّ حَرَجٍ وَلَا إِمٍّ .

وقال الحسن البصري : أحلها الله له ساعة من نهار .

وهذا للمعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته : « إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ،
فَهُوَ حَرَامٌ مَحْرَمَةٌ لِلَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يُخَصَّدُ شَجَرُهُ وَلَا يُخْتَلَى غُلَاهُ (٢) . وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ
حَرَمَتِهَا الْيَوْمَ كَحَرَمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، أَلَا فليبلغ الشاهد الغائب » . وفي لفظ : « فَإِنْ أَحَدٌ تَرَضَّخَ بِقَتَالِ رَسُولِ اللَّهِ فَهُوَ »
إِنَّ اللَّهَ إِذْ أَنْزَلَ رُسُولَهُ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ (٣) » .

(١) انظر تفسير الطبري : ١٢٤/٣٠ .

(٢) أي : لا يقطع شجرة - والمختلأ : التيهات الرطب الرقيق ما دام رطباً ، واعتلاوه : قطعوه .

(٣) البخاري ، كتاب البلاء ، باب يبلغ منكم الغائب : ٣٧/١ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب « تحريم مكة
وسبيلها وغلها وشجرها وغلظها » إلا للثقة حل البوام : ١٠٩/٤ .

وقوله : (ووالد وما ولد) — قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب . حدثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (ووالد وما ولد) ، الولد : الذي ولد ، وما ولد : الماتر الذي لا يولد (١) له .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث شريك — وهو ابن عبد الله القاضى — به .

وقال عكرمة : الولد : الماتر ، وما ولد : الذي ولد . رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقاعدة ، والضحك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبر ، والسدي ، والحسن البصري ، وعصيف ، وشريحيل بن سعد وغيرهم : يتنى بالوالد آدم ، وما ولد ولده .

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي ، لأنه تعالى لا أقسم بأم القري وهى للمساكن أقسم بده بالمساكن ، وهو آدم أبو البشر ولده .

وقال أبو عمران الجوني : هو إبراهيم وخبرته . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد ولده . وهو محتمل أيضا .

وقوله : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) : روى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم التيمي ، وعيشة ، والفضالة ، وغيرهم : يتنى متصبيا — زاد ابن عباس في رواية عنه — في بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنى هذا أقول : لقد خلقنا الإنسان سويا مستقيما كقوله : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك سويا لك فملاك (٢)) وكقوله : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٣)) .

وقال ابن جريج وعطاء ، عن ابن عباس : في كبد ، قال : في شدة خلقن ، لم تر إله ... وذكر مولده ونبات أسنانه (٤) .

وقال مجاهد : (في كبد) : نافقة ، ثم نافقة ، ثم مضفة يتكبد في الخلق — قال مجاهد : وهو كقوله : (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ، وأرضه كرها ، وممشته كره ، فهو يكابد ذلك .

وقال سعيد بن جبر : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) : في شدة وتقلب معيشة . وقال عكرمة : في شدة وطوله . وقال قاعدة : في مشقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عاصم ، حدثنا أبو حاتم ، أن عمر لا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن حلن أبا جعفر الباقر سأله رجلا من الأنصار عن قول الله : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، قال : في قيامه واعتداله . فلم ينكر عليه أبو جعفر .

(١) تفسير الطبري : ١٢٥/٣٠ .

(٢) سورة الانشقاق : آية : ٧/٦ .

(٣) سورة التين : آية : ٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٦/٣٠ .

وروى من طريق أبي مودود (١) : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، قال : يكابد أمر من أمر الدنيا ، وأمر من أمر الآخرة - وفي رواية : يكابد مضائق الدنيا وشدائد الآخرة .

وقال ابن زيد : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، قال : آدم خلق في السه ، فسمي ذلك الكبد .

واختار ابن جرير أن المراد مكابدة الأمور ومخالها :

وقوله : [(أجسب أن لن يقدر عليه أحد) ، قال الحسن البصري : يشي (٢)] (أجسب أن لن يقدر عليه أحد) [يأخذ (٢)] ماله :

وقال قتادة : (أجسب أن لن يقدر عليه أحد) ، قال : ابن آدم يظن أن لن يسأل من هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟

وقال السدي : (أجسب أن لن يقدر عليه أحد) قال : الله عز وجل .

وقوله : (يقر : أهلك ما لا لبنا) ، أي : يقول ابن آدم : أنفقت ما لا لبنا ، أي : كثيرا : قال مجاهد ، وقاتدة ، والسدي ، وغيرهم .

(أجسب أن لم يره أحد) - قال مجاهد : أي أجسب أن لم يره الله عز وجل : وكلما قال غيره من السلف :

وقوله : (لم يحمل له حين) ، أي : يصرهما ، (ولسانا) ، أي : ينطق به ، فيبهرهما في ضيعة ، (وشفين) يصعبهما على الكلام وأكل الطعام ، وجسالا لوجهه وله .

وقد روى الحافظ ابن صاكر في ترجمة أبي الربيع العمشقي ، عن مكحول قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعمًا عظيمة لا تحصى جدها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك حينًا تنظر بهما ، وجعلت لهما [غطاءً] ، فانظر بعينك إلى ما أحطت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما [غطاءهما] وجعلت لك لسانًا ، وجعلت له غلافًا ، فانطق بما أمرتك وأحطت لك ، فإن عرّضت لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجًا ، وجعلت لك سرًا ، فأصعب فرجك ما أحطت لك ، فإن عرّضت لك ما حرمت عليك فتأخر عليك سرك : يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقاي » ،

(وهديناه للتجدين) - قال صفوان الثوري ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - : (وهديناه للتجدين) ، قال : الخير والشر وكذا روى عن علي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي وائل ، وأبي صالح ، وعبد بن كعب ، والفسحاك ، وعطاء الخراساني آخرين .

(١) هو بحر بن موسى - روى عن الحسن - روى عنه الثوري . انظر ترجمته في البحر والتبديل لابن أبي حاتم : ١/١٩٩

(٢) ما بين القوسين من الكلمات السابقة .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني ابن لحيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ستان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هما نجدان ، فاجعل نجد الشرح أحب إليكم من نجد الحبر » ،

تفرد به ستان بن سعد - ويقال : سعد بن ستان - وقد وثقه ابن معين (١) . وقال الإمام أحمد والنسائي والجزايني : منكر الحديث ، وقال أحمد : تركت حديثه لاضطراره . وروى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ، ما أعرف منها حديثا واحدا ، يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن يقول : (وهديناه التجدين) قال : ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : « يا أيها الناس ، إنهما التجدان ، نجد الحبر ونجد الشر » ، فاجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الحبر » .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد ، ويونس بن حيد ، وأبو وهب ، عن الحسن مرسلًا . وهكذا أرسله قتادة ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عاصم الأنصاري ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عيسى بن عقال ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : (وهديناه التجدين) ، قال : التجدين .

وروى عن الربيع بن خثيم ، وقاتدة وأبي حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عيسى بن عقال ، به (٢) ثم قال : والصواب لقول الأول .

ونظير هذه الآية قوله : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نطية ، فجعلناه سميعًا بصيرًا : إنا هدناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (٣)) ،

فَلَا أَقْبَحُ مِنَ الْعَقَبَةِ ۖ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَكَ مَا الْغَيْبَةَ ۖ فَكَ رَقَبَةٍ ۖ أَوْ أَلْعَنَهُمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَرٍ ۖ
يَبْيِغُوا مَافَرَقَهُ ۖ أَوْ مَسَكِينًا ذَا مَفْرَقَةٍ ۖ ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالْحَبِيرِ وَتَوَصَّوْا بِالْمَرْحَةِ ۖ
أَوْ لَكُمْ أَصْحَابُ الْمُحْسِنَةِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيَّاكُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمُشْجَمَةِ ۖ عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَمَّنَةٍ ۖ

قال ابن جرير : حدثني عمر بن إسماعيل بن جبال ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (٤) عن ابن عمر في قوله : (فلا اقبحم العقبه) ، قال : جهل في جهنم (٥) .

(١) المهرج والتفصيل لابن أبي حاتم ٢٠١/١/٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٢٨/٣٠ .

(٣) سورة الإنسان آية ٢ - ٣ .

(٤) في الخطوط : « عن أبي عطية » . والمثبت عن تفسير الطبري . والتهذيب : ترجمة عطية بن سعد السكوني : ٢٢٤/٢ -

٢٢٥ .

(٥) في الخطوط : « جهل في جهنم أزل » . وكلمة « أزل » هذه غير ثابتة في النسخ المتعارفة : ٢٥٤/٦ .

وقال كعب الأحبار : (فلا اتحم القبة) : هو سبعون درجة في جهنم . وقال الحسن البصري : (فلا اتحم القبة) : قال : حقبة في جهنم : وقال قتادة : إنها قصبة شديدة فالتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة (١) : (وما أدراك ما القبة ؟) : ثم أخبر عن اتحامها (٢) . قال (فك رقية أو إطماع) .

وقال ابن زيد : (اتحم القبة) ، أى : أفلا سلك الطريق إلى فيها النجاة والخير . ثم بينها فقال : (وما أدراك ما القبة : فك رقية : أو إطماع) .

قوى (فك رقية) بالإضافة ، وقُرىء على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل والرقية مفعوله . وكلتا القرامتين مناهما مقارب .

قال الإمام أحمد : حدثنا علي (٣) بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله - بن أبي سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم - عن مولى آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من أحتق وقبة مومنة أحتق بكل لوط (٤) آمنها إربا منه من النار ، حتى إنه ليحتق باليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج » . فقال علي بن الحسين : أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ قال سعيد : نعم . فقال علي بن الحسين لعالم له : « أفتره (٥) » . فلهذه - ادع مطرًا : فلما قام بين يديه قال : انصب فأتت حور لوجه الله (٦) .

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به . وهذا مسلم أن هذا الكلام للذي أحضه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم (٧) .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن أبي طلحة ، عن أبي نجيح قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « أيما مسلم أحتق رجلاً مسلماً ، فإن الله يجعل له وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام عورته من النار ، وأيما امرأة أحتقت امرأة مسلمة قال الله يجعل لها وفاء كل عظم من عظامها عظماً من عظامها من النار » .

رواه ابن جرير هكذا : وأبو نجيح هذا هو عمرو بن صبيح السلمي ، رضى الله عنه (٨) .

(١) في المخطوطة : « وذلك قتادة وقوله : (وما أدراك) . » . فحدثنا كلمة « وقوله » .

(٢) في المخطوطة : « ثم فن من اتحامها » . والمكتوب من التمامات السابقة .

(٣) كلما في المسند وفي رواية أخرى ٢٠٢/٢ : « حدثنا مكى بن إبراهيم » .

(٤) أى : عضو .

(٥) أى : حسن الوجه .

(٦) ستة الإمام أسد ٢٢٢/٢ .

(٧) البخاري ، كتابه للكفارات ، باب قول الله تعالى : (أو تحرم رقية) : ١٨١/٨ . ومسلم : كتاب النكاح ، باب « فصل النكاح » : ٢١٧/٢ - ٢١٨ . ونسخة الأخرى : أبواب النكاح ، باب « في ثواب من أحتق رقية » : الحديث ١٥٨١ .

(٨) نسخة الجوهري : ١٢٩/٧٥ .

قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بنية ، حدثني يحيى بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير ابن مرة ، عن عمرو بن عبيدة : أنه حدثهم : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من بنى مسجداً ليلكر الله فيه ، بنى الله له بيتاً في الجنة . ومن اعتق نفساً مسلمة ، كانت فدية من جهنم . ومن شاب شية في الإسلام ، كانت له نوراً يوم القيامة (١) » .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا حريز ، عن سفيان بن عامر : أن شرحبيل بن السطاط قال لعمرو بن عبيدة : حدثنا حديثاً ليس فيه تزديد ولا نسيان . قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اعتق رقبة مسلمة كانت فكاً من النار ، عضواً بعض . ومن شاب شية في سبيل الله ، كانت له نوراً يوم القيامة » . ومن روى بسهم فلان فاصاب أو أخطأ ، كان كسحق رقبة من بني إسرائيل (٢) » .

وروى أبو داود ، والشمالي بعضه (٣) » .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الفرج ، حدثنا قتيب ، عن أبي أمامة عن عمرو بن عبيدة : قال السلمي : قلت له : حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس فيه انتقاص ولا وهم . قال : سمعته يقول : « من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فأتوا قبل أن يبلغوا الحنث ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » . ومن شاب شية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله ، بلغ به العدو ، أصاب أو أخطأ ، كان له حق رقبة . ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله ، فإن الجنة لعاتية أبواب ، يدخله الله من أي باب شاء منها » .

وله أسانيد جيدة قوية ، والله الحمد .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا عيسى بن محمد الرملي ، حدثنا خزيمة ، عن ابن أبي شيبة ، عن الربيع ابن النعمان ، قال : أئنا والله ينالنا من الأصغر قلنا له : حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان . فغضب وقال : إن أحلكم ليقرأ ومصحفه ملقى في يده ، فيزيد وينقص . قلنا : إنا أردنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أئنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل ، فقال : « أحقوا عنه يحنق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار (٤) » .

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي شيبة ، عن القتيب بن حياش الجلي ، عن وائلة ، به .

حديث آخر ، قال أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجلبلي ، عن حقة بن عامر الجهني : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداء من النار (٥) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤/٣٨٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤/١١٣ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب المتاع ، باب « أي الرقاب أنفل » .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب المتاع ، باب « في ثواب المتق » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤/١٥٠ .

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذكر أن قيسا الجلبى حدثت عن عقبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاهة من النار » (١) .
 ترد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالوا : حدثنا عيسى بن عبد الرحمن الجبلي عن ابن خزيمة - من بني سلم - عن طلحة - قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف - عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أمراء بني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، علمني عملا يدخلني الجنة . فقال : « لئن كنت أنصرت لحطبة لقد أمرت المسألة . أعتق النسيئة ، وقل الرقبة » . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : « لا ، إن حتى النسيئة أن تغرد بضعها ، وقل الرقبة أن تبين في حلقها . والمنعة الركوف (٢) ، والتي على ذى الرحم الظالم » فان لم تطيق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمان وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فان لم تفعل ذلك فكف لساتك إلا من الخير (٣) .

وقوله : « أو إطعام في يوم ذي مسغبة » - قال ابن عباس : ذي مجاعة : وكلنا قال حكمة ، ومجاهد ، والضحك ، وقناعة ، وغير واحد : والسبب : هو الجوع .

وقال إبراهيم النخعي : في يوم الطعام فيه حرزٌ .

وقال قتادة : في يوم [يُشْتَعَى] فيه الطعام (٤) .

وقوله : « (جاء) ، أي : أعلم في مثل هذا اليوم جيا » (خامسة) ، أي : ذا قرابة منه : قاله ابن عباس ، وعكرمة والحسن ، والضحك ، والسدي ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « الصلوة على المسكين صلوة ، وعلى ذي الرحم الثنتان ، صلوة وصلة » (٥) .

وقد رواه الترمذي والنسائي ، وهذا إسناده صحيح (٦) .

وقوله : « أو مسكيتا ذا مرتبة » ، أي : فقيرا مستقلا لا صفا بالربا ، وهو اللقضاء أيضا .

قال ابن عباس : « ذا مرتبة » هو الماروح في الطريق ، الذي لا بيت له ، ولا شيء فيه من الربا - وفي رواية : هو الذي لم يلق باللقضاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء - وفي رواية عنه : هو البعيد التربة .

(١) سنة الإمام أحمد : ١٤٧/٤ .

(٢) النسيئة : كركبت ، غزيرة البين .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٢٩٩/٤ .

(٤) تفسير قتيبي : ١٣٠/٢٠ . وما بين القوسين عنه .

(٥) سنة الإمام أحمد : ٢١٤/٤ .

(٦) نفع الأيسر في أبواب الزكاة ، باب : ما جاء في الصلوة على ذي القرابة ، الحديث ٦٥٣ : ٣٧٤/٣ - ٣٧٥ .

وقال الترمذي : « حديث سلمان بن عامر حديث حسن » . والنسائي : كتاب الزكاة ، باب : الصلوة على الأتارب : ١٢/٥ .

قال ابن أبي حاتم : يعنى الغريب من وطنه ،

وقال عكرمة : هو الفقير للتيون المحتاج ،

وقال سعيد بن جبير : هو الذى لا أحد له ،

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال .

وكل هذه قرية للمنى .

وقوله : (ثم كان من الذين آمنوا) ، أى : ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة ، مؤمن بقلبه ، محسبه ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالى : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا (١)) . وقال : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن (٢)) ... الآية .

وقوله : (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) ، أى : كان من المؤمنين العاملين صالحا ، المتواصين بالصبر على أذى الناس ، وعلى الرحمة بهم . كما جاء فى الحديث : الرحمون يرحمهم الرحمن ، لرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء (٣) . وفى الحديث الآخر : ولا يرحم الله من لا يرحم الناس .

وقال أبو داود : حدثنا بن أبي شبة ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عباس ، عن عبد الله بن عمرو — يرويه — قال : من لم يرحم صغيرنا ويشفق كبيرنا ، فليس منا (٤) .

وقوله : (أولئك أصحاب اليمامة) أى : لتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمامة ،

ثم قال : (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب النار) ، أى : أصحاب النيران ، (عليهم النار مؤمنة) ، أى : مطبقة عليهم ، فلا يجد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها ،

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعبد بن كعب القرظي ، وعطية النخعي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : (مؤمنة) ، أى : مطبقة — قال ابن عباس : مطقة الأبواب . وقال مجاهد : أصل اليمامة بلدة [قريش] ، أى أغلقه ،

وسياتى فى ذلك حديث فى سورة : (ويل لكل هُمْزة ثرة) .

(١) سورة الإسراء : آية : ١٩ .

(٢) سورة النحل : آية : ٩٧ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : فى الرحمة . ونسخة الأحرصى ، أبواب الجبر . باب : وما جاء فى رحمة الناس ، الحديث ١٩٨٩ : ١٧٦٠ . وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : فى الرحمة .

وقال الضحاك : (مؤصلة) : حيث لا باب له .

وقال قتادة : (مؤصلة) : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجوني : إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره ، فألقوا في الحديد ، ثم أمر بهم إلى جهنم ، ثم أوصلوها عليهم ، أي : أطبقوها - قال : فلا والله لا تستغر أقدامهم على غرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى آدم مائة أبدا ، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على شمس يوم أبدا ، ولا والله لا يلتفتون فيها بارد شراب أبدا : رواه ابن أبي حاتم ،

آخر تفسير « سورة البلد » ، والله العبد والمذنب

تفسير سورة والشمس وضحاها وهي مكية

تقدم حديث جابر الذي في المسيحين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لماذا : (هلا صليت :) (مسيح اسم ربك الأهل) ، و (الشمس وضحاها) و (الليل إذا يمشي) ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝ وَاللَّيْلُ إِذَا يَشَتْهَا ۝ وَالسَّمَاءُ
وَمَا بَثَّهَا ۝ وَالْأَرْضُ وَمَا كُنَّهَا ۝ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَلَمَّا جَاءَ جُورَهَا وَتَوَّابَهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ جَاءَ بِسْمِ اللَّهِ ۝

قال مجاهد : (والشمس وضحاها) ، أي : وضوئها . وقال قتادة : (وضحاها) ، النهار كله .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (١) .

(والقمر إذا تلاها) ، قال مجاهد : تبعها . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (والقمر إذا تلاها) ، قال : بطر النهار . وقال قتادة : (إذا تلاها) ليلة لللال ، إذا سقطت الشمس روى لللال .

وقال ابن زيد : هو يطوها في النصف الأول من الشهر ، ثم هي تلوو . وهو يضمها في النصف الأخير من الشهر .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

وقوله : (والنهار إذا جلاها) ، قال مجاهد : أضاءه . وقال قتادة : (والنهار إذا جلاها) ، إذا خشيها النهار .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يأول ذلك معنى : والنهار إذا جلا الظلمة ، لئلا الكلام عليها .

قلت : ولو أن هذا القائل تأول معنى (والنهار إذا جلاها) ، أي : البسطة ، لكان أولى ولصح قوله الله : (والليل إذا يشأها) ، فكان لجود وأقوى ، ولله أعلم . ولما قال مجاهد : (والنهار إذا جلاها) إله كقوله : (والنهار إذا تجلى) . وأما ابن جرير فخطأ عود التفسير في ذلك كله على الشمس ، لجريان ذكرها . وقالوا في قوله : (والليل إذا يشأها) ، يعني إذا يمشي الشمس حين تنيب ، فتكلم الأفاق .

وقال يقيّة بن الوليد ، عن صفوان ، حدثني يزيد بن ذى حمامة قال : إذا جاء القليل قال الرب جل جلاله : غشى هادئ غشى العظيم ، فالليل يباه ، ولذئ غشقه لحن أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : (والسماء وما بناها) : يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية ، بمعنى : والسماء وبناؤها : وهو قول قتادة . ويحتمل أن تكون بمعنى « من » يعنى : والسماء وبانيها . وهو قول مجاهد ، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع ، كقوله : (والسماء بنيناها بأيد) ، أى : بقوة (وإنا لموسعون . والأرض فرشتها فتم الماهدون (١)) .

وهكنا قوله : (والأرض وما طحاها) ، قال مجاهد : (طحاها) دحاها . وقال الموقى ، عن ابن عباس : (وما طحاها) ، أى : غشى فيها ،

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (طحاها) قسمها .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والفسحاء ، والسلى ، والثورى ، وأبو صالح ، وابن زيد : (طحاها) : بسطها .

وهذا أشهر الأقوال ، وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري : طحوته مثل صحوته ، أى : بسطته .

وقوله : (ونفس وما سواها) ، أى : خلقها سوية مستقيمة على القطرة القويمة ، كما قال تعالى : (فألم وجهك للدين حقيقا ،طرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله (٢)) . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد البهيمة بيمة جتماع هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » .

أخرجاه من رواية أبي هريرة (٣) .

وفى صحيح مسلم من رواية عياض بن حمكار للجاشعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادى حنفاء فجهلهم للشياطين فاجتالهم عن دينهم (٤) .

وقوله : (فلأمها فجورها وتقواها) ، أى : فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، أى : بين لها ذلك ، وهما إلى ما قدر لها .

قال ابن عباس : (فلأمها فجورها وتقواها) : بين لها الخير والشر وكنها قال مجاهد ، وقتادة ، والفسحاء ،

والثورى .

وقال سعيد بن جبير : ألمها الخير والشر وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

(١) سورة النازعات : آية ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير آية الروم المتقدمة ٣٢٠/٦ ، وانظره أيضاً فى : ٣٦٨/٢ ، ٢٤٥/٤ . وقد فرشتنا فريه

هناك .

(٤) تقدم أيضاً عند تفسير آية الروم ٣٢٢/٦ ، وعرجناه هناك ، وانظره أيضاً فى : ٦٦/٢ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشر ، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا : حدثنا حذوة بن ثابت ، حدثني يحيى بن عتيل ، عن يحيى بن عمر ، عن أبي الأسود الدؤلي قال : قال لي عمران بن حصين : رأيت ما يعمل فيه الناس ويكادون فيه ، أثنى قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون عما أتاهم به نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وأكلت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضي عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال : ففزعته منه فرعا شليدا ، قال : قلت له : ليس شيء إلا وهو خفقه ومملك بته ، لا يسأل عما يفعل وهم يشغلون . قال : صدك الله ، إنما سألت لأخبر عنك ، إن رجلا من مرتبة - أو : جبهة - ألق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، رأيت ما يعمل الناس فيه ويكادون فيه ، أثنى قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق ، أم شيء مما يستقبلون عما أتاهم به نبيهم . وأكلت به عليهم الحجة ؟ قال : بل شيء قد قضي عليهم . قال : فقم لعمل ؟ قال : من كان الله خلقه لإحدى للترتين يهتبه لها ، وتصلب في كتاب الله (وقس وما سواها) فألهدها لغيرها وقرها (١) .

رواه أحمد ومسلم ، من حديث حذوة بن ثابت به (٢) .

وقوله : (قد أطلع من زكاه) . وقد خُلب من دسها) : يحتمل أن يكون المعنى : قد أطلع من زكي نفسه ، أي : بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق السيئة والخرال ، ويرى نحوه من مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبهر . وكقوله : (قد أطلع من زكي : وذكر اسم ربه فصل (٣)) .

(وقد خلب من دسها) ، أي : دسها ، أي : أضلها ووضع منها بخلافه إياها عن الهدى ، حتى ركب للماصي وترك طاعة الله عز وجل .

وقد يحتمل أن يكون المعنى : قد أطلع من زكي الله نفسه ، وقد خلب من دس الله نفسه ، كما قال العوفي وحل ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي وأبو زهرة قالا : حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا أبو مالك - يعني عمرو بن هشام (١) - عن جوبير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في قول الله : (قد أطلع من زكاه) ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أطلع قضي زكاه الله »

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك ، به . وجوبير : هو ابن سعيد ، منوك الحديث ، والضمك لم يلق ابن عباس .

(١) تفسير الطبري : ١٣٥/٣٠ .

(٢) مستدرك الإمام أحمد : ٤٣٨/٤ . ومسلم : كتاب القدر : ٤٨٧/٨ - ٤٩ .

القدر : ٤٩ - ٤٨/٨ .

(٣) سورة الأمل : آية : ١٤ - ١٥ .

(٤) في المسئلة : يعني عمرو بن الحارث بن هشام . ولم نجد . والمثبت من الصحيح والتمثيل : ترجمة : عمرو بن حاتم بن مالك

الجبني : ٢٦٧/١٦٢ .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا ابن ، حدثنا ابن لحيمة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مر بهذه الآية : (ونفس وما سواها . فاعلمها فجورها وتقواها) وقف ، ثم قال : اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وغير من زكاتها .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن حميد الملقب ، حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي ، حدثنا معمر بن محمد النخعي ، عن حفظة بن علي الأسدي ، عن أبي هريرة قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ : (فاعلمها فجورها وتقواها) ، قال : اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكها ، أنت وليها ومولاها . ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن نافع - يعني (١) ابن عمر - عن صالح بن سعيد ، عن عائشة : أنها فقئت النبي - صلى الله عليه وسلم - من مضجعه ، فلمسته بينها ، فوفقت عليه وهو ساجد ، وهو يقول : رب ، أصل نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكها ، أنت وليها ومولاها (٢) . فترد به .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا حاتم الأحول ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « اللهم ، إني أعوذ بك من العجز والكسل والغرم ، والجبن والبخل وحلب القبر . اللهم ، آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكها ، أنت وليها ومولاها » اللهم ، إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها . قال زيد ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطمئنه ونحن نطمئنه (٣) .

رواه مسلم من حديث أبي بصير ، عن حاتم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث - وأبي عثمان النهدي - عن زيد ابن أرقم ، به (٤) .

كُتِبَ بِمَوَدِّتِهِمْ بِطُغْيَانِهِمْ ① إِذْ أَنْبَأَتْ أَشْقَانَهَا ② فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَتُهُمْ وَسُقْيَانَهَا ③ فَخَذُّوهُمُ فَغَرُّوهُمُ فَغَرُّوهُمُ فَغَرُّوهُمُ ④ وَلَا يَخَافُ عُقْبَانَهَا ⑤

غير تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم ، بسببه ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

وقال محمد بن كعب : (بطغواها) أي : بأجسامها .

والأول أولى ، قاله مجاهد وقطادة وغيرهما . فأعطيهم ذلك تكليفاً في قولهم بما جاسم به رسولهم من الملقى واليقين .

(١) في المخطوطة : « من نافع » عن ابن عمر . واكتفت عن المسند .

(٢) سنة الإمام أحمد : ٢٠٩/٦ .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٣٧١/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الذكر ، باب : الصلوة من غير ما حل ، ومن غير ما لم يصل : ٨٢ - ٨١/٨ .

(إذا ثبت أنهما) ، أى : أشق القليلة ، وهو فدا بن سالف عافر الناقة ، وهو أحمير ثمود ، وهو الذى قال تعالى : (فنادوا أصحابهم صاطلي فضر) (١) . وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم ، شريفاً في قومه ، نسياً رئيساً مطاعاً ، كما قال الإمام أحمد .

حدثنا ابن نعيم ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الناقة ، وذكر الذى عفرها ، فقال : (إذا ثبت أنهما) : أثبت لما وجب عارم (٢) عزيز متبع في ردهله ، مثل أبي زمة (٣) .

ورواه البخارى في التفسير ، ومسلم في صفة النار ، والترمذى والنسائى في التفسير من سننهما ، وكلنا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة ، به (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا حيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن محمد بن خُثَيْم ، عن يزيد بن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليل : « ألا أحذرك بأشقى الناس ؟ » قال : بلى : قال : « رجلان أحيمر ثمود الذى عفر الناقة ، والذى يضريك يا حلى على هذا - يبنى قمره - حتى تبطل منه هذه » يبنى لحية .

وقوله : (قال لم رسول الله) ، يعنى : صالحاً عليه السلام : (ناقة الله) ، أى : احلوا ناقة الله أن تمسوها بسوءه (وستياها) ، أى : لا تعتدوا عليها في مقايها ، فإن لما شرب يرم ولكم شرب مملوم : قال الله : (فكلبوه ففروها) ، أى : كلبوه فيما جاعهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التى أنجبها الله من الصخرة آية لم وحجة عليهم ، (فعلمهم عليهم رحيم بالنيهم) ، أى : غضب عليهم ، فغمر عليهم ، (فسلوا) ، أى : فبطل العقوبة نازلة عليهم على السواء . قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعفر الناقة حتى تأبىه صغبرهم وكبرهم ، وذكرهم وأنتاهم ، فلما اشتروك القوم في عقرها علمهم الله عليهم بالنيهم فسلوا (٥) .

وقوله : (ولا يخاف حنيها) : وقرئ (ولا يخاف حنيها) (٦) .

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبة : وكلنا قال بجاهد ، والحسن ، ويكر بن عبد الله لَزُوق ، وغيرهم .

وقال الضحاك والسدي : (ولا يخاف حنيها) ، أى : لم يخف الذى عقرها عاقبة ما صنع (٧) .

واقول الأول أولى ، للدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

آخر تفسير ((الشمس وضحاها))

(١) سورة القمر ، آية : ٢٩ .

(٢) أى : صلب حل من يروحه ، كبير القتر .

(٣) مستد الإمام أحمد : ١٧/٤ .

(٤) البخارى ، تفسير سورة (الشمس وضحاها) : ٢١٠/٦ . ومسلم ، كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : « آثار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء » : ١٥٤/٨ - ١٥٥ . ونسخة الأحرشى : تفسير سورة (الشمس وضحاها) ، الحديث ٣٤٠١ : ٢٦٨/٩ - ٢٧٠ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » . وتفسير الطبرى : ١٣٧/٣٠ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٣٧/٣٠ .

(٦) حتى قرأه نافع وابن عمر ، قال ابن جاهد : « وكذا حتى في مساجد أهل المدينة والشام » انظر كتاب السيرة لابن جاهد : ٦٨٩ .

(٧) تفسير الطبرى : ١٣٨/٣٠ .

تفسير سورة الليل

وهي مكية

قدم قوله - عليه الصلاة والسلام - لماذا : « فها صليت » (صبح اسم ربك الأعلى) ، و (الشمس وضحاها) ،
(والليل إذا يغشى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّجْمُ إِذَا تَجَلَّى ۝ وَمَخْلَقَ اللَّهُ زَوَاجِدَ ۝ إِنَّ شِعْرَةَ اللَّيْلِ ۝ فَأَمَّا مَنْ
أَعْيَنَ يَافَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَيَّرَهُ لَيْسَى ۝ وَأَمَّا مَنْ جَحَلَ وَاسْتَفْهَى ۝ وَكَذَّبَهُ
وَسُئِنَّا فَتْنَهُ فَعُودَ ۝ يَكْفُرُ بِهِ ۝ فَأَمَّا الْفُتْنَةُ ۝

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة : أنه قدم الشام
لفصل مسجد دمشق ، فمضى فيه وكعب وقال : اللهم ، لوزني جليلاً صالحاً : قال : فجلس إلى أبي النرداء ، فقال له
أبو النرداء : عن أنت قال : من أهل الكوفة : قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ : (والليل إذا يغشى) وللهار إذا
تجلّى ؟ قال علقمة : (والذكر والأني) : قال أبو النرداء : لقد سمعنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإ
ذاك هو لا محذور شككوني : ثم قال : ثم لم يكن فيكم صاحب الوساد (١) وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره ، والذي أجبر من
الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ،

وقد رواه البخاري حاشنا ومسلم ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم قال : قدم أصحاب عبد الله على أبي النرداء ،
لفصلهم فوجدوا ، قال : أبكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا ، قال : أبكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة ، قال :
كيف سمعته يقرأ : (والليل إذا يغشى ؟) قال (٣) والذكر والأني : قال : أشهد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ هكذا وهؤلاء يرددون (٤) أن أقرأ : (وما خلق الذكر والأني) ، والله لا أتابعهم (٥) .

(١) الوساد : الحنة . وفي رواية البخاري : « صاحب الموائك » أو السرار . وروى في البخاري أيضاً : « صاحب
الوساد » مثل ما هنا . وتكلم الحديث في المسند : « صاحب الوساد » ابن مسعود . وصاحب السر : حليفة . والذي أجبر من
الشيطان : عمار .

(٢) سمع الإمام أحمد : ٤٩٦ .

(٣) في البخاري : « قال علقمة » .

(٤) في الخازن : « يرددون » .

(٥) البخاري : تفسير سورة (والليل إذا يغشى) : ٢١٠/٦ .

هنا لفظ البخاري . هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء - ورواه أبو الدرداء - وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو
مثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الأفاق : (وما خلق الذكر والأنثى) ، فأنتم تعالى (بالليل إذا يغشى) ، أي :
إذا غشى الخليفة بظلامه ، (والنهار إذا غيلى) ، أي : بضياؤه وإشراقه ، (وما خلق الذكر والأنثى) ، كقوله :
(وخلقناكم أزواجاً) (١) ، وكقوله : (ومن كل شيء خلقنا زوجين) (٢) :

ولا كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً متضاداً ، ولما قال : (إن سيحكم لشيء) ، أي : أعمال
العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة ، فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً ، قال الله تعالى : (فاما من أعطى [واتقى]
أي : أعطى] ما أمر بإتراحه ، واتقى الله في أموره ، (وصدق بالحسنى) ، أي : بالحققة على ذلك - قاله قتادة ،
وقال خصيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، وعكرمة ، وعبد الله بن مسعود ، (وصدق بالحسنى) (٣)
[أي : بالخلاف . وقال أبو عبد الرحمن السلمي ، والضحاك : (وصدق بالحسنى) [أي : بلا إله إلا الله : وفي رواية عن
عكرمة : (وصدق بالحسنى) ، أي : بما أنتم الله عليه . وفي رواية عن زيد بن أسلم : (وصدق بالحسنى) ، قال :
الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : وصدقة القنطر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح التميمي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا زهير
ابن محمد ، حدثني من سمع أبا العالية الراعي يحدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - عن الحسنى قال : « الحسنى : الجنة » .

وقوله : (فسيسره اليسرى) - قال ابن عباس : يعني اليسرى : وقال زيد بن أسلم : يعني الجنة :

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها : ولما قال تعالى : (وأما
من عمل) ، أي : بما عنده ، (واستغنى) - قال عكرمة ، عن ابن عباس ، أي : عمل بماله ، واستغنى عن ربه عز وجل :
رواه ابن أبي حاتم :

(وكلب بالحسنى) ، أي : بالجزاء في الليل الآخرة ، (فسيسره اليسرى) ، أي لطريق الشر ، كما قال تعالى :
(وتقلب أختهم وأبصارهم كالم يومئذ به أول مرة ، ونلهم في طياتهم يمهون) (٤) . والآيات في هذا المعنى كثيرة
دالة على أن الله - عز وجل - يجازي من قصد الخير بالتفريق له ، ومن قصد الشر بالخلال . وكل ذلك بقدر مقتدر ،
والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة :

رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن حبيش ، حدثني العطاء بن خالد ، حدثني
وجيل من أهل البصرة ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه قال : سمعت أبي يذكر أن

(١) سورة القيا : آية : ٨ .

(٢) سورة النازيات : آية : ٤٩ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٤٢/٣٠ .

(٤) سورة الأنعام : آية : ١١٠ .

أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أنعمل (١) على ما فرغ منه أو على أمر موصف؟ قال: «بل على أمر قد فرغ منه». قال: «فمعمل يا رسول الله؟» قال: «كل ميسر لما خلق له» (٢).

رواية على رضى الله عنه، قال البخارى، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن حبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمى، عن علي بن أبي طالب قال: «كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جميع القرى في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار». فقالوا: يا رسول الله، أفلا تتكلم؟ فقال: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق» (٣) له قال: ثم قرأ: (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره ليسرى) إلى قوله: (اليسرى) (٤).

وكلما رواه من طريق شعبة ووكيع، عن الأعمش، بنحوه: ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعد بن حبيدة عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - : «كنا في جنازة في جميع القرى، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقدم وقعدنا حوله، ومعه مبخرة» (٥) فتنكس فجعل ينكب بمخبرته، ثم قال: «ما منكم من أحد - أو: ما من نفس مغسوة» (٦) إلا كتب مكانها من الجنة ولتار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابتنا وتدع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فيصرون لأهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيصرون على أهل الشقاء». ثم قرأ: (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره ليسرى) الآية (٧).

وقد أخرجه بقية الجماعة، من طرق، عن سعد بن حبيدة، به (٨).

رواية عبد الله بن عمر، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال: سمعتُ سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر: قال: قال عمر: يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه؟ أي أمر قد فرغ أو مبتلى أو محتجج؟ قال: «فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلاً ميسر، أما من كان من أهل السعادة فانه يعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء» (٩).

(١) في نسخة: «المعمل».

(٢) منه الإمام أحمد: ٥/١٠٦.

(٣) نقل البخارى: «فكل ميسر» ثم قرأ.

(٤) البخارى: تفسير سورة «والليل لنا ينشئ» ٢١١/٦.

(٥) المغيرة: «ما ألهه الإنسان بيده من صفا» أو حكاية، أو مقرفة، أو قسيب، وقد يتكرر عليه. ونكس:

حفض رأسه على جهة المنع.

(٦) أي: مولودة؛ يقال: نكست المرأة - بالبناء للجهول - ونكست - بنح فكير - فهي نكسة ومغسوة: إذا ولدت.

(٧) البخارى: تفسير سورة: «والليل لنا ينشئ» ٢١١/٦ - ٢١٢.

(٨) مسلم: «كتاب القدر» ٤٦/٨ - ٤٧. ومن أبي حنيفة: «كتاب السنة» باب «في القدر». ونقطة الأخوين:

أبو إمام القدر: «باب ما جاء في الشقاء والسعادة» الحديث ٢٢١٩ = ٢٤٠/٦ - ٣٤١ وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح».

وابن ماجه: «للطبعة» باب «في القدر» الحديث ٢٢٨ = ٢٤٠/٦ - ٣٤١.

(٩) منه الإمام أحمد: ٢٢٨.

ورواه الترمذى في القدر ، عن ابن مهدي ، به وقال : « حسن صحيح » (١) .

حديث آخر من رواية جابر ، قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أن عمر بن عمرو بن الحارث ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : يا رسول الله ، أنعم لأمر قد فرغ منه ، أو لأمر ننتأله ؟ قال : لأمر قد فرغ منه . قال سراقه (٢) : فقيم العمل إننا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عامل ميسر لعمله » (٣) .
ورواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، به (٤) .

حديث آخر ، قال ابن جرير : حدثني يونس ، حدثنا سفیان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق بن حبيب ، عن بشر بن كعب العلوي قال : سألت غلامان شابان أتيا - صلى الله عليه وسلم - قالوا : يا رسول الله ، أنعمل فيما جئت به الأكلام وجرت به المقادير ، أو في شيء يستأنف ؟ قال : « بل فيما جئت به الأكلام وجرت به المقادير » : قالوا : فقيم العمل إننا ؟ قال : « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » . قال : [فَالْآنَ] نجد ونعمل (٥) .

رواية أبي النرداء ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن عمار ، حدثنا أبو الربيع سليمان بن حبة السلمي ، عن يونس بن ميسرة بن حكيم ، عن أبي إدريس ، عن أبي النرداء قال : قالوا : يا رسول الله ، أرأيت ما نعمل ، أمر قد فرغ منه أم شيء ننتأله ؟ قال : « بل أمر قد فرغ منه » . قالوا : فكيف بالعمل يا رسول الله ؟ قال : « كل امرئ مهياً لا خلق له » (٦) .

لقد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر ، قال ابن جرير : حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبة ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا حبان بن راشد ، عن قتادة ، حدثني خنيد البصري ، عن أبي النرداء قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وجبت فيها ملكان بتأديان يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً » . وأئزل الله في ذلك القرآن : (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى . ولما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره اليسرى) (٧) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبي كبة ، بإسناده مثله .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثني أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدائي ، حدثنا الحكم بن أبان عن حكيم ، عن ابن عباس : أن رجلاً كان له نخل ، ومنها نخلة فرعها إلى دار وجل صالح فقهر ذي عيال فلما جاء الرجل فدخل داره وأعطى للبر من نخله ، فسقط الثمرة فإخطأها صبيان الفقير فزل من نخله فتتفرق الثمرة من أيديهم ،

(١) تحفة الأوصى ، أبواب القدر ، باب « ما جاء في الشفاء والسعادة » ، الحديث ٢٢١٨ : ٣٣٩/٦ - ٢٤٠ .

(٢) ليس لسراقه ذكر في رواية الطبري ، ولا في رواية مسلم من طريق أبي الطاهر ، وإنما هي من رواية أخرى .

(٣) تفسير الطبري ، ١٤٤/٣٠ .

(٤) مسلم ، كتاب القدر ، ٤٨٢/٨ .

(٥) تفسير الطبري ، ١٤٤/٣٠ ، وما بين القوسين منه .

(٦) مسند الإمام أحمد ، ٤٤١/٦ .

(٧) تفسير الطبري ، ١٤١/٣٠ - ١٤٢ .

وإن أدخل أحدهم الثمرة في (١) ، فله أدخل أصبه في حلق الغلام وزرع الثمرة من حلقه . فشكا ذلك الرجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « انزع » ، ولقي النبي - صلى الله عليه وسلم - صاحب النخلة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : أعطيت نخلتك التي فرحها في دار فلان ، ولك بها نخلة في الجنة » فقال له : قد أعطيت ، ولكن يعجبني ثمرها ، وإن لي نخلا كثيراً ما فيها نخلة أحبب إلى ثمره من ثمرها . فذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - فبه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن صاحب النخلة ، فقال الرجل : يا رسول الله ، إن أنا أعطيت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتها لأعطي بها ما أعطيت بها نخلة في الجنة ؟ قال : « نعم » ، ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ، وكلامهما نخل ، فقال له : أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي للمائلة في دار فلان نخلة في الجنة ، فقلت : له : قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها . فسكت عنه الرجل فقال له : أترك إذا بحقاً ؟ قال : لا ، إلا أن أعطي بها شيئاً ، ولا أظني أعطاه . قال : وما منك بها قال : أربعمائة نخلة . فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم ، فمخلتك تطالب بها أربعين نخلة ؟ ثم سكتا وأثقا في كلام ، ثم قال : أنا أعطيتك أربعين نخلة ، فقال : أتعهد لي إن كنت صادقاً . فأمر بأثاث فدعاهم فقال : شهدوا أني قد أعطيت من نخلي أربعين نخلة بنخلة التي فرحها في دار فلان بن فلان ؟ ثم قال : ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة : قد وضعت . ثم قال بعد : ليس بيني وبينك بيع لم تفرق قال له قد أثقت الله ، ولست بأحمق . حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلك للمائلة . فقال صاحب النخلة : قد وضعت على أن تعطني الأربعين على ما أريد . قال : تعطينيها على ساق : [ثم مكث ساعة ثم قال : هي لك على ساق ، وأؤكدك له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق] ففرقا فذهب الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن النخلة للمائلة في دار فلان قد صارت لي ، فهي لك . فذهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرجل صاحب الدار فقال له : « النخلة لك ولعياك » . قال حكمة : قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : (والليل إذا يغشى) إلى قوله : (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى ، فسييسره اليسرى . وأما من نكح واستغنى وكذب بالحسنى ، فسييسره اليسرى) إلى آخر السورة .

هكذا روله ابن أبي حاتم ، وهو حديث شريف جداً .

قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه . حدثني هارون بن إدريس الأعمى ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله (٢) بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن حماد بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يفتي على الإسلام بمكة ، فكان يفتي حجاجاً ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه : أي بني ، أراك تفتي أنثى غفقاء ، فلو أنك تفتي رجلاً جلدك (٣) يقومون ملك ويموتنك ويدعون منك ؟ فقال : أي أبت ، إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله . قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه . (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى) (٤)

(١) في المصنوع : وإن أدخل الثمرة في ثم أحجم . - والمختص من الطبقات السابقة .
(٢) في تفسير البكري : « عبد الله » . والسراب ما حذا ، انظر ترجمة محمد ، هذا في المخرج والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٩٩/٢/٢ . وانظر أيضاً حياة ابن حاتم في سنة ابن إسحاق : ٣١٩/١ .
(٣) أي : لشدة .
(٤) تفسير البكري : ١٤٢/٢٥ .

وقوله : (وما ينهى عنه الله إذا تركه) - قال مجاهد : أى : إذا مات : وقال أبو صالح ، ومالك عن زيد بن أسلم : إذا تركه فى النار .

إِنْ عَلَيْنَا لَأُهْلِكَنَّ ❶ وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ❷ فَأَذِّنُكُمْ نَارًا تَلْفَنُ ❸ لَا يَصْنَعُهَا إِلَّا الْإِنْسُ ❹
 ❺ أَلَّهِ كَذَبٌ وَتَوَلَّى ❻ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى ❼ أَلَّهِ يَذُّنُ مَالَهُ بِتَرَكَكُمْ ❽ وَمَا لِأَحَدٍ عَنْهُمْ مِنْ نَاصِيَةٍ
 تُجْزَى ❾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ❿ وَلَوْ سِيقَ إِلَى ⓫

قال قتادة : (إن علينا الهلكى) ، أى : نزين الحلال والحرام : وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله . وجعله كقول له تعالى : (وعلى الله قصد السبيل) : حكاية ابن جرير .

وقوله : (وإن لنا الآخرة والأولى) ، أى : الجميع ملكنا وأما المصروف فيهما :

وقوله : (فأذِّنُكُمْ نَارًا تَلْفَنُ) - قال مجاهد : أى توهج .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مينا بن حرب ، سمعت الثمان بن بشير يخطب يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب يقول : « أنلركم النار [أنلركم النار] أنلركم النار [❶] » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمع من مقامى هذا ، قال : حتى وقعت خنمصة (❷) كانت على عاتقه عند رجليه (❸) . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني أبو إسحاق : سمعت الثمان بن بشير يخطب ويقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن أمون أهل النار حللأ يوم القيامة رجلٌ توضع فى أخمص قدميه جمرتان يمل منها دماؤه » (❹) . ورواه البيهقي (❺) .

وقال أسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن ابن إسحاق ، عن الثمان بن بشير قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أمون [أهل] النار حللأ من له نعلان وشراكان من نار يعلين منهما دماؤه كما يعلين المرجل ، ما يرى إن أحدا أشد منه حللأ ، وإنه لأهونهم حللأ » (❶) .

وقوله (لا يصلحوا إلا الأذى) ، أى : لا يدخلها دغولا يحيط به من جميع جهاته إلا الأذى . ثم فسره قتادة : (الذى كلب) ، أى : يقبله ، (وتولى) ، أى : من قبل مجروره ولو كاته .

(١) نسبة الخبر إلى بعض أهل الحرية : ١٤٥/٣٠ .

(٢) ما بين القوسين من المتن .

(٣) الخنمصة ثوب من غز أو صوف . وقيل : لا تكون خنمصة حتى تكون سوداء .

(٤) سمع الإمام أحمد : ٢٧٢/٤ .

(٥) سمع الإمام أحمد : ٢٧٤/٤ .

(٦) البيهقي : كتاب الفرقاني ، باب : « صفة الجنة والنار » : ١٤٤/٨ .

(٧) أسلم : كتاب الإيمان ، باب : « أمون أهل النار حللأ » : ١٣٥/١ - ١٣٦ .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا عبد ربه بن سعيد ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا يخلع النار إلا شئ » . قيل : ومن الشئ ؟ قال : الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية » (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ومروان قال : حدثنا فضيل ، عن هلال بن علي ، عن عطية بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كل أمي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبي » . قالوا : ومن أبي يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » (٢) .

ورواه البخاري عن محمد بن سنان ، عن فضيل ، به (٣) .

وقوله : (وسيجزيها الأتني) ، أي : وسيُزجج من النار التي اتقى الأتني : ثم فسره بقوله : (الذي يؤتى ماله بترك) أي : يصرف ماله في طاعة ربه ، ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ، (وما لأحد عنده من نعمة تجزي) ، أي : ليس بذكر لحاله في مكانة من أسدى إليه معروفًا فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأجل) ، أي : طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات ، قال الله تعالى : (ولسوف يرضى) ، أي : ولسوف يرضى من العصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك . ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بهموها ، فإن لفظها لفظ الصوم ، وهو قوله تعالى : (وسيجزيها الأتني) الذي يؤتى ماله بتركه . وما لأحد عنده من نعمة تجزي) ، ولكنه مقدم الآية وسابقتها في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحسنية ، لأنه كان صديقًا كريمًا جوادًا بذلا لأمواله في طاعة موله ، ونصرة رسول الله ، فكمن من دلهم وذئابهم بلحا ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منته يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد قتيب ، يوم صلح الحديبية - أما والله لو لا يد لك كانت عندي لم أجرك بها لأجبتك (٤) : وكان الصديق قد أغلظ له في القتال ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عبادهم ؟ ولهذا قال : (وما لأحد عنده من نعمة تجزي) إلا ابتغاء وجه ربه الأجل (ولسوف يرضى) . وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أنفق زوجين (٥) في في سبيل الله دفعته عن ترك الجنة » . عابده الله ، هذا غير « قال أبو بكر : يا رسول الله ، ما على من يدهني منها ضرورة (٦) فهل يلحق منها كلها أحد ؟ قال نعم ، وأرجو أن تكون منهم (٧) » .

آخر تفسير سورة الليل ، والله الحمد والمنة

- (١) مسند الإمام أحمد : ٢/٤٤٩ .
- (٢) مسند الإمام أحمد : ٢/٣٦١ .
- (٣) البخاري ، كتاب الإحصاء ، باب « الافتداء » . مسند رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١/١٢٤ .
- (٤) انظر الكبير في سورة ابن عثمة ، في أمر الحديبية : ٢/٣١٣ .
- (٥) أي : دفعا من جس ، كدعفين ، أو دفعتين أو قرشين
- (٦) يمسك : حل هو غير في دعوى أي باب منها ؟
- (٧) البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « فضل أبي بكر » : ٧/٥٠ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « من جمع الصدقة وأعمال البر » : ٩١/٧ .

تفسير سورة الضحى

وهى مكية

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة القرشي قال : قرأت على حكيم بن سليمان ، وأنبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عبيد ، فلما بلغت الضحى قال لي : كبر حتى تحتم مع جماعة كل سورة ، فلما قرأنا على ابن كثير فأمرونا بذلك . وأنبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأنبره [مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك . وأنبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك . وأنبره أبي] أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأمره بذلك .

فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزري ، من ولد القاسم بن أبي بزة ، وكان إماماً في القراءات ، فأما في الحديث فقد ختمه أبو حاتم الرزقي وقال : لا أحدث عنه (١) وكذلك أبو جعفر الطبري قال : هو منكر الحديث . لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة ، فقال له : أحسنت وأصبحت السنة . وهذا يقتضي صحة هذا الحديث .

ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من آخر (والليل إذا يغشى) : وقال آخرون : من آخر (والضحى) : وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر ويصغر ، ومنهم من يقول : الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر .

وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى : أنه لا تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفتر تلك المدة جاءه الملك فأوحى إليه : (والضحى . والليل إذا سجي) . . . السورة بتمامها - كبر فرحاً وسروراً . ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، قاله أحم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا يَجِي ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا جَلَى ③ وَاللَّيْلِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْيَوْمِ ④ وَلَوْ تَرَى ⑤ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى ⑥ أَلَّا يَجِدَكَ يَتَذَكَّرُ ⑦ أَلَّا يَجِدَكَ حَسْبَ الْهَيْدَى ⑧ وَوَجَدَكَ عَالِمًا فَلْيَق ⑨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر ⑩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر ⑪ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَنِّف ⑫

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم : حدثنا مقيان ، عن الأسود بن قيس قال : سمعت جندباً يقول : اشكى النبي صلى الله عليه وسلم - ثم يقرأ ليله أو ليلتين ، فأنت امرأة قالت : يا عبد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأقول الله عز وجل : (والضحى والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما جلى . ما أرى شيطانك إلا قد تركك) (٢) .

(١) الجرح والتفصيل لاين في حاتم : ٧١/١٠١ .

(٢) سنة الإمام أحمد ٢١٢/٤ - ٢١٣ .

رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرق، عن الأسود بن قيس، عن جندب - هو ابن عبد الله البجلي ثم السكيتي (١) به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس : سمع جندباً قال : أبلاً جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال للمشركون : ودَّعْ عمد . فأنزل الله (والضحى) . والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأودي قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثني سفيان ، حدثني الأسود بن قيس ، أنه سمع جندباً يقول : رى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر في أصبعه فقال : [هل أنت إلا أصبع ديت . وفي سبيل الله ما بقيت ؟] .

قال : فكنت ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم ، فقالت له امرأة : ما لرى شيطانك إلا قد تركك . فنزلت : (والضحى) . والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى) - والسياق لأبي سعيد .

قيل : إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لب ، وذكر أن إصبعه عليه السلام ديت . وقولنا هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون - ثابت في الصحيحين (٣) ، ولكن القريب هاهنا جعله سيلاً تركه القيام ، ونزل هذه السورة . فاما ما رواه ابن جرير :

حدثنا ابن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، عن عبد الله بن شداد : أن خديجة قالت لابي - صلى الله عليه وسلم - ما أرى ربك إلا قد فلاك . فأنزل الله : (والضحى) . والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى) .

وقال أيضاً : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن هشام بن هرو ، عن أبيه قال : أبلاً جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فخرج جزءاً شديداً فقالت خديجة : إني أرى ربك قد فلاك عما ترى من جزئك . قال : فنزلت : (والضحى) . والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى) . : إلى آخرها (٤) .
فانه حديث مرسل من [حلين الوجهين (٥)] ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قاله على وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم .

(١) البخاري ، تفسير سورة (والضحى) : ٢١٣/٦ . وكتاب التهجيد ، باب « ترك القيام لمريض » : ٦٢/٢ . وكتاب فضائل القرآن : ٢٢٤/٦ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « ما نزل النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنفى المشركين والمنافقين » : ١٨٢/٥ . ونسخة الأحرف ، تفسير سورة الضحى ، الحديث ٣٤٠٣ : ٢٧٢/٩ - ٢٧٣ . وتفسير الطبري : ١٤٨/٣٩ .

(٢) انظر هذه الرواية في مسلم والترمذي . وتقدم خرجها فيها .

(٣) انظر تفسير الآية الثامنة والستين من سورة (يس) : ٥٧٧/٦ . فقد خرجنا الحديث هناك .

(٤) تفسير الطبري : ١٤٨/٣٩ .

(٥) ما بين القوسين من الكلمات السابقة ، ومكانه بياض في المخطوطة .

وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين نبئ له في صوته التي خطه الله عليها ، ودنا إليه وتلى منه على عليه وهو بالأبطح ، (فأوحى إلى عبده ما أوحى) - قال : قال له هذه السورة (والضحى والليل إذا سجى) .

قال العوفي ، عن ابن عباس : لما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن ، أبعث الله جبريل أياما ، فعزير بملك ، فقال للشركون : ودعه ربه وقلاه . فأنزل الله : (ما ودعك ربك وما قلى) (١) .

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ، (والليل إذا سجى) ، أى : سكن لأظلم وأدلتهم ، قاله مجاهد ، وقادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم . وذلك دليل ظاهر على كثرة غلات هذا وهذا كما قال : (والليل إذا يشئ) ، والهاجر إذا تجلى (٢) . وقال : (فالتق الإصباح) ، وجادل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم (٣) .

وقوله : (ما ودعك ربك) ، أى : ما تركك ، (وما قلى) أى : وما أبغضك ، (والآخرة خير لك من الأولى) ، أى : والدار الآخرة خير للعباد من هذه الدار . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - لمزهد الناس في الدنيا ، وأعظمهم لها إطلاحا ، كما هو معلوم من سيرته . ولا يخفى - عليه السلام - في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة ، وبين الضرورة إلى الله عز وجل ، انظر ما عند الله على هذه الدنيا الدنية .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودي ، عن عمرو بن مرة ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : اضطلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير ، فأنرق جنبه ، فلما استيقظ جعلت أسبح جنبه وقلت : يا رسول الله ، ألا أذنتك حتى ينسط لك على الحصير شيئا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لي والدنيا ؟ أنا والدنيا ؟ إنما مثل الدنيا كراكب تكل تحت شجرة ، ثم راح وتركها (٤) .

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من الحديث للمسعودي به . وقال الترمذي : حسن صحيح (٥) .

وقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى : في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته ، وفيها أمد له مع الكرامة ، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافته قباب الآل والمجوف ، وطينه مسك أنقى ، كما سيأتى (٦) .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي ، عن إسحاق بن عبيد الله بن أبي المهاجر الخزرجي ، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : عرض على رسول الله ما هو مفتوح على أمته من بعده كترأ ، كترأ ، فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

(١) تفسير الطبري : ١٤٨/٣٠ .

(٢) سورة الليل ، آية : ١ - ٢ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٩٦ . و (جامل) هكذا في نسخة الأزهري ، وقد سبق التنبيه عليها في موضعها ، انظر : ٢٩٧/٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٩١/١ .

(٥) تحفة الأوسى ، أبواب القزح ، الحديث ٢٤٨٣ : ٤٨٦/٦ - ٤٩ . وابن ماجه ، كتاب القزح ، باب : مثل الدنيا ، ٥ .

الحديث ٤١٠٩ : ١٣٧٦/٢ .

(٦) انظر : ١١٧/٤ : ٨٢/٧ .

وربك فرضى) فأعطاه في الجنة [ألف] ألف نصر، في كل نصر ما ينبغي له من الأرواح والخدام. رواه ابن جرير من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

وقال السدي، عن ابن عباس: من رضا محمد - صلى الله عليه وسلم - أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. رواه ابن جرير (١٦)، وابن أبي حاتم.

وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر [الباقى]،

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن زيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن حلقة، عن عبد الله قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إنا أهل بيت نختار الله لنا الآخرة على الدنيا؛ (ولسوف يعطيك ربك فترضى)».

ثم قال تعالى بعد نعمة على عبده ورسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : (لم يجدك يتيمًا قارياً)، وذلك أن أباه توفى وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد عليه السلام. ثم توليت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ستة سنين. ثم كان في كثرة جده عبد المطلب، إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين، فحمله عمه أبو طالب. ثم لم يزل يحمله ويلبسه ويرعق من قدره ويؤفره، ويكنى عنه أذى قومه بعد أن أبته الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب حل حين قومه من حادثة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تربيته، إلى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأنتم عليه سفهاء قريش وجهنالم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم ^{للمصطفى} الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأمثل الأكمل. فلما وصل إليهم أودوه ونصروهم وحاطوه وقاتلوا بين يديه - رضى الله عنهم أجمعين - وكل هذا من حفظ الله له وكلامه وعنايته به،

وقوله: (ووجدك ضالاً فهدى) كقوله: (وكللك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من حبادنا، وإنك لنتهدى إلى صراط مستقيم (٢)) ومنهم من قال للراد بهذا أنه - عليه السلام - ضل في شعاب مكة وهو صغير، ثم رجع. وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان وكيلاً لآله في الليل، فجاء إليس بجند بها عن الطريق، فجاء جبريل، ففتح إليس نقمة ذهب منها إلى الحبيشة، ثم حمله بالراحلة إلى الطريق - حكاهما البخاري -

وقوله: (ووجدك ضاللاً فأنقى) أي: كنت قديراً ذا عيال، فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقاي، لقبه الصابر والفي الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه.

وقال قتادة في قوله: (لم يجدك يتيمًا قارياً) ووجدك ضالاً فهدى: ووجدك ضاللاً فأنقى، قال: كانت هذه منزلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يبعه الله عز وجل. رواه ابن جرير (١٣)، وابن أبي حاتم.

(١) تفسير الطبري: ١٤٩/٣٠

(٢) سورة الشورى: آية: ٥٢.

(٣) تفسير الطبري: ١٤٩/٣٥

وفى الصحيحين - من طريق عبد الرزاق - عن معمر ، عن همام بن منتهى قال : هلمّا ما حدّثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : [ليس (١) الفنى من كثرة العَرْض ، ولكن الفنى غنى النفس] .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (٢) : [قد أطلع من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقدمه الله بما آتاه (٣)] .

ثم قال : (فأما اليتيم فلا قهر) أى : كما كنت يتيماً فلذلك الله فلا قهر اليتيم ، أى : لا تله وتنهو وتنه ، ولكن أحسن إليه ، وتلطّف به .

قال قتادة : كن اليتيم كالأب الرحيم .

(وأما السائل فلا تهر) ، أى : وكما كنت ضالاً فهداك الله ، فلا تهر السائل فى العلم للسرشد .

قال ابن إسحاق : (وأما السائل فلا تهر) ، أى : فلا تكن جباراً ، ولا متكبراً ، ولا فحاشاً ، ولا قسّاً على الضعفاء من عباد الله .

وقال قتادة : يعنى ردّ المسكين برحمة ولين .

(وأما نعمة ربك فحدث) ، أى : وكما كنت ضالاً فهداك الله ، فحدث بنعمة الله عليك ، كما جاء فى الدعاء للأنور النبوى : « وابلغنا شاكرين لنعمتك ، مشين بها ، قابليها ، وأنها علينا (٤) » .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن مكيّة ، حدثنا سعيد بن [إياس] الجزيّرى ، عن أبي نضرة قال : كان المسلمون يرون أن من شكر الله لم يحدث بها (٥) .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا (٦) منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا الجراح بن مكيح ، عن أبي عبد الرحمن ، عن الشعبي ، عن الثعلبان بن بشر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [على المؤمن : « من لم يشكر القليل ، لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله . »] والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر . والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب (٧) .

(١) ما بين القوسين ساقط من خطورة الأثر ، والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٢) لم يقع لنا الحديث فى الصحيحين من هذه الطريق ، انظر الجبلوى ، كتاب الرقاق ، باب « الفنى غنى النفس » : ١١٨/٨ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « ليس الفنى من كثرة العرض » : ١٠٠/٣ . وهذه الطريق فى سنن الإمام أحمد : ٣١٢/٢ - ٣١٥ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « فى الكفاف والقتاعة » : ١٠٢/٣ .

(٤) سنن أبي حنبل ، كتاب الصلاة ، باب « التشديد » .

(٥) تفسير الطبرى : ١٥٠/٣٠ .

(٦) فى المسند : « حدثنا أبو ، حدثنا منصور ... » . ويبدو أن الصواب ما هنا : انظر القليوبى ، ترجمة منصور ابن أبي مزاحم : ٣١١/١٠ - ٣١٢ .

(٧) سنن الإمام أحمد : ٢٧٨/٤ - ٢٧٥ .

وفي الصحيحين (١) ، عن أنس ، أن المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب الأنصار بالاجر كله . قال : ولا ما هونتم الله لهم ، وأنتم عليهم (٢) .

وقال أبو داود : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الربيع بن مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لا يشكر الله من لا يشكر الناس (٣) .

ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد ، عن ابن المبارك ، عن الربيع بن مسلم ، وقال : صحيح (٤) .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الله بن الجراح ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : من أبلى بلاد فذكره فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره . فرد به أبو داود (٥) .

وقال أبو داود : حدثنا مسلم ، حدثنا بشر ، حدثنا حمارة بن غزينة ، حدثني رجل من قومي ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أعطى عطاء فوجد فكليجز به ، وإن لم يجد فكليش به ، فإن أبي به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره . قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب ، عن حمارة بن غزينة ، عن شرحبيل عن جابر - كرهوه (٦) فلم يسموه : فرد به أبو داود (٧) .

وقال جامد : يعني النبوة التي أصلها ربك (٨) . وفي رواية عنه : القرآن

وقال ليث ، عن رجل ، عن الحسن (٩) بن علي : (وأما بنعمة ربك فحدث) ، قال : ما علمت من خير فحدث

إن شاء الله .

وقال محمد بن إسحاق : ما جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها ، وادع إليها وقال : فبذل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة مراراً إلى من يطمئن إليه من أهله ، وافترضت عليه الصلاة ، فبذل .

آخر تفسير سورة الشَّحْب

- (١) كلما ، ولم يقع لنا الحديث في الصحيحين . ولعل صوابه : « وفي الصحيح » .
- (٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب « في شكر المروء » . والترمذي في أبواب صفة القليلة ، النظر لحفة الأخرى ، الحديث ٢١٠٤ : ١٨٨٧/٧ - ١٨٩٠ . والإمام أحمد في مسنده ٢٠٠٣/٣ - ٢٠٤ .
- (٣) سنن أبي داود في الكتاب والكتاب المتكلم .
- (٤) تحفة الأخرى ، أبواب البر ، باب « ما جاء في الشكر لمن أسمن إليه » ، الحديث ٢٠٢٠ : ٨٧/٦ .
- (٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في شكر المعروف » .
- (٦) فقط أبي داود : « عن جابر . قال أبو داود : وهو شرحبيل - يعني رجلاً من قومي ، كآهم كرهوه فلم يسموه » .
- (٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في شكر المعروف » .
- (٨) تفسير الطبري ١٤٩/٣٠ - ١٥٠ .
- (٩) في الخطبة ، الحسن ، من علمه . وللتبث من الطيمات السابقة ، ولقد المنشور السيوطي ٣٦٢/٦ .

تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ
فَلَمَّا مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَالْعُسْرُ يَأْتِيكَ ۖ وَالْيُسْرُ يُخْرِجُكَ ۖ وَالْيُسْرُ يُخْرِجُكَ ۖ وَالْيُسْرُ يُخْرِجُكَ ۖ

يقول تعالى : (ألم نشرح لك صدرك ؟) ، يعني أما شرحنا لك صدرك ، أي : ترواه وجاهناه تسبيحاً روحياً وإسعاداً كقولنا : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (١) ، وكما شرح الله صدره لكذلك جعل فرجه تسبيحاً وإسعاداً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق .

وقيل : المراد بقوله : (ألم نشرح لك صدرك) ؟ : شرح صدره ليلة الإسراء ، كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة (٢) وقد أوردته الترمذي هاماً - وهذا وإن كان واقعاً ، ولكن لا منافاة ، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدوره ليلة الإسراء ، وما تشأ عنه من الشرح للضيق أيضاً ، والله أعلم .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني محمد بن عبد الرحمن أبو يحيى البرزنجي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا معاذ بن محمد ابن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب ، حدثني أبي محمد بن معاذ ، عن [معاذ] (٣) عن محمد ، عن أبي بن كعب : أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول الله ، ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلجلاً وقال : « قد سألت يا أبا هريرة ، إني لفي الصحراء ابن عشرين سنة ، وإذا بكلام فوق رأسي ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ [قال نعم] (٤) فاستقبلاني ، يوجوه لم أرها [خلق] (٥) قط ، وأرواح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط . فأتيت إلى عيشان ، حتى أخذ كل واحد منهما بمشغلي ، لا أجد لأحدهما مساً ، فقال لأحدهما لصاحبه : أضبطه . فأضبطني بلا قصر ولا حصر (٦) . فقال لأحدهما لصاحبه : أطلق صدوره . فهدى أحدهما إلى صدري فعلقه فيها لرى بلا دم ولا وجع ، فقال له : أخرج النمل والحسد . فأخرج شيئاً كهية العلقة ثم نيلها فطرحتها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة ، فلأخذ مثل الذي أخرج شبه القضة ، ثم حر إبهام رجلي اليمنى فقال : أخذ وإسلم . فرجعت بها أعور ، وقد على الصغير ، ورحمة الكبير (٧) . »

(١) سورة الأنعام : آية : ١٢٥ .

(٢) انظر تفسير سورة الإسراء : ١٣/٥ - ١٥ .

(٣) ما بين القوسين عن المست .

(٤) انقصر : انقصر وانقضية . من انقصر - بالعين - فأقبل العين صاداً ، وما يتبدلان كثيراً في الكلام . والمصر : الجلب .

(٥) مست الإمام أحمد : ١٣٩/٥ .

وقوله : [ووضعتنا منك وزرك] يعني : (ليخبر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) . (الذي أنقض ظهرك)
الانقضاء : الصوت . وقال غير واحد من السلف في قوله : (الذي أنقض ظهرك) ، أي أنقض حمله .

وقوله (١) [ووضعتنا لك ذكرك] ، قال مجاهد : لا ذكر إلا ذكرت معنى : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن
محمدًا رسول الله (٢) .

وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا مشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : أشهد
أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي ليث ، عن
أبي سعيد ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أتاني جبريل فقال : إن ربى وربك يقول : كيف رُفعت
ذكرك ؟ قال : الله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معنى (٣) » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد
الأعلى ، به . ورواه أبو يعلى عن طريق ابن لهيعة ، عن دراج .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو نحر الموصلي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن
سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « سألت ربى مسألة وددت أنى لم أكن
سأله قلت : قد كانت قبل أنبياء ، منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من يحيى الموتى . قال : يا محمد ، ألم أجعلك نبيا
فأريتك ؟ قلت : بلى يارب . قال : ألم أجعلك ضاللا فهديتك ؟ قلت : بلى يارب . قال : ألم أجعلك حلالا فأغنيك ؟ قال :
قلت : بلى يارب . قال : ألم أخرجك صبرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت : بلى يارب . »

وقال أبو نعيم (٤) في دلائل النبوة : « حدثنا أبو أحمد الطبري ، حدثنا موسى بن سهل الجوني ، حدثنا أحمد بن
القاسم بن بهرام الهنسي ، حدثنا نصر بن حماد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن أنس قال : قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : « لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت : يارب ، إنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد
كرمته ، جعلت إبراهيم خليلًا ، وموسى كليمًا ، وسخرت للباد الجبال ، وللسيلان الريح [والشياطين] وأحييت لميسى
الموتى ، فما جعلت لى ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ، أنى لا أذكر إلا ذكرت معنى ، وجعلت صلور
أمتك [أنبياء] يقرءون القرآن ظاهرا ، وم أعطها أمة ، وأعطيتك كثرًا من كثر موسى : لا حول ولا قوة إلا بالله
العل العظيم » .

وحكى البغوى ، عن ابن عباس ومجاهد : أن المراد بذلك : الأركان . يبنى ذكره فيه ، وأورد من شعر حصان
ابن ثابت :

(١) ما بين القوسين المتفرعين من التعليقات السابقة .

(٢) تفسير البغوى : ١٥٠/٣٠ - ١٥١ .

(٣) تفسير البغوى : ١٥١/٣٠ .

(٤) لم يقع لنا هذا الحديث فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن طيبة حيدر أباد
هذه غير كاملة .

أَعْرَفَهُ ، عَلَيْهِ التَّوْبَةُ عَنَّا مِمَّنْ لَّهِ (١) مِنْ تَوْبَةٍ يَكُونُ وَتَشْهَدُ
وَعَمَّ إِلَهُهُ اسْمَ اللَّهِ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمَوْثِقَةِ : أَشْهَدُ
وَتَقَرَّرَ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلِّهَ فَكَذَلِكَ الْمَرْثِي مَحْمُودٌ ، وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ (٢)

وقال آخرون : رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ، ونوه به ، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به ،
وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه .
وما أحسن ما قال المصطفى رحمه الله :

« لَا يَصْبِحُ الْأَذَانُ فِي الْقَرْيَةِ إِلَّا بِاسْمِهِ الْمَدَنِي [في التَّهْم] الْمَرْثِي (٣) »
وقال أيضاً :

[اَللّٰهُمَّ تَرَانِي لَا يَصْبِحُ اَذْكُنَا وَلَا تَرْتَضَانِي اَمْ تَكْتَرِّهُ فِيْهِمَا] (٤)

وقوله : (فإن مع السر يسراً) : إن مع السر يسراً ، أخبر تعالى أن مع السر يسراً ، لم أكد هذا الخبر
قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا حميد بن حماد بن عمار (هـ) أبو الجهم ،
حدثنا عائذ بن شريح قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً وحياه جبر ،
فقال : « لو جاء السر لدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه [فيخرجه] ، فأول الله عز وجل : (إن مع
السر يسراً) : إن مع السر يسراً » .

ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر ، عن حميد بن حماد ، به ولفظه : « لو جاء السر حتى يدخل
هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرج به » ثم قال : (فإن مع السر يسراً) : إن مع السر يسراً ، ثم قال البزار : لا أعلم
رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح .

قلت : وقد قال فيه أبو حاتم الرازي : في حديثه ضعف (٦) ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة ، عن رجل ، عن
عبد الله ابن مسعود موقوفاً :

« قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا أبو قطن ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال :
كانوا يقولون : لا يطلب سر واحد يسرين (٧) اثنين . »

(١) رواية الديوان : « من الله شهود يلوح ... » .

(٢) ديوان حسن ، ط بيروت : ٤٧ .

(٣) في المخطوطة : « باسمه اللب المرضي به » . ولا يستقيم البيت ، والمثبت عن البيهقي السابقة .

(٤) هذا البيت ساقط في مخطوطة الأثر .

(٥) في المخطوطة : « بن أبي حنيفة » . والمثبت من المخرج والمثبت لابن أبي حاتم : ٢٢٠/٢٧١ .

(٦) المخرج والمثبت لابن أبي حاتم : ١٦/٢٢٢ .

(٧) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الجهاد ، باب الترفيق في الجهاد أن مر بن الخطاب كتب إلى أبي حنيفة بن الجراح .

« ... والله في يطلب سر يسرين » . انظر تنوير الخواص للسيوطي : ٢٩٦/١ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن نور ، عن ميمر ، عن الحسن قال : خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً مسروراً فرحاً وهو يضطك ، وهو يقول : « لن يظلب عسر يميني ، لن يظلب عسر يسري ، إن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً » .

وكذا رواه عن حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد ، عن الحسن مرسل . (١)

وقال سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشر أصحابه بهذه الآية قال : « لن يظلب عسر يسري » .

ومعنى هذا أن العسر معروف في الخلق ، فهو مفرد ، وليس منكر متعدد ، ولما قال : « لن يظلب عسر يسري » ، يعني قوله : « إن مع العسر يسراً » ، فالعسر الأول عين اللام ، وليس تعدد .

وقال الحسن بن صفوان : حدثنا يزيد بن صالح ، حدثنا خزيمة ، عن عباد بن كثير ، عن أبي الزناد ، عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « نزل للموتة من السماء على قدر الموتة ، ونزل الصبر على قدر للصيبة » .

وبما يروى عن الشافعي - رحمه الله عنه أنه قال (٢) :

صبراً جسيلاً ما أقرّبنا القرعاً
من صدق الله لم يتكلم أذى
من رآته الله في الأمور نجماً
ومن رآته الله لم يتكلم أذى

وقال ابن دؤيد : أشدني أبو حاتم السجستاني :

إذا اشتعلت على اليأس القلوب
وأطاحت المكروه والطمان
ولا أغنى بحيلته الأرب
يمن به الطيف المسجيب
فما أصابها القرب
فما أصابها القرب

وقال آخر :

وترب ليلته يضيئ بها القتي
كملت ، فلما اصحكت حلماتها
ذرعاً ، وعند الله منها المخرج
فجرت ، وكان يظن أنها لا تخرج

(١) تفسير الطبري : ١٠١/٢٠ .

(٢) البيتان في كتاب منقب الشافعي البيهقي : ٢٦٢/٢ ، مع خلاف يسجد ، منصوب إلى الرابع بن سليمان .

وقوله : (فإذا فرغت فانصب) وإلى ذلك فارغب) ، أي : إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغلتها وقطعت علاقتها ، فانصب في العبادة ، وتم إليها شيطناً طارحاً للبال ، وأخلص لربك التوبة والفرجة . ومن هذا التقيل قوله : صلى الله عليه وسلم : في الحديث الملقن على صحته : « لا صلاة بحضرة طعام ، ولا وهو يدافعه الأغنياء » (١) ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة وحضر المشاء ، فابعدوا بالشكاه » (٢) .

قال مجاهد في هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقم إلى الصلاة ، فانصب لربك ، وفي رواية عنه : إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك (٣) ، وعن ابن مسعود : إذا فرغت من القرائن فانصب في قيام الليل ، وعن ابن عباس نحوه ، وفي رواية عن ابن مسعود : (فانصب • وإلى ذلك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس ،

وقال حلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (فإذا فرغت فانصب) ، يعني في الدعاء ؛ وقال زيد بن أسلم ، والشكاه : (فإذا فرغت) ، أي : من الجهاد (فانصب) ، أي : في العبادة ؛ (وإلى ذلك فارغب) ، قال الثوري : اجعل نيّتك ورجيتك إلى الله عز وجل ،

آخر تفسير سورة (الم نشرح) والله العليم.

(١) الأغنياء : البرول والمناط . والحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب « كراهة الصلاة بحضرة الطعام » ، وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب « أبطل الرجل وهو جالس » . والإمام أحمد في مسنده ، عن عائشة رضي الله عنها : ٤٣/٦ ، ٥٤ ، ٧٣ .

(٢) البخاري : كتاب الأذان ، باب « إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة » : ١٧١/١ ، وكتاب الأضحية ، باب « وإذا حضر المشاء فلا يجلس من مشائه » : ١٠٧/٧ . - مسلم : كتاب المساجد ، باب « كراهة الصلاة بحضرة الطعام ... » : ٧٨/٢ . وسنن أبي داود : كتاب الأضحية ، باب « إذا حضرت الصلاة والمشاء » . ونجدة الأحمدي : أبواب الصلاة ، باب « وما جاء إذا حضر المشاء وأقيمت الصلاة ، فابدأوا بالمشاء » ، الحديث (٣٥١) : ٢٣٤/٢ - ٢٣٦ . وقال الترمذي : وحديث أنس حديث حسن صحيح . - والشمس : كتاب الإمامة ، باب « المنظر في ترك الإمامة » : ١١٠/٢ - ١١١ . وابن ماجه : كتاب الإمامة ، باب « إذا حضرت الصلاة ووضغ المشاء » ، الأحاديث ٩٣٣ - ٩٣٥ : ٣٠١/١ . وسنن الإمام أحمد ، عن أنس رضي الله عنه : ١٠٠/٣ ، ١١٠ ، ١٦١ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ . وعن سلمة بن الأكوع : ٤٩/٤ ، ٥٤ . - وعن عائشة رضي الله عنها : ٣٩/٦ - ٤٠ ، ٥١ ، ١٩٤ . وعن لم سلمة رضي الله عنها : ٢٩١/٦ ، ٣٠٣ ، ٣١٤ . (٣) تفسير البكري : ١٥٢/٢٠ .

تفسير سورة والتين والزيتون

وهي مكية

قال مالك وشعبة ، عن علي بن ثابت ، عن البراء بن عازب : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في سفر في إحدى الركبتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة في كتبهم (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالتَّيْنِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ جَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ لَسَا يُكْفَرُ بِكَ بِعَدُوِّكَ وَبِالتَّيْنِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝

اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة قليل : للراء بالتين مسجد دمشق . وقيل : هي نفسها . وقيل : الجبل الذي

عندها .

وقال القرطبي (٢) : هو مسجد أصحاب الكهف .

وروى الموصي ، عن ابن عباس : أنه مسجد نوح الذي على الجودي .

وقال مجاهد : هو بينكم ههنا .

(والتينون) ، قال كعب الأحبار ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس .

وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا الزيتون الذي تصرون .

(وطور سينين) ، قال كعب الأحبار وغير واحد : هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (٣) .

(وهذا البلد الأمين) : يعني مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النخعي .

وابن زيد ، وكعب الأحبار . ولا خلاف في ذلك .

(١) انظر البخاري ، كتاب الأذان ، باب «الترأة في المشاء» ١٩٤/١ . وكتاب التوحيد ، باب «وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المؤمن بالقرآن مع الكرام البررة ، يزينوا أصواتكم بالقرآن)» ١٩٤/٩ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب «الترأة في المشاء» ٤١/٢ . وابن ماجة ، كتاب الإطعمة ، باب «الترأة في صلاة المشاء» ، الحديث ٨٣٤ - ٨٣٥ : ٢٧٢/١ - ٢٧٣ . ومسنود الإمام أحمد : ٢٩٨/٤ - ٣٠٢ .
(٢) نقله القرطبي عن محمد بن كعب ، انظر : ١١١/٢٠ .
(٣) تفسير الطبري : ١٠٤/٣٠ .

وقال بعض الأئمة : هذه عال^١ ثلاثة ، بعث الله في كل واحد منها نبياً مسلماً من أول يوم أصعاب الشرائع الكبار ، فأول : علة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم : والثاني : طور سيناء ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً . وهو الذي أرسل فيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة ، جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى - وأشرق من ساعبه^(١) - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً فذكرهم على الترتيب الوجدي بحسب ترتيبهم في الزمان ، ولما أقيم بالأشرف ، ثم بالأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما ..

وقوله (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ، هذا هو المقسم عليه . وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة ، وفكل منتصب القائمة ، سوى الأعضاء حسنها .

(ثم رددناه أسفل سافلين) أي : إلى النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم : ثم بعد هذا الحسن والتفصير نصيره إلى النار إن لم يبلغ الله ويحج الرسل . ولما قال : (إلا للذين آمنوا وعملوا الصالحات) . وقال بعضهم : (ثم رددناه أسفل سافلين) ، أي : إلى أولئك العسر . وروى لنا عن ابن عباس ، وعكرمة - حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يرد إلى أولئك العسر . ويخطر ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لا حسن استثناء للذين من ذلك ، لأن المقسم قد يعيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه ، كقوله : (والعسر ، إن الإنسان لئى خسر . إلا للذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

وقوله (فلهم أجر غير ممنون) : أي : غير مقطوع كما قلتم .

ثم قال : (فما يكذبك) ، يعني بالبين آدم (بعد بالدين ؟) أي : بالجزاء في المآل وقد علمت البداية ، وعرفت أن من قدر على البداية ، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمآل وقد عرفت هذا ؟ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور قال : قلت لمجاهد : (فما يكذبك بعد بالدين) ، حتى به النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ممكنا الله ! حتى به الإنسان . وهكذا قال عكرمة وغيره . وقوله : (أليس الله بأحكم الحاكمين) : أي : لما هو أحكم الحاكمين ، الذي لا يجوز ولا ينظم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فيصف المظلم في الدنيا بمن ظلمه . وقد قلنا في حديث أبي هريرة روي أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال : (التين والزيتون) تأتي على آخرها : (أليس الله بأحكم الحاكمين) ، فليقل : بلى . ولما على ذلك من الثامنين^(٢) ..

آخر تفسير «التين والزيتون» والله الحمد

(١) في مراديه الاطلاق : (سائير) في التوراة : اسم لجبال فلسطين ، وهي قرية من الناصرة ، بين مكاء وطبرية .

(٢) انظر تفسير سورة القلمة : ٢٠٩/٨ .

تفسير سورة اقرأ

وهي أول شيء نزل من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ الَّذِي عَلَّمَ ۝ عَلَّمَ الْقَالَ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَقِّ الْخَلْقِ ۝ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ ۝ الْيَوْمَ ۝ لَاحِقُونَ ۝ صَلِّ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَالْحَرْدِ ۝

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : أول ما بعث به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يلق حراء فيستحب فيه - وهو : الصبد - البالي ذوات العمد ، ويترود للذك ثم يرجع إلى حديبة فينزول لظلمها حتى تشبه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت : ما أنا بقارئ : قال : فأعطني فمطيتي (١) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، قال : اقرأ : قلت : ما أنا بقارئ : فأعطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فمطيتي الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ : (ما علم يعلم) قال : فرجع بها ترجف بيثارة (٢) حتى دخل على حديبة فقال : زملوني زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال : يا حديبة ، مالي ؟ فأخبرها الخبر وقال : قد خشيت علي . فقالت له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكفي الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به حديبة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عم حديبة ، لئني أيتها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعبرية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد حسى - فقالت حديبة : أي ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابن أخي ، ما ترى ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، لئني فيها جكمعا (٣) أكون حيا حين يخرجك قومك . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أخرجني هم ؟ » . فقال ورقة : نعم ، علم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤثرا . لم ينشب (٤) ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبأبلىنا - حزنا غدا [منه] مرارا كي يتفرد من رموس شواقي الجبال ، فكلما

(١) القط : العصر الشديد .

(٢) أي : حره وقطرب . والبراد : جمع بادرة ، وهي الحمة التي بين القتب والكتف .

(٣) أي : شابه قويا .

(٤) أي : لم يلبث .

أوفى بالوعدة جيل لكي يأتي نفسه منه ، تلى له جبريل فقال له : يا محمد إنك رسول الله حقاً . فيسكن بذلك (١) جيلك ، وتكرسه فريج . فإذا طالت عليه فترة الرحي غلبا كل ذلك ، فإذا أوفى بالوعدة جيل تيسى له جبريل ، فقال له مثل ذلك (٢) . وهذا الحديث خرج في الصحيحين من حديث الثوري (٣) وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده وماتيه في أول شرحنا البخاري مستفي ، فمن أراد أنه فهو هناك محرو ، والله الحمد ولله .

فأول شيء من القرآن هذه الآيات المباركات ، وهنّ أول رحمة رحيم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم . وفيها التنبيه على ابتلاء خلق الإنسان من علقه ، وأن من كثره تعالى أن عظم الإنسان ما لم يعلم ، فشره وكفره بالعلم ، وهو التقدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلو تارة يكون في الأفعان ، وتارة يكون في السان وتارة يكون في الكتابة بالبيان ، ذنبي ولفظي وورسي ، والرسي يستلزمهما من غير عكس ، فهنا : قال (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) . وفي الآخر : قتلوا العلم بالكتابة (٤) . وفيه أيضاً « من علم بما علم رزقه الله » الذي علم ما لم يكن .

لَا يَلْمِزُ الْإِنْسَانَ لِفُتْنٍ ۖ أَنْدَرَهُ اسْتَفْتَى ۖ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُى ۚ أَرَأَيْتَ إِنَّمَا أَنْتَ بِنَبَأٍ ۚ هَبْ إِنْكَاسًا ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ سَكَانَ عَلَى الْمَلَكِ ۖ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۖ أَمْ يَكُنَّ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَنَبَّأُ ۚ قُلْ هُوَ الَّذِي يُفَصِّلُ الْفُتْنَ ۚ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۖ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِنِ سَفَعًا لَّنْ أَتَيْنَاهُ ۖ نَاصِيَةً كَلِمَةٍ خَاطِئَةٍ ۖ فَلْيَلْمِ الْفَاجِرَ ۖ سَتَعْلَمُ الْآيَاتِ ۖ كَلَّا لَا تَطَعُوا جَدَّ وَأَقْرَبَهُ ۖ

غير تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأمر ويطر وطفان ، إذا رأى نفسه قد استفتى وكثر ماله ، لم تهدده وتوعده ووعظه فقال : (إن إلى ربك الرجى) ، أى : إلى الله المصير والمرجع ، وسبحانك على مالك : من أين جمعه ؟ ولعم صرته ؟ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا زيد بن أسباط عن حماد ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو حمزة ، عن حون قال : قال عبد الله : منهومان لا يشبعان ، صاحب العلم وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيبغى في الطغيان . قال : ثم قرأ عبد الله : (إن الإنسان ليطغى . أنه رآه استغنى) . وقال للأخر : (عما يغنى الله من عباده العلماء) .

وقد روى هذا مرفوعاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا » (٥) ،

(١) في المسند : « فيسكن ذلك » . وما هنا موافق البخارى ، كتاب التفسير : ٣٨/٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٣٢/٦ - ٢٣٣ .

(٣) البخارى ، كتاب بدء الوسى : ٤ - ٣/١ . وتفسير سورة (اقرأ باسم ربك الذى خلق) : ٢١٤ - ٢١٥ .

وكتاب التفسير : ٣٨/٩ . وسلم : كتاب الإيمان ، باب « بدء الوسى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » : ٩٧/١ - ٩٨ .

(٤) سنن الداريمى ، المقدمة ، باب « من رخص في كتابة العلم » ، الحديث ٥٠٣ : ١٠٥/١ .

(٥) سنن الداريمى ، المقدمة ، باب « في فضل العلم والعلماء » ، الحديث ٣٤١ : ٨١/٩ .

ثم قال تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عِبْدًا إِذَا صَلَّى) : نزلت في أبي جهل لئله الله ، توعد النبي - صلى الله عليه وسلم -
على الصلاة عند البيت ، فوعده الله - تعالى - بالنار . (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْغَدَى) ، أى : فما
ظنك إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَى عَلَى الطَّرِيقِ لِلْمُتَّقِيَةِ فِي ضَلَالِهِ ، أَوْ (أَمْرٌ بِالْقَوَى) بقوله ، وَأَنْتَ تَرْجُوهُ وَتَوَعَّدُهُ عَلَى
صَلَاتِهِ ، وَهَذَا قَالَ : (أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى ؟) أى : أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُتَّقِيِ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ ،
وَيَسْجِزِيهِ عَلَى قَوْلِهِ أَمَّ الْجَزَاءُ ؟

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً : (كَلَّا لَنْ لَمْ يَنْتَهِ) ، أى : لَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّقَاقِ وَالْعَادِ ، (لَنْتَسْمَعُ بِالْغَدَاةِ)
أى : لَنْتَسْمَعَنَّهَا صَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

ثم قال : (نَاصِيَةٌ كَافِيَةٌ خَاطِئَةٌ) ، يعنى : نَاصِيَةٌ أَبَى جَهْلٍ كَافِيَةٌ فِي مَقَالَتِهَا خَاطِئَةٌ فِي فِعْلِهَا .

(فُلَيْحٌ نَادِيَةٌ) ، أى : قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، أى : لِيَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ ، (سَدَنُ الرِّبَاةِ) ، وهم مَلَاحِكَةُ الْعِلَابِ ،
حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ يَطْلُبُ : أَحْرَبُنَا أَوْ حَزَبُهُ ؟

قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجعفي ، عن عكرمة ، عن
ابن عباس قال أبو جهل : لَنْ رَأَيْتُ مَحْمُودًا يَصَلِّيُ عِنْدَ الْكِنَةِ لِأَطْلَانٍ عَلَى عَشِيرَتِهِ . فَبَلَغَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -
فَقَالَ : وَلَنْ ضَلُّهُ لِأَخْلَافِهِ لِلْكَفَّةِ . ثم قال : تَابَهُ عُرْوَةُ بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - يعنى ابن عمرو - عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ (١)
وَكُلَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَنَّى فِي تَفْسِيرِهِمَا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، بِه (٢) . وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ أَبِي كَرِبٍ ،
عَنْ زُكْرِيَّا بْنِ عَدْنَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِه (٣) .

وروى أحمد ، والترمذي ، وابن جرير - وهذا لقظه - مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ ، فَرَبَّهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ : يَا عُمَدُ ، أَمْ أَهْلَكَ مِنْ
هَذَا ؟ - وَتَوَعَّدَهُ - فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَانْتَهَرَهُ ، فَقَالَ : يَا عُمَدُ ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَهْدِنِي ؟ أَمْ
وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الرَّادِي نَادِيًا ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (فُلَيْحٌ نَادِيَةٌ) (سَدَنُ الرِّبَاةِ) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لِأَخْلَافِهِ
مَلَاحِكَةَ الْعِلَابِ مِنْ صَاحَتِهِ (٤) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ (٥) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا إسماعيل بن زيد أبو يزيد ، حدثنا فُرَاتٌ ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : لَنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ [يَصَلِّي] عِنْدَ الْكِنَةِ لِأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطْلَأَ عَلَى عَشِيرَتِهِ . قَالَ : فَقَالَ ،

(١) البخاري ، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك ...) : ٢١٦/٦ .

(٢) تحفة الأوحى ، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك ...) ، الحديث ٣٤٠٦ : ٢٧٧/٩ - ٢٧٨ . وقال الترمذي : وهذا

حديث حسن غريب صحيح .

(٣) تفسير الطبري : ١٦٥/٣٠ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٤/٣٠ .

(٥) تحفة الأوحى ، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك ...) ، الحديث ٣٤٠٧ : ٢٧٨/٩ - ٢٧٩ ، ولفظ الترمذي :

وهذا حديث حسن غريب صحيح . وانظر الحديث في صفة الإمام أحمد : ٣٢٩/١ .

«لو فعل لأخذه للملايكة عياناً، ولو أن اليهود تَمَتَّنُوا الموت لما تَوَّأوا ولَوْ أنَّ مَنَّا عَمَّ من النار، ولو هرج الذين يُبْهَلُونَ» (١)
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرجوا لا يجلون مالا ولا أهلاً (٢) .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العزيز ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأكفنه . فأنزل الله - عز وجل - : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، حتى بلغ هذه الآية : (لنسفنا بالنامية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية) ، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فصل ، قيل : ما عندك ؟ قال : قد أسودَّ ما بيبي وبينه من الكتاب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذه للملايكة والناس ينظرون إليه (٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المنصور (٤) عن أبيه ، حدثنا نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يَمَسُّ محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فقال : واللوات والنزى ، لئن رأيت يصلي كذلك لأطعن على رقبته ، ولأضفرن وجهه في التراب ، فأنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُصَلِّي ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأكم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتبي يدبه ، قال : قيل له : مالك ؟ قال : إنبيى وبينه خندكاً من نار وهولاً ولجنة . قال : قال رسول الله : «لودنا متى لأخطفه للملايكة ضحوا ضحوا» ، قال : وأنزل الله - لا أخرى في حديث أبي هريرة أم لا (كلا إن الإنسان ليطغى) . . . إلى آخر السورة (٥) .

وقد رواه أحمد بن حنبل ، ومسلم ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، من حديث محمد بن سليمان ، (٦) .

وقوله (كلا لا تطعه) ، يني : يا محمد ، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرةها ، وصل حيث شئت ولا تباليه ، فإن الله حافظك وتناصرك ، وهو يصمك من الناس ، (ويسجد واقترب) ، كما ثبت في الصحيح - عند مسلم - من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن عمارة بن غزية ، عن سَمْعَى ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا للدعاء (٧)» .

وتقدم أيضاً : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسجد في : (إنا لله العباد انفتحت) ، (وقرأ باسم ربك الذي خلق) .

(آخر تفسير سورة اقرأ)

- (١) المبالغة : الملايكة ، وهي : أن يحث القوم - إذا اختلفوا في شيء - فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .
- (٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٨/١ .
- (٣) تفسير الطبري : ١٦٥/٣٠ .
- (٤) في تفسير الطبري : «ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن أبيه» . وانظر ترجيح ابن كثير للحديث فيما يأتي .
- (٥) تفسير الطبري : ١٦٥/٣٠ .
- (٦) مسند الإمام أحمد : ٣٧٠/٢ . ومسلم ، كتاب صفة القبلة ولجنة والنار ، باب قوله : (إن الإنسان ليطغى) .
- (٧) ١٣٠/٨ .
- (٨) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب «ما يقال في الركوع والسجود» : ٤٩/٢ - ٥٠ م .

تفسير سورة القدر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَّمَ هِيَ خَلْقَ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ۝

يُخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ) (١) ، وهي ليلة القدر ، وهي من شهر رمضان ، كما قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (٢) .
قال ابن عباس وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم قال تعالى مُتَعَلِّمًا لِمَا نَزَّلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فِيهَا ، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها ، قال : (وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر) .

قال أبو حمزة الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا القاسم ابن الفضل الحداثي ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال : سَوَدَّتْ وَجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ : يَامَسُودَ وَجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ - فقال : لَأَتَوَتَّنِي - وَحَمَلَكَ اللَّهُ - فَإِنَّ اللَّهَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرَى بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مَنْبَرِهِ ، فَضَاهَهُ ذَلِكَ ، فَتَزَلَّتْ : (إِنَّا أَصْلَيْنَاكَ الْكَوْثَرُ) ياعبد ، يَبْنِي سُبْرًا فِي الْجَنَّةِ ، وَتَزَلَّتْ : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر ، يملكها بهلك بنو أُمَيَّةَ ياعبد . قال القاسم (٣) : فبعدنا فإذا هي ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من [هذا الوجه من] حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة ووجه يحيى القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد - ويقال : يوسف بن مازن - رجل مجهول ، ولا تعرف هذا الحديث ، على هذا التقط إلا من هذا الوجه (٤) .

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه ، من طريق القاسم بن الفضل ، عن يوسف بن مازن ، به ، وقول الترمذي : (إِنَّ يَوْسُفَ هَذَا مَجْهُولٌ - فِيهِ ظَنَرٌ) فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحليل ،

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٨٥ .

(٣) هو ابن الفضل الحداثي المذكور في الإسناد .

(٤) تحفة الأسماء ، تفسير سورة ليلة القدر ، الحديث ٣٤٠٨ : ٢٨٠/٩ - ٢٨٧ .

ويونس بن عبيد : وقال فيه يحيى بن معمر : هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معمر : هو القدر . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسى (١) بن مازن ، كما قال ، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً ، قال شيخنا الإمام الحافظ [الحجة] أبو الحجاج الليثي : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل المحدثين : إنه حسب مدة بنى أمية فوجدوا ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص ، ليس بصحيح ، فإن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنه - استقل بالملك حين سلك إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمى ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأموال وبعض البلاد قريباً من تسع سنين ، لكن لم تزك يدعهم عن الإمرة بالكلية ، بل من بعض البلاد ، إلى أن استلبهم بنو العباس لخلافة في سنة الثنتين وثلاثين واثلة ، فيكون مجموع منتهى التسبغ وتسبغ سنة ، وذلك لأزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر ، وكان القاسم ابن الفضل أسقط من منتهى أيام ابن الزبير ، وعلى هذا فتقريب ما قاله الصحة في الحساب ، والله أعلم .

وما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سينزل للم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن هذا السياق ، فإن تفسير ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذلك أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمنح ليلة القدر ، فكيف تمنح بتضييعها على أيام بنى أمية التي هي ملمومة ، يقتضي هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قاله القائل :

ألم تر أن العييف يقصّ قدره إذا قيل : إن السيف لمنقى من العصا

وقال آخر :

إنا أنبت فصلاً امرأ ذا بركات عكبي تكلم ، كان للمعجم من الكعص

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بنى أمية ، والسورة مكية ، فكيف جاز على ألف شهر هي دولة بنى أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ؟! والمثير إنما صنع بالمنية بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكوه ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا مسلم - يعني ابن خالد - عن ابن أبي نجيب ، عن جهماد : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر رجلاً من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فتسجبه للمسلمون من ذلك ، قال : فأقول الله عز وجل : (إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر غير من ألف شهر) التي ليس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر .

(١) تفسير الطبري : ١٦٦/٣٠ . هذا وفي الطبقات السابقة من تفسير ابن كثير : « عن يوسف بن مازن » . وهو خطأ لا شك فيه ، في تفسير الطبري : « عن عيسى بن مازن » ، ومثله في نسخة الأثر . وقد نبه الحافظ أبو القاسم صاحب نسخة الأثر : ٢٨٢/٦ ، على ما وقتت فيه الطبقات السابقة من الخطأ ، وصوبه كما في المخطوطة . وقد ذكرنا ذلك - وإن كان ليس من منتهى الإضافة إلى خطأ الطبقات السابقة ، فهو أمر بطول - ذكرناه ليكمل صواب ما ذكره الحافظ أبو القاسم ، وبالله التوفيق .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام بن سلم عن الثعلبي بن الصباح ، عن حماد قال : كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فانزل الله عليه الآية : (ليلة القدر خير من ألف شهر) (١) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني مسلمة بن حكيمة ، عن علي بن عروة قال : ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما أروجة من بني إسرائيل ، جدوا الله ثمانين عاما ، لم يعضوه طرفة عين ، وذكرنا ، وحزقيل بن الحارث (٣) ، ويوشع بن تون - قال : فحبب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، صبحت لملك من عبادة هؤلاء الثمانين سنة ، لم يعضوه طرفة عين ، قد أنزل الله خيرا من ذلك : فقرأ عليه : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وما أنزلك ماله القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر ، هذا أفضل مما صبحت أنت ولملك . قال : فسرّ لملك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس معه .

وقال سفيان الثوري : يكتفى عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر . قال : حسنها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر - رواه ابن جرير (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جبرئيل ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس في تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعي ، وغير واحد .

وقال مروان بن أبي عيسى للثوري : عمل فيها خير من عمل ألف شهر (٥) .
ومما القول بأفصل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير : وهو الصواب لا ما ماعناه ، وهو كقوله - صلى الله عليه وسلم - : « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فباسوا من للنازل » ، رواه أحمد (٥) . وكما جاء في قاصد الجملة بيته حسنة ، ونية صالحة : أنه يكتب له عمل سنة ، أجر صيامها (٦) وقيامها إلى غير ذلك من المثلث المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي هريرة قال : « لا حضر رمضان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتخل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم (٧) » .

(١) تحفة الأحرف : تفسير سورة : ليلة القدر : ٣٤٠٨ ، ٢٨٠/٩ ، ٢٨٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦٧/٣٠ .

(٣) في الموطأ لابن حنبل : « وحزقيل بن يوشع » .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٧/٣٠ .

(٥) مسند الإمام أحمد عن مكان رضي الله عنه : ٦٢/١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ .

(٦) تقدم الحديث في سورة الجمعة وخرجناه هناك ، انظر : ١٤٧/٨ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢٢٠/٢ ، وانظر أيضا : ٢٨٥/٢ ، ٤٢٥ .

ورواه الثقات ، من حديث أبيوب ، به (١) .

ولا كانت ليلة القدر لتعمل عبادة ألف شهر ، ثبت في الصحيحين من أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

وقوله : (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ، أي ، يكثر تنزلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ، ويصفون لمجنهم لطلب العلم بصدق تعظيما له :

وأما الروح قبيل : لئلا يدعها جبريل عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام ، وقيل : هم شرب من الملائكة . كما تقدم في سورة النبأ . والله أعلم :

وقوله : (من كل أمر) قال مجاهد : سلام هي من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد في قوله : (سلام هي) ، قال : هي سائلة ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى .

وقال قتادة وغيره : تنفي فيها الأمور ، وتقدر الآجال والأرزاق ، كما قال تعالى : (فيها يفرق كل أمر حكيم) (٣) .

وقوله : (سلام هي حتى مطلع الفجر) - قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي في قوله تعالى : (من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر) قال : تسليم للملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، حتى مطلع الفجر . وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (من كل أمرىه : سلام هي حتى مطلع الفجر) (٤) .

وروى البيهقي في كتابه « فضائل الأوقات » عن علي أنراً غريباً في نزول الملائكة ، ومرورهم على المسلمين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أنراً غريباً حبيباً مطولاً جداً ، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الأرض ، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات :

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عمران - يعني القنطان - عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في ليلة القدر : « إني ليلة سابعة - أو : ثامنة - وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى » (٥) .

(١) التلخيص : كتاب الصيام : ١٢٩/٤ .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان : باب « قيام ليلة القدر من الإيمان » : ١٥/١ . وكتاب الصوم : باب « من صام رمضان إيماناً واحتساباً وفية » : ٢٣/٣ . ومسلم ، كتاب الصلاة : باب « الترشيب في قيام رمضان » : ١٧٧/٢ .

(٣) سورة الفخار : آية ٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٨/٢٠ .

(٥) نسخة المجهود ١ : ٥٥٠ .

وقال الأعمش ، عن النضال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله : (من كل امر : سلام) قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد في قوله : (سلام هي) ، يعني : هي غير كلها ، ليس فيها شيء إلى مطلع القجر . ويؤيد هذا للشي ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا جبة ، حدثني بجر بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليلة القدر في العشر البوائى ، من قامهن ابتغاء حسبتن فإن الله يظفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهي ليلة وتر : تسع ، أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلسنة (١) ، كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة ساجية ، لا يرد فيها ولا آخر ، ولا يجل لكوكب يرمى به [فيها] حتى تصبح . وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يجل للشيطان أن يخرج معها يومئذ (٢) » .

وهذا إسناده حسن ، وفي المتن غرابة ، وفي بعض النسخ تكرار :

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا زغبة ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء (٣) » . وروى ابن أبي عاصم التميمي بإسناده عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إلى رأيت ليلة القدر فأصفيها ، وهي في العشر الأواخر من لياليها [ليلة] طلقة يابسة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرًا ، لا يخرج شيطانًا حتى يضيء فجرها » .

فصل

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة ، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين : قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهرى : حدثنا مالك : أنه بلغه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرى أعمار الناس قبله - أو : ما شاء الله من ذلك - فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يلبثوا من العمل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأخصاه الله ليلة القدر ، خيرًا من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر . وهذا الذي قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب السنّة . أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء ، فانه اعلم . وحكى المنطلي عليه الإجماع والذي دل عليه الحديث أنها كتبت في الأمم الماضية كما هي في أمنا .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثني أبو زميل سمك الحنظلي : حدثني مالك بن مَرْثَد بن عبد الله ، حدثني مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول الله ، أنصري عن ليلة القدر ، أرى رعدان هي أو

(١) في نسخة .

(٢) سمع الإمام أحمد : ٣٢٤/٥ .

(٣) في نسخة المبرور . « متفق » بدل « ضعيفة » أنظر : ٢٠١/١ .

في غيره ؟ قال : « بل هي في رمضان » : قلت : تكون مع الأتياء ما كانوا ، فافاقوا رغبتم ؟ أم هي لأي يوم
القيامه ؟ قال ؟ : « بل هي لأي يوم القيامه » . قلت : في أي رمضان هي ؟ قال : « اتسوها في العشر الأول ، والعشر
الأخير » . ثم حدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحدث ، ثم احتلت خلفه قلت : في أي العشرين هي ؟
قال : « اجتوها في العشر الأخير ، لا تسألني عن شيء بعدها » . ثم حدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم احتلت
خلفه فقالت : يا رسول الله ، أقسمت عليك بحي عليك لئلا أخبرني في أي العشر هي ؟ فغضب علي غضباً لم يغضب مثله
منذ روي ، وقال : « اتسوها في العشر الأخير ، لا تسألني عن شيء بعدها (١) » .

ورواه الشافعي عن القلاس ، عن يحيى بن سعيد القطان ، به .

فيه دلالة على ما ذكرناه ، وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامه في كل سنة لا كما زعم بعض ملوك الشيعة من
رفعها بالكيفية ، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام : « فرغت ، وعسى أن يكون غيرا لكم »
لأن المراد رفع علم وقتها حيناً . وفيه دلالة على أن ليلة القدر يخص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا
كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علمه أهل الكوفة ، من أنها توجد في جميع السنة ، وترجي في جميع الشهور
على السواء .

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان » : حدثنا حميد بن زنجشوية
الشافعي ، أخبرنا سعيد بن أبي مرج ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، حدثني موسى بن عتبة ، عن أبي إسحاق ،
عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عمر قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا أسمع من ليلة القدر ، فقال :
هي في كل رمضان (٢) .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : « رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه (٣) » .

وقد حكى عن أبي حنيفة - رحمه الله - رواية أنها ترجى في جميع شهر رمضان . وهو وجه الغرأى ، واستخره
أقراني جلياً .

فصل

ثم قد قيل : إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان ، يحكى هذا عن أبي رزين : وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة : وروي
فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود (٤) . وروي موقفاً عليه ، وعلى زيد بن أرقم ، وعثمان بن أبي العاص .
وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكى عن الحسن البصري . ووجهه بأنها ليلة بدر ، وكانت ليلة جمعة
في السابعة عشرة من شهر رمضان ، وفي صحيحها كانت وقعة بدر . وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه : (يوم الفرقان) .

(١) مستدرك إمام أسه : ١٧١/٥ .

(٢) سنن أبي داود ، تفرج أبواب شهر رمضان ، باب « من قال : هي في كل رمضان » .

(٣) سنن أبي داود ، تفرج أبواب شهر رمضان ، باب « من روى أنها ليلة سبع عشرة » .

وقيل : ليلة تسع عشرة ، يحكى عن علي وابن مسعود أيضاً ، رضى الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدى وعشرين ، لحديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال إن الذي تطلب أملك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : الذي تطلب أملك ثم قام النبي - صلى الله عليه وسلم - خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، قال : من كان اعتكف معي فليرجع ، فأتى ليلة القدر ، وإلى أنسيتها ، وليلتها في العشر الأواخر في شهر ، وإلى رأيت كائى مسجد في ملين وماء . وكان سقف المسجد جريداً من النخل ، وما نرى في السماء شيئاً ، فاجامت قزعة (١) فمطرنا ، فصل بنا النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى رأيت أثر العطن ولقاء على جبهة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصليق رؤياه (٢) . وفي لفظ : في صبح إحدى وعشرين ، أخرجاه في الصحيحين .

قال الشافعي : وهذا الحديث أصح الروايات ،

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ، لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم ، وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد (٣) فأنه أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجري ، عن أبي نفرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » (٤) . إسناده وجاله فثبت .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن أبي حنيفة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن الصنابحي ، عن بلال قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » (٥) .

ابن أبي حنيفة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي عبد الله الصنابحي قال : قال : أخبرني بلال مؤذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنها أول السبع من العشر الأواخر . فهذا للموقوف أصح ، والله أعلم . وهكذا روى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن وهب : أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم في « سورة البقرة » (٦) ، حديث وثالة ابن الأسقع مرفوعاً : « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

(١) القزعة - يلتصق - : قطعة من النخيل .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « السجود على الآتف والسجود على اللبن » : ٢٠٦/١ - ٢٠٧ . والنظر مسلم ، كتاب الصوم ، باب « فضل ليلة القدر والحل على طلبها ، ويبيان عنها ، وأرجى أوقات طلبها » : ١٧١/٣ .

(٣) مسلم في الكتاب والباب المتقدمين : ١٧٣/١ .

(٤) منحة المعجود ٢٠١/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢/٦ .

(٦) انظر : ٣٠٩/١ .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ، لا رواه البخارى ، من عيد الله بن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « اجتمعوا في العشر الأواخر من رمضان ، في تسعة تبتى ، في سابعة تبتى ، في خامسة تبتى (١) ففسره كثيرون بلبان الأوتار ، وهو أظهر وأظهر . وحلة آخرون على الإفشاء كما رواه مسلم (٢) ، عن أبي سعيد ، أنه حمل على ذلك ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون ليلة سبع وعشرين لا رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين (٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان : سمعت حبة وعاصمًا ، عن زيد : سألت أبا بن كعب قلت : أيا المنلو : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يكسب الحول يُصعب ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، قد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تملكون ذلك ؟ قال : بالمعلاة - أو : بالآية - التي أنشبر بها ، تطلع ذلك اليوم لا شمع لها ، أضي الشمس (٤) .

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي ، عن حبة ، عن زيد ، عن أبي ، عن فلانة ، وفيه فقال : « والله الذي لا إله إلا هو ، إنها في رمضان - عطف ما يستثنى - والله الذي لأهل أبي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها ، هي ليلة سبع وعشرين ، وأما أنها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها يضاف لا شمع لها .

وفي الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجادة من ملهب أحمد بن حنبل - رحمه الله - وهو رواية عن أبي حنيفة أيضًا . وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن ، من قوله : (هي) لأنها الكلمة السابقة والفرشون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الله بيري : أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فسلم من ليلة القدر ، فاجتمعوا على أنها في العشر الأواخر . قال ابن عباس : قلت لعمرو : إلى لآخر - أي ليلة القدر هي ؟ قال عمر : أي ليلة هي : سابعة تضي - أو : سابعة تبتى - من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس : قلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمي الجمار سبع ، .. لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنت له . وكان قتادة يتردد عن ابن عباس في قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : (فأنتها فيها حيا وصيا) ... الآية -

(١) البخارى : كتاب الصيام ، باب « نحرى ليلة القدر في ثلث من العشر الأواخر فيه صابة » ٦١/٣ .

(٢) مسلم : كتاب الصوم ، باب « قل ليلة القدر والحسن على طها ... » ١٧٢/٢ - ١٧٣ .

(٣) مسلم : في الكتاب والباب المتضمنين ١٧٤/٢ .

(٤) سنن الإمام أحمد ١٢٠/٥ .

وهذا إسناده جيد قوي ، وليس " غريب جداً " ، والله أعلم ،

وقيل : إنها تكون في ليلة تسع وعشرين : قال أحمد بن حنبل :

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن حنبل ، عن نجر بن عبد الرحمن ، عن عباد بن الصامت : أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ليلة القدر ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « في رمضان ، فاقسموها في العشر الأواخر ، فلما في وتر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو في آخر ليلة (١) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود - وهو : أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة أو ثمانية وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحمى (٢) » .

فرد به أحمد ، وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون في آخر ليلة ، لما تقدم من هذا الحديث آتفاً ، ولما رواه الترمذي والنسائي ، من حديث عبيدة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « في تسع يمين ، أو سبع يمين ، أو خمس يمين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة . يعني : التسوا ليلة القدر (٣) » .

وقال الترمذي : حسن صحيح . وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » .

فصل

قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي - صلى الله عليه وسلم - جواباً للسائل إذا قيل له اتس ليلة القدر في في الليلة القليلة ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنَةٌ : لا تتنقل . نقله الترمذي (٣) عنه بمعناه . وروى عن أبي قلابة أنه قال : [ليلة القدر] تتنقل في العشر الأواخر (٤) :

وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والبخاري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور والزهري ، وأبو بكر بن عزمي ، وغيرهم . وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه - والله أعلم .

وقد يستأنس بهذا القول بما ثبت في الصحيحين ، عن عبد الله بن نجر : أن رجلاً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - سأل رسول الله في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أرى رؤيا كم قد نواطت في السبع الأواخر ، فمن كان متحرباً فكيتتحربها في السبع الأواخر (٥) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٢٠/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٥١٩/٢ .

(٣) تحفة الأرواح : أبواب الصوم ، باب « ملجأ في ليلة القدر » : الحديث ٧٩١ : ٥٠٧/٢ - ٥٠٨ .

(٤) تحفة الأرواح في الباب المتقدم ، الحديث ٧٨٩ : ٥٠٦/٢ .

(٥) البخاري ، كتاب الصوم ، باب ، التمس ليلة القدر - في السبع الأواخر : ٥٩/٢ - ٦٠ . وسلم ، كتاب الصوم .

باب فضل ليلة القدر : ١٧٠/٢ .

وليهما أيضاً عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « تمحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » (١) . ولفظه البخارى .

ويجوز الشافعى أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخارى في صحيحه ، عن حياطة بن الصامت قال : « خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليخبرنا ليلة القدر ، فخلاى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم ليلة القدر ، فخلاى فلان وفلان ، فرضت ، وعسى أن يكون غيراً لكم ، فانصوها في التاسعة والسابعة والخامسة » (٢) . وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة الثمين ، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة ، إذا لم كانت تنتقل لما علموا تحيينها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليطلعهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فخلاى فلان وفلان فرضت » : فيه استثناس لما يقال : إن للمأولة قطع القاعدة والعلم النافع ، وكما جاء في الحديث : « إن العبد ليحرم الرزق بالنسب يصيه » (٣) .

وقوله : « فرضت » أى : وقع علم تميمتها لكم ، لا أنها وضعت بالكيفية من الوجود ، كما يقول جهلة الشيعة ، لأنه قد قال بعد هذا : « فانصوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسى أن يكون غيراً لكم » ، مبنى علم تميمتها لكم ، فإنها إذا كانت مهمة اجتهد كلنا في ابتنائها في جميع حال رجائنا ، فكان أكثر العبادة ، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت للمهم تنقصر على قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إيهامها لهم العبادة جميع الشهر في ابتنائها ، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر . ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله عز وجل ، ثم احتكف أزواجه من بعده . أخرجه (٤) من حديث عائشة .

ولما من ابن عمر : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحتكف العشر الأواخر من رمضان (٥) .

وقالت عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد اللزور » أخرجه (٦) .

ولسلم عنها : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره (٧) .

وهذا معنى قولنا « وشد اللزور » . وقيل : لراد بذلك : احتزال النساء . ويعمل أن يكون كتابة من الأمور ، لما رواه الإمام أحمد :

(١) البخارى ومسلم ، في الكتاب والباب المقتضين ، انظر البخارى : ٩٠/٢ . ومسلم : ١٧٢/٢ .

(٢) البخارى ، كتاب الصوم ، باب « غرض ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر » : ٦١/٢ .

(٣) ابن ماجه ، المقدمة ، باب « في القدر » ، الحديث ٩٠ : ٣٥١/١ . وكتاب القتن ، باب « المقويات » ، الحديث ٤٠٢٢ : ١٢٢٤/٢ .

(٤) البخارى ، كتاب السيام ، باب « الاحتكاف في العشر الأواخر » : ٦٢/٢ . ومسلم ، كتاب الاحتكاف ، باب « احتكاف العشر الأواخر من رمضان » : ١٧٥/٢ .

(٥) البخارى ، كتاب السيام ، باب « السيل في العشر الأواخر » : ٦١/٢ . ومسلم ، كتاب الاحتكاف ، والاحتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان : ١٧٥/٢ - ١٧٦ .

(٦) مسلم في الكتاب والباب المقتضين : ١٧٦/٢ .

حدثنا **صُريج** ، حدثنا **أبو معشر** ، عن **هشام بن عروة** ، عن **أبيه** ، عن **عائشة** قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا بُنيَ عشر من رمضان شكَّ مَنزوره ، واعتزل نسائه . انفرد به أحمد (١) .
وقد حكى عن مالك - رحمه الله - أن جميع ليالي العشر [في] تطلب ليلة القدر على السواء ، لا يرجع منها ليلة على أخرى ؛ رأيت في شرح الرافعي رحمه الله .

وللمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات ، وفي شهر رمضان أكثر ، وفي العشر الأخير منه ، ثم في أولائه أكثر ؛ وللمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ، إنك عفوٌ تحب العفو ، فاعف عني » ، لا رواه الإمام أحمد ؛ حدثنا **يزيد** - هو **ابن هارون** - حدثنا **الجريدي** - وهو : **سعيد بن زياد** - عن **عبد الله بن بريدة** : أن **عائشة** قالت : **يا رسول الله** ، إن **واقفت ليلة القدر** فما **أدعو ؟** قال : « **قولي : اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني** » (٢) .

وقد رواه **الترمذي** ، و**التسائي** ، و**ابن ماجه** ، من طريق **كهشم بن الحسن** عن **عبد الله بن بريدة** ، عن **عائشة** قالت : قلت : **يا رسول الله** ، **أرأيت إن علمتُ أي ليلة القدر** ، ما أقول فيها ؟ قال ؟ « **قولي : اللهم ، إنك عفوٌ تحب العفو ، فاعف عني** » .

وهذا **لفظ الترمذي** ، ثم قال : وهذا **حديث حسن صحيح** (٣) . وأخرجه **الحاكم** في **مستدركه** ، وقال : وهذا **صحيح على شرط الشيخين** . ورواه **التسائي** أيضاً من طريق **سفیان الثوري** ، عن **عقبة بن مَرْثَد** ، عن **سليمان بن بريدة** عن **عائشة** قالت : **يا رسول الله** ، **أرأيت إن واقفت ليلة القدر** ، ما أقول فيها ؟ قال « **قولي اللهم ، إنك عفوٌ تحب العفو ، فاعف عني** » .

تحف البهر ، **فاعف عني** : ذكر **أثر غريب** و**بنا عجيبة** ، يتعلق بليلة القدر ، رواه **الإمام أبو محمد** **بن أبي حاتم** ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا **أبي** ، حدثنا **عبد الله بن أبي زياد** (٤) **التطواني** ، حدثنا **سيار بن حاتم** ، حدثنا **موسى بن سعيد** - **بن الراسي** - عن **هلال بن جيلة** (٥) ، عن **أبي عبد السلام** ، عن **أبيه** ، عن **كعب** أنه قال : إن **سورة** **النتهى** على حد السماء **السابعة** (٦) ، مما يلي الجنة ، فهي على حدّ **هواء الدنيا** و**هواء الآخرة** ، [**حكوها**] في الجنة ، و**حرونها** وأغصانها من تحت الكرسي ، فيها ملائكة لا يعلم حدّهم إلا الله عز وجل ، **يعبدون الله** - عز وجل - على أغصانها في كل موضع شجرة منها ملك . ومقام **جبريل** - عليه السلام - في وسطها ، **فيتنادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سورة** **النتهى** ، وليس فيهم ملك إلا قد أُسْطِي الرأفة والرحمة للمؤمنين ، **فيتولون** (٧) على **جبريل** في ليلة القدر ،

(١) مست الإمام أحمد : ٦٦/٦ - ٦٧ .

(٢) مست الإمام أحمد : ١٨٢/٦ .

(٣) تحف الأوسى : أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٨٠ : ٤٩٥/٩ . وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو العامة ، الحديث ٣٨٥٠ : ١٢٦٥/٢ .

(٤) هو عبد الله بن الحكم القطواني . مترجم في البحر والتبصير لابن أبي حاتم : ٣٨٨/٢٢٢ .

(٥) في المخطوطة : « **هلال بن أبي جيلة** » . والمكتب عن البحر والتبصير لابن أبي حاتم : ٧٦/٢٤٤ .

(٦) في المخطوطة : « **الباب الرابعة** » . والمكتب من الطبقات السابقة .

(٧) في المخطوطة : « **فيتولون على جبريل** » . والمكتب عن الطبقات السابقة أيضاً .

حين تقرب الشمس ، فلا تبقى بقمة في ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم ، يدعو المؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بجمة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بطن أمككم التي تطرحون فيها الخبث ، أو بيت فيه مسكران ، أو بيت فيه مسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس معلق ، أو مبرة ، أو مكان فيه كساسة البيت . فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين إلا صافحه ، وعلامة ذلك من الشمر جلده ورق قلبه وذمحت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر : « لا إله إلا الله » ، ثلاث مرات ، غفر الله له بولادة ، ونجاة من النار بولادة ، وأدخله الجنة بولادة . قلنا لكب الأحبار : يأبى إسحاق ، صادقاً ؟ قال كعب : وهل يقول « لا إله إلا الله » في ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والى نفسى بيده ، إن ليلة القدر لتضل على الكافر والمنافق ، حتى كأنها على ظهوره جبل ، فلا تزال لللائكة هكذا حتى يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأئمة الأئمة من الشمس ، فيسقط جناحه — وله جناحان أنضريان ، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة — فصرر الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو ملكاً فيصعد ، فيجتمع نور اللائكة وتور جناحي جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيلمع جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، في دعاء ورحمة واستغفار المؤمنين والمؤمنات ، ولين صام ومضان احساباً ، ودعا لمن حلت نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله . فإذا أسروا دخول السماء الدنيا ، فيجسسون حلقاً ، فيجتمع إليهم ملائكة مياه الدنيا ، فيسألونهم عن رجل ورجل ، وعن امرأة امرأة ، فيحلفونهم حتى يقولوا : ما فعل فلان ؟ وكيف وجدته العام فيقولون : وجدنا فلاناً حام أول في هذه الليلة متعباً ووجدناه العام متعباً ، ووجدنا فلاناً مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال : فيكون من الاستغفار للكل ، ويقولون على الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلاناً وفلاناً بذكرنا الله ، ووجدنا فلاناً وأكاماً ، وفلاناً ساجداً ، ووجدناه تالياً لكتاب الله . قال : فهم كذلك يومهم وليتهم ، حتى يصعدون إلى السماء الثانية ، في كل مياه يوم وليلة ، حتى ينهوا مكانهم من سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : يا سكانى ، حدثوني عن الناس وصومهم لى . فإن لى عليكم حقاً ، وإنى أحب من أحب الله . فذكر كعب أنهم بعدون لها ، ويعكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول : أخبرينى عما أخبركم سكانك من اللائكة . فضجروا ، قال : فتقول الجنة : رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، اللهم حببكم لى ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، [فيلهم] الله فيقول : وجدت فلاناً ساجداً فافخر له . فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون : رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ، ومغفرته لفلان ، ويقول : يارب ، وجدت عليك فلاناً الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة ، ووجدته العام قد أحلحت حدثاً وتولى (٧) عما أمر به . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فاعتني قبل أن عودت بثلاث ساعات غفرته له : فيقول جبريل : لك الحمد لى ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال : فيرفع العرش وما حوله ، والحجب والسموات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أنظر بعد رمضان أن لا يحصى الله ، وعلى الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة « ليلة القدر »

تفسير سورة لم يكن وهي منية

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - أخبرنا حل - هو ابن زيد - عن حمار بن أبي حمار قال : سمعت أبا حنيفة البصري - وهو : مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري - قال : لا تزلت : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله ، إن ذلك يأمرك أن تقرنبا ألبيا . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي : (إن جبريل أمرني أن أفرك هذه السورة) . قال أبي : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، قال فيكي أبي (١) .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بن كعب : (إن الله أمرني أن أفرك عليك : (لم يكن الذين كفروا) قال : ومجانك لك ؟ قال (٢) « نعم » . فيكي .

ورواه البيهقي ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث شعبة ، به (٣) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، حدثنا أسلم الملقم ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبيزى ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن أمرت أن أفرك عليك سورة كلها وكلها . قلت : يا رسول الله ، وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له : يا أبا النضر ، فكترحت بذلك . قال : وما يعني والله يقول (قل : بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون) قال مؤمل : قلت لسفيان : اقتراط في الحديث ؟ قال : نعم ، تفرد به من هذا الوجه (٤) .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالوا : حدثنا شعبة ، عن حاصم بن حذله ، عن زر ابن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لي : (إن الله أمرني أن أفرك عليك القرآن قال : قرأ : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) ، قال : قرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال ، فأعطيه ، لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويغوب الله حل من تاب . وإن ذلك الذين عند الله الخبيثة ، خير للمشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره (٥) .

(١) سنة الإمام أحمد : ٤٨٩/٣ .

(٢) سنة الإمام أحمد : ١٣٠/٣ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة (لم يكن) : ٢١٦/٩ - ٢١٧ . ومسلم ، كتابه فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بن كعب : ١٠٠/٧ . وثيقة الأوسى ، أبواب المنائب ، باب : فضل أبي بن كعب رضي الله عنه ، : الحديث ٣٩٨٩ .

٣٩٨ - ٣٩٧ .

(٤) سنة الإمام أحمد : ١٢٣/٥ .

(٥) سنة الإمام أحمد : ١٣١/٥ - ١٣٢ .

ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، به . وقال : « حسن صحيح » (١) .
 طريق أخرى ، قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن حنبل (٢) ، الحلبي ، حدثنا محمد بن عيسى (٣) الطابع ،
 حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم : « يا أبا المنذر ، إنني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال : بالله آمنت (٤) ، وحل بك أسلمت ،
 ومنك تعلمت . قال : فرد النبي صلى الله عليه وسلم - يقول ، فقال : يا رسول الله ، أذكرت هناك ؟ قال : نعم ،
 باسمك وتسميك في اللأ الأهل . قال : فأقرأ إذا يا رسول الله .

هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم . وإنما قرأ عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه السورة تنبيها له ،
 وزيادة لإيمانه ، فإنه - كما رواه أحمد والنسائي ، من طريق أنس ، عنه (٥) ، ورواه أحمد وأبو داود ، من حديث
 سليمان بن صرد عنه (٦) . ورواه أحمد من عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن أنس ، من عبادة بن الصامت ، عنه (٧) ،
 ورواه أحمد وسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث إسحاق بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن
 أن ليلى ، عنه (٨) . كان قد أنكر حل إسمان ، وهو : عبد الله بن مسعود ، قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقره
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرغه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستقرأها ، وقال ، لكل منهما : « أصبت » ،
 قال أبي : فأعطيني من ذلك ولا إذ كنت في الجاهلية . فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صدره ، قال أبي :
 فكفست حركا ، وكأنما أنظر إلى الله فرقا . وأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن جبريل أتاه فقال : إن الله
 يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على حرف . قلت : لئلا الله ماله ومفرقه . فقال : على حرفين . فلم يزل حتى قال :
 إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على سبعة أحرف . كما قلنا ذكر هذا الحديث بطريقه والفاظه في أول التفسير . ولما
 قرئت هذه السورة الكريمة فيها : (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة . فيها كتب قيمة) ، قرأها عليه رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - قراءة إبلاغ وتثبيت وإتقان ، لا قراءة تعلم واستدكار ، والله أعلم .
 وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية عن تلك الأمثلة ، وكان فيما
 قال : أألم تكن تخبرنا أنا ستأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا » . قال : لا ، قال :
 « فإنك آتية ومطوف به » . فلما رجعوا من الحديبية ، وأنزل الله على النبي - صلى الله عليه وسلم - : « سورة الفتح » ،
 دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه ، وفيها قوله : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله
 آمنين) : الآية ، كما تقدم .

(١) تحفة الأحوي ، أبواب الخلق ، المجلد ٣٩٨٩ : ٣٩٧/١٠ - ٣٩٨ .

(٢) في المسح الصغير ١٥/١ : « بن عهده » .

(٣) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٨/١/١ . « عيسى بن الطباع » . وانظر المرح أيضا : ترجمة « معاذ بن محمد » : ١٤٧/١/٢ .

(٤) في المطهرة : « وأنت بالله » . وللمتبع من الطبعات السابقة .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢/٢٥ . والنسائي ، كتاب الفتح ، باب « جامع ما جاء في القرآن » : ٥١/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٢٤/٥ . وسنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١١٤/٥ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ١٢٧/٥ . وسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب « بيان أن القرآن على سبعة أحرف » .

وعنه مسنده : ٢٠٢/٢ - ٢٠٣ . وانظر سنن أبي داود والنسائي في الكتاب والباب للخطمين .

وروى الحافظ أبو نُعَيْم في كتابه «أسماء الصحابة» ، من طريق محمد بن إسماعيل الجعفي للفق : حدثنا عبد الله ابن سلمة بن أسلم ، عن ابن شهاب ، عن إسماعيل بن أبي حكيم للفق حنفي شُعَيْب - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : «إن الله ليسمع قراءة (لم يكن الذين كفروا) ، فيقول : أبشر عبدي ، فوهزني لأمكنته لك في الجنة حتى ترضى» .

حديث غريب جداً . وقد رواه الحافظ أبو موسى للنخعي وابن الأثير ، من طريق الزهري ، عن إسماعيل بن أبي حكيم عن نظير (١) للفق - أو : للفق - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «إن الله ليسمع قراءة (لم يكن الذين كفروا) ، فيقول : أبشر عبدي ، فوهزني لأهلك هل حال من لحوال الدنيا والآخرة ، ولأمكن لك في الجنة حتى ترضى» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَالِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ⑤

أما أهل الكتاب فهم : اليهود والنصارى ، والمشركون : عبدة الأوثان والوثان ، من العرب ومن الأمم ، وقال جامد : لم يكتروا (متفكين) يعني : متبين حتى يتبين لهم الحق وكلنا . قال قتادة (٢) (حتى تأتيتهم البينة) ، أي : هذا القرآن . ولما قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكين حتى تأتيهم البينة) ، لم يفسر البينة بقوله : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) ، يعني عندها صلى الله عليه وسلم ، وما يطلع من القرآن العظيم ، الذي هو مكتوب في اللأ الأعلى ، في صحف مطهرة ، كقوله : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة) ، يأبى سفره . كرام سورة (٣) . وقوله : (فيها كتب قيمة) - قال ابن جرير : أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة : عادلة مستقيمة ، ليس فيها عساً ، لأنها من عند الله عز وجل (٤) .

قال قتادة : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) : يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويؤتى عليه بأحسن التلاوة . وقال ابن زيد : (فيها كتب قيمة) : مستقيمة معتدلة .

وقوله : (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) ، كقوله : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، ولولا ذلك لم غلب عظيم) (٥) يعني بذلك أهل الكتب لفرقة على الأمم قبلاً ، بعد ما

(١) في الخطوط : «عن سفر» ، وللمخت من أصل الثانية : الترجمة ٥٢٢٤ : ٣٢٥/٥ ، بصحيفتنا .

(٢) تفسير الطبري ١٦٩/٢٥ .

(٣) سورة ص : الآيات ١٣ - ١٦ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٠٥ .

إقام الله عليهم الحجاج والبيئات هزقوا وانخطفوا في القلى أراد الله من كتبهم ، وانخطفوا اختلافاً كثيراً ، كما جاء في الحديث المروى : من طرق : « إن اليهود انخطفوا على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى انخطفوا على اثنتين وسبعين فرقة » وبمقتضى هذه الأمانة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قالوا : من هم بأمر الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » (١) .

وقوله : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ، كقوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون) (٢) . ولهذا قال : حضاه ، أى متحجبين عن الشرك إلى التوحيد . كقوله : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣) . وقد تقدم تقرير الخيف في « سورة الأنعام » (٤) ، بما أفنى عن إعادته ما هنا .

(وقيموا الصلاة) ، وهى أشرف عبادات البدن ، (ويؤتوا الزكاة) ، وهى الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، (وفلك دين القيمة) ، أى : الملة القاسمة العادلة ، أو : الأمانة المنظمة للعتلة .
وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهري والشافعي ، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان . ولهذا قال : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حضاه ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وفلك دين القيمة) .

لَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ
① لَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ② جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ يُدْخِلُهُمْ فِيهَا رَبُّهُمْ أَنْبَاءَ رُوحِهِمْ فِيهَا يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ أَنْبَاءَ رُوحِهِمْ ③
يُخْرِجُهُمْ تَحْتَ الْأَشجارِ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ④
يُخْرِجُهُمْ تَحْتَ الْأَشجارِ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ④
أَيُّ : شر الخليفة الذى يراه الله وفراها .
ثم أخبر تعالى عن نعال الأبرار - الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم - بأنهم خير البرية .
وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء ، على تفصيل المؤمنين من البرية على الملائكة ، أقوله : (أولئك هم خير البرية) .

ثم قال : (جزاؤهم عند ربهم) ، أى : يوم القيامة ، (جنتات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً) ، أى : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ .

(١) سنن أبي دارود ، أول كتاب السنة . ونجعة الأحرش : كتاب الإيمان ، باب : افتراق هذه الأمة ، الحديث ٢٧٧٨ .
٢٧٧٩ : ٢٩٧/٧ - ٤٠٠ . وابن ماجه ، كتاب القتن ، باب : افتراق الأمم ، الأحاديث ٣٩٩١ - ٣٩٩٣ : ١٣٢١/٢ - ١٣٢٢ . وسنة الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٢٢/٢ . وعن أنس بن مالك : ١٢٠/٢ : ٤٤٥ .
(٢) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .
(٣) سورة النحل : آية : ٣٦ .
(٤) انظر تفسير الآية ١٦١ من سورة الأنعام : ٣٧٦/٣ .

(رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعم المقيم ، (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله : (ذلك لأن عيسى ربه) ، أي : هذا الجزاء حاصل لمن عصى الله واتقاه حتى تقواه ، وعبدته كأنه يراه ، فوعلم أنه إن لم يره فاته يراه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا أبو ميمون ، عن أبي وهب (١) - مولى أبي هريرة - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ألا أخبركم بشر البرية ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله : قال : « رجل أخذ بطن فرسه في سبيل الله ، كلما كانت حية (٢) استوى عليه : ألا أخبركم بشر البرية (٣) . قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « رجل قى ثلثه من غنمه ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة . ألا أخبركم بشر البرية ؟ » قالوا : بلى . قال : « الذي يسأل بالله ، ولا يطعن به (٤) » .

آخر تفسير سورة (لم يكن)

(١) في المتن : « ابن وهب » . والموافق ما هنا . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٥١/٢ - ٤٥٢ .

(٢) الهبة : الصوت الذي تفرغ منه وتخلقه من طهر .

(٣) في المتن : « ألا أخبركم بالذي يابيه » .

(٤) سنة الإنعام أسد : ٣٩٦/٢ . وفي « الذي يسأل ... » : الذي يجوع بين القبحين ، أحدهما السؤال بالله ، والثاني عدم الإصالة إن يسأل به فقال : « في رأيي حكمة اسمك تلك في الوقتين جميعاً » .

تفسير سورة إذا زلزلت وهي مكية

قال الإمام (١) أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياض بن عباس ، عن جيسى بن هلال الصنعلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أتى رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أقرئني يا رسول الله . قال له : « اقرأ ثلاثاً من خات آلر » . فقال له الرجل : كبر سني وامسك (٢) قلبي ، وغكط لساني . قال : « فأقرأ من خات حم » . فقال ، مثل مقالته الأولى ، فقال : « اقرأ ثلاثاً من السجحت » : فقال مثل مقالته ، فقال الرجل : ولكن أقرئني - يا رسول الله - سورة جامعة . فأقرأه : « إذا زلزلت الأرض زلزالاً ، حتى إذا فرغ منها قال الرجل : « واللي بهلك بالحق لا أزيد عليها أبداً » ثم أدبر الرجل فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أطلع الرجل ! أطلع الرجل ! أطلع الرجل ! ثم قال : « حكى به . فجماعه فقال له : « أمرت بيوم الأضحي جماعه الله عبد الله الآمة » : فقال له الرجل : رأيت إن لم أجد إلا مسجحة أبي (٣) فأضحي بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شرك ، وتعلم ألقارك ، وتقص شريك ، وتحقق ضاقتك ، فلذلك نأمر أضحيك عند الله عز وجل (٤) » .

وأخرجه أبو حنود والشافعي ، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ ، به (٥) .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الحرشي (٦) البصري : حدثنا الحسن بن سلم (٧) بن صالح الجملي : حدثنا ثابت البجلي ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قرأ (إذا زلزلت) عدلت له بنصف القرآن » . وفي قال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن (٨) بن سكم » .

(١) وقع في المخطوطة والطيحات السابقة قبل هذا : « قال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الجوني البصري : حدثنا الحسن ابن مسلم الجملي ، حدثنا ثابت » . وبهذه : « قال الإمام أحمد ... » . وهذا الست سابق في الحديث الثاني الذي يرويه ابن كثير من الترمذي . ولله - أهني ابن كثير - عن له به أن ذكر هذا القدر من الست أن يوفق حديث الإمام أحمد أولاً ، ثم بها عن هذا القدر ، والله أعلم .

(٢) كلما في المخطوطة ، ومطه في متن أبي داود . ومنه استند هنا : استفهام حلة لا يتلقى منها أن يقرأ هذه السور .

(٣) في المخطوطة والست : « مسجحة أبي » . والحديث عن الثاني وست أبي داود . والطيحات السابقة من هذا النص . وأصل المتن : « ما يعطيه الرجل غيره ليعرب إليها ثم يردح عليه » . ثم يقع على كل شاة ، لأن من شأنها أن يفتح بها . وهو المراد هنا . وإما منه لأنه لم يكن منه غيرها ينتفع به . ويحصل أن المراد هنا ما أصابها غيره ليعرب لائق . ومنه لأنه ملك للغير .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٦٩/٢ .

(٥) انظر سنن أبي داود ، تفريع أبواب شهر رمضان : باب « تحزيب القرآن » . ولول كتاب الأمان . والشافعي ، كتاب القساعيا : باب « من لم يجد الاضحية » : ٢١٢/٧ - ٢١٣ .

(٦) في المخطوطة : « الجوني » . والحديث عن المتن في نسخة الأحرفي : ١٤٨ . ووقع في نسخة الأحرفي : « الجرفي » .

(٧) في المخطوطة : « مسلم » . والحديث عن نسخة الأحرفي : « والكلاسة » .

(٨) نسخة الأحرفي : « أبواب فضائل القرآن » ، باب « ما جاء في (إذا زلزلت) » ، الحديث ٣٠٥٧ - ٢٠٢/٨ - ٢٠٤ .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي (١) عن الحسن بن سلم (٢)، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل هو الله أحد) تَعَدَّلُ ثَلَاثَ الْقِرَاءَانِ، وَ (إِذَا زُلْزِلَتْ) تَعَدَّلُ رُبْعَ الْقِرَاءَانِ. هذا لفظه.

وقال القرطبي أيضاً: حدثنا علي بن حجر، حدثنا يزيد بن هارون،، حدثنا يَمَّانُ بن المغيرة البصري، حدثنا صلاه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إِذَا زُلْزِلَتْ) تَعَدَّلُ نِصْفَ الْقِرَاءَانِ: (وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تَعَدَّلُ ثَلَاثَ الْقِرَاءَانِ، وَ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) تَعَدَّلُ رُبْعَ الْقِرَاءَانِ. ثُمَّ قَالَ: وَ غَرِيبٌ، لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَلَّيْتُ يَمَّانَ بَيْنَ الْغَبَرَةِ (٣).

وَقَالَ أَيْضاً حَدَّثَنَا حُفَيْبٌ بِن مَكْرَمٍ السَّمَنِيُّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي قَتْلَبَةَ، أَخْبَرَنِي سَلَمَةُ بِن وَرْدَانَ، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «هَلْ تَرَوْنِي بِأَيِّ لُغَةٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ، وَلَا حُنْدِي مَا أَتُوجِّعُ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) قَالَ؟» بَلَى. قَالَ: «وَلَا ثَلَاثَ الْقِرَاءَانِ؟» قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ؟) قَالَ: بَلَى. قَالَ: «وَرُبْعَ الْقِرَاءَانِ؟» قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ؟) قَالَ: بَلَى. قَالَ: «وَرُبْعَ الْقِرَاءَانِ؟» قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ؟)» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «وَبُيْعَ الْقِرَاءَانِ وَتَرَوُّجٍ» [تَرَوُّجٌ] (٤) ثُمَّ قَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» (٥).

فَرَدَّ بَيْنَ ثَلَاثِيهِنَّ الْقُرْآنِي، لَمْ يَرَوْهُنَّ غَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ.

تفسير قوله تعالى

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأُتْرِجَتِ الْأَرْضُ أَتْرَاجًا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَاذَا ۖ يَوْمَئِذٍ
تُخْبِتُ أَنْجَبَارَهَا ۖ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ مَا ۖ يَوْمَئِذٍ يَصْنَعُ النَّاسَ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)، أَيْ: تَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا؛ (وَأُتْرِجَتِ الْأَرْضُ أَتْرَاجًا)، بِمَعْنَى: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ اللَّوْثِ (٦). قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: وَهَلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (يَأَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (٧): وَكَقَوْلِهِ: (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) (٨).

(١) فِي الْخَطِّ الْمَوْجُودِ فِي الْمَشْأَلَةِ الْقَدِيمَةِ ١٤٨. وَوَجَّعَ فِي تَحْفَةِ الْأَوْحُسِ الْإِبْرَاهِيمِي.

(٢) فِي الْخَطِّ الْمَوْجُودِ فِي الْمَشْأَلَةِ الْقَدِيمَةِ ١٤٨. وَوَجَّعَ فِي تَحْفَةِ الْأَوْحُسِ الْإِبْرَاهِيمِي.

(٣) تَحْفَةُ الْأَوْحُسِ، أَبْوَابُ فَصَالِ الْقِرَاءَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْإِنْعِلَاصِ، وَفِي سُورَةِ (إِذَا زُلْزِلَتْ) الْحَدِيثُ

٢٠٥٩ - ٢٠٥٨ - ٢٠٥٩.

(٤) مَا بَيْنَ الْقُرْآنِ مِنَ الْقُرْآنِ.

(٥) تَحْفَةُ الْأَوْحُسِ، أَبْوَابُ فَصَالِ الْقِرَاءَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي (إِذَا زُلْزِلَتْ) الْحَدِيثُ ٢٠٥٨ - ٢٠٥٩.

(٦) انظر تفسير البكري: ١٧١/٢٠ - ١٧٢.

(٧) سُورَةُ الْحَجِّ: آيَةُ ١.

(٨) سُورَةُ الْاِنْفِصَالِ: آيَةُ ٤ - ٣.

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن فضال ، عن أبيه ، عن أبي حنبل عن أبي هريرة قال : قال الرسول - صلى الله عليه وسلم : تنقش (١) الأرض أنلاد (٢) كبدا أمثال الأسطوان (٣) من اللعب والقشة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلكت . ويحيى القاطع فيقول : في هذا قتلعت رحى . ويحيى الملوقة فيقول : في هذا قتلعت يدي ، ثم يدعونته فلا يخلعون منه شيئا (٤) .

وقوله : (وقال الإنسان : ما ذا ؟) أي : استكر أمرها بعد ما كانت قارة مائة ثابته ، وهو مستقر على ظهرها ، أي : اقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من التزلزال الذي لا مسدد لها . ثم ألفت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين ، وحيت استكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، ويرزوا لله الواحد القهار .

وقوله : (يومئذ تحدث أخبارها) أي : تحدث عما عمل العاملون على ظهرها .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك - وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النخعي ، واللفظ له : حدثنا مسدد بن نصر ، أخبرنا عبد الله - هرايين للمبارك - عن سعيد بن أبي أيوب ، عن يحيى بن أبي سليمان ، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (يومئذ تحدث أخبارها) ، قال : و أنترون ما أخبارها ؟ : قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : و فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا . فله أخبارها .

ثم قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح غريب (٥) .

وفي مصنف الطبراني من حديث ابن أبي عمير : حدثني الحلو بن يزيد - سمع ربيعة الجعفي (٦) - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : و تحفظوا من الأرض ، فإنها لكم ، وإنه ليس من أحد حامل عليها غير أوليها ، إلا وهي محتبرة ، وقوله (بأن ربك أوحى لها) - قال البخاري : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها (٧) . وكلما قال ابن عباس : (أوحى لها) ، أي : أوحى إليها (٨) .

والظاهر أن هذا مضمّن أن الله لها .

(١) في الخطوط : « تأتى الأرض » . والمثبت من مسلم .

(٢) أنلاد : جميع ظلة - بكسر القاء - وهي : قطعة من الكتبة مقطوعة طولاً .

(٣) الأسطوان : واحدة أسطوانة ، وهي : شايبة والسود ، وشبهه بالأسطوان لظفه وكثره .

(٤) مسلم : كتاب الزكاة ، باب : والعريب في الصلوة قبل أن لا يوجد من قبلها : ٨٤/٣ - ٨٥ .

(٥) نسخة الأخرى : أبواب صفة القبلة ، الحديث ٢٥٤٦ : ١١٦/٧ . وتفسير سورة (إذا زلزلت) : الحديث

٣٤١١ : ٢٨٥/٩ - ٢٨٦ . ومسنّد الإمام أحمد : ٣٧٤/٢ .

(٦) في الخطوط : « الحنفي » . والمثبت عن أبيه الثانية : ترجمة ربيعة بن قتادة : ٢١٥/٧ - ٢١٥/٨ .

والبرج والتبديل لابن أبي حاتم : ٤٧٢/٢ - ٤٧٣ .

(٧) البخاري : تفسير سورة (إذا زلزلت) : ٢١٧/٦ .

(٨) تفسير الطبري : ١٧٢/٣٠ .

وقال شبيب بن بشر ، من عكرمة ، عن ابن عباس : (يومئذ يحدث اخبارها) ، قال : قال لما رجا : قولي ، فقالت .

وقال جهمد : (أوحى لما) أي : أمرها : وقال القرظي : أمرها أن تتشق عنهم .

وقوله : (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) ، أي : يرجعون عن موقف الحساب ، (أشتاتاً) ، أي : أتراماً وأصنافاً ، ما بين شتى وصعيد ، مأمور به إلى الجنة ، ومأمور به إلى النار .

قال ابن جرير : يتصلحون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما حل بهم .

وقال السدي : (أشتاتاً) : فرقا .

وقوله تعالى : (ليروا أعمالهم) ، أي : ليصلوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا ، من خير وشر ، ولعلنا قال : (لمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

قال البخاري : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني مالك عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (التحيل ثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل سر ، وحل رجل وزر ، فاما الذي له أجر ، فرجل رتبها في سبيل الله فأبطل طبيعتها (١) في مرج أو روضة ، فإصابته في طبيعتها ذلك في المرج والروضة كان له حسنة ، ولو أنها قلمت طبيعتها فاستتترت شركاً أو شرفين (٢) ، كانت آثارها وألوانها حسنة له ، ولو أنها مرت بهتت ففريت منه ولم يرد أن يستقى به كان ذلك حسنة له ، وهي لذلك الرجل أجر : ورجل رطبها فتعتيا (٣) ونفعا ، ولم ينس حق الله في وقها ولا ظهورها ، فهي له سر . ورجل رطبها فخرأ ورتاه ولواه (٤) ، فهي حل ذلك وزر ، فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الحُسْر ، فقال : (ما أنزل الله فيها شيئاً إلا حله الآية إفاذه الجامعة : (لمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٥) .

ورواه مسلم ، من حديث زيد بن أسلم ، به (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جسرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صهصمة بن معاوية - م - ثم القزقي - : أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه : (لمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ، قال : حسبي ! لا أعلم أن لا أسبح فيها (٧) .

(١) في البخاري : (فلبال لها . والتحيل - بكسر قحط - الحيل اللويل يشد أحده طرفه في ردة أو غيره ، والبرك الآخر في يد القرس ليدور فيه ويرجى ولا يذهب لوجه .

(٢) استن القرس : حاد - لمرجه ونشأه - شوطاً أو شولين ولا راكب عليه . والشرف : الشوط .

(٣) أي : استتداهها عن الطلب من الناس .

(٤) أي : معاداة .

(٥) البخاري ، تفسير سورة (إننا نؤت الأراض زلزالاً) : ٢١٧/٦ م .

(٦) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة : ٧١/٣ - ٧٣ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٥٩/٥ .

وهكذا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْمُسْنَدِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤَدِّبِ (١) ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ، عَنْ
الْمُسْنَدِ الْبَصْرِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا صَعْصَعَةُ عَنْ الزُّرَّادِيِّ : : : فَلَا كَرَاهٍ .

وفي صحيح البخاري، عن عبد الله بن مرفوعاً : «أشوا النار ولو بشق تمرة» ، ولو [بكلمة طيبة (٢)] ، وفي الصحيح
لا تحرقن من المعروف شيئاً ولو أن تغرق من دلوك في إثناء المسقى ، ولو أن تقي أشباك وجهك إليه منهبط (٣) ،
وفي الصحيح أيضاً : «ياساءة للؤمات ، لا تحرقن جارة لجارتها ولو فرستن شاة (٤) » ، حتى ظنن أنها - وفي الحديث
الآخر : «ردوا السائل ولو بظلف سمري» (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا كثير بن زيد ، عن الطالب (٦) بن عبد الله ، عن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قال : « يا عائشة استري من الثور ولو بقتن حمرة ، فإنها تعد من الجائع مسددا من السماء » . ثم رده أحمد (٧) ،

وروى عن عائشة أنها تصدقت بعبئة ، وقالت : كم فيها من مقال ذرة (أ) ،

وقال أحمد : حدثنا أبو حاتم ، حدثنا سفيان بن مسلم ، سمعت حاتم بن عبد الله بن ثوبان ، حدثني حاتم بن الحارث .
ابن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : « يا عائشة ، إياك وعقرات اللوب ،
فإن لها من الله طالبا » (٩) .

ورواه الترمذی وابن ماجہ ، من حدیث سعید بن مسهر بن بکثک ، (۱۰)؛

- (١) في المخطوطة : « إبراهيم بن محمد بن يوسف » . والمختص من كتب الرجال : انظر النجاشي : ١٨٥/١ .
 (٢) البخاري : كتاب التوحيد : ١٨١/٩ . وما بين القوسين منه : ومكانه في المخطوطة : ياض . وانظر البستاني أيضا :
 كتاب الزكاة : باب « انظر النار وار بقى ثمرة ... » : ١٣٦/٢ . وكتاب الأدب : باب « طلب الكلام » : ١٤/٨ .
 وكتاب الفرق : باب « صفة لجنة القدر » : ١٤٤/٨ .
 (٣) انظر سنن أبي داود : كتاب الباس : باب « وما جاء في إسبال الإزار » . ومسنن الإمام أحمد من أبي تيمية الحميري :
 ٤٨٢/٢ - ٤٨٣/٥ : ٦٤ .
 (٤) البخاري : أول كتاب الحجة : ٢٠١/٣ . وكتاب الأدب : باب « ولا تحزن جارة جارحها » : ١٢/٨ - ١٣ .
 ومسلم : كتاب الزكاة : باب « ما حل من الصدقة ولو بالقتيل » . ولا تتج من القليل لاحتار » : ٩٢/٣ . هذا وانظر « أملاك
 السجل » : ٦٩ - ٧٠ . بصرفتنا .
 (٥) مسند الإمام أحمد : ٣٨١/٥ . وانظر سنن أبي داود : كتاب الزكاة : باب « حق السائل » . ونجفة الأحوص :
 أبواب الزكاة : باب « وما جاء من حق السائل » . الحديث : ٦٦٠ - ٣٢٢/٣ - ٣٢٣ . وكتاب الزكاة : باب « تغدير
 المسكين » : ٨٦/٥ . و« باب ورد المال » : ٨١/٥ .
 (٦) في المخطوطة : « وعد للطلب » . والمختص من المسند : « وإلجرح وتفصيل لابن أبي سلمة » : ٣٥٩/١٤ . وقال ابن أبي
 حاتم : « وروى عن عائشة مرسل » .
 (٧) مسند الإمام أحمد : ٧٩/٦ .
 (٨) أخرجه مالك في الموطأ : انظر كتاب الصدقة : باب « والتقريب في الصدقة » : الأثر ٦ : ٩٩٧/٢ .
 (٩) مسند الإمام أحمد : ١٠١/٦ .
 (١٠) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب « وذكر القلوب » : الحديث ٤٢٤٣ : ١٤١٧/٢ .

وقال : ابن جرير ؟ حدثني أبو الخطاب الحسافي ، حدثنا الحسين بن الربيع ، حدثنا سبال بن عطية ، عن أبيوب ، عن ابن أبي قلابة ، عن أنس قال : كان أبو بكر يأكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فزلت هذه الآية : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله ، إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : يا أبا بكر ، ما رأيت في الدنيا مما تكره فيمثقل ذر الشر ويخسر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفقه يوم القيامة (١) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه أبي الخطاب ، به : ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب قال : في كتاب أبي قلابة ، عن أبي إدريس : أن أبا بكر كان يأكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره (١) .

ورواه أيضاً عن يقوب ، عن ابن علية ، عن أبيوب ، عن قلابة : أن أبا بكر : وذكره . طريق أخرى ، قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني حيي (٢) بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : (إذا زلزلت الأرض زلزالاً) ، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قاعد ، فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما يبكيك يا أبا بكر ؟ قال : يبكي هذه السورة . فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لو أنكم تحضرون وتلبثون ، فيضر الله لكم ، لخلق الله أمة غطون ويلبثون فيضر لهم (٣) .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زهرة وعلي بن عبد الرحمن بن [محمد بن (٤)] المغيرة - المعروف بـعلاء المصري - قالوا : حدثنا عمرو بن خالد الحارثي ، حدثنا ابن لهيعة ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قلت : يا رسول الله ، إني لراه حلي ؟ قال : نعم . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : نعم . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : نعم . قلت : والكل أمي ؟ قال : أبشر يا سعيد ، فإن الحسنه بمشر أمثلها - يعني إلى سماء ضيف - ويضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يضر الله ، ولن ينجز أحد منكم بعمله . قلت : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتخلف الله منه برحمة . قال أبو زهرة : لم يرو هذا خبر ابن لهيعة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زهرة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ، وذلك لما نزلت هذه الآية : (ويعلمون العظام على حبه مسكيتاً وجياً وسيراً) كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أحضره ، فجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه ثمرة والكسرة والجزوة ونحو ذلك ،

(١) تفسير الطبري : ١٧٢/٣٠ - ١٧٤

(٢) في تفسير الطبري : يحيى بن عبد الله . والصواب ما هنا ، انظر كتب الرجال .

(٣) تفسير الطبري : ١٧٥/٣٠ .

(٤) ما بين القوسين من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٩٥/١٤٢ .

في دعوته ويقولون: ما هذا بشي ؟ انما نؤجّر على ما نعطى ونحن نحن . وكان آخرون يبرّون أنفسهم لا يلبثون على اللبّ البسر : الكذب والتفتر والتقية وانشاء ذلك ، يقولون : انما وعد الله النار على الكفار . فريضهم في القليل من البسر ان يعملوه ، فانه يوشك ان يكثر ، وحلهم البسر من الشر ، فانه يوشك ان يكثر ، فزلت : (فن يعمل مقال ذرة) ، يعني : وزن أصغر الخلل (خيراً يره) يعني في كتابه ، ويسرّه ذلك . قال : يكتب لكل ير وقاير بكل سبعة سبعة واحدة ، وبكل حسنة عشر حسنت ، فاذا كان يوم القيامة شافع الله حسنت المؤمنين أيضاً ، بكل واحدة عشر ، وعمره بكل حسنة عشر ميئات ، فمن زادت حسنته على سيئته مقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن دلوذ ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عدي بن ، عن أبي عياض ، عن عبد الله بن مسعود : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إياكم وعقرات الذنوب ، فأنن يجتمعن على الرجل حتى يهلكه » . وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب لمن مثلاً ، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صبيح (١) القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا موائد ، وأجبروا نار ، وانفسحوا ما قلخوا فيها (٢)

[آخر تفسير سورة اذا زلزلت]

(١) صليح القوم : صلتهم ، مثل : صليح .

(٢) مسد الإمام أحمد : ٤٠٢/١ - ٤٠٣ .

تفسير سورة العاديات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ
بِهِ جَنًّا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧
• أَفَلَا يَعْلَمُ إِنْ تَابَعَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحِصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

يقسم تعالى بالليل إذا أجزيت في سبيله فتمتت وضجت ، وهو : الصوت الذي يسمع من القوس حين تلهو
(فالموريات قدحاً) ، يعني : اصطكاكك لعلك للمصر فتلحق منه النار :

(والمغيرات صبحاً) ، يعني الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — يغير صبحاً ويصنع
أذاً فإن سمع والا أثار .

(فأثرن به جناً) ، يعني : أثاراً في معترك الحيلوك ،

(فوسطن به جماً) ، أي : توسطن ذلك المكان كلهن جميعاً :

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حيدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : (والعاديات
ضبحاً) ، قال : الإبل .

وقال علي : هي الإبل : وقال ابن عباس : هي الليل : فبلغ علي قول ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم
يذر : قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بشت .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير : حدثنا يونس : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية العجل ، عن
سعيد بن جبهر ، عن ابن عباس حدثه قال : بينا أنا في الحجرج جالساً ، جاءني رجل فسألني عن : (العاديات ضبحاً) ،
قلت له : الليل حين تغرب في سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويوردون نازحهم : فأنفلت على طلحهم
إلى علي — ورضي الله عنه — وهو عند سقاية زمزم ، فسأله عن : (العاديات ضبحاً) ، قال : سألت عنها أحد قبلي ؟
قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الليل حين تغرب في سبيل الله : قال : انذهب فادعني في : فلما وقف على رأسه قال : هي
الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام يذر ، وما كان معنا إلا قريشان : فرس قزير وفرس
المنقذ ، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحها من حركة إلى للرددة ، ومن للرددة إلى مني .

قال ابن عباس : فترجت عن قرى ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه (١) .
وهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال علي : إنما (الصاديات صبيحا) من حرة إلى اللزدقة ، فإذا أودا إلى اللزدقة
أودوا التيران (٢) .

وقال المؤلف : من ابن عباس : هي الخليل .

وقد قال بقول علي : إنها الإبل ، جهامة منهم : إبراهيم ، وصيد بن عمرو يقول ابن عباس آخرون ، منهم :
مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وقناة ، والضحك : وانتظاره ابن جرير .

قال ابن عباس ، وعطاء : ما ضبعت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جرير ، عن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الفصح : أح (١) .

وقال أكثر هؤلاء في قوله : (اللواريات قدحا) ، يني : بحرهما . وقيل : أسمرت الحرب بين ركبائين : ذلك
قناة (١) .

وعن ابن عباس ومجاهد : (اللواريات قدحا) ، يني : مكر الرجال .

وقيل : هو إيقاد النار إذا رجوا إلى منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك : تيران القبائل .

وقال من فسرها بالخليل : هو إيقاد النار باللزدقة ،

قال ابن جرير : والصبوب الأول : أنها الخليل حين تنحج بحرهما .

وقوله : (الغفيرات صبيحا) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقناة : يني : إغارة الخليل صبيحا في صليل الله ،

وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبيحا من اللزدقة إلى متى .

وقالوا كلهم في قوله : (فأثرت به نقما) هو : للكان الذي [إنما] (٣) حلت فيه أثرت به الغبار إما في حجج أو خرو .

وقوله : (فوسطن به جمعا) ، قال المؤلف ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ، وقناة ، والضحك : يني

جميع الكثر من العدو .

ويحصل أن يكون : فوسطن بذلك للكان جميعهم ، ويكون (جمعا) منصوبا على الحال للوكدة ،

وقد روى أبو بكر البزار حديثا قال : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا حفص بن غصن ، حدثنا مينا ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيلا فاشهرت (٤) شهر لا يأتيه منها خبر ، فزلت

(والصاديات صبيحا) ، ضبعت بأرجلها ، (اللواريات قدحا) ، لحقت بحرهما الحجابة فأوتت نارا ، (الغفيرات

(١) تفسير الطبري : ١٧٦/٢٠ - ١٧٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧٧/٢٠ .

(٣) زدنا ما بين القوسين ليستقيم السياق .

(٤) أي : أن عليها شهر .

صبيحاً : صبحت القوم بقرّة ، (فائز به تقياً) ، أثرت بحرفها التراب ، (فوسطن به جمعاً) ، قال : صبحت القوم جميعاً .

وقوله : (إن الإنسان لربه لكون) ، هذا هو القسم عليه ، يعني أنه لئلا يوجد لوجود كنوز .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النخعي ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الفسي ، وسعيد بن جبيرة ، ومحمد بن قيس ، والفساحك ، واللسن ، وقادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد ، الكنود : الكنور - قال الحسن : هو الذي الذي يهد المصائب ، وينسى نعم ربه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الإنسان لربه لكون) ، قال : الكنور الذي يأكل وحله ، ويضرب عبده ، ويمنع وقته (١) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن طريق جعفر بن الزبير - وهو مروي - فهذا إسناده ضعيف . وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن حنبل ، عن أبي أمامة موقوفاً (١) .

وقوله : (وإنه على ذلك لشهيد) ، قال قتادة وسفيان الثوري ، وإن الله على ذلك لشهيد ،

وعجل أن يعود الضمير على الإنسان ، قاله محمد بن كعب القرظي . فيكون تقديره : وإن الإنسان على كونه كئوداً . لشهيد ، أي : بلسان حاله . أي : ظهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله ، كما قال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر (٢)) .

وقوله : (وإنه لحب الخير لشديد) ، أي : وإنه لحب الخير - وهو : المال - لشديد ، وفيه ملهتان : أحدهما : أن للفني ، وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني : وإنه لمحبس بخيل ، من عبه للمال : وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مؤثراً في الدنيا ، ومترجماً في الآخرة ، ومنها على ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأحوال : (ألا يعلم إذا يدنو ما في القيور ؟) أي : أخرج ما فيها من الأموات ، (وحصل ما في الصدور) - قال ابن عباس وغيره : يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسيرون في نفوسهم ، (إن بهم يومئذ خير) ، أي : لئلا يجمع ما كانوا يمتنون ويمسكون ، ويحجزون عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مقال ذرة .

آخر سورة (والمائدات) والله العليم

(١) أخرجه الترمذي عن أبي كريب : ١٨٠/٢٥٠ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٧ .

تفسير سورة القارعة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَذْرَكَ مَا لَيْعُهُ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١

(القارعة) : من أسماء يوم القيامة ، كالخلة والطامة والساعة والنشأة ، وغير ذلك .

ثم قال عظما أمرها ومهولا لثابتها : (وما أذرك ما القارعة) ، ثم فسره ذلك بقوله : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) ، أي : في انتشارهم وتفرقهم ، وذعابهم وجيعهم ، من حيرتهم عما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث ، كما قال في الآية الأخرى : (كأنهم جراد منتشر (١)) :

وقوله : (وتكون الجبال كالهن للنفوش) ، يعني : قد صارت كأنها الصوف للنفوش ، التي قد شترع في الهاب والتمزق :

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقادة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، والسدي : (الهمن) : الصوف :

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : (فلما من ثقلت موازينه) ، أي : رجحت حسنته على سيئته ، (فهو في عيشة راضية) ، يعني : في الجنة . (ولما من خفت موازينه) ، أي : رجحت سيئته على حسنته .

وقوله : (فأمه هاوية) ، قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأمر رأسه في نار جهنم ، وعبر عنه بأنه — يعني مداهم — روى نحو هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي صالح ، وقادة ، قال : قادة : يهوى في النار على رأسه ، وكلما قال أبو صالح : يهويون في النار على رؤوسهم ..

وقيل : معناه : (فأمه) التي يرجع إليها ، ويصير في المهاد إليها (هاوية) ، وهي اسم من أسماء النار .

قال ابن جرير : وإنما قيل : لهاوية أمه ، لأنه لا مأوى له غيرها (٢) ،

(١) سورة القمر ، آية ٧٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٨٤/٢٠ .

وقال ابن زيد : للهاوية : النار ، هي له وماؤه التي يرجع إليها ويلقى إليها ، وقرأ : (وماؤه النار)
قال ابن أبي حاتم : وروى عن [قتادة] أنه قال : هي النار ، وهي ماوئعهم . ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية : (وما
أدرئك ماهية) نار حامية .

قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله الأحمي قال : إذا مات
المؤمن ذهب يروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : وَحُوا أَخَاكُمْ فإنه كان في عَمِّ الدنيا . قال : ويسألونه : ما فعل
فلان ؟ فيقول مات ، أو ما جاهدكم ؟ فيقولون : ذهب به إلى أمه للهاوية (١) .

وقد رواه ابن مسعود بن طريق أنس بن مالك مرفوعاً ، بأبسط من هذا : وقد أوردناه في كتاب صفة النار ، أجابنا
الله منها بكنهه وكرمه :

وقوله : (نار حامية) ، أي : حارة شديدة الحرق ، قوية الالتهيب والسير .

قال أبو مصعب ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال : النار بنى آدم التي توثقون جزء من سبعين جزء من نار جهنم . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ؟ قال :
إنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً .

ورواه البخاري ، عن إسماعيل بن أبي لويس ، عن مالك : ورواه مسلم عن قُتَيْبَةَ ، عن المغيرة بن عبد الرحمن ،
عن أبي الزناد به : وفي بعض ألفاظه : (إنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حَرِّهَا) (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن محمد بن زياد - صحح أبو هريرة
يقول - : سمعت أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم - يقول : النار بنى آدم التي توثقون ، جزء من سبعين جزءاً من نار
جهنم . قال رجل : إن كانت لكافية ؟ قال : لقد فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً حَرّاً فُضِّراً (٣) .

نفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
وسلم - وهو مروى عن يحيى بن جهم - : إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ،
ولولا ذلك ما جيل الله فيها مضغة لأحد (٤) .

وهذا على شرط النسبة ، ولم يخرجوه من هذا الوجه : وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق (٥) .

(١) التفسير للطبري : ١٨٢/٣٠ .

(٢) البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة : ١٤٧/٤ . وسلم : كتاب الجنة ، باب : وفي سنة

مر نار جهنم : ١٤٩/٨ : ١٥٠ .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٤١٧/٢ .

(٤) سنة الإمام أحمد : ٢٤٤/٢ .

(٥) كذا ، ويذهب يباس في المخطوطة . ولم يتبع لنا هذا الحديث في صحيح مسلم .

ورواه الزيلو من حديث عبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري : « تارك هذه جزء من سبعين جزءاً »

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز - هو ابن محمد البزاروي - عن سهيل بن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « هذه النار جزء ، من مائة جزء من جهنم » (١) .

نورد به أيضاً من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضاً .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو السلكاني ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا معمر بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عتبة بن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أتأثرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لمي أشد سواداً من دخان ناركم هذه سبعين ضعة » .

وقد رواه أبو مصعب ، عن مالك . . . ولم يرفعه ، وروى الترمذي وابن ماجه ، عن عباس الدوري ، عن عيسى ابن أبي بكير ، حدثنا شريك ، عن حاتم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أوقد على النار ألف سنة حتى احسرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت » ، ففي سنده مظنة (٢) .

وقد روى هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب :

وجاء في الحديث - عند الإمام أحمد - من طريق أبي عثمان الأشجعي ، عن أنس - وأبي نضرة العيشي - عن أبي سمية وحصان بن مولى الشمعل ، عن أبي هريرة - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن أحر من أهل النار طلياً من له نملان يمل منهما دماحه » (٣) .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بشي بشياً فأذن لها بتشكسين » نفس في الشدة ، ونفس في الصيف . فأشد ما يجدون في الشتاء من بردها ، وأشد ما يجدون في الصيف من حرها (٤) .

وفي الصحيحين : « إذا اشتد لحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فحش جهنم » (٥) .

آخر تفسير سورة القارة

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٧٩/٢ .

(٢) نسخة الأحرسي ، أبواب صفه جهنم ، الحديث ٢٧١٧ - ٢١٦٧ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « صفه النار » ، الحديث ٤٣٢٠ - ١٢٤٥/٢ .

(٣) حديث أبي سفيان في المسند : ١٢/٣ ، ٧٨ . وحديث أبي هريرة فيه أيضاً : ٤٣٢/٢ ، ٤٢٩ .

(٤) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « صفه النار وأنها مخلوقة » : ١٤٦/٤ .

(٥) البخاري في الكتاب والباب المقتدم : ١٤٦/٤ ، وسلم ، كتاب المساجد ، باب « استحباب الإبراد بالليل » : ١٠٧/٢ .

تفسير سورة التكاثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْهٰكُمُ التَّكْوِيْنُ ۝ حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُوْنَ ۝
عِلْمَ الْيَقِيْنِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّا عِيْنَ الْيَقِيْنِ ۝ ثُمَّ لَتَسْفُلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيْمَ ۝

يقول تعالى : شغلكم حب الدنيا ولصمها وزهرتها من طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادي بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزدتم المقابر ، وصرتم من أهلها ؟ !
قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا زكريا بن يحيى الوكراني المصري ، حدثني خالد (١) بن عبد الدائم ، عن ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الماكم التكاثر) من الطاعة ، (حتى زدتم المقابر) حتى يأبىكم الموت :

وقال الحسن البصري : (الماكم التكاثر) في الأموال والأولاد ،

وفي صحيح البخاري ، في « الرقاق » منه : وقال لنا أبو الوليد : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت : (الماكم التكاثر) ، حتى : « لو كان لابن آدم واد من ذهب (٢) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة : سمعت قتادة يحدث عن معمر بن مهران - يعني ابن عبد الله بن الشخير - عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : (الماكم التكاثر) ، يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مال إلا ما أكلت فأنتيت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأصفيت (٣) ؟ !
ورواه مسلم والترمذي والنسائي ، من طريق شعبة ، به (٤) .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا سفيان بن سعيد ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء ، عن أبيه عن أبي هريرة

(١) كلما ، ولم تقع لنا ترجمة خاله هذا .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « ما يبقى من فنة المال » : ١١٥/٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٤/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ . ونقطة الأخواني ، تفسير سورة (الماكم التكاثر) ، الحديث ٢٤١٢ : ٢٨٦/٩ -

٢٨٦ ، والنسائي ، كتاب الوصايا ، باب « الكراهية في تأخير الوصية » : ٢٢٨/٦ .

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يقول العد : ملأ مائي ؟ وإنا له من ماله ثلاث : ما أكل فاني ، أو ليس فاني ، أو تصدق فاني (١) ، وما سوى ذلك فلهاب وتلاوة للناس » . فترد به مسلم (٢) ،

وقال البخاري : حدثنا الحميد بن حنبل ، حدثنا سليمان ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، سمع أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يتبع لبيت ثلاثة : ف يرجع الثاني ويقيم معه واحد » . فبه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويقيم عمله (٣) .

وكذا روه مسلم والترمذي والنسائي ، من حديث سفيان بن عيينة ، به (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يهرم ابن آدم وثني منه اثنتان : لحرص والأمل (٥) » . أخرجاه في الصحيحين (٦) .

وذكر الحافظ ابن خضاعة ، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى في يد رجل حرماً فقال : لمن هذا الحرم ؟ قال الرجل : لي . فقال إنا هو لك إذا أنقته في أجر أو ابتناه شكر . ثم أنشد الأحنف مثلاً قول الشاعر (٧) :

أنت لعل إذا أسكتته . فذا أنقته قال لك

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة قال : صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة في قوله : (الماك التكاثر) . قال : زلت في قيسين [من قبائل الأنصار ، في بني حارثة وبني الحارث ، فهاجروا وتكاثروا ، فقلت] إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان ، وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، فهاجروا بالأحباء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور . فجمعت إحدى الطائفتين قول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبر - ومثل فلان ؟ وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأقول الله : (الماك التكاثر . حتى زدت المقابر) ، فقد كان لكم لبا وأبتم عبرة وشغل .

وقال قتادة : (الماك التكاثر . حتى زدت المقابر) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ، ونحن أحسن من بني فلان وهم كل يوم يصافطون إلى آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم (٨) .

(١) كذا في المطبوعة . وفي مسلم : « أو أسلى فاني » . وفي قتادة : « ادعوه لآخره » .

(٢) مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ .

(٣) البخاري ، كتاب الرقاق : باب « سكرات الموت » : ١٣٤/٨ .

(٤) مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ - ٢١٢ . ونسخة الأجزاء : أبواب الزهد ، الحديث ٢٤٨٥ و ٢٤٨٦ .

والنسائي ، كتاب الجنائز : باب « التي من سب الأموات » : ٥٣/٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١١٥/٣ .

(٦) البخاري ، كتاب الرقاق : باب « من يبلغ حديثه » : ١١١/٨ . ومسلم ، كتاب الزكاة : باب « كراهة الحرص على الدنيا » : ٩٩/٣ .

(٧) البيت في جيون الأخبار لابن قتيبة ، منسوخاً إلى بعض المفسرين : ١٨١/٣ .

(٨) تفسير القيربي : ١٨٣/٢٠ .

والصحيح أن المراد بقوله : (زُوتَ المقابر) ، أى : صرمت إليها ودُفِنَ فيها ، كما جاء في الصحيح : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على رجل من الأعراب يوده ، فقال : « لا بأس ، طهّور إن شاء الله » . فقال : قلت : طهّور ؟ بل هى حمى تفر ، على شيخ كبير ، تُزيره القبور ! . قال : « فَنَسَمَ إِذَا » (١) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زهرة ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، أخبرنا حكام بن مسلم الرازي ، عن عمرو ابن أبي قيس ، عن الحجاج بن المنهال ، عن زر بن حبيش ، عن علي قال : ما زلنا نشك في حذاب القبر حتى تزكّت : (لما كُتِبَ التكاثر - حتى زُوتَ المقابر) .

ورواه القزويني عن أبي كريب ، عن حكام بن مسلم ، وقال : « غريب » (٢) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سلمة بن داود العرشي ، حدثنا أبو المليلح الرقي ، عن ميمون بن مهران قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز ، قرأ : (أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُوبُ - حتى زُوتَ المقابر) ، طلبت هُتَيْهَةً قال : ياميمون ، ما أرى المقابر إلا زيارة ، وما أقرأ به من أن يرجع إلى منزله :

قال أبو محمد (٣) : يبنى أن يرجع إلى منزله ... إلى جنة أو نار . وهكذا ذُكِرَ أن بعض الأعراب سمع رجلاً يقول هذه الآية (حتى زُوتَ المقابر) ، فقال : بُعِثَ اليوم وَرَبَّ الكعبة . أى : إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره ،

وقوله : (كلا سوف تعلمون - ثم كلا سوف تعلمون) - قال الحسن البصري : هلا وعيد بعد وعيد .

وقال القشيري : (كلا سوف تعلمون) ، يبنى الكفار ، (ثم كلا سوف تعلمون) يبنى : أيها المؤمنون (٤)

وقوله : (كلا لو تعلمون علم اليقين) ، أى : لو علمتم حق العلم أن أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُوبُ من طلب النار الأخرى ، حتى صرتم إلى المقابر :

ثم قال : (لرون الجسم - ثم لرونها عين اليقين) ، هذا تفسير الوحيد للنظم ، وهو قوله : (كلا سوف تعلمون - ثم كلا سوف تعلمون) : تَوَعَّدْتُهُمْ بهذا الخيال ، وهى رؤية النار التي لمّا زُوتَ زفرة خَرَّتْ كل ملك مقرب ، ونبي مرسل على ركبته ، من الهابة العظيمة ومعاينة الأحوال ، على ما جاء به الأثر للروى في ذلك .

وقوله : (ثم لتسطن يومئذ عن النصب) (٥) ، أى : ثم لتسطن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم ، من الصحة والأمن والفرق وغير ذلك : ما إذا قابلكم به نعمه من شكره وعيادته :

(١) البخاري ، كتاب النعيق ، باب « علامات النبوة في الإسلام » : ٢٤٦/٥ . وكتاب المرقى ، باب « عيادة الأعراب » : ١٥٢/٦ . وكتاب التوسيد : ١٦٩/٩ - ١٧٠ . وسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك : ٢٥٠/٣ .

(٢) تحفة الأحرف ، تفسير سورة (أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُوبُ) ، الحديث ٣٤١٣ : ٢٨٨/٩ . وأخرجه الطبري من حديث قيس بن سجاج : ١٨٣/٣٠ .

(٣) أبو محمد : ابن أبي حاتم .

(٤) تفسير الطبري : ١٨٤/٣٠ .

(٥) في المخطوطة : « وغير ذلك » . وثالث من الطبقات السابقة .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز القرشي، حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الخزاز حدثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الظهر، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك بالبن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي أخرجك ما قال: فقد عمر، وأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدثهما، ثم قال: «هل بكما من قوة، تتطلقان إلى هذا النخل فتصيان طعاماً وشرباً وظلاً؟» قلنا: نعم. قال: «مروا بنا إلى منزل ابن السَّيَّهَان أبي الهيثم الأنصاري» قال: فقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أيدينا، فسلم واستأذن - ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من السلام، فلما أراد أن يصرف خرجت أم الهيثم تسمى خلفهم، قالت: يا رسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «خير؟» ثم قال: «أين أبو الهيثم؟ لا لواء». قالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يستعذب^(١) الماء، ادخلوا فانه يأتي الساعة إن شاء الله فبسط - بساطاً تحت شجرة - فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقررت عيناهم، فبعد على حجة فصرم فلم أصلاً، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حسبك يا أبا الهيثم». قال يا رسول الله، أأكون من يسره، ومن وطَّبه، ومن تذكَّوه^(٢). ثم أتاهم بما فُرضوا عليه، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هذا من التيمم الذي تسألون عنه». هذا غريب من هذا الوجه،

وقال ابن جرير: حدثني الحسن^(٣) بن علي الصديقي، حدثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: بينا أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما أجلسكما ههنا؟» لالا: وللي بذلك بلقي ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «وللي بلقي ما أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلهم المرأة، فقال^(٤) لهم: «أين فلان؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء: فجاء صلحهم يحمل قربة فقال [مرحبا] ما زلنا البعاد [شيء] أفضل من شيء زلفه اليوم. فملق قريته بكتب^(٥) نقطة، وانطلق فجاءهم بمذق^(٦) قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ألا كنت أجيت؟» قال: «أجيت أن تكونوا الذين تخافون على أميتكم. ثم أخذ الشفرة، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إلا الله والمحبوب؟» فليح لم يوطئ، فأكلوا. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لنظن من هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من التيمم».

(١) أي: يحضر الماء المذق، وهو قلب الذي لا ملوحة فيه.

(٢) التكاثر: الذي بنا فيه الإطراب من قبل قلبه.

(٣) في تفسير الطبري: «الحسن». والنسواب ما هنا: انظر البحر والفضل لابن أبي حاتم: ١/٢٤٥.

(٤) الكرم: - يتصحن - أصل الصف.

(٥) الملق: - بكسر فسكون - - المريجون بما فيه من التلويح.

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان^(١) ، به ورواه أبو يعلى وابن ماجه ، من حديث الهاربي ، عن يحيى بن حبيب الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بكر الصديق ، به^(٢) . وقد رواه أهل السنن الأربعة ، من حديث عبد الملك بن عمار ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، بنحو من هذا السياق وهذه القصة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مسرج ، حدثنا حشرج ، عن أبي نَصْرَةَ ، عن أبي حبيب - يعني مولى رسول الله - قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلا فمرّني ، فدعاني فخرجت إليه ، ثم مرّ باني بكر فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى أتى^(٣) حاتلًا لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحاتل : « أطلعتنا » . فجاء بعد ذلك فوضعه ، فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، ثم دعا عمار بارد فغرب ، وقال : « لتستثنى من هذا يوم القيامة » . قال : فأخذ عصا العذق فغضب به الأرض ، حتى تناثر اليسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله ، إنا لنتلثون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم ، إلا من ثلاثة : خرقه لف^(٤) » . بها الرجل عوده أو كسرة سدّ بها جرحه ، أو جرح تدخل فيه من الحر والقر » . فردد^(٥) به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا عمار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : أكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر وأطعموا ، وشربوا ماء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (هذا من الصم الذي تستلثون)^(٦) .

ورواه النسائي ، من حديث حماد بن سلمة ، به^(٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن صفوان بن سليم ، عن محمود بن الربيع قال : لما تولت (للكافر) ، قرأ حتى : بلغ : (لتستثنى يومئذ من الصم) ، قالوا : يا رسول الله ، من أي نعم نسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والخمر ، وسيوفنا على رقابنا ، والعدو حاضر ، فمن أي نعم نسأل ؟ قال : « أما إن ذلك سيكون^(٨) » .

وقال أحمد : حدثنا أبو حاتم ، عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عبد الله بن سليمان^(٩) ، حدثنا معاذ بن عبد الله بن حبيب ، عن أبيه ، عن حمه قال : كتبنا في مجلس فطلع علينا النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى رأسه أثر ماء ، فقلنا : يا رسول الله ،

(١) مسلم ، كتاب الأثرية ، باب : يجوز استحبابه فيه إلى دار من يتقرب به ، ويصقته تحقفا تاما . وأصحاب الإجماع الطلم : ١١٦/٦ - ١١٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الفرائض ، باب : ما في من ذبح ذوات الكرم ، الحديث ٣١٨١ : ١٠٦٧/٢ .

(٣) في المسند : « دخل حاتل » . وما في المخطوطة يوافق ما في أسد الغابة : الترجمة ٦٠٩٧/٦ : ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤) في المسند : « كف بها » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٨١/٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٠١/٣ .

(٧) النسائي ، كتاب الوصايا ، باب : قضاء الدين قبل الميراث : ٢٤٦/٦ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٤٢٩/٥ .

(٩) في المسند : « عبد الله بن أبي سليمان » . وما هنا يوافق ما في البحر والتمثيل لابن أبي حاتم : ٧٤/٢/٢ . وابن ماجه .

نوراك طيب النفس ، قال : « أجل » : قال : « ثم غاضى الناس في ذكر النبي ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يأتي بالني من أنبي الله ، والصفة من أنبي الله [غير من النبي ، وطيب النفس من التميم] » .

ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن خالد بن مخلد ، عن عبد الله بن سليمان به (٢) .

وقال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن المبارك ، عن الفضل بن عبد الرحمن بن هرمز الأشعري قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن أول ما يسأل عنه - يعني (٣) يوم القيامة - العبد من التميم أن يقال له : ألم تصبح لك جسمك ، وتزوك من الماء البارء (٤) » .

فرد به الترمذي . ورواه ابن حبان في صحيحه ، من طريق الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن المبارك بن زيتر ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفیان ، عن حماد بن عمرو ، عن يحيى بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير : « لما قلت : (تستن يومئذ عن التميم) ، قالوا : يا رسول الله ، لأنهم نعيم نساءك ، وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال : « إن ذلك سيكون » ، وكلما رواه الترمذي وابن ماجه ، عن حديث سليمان - هو ابن حبة - به ، ورواه أحمد ، وقال الترمذي : حسن (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطبراني ، حدثنا حفص بن عمر المديني ، عن الحكم بن أبان ، عن حكومة قال : « لما أولت هذه الآية : (ثم تستن يومئذ عن التميم) ، قالت الصحابة : يا رسول الله ، وأنت نعيم نبي فيه ، وإنما تأكل في أنصاف بطوننا خبز الشجر ؟ فأوحى الله إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - : قل لم أليس تطونون التناك ، وتشربون الماء البارء ؟ فهلم من التميم » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصماني ، عن ابن أبي ليلى - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - في قوله : (تستن يومئذ عن التميم) ، قال : « الأمن والصفة » .

وقال زيد بن أسلم ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « (ثم تستن يومئذ عن التميم) ، يعني : شبع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المسكن ، واجتماع الحلق ، ولذة النوم . رواه ابن أبي حاتم بإسناده المقتضب ، عنه في أول السورة » .

وقال سعيد بن جبير : حق عن شربة صل : وقال مجاهد : من كل لغة من لسان الدنيا ، وقال الحسن البصري : نعيم الغناء والمشاء ، وقال أبو قلابة : من التميم أكل الفسل والسمن بالخير التقي . وتقول مجاهد هذا أهل هذه الأقوال .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٧٢/٥ ، ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب التيمارات ، باب : الحديث حل المكسب ، الحديث ٢١٤١ ، ٧٢٤/٢ .

(٣) في تحفة الأحوي : « يعني قبل يوم القيامة » .

(٤) تحفة الأحوي ، تفسير سورة (المآكل المتكاثرة) ، الحديث ٣٤١٦ ، ٢٩٠/٩ - ٢٩١ .

(٥) تحفة الأحوي ، تفسير سورة (المآكل المتكاثرة) ، الحديث ٣٤١٤ ، ٢٨٩/٩ وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب :

« سبب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٤١٥٨ ، ١٢٩٢/٢ ، ومسند الإمام أحمد : ١٧٤/١ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ثم فصلت يومئذ من التميم) ، قال : التميم : صعدة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيها استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا) ؟

وثبت في صحيح البخاري ، وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نعمتان مغبون فيهما كثير الناس : الصحة والفراغ (١) »

ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى للروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق ، حدثنا أبو حمزة ، عن أبي ليث ، عن أبي ذرارة ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما فوق الإزار ، وظل الحائط وشجرته » - يحاسب به العبد يوم القيامة ، « أو يسأل عنه (٢) » . ثم قال : لا يعرفه إلا جهل الأستاذ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا جيز وعفان قالا : حدثنا حاد - قال عفان في حديثه : قال إسحاق بن عبد الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يقول الله عز وجل - قال عفان : يوم القيامة - يا ابن آدم ، حملتك على الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وحملتك تربع (٣) وترأس ، فأين شكر ذلك ؟ (٤) » . فترد به من هذا الوجه .

آخر لتفسير سورة « التكاثر »

(١) البخاري ، أول كتاب الرقاق : ١٠٩/٨ . ونقطة الأحرشي : أول أبواب الزهد ، الحديث ٢٤٠٥ - ٢٤٠٦ .
(٢) ٥٨٩/٦ - ٥٩٠ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « الحكمة » ، الحديث ٤١٧٠ : ١٣٩٦/٢ . ومسنند الإمام أحمد : ٢٥٨/١ ، ٣٤٤ .

(٣) أخرجه السيوطي في قدر المشهور عن البزار ، النظر : ٣٩١/٦ .

(٤) انظر تفسير ذلك في : ١٣٦/١ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٩٢/٢ .

تفسير سورة العصر

وهي مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلة للكتاب ، وذلك بعد ما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وقيل أن يسلم عمرو ، فقال له مسيلة : ماذا أتوك على صاحبكم في هذه الليلة ؟ قال : لقد أتوك عليه سورة وجيزة
بليغة . قال : وما هي ؟ قال : (والعصر) إن الإنسان لئى خسر . إلا للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ونواصوا
بالحق ، ونواصوا بالصبر) . ففكر مسيلة فنتبه ثم قال : وقد أتوك على مثلي . فقال له عمرو : وما هو ؟
قال : ياوتير يا قير ، إنما أنت أذننان وصندر ، وصاترك حفز لئى . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو :
والله إنك لسلم لئى أحلم لك بكتاب (١) .

وقد رأيت أبا بكر الصديق أستاذ في كتابه المعروف : معاصى الأخلاق ، في الجزء الثالث منه ، شيئاً من
هذا أو قريباً منه .

والبر : دوية تشبه المر ، أحظم على فيه أذناه ، وصلوه وباليه ديم . فأراد مسيلة أن يركب من هذا
اللفظان ما يطغى به القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان .

وذكر الطبراني من طريق حاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن حبيد الله بن حصن (٢) ، قال : كان الرجلان من
أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفرقا [إلا] على أن يقرأ أحدهما على الآخر : سورة العصر ، إلى آخرها ، ثم يسلم
أحدهما على الآخر .

وقال الشافعي رحمه الله : لو تكرر نفس هذه السورة لو سمعهم .

(١) تقدم هذا الأثر عند تفسير الآية السابعة عشرة من سورة يونس ، وشرحنا فيه هناك . انظر : ١٩٢/٤ .

(٢) كلما في المخطوطة . وفي الطبقات السابقة : « حبيد الله بن حصن » . هذا وقد وقع في المسودة بعد حصن :
« أبي مينة » . وقد أخرج السيوطي الأثر في الفهر المستوفى ٣٩١/٦ - ٣٩٢ وقال : « وأخرج الطبراني في الأوسط ، والبيهقي
في شعب الإيمان عن أبي مليكة النخعي (كلما ، ولله التامر) - وكانت له صبية - ... » وذكر الحديث ، فدل ما في
المخطوطة وهو : « أبي مينة » محرف عن أبي مليكة . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمَعْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ② إِلَّا الْدِّينَ ③ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ ④

المعر : الزمان الذي يقع فيه حركات بين آدم ، من غير وصفه .

وال مالك ، من زيد بن سلم : هو المعنى (١) وللهود الأول .

فأنتم تعالى بذلك على أن الإنسان إلى عصر ، أي : في عبادة وملاك ، (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ،
فاستثنى من جنس الإنسان من أفسران الذين آمنوا [بقولهم وعملوا الصالحات بحولهم] ، (وتوَّاصَوْا بِالْحَقِّ) ،
وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، (وتوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ) على للصائب والأكثر ، وأذى من يؤذى من بأمره
بالمروء وينهونه عن التكر .

(آخر تفسير «سورة المعر» والله العبد والمئة)

(١) في المخطوطة : «هو البشر» . وانظر الآثار في ذلك في تفسير القرطبي : ١٧٩/٢٠ .

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① الَّتِي جَعَلَ مَا لَا وَعَدَدٌ ② يَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ أَخْلَعَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبِتَنَّ فِي الْخُطَمِ ④
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطَمُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ⑦ إِنهَا تَطْبَحُهُمْ مَوْضِعَةً ⑧
فِي عَمِدٍ مُّجَدَّدَةٍ ⑨

الحاز بالقول ، والبالغ بالقل . يعني يزعمى بالناس ويتقص بهم ، وقد قدم بيان ذلك في قوله : (هزل مشاه . ينتم (١)) .

قال ابن عباس : (همزة لمة) : طعان مريب ، وقال الريح بن أنس : الهمزة ، همزة في وجهه ، والهمزة من خطفه . وقال قتادة : همزة ويلمزه بلسانه وعينه ، ويأكل لحوم الناس ، ويطنن عليهم (٢) .

وقال عباد : الهمزة باليد والعين ، والهمزة باللسان : وهكذا قال ابن زيد ، وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : همزة لحوم الناس .

ثم قال بعضهم : المراد بذلك الأخصى بن شريق : وقيل غيره . وقال عباد : هي عامة .
وقوله : (التي جمع ما لا وعدة) ، أي : جمعه بعضه على بعض ، وأحصى عدده كقوله : (وجمع فأوعى (٣))
قوله السلي ، وابن جرير .

وقال محمد بن كعب في قوله . (جمع ما لا وعدة) ، لأنه ما له بالتهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل نائم كأنه حيقة ، وقوله : (يحسب أن الله أخذه) ، أي : يظن أن جمعه لئال يحلده في هذه الدار : (كلا ، أي : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لينبتن في الخطمة) ، (أي : لينبتن هنا التي جمع ما لا وعدة في الخطمة) وهي اسم من أسماء النار صفة ، لأنها تحل من فيها . ولما قال : (وما أدراك ما الخطمة ؟ نار الله الموقدة) التي تطلع على الأكتلة) - قال ثابت البناني : نحرهم إلى الأكتلة وهم أحياء ، ثم يقول : لقد بلغ منهم المطلب ، ثم يكنى .
وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده ، حتى [إذا] بلغت فؤاده حكوه حلقه ترجع على جسده (٤) .
وقوله : (إنها عليهم مؤصلة) ، أي : مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا علي بن سراج ، حدثنا علي بن غرزة ، حدثنا شعيب

(١) سورة القلم ، آية : ١١ .

(٢) تفسير الطبري : ١٨٩/٣٠ .

(٣) سورة الماعج ، آية : ١٨ .

(٤) قال السوطي في قدر المنثور : ٣٩٣/٦ : وأخرج عبد بن حيد وابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب في قوله : (التي تطلع على الأكتلة) ، قال : تأكل كل شيء منه ، حتى تنتهي إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده ابتلعته خلته .

ابن أشرم ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - :
(إنها عليهم مؤمنة) ، قال : مطيعة .

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن أسيد ، عن إسماعيل بن خالد ، عن أبي صالح ، قوله ،
ولم يرفعه .

(في عهد ملدة) ، قال عطية السرقى : عهد من حديد . وقال السلى : من نار . وقال شيبه بن بشر ، عن حكمة ،
عن ابن عباس : (في عهد ملدة) ، يعني : الأبراب هي للملدة .

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤمنة بعمد ملدة (١) .

وقال السرقى ، عن ابن عباس : أدخلهم في صمد فلبت عليهم بعماد ، وفي (٢) أعتاقهم السلاسل فصدت بها الأبراب ،

وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يملكون بعمد في النار . واختاره ابن جرير .

وقال أبو صالح : (في عهد ملدة) ، يعني القيود الطوال .

آخر تفسير سورة « ويل لكل همزة لمزة »

(١) انظر تفسير البغوي : ١٩٠/٣٠ .

(٢) في الخطوط : « في » ، دون واو . وانتهت عن البغوي : ٢٩١/٣٠ .

تفسير سورة الفيل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ قَدْ رَزَقَكَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَنُفُمْ فِي بُعَيْبِلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ يَسْتِيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ⑤

حلده من النعم الى امتن الله يا حل قريش ، ليا صرف عنهم من أصحاب الفيل ، الذين كانوا قد حرروا حل حلم الكعبة وعمر أثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وألهم آتاهم ، ونجيب سمهم ، وأضل عملهم ، وردهم بشر غيبة . وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا ما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان حلدا من باب الأدهاس والخطبة لبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاته في ذلك العام ولد حل أشهر الأوثان ، ولسان حال القائل يقول : لم - نترككم - يا معشر قريش - على الحبشة لتخرجكم عليهم ، ولكن صيانة البيت العتيق للى ستره ونظمه ونقره يبعث النبى الأسمى محمد - صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء .

وحله قصة أصحاب الفيل حل وجه الإنجاز والاختصار والقريب ، قد قدم في قصة أصحاب الأخنود (١) : أن ذا نوكرى - وكان آخر ملوك حمير ، وكان مشركا - هو الذى قتل أصحاب الأخنود ، وكانوا نصارى ، وكانوا قريبا من عشرين ألفا ، فلم يفلت منهم إلا دوس ذو نطيلان ، فلحق فاستثقت بقيصر ملك الشام - وكان نصرانيا - فكتب له إلى التجانى ملك الحبشة ، لكونه أقرب إليهم ، فبعث منه أميرين : أرياط وأبرهة بن الصباح أبيا يكسوم ، في جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجلسوا خلال الثيار ، واستلموا الملك من حمير ، وهلك ذو نوكرى غرقا في البحر . واحتفل الحبشة على اليمن وعليهم ملان الأميران : أرياط وأبرهة ، فخطقا في أمرها وتصالوا وقتلوا وتصالا ، فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الحبشين بيننا ، ولكن ابرز إلى وأبرز إليك ، فأبنا قتل الآخر استقل بعده بالملك . فأجابه إلى ذلك قبلزا ، وخكف كل واحد منهما فتاة ، فحمل أرياط على أبرهة فضره بالسيف . فشرم الله وفه وشن وجهه ، وحمل عتوة مولى أبرهة على أرياط فقتله ، ورجع أبرهة جريحا ، فملوى جرحه قبرا ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب إليه التجانى يلومه على ما كان منه ، ووجده وعلف ليطان بلاده ويجوز قاصحه : فأرسل إليه أبرهة يترقى له ويصاته ، وبعث مع رسوله بهدايا ونحف ، وبجواب فيه من تواب

اليمن ، وجز تاصبه فأرسلها معه ، ويقول في كتابه : ليظاً لذلك على هذا الجراب قَيْبَرَ قومه ، وهذه تاصبي قد بنت بها إليك : فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ، ورضى عنه ، وأقره على عمله . وأرسل أبرهة يقول للنجاشي : إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يَبْنِ قبلها مثلاً . فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنماء ، وقيمة البناء ، عالية القناء ، مزخرفة الأرجاء ، سميتها العرب القَلْبَس ، لارتضاعها ، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتضاع بنائها ، وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حَجَّ العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ، ونادى بذلك في مملكته ، فكهرت العرب العدنانية والقمطانية ذلك ، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً ، حتى فصلها بعضهم ، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً ، فأحدث فيها وكراً واحداً . فلما رأى السنته ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة ، وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضباً ليهجم الذي ضاهيت هذا به . فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة ، وليخربنه حجراً حجراً .

وذكر مقاتل بن سليمان أن قتيبة من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه هواء شديد فأحرقته ، وسقطت إلى الأرض :

فأصاب أبرهة لذلك ، وصار في جيش كثيف حَرَمَ ثلثا بصدّه أحد عنه ، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الحظ لم يرمطه ، يقال له : عمود . وكان قد بنت إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ، ويقال : كان معه أيضاً ثمانية أفيال ، وقيل : اثنا عشر فيلاً . وقيل غيره ، والله أعلم . يعني ليهجم به الكعبة ، بأن يحمل السلاسل في الأركان ، وتوضع في حُتَّى القبل ، ثم يذبح ليلي الحلائل جملة واحدة . فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً ، ورووا أن حقاً عليهم المجابهة دون البيت ، وَرَدَّ من أراد به بكيد . فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نَفرٍ ، فدعا قومه ومن أجباه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وخرابه . فأجابوه وقاتلوا أبرهة ، فهزمهم لما يريد الله - عز وجل - من كرامة البيت وتعظيمه ، وأسر ذو نَفرٍ فاستصحبه معه . ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض عثم حَرَضَ له نُقَيْل بن حَبِيب الخثعمي في قومه : شهران ونهمس (١) ، فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة ، وأسر نُقَيْل بن حبيب ، فأراد قتله ثم عفا عنه ، واستصحبه معه ليلته في بلاد الحجاز . فلما اقرب من أرض الطائف خرج إليه أهلها خيف وصائموا خيفة على يهجم ، الذي عثم ، الذي يسمونه اللات . فأكرمهم وبعثوا معه « وأبا رغال » دليلاً . فلما انتهى أبرهة إلى المُتَمَسِّس - وهو قريب من مكة - نزل به وأغار بجيشه على سَرَحَ (٢) أهل مكة من الإبل وغيرها ، فأخلوه . وكان في السرح مائة بئر لبند المطلب . وكان للذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير للقعدة ، وكان يقال له : الأسود بن مَسْعود فهجاه بعض العرب - فيما ذكره ابن إسحاق (٣) - وبعث أبرهة حناتة الحميري إلى مكة ، وأمره أن يأتيه بأخرف قريش ، وأن يخبره أن الملك لم يحن قتالكم إلا أن تصدّوه عن البيت . فجاء حناتة قد كمل على عبد المطلب بن هاشم وبنه عن أبرهة ما قال . فقال له عبد المطلب : والله ما تريد حربي ، وما لنا بذلك من طاعة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت

(١) شهران ونهمس هما ولد قمرس بن سلف بن عثم . انظر جبهة أنساب العرب لابن حزم : ٣٩٠ .

(٢) السرح : اللحية .

(٣) انظر سيرة ابن هشام : ١٧١ .

خليله إبراهيم ، كان يمهده فهو يمهده وحرمه ، وإن غنى بيته ويده ، لو الله ما عتدا دكح منه ، قال له حنابلة : فاذعيب
معى إليه . فذهب منه ، فلما رآه أبرهة أبجسته ، وكان عبد المطلب جلابجلا حسن للنظر ، ولوك أبرهة عن مروره ، وجلس
معه على البساط ؟ وقال ترجمانه : قل له : حاجتك ؟ قال للرجمان : إن حاجتى أن يرد على الملك ما فى يدي أصابعى
فقال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أصعبنى حين وأبط ، لم قد زهدت فىك حين كلمنى ، أتكنلى فى ما فى
يدي أصبعها لك ، وترك بيتا هو دينك وعين آباءك قد جئت لحلمه ، لا تكنلى فيه ؟! قال له عبد المطلب : إنه أنا
وب الإبل ، وإن البيت وبأسيمنه ، قال : ما كان ليمنع منى ! قال أنت وذلك .

ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراة العرب فمضوا على أبرهة ثلث أنوال تهامة على أن يرجع عن
البيت ، فأتى عليهم ، ورد أبرهة على عبد المطلب إليه ، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة ، ولقد صعب
فى موسم الجبال ، فموا عليهم من معة الجيش : ثم قام عبد المطلب فأخذ يحقه باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش
يكنون "هون" الله ويستنصروه على أبرهة وجنده ، وقال عبد المطلب وهو أخذ يحقة باب الكعبة :

(١) هُمَ إِنْ لَزَزَهُ يَدٌ • نَحْنُ وَحْدَهُ لَمُتَّعْ حَلَاكُكَ (٢)

لَا يَتَكَلَّمُ صَكِيهْمُ • وَمِثْلَهُمْ خَدُوا (٣) مِثْلَكَ

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حكمة الياب ، ثم خرجوا إلى رده وس الجبال (٤) .

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مكنة ، ليل يضر الجيش ويألمها شيئا يفرح حق ، فيقتل الله معه

فلما أصبح أبرهة تريا لدخول مكة ، وهبأ فيه - وكان اسمه عمروا - وهبأ جيشه فلما وجها القيل نحو مكة أقبل
فكسب بن حبيب حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه وقال : أبرك عمروا ، أو رجع ولشأ من حيث جئت ، فالتك فى
بلد الله الحرم ، ثم أرسل أذنه ، فرك القيل ، وخرج قيل بن حبيب يشتد (٥) حتى أصعد (٦) فى الجبل ، وضربوا القيل
ليقوم فلبس ففسروا فى رأسه بالبرزين (٧) وأدخلوا عابدين لم فى مراكبه فبترؤوه (٨) بها يقوم ، فأتى ، فوجهه راجعا

(١) لام : أسلمها اللهم • والعرب تحلف الألف واللام شيئا وتكنى بما فى .

(٢) الحلال - يكره الله - : القوم للقيوم للضرورة : يره جم سكان الحرم .

(٣) الحلال - يكره الله - : القوة والشدة . وفى الخطوط : ووعالم حوأ • والمليت من مرة ابن هشام : ١ : ١٠١ •
والجاية لابن الأثير . يقول ابن الأثير : : القندر : أسل الله ، وهو كرم الله يأت به يومك ، فسلطت لاه • ولم يستعمل تاما
إلا فى الشعر

(٤) انظر سورة ابن هشام : ١ : ٢٢ •

(٥) أى يصرح .

(٦) أى : ملا .

(٧) البرزين : آة مكنة من حنبله .

(٨) مراكبه : أسل بيته • ويؤفوه : لعمرة •

إلى اليمن فقام بهول : ووجهه إلى الشام فقبل مثل ذلك ، ووجهه إلى المشرق فقبل مثل ذلك ، ووجهه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخيطاتيف والبكسان ، (١) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في مقارة ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والمندس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هارين يتندرون الطريق ، ويسألون عن قبيل لينهم على الطريق . فلما وثيل على رأس الجبل مع قرش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أتى الله بأصحاب القيل من النعمة ، وجعل ثيل يقول :

أين المكتر؟ والاله الطالبي والأشرم للطلوب خير (٢) الغالب

قال ابن إسحاق : وقال نعيم في ذلك أيضاً :

ألا حبيبت حننا يادينا (٣)
ودينة ، لو رأيت - ولا ترفة
إذا لمكدرتي وحسكت أمري
حملت الله إذا أبصرت طيراً
فكنن لهم يسأل عن نعيم
تحياتكم (٤) مع الإصباح حين
لدى جنب الحمص (٥) - ما رأينا
ولم تأس على ما فكت بيننا
وعفت حجارة تلقى علينا
كان حل للحبشان دينا ؟

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تمروا لدخول الحرم وحيثما القيل ، جعلوا لا يصفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب ، فلما وجهوه إلى الحرم ريتهم صباح . وجعل أبرهه يحمل على سائس القيل وينهره ويضربه ، ليظهر القيل على دخول الحرم . وطال الفصل في ذلك . فلما وجد للطلب وجماعة من أشرف مكة ، منهم المعلم بن عدي ، وعمر بن عاتق بن عمران بن خروم ، ومسعود التقي (٦) ، على حمله ينظرون إلى ما للحية يصنعون ، وماذا يلقون من أمر القيل وهو الصجب العجيب . فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل ، أي قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار ، وجاءت فحطت عليهم ، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا .

(١) الخيطاتيف : جمع خيطاف - كرماف - وهو طائر أسود ، وهو الذي تكعده العامة مصفود الجنة . والبسان - كذا ، ومثله في النهاية - ويقول ابن الأثير : « قال جاد بن موسى : أنظروا الزواجر . والبسان : شجر كبير الورق ينبت بمصر ، وله دمن صروف » . انتهى كلام ابن الأثير . وفي اللسان ، مادة زور : « والزورور : طائر » . ولما وقد قال أبو ذؤلمن في شرحه من التبرية ١ / ١٨ : « والخيطاتيف والبكسون : ضربان من الطير » .

(٢) كذا في المخطوطة ، وتفسير الطبري ٣٠ / ١٩٦ ، وتاريخه ١٣٦ / ٢ . وفي سيرة ابن هشام ٥٢ / ١ : ليس قلبا .

(٣) ودينا : مريم وحيدة ، وهو اسم امرأته .

(٤) أي : تستأينكم .

(٥) الحمص يضم الحاء ، وفتح الحاء ، وصاحده مهمل مفتوحة - : موقع فيا بين مكة ومي ، وهو أقرب إلى مي .

(٦) كذا في المخطوطة ، وفي تاريخ الطبري ٢ / ١٢٨ : « وأبو مسعود التقي » . وينظر مغاري الواقدي

وقال محمد بن كعب : جاءوا بغيلان فلما عمود قريش ، وأما الآخر فتشجج فحصبه .

وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة ، فلما عمود - وهو قيل للأك - قريش ، ليقنطى به بقية القبيلة ، وكان فيها قيل فتشجج فحصبه ، فهربت بقية القبيلة .

وقال عطاء بن يسار ، وغيره : ليس كلهم أصابه الطلب في الساعة الراحة ، بل منهم من هلك سريعاً ، ومنهم من جعل يسقط عضوا عضوا وهم هاريون ، وكان أبرهة ممن يسقط عضوا عضوا ، حتى مات ببلاد عجم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا يساقطون بكل طريق ، ويهلكون (١) على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتى ندموا به صباه وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات سقى الصدع صدره عن قلبه فيا يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلحتهم ، وما كان معهم ، وأن عبد الطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .

وقال ابن إسحاق : وحشي يعقوب بن عثبة : أنه حدث أن أول ما رويت الحفصة والجندى بأرض العرب ذلك العلم ، وأنه أول ما روى به مزارع الشجر الحرمل ، والحنظل والعنبر (٢) ، ذلك العام (٣) .

وهكذا روى عن حكرمة ، عن طريق جيد .

قال ابن إسحاق فلما بث الله عمدا - صلى الله عليه وسلم - كان فيا بعد به على قريش من نعمته عليهم وقبيله ، ماردة منهم من أمر الحفصة ، لبقاء أمرهم ومنهم (٤) ، قال : (لم تركب فطرك بأصحاب القيل . لم يجعل كيلهم في تضليل . ولرسول عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول) ، (لإيلاف قريش . لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليجئوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ، أي : لتلا غير شيئا من حلم التي كانوا عليها ، لا أولاد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبايل الجماعات ، ولم تتكلم العرب بوحده : قال : وأما السجيل ، فأنحرفت يولس النحرى وأبو حيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض القسرين أنها كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو مستج وجل بني السنج : الحجير ، والجبل الطين ، يقول : الحجارة من هذين الجنين : الحجير والطين : قال : والنصف : ورق الزرع الذي لم يقفب ، ولحده عصفه : انتهى ما ذكره (٦) .

(١) لفظ سورة ابن هشام ١/٤٤ : « ويهلكون بكل مهلك كل كل منهل » .

(٢) العنبر - يضم فتح - : شعر مر له صبيغ ودين ، وتعالج بلبه البلود قبل العبادة .

(٣) سورة ابن هشام ١/٤٤ : « وتعتبر الطير » ٣٠ ٪ ١٩٦٦ .

(٤) في الحظيرة : « وحشهم » . وللتب من سورة ابن هشام : ١/٤٤ .

(٥) في العرب فجرا إلى ٢٢٩ : « سلك » وكل .

(٦) سورة ابن هشام ١/٥٥ .

وقد قال حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن - (طبراً أبايل) ، قال الصيرقي (١) :

وقال ابن عباس ، والضحاك : أبايل يتبع بعضها بعضاً . وقال الحسن البصري ، وقادة الأبايل الكثيرة . وقال مجاهد : أبايل : شئ متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبايل : الخفظة ، تأتي من هاءنا ، ومن هاءنا أنهم من كل مكان .

وقال الكسائي : سمعت [النحويين يقولون : أبول مثل المجول . قال : وقد سمعت (٢) بعض النحويين يقول واحد الأبايل : ليس .

وقال ابن جرير : [حدثنا (٢) ابن الخثي : حدثني عبد الأهل ، حدثني داود ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل أنه قال في قوله : (وأرسل عليهم طيراً أبايل) ، هي : الأكايطج ، كالإبل المؤنثة .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن ابن حبان ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : (وأرسل عليهم طيراً أبايل) ، قال : لما غزا طهم كسر طهم الطير ، وأكف كأكف الكلاب (٣) .

وحدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله : (طيراً أبايل) ، قال : كانت طيراً غصراً خرجت من البحر ، لما دعوس كرموس السباع (٤) .

وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن جبر : (طيراً أبايل) ، قال : هي طير سود بحرية ، في مقلوها وأظفارها المسجلة (٥) .

وهذه أمانيه صحيحة . .

وقال سعيد بن جبير : كانت طيراً غصراً لما تناقير صقر ، مختلف عليهم :

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وحطاب : كانت الطير الأبايل مثل التي يقال لها حنقاء مغرب (٦) . رواه عنهم ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زوجه ، حدثنا عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (٧) ، حدثنا [أبو] معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن جبر قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب التيل ، يث عليهم طيراً أنشئت (٨) من البحر ، أمثال

(١) تفسير الطبري : ٣٠ / ١٩١ .

(٢) ما بين القوسين للمؤلفين من تفسير الطبري : ٣٠ / ١٩١ ، ونسبه سقط لغيره .

(٣) تفسير الطبري : ٣٠ / ١٩٢ .

(٤) المقادير المغرب : طائر طيم معروف الاسم مجهول الجسم ، لم يره أحد . والمرب تكى به عن الداعية . والمغرب : المبد في البلاد .

(٥) في البداية والنهاية : طابوت ١٧٤ / ٢ : « عبد بن عبد الله بن أبي شيبة » . وهو خطأ . انظر التلخيص : ٢ / ٦ . والبحر والمحيط لاين أبي حاتم : ١٦٠ / ٢ / ٢ .

(٦) في الخفظة : « أنساب » . وللتلخيص السابقة ، والبلدية والنهاية : ١٧٤ / ٢ .

الطمايف ، كل طير منها يجعل ثلاثة أحجار مُجَزَّعة (١) : حجرين في رجليه وحجرًا في منقاره ، قال : فجات حتى صفت على رموسهم ، ثم صاحبت وألقت ما في أرجلها ومنقارها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر . ويصت الله ربحاً شديدة ففريت للحجارة فزادت شدة فأهلكوا جميعاً ، وقال السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حجارة من سجيل) ، قال : طين في حجارة ، «سَجَلٌ» - وكل وقلد قلعتنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هاهنا

وقوله : (فجعلهم كصفٍ مأكول) ، قال : سديد بن جبير : يعني اللبن الذي تسميه العامة : حَبَّور ، وفي رواية عن سديد : ورق الحنطة ، و«ه» أيضاً : الصف : اللبن . والمأكول : التَّمِيل (٢) يُجَزَّزُ اللُّوب ، وكل ذلك قال الحسن البصري وعن ابن عباس : الصف : القشرة التي على الحبة ، كالنلاف على الحنطة ،

وقال ابن زيد : الصف : ورق النرج ، وورق البقل ، إذا أكلته البهائم فرائته ، فصار دَرِيَّة (٣) ،

واللهي أن الله - سبحانه وتعالى - أهلكهم ودمرهم ، وردَّهم بكيلهم وغيظهم لم يتألوا غيراً ، وأهلك عاصمتهم ، ولم يرجع منهم غير إلا وهو جريح ، كما جرى لأهلهم أبرهة ، فإنه اتضح صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء ، وأخبرهم بها جرى لهم ، ثم مات . فملك بعده ابنه يكسوم ، ثم من بعده لونه مسروق بن أبرهة (٤) ، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى استأذنه على الحبشة ، فأئذ به من جيشه قاتلوا معه ، فرد الله إليهم ملكهم ، وما كان في آياتهم من الملك ، وجاءته وفود العرب تنتهية ،

وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، عن مرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسامه بمكة أعين متعكفين ، يستطعمان (٥) . ورواه الواقدي ، عن عائشة مثله : ورواه أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : كانا متعكفين يستطعمان الناس ، عند إساف وثالة (٦) ، حيث يلجأ للشركون ذبايحهم .

قلت : كان اسم قائد الفيل : أبيسأ

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب ، عن ابن لمبة عن عقيل بن خالد ، عن عثمان بن المنيرة قصة أصحاب الفيل ، ولم يذكر أن أبرهة قدَّم من اليمن ، وإنما بسط على الجيش رجلاً يقال له شمر (٧) بن مفسود ، وكان الجيش عشرين ألفاً ، وذكر أن الفيل طرقتهم ليلاً ، فأصبحوا صرعى ،

(١) أي : ملوثة بالزبد غنطلة .

(٢) أصل القصل : القطيع . والقصيل : ما انفصل من الزرع أشعر .

(٣) الذين والدرانة - بمنزلة النمل - : حطام الرمي إذا قدم . وحى ما يلي من الحشيش ، وتلما تنقطع به الإبل .

(٤) انظر حيرة ابن مسلم : ٦١/١ - ٦٢ .

(٥) سيرة ابن هشام : ٥٧٤ .

(٦) إساف وثالة : صيادان تزعم العرب أنهما كانا رجلاً وامرأة ، ذنبا في الكعبة ، فسما .

(٧) في الحنطلة : «شمس بن مفسود» ، والحطيت من دلائل النبوة لأبي نعيم : ٤٣ .

وهذا السياق غريب جداً ، وإن كان أبو نعيم قد قرأه ورجحه على غيره ، والصحيح أن أبرة الأثرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار ، وهكذا روى ابن لينة ، عن الأسود ، عن عروة : أن أبرة بث الأسود بن مفسود على كعبة منهم القيل ، ولم يذكر قلوب أبرة نفسه ، والصحيح قلوبه ، ولعل ابن مفسود كان على مقدمة الجيش ، والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب ، فيما كان من قصة أصحاب القيل ، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبير بن العوام :

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ ، إِذَا كَانَتْ قَدَمًا لَا يُرَامُ حَرَمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى (١) لَيْلَى حَرَمَتْ إِذْ لَا حَرِيرَ مِنَ الْأَكَامِ بَرُومُهَا
سَأَلَ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا ، مَا رَأَى ؟ فَلَسَوْتَ بَنِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
مَقْرُونٌ أَلَا لَمْ يَتَوَلَّوْا (٢) لِرُضَاهُمْ ، بَلْ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَفِينَهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرُّهُمْ قَبْلَهُمْ وَلِلَّهِ مِنْ فُرُوقِ الْعِبَادِ يَتَّبِعُهَا

وقال أبو نيسب بن الأسلت الأنصاري المشرقي :

وَمِنْ صَنَعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحَبِيرِ ش. إِذْ كُلُّ مَا يَبْعَثُهُ وَدَمَ (٣)
مَحَابِلُهُمْ تَحْتَ الْأَرَابِ (٤) وَكَذَلِكَ حَرَمُوا أَهْلَهُ فَالْفَرَمُ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَاقِ مَقُولًا إِذَا يَسْمُوهُ فَلَمَّا كَلِمَ (٥)
فَسَوَّاهُ أَدَبَرُ لَذَائِكُمْ وَدَعَا وَدَعَا بِالظُّلَمِ مِنْ كَانَ لَمْ
فَالسُّكْرُ مِنْ قَوْلِهِمْ حَامِيًا يَكْتُمُهُمْ مِثْلُ لَفِ الْقَزَمِ (٦)
تَحْتَ (٧) عَلَى الصَّبْرِ أَنْجَارُهُمْ وَقَدْ لُجُّوا كَفُوجٍ فَتَنَمَ (٨)

وقال أبو الصلت بن [أبي] ربيعة الغنوي ، ويرى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة :

إِنَّ كَيْتَ رَيْتَا بِكَفَاتٍ مَا يَمَارِي لَيْلَى إِلَّا الْكَوَزُ
عَلَيْكَ الْقِيلُ وَالْقَهَارُ ، لَكُلِّ مُتَحَيِّنٍ حَسَابُهُ مَقْدُونُ
لَمْ يَجْلُو النَّهَارَ رَبِّ رَحِيمٍ بِسَهَابَةٍ شَامِعَا مَشْهُورُ (٩)
حَسِبَ الْقَيْلَ بِالْمَقَامِ حَتَّى صَارَ يَحْيَى ، كَأَنَّهُ مَقْدُونُ

(١) الشعرى : اسم نجم .

(٢) في سيرة ابن هشام ٨٧/١ : « لم يتولوا » أي : لم يرجعوا إلى أرضهم .

(٣) أي : ثبت في مكانه .

(٤) الجاهل : جمع مجنون ، وهو صاموكة . والأرأب : جمع قرب - بضم فسكون - وهو الخافرة . وفرسوا : ففروا .

(٥) الفول : سكين كبيرة . ويروي : سولا . والفول القاس : وكلم : جرح .

(٦) القزم : جمع قزم ، وهو الصخر البجة .

(٧) كذا في المخطوطة . وفي السيرة : « نفس » .

(٨) تلج : صاح .

(٩) الهاء : الشمس .

لَا زِمًا حَكَمَهُ الْجُرَّانَ كَمَا قَطَرُ
 مِنْ ظَهَرٍ فَكَيْبَ مَحْدُورٍ (١)
 حَوَّلَهُ مِنْ مَلُوكٍ كَثَدَةً أَبْطَالَ
 مَلَاوِيثَ فِي الْحُرُوبِ صُغُورٍ (٢)
 خَلَقْنَاهُ ثُمَّ ابْدَعْنَا جَمِيعًا
 كُلُّ دَيْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دَيْنَ الْحَقِيقَةِ ، يَوْمُ

وقد قلنا في تفسير «سورة الفتح» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهيئ به على قريش ، بركت ناقة ، فزجروها فألحَّت ، فقالوا : خلأت القموصاء - أى : حركت : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما خلأت القموصاء ، وما ذلك لما خلقت ، ولكن حبسها حابس الفيل » : ثم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يأتونى اليوم نحلة يعظمون فيها حرُمات الله ، إلا أبجنتهم إليها » : ثم زجروا فقامت : والحديث من أفراد البخارى (٤) .

وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم فتح مكة : « إن الله حبس عن مكة القيل ، وسكط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرُمَتُها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فيبلغ الشاهد الغائب » (٥) .

آخر تفسير سورة «الفيل»

(١) الجُرَّان : الصادر . وقطر . دى . هـ . وكَيْبَ : اسم جبل . والمحدور : المجرى . والمحدور : المجرى الذى يتحدور من أصله .

(٢) الملاويث : الأثداء .

(٣) ابصرها : تفرقها .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية السادسة والعشرين من سورة الفتح ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٣٢/٧ .

(٥) مسلم ، كتاب الحج ، باب «تمرح مكة وصيحتها...» : ١١٠/٤ . والبخارى ، كتاب العلم ، باب «كتابة العلم» :

٣٩-٣٨/١

تفسير سورة ليلاف قريش وهي مكية

ذكر حديث غريب في فضلها ، قال البيهقي في كتاب الخلفيات : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفي عمرو ، حدثنا أحمد بن حنبل الله الرزني ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن فرجيل حدثني حبان بن عبد الله [ابن حنبل] عن محمد بن عمرو بن جملة بن هبيرة عن أبيه عن جده أم هانئ بنت أبي طالب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « فضل الله قريشا بسبع خلل : أني منهم ، وأن النبوة فيهم ، والحجابة ، والسقاية فيهم ، وأن الله نصرهم على القليل ، وأنهم جدوا الله عز وجل - عشر سنين لا يجده غيرهم ، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلاها رسول الله : (بسم الله الرحمن الرحيم ليلاف قريش ، ليلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليجئوا وب هذا البيت : الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَيْلَافُ قُرَيْشٍ ① لَيْلَافِهِمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَجِئُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

هذه السورة مفصلة عن التي قبلها في المصحف الإمام ، كتبوا بينهما سطر ... (بسم الله الرحمن الرحيم) ... وإن كانت متصلة بما قبلها ، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق (١) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لأن المعنى متداها : حينما من مكة التيل وأهلكنا أهل (ليلاف قريش) ، أي : لافلافهم واجتبايعهم في بلدهم آمين .
وقيل : المراد بذلك ما كانوا يأفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام في التاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمين في أسفارهم ، لعظمتهم عند الناس ، لكنهم سكان حرم الله ، فمن حرّكهم لاجتماعهم بل من صوف إليهم وسار معهم آمين بهم ، هذا ظلم في أسفارهم ورحلتهم في شاتهم وصيفهم ، ولما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله : (أولم يروا أننا جعلنا حرمنا آمنا ، ويختلف الناس من حولنا) (٢) . ولما قال : (ليلاف قريش للافلافهم) ، يدل من الأول ومفسر له . ولما قال : (ليلافهم رحلة الشتاء والصيف) .
وقال ابن جرير : الصواب أن « اللام » لا تصحب ، كأنه يقول : اجبوا للافلاف قريش [وتسمى (٣) عليهم] في ذلك . قال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان متفصلتان مستقلتان .

(١) انظر الأثر المروية عن ابن إسحاق في تفسير سورة التيل .

(٢) سورة التكويت ، آية : ٦٧ .

(٣) ما بين القوسين عن التلميذات السابقة ، ومكمله يفاض في الخطورة . وانظر نص العبري في : ١٩٨/٢٠ .

ثم أرشدني إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : (فليبدوا رب هذا البيت) ، أي : فليحذروه بالعبادة ، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً ، كما قال تعالى : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرمها ، وله كل شيء ، وأمرت أن أكون من المسلمين (١)) .

وقوله : (الذي أطعمهم من جوع) ، أي : هو رب البيت ، وهو الذي أطعمهم من جوع ، (وأنهم من مخوف) ، أي : بفضل عليهم بالأمن والطمأنينة ، فليحذروه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يبدوا من دونه صنأ ولا نيداً ولا وثناً ، ولعلنا من استجاب لهذا الأمر جمّع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلّبهما منه ، كما قال تعالى : (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنهم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ؛ ولقد جاءهم رسول منهم فكلوه ، فأنطهم السلب وهم ظالمون (٢)) .
وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد (٣) الله بن عمرو المديني ، حدثنا قيسة ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ويل لكم ، قريش ، لآلئ قريش (٤) » ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني ، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت زيد قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لآلئ قريش لآلئهم رحلة الشتاء والصيف ، ويحكم يا مشر قريش ، عابدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وأنكم من مخوف » .

حكاهما وأباه عن أسماء بنت زيد ، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، أم سلمة الأنصارية ، رضي الله عنها . والله وقع خطأ في النسخة أو في أصل الرواية ، والله أعلم .
آخر تفسير سورة « لآلئ قريش »

(١) سورة النمل ، آية : ٩١ .

(٢) سورة النمل ، آية : ١١٢ - ١١٣ .

(٣) كما ، ولم تقع لنا ترجمة « عبد الله » هذا في الإرجح والتعديل لابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه البيهقي في قدر المنتزه : ٣٩٧/٦ .

تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُرْءِيتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ② وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَسِيرِ ③
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ⑦

يقول تعالى : أرأيت : يا محمد - الذي يكذب بالدين ، وهو : للمعاد والجوار والقبور ، (فذلك الذي يدع اليتيم) ،
أي : هو الذي يهمل اليتيم ويظلمه حقه ، ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، (ولا يحض على طعام المسكين) ، كما قال تعالى :
(كلا ، بل لا يكرمون اليتيم . ولا يحضون (١) على طعام المسكين (٢)) ، يعني : التقبر الذي لا شيء له يقوم بأوجه
وكتابه .

ثم قال : (فويل للمصلين : الذين هم عن صلاتهم ساهون) - قال ابن عباس ، وغيره : يعني المتأخزين ، الذين
يصلون في العجلة ولا يصلون في السر (٣) .

ولما قال : (المصلين) ، أي : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ، ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها
بالكلية ، كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقرر لها شرعا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله
صروق ، وأبو الفتح .

وقال عطاء بن دينار : والحمد لله الذي قال : (عن صلاتهم ساهون) ، ولم يقل : في صلاتهم ساهون .
وإما عن وقتها الأول فيخرجونها إلى آخره دائما أو غالبا . وإما عن أماكنها بتركها وشروطها على الوجه للمؤمر به ،
وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعاتها . فالنقطة يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك سقط من هذه الآية .
ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها ، وكمل له الثاقب المسمى . كما ثبت في الصحيحين (٤) أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس ، حتى إذا كانت
بين قرني الشيطان قام فقفر ، أربعا لا يذكر الله فيها إلا (٥) قليلا . » فهذا آخر صلاة النصر التي هي الوسطى ، كما ثبت به

(١) كما في المغلظة (يكرمون) و (يحضون) . وهي قراءة أبي عمرو . انظر كتاب السبعة لابن مجاهد : ٩٨٥ . والبحر
المحيط لأبي جيان : ٤٧١/٨ .

(٢) سورة القصص : آية : ١٧ - ١٨ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ٢٠١/٢٠ - ٢٠٢ .

(٤) كما ، ولم يقع لنا الحديث إلا في صحيح مسلم . وقد أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة : باب : « ما جاء في تعجيل

صلاة العصر » ، الحديث ١٦٠ : ٩٧/١ . وقال الحافظ أبو البلب صاحب تحفة الأحرار : « أخرجه مسلم ، وأبو داود ،

والنسائي » . فمثل صواب الجارة هنا : « كما ثبت في الصحيح » .

(٥) مسلم ، كتاب المساجد : باب : « أصعب التكرار للصبر » : ١١٠/٢ .

النص إلى آخر وقتها ، وهو وقت كرامة ، ثم قام إليها فقرأها تقرأ القرآن ، لم يطمئن ولا خَشَع فيها أيضا ، ولما قال : لا يذكر الله فيها إلا قليلا . ولله إنما حمله على القيام إليها مراعاة الناس ، لا ابتغاء وجه الله ، فهو إذا لم يعمل بالكيفية . قال تعالى : (إن للنافقين عذابا لله وهو عذابهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يرمون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١)) . وقال حاتم : (الذين هم يرامون) .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عبد الله بن حنبل (٢) البغدادي ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن يونس ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، عن ثوبان - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن في جهنم لواحدا ، تستعبد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعين مرة ، أحد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد ، لحامل كتاب الله ، والمصدق في غير ذات الله ، والحاج إلى بيت الله ، والمخرج في سبيل الله » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة قال : « كنا جلوسا عند أبي حنيفة فذكروا الرياء ، فقال رجل يكفي بأبي يزيد : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من سمع الناس يمسلمه ، سمع الله به سبع خطية ، وحسنه وصبره (٣) » » .

ورواه أيضا عن هشتر وعبيد القطن ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره (٤) .

ومما يعلق بقوله تعالى : (الذين هم يرامون) ، أن من عمل صلاة فأطلع عليه الناس ، فأعجبته ذلك ، أن هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الوصلي في مسنده : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا محمد بن أبي يزيد (٥) ، حدثنا سعيد بن بشر ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : « كنت أصلي ، فدخل علي رجل ، فأعجبني ذلك ، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كتب لك أجران : أجر السر ، وأجر العلانية » .

قال أبو علي هارون بن معروف : يلحق أنباين المبرك قال : ثم الحديث المرائين »

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وسعيد بن بشر متوسط ، وروايته عن الأعمش حذرة : وقد رواه غيره عنه »

قال أبو يعلى أيضا : حدثنا محمد بن الفكي بن موسى ، حدثنا أبو خلاد ، حدثنا أبو سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل يسره ، فإذا احتج عليه أصعبه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « له أجران : أجر السر وأجر العلانية » .

(١) سورة لقمان ، آية ١٤٢ .

(٢) في المطبوعة : « عبد ربه » . وللحديث من المصحح الصغير الطبراني : ١٤٧/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢١٢/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٦٢/٢ ، ١٩٥ . وأما قوله من طريق آخر : في : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٥) في المطبوعة : « غلبه من مره » . ولعل الصواب « بين يديه » ، انظر المرح والاحتياط لابن أبي حاتم : ٣٤٧/١/٤ .

وقد رواه الترمذي عن محمد بن الحنفية ، وابن ماجه عن بشار ، كلاهما عن أبي داود الطيالسي ، عن أبي سنان الشيباني - واسمه : ضرار بن مرة - ثم قال الترمذي : غريب ، وقد رواه الأعمش وغيره ، عن حبيب ، عن [النبي - صلى الله عليه وسلم -] (١) » مرسلا .

وقد قال أبو جعفر بن جرير : حدثني أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيان التميمي ، عن جابر الجعفي ، حدثني رجل ، عن أبي يزره الأسلمي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا نزلت هذه الآية : (الذين هم من صلاتهم ساهون) ، قال (٢) : » الله أكبر . فلما خبر لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا . هو الذي إن صلى لم يرج غير صلاته ، وإن تركها لم ينف ربه (٣) » .

فيه جابر الجعفي ، وهو ضعيف ، وشيخه مبهم لم يستمس ، والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا : حدثني زكريا بن أبان المصري ، حدثنا عمرو بن طارق ، حدثنا عكرمة بن إبراهيم ، حدثني عبد الملك بن عمر ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثني من صلاتهم ساهون ، قال : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها (٤) » .

وتأخير الصلاة عن وقتها يحصل تركها بالكلي ، أو صلاتها بعد وقتها شرعا ، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهواً حتى ضاع (٥)] الوقت .

وكذا رواه الحافظ أبو يعل عن شيان بن قروخ ، عن عكرمة بن إبراهيم ، به : ثم رواه عن أبي الربيع ، عن [جابر (٥)] عن عاصم ، عن مصعب ، عن أبيه موقولا . وهذا أصح إسنادا ، وقد ضعف البيهقي رحمه وصححه وقده وكذلك الحاكم .

وقوله : (ونعمن الماعون) ، أي : لا أحسنوا (٦) عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما يستع به ويستعان به ، مع بقائه عنه ورجوعه إليهم . فهؤلاء لمع الزكاة وأنواع القربات أول وأولى . وقد قال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد : قال مكيب : الماعون الزكاة (٧) . وكذا رواه السدي ، عن أبي صالح ، عن علي . وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر . وبه يقول محمد بن الحنفية ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وعطية العوفي ، والزهري ، والحسن ، وقتادة ، والضحاک ، وابن زيد .

وقال الحسن البصري : إن صلى راعى ، وإن فاتته لم يأس عليها ، ويعنى زكاة ماله . وفي لفظ : صدقة ماله (٨) .

(١) ما بين القوسين من تحفة الأحرار ، ومكانه في المخطوطة : « أبي صالح » . انظر تحفة الأحرار » أبواب الزكاة الحديث ٢٤٩١ : ٥٩٧/٧ . وابن ماجه ، كتاب الزكاة أيضا ، باب « إتيان الحسن » ، الحديث ٤٢٢٦ : ١٤١٢/٢ - ١٤١٣ . (٢) لفظة وقال . غير ثابتة في المخطوطة .

(٣) تفسير المخطوطة : ٢٠٢/٣٠ . (٤) ما بين القوسين المنقوشين من التعليقات السابقة ، وقد وقع فيها بعدما يحكيه ابن كثير من سند أبي يعل ، أي بعد « من مصعب » ، عن أبيه موقولا ، ومكانه يباين في المخطوطة ، وبهذه كلمة « الوقت » . ولعل السواب ما أثبتناه .

(٥) ما بين القوسين من التعليقات السابقة أيضا . (٦) في المخطوطة : « لا أسوا » . ولعلها من التعليقات السابقة .

(٧) تفسير المخطوطة : ٢٠٣/٣٠ .

(٨) تفسير المخطوطة : ٢٠٤/٣٠ .

وقال زيد بن أسلم : هم الملقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ، وضُمت (١) الزكاة لغيرها .

وقال الأعمش وشعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار : أن أبا العبيد بن سالم سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يطوره الناس بينهم من القاس والقدر .

[وقال المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن سالم : أنه سئل ابن مسعود عن الماعون ، قال : هو ما يحتاجه الناس بينهم من القاس والقدر (٢)] . والله ، وأشباه ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد الغاري ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيد بن مسعود ابن حياض ، عن عبد الله قال : كنا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نتحدث أن الماعون اللؤلؤ والقاس والقدر ، لا يستغنى عنهم (٣) .

وحدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن هبل ، أخبرنا شعبة (٤) ، عن أبي إسحاق قال : سمعت سعد بن حياض يحدث عن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ... الله ،

وقال الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الخلود بن سويد ، عن عبد الله : أنه سئل عن الماعون ، قال : ما يحتاجه الناس بينهم : القاس واللؤلؤ ، وشبهه .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن حل القلاس ، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا أبو حنيفة ، عن حاصم ابن بهلة ، عن أبي والي ، عن عبد الله قال : كنا مع نبينا - صلى الله عليه وسلم - ونحن نقول : للماعون ، منع اللؤلؤ وأشباه ذلك (٥) .

وقد رواه أبو داود والشافعي ، عن كتيبة ، عن أبي حنيفة بإسناده ، نحوه : ولقد أتاني عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، كنا نمد للماعون على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طرية اللؤلؤ والقدر (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حاصم ، عن زو ، عن عبد الله قال : للماعون : السورى ، القدر والميزان ، واللؤلؤ .

وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (وعنهم الماعون) ، يعني متاع البيت : وكل ما قال مجاهد وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك ، وغير واحد : إنها البارية للأمتة .

(١) في : غلبت .

(٢) ما بين القوسين من الكلمات السابقة : وقد سقط من نسخة الأثر ، وهو سقط نظر .

(٣) تفسير الطبري : ٢٠٥/٣٠ .

(٤) في تفسير الطبري مكان شعبة : « إسرائيل » .

(٥) تفسير الطبري : ٢٠٦/٣٠ .

(٦) سنن أبي داود : كتاب الزكاة ، باب : في حقوق المال .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (ويعنون الماعون) ، [قال : لم يجيء أهلها بعد] .
وقال البرقي عن ابن عباس : (ويعنون الماعون) ، قال : انحطفت الناس في ذلك ، ففهم من قال : يعنون الزكاة .
ومنهم من قال : يعنون الطاعة ومنهم من قال : يعنون الطرية . رواه ابن جرير (١) . ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم ،
عن ابن حكيم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي : الماعون : منع الناس (٢) الناس
والقدر والبلو .

وقال حكرمة : رأس الماعون زكاة المال ، وأدناه للخل والبلو والإبرة . رواه ابن أبي حاتم .
وهذا الذي قاله حكرمة حسن ، فإنه يشمل الأكوال كلها ، وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو ترك المعاونة .
أو منعه : ولهذا قال محمد بن كعب : (ويعنون للماعون) ، قال : للمعروف . ولهذا جاء في الحديث : « كل معروف
صلة » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري : (ويعنون الماعون) ،
قال : بلسان قريش : المال .

وروى هاشم بن حنبل غريباً صحيحاً في إسناده ومثله ، قال : حدثنا أبي وأبو زهرة قالا : حدثنا قيس بن حفص التماري
حدثنا دلم بن دهم السجلي ، حدثنا خالد بن ربيعة التميمي ، حدثني قرة بن دهمس التميمي : أنهم وفدوا إلى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا رسول الله ، ما عهد إلينا ؟ قال : « لا تمسوا الماعون » . قالوا : يا رسول الله
وما الماعون ؟ قال : « في الحجر ، وفي الحديدة ، وفي الماء » . قالوا : فأى الحديدة ؟ قال : « قنودكم النحاس ،
وحديد الناس الذي يمتحنون به » . قالوا : وما الحجر ؟ قال : « قنودكم الحجارة » .
غريب جداً ، ورفعه منكر ، وفي إسناده من لا يعرف ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن الأثير في الصحاح ترجمة « على التميمي » ، قال : روى بن قانع بسنده إلى خالد بن ربيعة بن قيس
التميمي ، عن علي بن فلان التميمي : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « للسلم نحو السلم ، إذا قيه
حياته بالسلام ، ويرد عليه ما هو خير منه ، لا يمنع الماعون » . قلت : يا رسول الله ، ما الماعون ؟ قال : « الحجر
والحديد ، وأشياء ذلك » (٣) .

آخر تفسير سورة « الماعون »

(١) تفسير الطبري : ٢٠٦/٣٠ .

(٢) لفظ الطبري ٢٠٦/٣٠ : « منع الزكاة والناس ... » .

(٣) أسد الغابة ، الترجمة ٣٧٨٩ : ١٢٧/٤ .

تفسير سورة الكوثر

وهي مدنية ، وقيل : مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن قنقل ، عن أنس بن مالك قال : ألقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إفضامة ، فزفع رأسه متجسبا ، إما قال لم وإما قالوا له : لم ضحككت ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنه أنزلت على أنفا سورة » : اقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) : « إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ » ، حتى خدعها قال : « هل للبرون ما الكوثر ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه رب عز وجل في الجنة ، عليه خير كثير ، ترد عليه أمي يوم القيامة ، آتية عدد الكواكب ، يُخْتَلَجُ (١) العبد منهم فأقول : يا رب ، إنه من أمي ، فيقال : إنك لا تدري ما أخذوا بهلك (٢) » .

حكاه رواه الإمام أحمد جلد الإسناد الثلاثي ، وهذا السياق .

وقد ورد في صفة الخوض يوم القيامة أنه يَشْتَبُ (٣) فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر ، وأن عليه آية عدد نجوم السماء . وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والترمذي ، من طريق محمد بن فضيل وحسن بن مسهر ، كلهما عن المختار بن قنقل ، عن أنس ، وقتض مسلم قال : « بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب أظهري في المسجد إذ ألقى إفضامة ثم رفع رأسه متجسبا ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ » قال : أنزلت على أنفا سورة ، « اقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) : إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ . فصل لربك وانحر : « إِن شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » ، ثم قال : « أتلبسون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدتي بهي - عز وجل - عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة ، آتية عدد النجوم ، فيُخْتَلَجُ العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمي ، فيقول : إنك لما تدري ما أخذت بهلك (٤) » .

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها متر للمعها .

فأما قوله تعالى : « إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ » ، فقد تنقل في هذا الحديث أنه نهر في الجنة . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى ، عن أنس فقال : حدثنا حفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس أنه قرأ هذه الآية : « إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ » .

(١) أي : يتخرج العبد منهم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٠٢/٣ .

(٣) أي : يسل .

(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : « حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة سوى طه » : ١٢٧٢ - ١٣ .

وسنن أبي حنبل ، كتاب السنة ، باب : « في الخوض » . والشافعي ، كتاب الاعتصام ، باب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) .

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ، ولم يُشَقَّ شفا ، وإذا حاتفاه قباب الزلزل ، فضربت يميني في تربته ، فإذا [مسكة] ذفيرة (١) وإذا حصفاه الزلزل (٢) » .
وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا محمد بن أبي حنيفة ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حاتفاه غمام الزلزل ، فضربت يميني إلى ما يجري فيه للماء ، فإذا مسك أخضر ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل (٣) » .

ورواه البخاري في صحيحه ومسلم ، من حديث شيان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : « ما هذا حرج بالني - صلى الله عليه وسلم - إلى المياد قال : « أتيت حلى نهر حاتفاه قباب الزلزل للجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » . وهذا لفظ البخاري (٤) ، ورحمه الله .

وقال ابن جرير : حدثنا الربيع (أنبأنا) ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدث قال : « لما أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضى به جبريل في المياد الدنيا ، فإذا هو بنهر عليه قصر من الزلزل وزبرجد ، فلهب يتشم نوابه فإذا هو مسك ، قال : « يا جبريل ، ما هذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذي حببته لك (٥) » .

وقد تقدم حديث الاسراء في سورة « سبحان » ، من طريق شريك عن أنس ، وهو يخرج في الصحيحين (٦) .
وقال سعيد ، عن قتادة ، عن أنس : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « بينا أنا أسير في الجنة إذ هممت أن أتبر ، فحافاه قباب الزلزل مسجوف ، فقال لذلك الذي معه : أتدري ما [هذا ؟ هذا] الكوثر الذي أعطاك الله . وضربه يده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » . وكذا رواه سليمان بن طرخان ، ومعه وهشام وغيرهم ، عن قتادة ، به .
وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن أبي سريج ، حدثنا أبو أيوب النحاس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثني محمد بن عبد الله ، أن ابن أبي شهاب ، عن أبيه ، عن أنس قال : بسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكوثر ، فقال : « هو نهر أعطاني الله في الجنة ، تراه مسك ، أبيض من اللبن ، وأحل من العسل ، ترده طير أحناقها مثل أحناق الجوز (٧) » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، إنها لناصة ؟ قال : « آكلها أنتم منها (٨) » .

وقال أحمد : حدثنا أبو سلمة الخراسي ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن لمادة ، عن عبد الوهاب ، عن عبد الله بن مسلم ابن شهاب (٩) ، عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما الكوثر ؟ قال : « نهر في الجنة أعطاني ربى ، هو أشد بياضا

(١) أي : طية الريح .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٧/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٠٣/٤ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) : ٢١٩/٦ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٠٧/٣٠ - ٢٠٨ .

(٦) انظر أول سورة الإسراء : ٤/٥ - ٦ .

(٧) الجزر : جميع جزور ، وهو : الجير ، ذكر أكلان أو أنش .

(٨) تفسير الطبري : ٢٠٩/٣٠ .

(٩) في المسند : « عن ابن شهاب » . ويبدو أن القصاب ما هنا . وعبد الله هو ابن مسلم بن حبيب الله بن عبد الله بن شهاب .

انظر ترجمته في المرح والشمس لابن أبي حاتم : ١٦٤/٢٢٠ .

من الليل ، وأحلل من الليل ، فيه طيور أعتاقها كاعتاق الجزر : قال عمر : يا رسول الله ، إنها لناعة ؟ قال : وأكلها (١) أنتم منها يا عمر (٢) .

ورواه ابن جرير ، من حديث الزهري ، من أخيه (٣) عبد الله ، عن أنس : أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكوثر : فقال ذكره طه سواه .

وقال البخاري : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي حنيفة ، عن عائشة قال : سألتها عن قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) ، قالت : نهر أعطيتكم صلى الله عليه وسلم ، شاطئاه عليه دُرّ جوف ، أتيته كمدد النجوم (٤) .

ثم قال البخاري : رَوَاهُ زَكْرِيَا وَأَبُو الْأَحْوَسِ وَمَطْرَفٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ (٥) .

ورواه أحمد والشافعي ، من طريق مطرف ، به (٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل (٧) عن أبي إسحاق ، عن أبي حنيفة ، عن عائشة قالت : الكوثر نهر في الجنة ، شاطئاه درّ مجوف . وقال إسرائيل : نهر في الجنة عليه من الآية عدد نجوم السماء .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا بقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن هرير بن عطية ، عن حقيق (٨) أو مسروق قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ، حدثيني عن الكوثر . قالت : نهر في ، بطنان الجنة : قلت : وما بطنان الجنة ؟ قالت : وسطها ، حافته قصور الوتر والياقوت ، ترابه لؤلؤ ، وحصاه الوتر والياقوت . وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن أبي جعفر الرازي ، عن ابن أبي نجيب ، عن عائشة قالت : من أحب أن يسمع خير من الكوثر ، فكليّ جميل أصبغ في أنفيه .

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيب وعائشة ، وفي بعض الروايات : « عن رجل ، هنا » ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك ، لا أنه يسمعه نفسه ، والله أعلم .

قال السهلي : رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مَرْفُوعًا ، مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ الشَّيْبِ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في نسخة : « أكلها » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٢٠/٣ - ٢٢١ .

(٣) في المخطوطة : « عن أخيه » ، عن عبد الله . ويبدو كذلك أنه قد وقع خطأ في منه الطبري ، انظر : ٢٠٩/٣٤ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) : ٢١٩/٦ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٨١/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٠٧/٣٠ .

(٧) في المخطوطة : « عن سفيان أو مسروق » . والمثبت من تفسير الطبري . وحقيق هو ابن سلمة الأسدي . انظر ترجمته

في التلخيص : ٣٦١/٤ .

(٨) الروض الأنت والمشرح الروي ، في تفسير ما اختل عليه حديث البيرة ، واحتوى للإمام السهلي : ٢٤١/١ .

ثم قال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، [حدثنا هشيم] ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : إن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ؟ فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (١) .

ورواه أيضاً من حديث هشيم ، عن ابن بسر وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر ؛ الخير الكثير .

[وقال الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر ؛ الخير الكثير (٢)] . وهذا التفسير يتم النهر وغيره ، لأن الكوثر من الكثرة ، وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، (ومجاهد) ، وعارب بن دثار ، والحسن بن أبي الحسن البصري . حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة .

وقال حكرمة : هو الثيرة والقرآن ، وثواب الآخرة .

وقد صحح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً ، فقال ابن جرير :

حدثنا أبو كريبه ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر ؛ نهر في الجنة ، حافته ذهب وفضة ، يجري على اليابوت والنار ، ماؤه أبيض من الثلج وأصل من السيل . وروى اللؤلؤ ، عن ابن عباس ، نحو ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، [حدثنا هشيم] ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عارب بن دثار ، عن ابن عباس أنه قال : الكوثر ؛ نهر في الجنة ، حافته ذهب وفضة ، يجري على النار واليابوت ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأصل من السيل .

وكذا رواه الترمذي (٣) عن ابن حزم ، عن جرير ، عن عطاء بن السائب ، به مثله ، مرفوعاً وقد روى مرفوعاً فقال الإمام أحمد :

حدثنا علي بن حفص ، [حدثنا] ورواه قال . . . وقال عطاء عن عارب بن دثار ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الكوثر ؛ نهر في الجنة حافته من ذهب ، ولهاه يجري على اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأصل من السيل (٤) » .

وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم وابن جرير ، من طريق محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، به مرفوعاً . وقال الترمذي : حسن صحيح (٥) .

(١) البخاري ، تفسير سورة (إذا أمليتك الكوثر) : ٢١٩/٦ .

(٢) تفسير البخاري : ٣٠ : ٢٠٣ .

(٣) لم يقع لنا ذلك في سبغ الترمذي ، وصلى أن تستركه لنا يستقبل .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢ : ١٥٨ .

(٥) غنطه الأوسى ، تفسير سورة (الكوثر) : ٣٤١٩ : ٩ : ٢٩٤ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب

صفحة الجنة : ٤٣٤ - ١٤٥٠/٢ .

وقال ابن جرير ! حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علكة ، أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لي عمار بن دثار : ما قال سيد بن جبير في الكوثر ؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير : فقال : صدق ، والله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر قال : لا تزل : (إنا أعطيناك الكوثر) ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الكوثر نهر في الجنة ، حفافه من ذهب ، يجري على النار والياقوت (١) » .

وقال ابن جرير : حدثني ابن [البرقي] حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حزام ابن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعمرج ، عن أسامة بن زيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى حمزة بن عبدالمطلب يومًا فلم يجده ، فسال امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت : خرج يأتي الله أنفاً حليماً نورك ، فأظنه أعطاك في بعض أزقة بني النجار ، ألا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل ، فقدمت إليه حبساً (٢) فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله ، حينئذ لك ومريم ، لقد جئت وأنا أريد أن أتيتك فأمنيتك وأمرت بك (٣) ، أخبرني أبو حمزة أنك أعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر . فقال : « أجل ، وعرضه - يعني لوجه - ياقوت ومرجان ، وزبرجد ولؤلؤ » .

حزام بن عثمان : ضعيف ، ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصله ، بل قد تواتر من طريق يزيد القطيع عند كثير من أئمة الحديث ، وكذلك لأحد الحديث (٤) .

وهكذا روى عن أنس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف : أن الكوثر : نهر في الجنة ، وقال عطاء : هو حوض في الجنة .

وقوله : (فصل لربك ونعم) أي : كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته - فأعطى لربك صلاتك المكتوبة والناقلة وتحركك ، فأعبد وحده لا شريك له ، وأمر على اسمه وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : (قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (٥) ، قال ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن : يعني بذلك نهر الجنان ونحوها ، وكلنا قال قتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاک ، والربيع ، وعطاء الخراساني ، والحكم ، وإسحاق بن أبي خالد ، وغير واحد من السلف . وهذا بخلاف ما كان للشركاء من السجود لغير الله ، والبيع على غير اسمه ، كما قال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) (٦) الآية .

وقيل : المراد بقوله : (ونعم) (ونعم) وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر ، يروى هذا عن علي ، ولا يصح . وعن الشعبي [مثله] (٧) .

(١) تفسير الطبري ٣ : ٢٠ / ٢١٤ .

(٢) الحسن : الطعام من النار والجن المنيق والسكن .

(٣) يقال : حنأه ، إذا أعطاه ما حنأ به ، وهو ما يسهه ولا يفتق عليه . وقوله : « وأمرت بك » : إتيان له بقوى مناد .

(٤) وقع في المطبعة بعد هذا : « ولقد كرهنا ، وكل هذه الأقوال غريبة جداً » ، وهذا غير ثابت في النسخات السابقة .

وهذا أثرنا إمامنا من سلب النص حتى يستقيم السياق .

(٥) سورة الأنعام : آية ١٦٢ - ١٦٣ .

(٦) سورة الأنعام : آية ١٢١ .

(٧) تفسير الطبري ٣ : ٢٠ / ٢١٠ .

ومن أبي جعفر الباقر : (وغيره) ، يعني : لرفع اليدين عند افتتاح الصلاة :

وقيل : (وغيره) ، أي : استقبل بترك القبلة . ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير :

وقد روى ابن أبي حاتم هاتين حديثاً منكراً جداً فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم القتي (١) - سنة خمس وخمسين و مائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم للروزي ، حدثنا مقاتل بن حيان ، عن الأصمعي بن نياته ، عن حلي بن أبي طالب قال : لا تزل هذه السورة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إنا أعطيناك الكوثر - فصل لربك وانحر) ، قال رسول الله : يا جبريل ، ما هذه الشجرة التي أمرني بها ربّي ؟ قال : ليست بشجرة ، ولكنه يأمرك إذا نحرمت الصلاة ، لرفع يديك إذا كثرت وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ، فلها صلاتا وصلاة للملائكة الذين في السموات السبع ، وإن لكل شيء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه المالك في الموطأ ، من حديث إسرائيل بن حاتم ، به (٢) .

ومن عطاء الخراساني ، (وغيره) ، أي : لرفع صلبك بعد الركوع واحتفل ، وأبرز تحركه ، يعني به الاحتفال . ورواه ابن أبي حاتم :

[وكل هذه الأقوال غريبة جداً] (٣) ، والصحيح القول الأول ، أن المراد بالتحرك ذبج المصنك ، ولما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصل العبد ثم ينحر نفسه ويقول : « من صلى صلاتاً ، ونسك نسكاً ، فقد أصاب النسك » ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له ، « فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله ، إني تسكّيتُ شأني قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم ينشئ فيه النجم » قال : « شاك شاة لحم » . قال : « فإن عندي عتاقاً » (٤) هي أحب إلي من شاتين ، أفسحني عني ؟ قال : « تجزئك » ولا تجزئ أحداً بك (٥) .

قال أبو جعفر بن جرير : « والصواب قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ماواه من الأكل والشاة ، وكذلك تحرك لجهله به دون الأوثان ، شكر أنه حل ما أعطاك من الكرامة والخير ، الذي لا كفاء له ، وخلصك به » (٦) .

وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى : محمد بن كعب القرظي ، وعطاء

وقوله : (إن شاك هو الأثر) ، أي : إن ميفضك - يا عبد - وميفض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والقرآن العظيم ، هو الأثر الأكل الأكل للقطع ذكره :

قال ابن عباس ، وعطاء ، وسعيد بن جبيرة ، وقادة : تزلت في العاصي بن وائل .

(١) في المطبوعة : « القتي » . وللمبحث من المرح والتمثيل لابن أبي حاتم : ٢٩٠/٢٤٤ . ومن ترجمة إسرائيل بن حاتم في المرح أيضاً : ٣٣١/١٤١ .

(٢) للمتنوع : تفسير سورة الكوثر : ٥٣٧/٢ - ٥٣٨ .

(٣) ما بين القوسين من الجملات السابقة . وأنتظر من قريب تعليلنا على زيادة وقت في المطبوعة ، بعضها ما أقتضاه هنا .

(٤) الشاك - يفتح السين - : الأثر من قوله للز .

(٥) الجنود ، كتاب البيهقي ، باب : كلام الإمام والناس في عبادة النبي ، وإذا مثل الإنسان من فيه وهو مضطرب : ٢٨٤/٢ .

وانظر منه الإمام أحمد : ٣٠٣/٤ .

(٦) تفسير النجاشي : ٢١٢/٤٥ .

وقال محمد بن إسحاق ، من يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا حلك انقطع ذكره . فأنزل الله هذه السورة (١) ؛
وقال عمر بن حفص : نزلت في حفص بن أبي معيط .

وقال ابن عباس أيضا ، وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش .
وقال البزار : حدثنا يزيد بن يحيى الحسائي ، حدثنا ابن أبي حنبل ، عن دلود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المصنبر (٢) الكثير من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السداة وأهل السقاية . فقال : أنتم خير منه . قال : فنزلت : (إن شاتك هو الأبر) .

وعكلا رواه [البزار] (٣) ، وهو إسناده صحيح .
وعن عطية : نزلت في أبي لب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلهم أبو لب إلى للمشركين وقال : بشر محمد اليلة . فأنزل الله في ذلك : (إن شاتك هو الأبر) .
وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل . وعنه (إن شاتك) ، يعني : جنوك وهذا يحتم جميع من اتصف بملك من ذكر وغيرهم .

وقال عكرمة : الأبر : القرد . وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بره فلما مات أباه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا : بر محمد . فأنزل الله : (إن شاتك هو الأبر) ؛
وهذا يرجع إلى ما قلناه [من] أن الأبر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فهووا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره ، وحاشا وكلا ، بل قد أتى الله ذكره على رموس الأشهداء ، وأوجب شره على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الأباد ، إلى يوم الحشر والعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد ؛

آخر تفسير سورة «الكوثر» والله العبد والمنة

(١) سيرة ابن هشام : ٣٩٣/١ .
(٢) ذكر ابن الأعرابي أن : المنبر من التل ؛ صفات تليت في جبل النخلة غير مستأصلة في الأرض ، وهو المنبر من التل ، وإذا نبت الصنابر في جبل النخلة أضرتها ، لأنها تأخذ غذاء الأمهات . قال : وملاحظها أن تقطع تلك الصنابر منها . فأراد كفار قريش أن يحسدوا - صلى الله عليه وسلم - منبر نبت في جبل نخلة - ، فلما قطع انقطع . وكذلك عهد إذا مات فلا عقب له .
(٣) في المصنعة : «رواه الترمذي» . والمثبت من المصنعة السابقة . وقد أخرجه البغوي عن ابن أبي بشار ، عن ابن أبي عمير ، بإسناده نحوه . أنظر : ٣٥٠ / ٢١٣ .

تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون)

وهي مكية

ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه السورة ، و : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) في ركعتي الطلوع (١) .

وفي صحيح مسلم ، من حديث أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأهما في ركعتي التجر .
وقال الإمام أحمد ، حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن جاهد ، عن ابن عمر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ في الركعتين قبل التجر والركعتين بعد المغرب ، بشما وعشرين مرة - أو : بضع عشرة مرة - (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٢) .

وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن جاهد ، عن ابن عمر قال : ومقت النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعا وعشرين - أو : خمسا وعشرين - مرة ، يقرأ في الركعتين قبل التجر ، والركعتين بعد المغرب ، (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٣) .

وقال أحمد حدثنا أبو أحمد - هو محمد بن عبد الله بن [الزبير] الزبير - حدثنا سفيان - هو الثوري - من أبي إسحاق ، عن جاهد عن ابن عمر قال : ومقت النبي - صلى الله عليه وسلم - شهرا ، وكان يقرأ في الركعتين قبل التجر ، (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٤) .

وكذا رواه الترمذي [وابن ماجه] من حديث أبي أحمد الزبير] ، وأخرجه النسائي من وجه آخر ، عن أبي إسحاق ، به : وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » (٥) .

وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن ، و (إذا زلزلت) تعدل ربع القرآن .

وقال الإمام أحمد (٦) : حدثنا حاتم بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن غروة بن ثوبان - هو ابن معاوية - عن أبيه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له : « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » قال : أراها زينب .

(١) مسلم كتاب الحج ، باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ٤٠/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٩٩/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٩٤/٢ .

(٥) تحفة الأحوي ، أبواب الصلاة ، باب : ما جله في تنقيح ركعتي التجر والقرآن فيها ، الحديث ٤١٥ :

٢٧٠/٢ - ٤٧٢ ، وابن ماجه ، كتاب الإلانة ، باب : ما جله فيها يقرأ في الركعتين قبل التجر ، الحديث ١١٤٩ : ٣٦٢/١ .

والنسائي ، كتاب الاعتصاف ، باب : فقرآن في الركعتين بعد المغرب ، ١٧٠/٢ .

(٦) الحديث - كما وقع لنا في المسند - من رواية الإمام أحمد عن عيسى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق . هذا وفي حله

الرواية يفي الاختلاف . انظر مسند الإمام أحمد : ٤٠٦/٥ .

قال : ثم جعله سبحانه النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها ، قال : « ما خلعت الجارية ؟ » : قال : تركتها عند أبيها : قال : « فليجىء ما جاء بك » : قال : جئت لتعلمي شيئاً أقوله عند منى : قال : « قل يا أيها الكافرون) ، ثم تم على حديثها ، قلنا يرامة من الشرك » : فردد به أحمد :

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن حنبل والطبراني ، حدثنا محمد بن القليل ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن جبلة بن حارث - وهو أنس زید بن حارث - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أويت إلى فراشك فقرأ قل : (يا أيها الكافرون) حتى تمر بآخرها ، قلنا يرامة من الشرك » :

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن فروة بن نوفل ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت : يا رسول الله ، علمني شيئاً أقوله عند منى : قال : « إذا أخلعت مضجعتك من الليل فقرأ : (قل يا أيها الكافرون) » : قلنا يرامة من الشرك » :

وروى الطبراني عن طريق شريك ، عن جابر ، عن سفيان الثوري ، عن عبد (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخلت مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يغمضها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبُدُكُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه ، وقوله (قل يا أيها الكافرون) جميل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن للراغبين بهذا الخطاب هم كفار قريش .
وقيل : إنهم من جعلهم دعو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبادة أو تأمهم سنة ، ويسجدون معروضة سنة ، فأقول الله هذه السورة - وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها أن يبتدأ من دينهم بالكيفية ، فقال : (لا أعبد ما تعبدون) يعني من الأصنام والأنداد ، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، وهو الله وحده لا شريك له . « ما » هاء متبنة بمعنى « من » .
ثم قال : (ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، أي : لا أعبد عبادتكم ، أي : لا أسلكها ولا أتقضي بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه . ولهذا قال : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، أي : لا تتقنون بأولئك الله وشرعه في عبادة ، بل قد اخترتم شيئاً من تقواء أنفسكم ، كما قال : (إن يتبعون إلا الظن ، وما تهوى الأنفس) ، ولقد جامعهم من دينهم الملقى) ، فبما أنهم في جميع ما هم فيه ، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول وأتباعه يعبدون الله ما شرعه ، ولهذا كان كلمة الإسلام « لا إله إلا الله عبد رسول الله » ، أي : لا معبود

(١) في المطبعة : « من عبد الله لعشر أو أسر » . ولا تدرى ما المقصود هنا . وقد وقع في الطباعت السابقة مكانه : « من عبد الرحمن بن » . وفي هامش المطبعة ٤٠٥/٦ : « وأخرج سفيان بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن مبرويه ، عن عبد الرحمن ابن نوفل الأشجعي » عن أبيه بنصره . وانظر أمه القلبية ، ترجمة نوفل بن فروة الأشجعي ، ٢٧٠/٥ - ٢٧١ : حقيقته .

إلا الله ولا طريق [إليه] إلا جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ، ولما قال لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (لكم دينكم ولي دين) ، كما قال تعالى : (وإن كذبك قول : لى على ولكم حكم ، ألم يرون ما أعمل ، وأنا يرى ما تعملون) (١) وقال (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) .

وقال البخارى : يقال : (لكم دينكم) الكفر ، (ولي دين) الإسلام . ولم يقل « دينى » لأن الآيات بالنون ، فحلفت إليه ، كما قال : (فهو يملين) و (يتخفين) : وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ، ولا أجيئكم فيما بينى من عمرى ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال : (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك مطياتنا وكفرا) ، انتهى ما ذكره (٢) :

وقتل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد ، كقوله (فان مع العسر يسرا : إن مع العسر يسرا) ، وكقوله : (ترون الجسيم) ثم ترونها حين اليقين (٣) : وحكاه بعضهم - كابن الجوزى - وغيره - عن ابن قتيبة : قاله أعلم به له ثلاثة أنواع : أولا ما ذكرناه أولا : الثانى : ما حكاه البخارى وغيره من التفسيرين أن المراد : (لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الماضى (ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى المستقبل ، الثالث : أن ذلك تأكيد ضمني .

وتم قوله وابع ، نصره أبو العباس (٤) بن تيمية فى بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : (لا أعبد ما تعبدون) نفي الفعل لأنها جملة فعلية ، (ولا أنا عابد ما عبدتم) ، نفي قوله لذلك بالكلية ، لأن النفي بالجملة الاسمى أكد ، فكانه نفي الفعل ، وكرهه قايلا لذلك ، ومنه نفي التورع ونفي الإمكان الشرعى أيضا : وهو قول حسن أيضا ، والله أعلم . وقد استدل الإمام أبو عبد الله الثانى وغيره بهذه الآية الكريمة : (لكم دينكم ولي دين) ، على أن الكفر كله ملة واحدة تؤوله اليهود من (٥) النصرانى ، وبالعكس : إذ كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ، لأن الأديان ما حدا الإسلام كلها كالنصارى الواحدة فى البطلان ، وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصرانى من اليهود وبالعكس ، لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتوارث أهل ملتين شتى (٦) .

آخر تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون) والله الحميد والمنة

(١) سورة يونس ، آية ٤٤ .

(٢) البخارى ، تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون) : ٢٢٠/٦ .

(٣) تفسير الطبرى : ٢١٤/٢٠ .

(٤) انظر « هوسمة » تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية « طبعه المند » : ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٥) لى ، تورث اليهود النصرانى . والرسالة قد تزيد (من) حل المقبول .

(٦) سنن أبى حنبل ، كتاب القرائن ، باب : هل يرث المسلم الكافر ؟ . ونقطة الأوصاف ، أبواب القرائن ، باب : ما جاء فى إبطال الإرث بين المسلم والكافر ، الحديث ٢١٩٠ : ٢٨٧/٦ . وابن ماجه ، كتاب القرائن ، باب : ذميراته أهل الإسلام من أهل الشرك ، الحديث ٢٧٢١ : ٩١٢/٢ . وصند الإمام أحمد : ١٩٥/٢ .

تفسير سورة اذا جاء نصر الله والفتح

وهي منية

قد تقدم آياتها عند ربيع القرآن ، و (إذا زلزلت) عند ربيع القرآن .

وقال قتادة : أخبرنا عبد بن إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جعفر ، عن أبي السَّمُيس (ح) - وأخبرنا أحمد بن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو السَّمُيس - عن عبد الجبيل بن سَهيل ، عن عبيد الله بن عبد الله بن حبة قال : قال لي ابن عباس : يا ابن حبة ، أعلم أكثر سورة من القرآن أولت ؟ قلت : نعم ، (إذا جاء نصر الله والفتح) ، قال : صدقت (١) .

وروي للحافظ أبو بكر الزُّرَّار والبيهقي ، من حديث موسى بن عبيدة الرُّبَيْدِيِّ ، من صلة بن يَسْكِر ، عن ابن عمر قال : أولت هذه السورة : (إذا جاء نصر الله والفتح) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط أيام التَّشْرِيق ، عرف أنه الوداع ، فلم يبرأ حتى قصده فرُحِلَتْ ، ثم قام فخطب الناس فقال : لا تذكروا غلبه المشورة .

[وقال] للحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن سليمان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّغَر ، حدثنا الأسطاسي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن (٢) العَرم ، عن هلاك بن عيَّاب ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : أولت : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاطمة وقال : إنه قد نُعِمْتُ لِي نَسِي ، فبكت لم يضحك ، وقالت : أخبرني أنه نُعِمْتُ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ ، ثم قال : أصبري فإني أول أهل الجنة . فضحكت .

وقد رواه قتادة - كما سيأتي - بدون ذكر فاطمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ تَحْمِيدَ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا أبو حوَّاة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : كان عمر يُدْعَى مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم يجتهد (٣) في نفسه ، فقال : لم يدخل ملأ منكم ولا ألباه

(١) رواه مسلم في كتاب التفسير عن حديث جعفر بن عون ، انظر : ٢٤٢/٨ - ٢٤٢ .

(٢) في المطبعة : « صاكر بن السوام » وهو خطأ ، انظر التلخيص : ٩٩/٥ .

(٣) أي : نفسه .

مثله ؟ فقال عمر : إنه من علمهم (١) : قد أحاط ذات يوم (٢) فأدخله معهم ، فأرؤيت أنه دعاني ليهزم يومئذ إلا ليهزمهم . فقال : ما قولون في قول الله - عز وجل - : (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا : وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكللك تقول يا ابن عباس ؟ قلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلمه له ، قال : (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجله ، (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) . فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول ، فردد به البخاري (٣) .

وروى ابن جرير ، عن محمد بن حميد ، عن مهران ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن أبي ذر ، عن ابن عباس . . . فذكر مثل هذه القصة ، أو نحوها (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضال ، حدثنا عطاء ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نُصِبَتْ إِلَى نَفْسِي . . . بأنه مقيض لي تلك السنة » فردد به أحمد (٥) .

وروى الحوفي ، عن ابن عباس ، مثله : وهكذا قال مجاهد ، وأبو المالكية ، والضحك ، وغير واحد : إنها أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نُصِبَتْ لِيهِ .

وقال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسى ، حدثنا الحسين بن عيسى الحنفي ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي حازم ، عن ابن عباس قال : بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة إذ قال : الله أكبر ، الله أكبر ، جاء نصر الله وفتح ، جاء أهل اليمن : قيل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والشفقة يمان ، والحكمة يمانية (٦) .

ثم رده عن ابن عبد الأجل ، عن ابن ثور ، عن معمر ، عن حكيمه ... مرصلا . وقال الطبراني : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو كامل الجحدري ، حدثنا أبو حوالة عن هلال بن خبيب ، عن حكيمه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) : حتى غم السورة ، قال : نُصِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - نفسه حين نزلت ، قال : فأخذ بأشد ما كان قط اجتهدا في أمر الأنفة : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » : فقال رجل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والشفقة يمان .

(١) يشير بهذا إلى تراجم من لقي صلى الله عليه وسلم : أو : إلى معرفته وفلسته .

(٢) في الصحيح : « ولما » . وما هنا يوافق ما في غزوة الفتح .

(٣) البخاري ، تفسير سورة (إذا جاء نصر الله) : ٢٢٠/٦ - ٢٢١ .

(٤) تفسير الطبري : ٣٠ / ٢١٥ - ٢١٦ .

(٥) مستدرك الإمام أحمد : ٢١٧/١ .

(٦) تفسير الطبري : ٣٠ / ٢١٥ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن قد نُصِيت إليه نفسه ، قيل : (إذا جاء نصر الله والفتح) : سورة كلها (١) .

حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حاصم ، عن أبي رزين : أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، قال : لما نزلت نُصِيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه (٢) .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن حنبل الوكيي ، حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبي السَّخْتَرِيِّ ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : (إذا جاء نصر الله والفتح) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتَرِيِّ الطالبي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لما نزلت هذه السورة : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، قرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى غشها ، فقال : « الفاتح حَيَّوْ (٣) » ، وألاً وأصبحت حَيَّوْ . » وقال : « لا هجرة بعد الفتح » ، ولكن جهاد وية ، قال له مَرْوَان : كلجت - وعنده رافع بن خديج ، وزيد ابن ثابت ، فاعلن به على السرير - قال أبو سعيد : لو شاء هلكن الدنيا ، ولكن هذا يخاف أن تزحه عن حِرَاة (٤) قومه ، وهذا يخشى أن تزحه عن الصلوة ، فرجع مروان عليه الدُّوة ليرسبه ، فلما رأى ذلك قال : صدق (٥) .

نقد به أحمد ، وهذا الذي أنكره مروان عن أبي سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم الفتح : « لا هجرة ، ولكن جهاد وية ، ولكن إذا استفرغتم فافتروا » ، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٤٤/١ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٥٦/١ .

(٣) أي : فاتحة وجماعة .

(٤) المرأة : من آل العريف ، وهو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس ، بل لعودم ، ويصرفه عنه الأمير لأمرهم .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٢/٢ ، وانظر المسند أيضاً : ١٨٧/٥ .

(٦) البخاري : كتاب الجهاد ، باب « فضل الجهاد والسير » : ١٧/٤ - ١٨ . ومسلم : كتاب الإمارة ، باب

« للمباينة بعد فتح مكة من الإسلام والجهاد والسير » ، ويزيد من : لا هجرة بعد الفتح : ٢٨/٦ .

ونحن المحدث : أن نحصل الخبر الذي سببه الهجرة قد اقتطع بفصح حكمة ، ولما به من وقع له قبل الفتح . ولكن بين الخبر الذي فيه الجهاد في سبيل الله ، والنية للصلاة ، فليكن أن يحصلوه جميعاً ، فلما طلب الإمام حكم الخروج إلى الجهاد أغرجهوا .

فألقى فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر - رضى الله عنهم أجمعين - من " أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا للملأان والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه ، ينحني نصل له ونستغفره - معنى ملبح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات ، فقال قاتلون : هي صلاة الضحى . وأخبارها بأنه لم يكن يراطلب عليها ، فكيف صلاحاً ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم يتن الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويكفر هو وجميع الجيش ، وكانوا يحوا من عشرة آلاف . قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح ، قالوا : فيستحب لأمر الجيش إذا فتح بلد أن يصل فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات ، وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح للملأان ، ثم قال بعضهم : يصلها كلها بتسليمة واحدة - والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين ، كما ورد في سنن أبي داود : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين : وأما (١) ما فسر به ابن عباس وعمر - رضى الله عنهم - من أن هذه السورة نعى فيها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه الكريمة ، وأعلم أنك إذا فضحت مكة - وهى : قريظة التى أغرتك - ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا ، فنهضاً للندوم علينا والوفود إلينا ، فالأخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال : (فسبح بحمد ربك . واستغفره إنه كان تواباً) .

قال السائل : أخبرنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو حنيفة ، عن حلال بن عباب ، عن حكرمة ، عن ابن عباس : قال ما أنزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) : إلى آخر السورة ، قال : نعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه حين أنزلت ، فأخذ في أشد ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك : « جاء الفتح ، وجاء نصر الله ، وجاء أهل اليمن » : فقال رجل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان عان ، والحكمة عانية ، والحققة عان » : وقال البخارى : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جري ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانه الله اللهم ربنا وبعملك اللهم اغفر لي » - يقول القرآن (٢) :

ونخرج بقية الجماعة إلا الترمذى ، من حديث منصور ، به (٣) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي حنيفة ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : قالت عائشة : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر في آخر أمره من قول : « سبحانه الله وبعمله ، استغفر الله وأتوب إليه » وقال : « إن ربى كان أخبرني أنك سأرى علامة في أمي ، وأمرني إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره ، إنه كان

(١) كلما ، ولم يقع لنا جواب ، أما ، ولعل ابن كثير قد فضل عنه ما طالع الكلام .

(٢) البخارى : تفسير سورة (إذا جاء نصر الله) = ٢٢٠/٦ .

(٣) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « وما يقال في الركوع والسجود » : ٢ / ٥٠ . وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة أيضاً ، باب « الدعاء في الركوع والسجود » . والسنن ، كتاب الاغتسال ، باب « الدعاء في السجود » - نزع آخر - ٢١٩/٢ . وابن ماجه ، كتاب الإملاء ، باب « التصحيح في الركوع والسجود » ، الحديث ٨٨٩ : ٢٨٧/١ . ومسنن الإمام أحمد من عائشة : ٤٣/٦ : ٤٩ : ١٩٠ .

هذا ومنى يتناول القرآن « يراه منى قوله تعالى » (فسبح بحمد ربك) ، وملا مقتضاه .

توباً ، قد رأيتها ؟ (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ؛ فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً (١)) .

ورواه مسلم (٢) من طريق داود - وهو ابن أبي هند - به .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا حاصم ، عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ولا يجي ، إلا قال : « سبحان الله وبحمده » . قلت : يا رسول الله ، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تلبس ولا يجي ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : « سبحان الله وبحمده » ؟ قال : « إن أمرت بها ، فقال : (إذا جاء نصر الله والفتح) » ... إلى آخر السورة (٣) .

غريبه ، وقد كتبنا حديث كفاية للمجلس من جميع طرقة وألفاظه في جزء مفرد ، فيكتب هامتا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله قال : « لا تزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا جاء نصر الله والفتح) » ، كان يكثر إذا قرأها - وروى - أن يقول : « سبحانك اللهم ربنا وبحمديك ، اللهم اغفر لي إنك أنت غفور الرحيم » (٤) .

فرواه به أحمد : ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، به .

والمراد بالفتح هامتا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتكلم (٥) بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبى . فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا ، فلم تحس سنان حتى استوسقت (٦) جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ، وهه الحمد والمنة . وقد روى البخاري في صحيحه ، عن عمرو بن سلمة قال : « لا كان الفتح يادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت الأحياء تتكلم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبى » (٧) . ولقد حُرِّروا غزوة الفتح في كتابنا : السيرة ، فمن أراد فليراجع هناك ، وهه الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني جابر بن عبد الله قال : قدمت من سفر فجاؤني جابر بن عبد الله ، فسلم على (٨) ، فبصلت أحدهم عن الفراق الناس وما أحلوا فجل جابر يبيكي ، ثم قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا ، وسيخرجون منه أفواجا (٩) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٥/٦ .

(٢) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود : ٥٠/٢ - ٥١ .

(٣) تفسير الطبري : ٢١٦/٣٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٨٨/١ .

(٥) أي : تتكلم .

(٦) أي : أجمعت طر الإيمان .

(٧) البخاري ، كتاب المغازي : ١٩١/٥ - ١٩٢ .

(٨) في المسند : « سلم جل » .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٣٤٢/٣ .

تفسير سورة تبت وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يُدَا أَيْ قَلْبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
لَحْلَبٍ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى الطحاء ، فصعد الجبل فتأذى : يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش ، فقال : «لَأَؤَيِّمَنَّ إِنَّ حَدَّكُمْ أَنْ الْبَدَنُ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُصْبِحُكُمْ ، أَكُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ لِلَّهِ لَكُمْ بِهِ يَدَىٰ عِلَالٍ شَدِيدٌ » ، فقال أبو لهب : لعلنا جئنا ؟ فقال : «فَأَنزَلَ اللَّهُ : (تَبَّتْ يُدَا أَيْ قَلْبٍ وَتَبَّ) » إلى آخرها (١) .

وفي رواية : «قام يقضى بنيه ، وهو يقول : هالك سائر اليوم ، لعلنا جئنا ؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ : (تَبَّتْ يُدَا أَيْ قَلْبٍ وَتَبَّ) » (٢) .

الأول دعاء [عليه] ، والثاني خبر عنه ، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واسمه : عبد العزى بن عبد المطلب ، وكنية أبو عتبة (٣) ، وإنما سمي «أبا لهب» لاشراق وجهه ، وكان كثير الأذى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والبغضة له ، والأحرار به ، والتقصي له ولذنبه .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي القزاد ، عن أبيه قال : أخبرني رجل - يقال له : ربيعة بن عتبة ، عن يبي الدَّيْل ، وكان جاهلياً فأسلم (٤) - قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية في سوق ذي اللجواز وهو يقول : «يا أيها الناس ، قولوا [لا إله إلا الله] فلهوا » ، ولناس يجمعون عليه ، ووراءه رجل وضوء الوجه أحرى ذو شخيرتين ، يقول : إنه صانع كاذب . فبه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا (٥) : هذا عم أبو لهب (٦) .

(١) البخارى : تفسير سورة (تَبَّتْ يُدَا أَيْ قَلْبٍ وَتَبَّ) : ٢٢١/٦ - ٢٢٢ .

(٢) انظر البخارى : كتاب الجنائز : باب « ذكر فراد المرق » : ١٢٩/٢ . وتفسير سورة الشعراء : ١٤٠/٦ .

وتفسير سورة (سبأ) : ١٥٣/٦ .

(٣) جهمرة أنساب العرب لابن حزم : ١٤ .

(٤) كلمة « فأسلم » غير ثابتة في المتن .

(٥) انظر المتن : « فسألت عنه ، فذكروا لي نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وقالوا : .

(٦) مستدرج الإمام أحمد : ٣٤١/٨ .

ثم وواه من سورتيج ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ... فذكره - قال أبو الزناد : قلت لربيعة : كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا ، والله إنني يومئذ لأعقل أني أؤخر القرية (١) ، فترد به أحد (٢) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عبيد الله بن عبيد الله يقول : إني لمع أبي رجل شاب (٣) ، أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتبع القبايل - ووراءه رجل أحول وضيء ، ذو جمعة (٤) - يتكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على القبيلة فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، أمركم أن تصلوا الله لا تشركوا به شيئاً ، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أفتدّ عن الله ما يعني به : وإذا فرغ من مقاله قال الآخر من خلفه : يا بني فلان ، هلنا يريد منكم أن تملأوا اللات والعزيز ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البلدة والفضالة ، فلا تسمعوا له ولا تنصروا . فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : عه أبو لب (٥) .

رواه أحمد (٦) ، أيضاً ، والطبراني بهذا اللفظ .

ف قوله تعالى : (تبت يدا أبي لب) ، أي : خسرت وخابيت ، وشغل عمله وسعيه ، (وتبت) ، أي : وقد تبت فمحت صلاته وماله .

وقوله : (ما أخفى عنه ماله وما كسبه) ، قال ابن عباس وغيره : (وما كسبه) ، يعني : ولده (٧) ، وروى عن عائشة ، ومجاهد ، وحطاب ، والحسن ، وابن سيرين ، مثله :

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا دعا قومه إلى الإيمان ، قال أبو لب : إن كان ما يقول ابن أخي حقاً ، فاني أفتدي نفسي يوم القيامة من المطلب على وولدي . فأقر الله : (ما أخفى عنه ماله وما كسبه) .

وقوله : (ميميل تاراً ذات لب) ، أي : ذات شرر ولهب وإحراق شديد ، (وأمر أنه حمالة الخطيب) ، وكانت زوجته من مبادات نساء قريش ، وهي : أم جميل ، واسمها أروى بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان . وكانت حونا لزوجها على كفره وجحده وعناده ، فلذلك تكون يوم القيامة حونا عليه في حمله في نار جهنم . ولما قال : (حمالة الخطيب . في جبهها جبل من مسد) ، يعني : تحمل الخطيب فطى على زوجها ، ليزداد على ما هو فيه ، وهي مهيأة لذلك مستعدة له .

(في جبهها جبل من مسد) - قال مجاهد ، وعروة : من مسد النار .

ومن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقادة ، والثوري ، والسدي : (حمالة الخطيب) : كانت تمشي بالنميمة .

(١) يمدح في المسند : ٥/١ : أسلمها .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٤١/٤ - ٣٤٢ .

(٣) لفظ السيرة : « إلى لنظام شاب مع أبيه » .

(٤) الجملة - يضم الجيم - « ما سقط من شعر الرأس على المنكبين » .

(٥) سيرة ابن هشام : ٤٧٣/١ . وانظر أيضاً السيرة : ٣٥١/١ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٩٢/٣ .

(٧) تفسير الطبري : ٢١٨/٢٥ .

وقال العوفي عن ابن عباس ، وصليته الجليل ، والفضلك ، وابن زيد : كانت قطع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واختاره ابن جرير (١) .

قال ابن جرير : وقيل : كانت نمر التي صلى الله عليه وسلم بالقرى ، وكانت تحلب ، فمرت بذلك ، كلها حكاية ، ولم يوه إلى أحد ، والصحيح الأول ، والله أعلم .

قال سعيد بن المسيب : كانت لما قلادة فائرة ، قالت : لأتقنها في حذوة عمه ، يعني فأعطيا الله بها حبالا في جهنما من سد النار .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سلم مولى الشعبي ، عن الشعبي قال : السد اليث (٢) .

وقال عروة بن الزبير : السد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا (٣) .

ومن الثوري : هي قلادة من لؤلؤ ، طولها سبعون ذراعا .

وقال الجوهري : السد : القيد ، والسد أيضا : حبل من ليف أو عوص ، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ، وسدلت الحبل أسداه مسددا : إذا أجدت فقه (٤) .

وقال جاهد : (في جهنما حبل من سد) ، أي : طوق من حديد ، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة (٥) مسددا (٦) .

وقال ابن أبي خاتم : حدثنا أبو وأبو زرعة قالا : حدثنا عبد الله بن الزبير الحمصي ، حدثنا سفيان ، حدثنا الوليد بن كثير ، عن ابن بلوي (٧) ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال قلت : (ثبت هذا لي به) ، أثبت العود أم جميل بنت حرب ، ولما ولوة ، وفي هذا خبر ، وهي هوك : مسددا أثبتنا . وحينه فلقينا . ولحمه حطبنا .

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أثبتت وأنا أعفك عليك أن ترك : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إنها لي تراف) . وقرأ قرأنا انصم به ، كما قال تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) . فأثبتت حتى وقعت حل أبي بكر ولم تر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قالت : يا أبا بكر ، إني أخبرت أن صاحبك جعلني ؟ قال : لا .

(١) قوله : واختاره ابن جرير : وقع في المطبعة : به ولم يوه إلى أحد ، التي سكت . وقد أثبتنا هذا احتجاجا . حل ثوب القيرى : ٢١٩/٣٠ : ولولوا القيرين في ذلك بالصواب حتى قول من قال : كانت تحمل الشوك فطرحة في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن ذلك هو الظاهر . هذا ويلاحظ أن ابن كثير لم يولأ المسد ، ثم سر : مسألة الحطب ، ثم عاد فأكمل شرح المسد ، ونحن لا نلتزم إلى ترتيب المطبعة .

(٢) لم يقع لنا هذا الآخر في تفسير القيرى .

(٣) تفسير القيرى : ٣٠ : ٢٢٠ .

(٤) الصحاح لجوهري : مادة سد : ١ : ٥٣٦ - ٥٣٧ .

(٥) البكرة - قطع البلاء - ما يثني عليها .

(٦) انظر تفسير القيرى : ٢٣٠٪ ٢٢٠ .

(٧) كما : ابن بلوي . وقد جهنما في البحث عنه ، ولم نجد . ولما استترك لنا به .

ورب هذا البيت ما هجاك : فقلت وهي قول : قد علمت قريش أن ابنه سيدها : قال : وقال الوليد في حديثه ، أو غيره : فمضت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت (١) ، فقالت : تعس مكرم : فقالت أم حكيم بنت حيد للطلب : إني لحسان فأكلم ، ونكاف (٢) فأكلم ، وكلنا من بني النعم ، وقريش يد أمك :

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن حماد بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : لا تزل : (تبت هذا البيت) [جاءت امرأة أبي لب] - ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس ، ومعه أبو بكر - فقال له أبو بكر : لو كنت حيث لا تُؤذي بك بشيء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إني مستحجال بيني وبينها » : فأتيت حتى وقعت على أبي بكر فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك . قال أبو بكر : لا ، ورب هذه البنية ما تعلق بالشعر ولا يضره به . فقالت : إنك لصديق ، فلما ولت قال أبو بكر - رضي الله عنه - : ما رأيتك ؟ قال : لا ، ما زال ملك يسترقني حتى ولت . ثم قال البزار : لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد ، عن أبي بكر ، رضي الله عنه :

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : (في جديها حبل من ممد) ، أي : في عنقها حبل من نار تُرْفَع به إلى شفيرها ، ثم يرمى بها إلى أسفلها ، ثم كذلك دائما :

قال أبو الخطاب بن دحية (٣) في كتابه التنوير - وقد روى ذلك - : وعبر بالمد من حبل النار ، كما قال أبو حنيفة البنوري في كتاب «النبات» كل مسد : رشاه ، وأشد في ذلك :

وَبِكْرَةٌ وَمِحْجُورٌ صِرْكٌ وَمَسَدٌ مِنْ أَيْنٍ مُكَرَّرٍ (١)

قال : والآخر القشبة ،

وقال الآخر (٥) :

يَا مَسَدَ الْخَوْصِ تَعَوَّذْ مِنِّي . إِنَّ تَكُ لَدُنَّا لَبَيْتًا طَائِي

مَا شِئْتَ مِنْ أَشْمَطِ مُكْسِتِينَ (٦)

قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فانه منذ نزل قوله تعالى : (يعصلي لرا) ذات لب وامرأته حمالة الحطب . في جديها حبل من ممد) ، فأخبرتهما باللقاء وعلم الإيمان ، لم يقبض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما لا ظاهرا ولا باطنا ، لا مسرا ولا مغلنا ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة .

(١) في الخطوبة : « بالبيت في مرطها » : ففكرت كلمة في مرطها .

(٢) أي : ذات فطنة ومصرة بما يحتاج إليه .

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجليل بن دحية الكلبي الأندلسي . كان من أشهار العلماء . معتقدا لعلم الحديث وما يتلوه ، عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب وأخبارها . وقد تلمذ للجامع الجليل . ودخل مصر ، وبني له الكمال دار الحديث الكلية بالقاهرة ، وجعله شيخها . حدث عنه ابن الصلاح وغيره . وتوفى سنة ٦٣٣ هـ .

هذا وكتاب التنوير عنه الملك « إدريس » وكان مولد بسل مولد النبي صلى الله عليه وسلم - كما يقول ابن خلكان - ومعه « للتنوير في مولد السراج المنير » . انظر وفيات الأعيان : ١٢٢/٣ .

(٤) المحرور - بكسر الميم ، وسكون الحاء ، وفتح الراء - : المراد الذي في وسط البكرة ، وربما كان من صعيد . والمغار : الحكم للقتل .

(٥) الرجز في الصحاح : مادة مسد : ٣٦/١ .

(٦) الشمت - بانتحان - : اختلاف الشعر بالرفق من سواد وبياض ، والمنتحن : الذي قد انتحن في منه ، وليس به ضعف كعب ولا قوة شباب . وقيل : هو الذي في آخر الشباب .

تفسير سورة الاخلاص وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفصلتها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعد (١) محمد بن ميسرة الصاغاني ، حدثنا أبو جعفر الرزقي ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : أن للشركيين قالوا للنبى - صلى الله عليه وسلم - يا محمد ، انسبه لنا ربك ، فأول الله : (قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد ولم يولد : ولم يكن له كفوا أحد) (٢) .

وكذا رواه الترمذى ، وابن جرير ، عن أحمد بن منيع - زاد ابن جرير - وعمود بن خداش - عن أبي سعد محمد بن ميسرة - زاد ابن جرير والترمذى - قال : (الصمد) الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شيء يولد إلا سيئوت ، وليس شيء يموت إلا سيئوت ، وإن الله - جل جلاله - لا يموت ولا يورث ، (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن له شبه ولا حله (٣) وليس كمثله شيء (٤) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن حديث أبي سعد محمد بن ميسرة ، به . ثم رواه الترمذى عن عبد بن حميد ، عن عبد الله ابن موسى ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ذكره مرسلًا ولم يذكره لأخباره . ثم قال الترمذى : وهذا أصح من حديث أبي [سعد] (٥) .

حديث آخر في معناه ، قال الحافظ أبو يعلى الوصل : حدثنا صريع بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن عباد ، عن عباد ، عن الشعبي ، عن جابر : أن أمرايا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : انسبه لنا ربك . فأول الله عز وجل : (قل هو الله أحد) : إلى آخرها . إسناده مقارب .

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن حوف ، عن صريع : ذكره (٦) : وقد أرسله غير واحد من السلف .
خسروى طييد بن إسماعيل الطنكاري ، عن قيس بن الربيع ، عن حاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : قالت قرينة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - انسبه لنا ربك ، فزلت هذه السورة : (قل هو الله أحد) .
قال الطبراني : رواه القرياني وغيره ، عن قيس ، عن أبي حاصم ، عن أبي وائل ، مرسلًا . ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن حبان الطائفي ، عن الوراق بن نافع ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكل شيء فية ، ونسبه الله : قل هو الله أحد .

(١) كذا في المطبوعة ، ومثله في المصحح والتبديل ١٠٥/٢/٤ . ونسخة الأحرف . وفي المتن والخط : وأبو سعيد .
(٢) صفة الإمام أحمد : ١٣٣/٥ - ١٣٤ .
(٣) حله - بكسر فسكون - ، مثل .
(٤) نسخة الأحرف ، تفسير سورة الإنعلاء ، الحديث ٣٤٧٣ : ٢٩٩/٩ - ٣٠٠ ، وتفسير الطبري : ٢٢١/٣٠ .
(٥) نسخة الأحرف ، تفسير سورة الإنعلاء ، الحديث ٣٤٧٤ : ٢٩٩/٩ - ٣٠١ .
(٦) تفسير الطبري : ٢٢١/٣٠ .

حديث آخر في فضلها ، قال البخارى : حدثنا محمد - هو اللهكى - حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو ، عن ابن أبي هلال ، أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه ، عن أمه عسرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - عن عائشة : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بنت رجلا على سريره ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم : (قل هو الله أحد) فلما وجبوا [ذكروا] ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « صلوه » لئى شيء يصنع ذلك ؟ فسأله ، قال : لأنها صفة الرحمن ، وأما أحب أن أقرأها ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أخبروه أن الله تعالى به » .

حكاه رواه في كتاب « التوحيد (١) » : ومنهم من يسقط ذكر « محمد لله » ، ويجعله من رواجه عن أحمد ابن صالح . وقد رواه مسلم والترمذى أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن [الحارث] ، عن سيد بن أبي هلال ، به (٢) .

حديث آخر ، قال البخارى في كتاب الصلاة : « وقال عبيد الله : عن ثابت ، عن أنس قال : كان رجل من الأنصار يؤتمهم في مسجد قباء ، فكان كلما اختتم سورة يقرأ بها لم في الصلاة ما يقرأ به ، اختتم : (قل هو الله أحد) حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلته أصحابه قالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تخرجك حتى تقرأ بالأخرى ، فلما أن قرأها ، ولما أن قدها وتقرأ بأخرى ، قال : ما أنا بشاركها ، إن أحببت أن أؤمكم بذلك فعلت ، وإن كرهتم ترككم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يؤتمهم غيره . فلما أتم النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبروه الخبر قال : يا فلان ، « ما يمكنك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك » وما حملك (٣) على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ قال : إني أحبها ، قال : « حبك إياها أدخلك الجنة (٤) » .

حكاه رواه البخارى تعليقا جزوما به : وقد رواه أبو حنيفة الترمذى في جامعه ، عن البخارى ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن عبد العزيز بن محمد الدراورذى ، عن عبيد الله بن عمر ، فذكر بإسناده مثله سواه ، ثم قال الترمذى : « غريب من حديث عبيد الله ، عن ثابت : قال : « وروى ميمون بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) . قال : « إني حبك إياها أدخلك الجنة (٥) » . وهذا الذى حقه الترمذى قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا ، قال :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إني أحب هذه السورة : (قل هو الله أحد) . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « حبك إياها أدخلك الجنة (٦) » .

(١) البخارى كتاب التوحيد : ١٤٠/٩ - ١٤١ .

(٢) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) : ٢٠٠/٢ . والشافعى ، كتاب الاختصاص ، باب : الفضل في قراءة (قل هو الله أحد) : ١٧٠/٢ - ١٧١ .

(٣) في البخارى : « وما يصنعك » .

(٤) البخارى ، كتاب الأيمان ، باب : الجمع بين السورتين في الركعة : ١٩٦/١ - ١٩٧ .

(٥) نسخة الاخروى ، أبواب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة الاخلاص ، الحديث : ٢١٦ - ٢١٧/٨ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٤١/٣ .

حديث في كتبنا هذا ثلاث القرآن ، قال البخاري : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن أبي صمم ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، أن رجلا سمع رجلا يقرأ : (قل هو الله أحد) ،
يردها ، فلما أصبح جاءه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له ، وكان الرجل يقاتها ، فقال النبي - صلى الله
عليه وسلم - : « واللي نفسي بيده إنها تصلك ثلاث القرآن » - زاد إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، عن عبد الرحمن
ابن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : أخبرني أنس بن مالك ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم (١) .
وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن يوسف ، والقعني (٢) ، ورواه أبو داود عن القعني (٣) ، والنسائي من
قصة ، كلهم عن مالك ، به : وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن
مالك ، به .

حديث آخر ، قال البخاري : حدثنا عجم بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم والفضالة
المشركية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلاث
القرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا : آيتنا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ . فقال : « الله الواحد الصمد ثلاث
القرآن (٤) » .

نورد بأخرجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والفضالة بن شريح المديني المشرق ، كلاهما عن
أبي سعيد ، قال القزويني : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال : قال أبو عبد الله البخاري :
عن إبراهيم (٥) مرسل ، وعن الفضالة مستد :

حدثنا آخر قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن أبي الميم
عن أبي سعيد الخدري قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله : (قل هو الله أحد) ، فذكر ذلك النبي - صلى الله
عليه وسلم - فقال : « واللي نفسي بيده لتحمل نصف القرآن ، أو : لته (٦) » .

— حدثنا آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لمية ، حدثنا حبان بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن
الحري ، عن عبد الله بن عمرو : أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث
القرآن كل ليلة ؟ فقالوا : وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال : فإن (قل هو الله أحد) ثلاث القرآن . قال : فبأه
— صلى الله عليه وسلم - وهو يسمع أبا أيوب ، فقال : « صدق أبو أيوب (٧) » .

(١) البخاري : كتاب التوحيد : ١٤٠/٩ .

(٢) البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل هو الله أحد) : ٢٣٢/٦ . وكتاب الإيمان ، باب : كيف كان بين
النبي - صلى الله عليه وسلم - : ١٦٣/٨ - ١٦٤ - .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الوتر ، باب : في سورة القصة .

(٤) في البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل هو الله أحد) : ٢٣٣/٦ .

(٥) فتح الباري : ١٠٠/٩ . والبراد إن رواية إبراهيم النخعي من أبي سعيد مقطوعة ، ورواية الفضالة منه صالحة - وأبو
عبد الله المذكور هو البخاري المصنف . . .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٥/٣ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١٧٢/٢ .

— حديث آخر ، قال أبو هنيئ الترمذى : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسان ، أخبرني أبو حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لِحَشَّتُوا (١) نِى سَأْتَرَأُ عَلَيْكُم ثَلْثُ الْقُرْآنِ » . فحشد من حشد ، ثم خرج نبي الله — صلى الله عليه وسلم — قرأ : (قل : هو الله أحد) : ثم دخل فقال بعمتنا لبعض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَإِنِى سَأْتَرَأُ عَلَيْكُم ثَلْثُ الْقُرْآنِ » . إِنِى لَأَرَى هَذَا خَيْرَأُ جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ مَرَجَ نَبِىُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنِى قُلْتُ سَأْتَرَأُ عَلَيْكُم ثَلْثُ الْقُرْآنِ ، أَلَا وَإِنِّهَا تَعْدِلُ ثَلْثُ الْقُرْآنِ (٢) » . وَهَكَذَا رَوَاهُ سَلَمٌ (٣) فِي صَحِيحِهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَارٍ ، بِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذَى : « حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، وَاسْمُ أَبِي حَازِمٍ سَلَمٌ (٤) » .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن زائدة بن ثداعة ، عن منصور ، عن حلال ابن يساف ، عن الربيع بن خثيم ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن امرأة من الأنصار ، عن أبي أيوب ، عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « أَسْجِرُ لَكُمْ أَنْ يَتْرَأَ ثَلْثُ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ ؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ) فِي لَيْلَةٍ ، فَقَدْ قَرَأَ ثَلْثُ الْقُرْآنِ (٥) » .

هذا حديث فُصِّلَ الإسناد للإمام أحمد . ورواه الترمذى (٦) والنسائي ، كلاماً عن محمد بن بشر ينقل — زاد الترمذى (٧) — وفيه — كلاماً عن عبد الرحمن بن مهدي ، به : فصار لها عتقاً : وفي رواية الترمذى : « عن امرأة أبي أيوب ، عن أبي أيوب » ، به : ثم قال : وفي الباب عن أبي التواء ، وأبي سعيد ، وقائدة بن النعمان ، وأبي هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبي مسعود ، وهذا حديث حسن ، ولا تعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية « زائدة » . وتابعه علي بن رواحة إسرائيل ، والقشيري بن عباس ، وقد رَوَى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور ، وانظر في (٨) .

— حديث آخر ، قال أحمد : حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن حلال بن يساف ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب — أو : رجل من الأنصار — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « مَنْ قَرَأَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثَلْثَ الْقُرْآنِ » :

ورواه النسائي في « اليوم واليلة » ، من حديث هشيم ، عن حصين ، عن ابن أبي ليلى ، به : ولم يقع في روايته حلال بن يساف .

— حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن مقيان ، عن أبي قيس ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبي مسعود ، قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (قل : هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن (٩) .

(١) أي اجتمعوا واضطربوا الناس .

(٢) قفلة الأخرى ، أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة الإخلاص ، الحديث ٣٠٦٢ : ٣١١/٨ — ٢١٢ .

(٣) انظر مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل (قل هو الله أحد) : ١٩٩/٢ — ٢٠٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤١٨/٥ — ٤٦٩ .

(٥) قفلة الأخرى ، أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة الإخلاص ، الحديث ٣٠٦٢ : ٣٠٦/٨ — ٢٠٧/٨ .

(٦) والنسائي ، كتاب الاعتصاف ، باب القشيري في قراءة : (قل هو الله أحد) : ١٧٢/١٧١/٢ .

(٧) لم تقع لنا رواية الترمذى عن شعبة . وله من القائل : والله أعلم .

(٨) مسند الإمام أحمد : ١٧٢/٤ .

ومكنا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع ، به (١). ورواه النسائي في اليوم واليلة ، من طرق آخر ، عن عمرو بن ميمون ، مرفوعاً وموقفاً .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد ، حدثنا جيز ، حدثنا بكير بن أبي السميع ، حدثنا قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أيسجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا : نعم (٢) يا رسول الله ، نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال : « فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، (٣) قل هو الله أحد (٤) ثلث (٥) القرآن (٦) » .

ورواه مسلم والنسائي ، من حديث قتادة ، به (٥) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد ، حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم - ابن أبي شهاب - عن غم الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « (قل : هو الله أحد) تحمل ثلث القرآن (٦) » .

وكنا رواه النسائي في اليوم واليلة ، عن عمرو بن علي ، عن أمية بن خالد ، به : ثم زواه من طريق مالك ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، قوله : ورواه النسائي أيضاً في اليوم واليلة ، من حديث محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن الفضيل الأصمري ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن : أن نكراً من أصحابنا محمد - صلى الله عليه وسلم - حدثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « (قل : هو الله أحد) تحمل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة ، قال الإمام مالك بن أنس ، عن عبيد الله بن عبد الرحمن ، عن عبيد ابن جحش قال : سمعت أبا هريرة يقول : أتيت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - نسم رجلاً يقرأ (قل : هو الله أحد) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « وَجِبَتْ قُلْتُ : وما وَجِبَتْ ؟ قال : الجنة (٧) » .

ورواه الرملي والنسائي ، من حديث مالك ، وقال الرملي : « حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث مالك (٨) » .

وقدّم حديث : « حُبِّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ » .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب : ثواب القرآن ، الحديث ٣٧٨٩ ، ١٢٤٥/٢ .

(٢) كلمة « نعم » غير ثابتة في المتن .

(٣) لفظ المتن : « (قل : هو الله أحد) جزء من أجزاءه » .

(٤) سنة الإمام أحمد ، ٤٤٧/١ .

(٥) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل (قل : هو الله أحد) : ١٩٩/٢ .

(٦) سنة الإمام أحمد ، ٤٠٣/٦ - ٤٠٤ .

(٧) الموطأ ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في قراءة (قل : هو الله أحد) (وتبارك الذي بيده الملك) الحديث ١٨ ، ٢٠٨/٧ .

(٨) تحفة الأشرقي ، أبواب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص ، الحديث ٣٠٦١ ، ٢٠٩/٨ . والنسائي ،

كتاب الانتصاف ، باب الفضل في قراءة (قل : هو الله أحد) ١٧١/٢ .

حدث في تكرار قراءتها ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا قطن (١) بن نُسْرٍ ، حدثنا عيسى بن ميمون (٢) القريشى ، حدثنا يزيد الرقاشى ، عن أنس قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : «لما يستطيع أحدكم أن يقرأ : (قل : هو الله أحد) ثلاث مرات في ليلة ، فأنها تدخل ثلث القرآن ؟ »
 هنا إسناد ضعيف ، وأجود منه حديث آخر ، قال عبد الله ابن الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن أبي بكر المكدنى ، حدثنا فضلك بن غنم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن أسيد بن أبي أسيد ، عن معاذ بن عبد الله بن غنيم ، عن أبيه قال : أمابنا طش (٣) وظلمة ، فانتظروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصل لنا ، فخرج فالتق يدى ، فقال : قل : فسكت ، قال : قل : قلت : ما أقول ؟ قال : (قل هو الله أحد) وللهوذايحيى يحيىسمى ويحيى تصبح ثلاثا ، تكلك كل يوم مرتين (٤) .

ورواه أبو دلود والرملى والشافعى ، من حديث ابن أبي ذئب ، به (٥) : وقال الرملى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه : وقد رواه الشافعى من طريق أخرى ، عن معاذ بن عبد الله بن غنيم ، عن أبيه ، عن عتبة بن عامر ،
 فذكره .

حديث آخر في ذلك ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثني الحليل بن مرة ، عن الأكره بن عبد الله ، عن نعيم النخعى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قال : لا إله إلا الله ، واحدا أحدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له كفوا أحد - عشر مرات - كتب له أربعون ألف الف الف حسنة (٦) »

فرد به أحمد ، والحليل بن مرة : ضبطه البخارى وغيره بحرفه

حديث آخر ، قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زياد بن فاك ، عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهنى ، عن أبيه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قرأ (قل هو الله أحد) حتى يحتسبها - عشر مرات - ينى الله له قصر فى الجنة » فقال عمر : إذن نستكثر يلو رسول الله : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الله أكثر وأطيب » : فرد به أحمد (٧) .

ورواه أبو محمد النخعى فى مسنده فقال : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيو ، حدثنا أبو حنبل [زهرة] بن محمد قال النخعى - وكان من الأبدال (٨) - أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(١) فى المطبعة : « من بن بنجر » . ولعل السواب ما أنقذه . وقطان بن نسر - كما فى التلخيص ٢٨٢/٨ - يروى عنه أبو يعل .

(٢) كلما فى المطبعة . وله عيسى بن يونس القريشى الترمذى فى التلخيص . ٢٢٥/٨ .

(٣) فى المطبعة : « طش » . ولكتبت عن المسند . والطنش : الحمار الصغير الثقيل .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣١٢/٥ .

(٥) سنن أبى دارود : كتاب الأدب ، باب : « ما يقول إذا أصبح » . والشافعى : كتاب الاستسقاء : ٢٥٠/٨ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٠٢/٤ . وقد أخرجه قزوينى فى أبواب اللعوات ، الحديث ٣٥٤ : ٤٤٢/٩ - ٤٤٣ . من حديث قتيبة عن أبيه .

(٧) مسند الإمام أحمد ٤٣٧/٣ .

(٨) الأبدال : هم الأولاد والعباد القراة يدل - بكسر فسكون - ويدل - بفتحين - : سواء بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخره .

« من قرأ (قل) هُوَ الله أحد) - عشر مرات - يبي الله له قصراً في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة يبي الله له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة يبي الله له ثلاثة قصور في الجنة » : قال عمر بن الخطاب : « إذن ! تكثر قصودنا ؟ » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الله أوسع من ذلك (١) » : وهذا مرسل جيد .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا نصر بن حل ، حدثني نوح بن قيس ، أخبرني محمد الطاهر ، أخبرني أم كثير الأنصارية ، عن أنس بن مالك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قرأ (قل) هُوَ الله أحد) خمسين مرة عكفرت له ذنوب خمسين سنة » : إسناده ضعيف .

حديث آخر ، قال أبو يعلى : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حاتم بن ميمون ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من قرأ في يوم (قل) هُوَ الله أحد) - مائتي مرة - كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة ، إلا أن يكون عليه دين » [إسناده (٢) ضعيف ، حاتم بن ميمون : ضعفه البخاري وغيره] : ورواه الترمذي ، عن محمد بن مرزوق البصري ، عن حاتم بن ميمون ، به : ولفظه : « من قرأ كل يوم ، مائتي مرة (قل) هُوَ الله أحد » حتى عكفرت له ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين (٣) .

قال الترمذي : وهذا الاستاد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أراد أن يتم حل فراشه ، فنام حل بعينه ، لم قرأ (قل) هُوَ الله أحد) مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب - عز وجل - يا عبدي ، ادخل حل بيتك الجنة » .

ثم قال : « غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه » ، عه (٣) .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حبان (٤) بن أغلب ، حدثنا ثوبان ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ (قل) هُوَ الله أحد) - مائتي مرة - حمل الله عنه ذنوب مائتي سنة » .

ثم قال : « ولا أعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر ، والأغلب بن نعيم ، وهما مقاربان في سوء الحفظ » .

حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء ، قال النسائي عند تفسيرها : حدثنا عبد الرحمن بن خالد ، حدثنا زيد ابن الخطاب ، حدثني مالك بن مغزل ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، عن أبيه : أنه دخل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد ، فإذا رجل يصلي ، يدعو يقول : اللهم ، إني أسألك بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد : قال : « والذي نفسي بيده ، قد سأله باسمه الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب » (٥) .

(١) سنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن : باب في فضل (قل) هُوَ الله أحد : ٣٣٠/٢ .

(٢) ما بين القوسين وقع في المخطوطة قبل هذا ، قول ابن كثير ، « ورواه أبو محمد الترمذي في مسته » .

(٣) تحفة الإحسان ، أبواب الفضائل : باب وما جاء في سورة الإخلاص : الحديث ٣٠٦٢ : ٢١١/٨ - ٢١١ .

(٤) وقت تسمية حيان ، هذا في البحر ٢٩٧/٢/١ ، فيمن شبط بفتح الحاء . ويقول الشيخ عفيف البحر : « ذكره ابن ماكولا فيمن يقال له حيان ، بالكسر » .

(٥) انظر سنن النسائي : كتاب التوب : باب الدعاء عند الذكر : ٥٢/٧ .

وقد اشرجه بقية اصحاب السنن من طرق ، عن مالك بن ميمون ، عن عبد الله بن مبركة ، عن أبيه ، به ، وقال
الترمذي : حسن غريب (١) .

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد [للكبوة (٢)] : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عبد الأهل ، حدثنا بشر
ابن منصور ، عن عمر بن (٣) شيان ، عن أبي شلاد ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء ، وزوج من الخور العين حيث شاء » ، من هنا عن
قائله (٤) ، وأدى دينا خفيا ، وقرأ في دير كل صلاة مكتوبة - عشر مرات - (قل هو الله أحد) : قال : قال
أبو بكر : أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال : « أو إحداهن » .

حديث في قراءتها عند دخول المنزل ، قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج
المسكري ، حدثنا محمد بن القرج ، حدثنا محمد بن الزبير ثان ، عن مروان بن سالم ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن عمرو بن جرير ،
عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من قرأ (قل هو الله أحد) حين يدخل منزله
نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » . إسناده ضعيف .

حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال ، قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن إسحاق السبيعي ، حدثنا يزيد
ابن هارون ، عن البلاد أبي (٥) محمد التقي قال : سمعت أنس بن مالك يقول : « كما مع رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ببيتك ، فطلعت الشمس بضيء وشامع ونور لم ترها طلعت لها مضيئة ، تأتي جبريل النبي - صلى الله عليه
وسلم - فقال : يا جبريل ، مالي لرى للشمس طلعت اليوم بضيء ونور وشامع لم ترها طلعت [مضيئة] يا مضيئة ؟
قال : إن ذلك معاوية بن معاوية البثني ، مات بالدينة اليوم ، فبث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه : قال :
« ولم ذلك ؟ قال : كان يكرر قراءة (قل هو الله أحد) في الليل وفي النهار ، وفي مشاء وقيامه وقعوده ، فهل لك
يا رسول الله أن أقبض لك الأرض لفصل عليه ؟ قال : « نعم » . فصل عليه .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة « من طريق يزيد بن هارون ، عن البلاد أبي (٦) محمد - وهو منهم
بالوضع - فإنه أحمل » .

طريق أخرى ، قال أبو يعلى : حدثنا محمد بن إبراهيم الشافعي أبو عبد الله ، حدثنا عثمان بن الليث - مؤلف مسند الجامع
بالبصرة مئتي - عن محمود أبي عبد الله ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبي - صلى الله
عليه وسلم - فقال : مات معاوية بن معاوية البثني ، فكتب أن تصل عليه ؟ قال : « نعم » . فصر بجنبه الأرض ،

(١) سنن أبي داود كتاب الوتر ، باب « الدعاء » . ونجعة الأحرف ، أبواب الدعوات ، باب « ما جاء في جامع الدعوات
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣٥٤٢ : ٤٤٥/٩ : ٤٤٦ . وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب « اسم الله الأعظم » ،
الحديث ٣٨٥٧ : ١٢٦٧/٢ : ١٢٦٨ .

(٢) ما بين القوسين من الطبعات السابقة ، وفي المخطوطة مكانها : « للفرجة » .

(٣) لم تقع لنا ترجمة « عمر بن شيان » . وكلمة « شيان » غير واضحة في المخطوطة .

(٤) في المخطوطة : « قلابة » . ولكتب من الطبعات السابقة ، والله للتعرف : ٤٢١/٦ .

(٥) في المخطوطة : « الملا بن محمد » . ولكتب من أمه قلابة ، ترجمة « معاوية ابن معاوية » ٢١٥/٥ . والبلاد هو ابن زيه
الفتي أبو محمد ، مترجم في الجرح والمعد إلى : ٢٥٥/١/٢ .

(٦) انظر أمه قلابة : ٢١٤/٥ - ٢١٥ .

لم تبق شجرة ولا أكمة إلا تفضحت ، فرغم سريره فخر إليه ، ففكر عليه وخففه صفاء من اللامعة ، في كل صفة
 صيرون أنت ملك ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يا جبريل ، بم قال هذه الملائكة من الله تعالى ؟ » قال :
 « فكل هو الله أحد » وقرأته بإيها خاهبا وجائيا قائما وقاعدا ، وعلى كل حال .
 ورواه البيهقي ، من رواية عثمان بن أبي شيبة الموصلة ، من محبوب بن حلال ، من عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس (١) .
 لا ذكره ، وحلها هو الصواب ، وحبيب بن حلال قال أبو حاتم الرازي : « ليس بالشهور (٢) » . وقد روى هذا من
 طرق أخرى ، تركناها اختصارا ، وكلها ضعيفة .

حدثني آخر في فضلها مع المؤمنين ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو الفرة ، حدثنا معاذ بن ربيعة ، حدثني عن
 ابن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن حبة بن عامر قال : قيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتته
 فأخبرت يده ، قلت : يا رسول الله ، بم نجا للذين ؟ قال : « يا حبة ، أغرس لسانك ولتسبحك يضحك ، وأباك حل
 حطيتك » قال : لم تقبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاني فأخذ يدي ، فقال : « يا حبة بن عامر ،
 ألا أعلمك خير ثلاث سور أزلت في العورة ، والإنجيل ، والرؤيا ، والقرآن العظيم ؟ » قال : قلت : بلى ، جعلني
 الله فداك ، قال : فأقرأني (فكل : هو الله أحد) و (قل : أعوذُ برب الفلق) و (قل : أعوذُ برب الناس) ،
 ثم قال : « يا حبة ، لا تتسهنن ولا تبئن ليلة حتى تهرأين » قال : فما نصيحتك من ذلك ، لا تسهنن ، وما بت ليلة
 [قل : حتى أكرهن] قال حبة : لم تقبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتته ، فأخبرت يده قلت : يا رسول الله
 أخبرني بفواصل الأعمال ، فقال : « يا حبة ، صل من طلعك ، وأصل من حرمك ، وأعرض عن ظلمك (٣) » .
 روى الترمذي بفواصل بعضه في (الإهداء) ، من حديث عبيد الله بن زحرف ، عن علي بن يزيد وقال : « هذا حديث حسن »
 وقد رواه أحمد من طريق آخر .

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن هيكاش ، عن أسيد بن عبد الرحمن الكنتامي ، عن فروة بن مجاهد الطخمي ،
 عن حبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « فذكر مثله سواء . فذكره (٤) أحمد .
 حدثني آخر في الاستشفاء به ، قال البخاري : حدثنا تميم ، حدثنا الفضل ، عن حنبل ، عن ابن شهاب ،
 عن فروة ، عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أوى إلى فراشه بكل ليلة يجمع كفيه ، ثم يمسح
 بهما فقرأ فيهما (قل : هو الله أحد) و (قل : أعوذُ برب الفلق) و (قل : أعوذُ برب الناس) ، ثم يمسح
 بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بها على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (٥) .
 وهكذا رواه أهل السنن ، من حديث حنبل ، في (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد ١٤٨/٤ .

(٢) الجرح والضعف لابن أبي حاتم ٣٨٩/١/٤ .

(٣) نغمة الأسماء ، أبواب الحمد ، باب ما جاء في حفظ القرآن ، الحديث ٢٥١٧ : ٨٨ - ٨٧/٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد ١٥٨/٤ - ١٥٩ .

(٥) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب (الموهبات) : ٢٣٣/٦ - ٢٣٤ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند النوم . ونغمة الأسماء ، أبواب الحمد ، باب ما جاء فيه من
 يقرأ من القرآن عند النوم ، الحديث ٣٤٦٢ : ٣٤٧/٩ - ٣٤٨ . وابن ماجه ، كتاب الحمد ، باب ما يدعو به إذا أوى إلى
 فراشه ، الحديث ٣٨٧٥ : ١٢٧٥/٢ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : قال تعالى اليهود : نحن نعبد عزير ابن الله . وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله . وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر . وقالت للمشركون : نحن نعبد الأوثان — أنزل الله على رسوله — صلى الله عليه وسلم — : (قل : هو الله أحد) .

يعنى : هو الواحد الأحد ، الذى لا نظير له ولا وزير ، ولا نبيد ولا شيء ولا عليل ، ولا يخلق هذا القنفذ [حل] أحد فى الإثبات إلا على الله — عز وجل — لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : (الله الصمد) ، قال عكرمة ، عن ابن عباس : يعنى الذى يصمد الخلاق إليه فى حوائجهم ومسائلهم ، قال حنبل بن أبى طاححة ، عن ابن عباس : هو السيد الذى قد كمل فى سؤده ، والشرىف الذى قد كمل فى [شرفه] ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمه ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى [علمه] ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته . وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والبردد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تتبى إلا له ، ليس له كنه ، وليس كنهه شيء ، سبحانه الله الواحد القهار .

وقال الأعمش ، عن شقيق ، عن أبى وائل : (الصمد) : السيد الذى قد انتهى سؤده ، ورواه عاصم ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود ، مثله .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (الصمد) : السيد . وقال الحسن ، وقتادة : هو الباقي بعد خلقه . وقال الحسن أيضا : (الصمد) : الذى لا يقوم الى زوال له . وقال عكرمة : (الصمد) : الذى لم يخرج منه شيء ولا يعلم .

وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيرا له ، وهو قوله : (لم يلد ولم يولد) . وهو تفسير جيد . وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير ، عن أبى بن كعب فى ذلك ، وهو صريح فيه .

وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن بريدة ، وعكرمة أيضا ، وسعيد ابن جبر ، وعطاء بن أبى زباج ، وعطية العرق ، والفضلك ، والسدى : (الصمد) : الذى لا جوف له .

قال صفيان ، عن منصور ، عن عباد : (الصمد) : للصمت الذى لا جوف له (١) .

وقال الشعبي : هو الذى لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب ،

وقال عبد الله بن بريدة أيضا : (الصمد) : تورطلا .

روى ذلك كله وحكاها : ابن أبى حاتم ، والبيهقى ، والطبرانى ، وكلما أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيد ،

وقال :

حدثني العباس بن أبى طالب ، حدثنا محمد بن عمرو بن روى ، عن عبد الله بن سعيد قائد الأعمش ، حدثني صالح ابن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال — لا أعلم إلا قد رفته — قال : (الصمد) : الذى لا جوف له (٢) ،

(١) تفسير الطبري : ٢٢٢/٣٠

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٢/٤٠

وهذا غريب جدا ، والصحيح أنه معروف على عهد الله بن برينة :

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له ، بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير « الصمد » : وكل هذه صحيحة ، وهي صفات ربنا عز وجل ، هو الذي يُصَمَدُ إليه في الخواص ، وهو الذي قد انتهى سؤده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه . وقال البيهقي نحو ذلك .

وقوله : (لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) ، أي : ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة :

قال مجاهد : (ولم يكن له كفوا أحد) ، يعني : لا صاحبة له .

وهذا كما قال تعالى : (بلع السموات والأرض ، أأنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء) (١) أي هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يلدنيه ، تعالى وتقدس وتنزه ، قال الله تعالى : (وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا ؟ لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات ينفطرن منه ، وتتشق الأرض ، ويخر الجبال هدا ، أن هموا الرحمن ولدا . وما ينبئ الرحمن أن يشق ولدا . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعلمهم علما . وكلهم آتية يوم القيامة فردا) (٢) . وقال تعالى : (وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٣) . وقال تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا ، ولقد علمت الجنة أنهم مخرجون . سبحانه الله عما يصفون) (٤) . وفي الصحيح : صحيح البخاري : (ولأحد أصبر على أذى سمع من الله ، أنهم يعملون له ولدا ، وهو يرزقهم ويغنيهم) (٥) .

وقال البخاري : حدثنا أبو ليلى ، حدثنا شبيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « قال الله عز وجل : كلني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشئني ولم يكن له ذلك ، فلما تكلمني إياي قهره : لن يُعبدني كما بداني . وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته . وأما شتمه إياي قهره : اتخذ الله ولدا . وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (٦) .

ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، مرفوعا بظله . يورد همام من هذين الرجلين (٦) ،

آخر تفسير سورة الإخلاص

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٠١ .

(٢) سورة ص ، الآيات : ٨٨ - ٩٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ١٥٨ - ١٥٩ .

(٥) تقدم الحديث عنه تفسير آيات مروج ٨٨ - ٩٥ ، وعرجاه هناك ، أنظر : ٣٦٢/٥ .

(٦) تقدم الحديث عنه تفسير الآية السابعة والعشرين من سورة الروم وعرجاه هناك ، أنظر : ٣١٨/٦ .

تفسير سورتي المعوذتين وهما منيتان

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عاصم بن هذيلة ، عن زرّ بن حبیش قال : قلت لأبي بن كعب : إن ابن مسعود [كان (١)] لا يكتب للمعوذتين في مصحفه ؟ فقال : أشهد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له : (قل أعوذُ بربّ الفلق) فقلتها ، قال : (قل أعوذُ بربّ الناس) ، فقلتها . فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

ورواه أبو بكر الحُمَيْمِيُّ في مسنده ، عن سفيان بن عيينة ، حدثنا عيسى بن أبي ليثابة وعاصم بن هذيلة ، أنهما سمعا زرّ بن حبیش قال : سألتُ أبا بن كعب عن المعوذتين ، قلت : يا أبا النضر ، إن أنطاك ابن مسعود يحكهما (٣) من المصحف . فقال : إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « قيل لي : قل ، قلت : « فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ قال : سألتُ ابن مسعود عن اللّوْثَيْنِ قال : سألتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - بهما فقال : « قيل لي ، قلت لكم ، قولوا » . قال أبي : فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم ، فنحن نقول .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبيدة بن أبي ليثابة ، عن زرّ بن حبیش - وحدثنا عاصم عن زرّ - قال : سألتُ أبي بن كعب فقلت : أبا النضر ، إن أنطاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال : إني سألتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « قيل لي ، قلت : « فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخاري (٤) أيضا والنسائي ، عن ثوبان ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبيدة وعاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبیش ، عن أبي بن كعب به .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الأزرق بن عل ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصّكّيت بن بهرام ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كان عبد الله يحكّ للمعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدّ بهما . ولم يكن عبد الله يقرأ بهما .

(١) ما بين القوسين من المتن .

(٢) سنن الإمام أحمد : ١٢٩/٥ .

(٣) في المطبوعة : « يحكما » . واخترت من المتن : ١٣٠/٥ .

(٤) البخاري تفسير سورة (قل أعوذُ بربّ الفلق) و (قل : قل : أعوذُ بربّ الناس) ١ / ٢٢٣ .

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كان عبد الله حاك للمحدثين من مصاحفه ، ويقول : [إنما ليستا من كتاب الله - قال الأعمش : وحدنا حاصم ، عن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب قال : سألتا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « قیل لی ، قلت (١) » .

وهذا مشهور عند كثير من القراء والعقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب للمحدثين في مصحفه ، قلعه لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنه ثم [لمه] فدرج من قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة - رضي الله عنهم - كتبوها في المصاحف الأئمة ، ونقلوها إلى سائر الأفاق كذلك ، وفي الحمد وليلة .

وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا حنيفة ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن قيس بن أبي حازم ، عن حبة ابن حمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لم تر آيات أنزلت هذه الآية لم يَرُ مثله قط : (قل أعوذ برب الفلق) » و (قل أعوذ برب الناس) (٢) » .

ورواه أحمد ، ومسلم أيضا ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن حبة ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح (٣) » .

طريق أخرى ، قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن حبة ابن حمر قال : بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في ثَمَبٍ (٤) من تلك الثغاب ، إذ قال لي : يا حبة ، ألا تركب ؟ قال : « [فأتجككت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أركب مركبه . ثم قال : يا عقيب ، ألا تركب ؟ قال (٥)] : فأشفقت أن تكون مصيبة ، قال : فتزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وركبت هتية ، ثم ركب ، ثم قال : « يا عقيب ، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بها الناس ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . فأقراني : (قل : أعوذ برب الفلق) ، و (قل : أعوذ برب الناس) . ثم أقيمت الصلاة ، فقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ بها ، ثم قرأ . فقال : « كيف رأيت يا عقيب ، أقرأ بها كلما نمت وكلما قممت (٦) » . ورواه [النسائي (٧)] من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن الليث ، كلاهما عن ابن جابر ، به . ورواه أبو داود والنسائي أيضا ، من حديث ابن وهب ، عن [معاوية (٨) بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم ابن عبد الرحمن ، عن حبة ، به (٩)] .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٢٩/٥ - ١٣٠ .

(٢) مسلم - كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة المودتين : ٢٠٠/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٤٤/٤ . ومسلم في الكتاب والباب المختصين . وحفة الأحرفي : تفسير سورة المودتين ، الحديث ٢٤٢٩ : ٢٠٢/٩ . والنسائي : كتاب الاستساعة : ٢٥٤/٨ .

(٤) الثقب : الطريق بين جبالين .

(٥) ما بين القوسين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من المسند ، وهو سقط نظر .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٤٤/٤ .

(٧) في المخطوطة : « ورواه الترمذي » . ولم يقع لنا في مسنده . وللحديث عن القليبات السابقة . والحديث في سنن النسائي : كتاب الاستساعة : ٢٥٣/٨ . من حديث الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر .

(٨) في المخطوطة : « عن سنن بن صالح » . والمختب من النسائي وأبي داود .

(٩) سنن النسائي : كتاب الاستساعة : ٢٥٢/٨ - ٢٥٣ . وسنن أبي داود : كتاب أبي الزرير باب في المودتين .

ومسند الإمام أحمد : ١٤٩/٤ - ١٥٠ .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرقيني وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشي ، عن علي بن رباح ، عن عتبة بن عامر قال : أنشأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أقرأ بالمودعات في دير كل صلاة (١) .
ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن علي بن رباح ، وقال الترمذي : « غريب (٢) » .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا يحيى (٣) بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن مشر بن هاعان ، عن عتبة ابن عامر قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اقرأ بالمودتين ، فإنك لن تقرأ بغيرهما » (٤) .
ورواه أحمد :

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا عتبة ، حدثنا يحيى بن سعد ، عن خالد بن مهران ، عن جبير بن نفير ، عن عتبة بن عامر أنه قال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهديت له بطة شهية ، فركبها ، فأخذ عتبة يوقدها له ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اقرأ (قل) أهد يرب الفلكن » . فأعطاها له حتى قرأها ، فمرف أني لم أفرح بها جدا ، قال : « لذلك تهاوت بها ؟ لما كنت تصل بشي منها » (٥) .

ورواه النسائي عن عمرو بن حذان ، عن عتبة ، به . ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري ، عن معوية بن صالح ، عن عبد الرحمن [بن جبير] بن نفير ، عن أبيه ، عن عتبة بن عامر : أنه سأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المودتين ، فذكر نحوه (٦) .

طريق أخرى : قال النسائي : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا للحمر ، سمعت النعمان ، عن زياد أبي الأسد ، عن عتبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الناس لم يتخذوا بيتا ملين : (قل) أهد يرب الفلكن » ، و (قل) أهد يرب الناس » .

طريق أخرى : قال النسائي : أخبرنا عتبة ، حدثنا الليث ، عن ابن جبر ، عن عبد القري ، عن عتبة بن عامر قال : كنت أنشئ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يا عتبة ، قل : « قل : ماذا أقول يا رسول الله [فسكت عنى ، قلت : اللهم ، لردده على فقال : « يا عتبة ، قل : « قل : ماذا أقول يا رسول الله ، فقال : قل : (قل) أهد يرب الفلكن » ، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ، ثم

- (١) مسند الإمام أحمد : ١٥٥/٤ .
- (٢) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب : « في الاستغفار » . ونسخة الأحرف : أبواب لقائل القرآن . باب : « ما جاء في المودتين » ، الحديث ٣٠٦٧ : ٢١٥/٨ .
- (٣) في الخطوط : « عن عبد بن إسحاق » . والمثبت عن المسند : وهو : يحيى بن إسحاق الجبلي . انظر التلخيص : ١٢٦/١١ .
- (٤) مسند الإمام أحمد : ١٤٦/٤ .
- (٥) مسند الإمام أحمد : ١٤٩/٤ .
- (٦) ما بين قوسين عن النسائي .
- (٧) النسائي : كتاب الاستغفار : ٢٥٢/٨ .
- (٨) كذا . ولم تنق لنا ترجمة زياد طه .

قال : « قل : ما ذا أقول يا رسول الله (١) » قال : (قل أعوذ برب الناس) ، قرأها حتى أتيت حل أكرمها ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك : « ما سألت سائلا بمثلهما ، ولا استعاذ مستعيذا بمثلهما (٢) » .

طريق أخرى قال النسائي : أخبرنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث ، عن مكحول ، عن عتبة بن عامر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأهما في صلاة الصبح (٣) .

طريق أخرى ، قال النسائي : أخبرنا ثيبة ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي عمران الأسلمي ، عن عتبة بن عامر قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راكب ، فوضعت يدي على قدمه فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف (٤) . فقال : « لن قرأ شيئا أنفع عند الله من (قل : أعوذ برب الفلق) » (٥) .

حديث آخر قال النسائي : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي عبد الله ، عن ابن عائش (٦) الجهني : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : « يا ابن عائش (٦) ، ألا أهلك - أو : ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المؤمنون ؟ » قال : بلى ، يا رسول الله . قال : (قل : أعوذ برب الفلق) ، و (قل : أعوذ برب الناس) هاتان السورتان (٧) .

لهذه طرق عن حقبة كالشجرة عنه ، تنديد القطع عند كثير من المحققين في الحديث .

وقد تقدم في رواية صدق بن جعلان ، وقرؤة بين مجاهد ، عنه : « ألا أعلمك ثلاث مسوّر لم يترك في العبادة ولا في الإجماع ولا في الزبور ولا في القرآن مثلهن ؟ » (قل : هو الله أحد) و (قل : أعوذ برب الفلق) و (قل : أعوذ برب الناس) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا جريري ، عن أبي العلاء قال : قال رجل : « كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، والناس يمضون ، وفي الظهر قلة ، فهاجت نزلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتزلزل ، فلهفت ففصر [من بعدي (٨)] منكبي ، فقال : (قل : أعوذ برب الفلق) ، فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأها معه ، ثم قال : (قل : أعوذ برب الناس) ، فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأها معه ، فقال : « إذا صليت فاقراهما (٩) » .

الظاهر أن هذا الرجل هو عتبة بن عامر والله أعلم .

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن علية ، به .

حديث آخر قال النسائي : أخبرنا محمد بن الحنفى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثني يزيد

(١) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه عن النسائي .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٢/٨ ، ٢٥٤ .

(٣) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٢/٨ .

(٤) في سنن النسائي : « قرئ سورة يوسف » .

(٥) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٤/٨ .

(٦) في المخطوطة ، وسنن النسائي : « هابس » ، بالسين . والخبر عن أسد الغابة : ترجمة « ابن عائش » : ٢٤١/٦ .

(٧) النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥١/٨ - ٢٥٢ .

(٨) ما بين القوسين عن لست . وفي المخطوطة : « تقرب صلى » .

(٩) مسند الإمام أسد : ٢٤/٥ ، ٧٩ .

[ابن دومان] ، عن حقة بن طمر ، عن عبد الله الأسدي - هو ابن أبيس - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 وصحبه على صخرة ، قال : « هل » . ثم اندموا أقوال ، ثم قال لي : « قل » . قلت : (هو الله أحد) ، ثم قال لي :
 قل : قلت : (أعود برب الحق) من شر ما خلق ، حتى فرغت منها ، ثم قال لي : « قل » ، قلت : (أعود برب الناس) ،
 حتى فرغت منها . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هكذا فتحمذ » ، ما تحمذ للمؤمنين مظهر قط .
 حديث آخر ، قال النسائي : أنصرتا عمرو بن علي أبو حمص ، حدثنا بطل ، حدثنا شاذ بن سعيد أبو طلحة ،
 عن سعيد الجري ، حدثنا أبو نصر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
 « اقرأ يا جابر » ، قلت : وما اقرأ يا بني أنت وأبي ؟ قال : « اقرأ قل » (أعود برب الحق) ، و (قل) (أعود برب
 الناس) . فقرأهما ، فقال : « اقرأهما » ، ولن أقرأ عليهما (١) .
 وقدم حديث عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ ابن ، ويثني في كتابه ، ويمسح بهما ويسم
 وجهه ، وما أقبل من جسده .

وقال الإمام مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا شكى
 يقرأ على نفسه بالمودع (٢) ويثني ، فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه ، وأمسح بيده عليه ، رجاء يركها (٣) .
 ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ، وسلم عن يحيى بن عمار ، وأبو داود عن القمي ، والنسائي عن ثوبان - عن
 حديث ابن القاسم ، وعيسى بن يوسف - وابن ماجه عن حديث من ويثر بن عمار ، ناهيهم عن مالك ، (٤) .
 وقدم في آخر سورة (٥) ، من حديث أبي نصر ، عن أنس بن سعيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 كان يمسح من أمين الجان وعن الإنسان ، فلما ثقلت للمؤمنين أعضاها ، وترك ما سواها ، ورواه الترمذي والنسائي
 وابن ماجه ، وقال الترمذي : « حديث حسن (٥) » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلَامِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾
 وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد
 ابن عقيل ، عن جابر قال : التلق : الصبح .

(١) التفسير : كتاب الاستعاذة : ٢٥١/٨ .

(٢) في الموطأ : « بالمودعات » .

(٣) المرو : « كتاب الدين » باب « التبرؤ والرقية في الرقى » : ٩٢٢/٢ - ٩٢٢/٢ .

(٤) البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب « المودعات » : ٢٢٣/٦ . ومسلم : كتاب السلام ، باب « وثبة الرقي »
 بالمودعات : ١٦/٧ . وسنن أبي داود : كتاب الطب ، باب « كيف الرقى » . وابن ماجه : كتاب الطب ، باب « التثني في
 الرقية » : الحديث ٣٥٢٩ : ١١٦٦/٢ .

(٥) تقدم الحديث آخر سورة (٥) . وخرجناه هناك ، انظر : ٢٢٠/٨ . وانظر سنن الباقين : كتاب الاستعاذة من عين
 القيان : ٢٧١/٨ . وسنن ابن ماجه : كتاب الطب ، باب « من استوى من العين » : الحديث ٣٥١١ : ١١٦١/٢ .

وقال القرطبي : عن ابن عباس : (القلق) : الصبح . وروى عن جاهد ، وسعد بن جبلة ، وعبد الله بن محمد ابن حنبل ، والحسن ، وقاعدة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وابن زيد ، ومالك عن زيد بن أسلم . عن عبد الله بن كعب القرظي ، وابن زيد ، وابن جرير : وهي كلمة تعالى : (فائق الاصبح) (١) .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (القلق) : الخلق . وكلما قال الضميمة : أمر الله نبيه أن يعود من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : (القلق) : بيت في جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرقه ورواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سباه ، عن السدي ، عن زيد بن علي ، عن أبيه أنهم قالوا : (القلق) : جب في قعر جهنم ، عليه طلاء ، فإذا كشف عنه خرجت منها نار تضيق به جهنم ، من شدة حرها ما يخرج منه . وكلما روى عن عمرو بن ميمون ، والسدي ، وغيرهم . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكرو ، فقال ابن جرير : حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي ، حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني ، عن شبيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (القلق) : جب في جهنم مغطى (٢) . إسناده غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحلي : (القلق) : من أسماء جهنم ،

قال ابن جرير : والصواب القول الأول ، أنه قلق الصبح . وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري (٣) - رحمه الله - في صحيحه .

وقوله : (من شر ما خلق) ، أي : من شر جميع المخلوقات . وقال ثابت البناني ، والحسن البصري : جهنم وإيليس وخزيه وما خلق

(ومن شر غاسق إذا وقب) ، قال جاهد : غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس . جگاه البخاري (٤) عنه ، ورواه ابن أبي نجيب ، عنه . وكلما قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك ، وعصيف ، والحسن ، وقاعدة : إنه الليل إذا أظلم بظلامه .

وقال الزهري : (ومن شر غاسق إذا وقب) : الشمس إذا غربت . وعن حنبل وقاعدة : إذا وقب الليل : إذا ذهب . وقال أبو الهيثم ، عن أبي هريرة : (ومن شر غاسق إذا وقب) : كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول : انشق سقوط النريا ، وكان الأسماء والطواحين تكرر عند وقوعها ، وترفع عند طلوعها (٥) .

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٢٠ / ٣٠ - ٢٢٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٠ / ٣٠ .

(٣) انظر البخاري : تفسير سورة (قل : أوردت القلق) : ٢٢٢ / ١ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٢٠ / ٢٢٦ .

قال ابن جرير والولاء من الأكر ما حدثني : بنسرين حل ، حدثني بكر بن عبد الله - ابن أبي حمزة - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن حوف ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن أنس بن مالك - صلى الله عليه وسلم - : « ومن شر غاسق إذا وقب » ، قال : التيمم الناس (١) ، قلت : وهذا الحديث لا يصح وفيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال ابن جرير : وقال آخرون : هو القصر .

قلت : وعدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود الحفري ، عن ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن أبي سلمة قال : قالت عائشة رضي الله عنها : أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدي فلرأى القصر حين طلع ، وقال : « تعرضي بالله من شر هذا الناس إذا وقب » (٢) ،

ورواه الترمذي والنسائي ، في كتابي التفسير من مستنيهما ، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، عن عمار الحارث بن عبد الرحمن ، به . وقال الترمذي : « حسن صحيح » (٣) ، ولفظه « تعرضي (٤) بالله من شر هذا فإن هذا الناس إذا وقب » . وقطع النسائي : « تعرضي بالله من شر هذا ، هذا الناس إذا وقب » .

قال أصحاب القول الأول ، وهو أنه (٥) الليل إذا ولج ، هذا لا ينافي قولنا ، لأن القصر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، وكذلك التبرج في نفي . إلا في الليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .

وفيه (٦) « ومن شر الغاسق في المقد » ، قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وكثارة والشافعي : يعني السواحل - قال مجاهد : إذا وقبت زفت في المقد ،

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأجل ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه قال : ما من شيء أقرب من الشرك من وقبة الحية وللجانين (٦) .

وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لشكيت يا محمد ؟ فقال : « نعم » ، قال : باسم الله أرقبك ، من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وحين ، الله يفتيك (٧) .

ولعل هذا كان من شكواه - عليه السلام - حين صر ، ثم خاطبه الله تعالى وشقاه ، ورد كبد السحرة المسكدين من اليهود في زموسهم ، وجعل تلميحهم في تدبيرهم ، وفضحهم ولكن مع هلام يطالبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً من الدهر ، بل كبر الله وشق وحاف ،

(١) تفسير الطبري : ٢٢٧/٣٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٦١/٦ . وانظر أيضاً : ٢٠٦/٦ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ .

(٣) نسخة الأسماء : تفسير سورة المودع ، الحديث ٢٤٢٥ ، ٣٠٢/٦ .

(٤) لفظ الترمذي : « استبالي » .

(٥) في المطبوعة : « ورواية » . ولعل السواب ما أكتناه .

(٦) تفسير الطبري : ٢٢٧/٣٠ . وكلمة « الحية » : غير ثابتة في الطبري . وهي غير واضحة في المطبوعة .

(٧) تقدم الحديث آخر سورة (٥) « وخرجته منك » انظر : ٢٢٠/٨ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن حبان ، عن زيد بن أرقم قال : مررتُ
- صلى الله عليه وسلم - رجلاً من اليهود ، فاشتكى للآلة أياماً ، قال : فبجاءه جبريل فقال : إن رجلاً من اليهود
صرخ ، فقد لك عُنُقًا في بئر كذا وكذا ، فأتى بئراً إليها من يمينها . فبجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
[عليه] ، رضي الله تعالى عنه (١) فاستخرجها ، فجاء بها فحلقها ، قال : فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
كأنما ينشط (٢) من محال ، فذكر (٣) ذلك لليهودى ولا وآه في وجهه [قط] (٤) حتى مات (٥) .

ورواه الترمذي عن هناد ، عن أبي معاوية محمد بن حاكم الضرير (٥) .

وقال البخاري في « كتاب الطب » من صحيحه : حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول :
أول من حدثنا به ابن جريج ، يقول : حدثني آل عروة ، عن عروة ، سألت هشاماً عنه ، فحدثنا عن أبيه . عن
عائشة قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان :
وملأ أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا - قال : يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أخطى فيها مستغفرت فيه ؟ أمالي
رجلان فقد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجل ، قال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطلوب (٦) ،
قال : ومن طلبه ؟ قال : ليد بن أحسم - رجل من بني زريق حليف لليهود - كان مثاقفاً - قال : وفيه ؟
قال : في مضط وسفلة (٧) قال : وأين ؟ قال : في جفنة طلمعة ذكر تحت رعوة (٨) في بئر ذُرْوَان . قالت :
ثاني (الثي - صلى الله عليه وسلم) (٩) البئر حتى استخرجه فقال : هذه البئر التي أُرِيضُها ، وكان مامعاً نفاعاً (١٠)
المختلأ ، وكان لها رموس الشياطين . قال : فاستخرج [قالت] (١١) : قلت : أفلا ؟ أى : فتشعرت (١٢) ؟
قال : وأما الله فقد شفىنى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً (١٣) .

(١) ما بين القوسين عن المسند .

(٢) كلاً ، وظله في المسند والتساى . والله في النهاية : « كأنما أنشط من جبال » ، أى : غل . وله ذكر في الحديث .
وكثيراً ما يجرى في الرواية « كأنما أنشط من محال » وليس بصحيح .

(٣) في المسند ؟ « فما ذكر ذلك لليهودى » . وفى التساى : « ما ذكر ذلك لليهودى » .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٦٧/٤ .

(٥) التباى : كتاب المصريح باب « مسرة أهل الكتاب » ١١٢/٧ - ١١٣ .

(٦) أى : مسود . والعرب تثنى باللب من سحر ، تقولوا بالبرام ، كما كانوا بالساحر من الفتيح .

(٧) المشقة : الغلظة ، وجرى : الشعر الذى ينشط من الرأس والجمية ، عند التسريح بالمشط .

(٨) رعوة البئر : مسرة ترك في أسفل البئر أنما حفرت ، تكون نائكة هناك ، فلما أرادوا تنقية البئر ، جلس المني عليها .
وبئر ذُرْوَان : بئر بني زريق بالليثية .

(٩) ما بين القوسين عن الصحيح .

(١٠) التفتحة : ما أنقع فيه الشيء ، وهو هنا الماء الذى أنقع فيه المختلأ .

(١١) التشرة - بضم التود - : نوع من القرية والملاج ، أى : حل طلبت الملاج ؟ .

(١٢) البخاري ، كتاب الطب ، باب « هل يستخرج أسحر ؟ » ١٧٧/٧ - ١٧٨ .

وأستمد من حديث عيسى بن يونس ، وأبي شمرة أنس بن عياض ، وأبي أسامة ، ويحيى القطان وفيه : قالت : حتى كان يجبل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله ، وعنده : فأمر بالير شفت : وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد واليثة بن سعد (١) .
ولقد رواه مسلم ، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن عمرو رواه أحمد ، من هشام ، عن وحيبة ، من هشام ، به (٢) :

ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد (٣) [عن رباح] عن معمر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لبث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي ، فأناه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : ليده بن الأصم : وذكر تمام (٤) الحديث .

وقال الأستاذ للنسب الشافعي في تفسيره : قال ابن عباس وعائشة وعبي الله عنها : كان غلام من اليهود ينضم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فثبت إليه اليهود ، فلم يزالوا به حتى أخذ مشكاة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه ، فأعطاهم اليهود ، فمحموه فيها . وكان الذي تولى ذلك رجل منهم - يقال له : ابن أصم - ثم دسها في بئر بني ذريق ، يقال لها : ذروان ، فرضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانتثر شعر رأسه ، ولبت ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، وجعل يكذب ولا يدري ما مره . فبينما هو تائم إذ أتاه ملكان فحط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال للذي عند رجليه هل ترى رأسه : ما بال الرجل ؟ قال : طيبه ، قال : وما طيبه ؟ قال : سحره ، قال : ومن سحره ؟ قال : ليده بن أصم اليهودي : قال : وم طيبه ؟ قال : بمشط ومشكاة : قال : وأين هو ؟ قال : في جفث ملحة تحت راحة في بئر ذروان - والجفث : قشر الطلع ، والراحة : حجر في أسفل البئر تأتيه يقوم عليه الماتح (٥) - فأتته رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحورا ، وقال : يا عائشة ، أما سمعت أن الله أخبرني بذلك ؟ ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا والزبير وعمر بن ياسر ، فخرجوا ماء البئر كأنه نكامة الخلد ، ثم رموا الصخرة . وانزعجوا الجفث فآذا فيه مشاة رأسه وأسنان من مشطه ، وإذا فيه وتر مقفود ، فيه اثنا عشرة (٦) مقلة مفروزة بالإبر : فأقول الله تعالى السورين ، فحبل كلما قرأ آية انحلت مقلة ، ووجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خفة حين انحلت المقلة الأخيرة ، فقام كأنما تشط من حقال ، وجعل جريلا - عليه السلام -

- (١) البخاري ، كتاب الطب ، باب : السحر ، ١٧٦/٧ - ١٧٧ - ١٧٨ . وانظر كتاب الطب ، باب قوله الله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) ، ٢٢/٨ - ٢٣ . وكتاب السموات ، باب : تكرير القعدة ، ١٠٢/٨ - ١٠٤ . وكتاب بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، ١٤٨/٤ . وكتاب الجيزة ، باب : حل ين من الذي ؟ ، ١٢٢/٤ .
ملا ، وتوقع في المضطرة به ، من هشام أيضا : ورواه أحمد ، من هشام ، عن وحيبة ، من هشام ، به ، وهو خطأ ، والصواب ما في الطبعات السابقة . وانظر كلام البخاري في ١٧٧/٧ .
(٢) مسلم ، كتاب السلام ، باب : السحر ، ١٤/٧ . وبحث الإمام أحمد : ٩٦/٦ .
(٣) ما بين القوسين : وهو : من رباح ، عن المسند ، عن المسند وهو : وراجح بن موه ، فريش .
المستند . انظر الخلاصة .

- (٤) ستة الإمام أحمد : ٦٣/٦ .
(٥) الماتح : المستنق من البئر بالفلو .
(٦) في المضطرة : اثنا عشر .

يقول : باسم الله أرفعك ، من كل شر يؤذيك ، من حسد وعن الله يشغلك . قالوا : يا رسول الله ، أفلا تأخذ لك بيتا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنا فقد شغاني الله ، وأكره أن يتر على الناس خرا » .
هكذا أوردوه بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبيضة شواهد مما تقدم ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ⑥

هذه ثلاث : صفة من صفات الرب - حر وجل - الربوبية ، والملك ، والإلهية . فهو رب كل شيء . ومليكك وإلهك ، لجميع الأكياس مخلوقة له ، مخلوقة حيدة له ، فأمر المستعبد أن يصود بالتصنيف هذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الملوكل للإنسان ، فاته ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له القوس حتى ؛ ولا يألوه جهدا في الخبال ، والمصوم من عصم الله وقد ثبت في الصحيح أنه : « ما منكم من أحد إلا قبل به قرينه » . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، إلا أن الله أحاطني عليه ، فأسلم ، فلا يأمروني إلا بحسب (١) ، وثبت في الصحيح ، عن أنس في قصة زيارة صفية قتيبي - صلى الله عليه وسلم - وهو متحكف ، وخروجه معها ليلا ليردعا إلى منزلها ، فلقبه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسرحا ، فقال رسول الله : « حل وسلكما ، إنها صفية بنت حبي » .
وقال : سبحان الله . يا رسول الله . قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإن عشت أن يقلب في قلوبكما شيئا ، أو قال : شرا (٢) » .

وقال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤي : حدثنا محمد بن عمر ، حدثنا عدي بن أبي حمزة ، حدثنا زياد التميمي ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الشيطان واضح بجملة (٣) حل قلب ابن آدم ، فإن ذكر ختنس ، وإن نسي التم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس » . غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن حاتم ، سمعت أبا نعيمه يحدث عن رقيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « عكر بالني صلى الله عليه وسلم حملا ، فقلت : تعس الشيطان . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا تقل : تعس الشيطان ، فإني إذا قلت : تعس الشيطان ، غابني » ، وقال : « يوقى صرعه » ، وإذا قلت : باسم الله ، فاصفر حتى يصير مثل القهاب (٤) » .

(١) مسلم : كتاب صفة القليلة : باب « غرض الشيطان به مرابيه افتنة الناس » ، وأن مع كل إنسان قرينا : ١٢٩/٨ .
وسنة الإيمان أسد : ٣٨٥/١ ، ٣٩٧ ، ٤٠٦ ، ٤٦٠ .

(٢) البخاري : كتاب الأحكام ، والفتنة تكون من الحاكم ولاية النفس . ٨٧٩/٩ - ٥٠٠ .

(٣) أبو أنس .

(٤) سنة الإمام أسد : ٥٩/٥ .

تقرده أحمد ، إسناده جيد قري ، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغيبه ، وإن لم يذكر الله تعالى وصي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا الضحاك بن عثمان ، عن سعيد القبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أحدكم إذا كان في المسجد ، جاءه الشيطان فأبس به كما يبس الرجل (١) ببدنه ، فإذا سكن له زقه - أو : ألجمه - قال أبو هريرة : وأنتم ترون ذلك . أما المزني (٢) فراه ماثلاً - كلاً - لا يذكر الله ، ولما تلجم ففاح فاه لا يذكر الله عز وجل . ثم رده (٣) أحمد .

وقال سعيد بن جبير . عن ابن عباس في قوله : (الوسواس الخناس) ، قال : الشيطان جائم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خفست (٤) . وكذا قال جهماد ، وقادة .

وقال المنصور بن سلمان ، عن أبيه : ذكر لي أن الشيطان ، أو : الوسواس يثب في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح ، فإذا ذكر الله خفى .

وقال المذني عن ابن عباس في قوله : (الوسواس) ، قال : هو الشيطان يأمر ، فإذا ألجم غشى (٥) ، وفوله : (الذي يوسوس في صدور الناس) ، هل يخص هذا بيني آدم - كما هو الظاهر - أو بيني آدم والجن ؟ فيه قولان ، ويكونون قد دخلوا في لفظ النفس فقلنا .

وقال ابن جرير : وقد استعمل فيهم (رجال من الجن (٦)) فلا بدح في إطلاق النفس عليهم ،

وقوله : (من الجنة والناس) ، هل هو فصليل قوله (الذي يوسوس في صدور الناس) ، ثم بينهم قال : (من الجنة والناس) . وهذا يخفى القول الثاني . وقيل : قوله : (من الجنة والناس) ، تفسير للذي يوسوس في صدور الناس ، من شياطين الإنس والجن ، كما قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ، شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا (٧)) ، وكما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودي ، حدثنا أبو حمزة الثمشتي ، حدثنا حبيب بن الحشاش ، عن أبي قرة قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد ، فجلست ، فقال : يا أبا قرة ، هل صليت ؟ . قلت : لا ، قال : « ثم فصل » . قال : قممت فصليت ، ثم جلست فقال : يا أبا قرة ، تمرد بالله من شر شياطين الإنس والجن ،

(١) يقال : بَسَّته التفت وأبْسَنها : إذا سَقَبَتْها وزَجَرَتْها ، وقتلها : « بس بس : يَكسر الباء وتشدا .
(٢) في النهاية : « وفي حديث أبي هريرة الأثر : أنه ذكر المزني ، فقال : المثل لله لا يذكر الله » قيل : أصله من الرقعة ، وهي مثل في جلود في سكة أو مرقوب واحد . هكذا لم يقرضه .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٢٢٠/٢٢٠ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٢٠/٢٢٠ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٢٠/٢٢٠ .

(٦) لفظ الطبري : ٢٢٠/٢٢٠ ، فإن قال قائل : بالجن ناس . فيقال : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ؟ قيل : أنه سلم الله في هذا الموضع ناساً ، كأجسام في موضع آخر رجلاً ، قال : (ولأنه كان رجال من الإنس يؤمنون بأجسام من الجن) ، فيسل الجن رجلاً ، وكذلك جعل منهم ناساً

(٧) سورة الأنعام آية : ١١٢ .

قال : قلت : يا رسول الله ، وللجس شياطين ؟ قال : نعم . قال : قلت : يا رسول الله ، الصلاة ؟ قال : خير موضوع ، من شاء أفل ، ومن شاء أكثر . قلت : يا رسول الله ، ما هو ؟ قال : عرض بحر . وعدت الله مريد . قلت : يا رسول الله ، فالصدقة ؟ قال : أضعاف مضاعفة . قلت : يا رسول الله ، أبا الفضل ؟ قال : وجهه من مكمل ، أو سر إلى قبر . قلت : يا رسول الله ، أبا الأنبياء كان أول ؟ قال : آثم . قلت : يا رسول الله ، وبى كان ؟ قال : نعم ، نبى مكمل . قلت : يا رسول الله ، كم الرسول ؟ قال : ثلاثة وبضعة عشر ، جما غفيرا . وقال مرة : خمسة عشر . قلت : يا رسول الله ، أبا أنزل عليك أعظم ؟ قال : آية الكرسي ، (الله لا إله إلا هو لمضى القيوم) (١) .

ورواه النسائي ، من حديث أبي هريرة ، (٢) . وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، بطريق آخر ، ولفظ آخر مطول جدا ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ذر بن عبد الله السدثي ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن أحدث نفسي بالشئ ، لأن امرئ من شياء أحب إلى من أن أتكم به ، قال : فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله الذي وردكم إلى الرسوخة (٣) .

ورواه أبو حنيفة والنسائي ، من حديث منصور - زاد النسائي : والأعمش - كلاهما عن زر ، (٤) .

• • •

كثير التفسير : وفي الحمد والثقة ، والحمد لله رب العالمين . وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . ورضي الله عن الصحابة أجمعين . حبنا الله وبنا الله . وكان المصراع منه في التناثر من جماعتى الأولى سنة خمس وعشرين وثمنا عالة . والحمد لله وحده .

(١) سنة الإمام أحمد : ١٧٨/٥ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الامتعة ، باب : الامتعة من شر شياطين الأتس : ٢٧٥/٨ .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٢٢٥/١ .

(٤) سنن أبي حنيفة ، كتاب الأدب ، باب : في رد الرسوخة .

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة ناسخ المخطوطة

الحمد لله الذي رفع السماء بغير عمد ، ووسط الأرض وبها بالأطواد ، ومنع معرفته وعجه من شاء من العباد ، وأقام لدينه أولياء ينصرونه ويقومون به ، وجعل منهم النجباء والأقطاب والأوتاد ، وأهل منار الدين بالطماء الباطنية ، وأوضح بهم طرق الرشاد ، وقمّع بهم أهل الفريغ والأهواء وبدع والفساد ، وثبت لهم دينهم بالثقل عن تبليغهم بصحيح الاسناد ، ونبي عنهم الخليلي والشاذلي والأقفراد ،

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، المتعالي عن الشركاء والشركاء والأنداد ، للثقة عن الحلول والإيجاد والإيجاد ،

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحيه وخليفه ، سيد العباد ، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأئمة ، وصحابه السادة الأبرار الأجداد ، صلاة تقوم وهجوم ما كانت السموات والأرض بأمره ، وقابل اليانيس السواد ،

ويعد ، فقد أمرني السيد الجليل ، من وصل الله له جنّاح الصنيع الجميل ، وواصل عليه السّؤل (١) ، وأوصل إليه للأول ، وصيّره بجه ربيع أنسي ، وأملر بفضه ربيع قسي ، مولانا وسيدنا عبد القدر إلى الله - سبحانه - الأمل الرابح عفو الكرم وإحصائه ، قاضي القضاة ، حاكم المحاكم ، نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين ، سيد الطمأن في العالمين ، بهاء الله ، لسان الشريعة ، عزّ البتة ، حصن الأمة ، خطيب الخطباء ، إمام الهدى ، غرة الزمان ، ناصر الإيمان ، شيخ الشيوخ طهارين ، أبو حفص عمر (٢) - ابن سيدنا ومولانا عبد القدر إلى الله - تعالى - الشيخ الإمام العلامة ، والمختبر القهامة ، قدوة العلماء الباطنيين ، أبي محمد جبري السعدي الشافعي - أمر - أعلى الله أمره ، وأسد قدره ، من لا يتقلب إلا في طاعته ، ولا يتصرف إلا في مرضاته - أن يكتب برسم خرافة تفسير الإمام العالم الكبير ، العلامة عباد الدين ابن كثير - رحمه الله وأرضاه ، وجعل مجبحة الجنة مقرة ومثواه - فامتثلت أمره بالسمع والطاعة ، وحدثت هذا الأمر من أنفس البضاغة ، مع أني في الكتابة قليل الصنعة - فكيف قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه : فان صادفت قولاً ولفظاً مأولاً ، فيكون سعدي سعيداً ، وفق سعي سعيداً :

فان وقعت في قدرتي دون حبي فبلغ علمي ، وللانذار تمّ

(١) السؤل : منأته .

(٢) هو عمر بن حبي بن موسى بن أسد بن سعد التميمي ، أبو الفتح بن الفراء أبي محمد السعدي الحنبلي الأصل ، الملقب الشافعي ، أبو أسد المائي ووالده الجهادي وعرف بأبي حبي . ولد في سنة سبع وستين وسبعمائة بمشق ، أخذ العلم من بهامة ، وتولى القضاء ، وكان حاكماً حازماً . قتل وهو نائب حل فرائشه سنة ٧٢٠ هـ ، انظر الفهرست للشيخ السخاوي ٧٩-٧٨٢ هـ ولأبيه حبي ، ترجمة في الفهرست للكلمة لابن حجر ٨٧٤ هـ .

قد جمعت هذه الكثرة الشريفة أشتات العلوم على الإطلاق ، من دام مثلها فهو مقتصر عن روم أسباب النجاة ،
 خصوصاً إذ كان بها هذا التفسير الذي مادته سنن المصطفى للنبه على جوامع ، ما يزداد اليب بها بصيرة في علمه النافع ،
 إذ كان - صلى الله عليه وسلم - قد أوتي جوامع الكلام ، وعلم فصل الخطاب . فلم يسمع الناس كلاماً أتم نقماً ،
 ولا أقصر نقلاً ، ولا أعدل وفراً ، ولا أجمل ملها ، ولا أكرم طلباً ، ولا أحسن موقفاً ، ولا أسهل مخرجاً . ولا أفصح
 من معناه ، ولا أبين في فحواه . صلى الله عليه وسلم ،

فله دَرّ مولانا ، إذ جمع الفضائل ، ونظم آحاد العقائل ، وحاز من العلم الندى والقبول : فلا يخفى على ذي لب
 أنه أخفى في الفهم نصوصاً ، وأخفى في العلم أصولاً ، فأقول غنصراً ، وعما يليق بمدحه مطراً ، حتى يحربه من
 تضاريف ثاقب عليه ما يفتني به الزلي في حبه ، والقرين من قلبه ، وتلك أمتين حين أتى مني ، لا أنسلها ، ولا أنفي
 سواها . والله در القائل :

إذا أبى حجب حادث لنا يده لم يحدد الأجودان : البحر والمطر
 وإن أضاعت لنا أنوار خروجه تضاد الأوران : الشمس والقمر
 وإن مضى رأيه لو جكت حزمته أضر الماضيان : السيف والقتل
 من لم يبت حلاً من خوف سطوته لم يدرك ما للزعجان : الخوف والخوف
 كأنه البحر في نسي وفي نغم إذا تعاقب منه : الفتح والفساد
 كأنه - وزمام البحر في يده يدا عواقب : ما يأتي وما يذو

الحمد لله الذي جعل جمال منظر كمال غيرك ، وذاخ قريحك مقارناً لراسخ منصرف ، والله حسي
 (ليك من كل ما يتوعد اليد به لقول :

ولم وحش لا زلت في نعمة أفتت بها من خيرك الأولى
 وعسى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،

كتبه الفقير محمد بن علي الصوفي البواب ، لشاه النضائية^(١) ، يمدحني المروسة ، حامداً ومصلهاً ، وهيبلاً وهونكلاً ،
 والحمد لله وحده .

الفهارس

فهرس موضوعى

البث : ٦٧ : ٤	سورة الواقعة
مشاققة الرسول : ٦٧ ، ٧٩ - ٨٠ : ٤	البث : ١٦ - ١٧ .
الظهار : ٦٧ - ٦٠ :	الجنة : ٤٩٥/٧ - ٤٩٩ ، ١/٨ - ١٥
التجوى : ٦٨ - ٧٠ ، ٧٥ - ٧٧ : ٤	الاحتصار : ٢٩ - ٢٥ .
للتفقون : ٧٨ - ٧٧ :	أصناف الناس يوم القيامة : ٤٨٩/٧ - ٤٩٥ ، ٢٥/٨ - ٢٩ .
سورة الحشر	فضل سورة الواقعة : ٤٨٧/٧ - ٤٨٨ ، ٤
جلاء بنى النضير : ٨١ - ٨٩ : ٤	قصة الله : ١٧ - ٢٠ ، ٢٤
الشح : ٩٧ - ١٠٠ :	القرآن : ٢٤ - ٢٠ ، ٤٨٨/٧ .
صفات الله وأسماءه : ١٠٥ - ١٠٧ .	التكليب : ٢٢ - ٢٤ ، ١٥ - ١٦ .
القي : ٩٤ - ٩٠ :	
القرآن : ١٠٤ .	سورة الحديد
الأصهار : ٩٤ - ٩٧	الإيمان : ٣٩ - ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٥٢ :
للتفقون : ١٠٠ - ١٠١ : ٤	البطل : ٥٢ :
التقوى : ١٠٢ - ١٠٤ :	جزاء المؤمنين : ٤١ - ٤٥ ، ٥٧ - ٥٩ ، الحديد : ٥٣ .
سورة الممتحنة	الحياة الدنيا : ٤٩ - ٥١ ، ٤٥
الحبة بعد المطارة : ١١٤ - ١١٧ : ٤	الشموع : ٤٥ - ٤٧ ، ٣٠ - ٣٣ .
أعداء الله : ١٠٨ - ١١٤ :	الفرس : ٥٣ - ٥٤ .
مقاطعة الأعداء : ١٠٨ - ١١٤ ، ١٢٩ : ٤	الرجانية : ٥٤ - ٥٧ ، ٤٧ - ٤٥
هجرة النساء : ١١٧ - ١٢٩ : ٤	مناجى القرآن : ٤٥ - ٤٧ ، ٤٩ - ٤٧
سورة الصاف	الشهداء : ٤٧ - ٤٩ ، ٥٣ .
الإيمان : ١٣٨ .	للمجزات : ٥٣ .
بشارة عيسى بالرسول : ١٣٥ - ١٣٧ : ٤	علم الله : ٣٤ - ٣٥ ، ٥٧ .
القتال فى سبيل الله : ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٣٨ : ٤	قصة الله : ٣٠ - ٣١ ، ٤٧
قصة موسى عليه السلام : ١٣٤ - ١٣٥ : ٤	الإنتاق : ٣٦ - ٤٠ ، ٤٧
الكتب على الله : ١٣٧ : ٤	سورة المجادلة
نصرة الله : ١٣٩ - ١٤٠ : ٤	أديب للجالس : ٧١ - ٧٥ .
الوفاء بالعهود : ١٣٩ .	
سورة الجمعة	
صلاة الجمعة : ١٤٥ - ١٥٠ : ٤	
الحرب وما خصهم الله به : ١٤١ - ١٤٣ : ٤	
مثل اليهود : ١٤٣ - ١٤٥ : ٤	

سورة المنافقون

- الأجل : ١٥٩ - ١٦٠ .
 ذكر الله : ١٥٩ .
 الإنفاق : ١٥٩ .
 المنافقون وحقيقتهم : ١٥٩ - ١٥٩ :
 سورة المنافقين

- البحث : ١٦٢ .
 الزوج : ١٦٤ .
 طاعة الله : ١٦٤ ، ١٦٧ .
 الأعداء : ١٦٤ .
 حاقية للكافرين : ١٦٢ .
 القمار : ١٦٣ .
 قدرة الله : ١٦١ - ١٦٢ .
 الكليب : ١٦٢ .
 قوى الله : ١٦٦ - ١٦٧ .
 قولك : ١٦٤ .

سورة الطلاق

- حق المطلقة : ١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٨ - ١٨١
 الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة : ١٧١ .
 الطلاق : ١٦٨ - ١٨١ .
 طلاق السنة والبدعة : ١٦٩ .
 السنة : ١٦٨ .
 حلة الآية والصغيرة : ١٧٥ .
 حلة الحامل : ١٧٥ - ١٧٨ .
 حاقية الخالقة : ١٨١ .
 قدرة الله : ١٨٢ - ١٨٤ .
 قوى الله : ١٧٢ - ١٧٤ .

سورة التحريم

- تأديب الأهل والولد : ١٩٤ .
 الإعان : ١٩٨ - ٢٠٠ .
 القربة : ١٩٥ - ١٩٧ .
 الجهاد : ١٩٨ .
 سب نزول هذه السورة : ١٨٥ - ١٩٣ .
 النار : ١٩٥ .

سورة التكاثر

- رحمة الله ولفظه : ٢٠٧ .

حاقية المؤمنين : ٢٠٥ :

- حاقية الكفار : ٢٠٤ - ٢٠٥ .
 عقيدة المشركين وأمية : ٢٠٧ - ٢٠٩ .
 علم الله : ٢٠٦ .
 فضل هذه السورة : ٢٠١ - ٢٠٢ .
 قدرة الله : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

سورة ن

- الحسد : ٢٢٧ - ٢٢٤ .
 خلق الكفار : ٢٢٧ - ٢٢٣ .
 حاقية للمجرمين : ٢٢٤ - ٢٢٦ .
 حاقية للمؤمنين : ٢٢٤ .
 معنى (ن) : ٢١٠ - ٢١٢ .
 معنى (القول) : ٢١٢ - ٢١٣ .
 قصة أصحاب الجنة : ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 قصة أصحاب الخوت : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 تكريم الله الرسول : ٢١٣ - ٢١٦ .
 مثل كفار قريش : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

سورة الحاقة

- سفاعة المؤمنين : ٢٤٠ - ٢٤٢ .
 شقاء الكفار : ٢٤٢ - ٢٤٤ .
 صديق الرسول : ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 حاقية الأمم الماضية : ٢٣٥ - ٢٣٨ .
 القرآن : ٢٤٤ - ٢٤٥ .
 أهوال القيامة : ٢٣٨ - ٢٤٠ .

سورة سائل مسائل

- تسليط الرسول : ٢٥١ .
 خلق المؤمنين : ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 طبع الإنسان : ٢٥٣ .
 استسجال الكفار الطلب : ٢٤٧ .
 الطلب : ٢٥١ - ٢٥٣ ، ٢٥٧ .
 العرش : ٢٤٨ .
 القيامة : ٢٤٩ - ٢٥١ .
 موقف الكفار من الرسول : ٢٥٥ .

سورة القيامة

- الأمل : ٣٠١ .
 البعث : ٣٠٠ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ ،
 الاحتضار : ٣٠٦ - ٣٠٨ ،
 رؤية الله : ٣٠٤ - ٣٠٦ ،
 سبب التكاليف بالقيامة : ٣٠٤ ،
 تلحق الرسول كيف يتلقى الوحي : ٣٠٣ - ٣٠٤ ،
 القيامة : ٣٠٢ .

سورة الانسان

- جزءه للمؤمنين : ٣١٢ ، ٣١٥ - ٣١٨ ،
 ذكر الله : ٣١٩ ،
 خلق الإنسان : ٣١٠ - ٣١٢ ،
 خلق المؤمنين : ٣١٣ - ٣١٤ ،
 الصبر في المحنة : ٣١٩ ،
 خطاب الكافرين : ٣١٢ ،
 المني : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩ .

سورة الرسالات

- الساعة : ٣٢٠ - ٣٢٢ ،
 حاقية المؤمنين : ٣٢٥ ،
 حاقية للكافرين : ٣٢٢ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ،
 كدرة الله : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

سورة النبأ

- البعث : ٣٢٨ - ٣٢٩ ،
 عظمة الله : ٣٣٢ - ٣٣٤ ،
 حاقية للمؤمنين : ٣٣٢ ،
 حاقية للكافرين : ٣٢٩ - ٣٣١ ،
 كدرة الله : ٣٢٦ - ٣٢٨ ،
 القيامة : ٣٢٦ - ٣٢٤ ،
 نهيد للكافرين يوم القيامة : ٣٢٦ ،
 توقيت يوم القيامة : ٣٢٨ ،
 سورة النزاعات
 البعث : ٣٣٦ - ٣٣٨ ، ٣٣٩ - ٣٤١ ،
 قصة موسى عليه السلام : ٣٣٨ ،
 سورة عبس
 البعث : ٣٤٥ ،
 خلق الإنسان : ٣٤٥ .

سورة نوح

- شكرى نوح عليه السلام : ٢٦١ ،
 حاقية الكفر : ٢٦٣ ،
 قصة نوح عليه السلام : ٢٥٨ - ٢٦٤ ،
 توبح النعمة : ٢٥٩ - ٢٦١ ،
 موقف الكفار من نوح عليه السلام : ٢٥٩ ،

سورة الجن

- الجن منهم الكافر والمؤمن : ٢٦٨ - ٢٦٩ ،
 حفظ السبأ : ٢٦٧ - ٢٦٨ ،
 استماع الجن الرسول : ٢٦٥ ،
 الساعة : ٢٧٢ ،
 حلم الله : ٢٧٢ - ٢٧٤ ،
 التوحيد : ٢٧٠ - ٢٧٢ ،

سورة الزمل

- ذكر الله : ٢٨١ - ٢٨٢ ،
 رزق القرآن : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ ،
 الزكاة : ٢٨٦ ،
 تسليق الرسول : ٢٨٢ ،
 الصبر : ٢٨٢ ،
 الصلاة : ٢٨٦ ،
 خطاب الآخرة : ٢٨٣ ،
 قيام الليل : ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٢٧٨ - ٢٨١ ،
 ٢٨٥ - ٢٨٥ ،
 التهنؤ كدرة : ٢٧٥ ،
 الوحي : ٢٧٧ ،

سورة الفجر

- الأمر بالانفطار : ٢٨٧ - ٢٩٠ ،
 البعث : ٢٩٠ ،
 جنود الله : ٢٩٥ ،
 الحساب : ٢٩٨ ،
 خزنة القدر : ٢٩٤ ،
 خطاب من أنكر نعم الله : ٢٩١ - ٢٩٤ ،
 القرآن : ٢٩٩ ،
 القدر : ٢٩٧ .

المساواة فى البلاغ : ٣٤٢ - ٣٤٤ .

قصة الله : ٣٤٥ - ٣٤٨ .

قصة نزول هذه السورة : ٣٤٢ - ٣٤٤ .

القيامة : ٣٤٨ - ٣٥٠ .

سورة التكوين

آيات القیامة : ٣٥١ - ٣٥٨ .

القرآن : ٣٦٢ - ٣٥٨ .

سورة الانفال

آيات الله : ٣٦٣ .

حاقة الأبرار : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

خروج الإنسان : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

لدرة الله : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

سورة المطففين

البث : ٣٦٩ - ٣٧١ .

للبرموم وموقفهم من المؤمنين : ٣٧٥ .

للمطفنون : ٣٧٨ - ٣٧٥ .

حاقة الأبرار : ٣٧٣ - ٣٧٥ .

حاقة العجبار : ٣٧١ - ٣٧٣ ، ٣٧٥ - ٣٧٦ .

سورة الانشقاق

آيات القیامة : ٣٧٧ - ٣٧٨ .

الحساب : ٣٧٨ - ٣٧٩ .

أحوال القیامة : ٣٨٠ - ٣٨٣ .

سورة البروج

أصحاب الأعنود : ٣٨٤ - ٣٩٣ .

حاقة المؤمنين : ٣٩٣ .

قصة الله : ٣٩٣ .

القرآن : ٣٩٤ .

سورة الطارق

البث : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

خلق الإنسان : ٣٩٥ - ٣٩٧ .

سورة صبح

الآخرة : ٤٠٣ .

حشة الله : ٤٠٢ .

الملائكة : ٤٠١ .

النبي : ٤٠٢ .

الذكرى : ٤٠٢ .

التركي : ٤٠٣ .

الصحيح : ٤٠٠ - ٤٠١ .

الصحف : ٤٠٥ .

الصلوة : ٤٠٣ .

الطلب : ٤٠٢ - ٤٠٣ .

علم الله : ٤٠٢ .

القدر : ٤٠١ .

إقراء الرسول : ٤٠١ .

نشر العلم : ٤٠٢ .

سورة الفاتنية

الحساب : ٤١٠ - ٤١١ .

الذكرى : ٤١٠ - ٤١١ .

الطلب : ٤٠٦ .

القيامة : ٤٠٦ - ٤٠٨ .

النظر فى مخلوقات الله : ٤٠٨ - ٤١٠ .

النص : ٤٠٧ - ٤٠٨ .

سورة الفجر

الأمم للآنية : ٤١٦ - ٤٢٠ .

حب للآل : ٤٢٠ - ٤٢١ .

طبع الإنسان : ٤٢٠ - ٤٢١ .

حاقة المؤمنين : ٤١٦ - ٤٢٠ .

أقسام القرآن : ٤١٢ - ٤١٦ .

القيامة : ٤٢١ - ٤٢٣ .

إكرام النبي : ٤٢٠ .

سورة البلك

خلق الإنسان : ٤٢٥ ، ٤٢٦ - ٤٢٧ .

طبع الإنسان : ٤٢٦ .

طريق النجاة : ٤٢٧ - ٤٣١ .

الطلب : ٤٣١ - ٤٣٢ .

أقسام القرآن : ٤٢٤ - ٤٢٥ .

التواضع بالصبر والرحمة : ٤٣١ .

سورة القدر

- فضل ليلة القدر : ٤٦٢ - ٤٦٥ .
 نزول القرآن : ٤٦٧ .
 وقت ليلة القدر : ٤٦٥ ، ٤٧٣ .
 الدعاء فيها : ٤٧٧ ، ٤٧٣ .
 في أي ليلة تقع : ٤٦٧ ، ٣٦٨ .
 هل هي خاصة بالمسلمين ؟ : ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

سورة لم يكن

- تلاوتها على أبي بن كعب : ٤٧٤ - ٤٧٦ .
 مآل الكفار : ٤٧٧ .
 مدى معاناة أهل الكتاب والمشركين : ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
 حال المؤمنين : ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

سورة اذا زلزلت

- بيان فضل الله وكرمه : ٤٨٤ ، ٤٨٥ .
 الحساب على الأعمال مهما قلت : ٤٨٣ ، ٤٨٤ .
 صفة الأرض يوم البعث : ٤٨٠ - ٤٨٧ .
 فضل تلاوتها : ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

سورة العاديات

- مدى جحود الإنسان لنعم ربه : ٤٨٨ .
 وصف الخيل للفرية في سبيل الله : ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

سورة القارعة

- تعظيم القيامة وتبويل شأنها : ٤٨٩ .
 صفة جهنم : ٤٩٠ ، ٤٩١ .
 الناس يومها حسب أعمالهم : ٤٨٩ - ٤٩١ .

سورة العصر

- فضل تلاوتها : ٤٩٩ .
 المقصود بلفظ «العصر» : ٥٠٠ .
 وجوب التسمية : ٥٠٠ .

سورة ويل لكل همزة لمزة

- علم ازدياد الناس : ٥٠١ .
 كثرة لئال من دواعي القنور : ٥٠١ .
 لئال لا يفتح صلحه : ٥٠١ ، ٥٠٢ .
 من أوصاف جهنم : ٥٠١ ، ٥٠٢ .

سورة الشمس وضحاها

- التركي : ٤٣٥ .
 أنشأ القرآن : ٤٣٣ - ٤٣٥ .
 قصة نوح : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

سورة الليل

- التصديق : ٤٣٩ - ٤٤٣ .
 الطلاب : ٤٤٣ - ٤٤٤ .
 أعمال العباد : ٤٣٩ .
 أنشأ القرآن : ٤٣٨ - ٤٣٩ .
 إيمان الله بفضل منه تعالى : ٤٤٤ .
 الإيقاق : ٤٣٩ - ٤٤٣ .
 الحدى : ٤٤٣ .
 القنوى : ٤٣٩ - ٤٤٣ .

سورة الفصحى

- زهد الرسول : ٤٤٧ .
 سبب نزول هذه السورة : ٤٤٥ - ٤٤٧ .
 الشكر : ٤٤٩ - ٤٥٠ .
 أنشأ القرآن : ٤٤٥ .
 نعمه تعالى على رسوله : ٤٤٨ - ٤٤٩ .

سورة ألم نشرح

- الدعاء : ٤٥٥ .
 العبادة : ٤٥٥ .
 السر والسر : ٤٥٣ - ٤٥٥ .
 نعمه تعالى على عبده : ٤٥١ .

سورة التين والزيتون

- خلق الإنسان : ٤٥٧ .
 أنشأ القرآن : ٤٥٦ - ٤٥٧ .
 القيامة : ٤٥٧ .

سورة اقرأ

- سبب نزولها : ٤٥٨ - ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
 طبع الإنسان : ٤٥٩ .
 موقف أبي جهل من الرسول : ٤٦٠ .

سورة القيل

حاجه الله قريش : ٥٠٧

قصة أصحاب القيل : ٥٠٣ - ٥١١

جنود الله : ٥٠٧ - ٥٠٩

سورة لايلاف قريش

شرع مجاوره بيت الله : ٥١٢

من مجاور البيت أولى بمباينة صلبيه : ٥١٢-٥١٣

نعم الله عليهم : ٥١٣

سورة المسكون

للتكرون ثبت : ٥١٤

تجديد تاركى الصلاة : ٥١٤

صفة للتائقين : ٥١٤ - ٥١٧

من يأخذ ويخل عند البطاء : ٥١٦ - ٥١٨

سورة الكوثر

لكريم الله لرسوله : ٥١٩ - ٥٢٣

صفة نهر الكوثر : ٥١٩

شكر الله على هذا التكريم : ٥٢٣

سبب نزول السورة : ٥٢٥

سورة قل يا ايها الكافرون

تأكيد بالبرائة مما يمسله الكافرون : ٥٢٧، ٥٢٨

فضل تلاوتها : ٢٥٦ ، ٥٢٧

سبب نزولها : ٥٢٧

سورة اذا جاء نصر الله والفتح

آخر سورة نزلت من القرآن : ٥٢٩ - ٥٣٢

فضل التسيح : ٥٣٣

صيت الرسول نفسه : ٥٢٩ - ٥٣٣

لامهجرة بعد فتح مكة : ٥٣١

سورة تبت

السلامة على صدق النبوة : ٥٣٧

سبب نزولها : ٥٣٤

لئال لا يذبح عن صلبيه : ٥٣٥

سورة الاخلاص

سبب نزولها : ٥٣٨ ، ٥٣٩

فضل تلاوتها : ٥٣٨ - ٥٤٦

تزيه الله : ٥٤٧ ، ٥٤٨

سورة قل اعوذ برب الفلق

أفضل ما يرى به : ٥٥٥

بالليل من قر ما يحدث : ٥٥٣ ، ٥٥٤

السحر : ٥٥٥ - ٥٥٨

سورة قل اعوذ برب الناس

من صفات الربوبية : ٥٥٨

مسالك الشيطان : ٥٥٩ ، ٥٦٠

فهرس الاعلام

بريلة بن الحصبه : ١٩٣ ، ٢٢٨ ،
 الزرار : ٢٢٣ ، ٤٨٧ ، ٥٢٥ ، ٤٩٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٧ ،
 بشير بن كعب : ٢٠٦ ، ٢٢٩ ،
 البغرى : ٣٤٨ ،
 بكر بن عبد الله المزني : ٣٥٩ ، ٣٨٠ ، ٤٣٧ ،
 أبو بكر الصديق : ١٠٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٧ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ،
 أبو بكر الوراق : ٣٤٤ ،
 أبو بكر بن خزيمة : ٤٧٠ ،
 بكير بن الأشج : ٦٥ ، ٢٨٠ ،
 بلال بن رباح : ٤٦٨ ،
 تميم بن حاتم : ١٢ ،
 ثابت البناني : ٢٥٢ ، ٥٢٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٣٩ ،
 ثوبان (مولى رسول الله) : ٣٧٩ ،
 أبو ثور : ٤٧٠ ،
 الثوري : ١٧٠ ، ٧٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٥ ، ٤٣٤ ، ٤٧٠ ، ٤٩٧ ، ٥٢١ ، ٥٣١ ، ٥٤١ ،
 جابر بن زيد (أبو الشظاء) : ٢١ ، ٣٦٠ ، ٤٦٨ ،
 ابن جريج : ١٠٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٤٨٢ ،
 أبو جعفر الباقر : ١٩٥ ، ٢٦٢ ،

إبراهيم التيمي : ٢٣٧ ،
 إبراهيم التيمي : ١٠١ ، ١٢١ ، ١٩٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٥٦ ، ٥١٧ ، ٥٤٠ ،
 ابن أبيزى : ٣٩٣ ،
 أبي بن كعب : ١٩٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ،
 أحمد بن حنبل : ٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٤٢ ،
 إصحاق بن راهويه : ٤٧٠ ،
 أبو الأسود الدؤلي : ٤٣٥ ،
 أبو الأحوص : ٣ ، ٢٩٠ ، ٤٠٤ ،
 الأصمعي : ١٨٩ ،
 الأنطش (سعيد بن مسعدة) : ٩ ،
 الأهرج (أبو حازم) : ٨٠ ، ٣٠٠ ،
 الأعمش : ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
 أبو ألفة : ٤٢ ،
 أنس بن مالك : ٧١ ، ١٢٧ ، ٢٧٨ ، ٣٤٢ ، ٣٩٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ،
 الأوزاعي : ٢٣٩ ،
 أبو جرية : ١٣٤ ،
 البخاري : ٢٨ ، ٣٤٤ ، ٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥١١ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٣٩ ، ٥٣٤ ،

سفيان بن عيينة : ٣٦٢

سلمان القارسي : ١٩٩

أبو سلمة بن عبد الرحمن : ٢٨٧

سليمان بن موسى : ٣٦٧

أبو سليمان الطبراني : ١٣ ، ٣١٥ ،

أبو سنان : ٧٩٣

سهل بن سعد الساعدي : ٣٣٧

السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله) : ٢٩٤

الثعالبي : ٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٨ ، ٣٧٣ ، ٤٥٤ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، ٥٢٨

شناد بن أوس : ٣٨٠

شرحيل بن سعد : ٤٢٥

شعبة : ١٨٩ ، ٤٦٧ ، ٥٣١ ،

الشمسي : ١٥ ، ٣٧ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٢٢ ،
 ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٥٥ ،
 ٣٦١ ، ٣٨١ ، ٤٦٥ ، ٥٢١ ،

أبو صالح : ١٥ ، ١٧٢ ، ١٧٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٧ ، ٢٨١ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ،
 ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥ ،
 ٣٨١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٩٨ ،
 ٤١٥ ، ٤١٦ ،

الضحاك : ١١ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،
 ٢٢ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ١١٣ ،
 ١١٧ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ،
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ،

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ،
 ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
 ٣٦٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
 ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ،
 ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ ،

سعد بن هشام : ٢٧٨

سعيد بن جبير : ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ،
 ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ،
 ١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ،
 ٣٦٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٧ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٨٤ ،
 ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ ،
 ٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٤ ،
 ٥٣٧ ،

سعيد بن عبد العزيز : ٧٩

سعيد بن المسيب : ١٧٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٤١٧ ،
 ٥٣٦ ،

سعيد بن أبي هلال : ١٧٠ ،

أبو سعيد الخدري : ٤ ، ٣٠٤ ، ٣٦٨ ، ٤٨٤ ،
 ٥٣١ ،

السفر بن قيس : ٣ ،

سفيان بن حسين : ١٢١

٤٠١ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤١٠ ٤١٥ ٤١٧ ٤٢٦ ٤٢٨

٤٢٣ ٤٣٤ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٦٦

عبد الرحمن بن سلمان أبو الأحيس : ٣٩٤

أبو عبد الرحمن السلمي : ١٧ ١٩٣ ٢٨٠

عبد الرحمن بن أبي ليلى : ٤٦٦ ٥٤١

عبد العزيز بن جعفر بن أحمد الخنيلي أبو بكر : ٢٨٥

عبد العزيز بن أبي سلمة اللخثوني : ٣٨٠

عبد الله بن بريدة : ١٢ ٢٨٧ ٢٩٣

عبد الله بن الربيع : ٤١٣ ٤١٥ ٤١٧ ٥٣٦

عبد الله بن سرجس : ١١

عبد الله بن عباس : ٣ ٤ ٦ ٧ ١١ ١٢

١٥ ١٦ ١٧ ١٩ ٢١ ٢٢ ٢٥ ٢٦

٣١ ٤٣ ٤٥ ٤٧ ٥٤ ٥٧ ٦٣ ٦٥

٦٩ ٧٤ ٧٦ ٨٠ ٨١ ٨٤ ٨٥ ٩٠

٩٢ ٩٤ ١٠٥ ١١١ ١١٣ ١١٤

١٦٨ ١٧١ ١٧٧ ١٧٩ ١٨٢ ١٨٤ ١٨٧ ١٨٩

١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٨ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣

٢٠٤ ٢٠٦ ٢١٠ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٦

٢١٧ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٥

٢٢٧ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤٣ ٢٤٤

٢٤٥ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٥

٢٥٧ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٥ ٢٦٦

٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٤ ٢٧٥

٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣

٢٨٦ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٣ ٢٩٧

٢٩٨ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٧

٣٠٨ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٧ ٣١٩

٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١

٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١

٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩

٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧

٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥

٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣

٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١

٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩

٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧

٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥

٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣

٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١

٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩

٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧

٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥

٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣

٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١

٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩

٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧

٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥

٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣

٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١

٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩

٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧

٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥

٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣

٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١

٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩

٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧

٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥

٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣

٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١

٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩

٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧

٤٥٩ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥١٧ ،
٥٢٨ ، ٥٤١

عبد الله بن وهب : ٤٦٨

عبد بن حير : ٢٦٧

أبو حيلة (معمري القتي) : ٩ ، ٨٦ ، ٣٣١

حنبة بن أبي حكيم : ٥٧

حنبة بن حنر : ٢٥٤

حنان بن أبي القاص : ٤٦٧

أبو حنان التهامي : ٢٤١

حنان بن أبي الناجية : ٣٣٧

حروة بن القير : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ١١١ ،
١١٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٨ ، ٢٤٤ ، ٣٨٦ ، ٤١٢ ،
٤١٣ ، ٥٣٦

حنان : ٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩٣ ،
٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٣٥ ،
٣٤٧ ، ٤١٣

حنان النرساني : ١٧٠ ، ٤٢٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤

حنان بن أبي رباح : ٢٣٥

حنان بن أبي مسلم : ٢٧٨

حنينة القري : ١١ ، ١٢ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٣٦١ ،
٣٦٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٥١٦

حكيم : ٣ ، ٤ ، ١١ ، ٦٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢٩ ،
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
١٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ،
٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤١ ،
٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،
٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ،
٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ،
٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ،
٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٧ ،
٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ،
٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ ،
٤٩٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ،
٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ،
٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦

عبد الله بن عبد الله بن حنظلة : ٢٤١

عبد الله بن عبد بن حير : ٣١٦

عبد الله بن حكيم : ٢٥٣

عبد الله بن حنر : ١٦٩ ، ١٩٣ ، ٣١٣ ، ٣٦٤ ،
٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٢٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١

عبد الله بن عمرو : ٤٣ ، ٦٩ ، ٢٣٩ ، ٣١٧ ،
٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٤٨٤

عبد الله بن كثير : ٣

عبد الله بن المبارك : ٢٨٢

عبد الله بن مسعود : ٧ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٩ ، ١٠١ ، ١٢٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ،
٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٥ ،
٣٥٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٥٥

التفصيل بن حياض : ٢٤٣ ، ٣٦٤ ، ٤٥٥

قائمة : ٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤

القرطبي : ٣٥٣ ، ٤٥٦

قائمة بن زهير : ٣ ، ٤

أبو تلاب : ١٧٠ ، ٣٠٧ ، ٤٧٠ ، ٤٩٧

الكساني : ١٨ ، ٣٣٠ ، ٥٠٨

٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٤٧٥ ، ٤٦٩ ، ٤٩٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥

حلقمة بن قيس : ١٦٣

علي بن الحسين (زين العابدين) : ٤٣

علي بن أبي طالب : ٤ ، ٤٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠١ ، ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٥١٨ ، ٥٢٤

مرو بن الخطاب : ٤٠ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٨١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٩٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

مرو بن عبد العزيز : ٤٠٤

مهران بن حسين : ٢٢٨ ، ٤١٤ ، ٤٣٥

أبو مهران الجوني : ٢٨٢ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢

مرو بن قيس اللات : ٤٦٤

مرو بن ميمون : ٦ ، ٤٨ ، ٢٢٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

أبو عمرو بن العلاء : ٣٠٢

الفرلي : ٤٦٧

طالبة بنت قيس : ١٧٠

قراء : ٢٢ ، ٣١ ، ٦٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣١

مسلم البطين : ٢٤٥ ، ٢٥٧

مطوية بن سعيد : ٣٥٤

مطوية بن أبي سفيان : ٤٦٢

مقاتل بن حيان : ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ،
 ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٣ ،
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
 ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ،
 ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٧٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ،
 ٣٤٥ ، ٣٦٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٣١ ، ٥٢٤

مكحول : ٢٨٠

منصور : ١٢٩

النهال بن عمرو : ٢٤٣ ، ٣٨٤

أبو موسى الأشعري : ١٣٣

حيون بن مهران : ٣ ، ٢٥ ، ١٢٧ ، ١٦٩ ، ٣٦١

القنبر بن عرقبة : ١٩

أبو قنبر : ٤٤٩

أبو سيفت : ٢١

أبو هريرة : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٨٠ ،
 ٣٨٤ ، ٤٣١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ،
 ٤٧٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٩٠ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠٢ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٨

الحيثم بن علي : ٧٢

أبو وائل : ٤٧٦

دعبل بن منبه : ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٥٠٧

يحيى بن رافع : ٢٦٠ ، ٢٨٤

يحيى بن أبي كثير : ١١ ، ٧٥٧

زيد بن أبي حبيب : ٢٧٤

زيد بن أبي حمزة : ٤٢٤

زيد بن رومان : ٨٤

فهرس الاماكن والبلدان ونحوها

(ج)

الزوراء : ١٤٨ .

(ش)

الشم : ٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٧٣ ، ٢٣٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٦٣ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥١٢ .

(ص)

صنماء : ٢٢٣ .

(ط)

الطائف : ٤ ، ٢٦٨ ، طرية : ٤٥٧ ، طور سيناء : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(ع)

العراق : ٣٩٢ ، عرق : ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، عسفان : ٧٤ ، العتبة : ١٢٤ ، عكا : ٤٥٧ .

(ف)

فران : ٤٥٧ ، فلسطين : ٤٥٧ .

(ق)

القنصية : ٣٤٢ ، القاهرة : ٥٣٧ ، قسطنطينية : ٣٩٢ .

(ك)

الكبة : ١٤٤ ، ٣٩١ ، الكوفة : ١٧٦ ، ٤٤٧ .

(ل)

لحد : ١٣٢ ، لفرحات : ٨١ ، ٨٥ ، لصبيان : ٣٩١ ، الأهواز : ٤٦٣ .

(ب)

بابل : ٢٦٢ ، ٣٩٢ ، بلر : ٧١ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٧٦ ، ٢٢١ ، ٣١٤ ، ٤٦٣ ، ٤٨٦ ، البصرة : ١٣٣ ، ٢٩٠ ، ٥٤٥ ، البويرة : ٨٦ ، ٨٧ ، بيت المقدس : ٤٣ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(و)

تبولك : ١٥٣ ، ١٥٤ .

(ح)

الحبيشة : ١٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٧٨ ، ٣١٨ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، الحنيبية : ٢٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ٤٧٥ ، ٥١١ ، حران : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٤٥٨ ، ٥٠٦ .

(خ)

خير : ٨١ ، ٨٣ .

(د)

دمشق : ٤٢ ، ٤٥٦ ، دومة الجندل : ٢٦١ .

(ز)

روضة غلخ : ١٠٧ ، ١١٠ .

٢٦٨ ، ٢٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣

مق : ٣٢٠ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥٠٦

(٥)

النصرة : ٤٥٧

نجران : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢

(٦)

اليمين : ٣٨ ، ٣٩ ، ١١٥ ، ٢٢٣ ، ٣٠٣

٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

(٧)

للبيد : ٨٣ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٣٦٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٤٦٣ ، ٥٣٠ ، ٥٥٦

للمسبح : ١٥٤ ، ١٥٨

للشال : ١٥٨

مصر : ٥٣٧

مكة : ٣٨ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

فهرس القبايل والطوائف

(١)

بنو اسرائيل : ١٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٣٥ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٨٧ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ،
بنو لامية : ١٨٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ،
الانصار : ٦٤ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٥٨ ،
الأوس : ٨٢ ، ١٣٩ ،

(ب)

قبيل : ٣٩٥ ،
لمود : ٣٩٠ ، ٣٩٣ ،
(ج)
جرهم : ٣٩١ ،

(ح)

حبر : ٢٦٢ ، ٣٩١ ،
(خ)

خراطة : ٣٩١ ،
الخزرج : ٨٢ ، ١٣٩ ، ١٥٩ ،

(د)

الروم : ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٢٧٩ ، ٣٩١ ، ٣٥٤ ،
٣٥٦ ،

(ز)

بنو زريق : ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،
بنو زمرة : ٢٢٠ ،

(ش)

الشعبة : ٤٦٧ ، ٤٧١ ،

(ع)

بنو العباس : ٤٦٣ ،

(غ)

بنو غطفان : ٢٦٢ ،

(ف)

فارس : ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٣٥٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ،

٣٩١ ،

(ق)

قرين : ٤ ، ٤٦ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
١٥٤ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ،
٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، ٥٢٥ ،
٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٥٧ ،
بنو قريظة : ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ،

(ك)

كلب : ٣٦١ ،
آل خن كلاج : ٢٦٢ ،
كنة : ١٦٦ ،

(م)

مراد : ٢٩٢ ،
بنو المصطلق : ١٥٤ ،
للهاجرون : ٧١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١٢١ ،
١٢٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٤٥٤ ،

(ن)

بنو النجار : ٥٢٣ ،
السطورية : ١٤٠ ،

بنو النضير : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ،

(هـ)

بنو هاشم : ٣٦٧ ،
هليل : ٢٦١ ،
هملان : ٢٦٢ ،

(ي)

ياجرج وماجرج : ٢٨٣ ،
اليفوية : ١٤٠ ،
اليزانيون : ١٣٩ ، ٢٩٠ ،

(ج)

- الأكرع : حسان بن ثابت ... ٢٢٠
 اتضع : عيلان القوي ... ٢٨٨

(ق)

- ساق ... ٢٢٥
 شارق ... ٢٦٩
 شلاق ... ٢٦٩

(ك)

- حلاك : عبد للطلب بن حاتم ... ٥٠٥
 عاك : عبد للطلب بن حاتم ... ٥٠٥
 لك ... ٤٩٢

(ل)

- لجبل : امرؤ القيس ... ٢٨٩
 الجبل ... ٣١٥
 الطويل ... ٣١٥
 والجبال : ابن جرير ... ٤
 جبل : دكين بن رجاء ... ٢٨٩
 تسل : امرؤ القيس ... ٢٨٩
 قبل : امرؤ القيس ... ٥٦١

(م)

- المزم : ابن قيس العيسى ... ٨٨
 المزم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 ومزم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 كمزم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 المقوم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 ومزم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 مذوم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 ومزم : ابن قيس العيسى ... ٨٩
 مظم : ابن قيس العيسى ... ٨٩

- جلير ... ٨٧
 الجير ... ٨٨
 جور : كعب بن مالك ... ٨٨
 الجير : كعب بن مالك ... ٨٨
 بصير : كعب بن مالك ... ٨٨
 بصير : كعب بن مالك ... ٨٨
 وزير : كعب بن مالك ... ٨٨
 وزور : كعب بن مالك ... ٨٨
 بصير : كعب بن مالك ... ٨٨
 ودور : كعب بن مالك ... ٨٨
 الكفور : كعب بن مالك ... ٨٨
 الثور : كعب بن مالك ... ٨٨
 لايجور : كعب بن مالك ... ٨٨
 القصور : كعب بن مالك ... ٨٨
 ذكور : كعب بن مالك ... ٨٨
 يسير : كعب بن مالك ... ٨٨
 صير : عمرو بن الحارث بن مضاف ... ٣٩١
 الموائر : عمرو بن الحارث بن مضاف ... ٣٩١
 استورا : القززدق ... ٣٤٧
 بسورعا : توبة بن الحبيب ... ٢٩٢
 بغير : زهير بن أبي سلمى ... ١٠٦

(س)

- مفس : البلاد النحوى ... ٣٦١
 جوارس ... ١٨٩
 حصا : حلقمة بن قوط ... ٣٦٠

(ص)

- الصا ... ٤٦٣
 القصص ... ٤٦٣

(ض)

- الرضى : الصرمى ... ٤٥٣

فهرس فريب الفة

تند	تند و تبه ٤٧
نور	ما استنار ٣٤٧
نور	لأنورنا ... ١٥٤
(حروف الجيم)	
جن	مجنبة سفرة ١٦٦
جفت	فجفت منه ٢٨٧
جور	جفروا في لحي ١٣٤
جده	مطرنا بنوه للجدح ٧٤
جده	مجاديع السماء ٢٦٠
جده	جدهاء ... ٤٣٤
جده	لمستجدل في طيه ١٣٦
جلح	ليني فيها جدهاء ... ٤٥٨
جلل	وترك الجد في حيث ٣٠٢
جوس	جوس تحله العرف ١٨٨
جوز	أحجار مجرة ٥٠٩
جضفر	الجمضفري ... ٢١٩
جلب	جلاليب قرش ١٥٤
جلد	وجالبا جلداه ٤٤٢ ... ٤٤٢
جهميم	وأشار إلى مثل جمجمته ٢٤٣
جهم	جمعة جمعه ... ٤٣٤
جم	ذو جمه ٥٣٥
جهم	جهمات ١٥٢
جوط	الجوط ... ٢١٩
حبب	الحبة ... ٤٠٢
(حروف الحاء)	
حبر	الحبوبر ٨٧
حيز	أهوت إلى حيزنا ١٠٩
حسين	عاجتهم تحت لقرابه ٥١٠
حدد	محددون ١٨

(حرف الهمزة)	
أثر : سيبويه يسمي آثره ٩٥	آثر
أخطأ : وأخطأ السليم ٢٧٩	أخطأ
أوب : بكل أولٍ منها ... ٤٢٨	أوب
أرب : الأرباب السقام ٢٥٢	أرب
أسو : أسوة للمال ٩١	أسو
أشب : قد تأسبوا حوله ١٤	أشب
أشر : وأشره ٢٥٠	أشر
أطبل : أطبلت المياه ٢٩٥	أطبل
أظ : أظ ١١٦	أظ
ألو : الألوثة ١٣	ألو
أعب : أعبت ثلاثة ١٩٠	أعب
(حرف الباء)	
أبنت : للبنت ١٧٠	أبنت
أجل : العباداء البتول ١٣٧	أجل
أجر : قلت بجر ١٥٣	أجر
أبلو : تبتلمر للآء ١٥٦	أبلو
أبلو : ترجف برأوده ... ٤٥٨	أبلو
أبلو : بكنت على أهل الرجل ١٧٠	أبلو
أبرغ : فبرغوه بها ٥٠٥	أبرغ
أبطح : حتى يططح لها ٢٥٠	أبطح
أبلن : وكروح بطاناً ٢٠٦	أبلن
أبقم : القواب الأبقم ٨	أبقم
أبكر : يسمن البكرة مسكاً ٥٣٦	أبكر
أبلج : صافية بلمجة ... ٤٦٦	أبلج
أبلغ : بلمجت وجهت ١٨٠	أبلغ
أجل : اللعين يباهلون ... ٤٦١	أجل
(حرف التاء)	
أمر : ولا تومر بها ٢٦٣	أمر
(حرف الثاء)	
أثب : تعثبت بما ٣٩١	أثب

حزن	١	مَجْبُوتَةٌ مَحْزُونَةٌ ١٦٦	حرب	١	حصنها وذروها ٨٥١
حصى	١	يَحْصِي الْمَوْزَنَ ٨٨	حرمك	١	دَرْمَكٌ يَضَاهُ ٢٩٣
حصى	١	لَهُ حَصَايَا ١٤٥	حرون	١	ولا الذرثه ٣٤
حقو	١	إِلَى حَقْوِهِ ٣٧٠	حرون	١	نصار درينا ٥٠٩
حلق	١	الْحَلَاقَةُ ١٢٨	دعو	١	لا يشكروه ولا يدهونه ٣٢
حل	١	قَدَمُ حَلَاكٍ ٥٥٥	ذفر	١	قانا سكة ذفرة ٥٢٠
حل	١	لَمْ يَحْمَلْ مِنْهُ بَشَى ٢٠٢٠	دقق	١	دَقَّ أَهْلُ آيَاتِ ٩١
حل	١	وَحَلَاكُمُ الْفِتْنَةُ ٢٠٨	دعنه	١	قَدْ هَدَمَهُ ٣٨٨
حمل	١	حَمَلُ السَّيْلِ ٤٠٢	دعن	١	كَانَهُ مَدْمُومَةً ١٠٢
حم	١	حَمَنَ اللَّهُ ٨٩	(حروف اللال)		
حمو	١	أَوْ حَمَنَ ٢٢٧	ذروه	١	حَى الذَّرْ ١٠٥
حيا	١	(حروف الحاء)	ذمر	١	ثُمَّ ابْلِعُوا جَمِيعًا ٥١١
حيا	١	وَلَا جُلْدَ مَخْبِيَّةٍ ٢٢٩	ذكر	١	مُشْهَرَةٌ ذُكُورُ ٨٨
حيث	١	يَهْلِكُ الْأَعْيَانُ ٤٥٥	ذلق	١	طَلَّقَ ذَلَقَ ٢٥٢
حليم	١	خَدَمَ تَسْلُكُكُمْ ٨٢	ذعب	١	كَانَهُ مَدْمُومَةً ١٠٢
خلو	١	عَمَلًا أَفَانًا ٣٢٧	(حروف الواو)		
خشب	١	خَشَبٌ بِاللَّيْلِ ١٥٢	وعصى	١	أَوْ تَرَعَصَ لَمْ يَبْرَحْ عَصُونَ ٢١٧
خضر	١	وَمِنْهُ مَخْضَرَةٌ ٤٤٠	ودح	١	كَمْ مِنْ عَدُوٍّ وَطَاحَ ٤٠
خصى	١	خَصْرَةٌ لِلْبَيْتِ ٣	وزن	١	رَوَّزَكَ فِي الْبَيْتِ ١٤٠
خطر	١	لَا خَطَرَ لَهَا ٤٠٨	وعف	١	تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بَنَى ٥٥٦
خفق	١	خَفَقَ بِرَأْسِهِ ٣٤٣	وقا	١	دَمَ لَا يَرْثَا ٢٢٧
خفق	١	خَفَقَتْ بِرَأْسِ ١٥٧	وقع	١	الرَّكِبِ ٣٢
خفي	١	بِحَبِّ الْأَخْفِيَاءِ ٨٠	وقن	١	هُوَ الْقَلْبُ وَمَتْرَاكُهُ ٢٤٥
خلاج	١	خَلَّاجُ الْعَيْدِ مِنْهُمْ ٥١٩	ومصى	١	حِجَابُ رُشْمَا ٩
خلل	١	قَدْ خَلَّلَهَا عَلَى صُلُوحِهِ خِلَالُ ٤٠	ومل	١	مُغْفِيًا إِلَى رَمَاكِهِ ٩١
خص	١	وَقَدْ خَفِصَ كَانَتْ عَلَى عَالَمِهِ ٤٤٣	ومل	١	رَمَلٌ حَصِيرٌ ١٩٠
خص	١	قَلْبُهُ خَاصًا ٢٠٦	قذ	١	وَمِنْ تَذَنُّوبٍ ٤٩٥
خضف	١	أَمَّا الْخَضْفُ ٥٠٦	روى	١	هَلْهُ رَوَايَا الْأَرْضِ ٣٢
خر	١	يَقْتَسِمُ الْخَرْ ٢٢٣	(حروف الزاى)		
خلو	١	وَلَا يَخْلُ عِلَا ٤٢٥	زئم	١	يَحْصِي الْمَوْزَنَ ٨٨
ذبر	١	(حروف الذال)	زئم	١	لَهُ زَمَنَةٌ ٢١٩
ذبل	١	وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا ذُبُرًا ١٥٢	(حروف السين)		
دم	١	ذَبَّالًا ٨٨	سيل	١	السَّيْلِ ٢٤
دمل	١	ذَحْمًا ذَحْمًا ١١	سجر	١	وَالِي التَّنُورِ تَسْجَرُهُ ١٨١
	١	ذَكِيَّةٌ لِزَهْرِهِ ٢٣٥	سجج	١	الْبَيْتِ سَجَجَ ٧

قول	: قال يا صبيحه ... ٤٢٠
قوى	: القوى ١٩
	(حرف الكاف)
كيد	: كيد قومه ٢٨٨
كيبك	: فى كيبك من بنى اسرائيل ١٤
كرب	: الكرويون ٢٤٠
كرع	: الكرع ٢٧٨
كرى	: اكرينا ذات ليلة ١٤
كسع	: فكسع رجل من المهاجرين ١٥٥
كلف	: اكلنوا من الاعمال ٢٨٠
كلكل	: كلاكلمهم ٢٦٨
كم	: بالوصى لكسم ٨٩
كس	: وكس بالليل ٢٥٩
كس	: اوى الظى الى كساسة ٣٥٩
كرد	: وككوير الكارة ٣٥١
	(حرف اللام)
لد	: خصرة القيس للميود ٢
لبط	: لبط به ٢٢٩
لحق	: فاستحقته إليها ٢٧٩
لحو	: لاحيت ابي ٩٥
لحى	: فحجكوا فى لحى ١٣٤
لى	: تلافه من الله ٨٩
لون	: (من ليشة) ٨٦
	(حرف الميم)
ماى	: ماين سوق احنم ٢٣٩
مان	: لقد كفونا للربة ٩٤
متع	: يقوم عليه للانع ٥٥٧
متع	: حتى متع النهار ١٥٨
عل	: خدوه علك ٥٠٥
مدد	: مدد لعدكم ٢٨
مرخ	: للرخ ... ١٨
	(حرف النون)
نجف	: نجف بايه ٨٣
نزه	: ايتنا منها بنزه ٨٧
نسل	: تنسل ٢٨٩

غرفا	: الغرمي ١٠
غرل	: مشاة غرلا ٣٤٩
غضى	: جمر الغضا ٨٩
غزور	: وتغنى الغيرة ٢٥٠
غلط	: فغلطى ... ٤٥٨
غلب	: اغلب ٣٤٧
غفر	: اكلت مغفر ١٨٨
غنج	: الغنجة ١١
عتن	: متقاء مغرب ٥٠٨
شير	: لا تصطبون لما غير آت ٤٦١
خيل	: الغيلة ٢٥٦
	(حرف الفاء)
فبيع	: الفتنخ ١٢٤
فرض	: لم يكثر منها ولد ١٣٧
فرو	: افرة فلاماته ... ٤٢٨
فسم	: فيكسم حتى ٢٧٧
فقد	: لم يفتقدوا ٨٠١
فقر	: وفقر الظهر ٢٥٠
فلك	: الأرض فلكا ٤٨١
فلج	: للفتكجات ٩٣
فى	: هو من اثناء للامكة ٣٦١
ففى	: نفسى تففى ٢٧٧
	(حرف القاف)
فلح	: كفى فى قدح ٣٩٠
فلد	: القد ١٧٣
قرب	: وقاربوا ٢٤٢
قورق	: قرقور ٢٨٨
قرع	: فجات قرعة فطرا ٤٦٨
قصر	: فسيه القصر ٣٢٤
قصر	: بلا قصر ولا قصر ... ٤٥١
قصل	: القصيل يجز الدواب ٥٠٩
قال	: وان لما اقلت ٨٥
قصص	: قصصت ٣٤٠
قم	: كان جموعا قصروا للخيت ٢٥٣
قع	: وقنع ولعه ٢٨٨

(حرف الهاء)

١ ولا يفرقون الماسجد إلا هجرًا ١٥٢	هجر
١ ولا تهكّوه هكذا الشعر ٢٧٧	هكّذ
١ بلا قصر ولا قصر ... ٤٥١	هصر
١ من كل شيطان وهامة ٢٢٩	هم
١ وأشر كونا في المهنتا ٩٤	هنا
١ فأهنيك ولهميك ٥٢٣	هنا
١ لاشيء في العام ٢٢٨	هوم
١ كلما كانت مية ٤٧٨	هيج

(حرف الواو)

١ فمروها ٣١١	ويز
١ فقام عمر يؤجّه نحو ٢٩٦	وجه
١ بتنا ليلتنا هذه وحش ٦٢	وحش
١ بالودى للكيم ٨٩	ودى
١ يتوسد القرآن ٢٨٥	وسد
١ صاحب الرساد ... ٤٣٨	وسد
١ وسقامن نمر ٦٢	وسق
١ أطراف الرشيع ٨٩	وشج
١ ووحيها ٢٢٣	وصب
١ تنهى عن الواصلة ٩٢	وصل
١ ولا توصى فيروعى الله طيك ٢٥٣	وصى
١ إن الذين لتوتلع الرجل ٢٢٨	ولع

١ تكون القسم طرا ٢٧٢

١ فلم يتشّيب ... ٤٥٨

١ حكته من نشاط ٣٣٥

١ ولا نصفيه ٢٨

١ يمكن النصف ٨٢

١ ويجعل القطع عليه ١٥٧

١ وكان نطع ٢١٥

١ تتطلف لحية ٩٥

١ تُشبل الحبل ١٩٠

١ يتفككم البصر ١٦٣

١ نفس مغوسة ... ٤٤٠

١ نكبت عن أفئنتهم ٢٣٥

١ يتكثرون الحصى ١٩١

١ فنكس فجعل يكت بمخصره ٤٤٠

١ ينكى مدّوه ٨٩

١ ثياب القمار ١٤٨

١ الثامسة ٩٣

١ وطعامهم نهبة ١٥٢

١ مطرنا ينوء كذا ٢١

سم

نشب

نشط

نصف

نصف

نطع

نطع

نطف

نبل

نقد

نفس

نقب

نكت

نكس

نكى

نمر

نمى

نهب

نوا

تصويبات

الصفحة	المطر	المط	المط
١٩	٢٤	لجمعين (٨)	لجمعين
٨٧	١١	مستطير	مستطير
١١٦	١٢	بدلها : صواب •	بدلها : صواب
١٦	٢	جند	جند
١٦٩	٢	(يسم)	(يسم)
١٦٢	٦	عسرين (٧)	عسرين (٧)
١٦٩	٩	جماع (٣)	جماع (٤)
١٨٠	١٤	سقة	سقة
١٨٢	الثالث من التطبيق	الكرولين	الكرولين
٢٠٤	٢٢	الصباح (٧)	الصباح (٤)
٢٤٨	١	قادة	قادة
٢٥٠	٢٢	سعد بن جبر	سعد بن جبر
٢٥٠	الثامن من التطبيق	وأقر	وأقر
٢٨٧	١٩	فجئت	فجئت
٢٨٧	الثاني من التطبيق	فجئت	فجئت
٣٠٤	الثاني من التطبيق	ج ١١٤	١١٤
٣١٣	السادس من التطبيق	القواعد	القواعد
٣١٣	د د د	ويستعمل في الطعام	ويستعمل في الطعام
٣٤٠	٣	بن حميد	بن حميد
٣٤٣	١٨	يزكي (٥)	يزكي (٧)
٣٥١	٤	بن عمر	بن عمر
٣٨٩	السادس من التطبيق	يفتح فسكون	يفتح فسكر
٤٠٠		(قل : يا أيها)	(قل : يا أيها)
٤٢٧	الراج من التطبيق	بن سعد الصوري	بن سعد الصوري

(هـ) حلفنا هناك وقتنا : إن الصواب « صواب » . وما قلناه من الكفا : والصحيح ما في المتن ، وانظر في ذلك أيضا الخليلي ، كتاب الأسماء ، باب الألف : ٩٤/٧ . وصحة الإمام أحمد : ٣٢٨/٢ .

